دعوة المقاومة الإسلامية العالمية



المجلد الأول

المقاومةالعالمية

روى أبو داود والترمذي من حـديث أبي ثعلبـة الخشـني رضي اللـه عنـه قال: سألت الرسول صلى الله عليه وسلم عن هذه الآية : (ياأيهـا الـذين آمنوا عليكم أنفسكم لا يضركم من ضل إذا اهتديتم) فقال رسـول اللـه صلى الله عليه وسلم :(بل ائتمروا بالمعروف. وتناهوا عن المنكـر. حتـى إذا رأيت شحاً مطاعاً. وهوى متبعاً ودنيا مـؤثرة. وإعجـاب كـل ذي رأي برأيه ، فعليك بخاصة نفسك ودع عنك أمر العـوام. فـإن ورائكـم " أيـام الصبر". الصبر فيهن مثل قبض على الجمر . للعامل فيهن أجر خمسـين . قلت يارسول الله : أجر خمسين منهم. قال : أجر خمسين منكم) .

﴿ إهداء ﴾

إلى رجال مـؤمنين ، وشـباب صـادقين ، أراهـم ينظـرون إلى قـوى الكفـر الصـليبية الصـهيونية الزاحفة ، وقد تداعت علينا بقيـادة أمريكـا تـداعي الأكلـة إلى قصـعتها ، تزهـق الأرواح ، وتنتهـك المحرمات ، وتحتل المقدسات و تدوس البلاد وتنهب أقوات العباد..

فيملأ الحزن قلوبهم ، ويخنق القهر حناجرهم ، ويحبس كبرياء الرجولة دموع الألم في عيـونهم . وتـدوي في خـواطرهم آيـات اللـه تنـاديهم : **﴿ وَمَـا لَكُـمْ لا تُقَـاتِلُونَ فِي سَـبِيلِ اللَّـهِ وَالْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ الرِّجَالِ وَالنِّسَاءِ وَالْوِلْدَانِ .. ﴾** (النساء: من الآية75)

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا مَـا لَكُـمْ إِذَا قِيـلَ لَكُـمُ انْفِـرُوا فِي سَـبِيلِ اللَّـهِ اثَّـاقَلْتُمْ إِلَى الْأَرْضِ أَرَضِيتُمْ بِالْحَيَاةِ الدُّنْيَا مِنَ الْآخِرَةِ فَمَا مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا فِي الْآخِرَةِ إِلَّا قَلِيلٌ ﴾ (التوبة:38)

فيملأ الأسف والحسرة نفوسـهم . ويتسـاءلون ! ومـاذا عسى أحـدنا أن يفعـل أمـام هـذا الطوفـان الزاحف من الصليبيين واليهود وحلفائهم من المرتدين والمنافقين بين أظهرنا..؟!

فيأتيهم الرد الحاسم من كتاب الله :

﴿ فَقَاتِلْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ لا تُكَلَّفُ إِلَّا نَفْسَكَ وَحَـرِّضِ الْمُـؤْمِنِينَ عَسَى اللَّـهُ أَنْ يَكُـفَّ بَأْسَ الَّذِينَ كَفَرُوا وَاللَّهُ أَشَدُّ بَأْساً وَأَشَدُّ تَنْكِيلاً﴾

﴿ إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَى مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنْفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ بِأَنَّ لَهُمُ الْجَنَّةَ يُقَـاتِلُونَ فِي سَـبِيلِ اللَّهِ فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ وَعْداً عَلَيْهِ حَقّاً فِي التَّوْرَاةِ وَالْأِنْجِيلِ وَالْقُرْآنِ ﴾ (التوبة: من الآية111)

فيرفرف الأمل في أرواحهم ، ويشرق العزم في نفوسهم ، وتنعقد النية في قلوبهم . ويجـأرون إلى ربهم : لبيك اللهم لبيك، لبيك لاشريك لك لبيك . بعنا يارب بعنا.. ، لانقيل ولانستقيل.

إلى هؤلاء الرجال المتحفزين للدفاع عن دين الله والمستضعفين من المؤمنين في كل مكان

أهدي هذا الكتاب ..

ليكون دليلا لهم وَمْعلما على طريق الجهاد في سبيل الله ، وزادا يعينهم على البلاغ بعون اللـه . وسِفْرا يربطهم فكرا ومنهجا بأسلافهم من قافلة الغرباء الظاهرين على الحـق الفـرارين بـدينهم . وليعرِّفهم بتاريخ من سبقهم في درب النور، ممـن قضى نحبـه وممـن ينتظـر. مـن الـذين هـاجروا وجاهدوا وآووا ونصروا، من رواد التيار الجهادي والصحوة الإسلامية المباركة في هذا الزمان .

وليقدم لهم منهج جهاد ، وفكرة حركة ، وطريقة عمل . برنامج عمل متكامل يساعدهم عـلى التخلص من أوزار القعود ، وكربات الهم والحزن ، وأثقال العجز والكسل ، وحسرات قهر الرجال..

فإلى إلى هؤلاء المجاهدين القادمين . الذين ألمح أطيافهم في الأفق ، يحملون رايات لاإله إلا الله محمد رسول الله . تخفق بالعز والنصر وتدحر قوى الكفر والطغيان. وتحكم شريعة الله في الأرض.

إليهم وإلى سلفهم من مجاهدي هذا الزمان ، من الشهداء والأسرى والمشردين الذين رسموا لجيل الجهاد والمقاومة القادم، بدمائهم وآهاتهم وعناء نسائهم وأطفالهم معالم الطريق .

إلى هؤلاء وأولئك **أهدي هذا الكتاب**.

راجيا من الله الحليم الكريم، العلي العظيم ، الغفور الرحيم . الحنان المنان ، أن لايحرمني صحبتهم في الرفيق الأعلى مع النبيين والصديقين والشهداء والصالحين . أملي بالله كبير ، وببشرى حبيبه المصطفى صلى الله عليه وسلم ؛ أن الدال على الخير كفاعله، وأن العالم والمتعلم شريكان ، وأن المرء يحشر مع من أحب.

﴿ هذا الكتاب ﴾

بفضل ما يسر الله بعونه ، ووفق إليه بفضله ، يحتوي هذا الكتاب على مواد كثيرة . منها ماهو سرد لمسار التاريخ ، لا تخلو مادته من إمتاع وعبرة ..

ومنها ماهو تحليلات سياسية، وفكرية لذلك التاريخ ومساره، ولا تخلو تلك الفصول من فائدة وفكرة..

ومنها ماهو سبحات فكرية و فلسفية ، لا تخلو أيضا من دروس ونظرة ..

وفيه فصول نقدية لمسار الصحوة وتجارب الجهاد عبر العقود المنصرمة ..

وفي الكتاب فصول تربوية ، وأحكام فقهية ، ودروس شرعية .. وتوجيهات منهجية وأصولية ..

وفيه مواد تربوية ، ودروس في الأخلاق والرقائق ، ونصوص شرعية في مسائل الجهاد والتحريض عليه، وفي غير ذلك.. وفيه خلاصة دروس تجارب جهادية كثيرة، عسكرية وسياسية وحركية وأمنية ..إلخ

فقد لخصت فيه خلاصة تجاربي و خبرة ربع قرن من مواكبة الصحوة الإسلامية والعمل وسط التيار الجهادي وسط الأعاصير الداخلية والخارجية التي عاشها .. خلال الفترة الواقعة بين (1980-2004) عملت خلالها ميدانيا في مختلف وجوه النشاط والمساهمة فكريا وأدبيا وعسكريا وسياسيا وأمنيا ..، في عدة ساحات وقضايا ساخنة وأسأل الله القبول .

ولقد تطورت أفكار هذا الكتاب ونضجت عبر أربعة عشر عاما منذ قيام النظام العالمي الجديد وغزو أمريكا للشرق الأوسط إبان حرب الكويت سنة 1990 . وخُطت مسوداته خلال في (كابل) في عهد الطالبان (1997-2001) ، وكُتب بشكله النهائي خلال ثلاث سنوات عجاف قضيناها مطاردين من قبل الأمريكان وأعوانهم المرتدين ، نتنقل بين المخابئ والملاجئ خلال (2001- 2004) ، إلى أن صار إلى النص الذي بين أيديكم . ولله وحده الحمد والشكر والفضل والمنة .

وبهذا التنوع والسعة في مواد الكتاب ، أرجو أن يكون لمختلف صنوف القراء ، ورواد الدعوة الإسلامية من مختلف التوجهات ، ولرجال مختلف التنظيمات والجماعات الإسلامية ،

وخصوصا شباب الصحوة الجهادية ، ورجال المقاومة القادمة بإذن الله . أن يكون فيه مائدة واسعة ومتنوعة من المواد المفيدة والممتعة..يأخذ كل منها ما يناسبه .

ولكن حصول تلك الفائدة والمتعة لمن وجدها فيه - وإن كنت أرجو نفعه وأجره عند الله والدعاء من إخواني بظهر الغيب - لم يكن الهدف الأول والأساسي لكتابتي لهذا الكتاب الكبير الذي أعتبره كتاب العفمر ، وخلاصة أمانة القلم والكلمة التي وددت أداءها قبل أن ألقى الله تعالى ، وأرجوه الصفح والمغفرة ..

فالهدف من هذا الكتاب هو إرساء أصول دعوة عمل وجهاد ، أسميتها :

(دعوة المقاومة الإسلامية العالمية) .

فهو كتاب كتب لدلالة الباحثين عن العمل من أجل أداء الفريضة ، والقيام بالواجب في جهاد أعدائنا من الكفار الغزاة وحلفائهم وأوليائهم من المرتدين والمنافقين .

وبإمكان من أقنعه هذا الكتاب بدعوتنا أن ينضم إليها . من دون حاجة لأن يلاقينا ونلاقيه . وفي ثنايا الكتاب ما يلزمه لكي يكون عضوا كامل العضوية والفاعلية كما سيرى . فنحن في عالم اليوم وما يسره الله من شبكات الاتصال ، وطرق إيصال الخطاب . لم نعد بحاجة حتمية للتواصل واللقاء المباشر . وصار بالإمكان التواصل والتخاطب وتوفير مواد التربية والإعداد من دون كبير عناء . هذا إذا توفر العزم والإرادة .

فليس القصد من هذا الكتاب المتعة والثقافة العامة ، كما هو هدف أكثر قراء الكتب والصحف ، والمتابعين للفضائيات والانترنت من المسلمين في هذا الزمان ... وللأسف .

وبهذا الفهم والروح واستشعار المسؤولية ، مسؤولية تلقي دعوة جادة للجهاد في سبيل الله أرجو أن يتناول القراء هذا الكتاب ويقرؤوه .

بكل روح الجد والمسؤولية أمام الله ، ثم أمام الأمة ، ثم أمام أجيال عشرات آلاف الشهداء الذين قضوا خلال هذه العقود الأخيرة ، كي يحيا هذا الدين ، و كي تستمر راية الجهاد تخفق بكلمة التوحيد ؛ شهادة أن لا إله إلا الله إلا الله ، محمد رسول الله ولتكون كلمة الله هي العليا ، وكلمة الذين كفروا ، كل الذين كفروا ، وفي كل زمان و مكان .. هي السفلى .

﴿ وَقُلِ اعْمَلُوا فَسَيَرَى اللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ وَالْمُؤْمِنُونَ وَسَتُرَدُّونَ إِلَى عَالِمِ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ فَيُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ﴾ (التوبة:105)

ولا غالب إلا الله .. والله أكبر ولله الحمد .

﴿ تنويه بشأن هذه النسخة وهي ((طبعة ذي القعدة 1425هـ / ديسمبر 2004م)) ﴾

الحمد لله . والصلاة على رسول الله . وآله وصحبه ومن والاه .... وبعد :

أكتب هذا التنويه ونحن في شهر ذو القعدة 1425 الموافق لشهر ديسمبر 2004م .

وقد كلفت بعض الإخوة وأجزتهم بنشر هذا الكتاب ، وكتب أخرى ألفتها خلال السنوات الثلاث العجاف الماضية . بالإضافة لنشر ما أعتزم إصداره من البيانات وغير ذلك . إن يسر الله وأعان .

فقد كانت المادة الرئيسية لهذا الكتاب ، مسجلة في بعض أشرطة الكاسيت والفيديو ومحفوظة لدى بعض الإخوة. وقد كانت مسألة تحويلها إلى كتاب ، تشكل حلما لدي لم أستطع تحقيقه رغم العزم مرارا لما كنا في أفغانستان لانشغالنا في أمور الإعداد والجهاد مع الإمارة الإسلامية . ونسأل الله الإخلاص والقبول .

فلما آل بنا الحال لما هو معروف ، وحُصر أو طورد من نجى منا من القتل والأسر، بعد أحداث سبتمبر 2001م . كان همي الأكبر هو إنجاز هذا الكتاب الذي أعتبره كتاب عمري ، وخلاصة تجربتي وفكري ومعتقدي ، والذي لخصت فيه ما علينا فعله كي نحافظ على راية الجهاد عالية ، ونحفظها بعون الله من السقوط أو الاندثار أو الانحراف .. وخلاصة الأمانة التي يثقل كاهلي الشعور بوجوب تسليمها للجيل الجهادي الناشئ ، والذي وقعت عليه مهمة مواجهة هذا البلاء النازل في الأمة على يد اليهود والصليبيين وحلفائهم المرتدين والمنافقين من أبناء أمتنا .

ورغم أننا مررنا – معشر من أسمونا بالمجاهدين الأفغان العرب ، ثم عمموا علينا مسمى القاعدة ، ثم وصفونا بالإرهابيين - وما زلنا نمر بظروف بالغة الصعوبة والتعقيد ليس هنا محل ذكرها . وهي أهوال ومحن من ظروف الحصار والمطاردة ، لا يعلم ببأسائها وضرائها إلا الله ..ثم من أنعم الله عليه بأن يقاسها من هؤلاء الفرارين بدينهم في هذا الزمان .. و والله إنه لفخر لا نقيل بيعه ولا نستقيل . إن شاء الله .

أقول رغم ذلك ، فقد استفدت من ظروف الإقامة الجبرية وقلة الحركة ، وما وفرته لي من وقت ، وانهمكت في تأليف هذا الكتاب وعكفت على ذلك ليلا ونهارا منذ مطلع سنة 2002 . أي منذ ثلاث سنوات (رمضان 1423هـ/ ديسمبر 2002) - (ذي القعدة 1425هـ /ديسمبر 2004) .

ورغم أني تنقلت في أنحاء شتى ، وفي ظروف شتى . إلا أني أحمد الله أن ألبسني ثوب الهمة لإنجازه ، وأسأله ضارعا أن يمنحني الإخلاص والسداد . ويتمم فضله بالقبول .

ونتيجة تعقد الأوضاع الأمنية ، و خشيتي أن أتعرض لما يحول بيني وبين نشر هذا الكتاب . قررت نشره الآن رغم أني لم أنجز كافة التصحيحات والمراجعات التي أردتها له . وآسف لعدد من الأمور التي حصلت لهذه النسخة ، رغم أني أعتقد أن فصوله الرئيسية و أفكاري الأساسية ، وما أعتبره أمانتي في جهاد الكلمة والقلم ، قد عرضت فيه بشكل وافٍ وكافٍ .

وسأذكر هنا ما أعتبره نقصا وخللا فيها كنت أتمنى تلافيه . وآمل أن أستطيع تلافيه في الطبعة التالية (طبعة 1426هـ/ 2005م) التي سأحاول أن لا تتأخر إن شاء الله .

وقد زادني قناعة بهذا القرار ، قرار تعجيل نشر هذا الكتاب . ما اطلعت عليه مؤخراً. وهو ما أعلنه وزير الخارجية الأمريكي (كولن بَوْلْ) . في العشرين من نوفمبر 2004م ، من أن حكومته المجرمة قد رصدت لمن يدلي بمعلومات للقبض على شخصي الضعيف عدة ملايين من الدولارات !!.. ولا أدري لماذا أستحق هذا الكرم الإجرامي حقيقة !! وأسأل الله أن يعني هذا أنني في موطئ يغيظ الكفار ، وأرجو أن يكتب لي به عملا صالحا . بعد أن قصرت همتي عن إدراك سعي الصالحين ، فبقيت حثالة ، بعد أن اصطفى الله الشهداء ..وأرجو الله أن أدركهم برحمة منه تدركني .. فهو الحليم الكريم وحق لنا الطمع

فخشيت أن يسبق لي - لا قدر الله – قدر يمنعني من نشر الكتاب وأداء الأمانة . فأخسر بلاغه للأمة بسبب الحرص على تصحيحه وإخراجه كما أحب له من التمام والكمال إن استطعت . وكما قالوا فما لا يدرك جله لا يترك كله . وأما ما أعتبره خللا أو نقصا في هذه النسخة ، أو فكرة في حسن إخراجه لم أحققها ، فأهم ذلك ما يلي :

1- **بعض الأخطاء المطبعية ، وربما الإملائية والنحوية . وأرجو أن لا يكون قد وقع مثل ذلك في النصوص القرآنية و الحديثية . وقد راجعتها على عجل . وكذلك ضبط علامات التنقيط والفواصل .. و أجيز من يحصل على هذه النسخة من الكتاب (طبعة 1425هـ /2004م) من أهل الكفاءة بذلك أن يصلح هذه الأخطاء في نسخته قبل أن ينشرها .**
2- **عدم إعطاء بعض الأفكار حقها من التفكر الأخير قبل إخراج الكتاب .**
3- **عدم تمكني من التعليق على الأحاديث الواردة في مسك الختام ، عن أحداث الملاحم والفتن ، ولدي معلومات وأفكار كثيرة كنت أود تسجيلها خلال النصوص .**

4- عدم التعليق على الشواهد والنصوص التي جمعتها واستشهدت بها في باب التربية السلوكية والأخلاق والعبادات .

5- عدم شرح فصل المحاذير والاقتصار على ذكرها في الفصل التاسع .

6- حذف فقرة (ردود على شبهات) يثيرها أعداء الجهاد والمجاهدين ، ولاسيما من علماء الاستعمار والسلاطين وفقهاء البنتاغون . وقد جمعتها في خمسة عشر شبهة واهية هي كل بضاعتهم الضالة . وسأفرد إن شاء الله لها كتابا ملحقا .

7- عدم وضع شواهد كثيرة لدي ، توفرت من الإنترنيت تقوي بعض فصول الكتاب .

8- عدم التمكن من كتابة رسالة المدخل إلى دعوة المقاومة التي تلخص أهم أفكار الكتاب و خلاصة الدعوة . دعوة المقاومة الإسلامية العالمية . التي أنشد إطلاقها والتأسيس لها . إن شاء الله .

9- عدم تمكني من عادة لازمتها في أكثر ، أو كل كتاباتي ، وهي إطلاع بعض الأكفاء ومن أثق بهم على ما كتبت ومشاورتهم فيه . فأكثر من عنيت من إخواننا قد قتل أو أسر . والباقي مختف يتعذر الاتصال معه . وكم كنت أتمنى أن يطلع على هذا الكتاب قبل نشره . أخي و صديقي ؛ رمز جهادنا الشيخ المجاهد ، شمس الأمة أسامة بن لادن حفظه الله ، ومتع الأمة بسلامته . ولا شفى منه صدر عدو . وكذلك أخي وصديقي ، وشيخي ، المجاهد القدوة ، درة أرض الكنانة مصر، الدكتور أيمن الظواهري حفظه الله ورعاه . ومتع الأمة ببقائه . وكذلك أخي وصديقي ، المجاهد القدوة ، بقية الصالحين من ليبيا كما أحسبه ولا أزكيه على الله ، الشيخ أبو الليث الليبي حفظه الله ونكأ به أعداءه . وكذلك أخي وصديقي ، ورفيق دربي ومساري ، الصابر المصابر ، المجاهد الشيخ أبو خالد السوري حفظه الله وأمتعنا والأمة به وبأمثاله . وما عدت أعرف لأمثال هؤلاء إلا القليل .

فهؤلاء وبعض القليل الآخرين ممن بقي لنا ، هم من الأكفاء الذين وددت لو حظي الكتاب بملاحظاتهم قبل نشره . ولكن تفرقنا في الدنيا وتقطع السبل حال دون ذلك . وأرى أن وقت نشره قد أزف . وأخشى فوات ذلك ،لا قدر الله ، وأسأله كل خير .

ولذلك فإن ما جاء في كتابي هذا من أفكار ومبادئ هو مسؤوليتي وحدي ، ويعبر عن آرائي الخاصة، وإن كنت أعتقد أن جلها ، وأكثرها ، وغالبيتها الساحقة تشكل - والله أعلم - قاسما مشتركا لدى عموم الجهاديين . كما علمت حالهم . وأنا بفضل الله منهم . وأرجو أن يلقى الكتاب دعمهم وتأييدهم ورضاهم بعد رضا الله سبحانه.

10- وأخيرا أسف لعدم إخراجه إخراجا فنيا يناسب مستواه الذي وفق الله إليه . وحسبنا الله على من ظلمنا ، ونعم الوكيل .

وكما قلت ، فإني أعتذر عن الخلل والنقص . وأستغفر الله العظيم وأتوب إليه عن كل زلل وخطأ . وأنا عائد عنه سلفا و متبرئ من كل ما لا يرضي الله تبارك وتعالى ، ورسوله الكريم صلى الله عليه وسلم مما قد يكون قد زل به القلم ، أو شطح به الفكر والخاطر. وحسبي أني لم آل جهدا . والنقص في ابن آدم أصل وطبيعة .. والأمل في عفو الغفور الرحيم .

وأسأل كل من يقرأ هذه السطور من المسلمين ، أن يدعو لي بظهر الغيب ، وأن يسأل الله لي صلاح ديني و دنياي وعاقبة أمري وحسن الخاتمة . والثبات على الحق. وأن يجمع لي شرف جهاد السيف والقلم، ويتقبل مني ويغفر زللي . وأن ألقاه شهيدا في سبيله مقبلا غير مدبر. فألقاه فيمن قال صلى الله عليه وسلم عنهم : (أولئك يضحك إليهم ربك . إن ربك إذا ضحك إلى عبد فلا حساب عليه) . فما أهون وأسهل ما نلاقي إن جعلنا فيهم ، وعافيته وسعت كل شيء. وصلى الله وسلم وبارك على حبيبه المصطفى . وعلى آله وصحبه وسلم . وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين .

﴿ تقديم ﴾

- تعيش الأمة الإسلامية مطلع القرن الحادي والعشرين الميلادي وقائع الغزو الأمريكي الصهيوني الصليبي الغربي ، ووقائع التحالف الكامل الذي تبديه الأنظمة الحاكمة وقوى النفاق في العالم العربي والإسلامي في تعاونها مع قوى الكفر الغازية ..
- لقد تفانت كثير من كوادر التيار الجهادي وانقرضت شريحة كبيرة من قواعده ، بفعل الهجمة العسكرية الأمنية لهذا الحلف ..، وأصبح التيار الجهادي مهددا في استمراريته ، وفي الحفاظ على تراثه الفقهي والمنهجي الأصيل .
- كما تعيش الصحوة الإسلامية ترديات فكرية وشرعية بفعل جهود المنافقين من علماء السلطان وضلالات المنهزمين من قيادات الصحوة الإسلامية ، ترديات تهدد الصحوة في قواعدها وجمهورها ، وتهدد الأمة في عقيدتها وهويتها ووجودها..
- ربما لاينصرم العقد الأول من القرن العشرين إلا وقد بدأت حرب الأفكار الأمريكية ، والهجمة على المناهج التعليمية والثوابت الأساسية للأمة تؤتي أكلها إذا استمرت الأحوال على ما تبدو عليه الآن .. وهناك ضرورة لحفظ الهوية العقدية والفكرية والثقافية للأمة ، ولحفظ الفكر والمنهج في الصحوة الإسلامية وطليعتها الجهادية .
- أعتقد أنه وبفعل هذه الظروف ، ستنبعث في هذه الأمة الحية نويات المقاومة وستكون متبعثرة لا يجمعها شيء من فكر أو منهج أو هوية .. ، إلا هدف دحر العدوان ..
- وربما ستتولد ردود أفعال ناتجة عن الجهالة والاضطراب في أوساط مختلف أشكال المقاومة التي سيبديها المسلمون . وسيستغل حلف الأعداء تلك الأخطاء لتشويه الجهاد ، ولدق الإسفين بين المقاومة وجمهورها في الأمة..، ومن ثم دفعها في طريق التبعثر والهزيمة .
- وبفعل تتابع سقوط الشهداء من القيادات والكوادر التي تربت وأُعدت منهجيا عبر وقت طويل ، ستبقى أكثر مجموعات المقاومة والجهاد مفتقرة إلى منهج تربوي سياسي شرعي وفكري يكون مرجعا لها ، وسبيلا لإعداد كوادرها الجديدة عبر المسار ، ودستورا ترجع إليه في اختلافها ، وهوية ثابتة تعرف به عن نفسها للأصدقاء والأعداء على حد سواء .

من أجل ذلك كتبت هذا الكتاب لكي يكون بإذن الله وعونه سفرا ..

- يحتوي خلاصة الأساسيات السياسية الشرعية ، والفكرية المنهجية التي تـربى عليهـا التيـار الجهـادي منذ نشأته وعبر مساره الطويل .
- كما يضم تاريخ التجارب الجهادية وخلاصة الدروس المستفادة منها كي يبني الجيل الجهـادي القـادم عليها ويستفيد من دروس وتجارب دفعنا زكي الدم ، وعناء الطريق ثمناً لها .
- كما يتضمن خلاصـة مسـار الصراع بـين المسـلمين والـروم عـبر القـرون ولا سـيما الـروم المعـاصرين – الأمريكان والأوربيين - ومؤامراتهم في القرنين الماضيين لإبعاد المسلمين عن دينهم وأسـباب قـوتهم وانتصارهم .
- لتكون تلك المعلومات أرضية فكرية توفر للمجاهد أساسيات لفهم مسار هذا الصراع الـدائر اليـوم وجذوره ، وطريقة الأعداء في إدارته.
- كما يحتوي بعد ذلك دليلا للمجاهدين والمقاومين لأفضل السبل لمقاومـة هـذه الحمـلات الغازيـة ، كما تصورتها من خلال ما فتحه الله علي من خـلال الدراسـة والتفكـير ، وتـراكم التجـارب ومواكبـة المسار.
- ويرسم للعازمين على السير في هذا الدرب المنير منهج التربية المتكاملة التي تأهل المجاهد للعزم ثـم السير ثم الثبات، وتزوده بما نرجو أن يعينه على عمل مقبـول عنـد اللـه في الآخـرة ، مؤهـل للنصر والنجاح في الدنيا.
- وبهذا أرجو أن يكون هذا الكتاب قد ضم بـين دفتيـه بمجمـوع فصـوله و رسـائله ، منهجـا متكـاملا وهوية فكرية سياسية شرعية تكون مرجعا بين قيادات الجهاد والمقاومة وقواعدها ، ودستورا يضبط حركتها ، ومحورا للقاء بين مختلف فصائل الجهاد والمقاومـة التـي أرى أطيـاف جموعهـا تتكـون في رحم هذه الأمة المعطاءة التي مازالت طائفة مجاهدة منها عبر الأزمان تثبت أنها خير أمة أخرجـت للناس . وأسال الله تعالى أن يرزقني فيه الإخلاص والقبول ، ويجعله موطئا يغـيظ الكفـار ، وينفـع المؤمنين . وأن يكتب لي به عملا صالحا ، وعلما نافعا لا ينقطع أجره ، وأساله أجر الدال على الخير ، وأن يرزقني الصدق والثبات ويجمع لي أجر الجهاد بالسيف والقلم ، ويختم لي بالشـهادة في سـبيله، إنه حليم كريم. وأستغفر الله العظيم وأتوب إليه . وصلى اللـه عـلى رسـوله الأمـين ، وآلـه وصـحبه الطيبين الطاهرين . والحمد لله رب العالمين .

﴿ مقدمة ﴾

الحمد لله وحده ،أهل الحمد والثناء.. الحمد لله وحده ، رب الأرض والسماء.. اللهم لك الحمد كله..
ولك الملك كله وإليك يرجع الأمر كله رب الطيبين وولي الصالحين لك الحمد يا من له الأمر والخلق وحده .

الحمد لله وحده. صدق وعده . ونصر عبده . وأعز جنده. وهزم الأحزاب وحده.لا شي قبله ولا شي بعده. مخلصين له الدين ولو كره الكافرون .

والصلاة والسلام على سيدنا وحبيبنا وقرة أعيننا، قائدنا وشفيعنا إلى ربنا، نبينا محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين. اللهم صل وسلم وبارك وأنعم عليه ، واجزه خير ما جزيت نبيا عن أمته .. فقد أدى الأمانة وبلغ الرسالة ونصح الأمة .. وجاهد في الله حق جهاده حتى أتاه اليقين ..

فصل اللهم وبارك عليه وعلى آله وأزواجه الطيبين الطاهرين.. وعلى أصحابه وأتباعه بإحسان إلى يوم الدين.. صلاة تشملنا بها برحمتك وكرمك وعفوك وسترك ، وترزقنا بها الشهادة في سبيلك يا أرحم الراحمين.. وبعد:

فلقد أعلنت الحملات الصليبية اليهودية المعاصرة بقيادة أمريكا ، على العالم العربي والإسلامي أهدافها بكل جلاء ، وهي أهداف تشمل كافة مقومات الوجود الحضاري والديني والسياسي والاقتصادي والاجتماعي والثقافي للمسلمين.. ولقد أعلنت إدارة بوش بكل جلاء أن أهدافهم تشمل خلال العشر سنين القادمة..

1. تغيير الخارطة السياسية في الشرق الأوسط والعالم العربي الإسلامي أي تغير الأنظمة وإعادة تركيبها أو تبديلها أو صياغتها من جديد.
2. تغيير الخارطة الجغرافية لبعض البلدان بما يخلق مزيدا من التشرذم والنزاعات المحلية الدينية والعرقية والسياسية.
3. تغيير مقومات الهوية الثقافية والتكوين الاجتماعي بإزاحة الأسس الدينية والفكرية والأخلاقية لشعوب المنطقة وإعادة صياغتها بحسب أسس الفكر الغربي ولا سيما الأمريكي والصهيوني..
4. السيطرة على مصادر الثروة في المنطقة ولا سيما النفط والغاز والثروات المعدنية وسواها من المصادر الزراعية والحيوانية لضخها في شريان المحتل الغازي القادم من وراء البحار، وفي شريان الكيان الصهيوني المزروع في قلب المنطقة.. وتحويل المنطقة إلى

<u>سوق لتصريف المنتجات الاستعمارية عبر ما يسمى باتفاقيات الشراكة والتجارة الحرة في الشرق الأوسط..</u>

ولقد كشفت وسائل الإعلام المختلفة عن أن أمريكا وحليفتها بريطانيا ومن ورائها إسرائيل ، يعاونها كافة دول الناتو وأوروبا الدائرين في فلكها طوعا أو كرها. كشفت عن أنها استباحت كل الوسائل العسكرية والاستخباراتية والاقتصادية والإعلامية وغيرها لتحقيق هذه الأغراض..

و باختصار.. فإن العالم يشهد أعتا وأشرس هجمة استعمارية بربرية عرفها في تاريخه على أيدي الحضارة الغربية التي آلت قيادتها لشرذمة من المتطرفين الصليبيين المتصهينين في الإدارة الأمريكية.

ويمكن القول أن هذه (**الحملات الصليبية الثالثة**) إن جاز التعبير هي استمرار بشكل شرس ومنظم للحملتين السابقتين اللتين قامتا قبلا ، الأولى خلال القرنين الحادي عشر والثاني عشر الميلادي ، والثانية التي قامت منذ القرن السابع عشر إلى منتصف القرن العشرين..

إننا أمام عدوان عسكري مسلح بأحدث الآلات العسكرية والتكنولوجية العلمية.. ومجهز بأفتك المخططات الاستخباراتية والأمنية والأجهزة البوليسية. حيث تحمل إلينا دباباتهم برامج تغير اجتماعي وديني وثقافي ، تشتمل على مناهج لتبديل مفاهيم الدين الإسلامي وتفكيك المكونات القومية للعرب والمسلمين. وبرامج إعادة صياغة المجتمعات ، والمكونات الفكرية والثقافية ، والمناهج الدراسية والتعليمية وبرامج وسائل الإعلام، وتعيد صياغة كل شيء حتى خطب الجمعة على منابر مساجد المسلمين ، بما فيها أكبر مراكز الإشعاع الديني والفكري كالمسجد الحرام في مكة ، والمسجد النبوي في المدينة المنورة ، والجامع الأزهر في القاهرة ، وما يعادلها في التأثير من مساجد المسلمين ، في كل بلد ومدينة وقرية وزاوية من بلاد المسلمين..

باختصار.. لقد اتسع الخرق على الراقع . ونحن مطالبون بوقفة تفكر في أساليب مواجهة هذه الحملة بعيدا عن تأثيرات العواطف السطحية الفارغة ، أو ردود الأفعال المتشنجة..

إن هذه المصيبة الطامة تبلغ ذروتها المأسوية إذا علمنا أنه ولأول مرة في تاريخ المسلمين وربما تاريخ الشعوب المستعمرة والمتعرضة للغزو.. يرتكز فيها المستعمر الهاجم بكل هذه القوة وأدواتها على طابور خامس هائل منزرع في مختلف مكونات المجتمعات العربية والإسلامية..

فالهجمة الأمريكية اليوم تعتمد بكل بساطة مهما تكن هذه الحقيقة مفجعة ، على تعاون كامل من قبل الغالبية الساحقة إن لم تكن كافة الأنظمة الرسمية الحالية في بلاد العرب والمسلمين. هذه الأنظمة التي التقت أسباب بقائها وحماية مصالحها وعروش فراعنتها مع مخططات المستعمر الأمريكي وأعوانه. فانضوت - بكل ما لهذه الكلمة من معنى- تحت قيادة الجيوش الغازية تنفذ

أفكارها وتحارب دين شعوبها ومقومات وجودهم وكافة مصالحهم.. وقد جندت بالتالي هذه الأنظمة كافة أجهزتها الأمنية والإعلامية والسلطوية لسحق أي بذور مقاومة لهذا الغزو.. بدءا من قمع أي شكل من أشكال التغيير والتظاهر والرفض السلمي ، وانتهاء بقتل وسجن وتشريد كل من تسول له نفسه أي شكل من أشكال المقاومة ولا سيما بذور المقاومة المسلحة والجهاد المشروع..

وتبلغ المصيبة بعدها المأسوي عندما ترى معظم علماء المسلمين قد استجرتهم أبواب السلاطين وسيفه وذهبه، للعب الدور الأبشع لصالح المستعمر الغازي بإصباغ الشرعية عليه ونزعها عن المقاومة!

وجعل جنده وعسكره في حكم المعاهدين والمستأمنين وصون دمائهم وأموالهم وعتادهم، والحكم على من جاهدهم واعتدى عليهم بأنهم مفسدون في الأرض جزاؤهم أن يقتلوا أو يصلبوا أو تقطع أيديهم وأرجلهم من خلاف أو ينفوا من الأرض!!.

وليت المصيبة انتهت بتحالف الأنظمة الحاكمة وأجهزتها الدينية والإعلامية والأمنية مع العدو الغازي ، فالمصيبة أكبر.. لأن شرائح لا يستهان بها من مكونات المجتمعات العربية والإسلامية قد تم مسخها فكريا وثقافيا وسياسيا، لتكون في خندق المحتلين ، حتى وإن كان بعضها في القطاع المعارض للأنظمة الحاكمة المارقة، فإن هذه المعارضات تقدم نفسها على أنها أكثر منها استعدادا لخدمة المستعمر الغازي.

حتى أن كثيرا منها يتحالف مع العدو لإسقاط تلك الأنظمة، لا لأنها عملية للمستعمر خائنة لشعوبها، ولكن لعرض خدماته وكفاءاته المخلصة على المستعمر ذاته ، على أنه سيكون أكثر إخلاصا وخدمة لأمريكا من الفراعنة الذين عبدوها عشرات السنين ، وعبّدوا شعوبهم لها ولهم وللشيطان.. حيث أصبح النموذج الأفغاني و العراقي للمعارضة العميلة مثلا ناجحا يُحتذى..

وهكذا تصطف الخيارات والبدائل العميلة أمام أمريكا في عقر دارنا ، من قبل أبناء جلدتنا الذين يتسمون بأسمائنا ، ويلبسون لباسنا ويتكلمون بألسنتنا . تعرض خدماتها على المستعمر لاغتيال أمتها وهزيمة دينها ، وقتل أبنائها وإزالة كافة مكوناتها الحضارية.. ولا تقتصر هذه الفئات العميلة على تيار فكري بعينه ، ولا زمرة عرقية أو دينية معينة.. ففي هذا الطابور الخبيث من يرفع رايات من مختلف الشعارات والهويات.. بدءاً من الإسلامية المزعومة ، ومرورا بكامل ألوان الطيف العلماني والسياسي في بلادنا سواء من الشعوب العربية أو غيرها من الشعوب الإسلامية..

ومن بعض أبعاد الكارثة.. أن كثيرا من الطيبين من علماء الإسلام ودعاته وقيادات أحزابه وتجمعاته.. قد سحقتهم الهجمة الإعلامية.. فراحوا يروجون للانبطاح وعدم إمكانية المقاومة ، وينساقون في طرق رسمها العدو ذاته . من طلب العيش السلمي، والتبادل الحضاري ، والحوار

الهادئ ، والتفاهم الفكري مع المستعمر الذي يدكنا صباح مساء بقنابله وصواريخه الذكية، ويفتك بنا جنوده وعبيدهم من أبناءنا الأغبياء..

كل ذلك بدعوى الوسيطة تارة ، والاعتدال أخرى، والحكمة مرة ، وعدم المجازفة والانتحار بلا جدوى مرة أخرى..

وهكذا يُهجر دين الله تعالى وما يأمر به بكل جلاء ، من وجوب جهاد هذه الهجمة وقتال أعداء الله بكل متيسر، والإعداد لهم بكل ما استطعنا من قوة، ومقاومتهم حتى الرمق الأخير.. وهكذا انقمعت الصيحات المخلصة المنبعثة هنا وهناك من الشرفاء، من مختلف شرائح المجتمعات العربيـــــــــــــــــــــــــــــة والإســــــــــــــــــــــــــــــــــــــلامية.
وتخامدت صيحات الاعتراض والتظاهرات في المسلمين ، تحت ضربات عصي (قوى الخوف) المدعوة (قوى الأمن) ، وقنابلها المسيلة للدموع . وتحت وطأة الآلة الإعلامية المدججة في طليعتها بأخبث فتاوى وآراء علماء السلطان وفقهاء القعود ودعاة الانبطاح والخزي والعار.

ولم يبق في الميدان إلا بعض القلوب الطاهرة ، والسواعد المجاهدة ، والعزائم المؤمنة . تقاوم المستعمر هنا وهناك. شراذم مستضعفة يسقط شهداؤها بلا مردود ولا جدوى في أكثر الأحيان ، اللهم إلا فوزا شخصيا ونصرا ذاتيا يحمل صاحبه من بين هذا النتن والعفن الطاغي على الأرض ، وظلمات الظلم والقهر فيها ، إلى جنات الخلد ورضوان الله رب العالمين بإذن الله..

ولا شك أننا مهددون إن بقي الحال هكذا..

لا أقول مهددون بالزوال والاندثار، لأن الله تعالى ، وكذلك رسوله- صلى الله عليه وسلم- بشر هذه الأمة بالبقاء والظفر والنصر.

ولكننا مهددون لا سمح الله بمزيد من القهر والعناء والعذاب . ولباس الجوع والخوف والقتل والذل والعار..

ولا بد أن تقدم الفئة المجاهدة والنخبة المثقفة المخلصة الشريفة في هذه الأمة ، على التفكير في سبيل إنهاض المقاومة ، وتوسيع رقعتها ، كي تنهض الأمة وتنخرط في مقاتلة أعداء الله ، وتحافظ على مكونات وجودها ودينها وحضارتها..

****

﴿ محاور المقاومة ﴾

أعتقد - وهذا حال لا يخفى على أي متبصر- أن حجم النخبة المقاومة للأعداء الغزاة ، المجاهدة في سبيل الله ، صغير ومحدود في الأمة بشكل مخيف ومرعب . لا أقول بسبب شراسة هجمة الأعداء فقط . ولكن بسبب ما يبدو من الغثائية والانهيار والقابلية الذاتية للاستعمار والهزيمة في الأمة هذه الأيام . ولا أدل على ذلك من متابعة نشرات الأخبار ووسائل الإعلام التي تحمل صباح مساء ما يملأ النفس حسرة وألما ، وما يحطم العزائم ، ويحمل الخور إلى الهمم..

وأعتقد أنه لا بد من أجل خوض هذه الحرب طويلة الأمد كما تبدو ملامحها، من برنامج متعدد المناحي لتوسيع القاعدة البشرية المولدة لبذور المقاومة في الأمة..

فحمل السلاح والاستعداد للجهاد في سبيل الله ومقاومة الأعداء ، هو في النهاية ثمرة للمناخ العام ، الذي يجب أن ترتفع فيه حرارة الوعي والعاطفة ، وترسخ وتتضح فيه مفاهيم العقيدة القتالية ، كي يصل إلى ما يمكن دعوته بـ (**المناخ الجهادي الثوري**) الذي يُولّد بشكل تلقائي آليات المقاومة..

وأظن أن الأمر أو سع بكثير من أن يقع على عاتق النخبة المجاهدة حاليا . لا سيما وأنها تعرضت إلى ما يقارب الانقراض في ظل هجمة مكافحة الإرهاب العالمية التي شنتها أمريكا بالتعاون مع حكام الدول العربية والإسلامية ذاتها . فضلا عن حلفائها في الغرب وباقي دول العالم ، منذ عام 1990م وإطلاق النظام العالمي الجديد . لتصل ذروتها بعيد أحداث سبتمبر 2001م . حيث صارت حربا عالمية ضروسا بكل معنى الكلمة تدور رحاها في كافة أنحاء المعمورة.

وقد أسفرت هذه الهجمة باستغلال أمريكا لأحداث سبتمبر ، عن استهلاك كثير من كوادر وعناصر وجماعات الجهاد في العالم ، وكثير من شرائح الصحوة الإسلامية المؤيدة للجهاد.

وأعتقد أن على النخبة المؤمنة والواعية والمثقفة ، من مختلف القوى الغيورة الشريفة في الأمة أن تعمل الآن في ثلاثة مناحي:

أولا : المنحى الديني والثقافي :

بوضع برامج عمل وتوعية ومناهج ، للحفاظ على الهوية الدينية ، والمكونات الفكرية والثقافية والاجتماعية الأصيلة ، للشعوب العربية والإسلامية.

ثانيا : المنحى السياسي والفكري :

بوضع برامج عمل ومناهج فكرية لتنشيط الدعوات السياسية ، والمؤسسات الأهلية ، والهيئات الاجتماعية المدنية.. ، والنشاط الإعلامي السلمي الذي يغذي الوجود الفكري والثقافي للأمة العربية والإسلامية.

ثالثا : المنحى العسكري :

بالعمل على وضع برامج ومناهج عمل دعوية ومنهجية ، في مجال العقيدة الجهادية القتالية ، والإعداد في مختلف مناحيه التربوية والنفسية ، وبرامج التدريب والعلوم العسكرية اللازمة ، من أجل إطلاق (**مقاومة إسلامية عالمية**) ووضعها موضع التنفيذ فورا ، لتواجه أمريكا وحلفاءها في أرض بلادنا العربية والإسلامية - أولا- وفي عقر دارها ودار حلفائها وفي كل العالم ـ ثانيا - .

إن هذه الأطر الثلاثة التي أضعها في هذه المقدمة جديرة بالتفصيل والشرح . ولكني لا أريد أن تخرج المقدمة وعموم الرسائل عن الاختصار الممكن . رغم أنها ستستغرق مئات الصفحات . وسأترك ذلك لمجال آخر خاص بهذه الفكرة وتفصيلاتها إن شاء الله. ولكن ضمن ما تحتمله هذه المقدمة ألخص **بعض التفاصيل في نقاط موجزة :**

1. إن العمل العسكري والفعل الجهادي الثوري المسلح للمقاومة ، هو الذي سيجبر العدو على التقهقر ، ويقود هذه الأمة إلى النصر إن شاء الله . وبدون المقاومة العسكرية ، فإن كل عمل سلمي مهما بلغ من الأهمية في مجالات الدعوة والخطابة والكتابة والتأليف .. أوفي أعمال التظاهر والعمل السياسي والإعلامي وسوى ذلك .. ستذهب آثاره أدراج الرياح ، ولن يغير من واقع الأمر شيئا من دون عمل عسكري مقاوم .

و مادام المستعمر الغازي الصليبي الصهيوني الكافر جاثم على صدورنا وأرضنا ، ستبقى الأمة بكاملها آثمة ومسئولة أمام الله تعالى ، عن عدم قيام الكفاية بدفع العدو ..

إننا أمام فرض عين ليس أوجب بعد توحيد الله منه ، كما نقل العلماء الإجماع على ذلك . ويزيد هذا الفرض تأكيدا وقد دخل الصائل علينا في عقر دارنا ..

2. إن فعل الجهاد والمقاومة المسلحة ، لا يأتي من فراغ ولا يتحول إلى ظاهرة بالحجم المطلوب ما لم يولده مناخ جهادي ثوري ، يعمل على إنشائه جهود كثيرة في مجالات العمل

غير القتالي، من الدعوة والإعلام والتربية والحفاظ على مكونات الدين... ومن العقيدة الإسلامية وأحكام الشريعة التي تملأ قلب المؤمن بالقناعة بواجبه القتالي كفرض شرعي ديني..

3. إنّ تكوّن الخلفية الفكرية والوعي السياسي والمنهجي والحركي ، أساس لازم إلى جانب المعتقد الديني في ذهنية الفرد المسلم وضميره ، كي يتحول إلى الممارسة الفعلية للقتال والمقاومة ، كفرد مجاهد يحمل عقيدة جهادية وإرادة قتالية وعاطفة دينية تحمله على مباشرة الفعل والصبر على متابعته ونشره بين الناس ودعوتهم إليه على بصيرة..

4. إن الإقدام على الجهاد اليوم ، وحمل السلاح في وجه أمريكا وحلفائها ، وما يتبع ذلك من الاصطدام بطليعتها في بلادنا والمكونة من السلطات الكافرة العميلة الخائنة وأجهزة إعلامها وأمنها وعسكرها من المنافقين أولياء الكفار ، لا يقوم به في العادة إلا نسبة من الأمة وصل لديها الإيمان والعزيمة والقناعة والإرادة ، لحد مباشرة الفعل . في حين أن ثمة قطاع كبير من الأمة مقتنع بحكم الواقع بالمواجهة ، ولكن عزيمته مازالت دون الوصول إلى حد نقله إلى ذروة سنام الإسلام ، وقد يكون كثير من هؤلاء من النساء والشيوخ والمعذورين شرعا عن القيام بفريضة القتال ، أو العاجزين عنها لسبب مشروع و حقيقي ، أو لسبب موهوم فظنون ، نتيجة الضعف في اليقين أو الإمكانيات..
فما دور هؤلاء في هذه المواجهة ؟!
لا شك أن لهم دورا مهما بالغ الأهمية ، يؤدونه في مجالات الجهاد السلمي ، وهو العمل في المجالات التي أشرت إليه في الفقرة [1 وَ 2].

5. إذا لم تقم النخبة الفاهمة لدينها المدركة للواقع ، بعمل يحبط برامج العدو في تحطيم البنية الدينية والحضارية ومكونات الوعي في الأمة ، والتي وضعها العدو أصلا لاجتثاث مقومات المقاومة من جذورها. فإن النخبة الجهادية ستنقرض – لا قدر الله - بفعل العمل العسكري والأمني للعدو .
ولن تولد الأمة مع الوقت عوضا عنها ، وستذوب في برامج العدو الإعلامية والتربوية التي رسمها ، والتي طالت حتى مناهج الأطفال التعليمية ، وطالبت حتى بتعديل وتشويه نصوص القرآن والسنة التي تتحدث عن الجهاد ومناحي الاعتقاد .. ، وقد جرى أكثر ذلك بأيدي كثير من علمائنا وللأسف ، واشتملت الخطة الخبيثة للعدو ، على وضع مئات الخطباء والوعاظ في كل بلد إسلامي ، في دورات للتأهيل ضد (التطرف)! لحقنهم بالمورثات الجينية

(للوسطية) المصنعة في أمريكا.. من أجل استنساخ (مشايخ البنتاغون) و (فقهاء الاستعمار) المناسبين.

6. إن العمل في مجال الحفاظ على الدين والمكونات الحضارية في الأمة ، يحتاج لبرامج عمل قد يضطر القائمون عليها في بعض البلاد إلى النشر والتربية السرية إن لزم الأمر. كما حصل في نظام الحجرات السرية التي حافظ فيها المسلمون على دين أبنائهم تحت الاحتلال السوفيتي وبرامجه في محو الهوية في الجمهوريات الإسلامية . وكذلك ما فعله المسلمون في الصين تحت الحكم الشيوعي وثورته الثقافية..

وقد تُمكّن أجواء (الديمقراطية المزعومة) التي تحملها أمريكا إلى بلادنا على فوهات المدافع .. قد تمكن من تأسيس الجمعيات الأهلية وغير الحكومية وتمكنها من القيام بأعمال التربية والتعليم والتثقيف على غرار ما فعله الشيخ (ابن باديس) وجمعية العلماء المسلمين في الجزائر ، عندما قاوم بنجاح (خطة الفرنسة) ومسخ الهوية التي وضعتها فرنسا لمسح العروبة والإسلام من الجزائر. وقد كانت خطة ناجحة عندما وجد الشيخ المجاهد ابن باديس أن بذور المقاومة وجذورها قد وهنت ، فعمد إلى الحفاظ على جذورها وأرضيتها وبذرها من جديد . وهكذا وفر هذا العمل التربوي المجيد خلال الثلاثينيات والأربعينيات والخمسينيات ، بذور المقاومة وأجيالا قدمت وقود الثورة والمقاومة ضد فرنسا فيما بعد .

ويجب أن يكون للمساجد والكتاتيب والزوايا الدينية دورا كبير في هذا المجال. كما أن لحلقات التدريس والتعليم الديني المنزلي دور هام . وللنساء والداعيات وسط الأسر ومن خلال البيوت، دورا كبير في الحفاظ على دين ولغة وثقافة الأجيال..

والعمل في هذا المجال عمل سلمي لا يحمل مخاطر القتال والمقاومة المسلحة ، التي يجب أن ينخرط فيها - منذ الساعة - المعتقدون العازمون على التضحية.. **لأنها فرض عين على كل مسلم .**

7. أما مجالات العمل السياسي والإعلامي والفكري والثقافي.. فإنها كذلك مجالات عمل سلمي ، يستطيع العاملون فيها نشر فكر المقاومة المدنية ومبرراتها ، ويستطيعون أن يدافعوا عنها في داخل البلاد وخارجها.. كما أن مجال التأليف والنشر والتظاهر والاعتصام وغير ذلك من أعمال المقاومة المدنية .. ، عمل ربما سيكون مشروعا ممكنا ضمن ما تتيحه (الديمقراطية الزائفة) للاستعمار ونوابه الخونة في بلادنا من أجل خداع الناس . وسيكون

العاملون في هذه المجالات في مأمن من وضعهم تحت طائلة تهمة (الإرهاب) لأنهم في مجال العمل السياسي والإعلامي والمدني..

وهناك ملاحظتين هامتين جدا للعمل في مجال المقاومة السلمية المدنية سواء في المجال الديني أو السياسي أو الفكري وهما:

أولا: لا يجوز بحال من الأحوال ، ويحرم شرعا، الانتساب للأجهزة السلطوية والحكومية تحت دعوى (المقاومة السلمية وخدمة الدين) ، سواء كان ذلك تحت إدارة الاستعمار مباشرة - كما يحصل في العراق وفلسطين - أو تحت حكم وإدارة الحكام المرتدين الحاليين الحاكمين بغير ما أنزل الله الموالين لأعداء الله المستعمرين – كما يحصل من كثير من الإسلاميين في مختلف البلاد - ولا يجوز العمل في أي جهاز من أجهزتهم السلطوية التشريعية والتنفيذية والقضائية . وهذا له تفصيل ودلائل سيأتي بيانها في الباب الأول من الفصل الثاني من الجزء الثاني إن شاء الله.

ثانيا: لا يجوز بحال من الأحوال أن يقع العامل في مجال المقاومة المدنية والدعوة والسياسة والإعلام ، في جريمة التشنيع على الجهاد والمجاهدين والمقاومين المسلمين، بدعوى دفع الشبهة عن نفسه ومؤسسته ، وبدعوى زعم الوسطية والاعتدال ، أو بدعوى الحفاظ على نشاطاته وأخذ الإجازة من المستعمر أو نوابه المرتدين من الحكام الخونة لاستمرار عمله.

لأن الغرض من وجوده ومبرر عمله في ذاك المجال هو خلق مناخ الجهاد ودعم المقاومة. فكيف ستولد هذه المقاومة وتستمر إذا تولى كبار الدعاة والمفكرون والقادة والمثقفون في الأمة تشويه الجهاد والمجاهدين ؟! وتحطيم سمعة المقاومة والمقاومين؟!. كما يفعل المغفلون والفجرة والتائهون اليوم ، من بعض علماء الإسلام ومثقفي الأمة ومفكريها!.

وفي الوقت ذاته ، يجب على المجاهدين المقاومين وإعلامهم الجهادي ، أن لا ينجر للتشنيع على العاملين في مجال الدعوة والمقاومة السلمية وتهمتهم بالقعود وعدم الجهاد – ولو كان هذا صحيحا في حق أكثرهم - طالما أنهم لم يدخلوا سياق دعم المستعمر والاعتراف به ، أو محاربة الجهاد والدعاية ضد المقاومة. لأنهم يؤدون عملا مهما جدا لأرضية المقاومة ، ومكملاً لجهودها

****

﴿ مستويات المقاومة ﴾

إن المشاركة في المقاومة والتدرج في ميدان الجهاد في سبيل الله ومواجهة أعداء الله يمر لدى كل فرد في ثلاث مستويات:

- **العاطفة الدينية الإسلامية:**

وهذه يكوّنها المفهوم العام للدين ، والموروثات الطبيعية للنخوة و الشرف ، والإباء والحمية لدى الفرد. كرد فعل طبيعي على حال الاحتلال والظلم ، وكسر الكبرياء وهتك أستار الكرامة الدينية والحضارية والوطنية من قبل المستعمر وأعوانه. وهذه العاطفة تحمل صاحبها على المشاركة في مجال المقاومة المدنية أو ردود الأفعال العاطفية تجاوبا مع جيشان هذه العواطف في قرارة الضمير.

- **إرادة القتال:**

وهذه أساس تكوّن القدرة على فعل المقاومة والجهاد. فالإرادة هي عزم يتكون في العقل والقلب والنفس للإقدام على العمل. وهي أول مراحل العمل ، وبدونها لا يقدم المرء على أي عمل..

قال تعالى عن المنافقين القاعدين عن الجهاد :

﴿ وَلَوْ أَرَادُوا الْخُرُوجَ لَأَعَدُّوا لَهُ عُدَّةً وَلَكِنْ كَرِهَ اللَّهُ انْبِعَاثَهُمْ فَثَبَّطَهُمْ وَقِيلَ اقْعُدُوا مَعَ الْقَاعِدِينَ ﴾ (التوبة:46)

فمراحل الإقدام على الجهاد والقتال هي (إرادة – إعداد – انبعاث). وتتكون إرادة القتال بعد نضوج العاطفة الدينية والقناعة بالقتال . ويساعد على تشكيلها إذا كان الضمير حيا والقلب سليما ما يمارسه العدو من أعمال العدوان والمظالم والقتل والدمار وما يلبسه للأمة من القهر والذل والخوف والجوع . فيحمل المرء السلاح ويقاوم .

- **العقيدة الجهادية:**

[1] وهذه لا تأتي إلا عبر التربية والتلقي . وهي أساس في أمور غاية في الأهمية:

---

(1) سيأتي مزيد من التفاصيل في الباب الأول من الجزء الثاني من الكتاب إن شاء الله .

فبالعقيدة الجهادية وفهم أركانها واعتقادها ، يكون القتال جهادا في سبيل الله ، لأنها توضح العزم والقصد. وهو من قاتل لتكون كلمة الله هي العليا فهو في سبيل الله ، حيث أن القتيل في ذلك هو الشهيد و إلا فلا.\

وبالعقيدة الجهادية يعرف المرء أحكام هذه الفريضة وآدابها ومقتضياتها ويقدم على القتال على بينة وبصيرة من ربه ودينه ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا ضَرَبْتُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَتَبَيَّنُوا ﴾ (النساء94) .

وبالعقيدة الجهادية وأركانها يرسخ في نفس المجاهد المنهج والفكر الجهادي ، والوعي الكامل بناء على معرفة أحكام الله الشرعية ، وبناء على فهم مقتضيات هذه الأحكام من فقه الواقع الذي يدور من حوله.

وبدون العقيدة الجهادية. إما أن يحبط العمل ويسوء المصير لا سمح الله ولا قدر، أو تنقطع السبل بالمقاتل على محن الطريق و محكَّاته من القتل والأسر و التشريد. فهي الضامن بعد الله تعالى ، في تثبيت المجاهد على نيته وعزيمته في وجه عواصف التضليل الإعلامي ، والفتنة والزيغ الذي يحاوله أعداء الإسلام وآلاتهم المنافقة ، وخاصة علماء السوء وفقهاء الضلالة ، الذين يحاولون تلبيس الأمر على المجاهدين ، لصرفهم عن سبيل الله. فلا بد للعاملين في مجال المقاومة والجهاد والعمل العسكري المباشر ضد أعداء الله ، أن يكون لهم علماؤهم ومفكروهم ، ومثقفوهم وآلاتهم الفكرية والمنهجية ، وأدوات إعلامهم. لتوجيه العواطف الجياشة في نفوس المؤمنين ، وتحويلها عبر الإعلام والدعاية الجهادية إلى إرادة قتال ، وصقلها وترسيخها كعقيدة جهادية تمكن الأجيال من استمرار المقاومة وتوارثها...

ولابد من ذكر الحقيقة المرة ؛ وهي أن عشرات الملايين من شباب المسلمين المخلصين ، ما زالوا إزاء هذه المدلهمات المظلمة المتتابعة من النوازل في هذه الأمة ، تائهون متحيرون عجزة! يترددون في مجال العاطفة الدينية وحسب، يتجرعون الحسرات والمرارات ويرتكبون بعض ردود الأفعال غير المجدية.. ولم تتحول هذه العواطف إلى إرادة قتال ، إلا عند النزر اليسير من المئات هنا وهناك ، وربما العشرات أو الآحاد في بعض البلدان العربية والإسلامية..

وبنظرة إلى الظاهرة الجهادية وروادها ، منذ انطلقت خلال العقود الأربعة الماضية كما سيأتي تفصيله في الفصل السادس إن شاء الله ، نجد أن أعدادهم لم تجاوز المئات حتى في دول مليونية كمصر وبلاد الشام، ولم تجاوز العشرات في دول أخرى ! في حين لم تقم أي بادرة جهادية في أكثر بلاد المسلمين . رغم ما يعتريها من حالات الاحتلال المباشر وغير المباشر من قبل مختلف دول الاستعمار، وما يظهره حكامها من الكفر والردة والخيانة، فضلا عن المظالم والمفاسد التي أحالت حياة أكثر الشعوب جحيما..

بل إن الإحصائيات المؤسفة تشير ، إلى أنه ومنذ استعلن الأمريكان باحتلال جزيرة العرب ، ونزلوا فيها جهارا سنة 1990م وما زالوا إلى يومنا هذا أي منذ نحو 13 عاما، حيث يسرح ويمرح في أنحائها مئات آلاف الجنود الأمريكان والإنجليز والأوروبيين ويتسكع فيها مئات آلاف المدنيين منهم بأسرهم .. ، و يشرفون على النهب والسلب الاقتصادي والفساد والإفساد.. ومع ذلك لم يجاوز عدد العمليات الجهادية رغم بساطتها، لم يجاوز إلا بعض العمليات لم يزد فيها مجموع خسارة الأمريكان على بضع عشرات.. هذا رغم أن واردات الاستعمار الأمريكي منها (مجموع بلدان الجزيرة) تجاوز يوميا المليار دولار من النفط فقط ، هذا المستعمر الذي يموت في بلده من مواطنيه جراء حوادث السير أسبوعيا مئات الأشخاص ، عدا الآلاف ممن يقضون في باقي الجرائم وتناول الخمور والمخدرات ! وينشر الأمريكان في منطقتنا العربية والإسلامية التي يسمونها (منطقة العمليات الوسطي) زهاء مليون ونصف المليون جندي أمريكي عدا جنود حلفائه ، فكيف يغادر مثل هذا المحتل مثل هذه الدولة؟! التي تحوي أقدس مقدسات المسلمين وتشكل عقر دارهم ؟! وهذه ظاهرة نادرة في تاريخ الاستعمار والمستعمَرين على مر البشرية..!!

أما الأشد أسفا من ذلك فهو أن تقوم دار الإسلام في أفغانستان أيام طالبان ، وتفتح على مصراعيها لمدة ستة سنوات ، وتنشأ فيها المعسكرات وخطوط القتال ، وتفتح فرصة الجهاد تحت رايات الشريعة، ولم يزيد عدد من دخلها للهجرة والجهاد على 1500 مجاهد ، منهم نحو 300 مجاهد بأسرهم..أي نسبة واحد في المليون من الأمة !! ولم يستفيد من فرصة الإعداد والتدريب وحضور ميدان الجهاد إلا أعداد محدودة ممن أنعم الله عليهم ! بل الأنكى من ذلك ، أنه لم يهاجر إليها عالم واحد من علماء المسلمين ولاسيما مشاهيرهم ، ولا من ورموز الدعوة الذين ملأوا الدنيا زعقا فارغا عن الهجرة والجهاد .

وإذا ما أخذنا بعين الاعتبار عدد الذين نفروا للجهاد لغوث إخوانهم الذين وقعوا تحت بطش الاحتلال الصارخ في أفغانستان سابقا أيام الروس ، أوفي البوسنة أو الشيشان أو فلسطين أو غيرها من بلاد المسلمين التي تعرضت للاحتلال المعاصر.. نجد أن النسبة تبقى في خانة الآحاد للمليون ، رغم ما طبل الإعلام وزمر من أجل تضخيم ظاهرة الجهاد المسلح أو ما يسمونه بـ (الإرهاب) من أجل تبرير أهدافهم العدوانية..[ودع عنك الأرقام الخيالية التي نشرتها استخبارات أمريكا عبر وسائل إعلامها من أرقام أدخلتها تحت مسمى القاعدة من أجل تحقيق أهدافها . وأنا أؤكد ما ذكرته من أرقام وبصفتي أحد الذين خبروا هذه المرحلة ميدانيا والحمد لله].

فإذا ما قسنا هذا الحال مع حجم النفير للجهاد الذي قام به المسلمون عبر تاريخهم القديم وحتى الحديث أيام الاستعمار، نجد أن حال الأمة هذه الأيام يدعو للإحباط ، لولا الأمل بالله ، و ما تشير إليه بوادر الأمل والانبعاث في بعض شرائح الأمة ، والتي تحتاج إلى جهود تثمّرها وتطلقها

وتأصل لها ، وصولا إلى تحويلها إلى (مقاومة إسلامية عالمية) ناجعة تحمل عقيدة جهادية وإرادة قتال فعلية تغذيها عاطفة مجدية..

ومن أجل هذه الغاية وعملا على بث بذور هذه المقاومة والدعوة لها والعمل على قيامها.. وضعت مواد هذا الكتاب وجعلت عنوانه معبرا عن محتواه :

(المقاومة الإسلامية العالمية – الدعوة – المنهج – الطريقة)..

محاولا أن أضع بحسب ما يسر الله لي ؛ وضع أسس نظريات عمل تسهم فيما يحتاجه الجيل الجهادي القادم من بعدنا ، للإجابة على سؤال هام في غاية الإستراتيجية والأهمية الدينية والعملية.. هذا السؤال هو:

كيف نواجه النظام العالمي الجديد؟ وكيف نجاهد أعداءنا في عالم ما بعد سبتمبر؟ وكيف نقاوم الحملات الصليبية الثالثة بقيادة أمريكا؟..

لقد وضع هذا الكتاب وأسس هذه الدعوة من أجل الإجابة على هذا السؤال.. والله المستعان .

من أجل الجيل الثالث من الجهاديين :

﴿ جيل المقاومة الإسلامية العالمية ﴾

أعتقد أن جيلا جهاديا يولد اليوم مع وصول حدة الصراع إلى ما وصلت إليه ، بعيد أحداث سبتمبر واحتلال العراق ، ووصول الانتفاضة الفلسطينية إلى ذروتها. ووقوفها على مفترق الطريق ، بعد أن أعطى أهلنا المؤمنون هناك كل ما في جُعبتهم . في حين تقف الأمة من تضحياتهم موقف المتفرج ، بفعل سكوت علمائها وقمع حكامها لها وشلها عن الحركة.

فإذا أخذنا بعين الاعتبار التجارب الماضية ، منذ انطلاق الجهاد أواسط الستينيات، أي قبل نحو 40 عاما وإلى اليوم ، يمكنني أن أقول أن جيلان جهاديا ن قد مضيا حتى الآن في هذه الصحوة . حيث سنعرض لتاريخهما بشيء من التفصيل في الفصل السادس إن شاء الله .. جيل المؤسسين والدفعة الأولى ، والذي أشعل مشعل الفكر الجهادي وقدم أولى تجاربه مطلع الستينات إلى أواخر السبعينات من القرن المنصرم ، حيث لم تأت الثمانيات إلا وقد قضى معظمهم على هذا الدرب المنير.. ثم الجيل الثاني الذي قام بمتابعة المسيرة منذ مطلع الثمانينيات ، وإلى أواخر القرن العشرين . حيث انتعش الجهاد في مصر والشام ثم شمال إفريقيا وغيرها .. ثم فتحت بوابة الجهاد على مصراعيها لعشاق الفريضة الغائبة في أفغانستان ، حيث تكون على مدى الثمانينيات إلى مطلع التسعينيات الجيل الجهادي الثاني ، وكانت مدرسة الأفغان العرب تجربة متميزة انطلق الجهاد مع روادها إلى مختلف بقاع العالم الإسلامي ، وساهمت ساحات البوسنة و الشيشان ، ثم مرحلة أفغانستان الثانية والإمارة الإسلامية بعطاء زاخر شهد أواخره لحاق طلائع الجيل الجهادي الثالث..

ثم جاءت أحداث سبتمبر 2001م ، ودخل الجيل الثاني في أتون المحنة ، لينصرم القرن العشرون ، وتفتتح الألفية الثالثة بمذبحة مروعة وأخدود عظيم ، التهم معظم كوادره وقياداته وأكثر قواعده ، ولم يسلم منهم من القتل أو الأسر إلا النذر اليسير..

وأعتقد جازما ، أن على الجيل الثالث أن يهضم خلاصة تجربة جذوره ليطور نظريات عمله و يتابع حمل راية الجهاد في ظروف بالغة الصعوبة ، ومعركة بالغة الاختلال في موازين القوى..

وقد أحببت في هذا الكتاب ـ حيث أني من بعض من تبقى من الجيل الثاني ـ أن أُسَلمُ من يسير على خطانا جزءا من الأمانة في هذا الكتاب ، وفي ما أعتزم كتابته مما يتلوه من هذه السلسلة. خلاصة منهجية فكرية ، وحركية تاريخية .. تساعد من يستعد لحمل الأمانة على متابعة الطريق على بصيرة . من دون أن يخسر دروسا عظيمة من مسار مجيد ، مخضب بدماء عشرات آلاف

الشهداء.. ومعاناة جيل كابد في صراعه مع الطواغيت ومن ورائهم أشد المعاناة في هذا العصر الحديث .

إذ لا بد لجيل الجهاد القادم من معرفة جذوره ، وهضم تجارب أسلافه ، والسير على أنوار ما قدموا فكرا وتجربة وقدوة ، من خلال فهم جذور الصراع التاريخية منذ بدأ..

إن في تاريخ الصحوة الإسلامية المعاصرة المنطلقة منذ مطلع القرن العشرين وإلى اليوم ، وما تزخر به من تجارب رائعة ، بصرف النظر عن مصيبها ومخطئها. دروسا عظيمة.. كما أن في تاريخ تجارب التيار الجهادي المعاصر المنطلق منذ مطلع الستينيات في القرن المنصرم وإلى أيامنا هذه ، دروسا وعبرا ومنهاجا وفكرا وراية .. ولا بد للجيل الجهادي القادم أن يبنى عليها، لا بد له أولا أن يعرفها تاريخا ومنهجا ، وأن يهضمها حتى يكون الجيل الجهادي القادم حلقة طبيعية في هذه السلسلة التي ترسم مسار القافلة المجيدة نحو حلم الإسلام المنشود، في إعادة حكم الله لهذه الأرض ، وإقامة خلافته الراشدة على منهاج النبوة إن شاء الله..

وقد حاولت أن أغطي ذلك في بعض فصول هذا الكتاب بإيجاز . كما أن في فهم سياق تاريخ الأمة بعمومها وما حل بها ومسارها العام إجمالا والسياسي خاصة قسط أساسي من المعرفة ، لابد لجيل الجهاد القادم والقائمين عليه من معرفة وفهم مجرياته ، وهو ما يمكن تسميته بالتاريخ الحديث للعرب والمسلمين خلال القرن الماضي . منذ سقوط الخلافة عام 1924.. كما أن قسطا من المعرفة حول تاريخ صراعنا الحالي مع الروم المعاصرين أعداؤنا الأزليين ، أقصد معرفة خلاصة تاريخ صراعنا مع الروم وحملاتهم التاريخية ، وكيفية أداء أجدادنا في ذلك الصراع ، وخلاصة دروس الانتصارات والهزائم عبر تلك الملاحم . أمر مهم جدا لتلمس خطى المسار القادم..

إن فهم ذلك وربطه بتاريخ الصراع كله ، وبجذور هذا النظام الدولي القائم ونشأته عبر العصور، واستخلاص خلاصة أسس الصراع بين الحق والباطل منذ وجد البشر على هذه البسيطة ، يمهد لهضم وفهم مكونات إنشاء نظريات العمل المناسبة للمرحلة الحالية..

وإذا وسع الفرد المجاهد العادي أن يجهل كثيرا من ارتباطات هذه السلسلة من المعارف والدروس والتجارب ، فإنه لا يسع النخبة القادمة من قيادات الجهاد وجيله القادم أن تجهل الحكمة والعبرة من هذا السياق كله..

ولذلك حرصت على أن تشتمل الفصول الأولى أو ما يربو على نصف هذا الكتاب خلاصة ذلك بطريقة متسلسلة منطقية وموجزة.. نعم موجزة رغم ضخامتها..

لقد أصبحت المعرفة أهم أسلحة هذا العصر . ولا يمكن أن يقود الجهلة هذا الصراع مهما كان من إخلاصهم المفترض ..

هذا ما خلصت إليه ، بعد تجربة ذاتية خاصة طويلة ، قضيتها ـ أسأل الله الإخلاص والقبول ـ وسط معمعة تجارب الصحوة الإسلامية ، منذ (1980م) وإلى أيامنا هذه أواخر (2004م) .

ومن خلال المشاركة الميدانية في التيار الجهادي المعاصر خلال هذه الفترة بالغة الأهمية والعطاء.. عشت خلالها تجربة الجهاد في سوريا ميدانيا منذ 1980م ، وكنت عضوا في القيادة العسكرية للإخوان المسلمين إبان أحداث حماة 1982 . ثم تجربة الجهاد العربي الأفغاني ضد الإتحاد السوفيتي والشيوعية في أفغانستان ميدانيا أيضا (1988-1992م) . ثم مواكبة التجربة الجهادية المريرة المؤسفة في الجزائر عن قرب من خلال العمل الإعلامي مع أنصار الجهاد الجزائري في لندن (1993-1997م) ، إلى أن اضطررنا إلى هجرها بفعل سيطرة المنحرفين على قيادتها – كما شرحت مجريات ذلك في كتابي (شهادتي على الجهاد في الجزائر 1989-1996م) . ثم العمل والمشاركة ميدانيا في آخر التجارب الجهادية وأهمها في العقد المنصرم . وهي تجربة الطالبان والأفغان العرب في أفغانستان خلال (1996 ـ 2001 م) . وقبل ذلك ما أتاحته لي المهاجر العديدة ، ولاسيما في عدد من الدول العربية والإسلامية والأوروبية . وما وفره لي ذلك من التماس مع مختلف شرائح الصحوة الإسلامية عامة ، والتعرف على معظم حركات وتنظيمات وقيادات التيار الجهادي المعاصر بشكل خاص.. وما اطلعت عليه من خلال ذلك على عشرات التجارب الجهادية والإسلامية عموما. ومن خلال كوني أحد العاملين في التيار الجهادي في مجال الفكر والكتابة والتأريخ والنشاط الإعلامي ، بالإضافة للمباشرة الميدانية..

ولا أذكر هذا هنا للفخر ، وليس المقام مقامه – وأسأل الله الإخلاص - وإنما ليعرف القارئ ، أن ما يستقبله من صفحات الكتاب هو نتاج تجربة ميدانية طويلة ومتنوعة ، فيعطيه حقه من الاهتمام .

ولقد جهدت أن أُعمل الفكر وأقضي الساعات الكثيرة في المناقشات والحوار مع كثير من العاملين في هذا التيار الجهادي ، وخاصة من كوادره وقياداته المجربين.. وفي التفكير في طبيعة هذه الطامة النازلة بنا وطرق مواجهتها. وأن أضع خلاصة ذلك بين دفتي هذا الكتاب ، وعبر رسائله المتتالية ، كي أوجز في ذلك ما يساهم في خدمة الجيل الجهادي القادم ، ويعينه على استئناف المسار..

وكما قلت في كتابي وباكورة مؤلفاتي :

(**الثورة الإسلامية الجهادية في سوريا - آلام وآمال** -) الذي كتبته عام 1987م ، أعيد القول هنا:

<u>**إن على كل جيل جهادي أن يولد نظريته العملية ، من خلال التجربة الذاتية ، وأن يطورها في ضوء حصاد التجارب السابقة.**</u>

إن النظرية الجهادية العملية لا تولد في رؤوس المؤلفين والمفكرين فوق المكاتب الأنيقة . ولا من خلال حياة الدعة المريحة . ولا تنزل على أصحابها من قمة الهرم التنظيمي لحركتهم.. بل تولد في خنادق القتال وساحات الإعداد ، ومسار المحنة وأتونها. نظرية تكلف أصحابها العناء ، وتجعلهم يدفعون ثمن كل خطأ وتجربة من دمائهم ومعاناتهم ، حتى يتلمس اللاحقون ما يناسب كل مرحلة قادمة من الخطوات الصائبة.

إن التجارب الفاشلة باهظة الثمن ، ولكن الفشل في كثير من الأحيان أكثر إثراء للمسار من النصر. إذ يجمع التجربة إلى المجرب . فإذا ما قيض له الثبات والعزم على المسير ، فإنه يشكل له أرضية الانتصار الحاسم القادم بإذن الله .

لقد عايشت بنفسي تجارب جهادية مريرة ، واستطعت من خلال صحبتي واحتكاكي أن أطلع على كثير سواها من التجارب الرائعة ، من روايات أصحابها الذين قاموا بها . ولقد درستها دراسة مقارنة مع ما اطلعت عليه من تاريخ الحركات والثورات المعاصرة.. وحاولت في هذا الكتاب أن أهضم كل ذلك ، وأقدمه في نظريات عمل قد تكون مساعدة على مسارنا القادم ، ومسار من سيسير على خطانا بتوفيق الله..

لقد مثلت أمريكا والحضارة الغربية ، وما أحلته بنا وبغيرنا من بني آدم ، داءاًَ أصاب البشرية بكل ماتعنيه كلمة (داء) من معاني.. ولا شك أن بلاء دائها ودواءها داخل في ما روي عنه صلى الله عليه وسلم:

(ما أنزل الله من داء إلا وأنزل له دواء ، عرفه من عرفه ، وجهله من جهله)..

وقد حاولت في هذا الكتاب أن أساهم في البحث عن مواصفات هذا الدواء لعل الله يجعلنا و من سيسير على خطى من مضى؛ ممن عرفه..

لعلنا نستطيع أن نريح أمتنا ، وربما البشرية كلها من وراء ذلك ، من أعراض هذا الداء – أمريكا وحلفائها - وما أحله في الأبرياء من بني البشر عامة والمسلمين خاصة من ويلات . فيكون في ذلك الشفاء بأن الله ..

****

﴿ تعريف بمراحل تبلور ونضوج أفكار هذا الكتاب ﴾

لقد تأجلت كتابة هذا البحث رغم عزمي على ذلك مرات عديدة. ولعل في قدر الله بذلك التأخير خيراً. ولعل من هذا الخير، أن الهجمة العاتية التي تقودها أمريكا وحلفاءها ما يعين القارئ المسلم على فهم أكبر ، وقناعة أوضح بالأفكار وبرامج العمل ، ودعوة الجهاد و المقاومة التي ندعوه إليها في هذا الكتاب...

فقد أصبح ما لم يمكن إدراكه والقناعة به إلا بقدر من البصيرة ، قبل أكثر من اثني عشر عاما، يوم بدأت هذه الحملات الصليبية الجديدة بغزو أمريكا وحلفائها للخليج تحت ستار تحرير الكويت عام 1990م . أصبح اليوم يدرك بشيء يسير من البصر، بل بقدر بسيط من السمع لمن خانته البصيرة ونكبه العمى بعد أن فقد نعمة الإحساس..

ولعل من آفاق الخير في تأخير إخراج هذا البحث أيضا ، أن تنضج تلك الأفكار بعد أن أدت شواهد حملات أمريكا وحلفائها على المسلمين قاطبة، وعلى الصحوة الإسلامية خاصة ، وعلى المدافعين عن هذه الأمة من أبنائها المجاهدين على وجه الخصوص ، إلى ازدياد القناعة لدينا بضرورة شراسة المقاومة ، التي تفرضها وحشية الهجمة البربرية العاتية.

ولعل من الخير أيضا في ذلك التأخير، أن يتم إخراج هذا الكتاب من خلال أتون المحنة التي نعيش ذروتها هذه الأيام ، ونحن نعيش مرحلة المطاردات والمخابئ ، وقمة المواجهة مع أمريكا وحلفائها.

وأرجو الله أن يكون قد قضى لي التيسير والتوفيق في إخراجه ، وأسأله تعالى أن يلهمني الحق والصواب ويجنبني الزلل ويوفقني لأسباب القبول .. إنه أهل ذلك والقادر عليه.

أما عن مراحل تبلور أفكار هذا الكتاب ، فمن المفيد في فهمه ذكر تسلسلها .

فقد تم ذلك على مراحل متدرجة على مدى أربعة عشر عاما ، ما بين أواخر عام 1990م إلى أواخر عام 2004م.

وأما صياغته الأخيرة فقد بدأتها مطلع سنة 2002م ، وأشارف الآن – بفضل الله - على نهايته أواخر سنة 2004م .

وقد كانت خلاصة تلك المراحل الفكرية على الشكل التالي :

المرحلة الأولى : بيشاور (1990م - 1991م)

- كان جمع المجاهدين العرب الذي حضرته ما بين (1987- 1992م) في أفغانستان والمناطق الحدودية الباكستانية ، ولاسيما عاصمتها بيشاور، قد بلغ ذروته عام 1990م ، وحوى بكل تأكيد كامل طيف الصحوة الإسلامية ، ولاسيما العربية بمدارسها المختلفة . وشهد ذلك الجمع ما يمكن وصفه بالزلزال الفكري والنفسي على مستوى المجاهدين العرب خاصة . وذلك بنزول قوات التحالف الدولي بزعامة أمريكا في جزيرة العرب تحت ستار ما سمي بتحرير الكويت . والذي بدا بكل وضوح أنه مجرد ستار هش لحملات صليبية عاتية جديدة ، تقودها أمريكا وأوروبا الغربية واليهود ، على عقر دار الإسلام في الشام و العراق وجزيرة العرب. لقد عصف ذلك الزلزال بكامل الأمة العربية والإسلامية ، وبصحوتها الدينية السياسية التي كانت تعيش ذروتها منذ انطلقت قبل أكثر من نصف قرن . فقد دخل النصارى هذه المرة بلاد الحرمين، وأحاطوا بجزيرة العرب - عقر دار الإسلام - برا وبحرا وجوا ، وأنزلوا فيها زهاء مليون جندي . كان أكثر من نصفهم من الأمريكان. ونحو عشرين بالمئة منهم من الإنجليز. وكان نحو عشرة في المئة من دول الناتو – أوربا الغربية - وتشكل الباقون من نحو 31 دولة . و كان لبعض الحكومات العربية والإسلامية مثل السعودية ودول الخليج و الباكستان وتركيا وسوريا ومصر والمغرب .. وغيرها نصيبا لا بأس به من المشاركة أيضا . وليس هنا محل الاستطراد الذي أطنب فيه العلماء والكتاب والصحفيون ، مما لم يدع مجالا للشك ، بأن الأمة الإسلامية ومقدساتها وثرواتها ولاسيما النفطية،هي المستهدفة في موجة احتلال صليبي يهودي عسكري مباشر. احتلال يهدف في النهاية إلى القضاء على الوجود الحضاري للمسلمين بشكل كامل ..
- تبع ذلك الزلزال وخلال أشهر قلائل ، وفي مطلع عام 1991م موجة زلزلة أخرى باستعلان مشاريع السلام مع اليهود ، لبيع ما تبقى من فلسطين وبيت المقدس تحت مسميات باطلة أخرى . من مشاريع الصلح والتطبيع والسلام بين العرب واليهود . تلك الموجة التي انطلقت من مؤتمر مدريد عام 1991م، وشاركت فيه إسرائيل مع دول الطوق العربية (مصر – سوريا - الأردن - لبنان) بالإضافة لمنظمة التحرير الفلسطينية ، وبحضور دول عربية أخرى على رأسها السعودية . حيث دعمت معظم الدول العربية والإسلامية تقريبا ذلك المسار الاستسلامي الخياني .
- كان من أهم أثار ما تمخض عنه ذلك الزلزال السياسي من أثار مدمرة ، أن شعوب الأمة العربية والإسلامية، وخاصة الصحوة الإسلامية ، صحت على الزلزال وقد كشف بشكل فاضح عن حقائق غاية في الخطورة ، يمكن إيجازها بما يلي:

أن الأمة الإسلامية تتعرض لهجمة احتلال عسكري مباشر من أجل السيطرة على مقدساتها : (مكة – المدينة – القدس) ، ومن أجل فرض احتلال اليهود لفلسطين ، ومن أجل استلاب النفط – بيت مال المسلمين – ومن أجل فرض احتلال غربي ثقافي واجتماعي ، بعد أن رسخ الاحتلال السياسي عبر الأنظمة والحكومات العربية والإسلامية ، وتوج بالاحتلال العسكري الذي انطلق مع حرب عاصفة الصحراء (تحرير الكويت). هجمة تقصد الأمة من أقصاها إلى أقصاها ، لإخضاعها للشعار العريض الذي أطلق تحت مسمى (النظام العالمي الجديد). والذي يعني باختصار: **إخضاع الأمة للإرادة اليهودية الصليبية بزعامة أمريكا** .

أن كافة حكومات الدول العربية والإسلامية ، ودونما استثناء ، قد شاركت أو أيدت تلك الحملة. وقام الحكام المرتدون الذين رسخوا أنظمة الكفر في بلادهم ، بتقديم كافة أشكال الدعم والعون والخدمات اللوجستية لقوى الاحتلال برا وبحرا وجوا . ودعموها عبر أجهزة إعلامهم، بل لقد قام كثير منهم بالمشاركة العسكرية فعليا أو رمزيا لإثبات حضورهم وانتمائهم لهذه الحملة على الإسلام والمسلمين . لتثبت تلك الحكومات أنها جزء أساسي من هذا النظام العالمي الجديد في محاربة شعوبها ودينهم الحنيف ، وفي خيانة قضاياها وبيع ثرواتها وتسليم مقدساتها .

تبين أن عموم الهيكل الديني في بلاد المسلمين ، ممثل بالعلماء المستقلين من جهة ، أو بقيادات الصحوة الإسلامية وأحزابها وجماعاتها من جهة أخرى ، **عبارة عن هيكل مفلس منهار**، لا يصلح بحال لمواجهة هذه الهجمة . .بل الأنكى من هذا أنه قد تبين أن معظم من يسمون علماء أهل السنة وأعلامهم المتبوعين وفقهاءهم المرموقين قد انضموا للحملة الإعلامية لهذه الحملات الصليبية . فأسبغوا عليها الشرعية وجوزوها ، بل اعتبر كبار المنافقين منهم أن قدوم الأمريكان إلى جزيرة العرب من أكبر نعم الله على هذه الأمة وأنه يستأهل سجود الشكر.!! كما عبر عن ذلك (الشيخ أبو بكر الجزائري) عضو هيئة كبار (العملاء) في السعودية !. فمسخوا حقيقة الصورة ، ليحولوها من صورة احتلال صليبي يهودي للمسلمين ، إلى صورة نصرة مشروعة من دول صديقة إسلامية وغير إسلامية ، لدولة التوحيد(السعودية) ، وحكومة الكويت (الشرعية) ، التي أطاح بها عدو كافر غاشم ، باغ على الدماء والأموال والأعراض (العراق) . وبهذا صدر البيان الختامي لما سمي مؤتمر مكة (1991م) والذي دعت إليه الحكومة السعودية نحو 400 عالما ، هم كبار علماء العالم الإسلامي ، وزعماء ما يسمى بالصحوة الإسلامية!! وممن كان فيهم ووقع على هذا البيان الختامي : هيئة كبار العلماء بالسعودية ، وشيوخ الأزهر من مصر ، وما يعادلهم من العلماء ووزراء الأوقاف والشؤون الدينية والجمعيات الدينية الرسمية وغير الرسمية لكافة دول العالم العربي والإسلامي . وكذلك معظم رؤوس ورموز الحركات الإسلامية ، من الإخوان المسلمين ، والجماعات السلفية والصوفية و التبليغية والإصلاحية ... وقد

صدر بذلك بيان وقع عليه ما يقرب من 400 عالم وقائد ورمز إسلامي! كما أصدرت معظم تلك الجماعات بيانات خاصة بها دارت في فلك هذا الفقه الاستعماري الأمريكي الأخرق !! ولم يشذ عن هذا البلاء إلا نوادر من رموز الصحوة ممن عصمهم الله. وكان من تبعات ذلك ؛ أن تصدر الفتاوى من كثير من هؤلاء العلماء بحرمة **الاعتداء** ! على هذه القوات الغازية لنا ، واعتبارهم **مستأمنين** شرعاً ، واعتبار كل من يجاهدهم ، **معتدين** على ذمة المسلمين ، مفسدين في الأرض .. عقابهم في الدنيا : (**أَنْ يُقَتَّلُوا أَوْ يُصَلَّبُوا أَوْ تُقَطَّعَ أَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُمْ مِنْ خِلافٍ أَوْ يُنْفَوْا مِنَ الأَرْضِ**)! بل زعموا أن المعتدي على هؤلاء **المعصومين** شرعاً (القوات الأمريكية والصليبية) لا يروح رائحة الجنة.!!! و بهذا صدر بيان بالإجماع عن هيئة كبار العلماء في السعودية إثر انفجاري (الرياض) و(الخبر) الذين استهدفا جنودا أمريكان بعد حين .

تبين وللأسف ، أن الجماعات والتنظيمات الجهادية المسلحة التي رفضت ذلك الواقع ودعت إلى جهاد الأمريكان وحلفائهم ، كانت بحكم واقعها الحركي وضعفها وتشردها عن بلادها ..أعجز من أن تقدم حلا لهذه الطامة الماحقة التي نزلت في بلاد المسلمين . واقتصرت مواجهاتها للأمريكان على بيانات محدودة الانتشار في بلاد المهجر، بعيدا عن الأمة . فقد كان موقف قياداتها ورموزها واضحا، ويمثل الحق .. ولكنه كان موقفا عاجزا مقهورا . بعيدا كل البعد عن دائرة الفعل والتأثير، أو الأهلية لقيادة المواجهة .

تبين أخيراً ونتيجة لهذه الأحوال ، أن الأمة الإسلامية وشعوبها قاطبة ونتيجة لفساد مقومي الصلاح في الأمة (العلماء ، والأمراء) مغيبة عن الحدث. تماما كما روي في الأثر: (صنفان من الناس إذا صلحا صلح الناس وإذا فسدا فسد الناس : **العلماء والأمراء**) . وأن الأمة وقد كفر معظم ملوكها ورؤسائها وأمرائها ، ونافق أكثر علمائها.. مدعوة لدخول تيه عظيم أكبر من الذي هي فيه. ولأن حكامها المرتدين صاروا في حلف العدو. ولأن أغلب علمائها وقادة حركاتها الإسلامية قد توزعوا ، إما في متاهات النفاق أو في جحور العجز.. وأن العدو يقف في موقع ما وصفه الشاعر بقوله :

لا يلام الذئب في عدوانه إن يك الراعي عدو الغنمِ

فقد تبين أن شعوب المسلمين مغيبون تماما عن واقع ما يدور بهم ، وما يخطط لأمتهم ، وأن عامتهم غارقون إلى آذانهم في سعيهم لدنياهم ، وتمرغهم في مراغة ملذاتها . وأن العدو عازم على استكمال سلب ما تبقى لديهم من دينهم وفتات دنياهم . وعمومهم في غفلتهم معرضون . وأن الواعين منهم لما يدور ، يعضون أصابع الغيظ والقهر والحزن على ما يحل بالأمة ، ويشكون إلى الله أنهم من المستضعفين الذين لا يستطيعون حيلة ولا يهتدون سبيلا .

وسط تلك الزلازل.. وتتابع الأخبار والتحليلات على ما جرى ويجري ، وما يتوقع له من نتائج في غضون السنين القادمة .. بدأت تتولد عندي بدايات هذه الأفكار.

لقد كانت تلك الظروف دافعة لي على التفكير فيما يجري وأبعاده وطرق مواجهته .. وكان واضحا من استعراض طيف الصحوة والحركات الإسلامية و الجهادية والفكرية وسواها التي تعرّفت على من لم أكن أعرفها منها في مرحلة الجهاد الأفغاني ، أن جلها أو كلها قد اتخذ برامج ومناهج وأهدافا بعيدة كل البعد عن مواجهة الأزمة القادمة.

فبرامج الإخوان وأشكالهم تحوم حول فكرة البرلمانات وكسب المقاعد الانتخابية ، وإيجاد قاسم مشترك مع الحكومات ، والبحث عن مواقع لا تتصادم مع الغزاة الجدد للمنطقة .. مخططات للإصلاح الجزئي المرحلي ، تدور كلها في فلك القطرية بحسب انتماءات تلك الأحزاب وبلادها . وقد تداخلت فيها مصالحهم الشخصية والحزبية مع مصالح الدعوة والإسلام تداخلا يصعب على غير الله تبارك وتعالى تمييزه !! .

والتيارات والجماعات والرموز السلفية ومشايخها وحركاتها ومجلاتها تصب اهتماماتها على قطاع العقائد والجدليات العقدية والفقهية ، وتبدو وكأن مشاكلها التي تعود لمعارك الحنابلة مع (الجبائي) و(المعتزلة) ، أقرب لاهتماماتها من بحث قضية الغزو القادم ، ومسائل كفر الحاكم .. وقد وجدت لنفسها بدورها مجالا للنشاطات المختلفة لا تثير حفيظة الحكومات ، ووجدت لنفسها موطئا بعيدا عن الصدام ولو مرحليا.. وقد اقتنع قطاع كبير منها بفكرة البرلمانات والمرحلية الدعوية بعد أن كان بعضهم قد كفّر الإخوان على ذلك ..

أما أصحاب الانتماء لمدارس أبعد عن السياسة كالتبليغ والصوفية والمدارس التربوية والإصلاحية فأبعد بدورها بحسب بنيتها الفكرية وطبيعة اهتماماتها عن هذه المعتركات. فقد وجدت لنفسها طرقا للمسالمة مع حكوماتها ومن وراءهم .

وأما الجماعات الجهادية وهي أقرب شرائح الصحوة وقطاعاتها للتصادم مع الغزو القادم بحكم ما تربت عليه من الفكر والمنهج والتجربة والممارسات الجهادية المسلحة في بلادها ثم في أفغانستان، فقد كانت معنية أكثر من غيرها بالتصدي للتفكير والتحرك تجاه ما يجري. ولكن سرعان ما بدا واضحا أنها تعيش في تلك الحقبة ازدهارا محليا في أفغانستان جعل هموم أكثرها منحصرا في إنشاء المعسكرات وتوفير مصادر التمويل والاتجاه للحشد والتجنيد لبناء نفسها على أساس تنظيمات (سرية – وقطرية –وهرمية) هدفها التقليدي ما زال هو ذاته : (الإطاحة بحكومات بلادها ..لإقامة حكومات إسلامية على أنقاضها) وفق نفس الأسس التي طُرحت وانتشرت منذ السبعينيات وخلال الثمانينيات وإلى مطلع التسعينيات . وهي المحاولات التي قامت في دول عربية عديدة.

شعرت حينها أن الناس وتوجهاتها في واد ، وأن سير الأحداث وما نستقبل منها ، يسير في واد آخر..

في تلك الأيام بدرت في ذهني بدايات الأفكار التي سأفصلها في هذا البحث بعد أن تبلورت وصارت إلى شكلها النهائي .

وأذكر أني قد ناقشت في تلك الأيام بعض هذه الأفكار مع رهط ممن حولي من المجاهدين العرب في أفغانستان ، ممن كان لهم تجربة في عالم الفكر والبحث والكتابة والتنظير ، و بدا لي أن أفكاري تلك مبكرة ، وبالغة البعد عن واقع الجهاديين ، فضلا عن باقي شرائح الصحوة غير الجهادية. و لقد اتضح لي – في حينها - جملة من القناعات المبدئية .. كونت أساس الفكرة. ومن ذلك :

1. **أن حرب عاصفة الصحراء هي بداية التحولات الناشئة عن قيام النظام العالمي الجديد .. وأن هذه الغزوة أبرزت العدو الحقيقي الذي كان مختفيا وراء حكوماتنا ، وهم الصليبية الدولية وطليعتها دول الناتو ومن ورائها إسرائيل ، وجعلتهم العدو الظاهر والحقيقي والأخطر الذي يجب التصدي له. وأن الدوران في فلك الإعداد والانخراط في معارك ومواجهات جهادية قطرية محدودة مع أنظمتنا الحاكمة لن يكتب لها النجاح والله أعلم رغم مشروعيته . لأنه يصب نهاية في مصلحة الأعداء الحقيقيين لأنه يبدد الطاقات في متاهات لا جدوى منها ، بحكم ما ثبت وما مر من تجارب.. وأن القاتل والمقتول في ثوراتنا الجهادية تلك كان فريسة للعدو الحقيقي.الذي وزع الأدوار.**
2. **أن الحرب العالمية الأممية القائمة ، ونظام عولمة كل شيء ، بما فيه المواجهة القادمة بين المسلمين وأعدائهم الذين ظهروا من الخفاء للعلن .. تحتاج لنظام مواجهة عالمي من جهتنا . عالمي في التفكير وأساليب المواجهة غير ذلك القائم آنذاك .**
3. أن بدايات نظام مكافحة الإرهاب الذي طرحته أمريكا وأوروبا عبر سلسلة المؤتمرات الأمنية التي تلت مؤتمر مدريد في مطلع 1991 .. تبدي أن المواجهات الأمنية مع الحركات الجهادية والأصولية الإسلامية تنتقل إلى المجال الأممي والدولي ، بعد أن شهدت تطورا من القطرية إلى الإقليمية ، وأن هذا سيؤدي إلى إجهاض كافة أساليب عمل الجهاديين من الحركات والتمويل والاتصالات والنشاط وأساليب التنظيم. لأنها تعتمد على الحركة في الأفق العالمي بعد مطاردتها في بلادها.
4. **أن المؤسسة الدينية الرسمية وقطاعا كبيرا من علمائهم ومؤسساتهم الدينية ، تتجهز تلقائيا لتكون جزءا من النظام العالمي الجديد ..! وبمعنى أوضح ؛ جزءا من العدو . بعد أن اختارت الركوب رسميا في مركب أنظمتها الكافرة التي توظفت ضمن الحملة الصليبية**

اليهودية الجديدة . حيث ستقوم هذه الأجهزة الدينية بمهمة الإجهاض الفكري والشرعي لأي مشروع مقاومة جهادية .

5. **أن مدارس الصحوة الإسلامية السياسية الأخرى ، ولاسيما الأحزاب السياسية ، ببحثها عن المشاركات البرلمانية والحكومية ، من خلال مواقع في منتصف الطريق مع الجاهلية العاتية الممثلة بأنظمة الردة . سيؤول بها الحال لأن تكون أيضا جزءا من النظام الدولي .** وجزءا من العدو من حيث قصدت أو لم تقصد . تحت ستار التدرج ، و الشعارات التي لا تقنع العجماوات بجدواها ومبرراتها ، لا الشرعية ولا السياسية. خصوصا بعد الصفعات التي تلقتها (الديمقراطية الإسلامية) في الجزائر وتركيا وتونس والكويت والأردن ومصر وغيرها ، وأنها ستقف إلى جانب حكوماتها التي أصبحت هذه الأحزاب (الإسلامية !) جزءا من مؤسساتها الدستورية(الشرعية !) ، ضد المجاهدين.

6. اعتقدت أن التنظيمات الجهادية المتبقية أو حطامها ، كتلك القادمة من مصر وبلاد الشام وسواها سواء القائمة أو التي تشرع ببناء نفسها كمعظم التجمعات و النوبات الجهادية القادمة من شمال أفريقيا، تبني نفسها على أسس متخلفة جدا عن مستجدات المعركة. وسيلتهمها لهيب الترتيبات الأمنية الجديدة لمكافحة الإرهاب والله أعلم.

و إزاء كل هذا ، رأيت **أن المطلوب غير ممكن في تلك المرحلة (1990) ، في ذلك المكان (بيشاور ومعسكرات أفغانستان) وللأسف . مع أنه بؤرة تجمع الجهاد و الجهاديين .**

وأذكر أني تبادلت الحوار مرة مع أحد أبرز المشاركين في مجال التأريخ والتنظير للفكر الجهادي ، في ليلة مقمرة على سطح بيت الشيخ جلال الدين حقاني في بيشاور، ولاحظت بداية تولد قناعات مشابهة لديه.. و قررنا الدعوة لجلسات تقييم لمسار وواقع الفكر والحركات الجهادية ، من أجل استخلاص بعض الدروس ، وتقييم تجربتنا في أفغانستان ، وتقدير ما يستقبلها في المرحلة التالية.. وفعلا عقدنا جلستين ..على المستوى الممكن من النخبوية . وبدا أن الكل متفق على أن عاصفة أمنية تلوح بالأفق ستهب رياحها أول ما تهب على باكستان وأفغانستان لتصفية هذا الجمع الذي يبدو أن دوره قد انتهى . لاسيما بعد أن اغتيل الشيخ عبد الله عزام ، وبدت نذر الحملة الإعلامية تحول اسم المجاهدين إلى (متمردين) ثم إلى (منشقين) ثم إلى (إرهابيين) ... تحت مسمى دراماتيكي جديد هو (**الأفغان العرب**).

وأذكر أني قلت ذات يوم لأقرب أصدقائي في حينها .. أني أتلمس ميلاد أفكار لتطوير نظريات عمل للجهاد أعتقد صحتها ، وتوقعات مخيفة أنا متيقن من خطورتها واحتمال حصولها ، ويبدو لي أنها أفكار مبكرة لا يمكن طرحها الآن . وستفهم – لو طرحت - على أنها ش من البلبلة والإرباك الفكري للساحة العربية في أفغانستان .

وكنت أود لو امتلكت الشجاعة مطلع 1991م لجمع بعض رموز وقيادات الحركات والتنظيمات الجهادية لأقول لهم قناعاتي تلك باختصار:

أما الصحوة الإسلامية فقد أفلست ، وستكون قريبا بمعظم أحزابها وقياداتها في خندق العدو . إما قناعة بعد أن انحرفت ، وإما عمليا وإجبارا كي تجد لنفسها مكانا في النظام العالمي الجديد .لأن الخيار الآخر هو الجهاد والمواجهة وهم قاعدون عنه . وأما نحن - معشر الجهاديين - فأمامنا سنتين أو ثلاثة لنصل إلى طريق مسدود حركيا، وإلى التفكك الأمني عمليا، ولا سبيل لتفادي هذا المستقبل - بحسب فهمي آنذاك - إلا بالتركيز على تغيير أساليب التفكير والعمل العسكري والإعلامي والبنى التنظيمية .. تغييرا جذريا شاملا ، وما أظنكم بفاعلين .

لم يكن ذلك بالطبع معقولا ولا ممكنا، ولم تكن قد تكاملت عندي أبعاد نظريات التغيير المطلوبة كما أعتقد . وأرجو - أن ذلك قد حصل الآن . وبهذا سيكون مثل ذلك الكلام مجرد تبشير بالاندحار دون تقديم حلول واقعية .

والحقيقة أن ملامح الكارثة كانت واضحة لبعض من رآها ، بحكم ما فتح الله ويسر عليهم من البصيرة والتجربة والفكرة . لقد كانوا أفراد قلائل ، وكان معظمهم من غير المنهمكين في أطر تنظيمية تحكم طبيعة تفكيرهم . ولم تكن تلك الخواطر و الإشراقات الفكرية كافية في وضوحها لتقنع الآخرين بالتفكير الجدي وبضرورة إحداث ثورة داخلية في أساليب التنظيم والعمل .. لقد كان أمر الله قدرا مقدورا .

لقد ثبت مع الوقت ، أن التنظيمات الجهادية والحركات والمحاولات المسلحة التي تقوم على أساس (القطرية، السرية،الهرمية التنظيمية) تسير على طريق الاندثار والفشل ، لأنها لم تستوعب التحول العالمي الذي حصل بانطلاق قطار النظام العالمي الجديد ، ولم تفهم أبعاده السياسية والأمنية وانعكاس ذلك عليها ، ولم تكن حرارة الاندفاع وآفاق الإخلاص والتفاني لدى قياداتها وعناصرها وهم زبدة شباب الأمة في ذلك الوقت كافية لتفادي المصير الذي بدت مؤشراته لمن رآها .

ولم أستطع في حينها أن أقدم كبير شيء ، اللهم إلا بعض المحاضرات في بعض المعسكرات وفي (مركز النور للإعلام) الذي أشرف عليه (الشيخ أبو حذيفة) أحد طلاب العلم من تنظيم الجهاد المصري ، من أجل إعطاء دفعة فكرية في الساحة الجهادية العربية في بيشاور والتي تشكل الخط الخلفي للتواجد الجهادي العربي في أفغانستان ، والذي زاد آنذاك على 40 ألف مجاهد ، وكان من أهم المحاضرات مما له علاقة بأفكار بحثنا هذا، محاضرة ألقيتها خلال صيف 1991م بعنوان (**المعادلة السياسية للنظام العالمي الجديد)** وكان خلاصتها : أن الصراع المقبل ستكون معادلته على الشكل التالي:

النظام العالمي الجديد × التيار الجهادي المسلح

أي: [الصليبية وزعيمتها أمريكا + الصهيونية اليهودية وزعيمتها إسرائيل + الحكام المرتدون في بلاد المسلمين + الطوائف المنحرفة المعادية لأهل السنة + الهيكل الديني الرسمي لأهل السنة + الحركات الإسلامية الديمقراطية من الصحوة]

×

(في مواجهة) [التنظيمات الجهادية المسلحة . وهي طليعة الأمة في المواجهة].

لقد أثارت هذه الأفكار جدلا كبيرا في حينها ، ولكن وللأسف أثبت العقد المنصرم (1990-2000م) صحتها بكل جلاء .

أتبعت ذلك بسلسلة من الدروس و الحوارات ، ركزت فيها على ضرورة الثورة على الهيكل المنافق لعلماء أهل السنة عندنا. والذي كان يحظى وللأسف بتقديس عجيب حتى من القطاع الأكبر من المنتمين للتيار الجهادي ممن يحملون السلاح !، ولم يغير في ذلك حتى ولا وقوف أولئك العلماء العلني إلى جانب حملة (شوارزكوف) ، قائد عاصفة الصحراء . واعتبارهم أن المجاهدين له ولجنوده المارينز مفسدون في الأرض !!.

كما ألقيت عدة محاضرات في مقومات التنظيم وفي تقييم ماضي الصحوة و استشراف مستقبلها. ومشروعية نقد العلماء ، وضوابط ذلك ... وغير ذلك من الأفكار الجديدة ..

كان واضحا أن شقة التغيير المطلوب في التفكير والعمل واسعة جدا ، وأن نتائج العدوان الجديد على الأمة وقسطا من البلاء القادم كان لازما للأكثرية حتى يساعدهم على فهم واستيعاب ما يجري ..

ولقد بدأ تحقق أول ما أنذرنا به عندما هبت رياح عاصفة الصحراء على شكل إعصار أمني على الأفغان العرب في باكستان ، فأخرجت معظمهم إلى بلادهم ، وشردت من لا يستطيع العودة إلى بلاده في أقطار الدنيا ، وخفضت ذلك الجمع من عشرات الآلاف إلى بضعة مئات من المطاردين

المختفين في باكستان . ثم تتالت دفعات الـبلاء حتـى بلغـت ذروتهـا اليـوم عـلى تـردد أصـداء دوي انفجارات الحادي عشر من سبتمبر بعد عشر سنين من بـدء مـيلاد الأفكـار التـي سنعرضـها في هـذا الكتاب ونسأل الله الهدى والرشاد .

****

المرحلة الثانية: مدريد (1991م)

هبت العاصفة ونثرت آلاف الذين قدموا للجهاد في أفغانستان في كال أقطار الأرض . وعادت الشريحة الأكبر لبلادها لتواجه المطاردات الأمنية والتحقيقات والسجون .. وتقاسمت بعض الملاذات المؤقتة أولئك المطاردين أصلا في بلادهم بتهمة الانتماء لجماعات جهادية مسلحة ، فصاروا مطاردين على هوية جديدة تحت المصطلح الجديد الذي أطلقه عليهم الغرب باسم (**الأفغان العرب**). وقبيل ذلك بفترة وجيزة كنت قد عدت أدراجي إلى مدريد في أسبانيا ، حيث كنت أقيم منذ سنين ، وهناك كتبت بحثا يعتبر الأساس لجزء كبير من أفكار هذا الكتاب . وكان بعنوان :

(**بيان من أجل قيام المقاومة الإسلامية العالمية**) . كان بحثا موجزا يقع في نحو 40 صفحة. وكنت أعتقد أن الساحة المناسبة لبث تلك الأفكار آنذاك ما تزال بيشاور، حيث يوجد الجمع الذي يوشك على الانفراط . وكان غرضي أن يحملها معه أكبر كم ممكن من المجاهدين العرب ، الذين بدا لي أن مصيرهم الانتشار. وهم بحكم تجربتهم الجهادية وإعدادهم العسكري أجدر وأقدر من غيرهم على العمل وفق تلك الأفكار بحسب تقديري – الخاطئ - آنذاك. **لأني اكتشفت فيما بعد عدم أهليتهم لذلك . لأنهم تلقوا تدريبا عسكريا عاليا ، ولم يتلقوا التوجيه العقائدي المنهجي الفكري والسياسي اللازم .**

كانت خلاصة الأفكار التي حملها ذلك البيان (البحث) ما يلي :

عرض لواقع المسلمين وما وصلوا إليه ولاسيما إبان حرب الخليج (عاصفة الصحراء) وتفنيد لمزاعم من زعم بمشروعية نزول الصليبيين في عقر دار المسلمين . ودعوة لجهاد هذه الحملة . **وتفنيد لزعم من زعم أن صدام حسين هو معقد الأمل في مواجهة الصليبين .**

إثبات أن القوى والتنظيمات الجهادية بل وقوى الصحوة الإسلامية لا تكفي لمواجهة هذه الحملة اليهودية الصليبية العالمية . وأنه لا بد من إعادة مهمة الجهاد للأمة كاملة ، وإحيائها وزجها في مقاومة إسلامية عالمية ، تكون في مقابلة هجمة صليبية يهودية عالمية .

إثبات أن دعوة الأمة قاطبة لا بد وأن يستند إلى عموميات الإسلام والدعوة العاطفية للجهاد ، وليس على أساس التفاصيل العقدية والفكرية ، و الفقهيات الجهادية المعقدة – وإن كانت صوابا في عمومها ولا شك – وذلك باختيار **مفتاح صراع ، ودعوة جهاد** ، تجمع عليها كافة التوجهات الإسلامية للصحوة . ويستوي في فهمها كافة شرائح وطبقات المسلمين خاصتهم وعامتهم . واخترت لذلك ، الدعوة لتحرير المقدسات شعارا لدعوة المقاومة . لإنقاذ الحرمين والأقصى من اليهود والصليبيين . وطرح شعار جهاد عدو خارجي بدلا من جهاد الحكام الذي لم تهضمه الشعوب – بفضل خدمات علماء أهل السنة الأشاوس – واختيار جهاد اليهود ورأسهم إسرائيل والصليبيين ورأسهم أمريكا ودول الناتو الأوروبية كعدو خارجي غاز أساسا لهذه الدعوة.

إبراز أهمية البعد الاقتصادي لهذا الجهاد ، وأن بيت مال المسلمين وثرواتهم وعلى رأسها النفط قد نُهب . وستنهب هذه الحملة ما تبقى منه. وأن على المسلم أن يجاهد دون قوته وقوت عياله المسلوب . وإعطاء هذا النوع من الجهاد الاقتصادي بعده الشرعي ، الذي غاب عن طرح الجهاديين الفكري وما يزال غائبا. لأن بعض فقهاء الجهاد من الشباب الناشئين يعتبر ذلك خدشا في العقيد السمحة!

وبالمختصر اختيار مفتاح شعبي لدعوة الجهاد مكون من ثلاث أبعاد : أولا: البعد الديني (المقدسات) – ثانيا : البعد السياسي (الإحتلال الخارجي) – ثالثا : البعد الاقتصادي (الثروات ،النفط) .

دعوة الشباب وعموم المسلمين لممارسة المقاومة الفردية ، بحيث لا تعتمد المقاومة على هياكل ومنظومات شبكية وهرمية يؤدي اعتقال بعض أفرادها لدمارها واعتقال جميع أفرادها. وذلك باختيار أسلوب عمل (نظام عمل) ، وليس تنظيما بالمفهوم المعروف. بحيث ينتسب كل مشارك في أعمال المقاومة التي يشارك فيها عموم المسلمين ، لمسمى واحد هو (المقاومة الإسلامية العالمية) . حيث يتكامل بالجدوى عمل الكل ، ولا يؤدي اعتقال الآحاد لاعتقال الكل لأنهم لا رابطة بينهم . وكان هذا لب الفكرة الحركي العسكري .

تحديد الأهداف المعادية التي يجب استهدافها بالضرب . وهي باختصار : كامل أشكال التواجد البشري للعدو في بلادنا أولا ، وفي بلاد العالم ثانيا ، وفي عقر دارهم ثالثا . ولاسيما أشكال تواجد العدو السياسي والعسكري والتبشيري والاقتصادي والثقافي والسياحي ..إلخ . في بلادنا ، وخاصة اليهود، ثم أمريكا ، ثم بريطانيا ، ثم روسيا ، ثم كامل دول حلف الناتو. ثم أي دولة تقف معهم في الاعتداء على الإسلام والمسلمين.

مختصر بالدليل الشرعي يثبت حل أموال ودماء كافة أشكال رعايا ومصالح هذه الدول والتقديم لذلك بفتوى جامعة للعلامة المحدث أحمد شاكر رحمه الله.

ندب الجماعات والتنظيمات الجهادية وأفراد المسلمين الذين سبق لهم التدريب العسكري والممارسة القتالية لبدء تدوير عجلة المقاومة . ودعوة عموم الناس لأساليب المقاومة المدنية من الأعمال الشبه عسكرية إلى أعمال الدعاية الدينية والسياسية إلى الخطب والكتابات والشعارات ... إلخ بحيث تشارك كافة شرائح الأمة بهذا الجهاد وهذه المقاومة المفتوحة على شكل انتفاضة عامة .

دعوة المجاهدين المقاوميين إلى تشكيل سرايا صغيرة تمول نفسها من أسلاب العدو المالية. ودعوة الأغنياء من المسلمين لتمويل ودعم من يريد الجهاد وكفالة أسر المتضررين منهم .

دعوة المجاهدين العاملين في المقاومة إلى استهداف العدو الخارجي أساسا في بلادنا وبلادهم . بالإضافة إلى استهداف كبار المرتدين من حكام المسلمين وكبار الطبقة الأولى من أعوانهم . لكونهم

أساس ركيزة الاحتلال . **وعدم تحويل المواجهة مع الحكومات إلى ثورة مفتوحة ، كما حصل في التجارب السالفة** . وإنما التصدي لقوى الجيش والأمن المحلية في حالات الدفاع عن النفس ضد القتل أو الأسر فقط . وتحريض هذه القوات بالحسنى للمشاركة في المقاومة بصفتهم جزء من قوى الأمة .

التنديد بالعلماء المنافقين ، وبرموز الحركات الإسلامية التي سارت في ركاب النظام العالمي الجديد . ودعوة المسلمين للانصراف عنهم والالتفاف حول العلماء المجاهدين ، ودعوة هذا الصنف النادر من العلماء لقيادة المقاومة الشعبية . في كل بلدان المسلمين.

اختيار شعار يعبر عن المقاومة ودعوتها وهو عبارة عن شكل يبرز المقدسات الثلاثة (الكعبة – المسجد النبوي – المسجد الأقصى) خلف قضبان سجن تدل على الاحتلال. وقد كتب تحتها الآية الكريمة ﴿ فَقَاتِلْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ لا تُكَلَّفُ إِلَّا نَفْسَكَ وَحَرِّضِ الْمُؤْمِنِينَ ﴾ (وكتب فوقها: بيان من أجل قيام المقاومة الإسلامية العالمية)..

وعدت إلى بيشاور في مطلع عام 1991م لنشر هذا الكتاب سراً ، وبثه بين المجاهدين هناك . ولما كانت هذه الأفكار من الخطورة بما لا يخفى ، لم يشرف على عملية النشر التي شملت جميع البيوت والمضافات والمؤسسات العربية إلا أربعة إخوة رحمهم الله تعالى . حيث وزعنا نحو 1000 نسخة كانت قد طبعت أيضا سراً . وتم ذلك بنجاح مطلع شهر يونيو – 1991م فيما أذكر .

ثم ما لبثت بوادر العاصفة الأمنية أن اشتدت . وشرعت تلك الجموع بالرحيل عن بيشاور، ورحلتُ بدوري ثانية . حيث استقر بي المقام في غرناطة.. آخر معاقل المسلمين في الأندلس .

****

المرحلة الثالثة: لندن (1996م)

وكانت أواخر 1996 . حيث كنت قد انخرطت في دعم وتأييد الجهاد الذي نشب في الجزائر، منذ 1994 . وذلك من خلال معرفة قديمة ببعض رواده الذين كنت أعرفهم من أفغانستان . وكانوا وقد استقروا في لندن منشئين خلية للخدمات الإعلامية للجماعة الإسلامية المسلحة في الجزائر. وبسبب ذلك انتقلت للإقامة في لندن .. **ومرت القضية الجهادية في الجزائر بمنعطفات متعددة ..أدت في النهاية إلى أن تؤول قيادة الجماعة الإسلامية المسلحة بعد استشهاد قياداتها المخلصة الواعية لبعض الجهلة والشاذين فكريا ممن اعتنقوا أفكارا تتراوح بين التكفير والإجرام والجهل ممزوجة ببعض الأفكار ذات الأصول الجهادية ، وذلك بترتيب استخباراتي محكم ، مما أودى بها إلى البوار والفشل والتحلل مع أوائل 1996م.**

ولم يكن من بد أمامنا آنذاك – دينا وعقلا - من البراءة من الجماعة المسلحة وما آلت إلية الأمور بالجهاد في الجزائر . وسأشير في الفصل السادس إلى نبذة تلك التجربة إن شاء الله .. وقد أعددت كتابا بعنوان : (مختصر شهادتي في الجهاد في الجزائر 1988-1996م). وسأنشره قريبا إن شاء الله .

والأمر ذو العلاقة بين تجربتي مع الجهاد الجزائري وأفكار هذا الكتاب الذي بين أيدينا، هي الصدمة التي واجهناها في لندن بنجاح المخطط الدولي والإقليمي في إجهاض الجهاد في الجزائر، بإخراجه عن مساره والسيطرة على قيادته وتفكيكه أمنيا ، وعزله عن جماهير المسلمين في الجزائر وخارجها، بسبب ما ورطوهم به من مجازر ضد الشعب، المسلم أو ما ارتكبته الاستخبارات الجزائرية باسمهم من مذابح أيضا. رغم نجاحاته العسكرية والجماهيرية الباهرة ، ورغم توفر أفضل ظروف النجاح التي توفرت لحركة جهادية في العصر الحديث. لقد كانت تلك التجربة درسا قاسيا .أكد عندي عدم جدوى المحاولات المحلية للجهاد في ظل النظام العالمي الجديد ، والمواجهة العالمية لما سمي إرهابا (أي الحركات الجهادية الإسلامية).

ومنذ أواخر 1996م وإلى أواخر 1997م بذلت ساعات مطولة للتأمل والحوار، مع بعض الخواص من نخبة الجهاديين المقيمين من كوادر الأفغان العرب والتنظيمات الجهادية في لندن . لتقييم أسباب فشل المحاولات الجهادية المسلحة المتكررة في العصر الحديث:

[المغرب 1963م- سوريا 1965م – مصر 1965م – تركيا 1970م – الجزائر 1976م – سوريا ثانية والتجربة الطويلة 1975م – 1982م – مصر ثانية 1981م – ليبيا 1989م – الجزائر ثانية 1990م- 1996م – ليبيا ثانية 1994م – 1996م ...] عدا التجارب المحدودة لغيرها من البلدان مثل : تونس والأردن واليمن ولبنان وغيرها .

وقد شكلنا لهذا الحوار والدراسة شبة ندوة غير منتظمة عقدنا لها عدة لقاءات ، قارنا فيها بين الفشل في كل تلك المحاولات التنظيمية ، وبين النجاحات العسكرية في التجارب الجهادية الجبهوية للمسلمين في كل من البوسنة – الشيشان – أفغانستان . كما عرضنا لدراسة البوادر الجديدة لأعمال الجهاد الفردي التي بدأت تحصل منذ حرب الخليج . والتي قام بها بعض شباب المسلمين هنا وهناك.

وأستطيع القول أن تأملي تلك الأيام ومحاولات البحث والكتابة في بعض الخواطر في تلك الفترة ، قد شكلت عندي بالإضافة لما كنت قد توصلت إلية من أفكار (بيان المقاومة الإسلامية العالمية) أساسيات الأفكار التفصيلية لهذا الكتاب الذي بين أيدينا الآن.

وقد حملت هذه الأفكار في صدري وهاجرت بها بعد قراري بالرحيل كليا إلى أفغانستان ، إثر استطلاعي لها مرتين بعد تمكن حركة طالبان من دخول كابل وإعلان الإمارة الإسلامية. وبعد ما بدا لي واضحا أن بوادر هبوب عاصفة أمنية شديدة على الإسلاميين ولاسيما الجهاديين في أوروبا تقترب ، وأثرت ألا تنالني زوابعها في لندن التي فقدت عذرتها الديمقراطية الأصلية عند ما عاشرت الكاوبوي الأمريكي ..

****

المرحلة الرابعة: أفغانستان (1997م - 2001)

بدأت هجرتي إلى أفغانستان في شهر أغسطس 1997م ، واستمرت إلى خروجنا منها عنوة أواخر ديسمبر 2001م .

ولقد كانت هجرتي إلى أفغانستان لأسباب عديدة ، السبب ذي الصلة منها بمادة هذا الكتاب هو المشاركة في المواجهة التي كانت ما تزال تزداد حدة مع النظام العالمي الجديد الذي تقوده أمريكا وإسرائيل ، وتشارك فيه حكومات الردة في بلاد العرب والمسلمين . وقد شجعني على ذلك أمور لمستها خلال رحلتيّ استطلاع قمت بهما قبيل القرار بالهجرة نهائيا وذلك خلال العام الذي سبق ذلك القرار . ومن أهم تلك الأمور:

انتقال الشيخ أسامة بن لادن ونخبة إدارته إلى أفغانستان ، وتبنيه أفكارا للمواجهة مع أمريكا وقناعات أمنية لتلك المواجهة ، ودعوته للأمة الإسلامية لجهاد أمريكا تحت شعار (إخراج المشركين من جزيرة العرب) . وتبنيه - أخيرا - أفكارا قريبة جدا من تلك التي نضجت عندي على مراحل منذ حرب الخليج 1990م وقد تبين لي ذلك من خلال عدة حوارات معه ومع بعض القريبين منه خلال زيارتي لهم سنة 1996م ورأيت في تبنيه لأفكار من هذا القبيل فرصة حقيقية لنقل المواجهة بالاتجاه الصحيح ، بما للشيخ أسامة من مكانة وتاريخ. ولما حباه الله من الخصال والإمكانيات والمواصفات

شخصية كرمز مكن لتلك المواجهة كما تصورت حينها. ورغبت بأن أساهم وأن أكون حاضرا في هذه المواجهة التي ستنطلق من أفغانستان . كما توقعت بعد لقائي بعدد من كبار طالبان أيضاً.

بدا لي واضحا أن أفغانستان سوف تكون مرة ثانية محجا للمجاهدين والمهاجرين في سبيل الله . وذلك بسبب العواصف الأمنية على الجهاديين في مختلف دول العالم والتي بدأت تزداد شراسة منذ 1995 . وكذلك بسبب نجاح طالبان في تكوين نواة دولة توفر ملجأ آمنا لهم . وتصورت أن مجتمعا جهاديا مناسبا سوف يتكون قريبا في أفغانستان ، وقد جذبني لأن أكون حاضرا فيه كي أساهم بالدعوة إلى هذه الأفكار التي آمنت بها.

بدا من رسوخ قدم الطالبان وحكمهم ، والمعاملة الحسنة التي لاقوا بها العرب المهاجرين إليهم ، أن إمكانية تنفيذ برامج للإعداد والتدريب والمشاركة العملية في القتال إلى جانب طالبان ، ستكون ممكنة من أجل إعداد نواة جيل المواجهة العالمية القادمة. إن يسر الله ذلك .

هذه الأسباب بالإضافة إلى أهداف خاصة و قناعات شرعية ذاتية بالهجرة إلى دار الإسلام الوليدة وتقديم العون لها جعلتني أجد السير في هذه الهجرة التي أقدمت عليها بكامل القناعة والعزم.

وفعلا وكما توقعت ذلك ، فقد تقاطرت الجماعات الجهادية ورموز الأفغان العرب وتنظيمات الجهاد وكثير من الأفراد إلى أفغانستان ، وازدهر ذلك خلال الأعوام (1998 – 2001) وبدا أن ما أسميته (**الشوط الثاني للأفغان العرب**) قد بدأ في أفغانستان. ونشط بشكل أذهل الأعداء وبعث الأمل من جديد في أوساط الجهاد وأنصاره في العالم العربي والإسلامي .. بحيث أصبح هذا الجمع من جديد أملا من آمال الأمة الإسلامية .. بل أكبر آمالها .

وأضفت الشعارات الملتهبة والنشاط الإعلامي الذي أطلقه الشيخ أسامة بشخصيته التاريخية في أفغانستان ، طابعا مميزا . ولعبت حدة ردة الفعل الأمريكية عليها وتسليط إعلامها الضوء عليها من أجل تبرير تطلعاتها في التواجد في المنطقة العربية والإسلامية ، والتجاوب الجماهيري الواسع في أوساط الأمة الإسلامية المقهورة ، وكذلك حرارة المواجهات الجهادية في بعض البؤر الأخرى إبان تصاعد الأحداث في أفغانستان ، مثل ما حصل من اشتعال الإنتفاضة في فلسطين ، واشتداد حدة المعارك في الشيشان في نفس الوقت بالإضافة إلى صفاقة الهجمة الأمريكية وعدائها المعلن ونواياها بتصفية الإمارة الإسلامية وإسقاط حكومة طالبان ، والحشد الدولي الذي حشدته في عملية الحصار الاقتصادي والسياسي والإعلامي ضد أفغانستان وضد الجمع الجهادي الأممي الذي تشكل في كنفها . أضفى كل ذلك على الوسط جوا ملائما عندي لنضوج أفكار من قبيل التي في هذا الكتاب . وبدا أن بعض الجهاديين من القدماء قد توصلوا لقناعات قريبة من ذلك .

وليس هنا محل استعراض تاريخ وأحداث تلك المرحلة ، وذلك الجمع الهام جدا على مستوى تاريخ الجهاد في العصر الحديث . وأجدني راغبا جدا في الكتابة عن تلك المرحلة الهامة العاصفة ، ولعل الله ييسر لي ذلك من أجل تغطية أحداث ما مر معنا على صعيد الأفغان العرب منذ نشأة طالبان وقدومنا إليهم 1996 ، وإلى ما بعد أحداث الحادي عشر من سبتمبر 2001 ، ودور ذلك التجمع في تلك المرحلة وما بعدها إن يسر الله لي ذلك.

ولن أعرض هنا لتفاصيل كثيرة من ذلك وإن كانت هامة ، إلا لما يتعلق منها بأفكار هذا البحث وتطورها وسط تلك التجربة . وما يهمني من ذلك هنا هو ما يلي :

بدا لي واضحا من خلال عدد من اللقاءات والمناقشات التي شرحت فيها معظم أفكار هذا الكتاب لعدد من قيادات التيار الجهادي والمشرفين على جماعات جهادية كانت موجودة في الساحة هناك . أو آخرين وفدوا أفغانستان من أجل إنشاء جماعات جهادية على نموذج تلك القائمة بنفس الأسس والمفاهيم الفكرية والحركية التقليدية للجهاديين . بدا أن عمومهم ممتلئ قناعة بالأهداف التي رسموها لأنفسهم ، والتنظيمات والأسس التي أقاموا عليها أعمالهم !. وأنهم غير مستعدين لإحداث أي نقلة جوهرية للتفكير والعمل على أسس جديدة . وأن الفكرة التي فارقتهم عليها سنة 1990 ، ما تزال سائدة عندهم !! وهي (<u>إنشاء تنظيمات سرية قطرية ، تريد إحداث ثورات شعبية ، أو أعمال عصابات من أجل الإطاحة بحكومات بلادها ، وإقامة حكومات إسلامية على أنقاضها !!)</u> . وكل ما تبتغيه تلك التنظيمات من أفغانستان – من جديد - هو أنها محطة إنشاء وتدريب وحشد ، أو ملاذ آمن لكوادرها وعناصرها، فرارا من الهجمة الدولية لمكافحة الإرهاب ، مع قناعات تتفاوت عندهم من حيث القناعة بالإمارة الإسلامية ودار الإسلام الناشئة في أفغانستان ، وشرعية أمير المؤمنين ... حيث تتدرج القناعات من الإنعدام التام عند بعض من ينسبون أنفسهم إلى (السلفية) ! ، إلى القناعة التامة عند البعض . أما المعركة العامة مع الهجمة الصليبية اليهودية فلم يبد أنها تشكل هما عمليا لتلك التنظيمات إلا على صعيد التعاطف العام مع قضايا المسلمين . **ولم يستطع الشيخ أسامة والقاعدة أن يزحزحوا تلك التنظيمات ، ولا معظم الشباب الذي قدم لهذه الأهداف عن قناعاتهم تلك من أجل تبني قناعاته بأن المعركة قد أصبحت مع أمريكا فحسب. إلى أن جاءت هجمة أمريكا على الإمارة وتداعيات أحداث سبتمبر فأقنعت أمريكا الكل بترك أهدافهم والتفرغ لحربها .** من ناحية أخرى رأيت تفهما وقناعة بالأفكار التي سأفصلها في هذا الكتاب من قبل بعض قدماء الإخوة من المستقلين عن التنظيمات ذات الأهداف القطرية.

بدا لي أن الجهة الوحيدة التي تقيم كثيرا من جوانب عملها الحركية على أسس شبيهة بالأفكار التي اقتنعت بها ، هي تنظيم الشيخ أسامة بن لادن (القاعدة) فهم قد أدركوا – ولاسيما الشيخ أسامة ، ونائبه أبو حفص رحمه الله – أن زمن التنظيمات القطرية المحلية قد ولى ، وأنه لا يصلح

للمرحلة القادمة . وأن الواجب هو : حشد الأمة على مواجهة العدو الخارجي ممثلا بأمريكا والتركيز على شعار إخراجهم من جزيرة العرب ودمج هذا ببعد الصراع مع اليهود حول فلسطين والأقصى . وببعد دفع عدوان أمريكا على عموم المسلمين . وهو ذات ما كنت قد توصلت إليه سنة 1990 ، وسجلت فيه عددا من المحاضرات والكتابات منذ ذلك الوقت .

ثم و بعد دراسة كل الإمكانيات المتاحة لي للعمل والعطاء ، أسست معسكرا ومجموعة عملت بشكل مستقل مثل كافة التجمعات والتنظيمات العربية الأربعة عشر التي اعترف بها طالبان . وتعاملتُ مباشرة مع أمير المؤمنين . و بدأت من خلال مركز اتخذته في معسكر أنشأته في إحدى القطعات العسكرية التابعة لطالبان ، ومن خلال عشرات اللقاءات التي عقدتها في بيتي أو في بعض الأمكنة الأخرى ، في بث هذه الأفكار وتطويرها. وأظن أن الفكرة قد تبلورت عبر تلك النشاطات حتى وصلت إلى الصورة التي سأعرضها في هذا الكتاب.

وكان من أهم تلك الدورات التي اشتملت على تفاصيل هذه الأفكار من الناحية الأيدلوجية والحركية ، تلك التي سجلتها ونشرتها في أوساط المجاهدين العرب وبعض المجاهدين من وسط آسيا، وهي حسب تسلسلها الزمني كما يلي:

أولاً : (واقع المسلمين الأزمة والمخرج) وهي في 7 أشرطة (90 دقيقة) .
ثانياً: (الجهاد هو الحل، لماذا ؟ وكيف؟) وهي في 21 شريط (90 دقيقة).
ثالثاً : (المقاومة الإسلامية العالمية) وهي في 10 أشرطة (90 دقيقة).
رابعاً : (سرايا المقاومة الإسلامية العالمية :الدعوة – الطريقة –المنهج) وقد سجلت على 6 أشرطة فيديو (3 ساعات) أي نحو 16 ساعة .

وأهم هذه المحاضرات من حيث شرح الدعوة والطريقة هي أشرطة الفيديو، وقد سجلت بتاريخ 20 أغسطس 2000م . وأما أوسعها من حيث المقدمات الفكرية والسياسية الشرعية ، فهي مجموعة محاضرات (الجهاد هو الحل). وقد سجلت في سبتمبر 1999م في معسكرنا الذي دعوته (معسكر الغرباء) والذي أقيم في قاعدة (قرغة) العسكرية التابعة لطالبان قرب كابل.

كما تبعثرت كثير من أفكار هذه المادة في نحو 60 شريط كاسيت في مختلف المواضيع عبر دروس ألقيتها خلال تلك الفترة ، وكذلك في خمسة أبحاث تقع في نحو 500 صفحة نشرتها آنذاك . وكذلك من خلال مجلة غير دورية أصدرتها بعنوان (قضايا الظاهرين على الحق).. حيث كان هذا مجمل الإنتاج الفكري الذي قدمته خلال الفترة (1997 - 2001م).

ورغم الجهود التي بذلناها – مجموعة معسكر الغرباء - فقد حالت الظروف العامة المتعلقة بوضع المجاهدين العرب والطالبان في أفغانستان ، ثم ما تلا من تداعيات سبتمبر

وسقوط الإمارة . دون أن أضع هذه الأفكار موضع التنفيذ ، وهو ما حاولته فعلا منذ إنشاء المعسكر .إلا أني أعتقد أنه قد كان في هذا الإنتاج المفصل عرضا وافيا لتلك الأفكار التي اقتنعت بضرورتها لوضع منهج وأسلوب عمل جديد ، من أجل هذه المواجهة العالمية التي نخوضها . ولعل الله يتيح لنا فرصة فنستأنف المسير ،وهو ما أفعله الآن ، وأول ذلك نشر هذا الكتاب . أو يعيننا على تسليم هذه الراية لمن يقيضهم لها من بعدنا من المجاهدين في سبيله على طريق الظاهرين على الحق في هذا الزمان إن شاء الله . فيكون في مثل هذه الكتابات أداء لجزء من أمانة..

وفيما كنت أحاول وضع كتاب يجمع هذه الأفكار بصورتها النهائية في كابل ، جاءت أحداث سبتمبر 2001م وما تلا من تداعياتها في أفغانستان وباكستان.. لندخل في سياق الحدث. ولينتهي بنا المطاف حاليا في مرحلة الشتات والتشريد والاختفاء ... حيث أضع اللمسات الأخيرة لهذا الكتاب الآن ، في مخبأنا الجبلي الجميل .

المرحلة الخامسة : باكستان (2002م – 2003م) تداعيات أحداث سبتمبر 2001م

زادتني تداعيات أحداث الحادي عشر من سبتمبر 2001 ، وزخم ردة الفعل الأمريكية والهجمة الغربية الصليبية المبرمجة مع التوجه اليهودي العالمي المتعاون مع قوى الردة وأجهزة النفاق في عالمنا العربي والإسلامي ، زادتني بل ملأتني قناعة بما كنت قد توصلت إليه من أفكار حول أسلوب المواجهة اللازم لهذه الحرب العالمية . التي بدأت بقيادة أمريكا للنظام العالمي الجديد وحملتها الصليبية مع التحالف الدولي في مطلع 1991 على جزيرة العرب والعراق ، والتي تدرجت حتى انفجرت و استعلنت بعد أحداث 11 سبتمبر بكل صفاقة ، لتشمل كافة العالم العربي والإسلامي ، بل كافة المعمورة كساحة حرب مع الإسلام والمسلمين حيثما وجدوا . ضمن برنامج اجتثاث شامل قائم على المفهوم الصليبي اليهودي لصراع الحضارات الذي تبنته أمريكا والغرب الذي يلهث وراءها .

وقد أصبحت شواهد ذلك في وسائل الإعلام مادة يومية ، حتى على لسان الأمريكيين أنفسهم . وكم تعجبت من صراحة (جفريي سترايبرغ) وهو صحفي ومحلل سياسي من الحزب الديمقراطي في أمريكا ، في مقابلة خطيرة الفحوى ، أجراها مع الفضائية السورية في (شهر يوليو 2002م) وكان من خلاصة ماجاء فيها :

(أن هناك كارثة مقبلة على أمريكا والبشرية بسبب السياسات التي يتبناها الحزب الجمهوري بزعامة بوش ، والتي تتضمن مبدأ صراع الحضارات الذي بُني على فلسفات (كيسنجر) و(هينينغتون) و(نيكسون) وغيرهم. وأنهم يبنون أفكارهم على مبدأ سيطرة العنصر الأبيض

المسيحي على الملونين في الأرض . و يعتقدون أنه قد حان الوقت لقيام إمبراطورية عالمية بزعامة أمريكا ، وأنهم يخططون في سبيل ذلك لوقف التقدم الصناعي للدول النامية ، ولنشر الأوبئة والأمراض من أجل التطهير العرقي للقضاء على 80% من السكان غير البيض في الأرض !

وأن القضية أكبر من مسألة إزاحة الحكومة العراقية ، أو زعم إحلال الاستقرار في الشرق الأوسط . وقال بأن الولايات المتحدة على أعتاب انهيار مالي واقتصادي عالمي ، بسبب نشاطها العسكري العدواني في كثير من المناطق . وأن بوش يحاول أن يمنع إفلاس الشركات الأمريكية الكبرى . فسن من أجل ذلك تشريعات اقتصادية غير مدروسة العواقب ، ووضع الضرائب والرسوم على الاستيراد حتى من الدول الحليفة لأمريكا . فأوجد مشاعر هستيرية ضد أمريكا في الدول الأخرى... ، وختم قوله بأن هناك كارثة مقبلة بسبب سياسات بوش ستحل قريبا بأمريكا والعالم ، خلال أسبوع .. أو خلال سنة أو أكثر أو أقل .. المهم أنها قريبة .)

إن شواهد ما يحدث اليوم تدعم إلى حد كبير التوصيف الذي عرضناه لطبيعة المواجهة بيننا وبين الروم المعاصرين بقيادة أمريكا ، بحيث لم تعد تحتاج الدعوة إلى المقاومة وفق هذه التصورات ، إلى أي عناء من أجل الإقناع . فقد قام العدو وحلفاؤه بتقديم كل الشواهد والدوافع اللازمة لإحداث القناعة بالمقاومة ، حيث قدمها بكل شراسة وعدوانية. بحيث تحمل أكثر الشرائح مسالمة وقعودا في الأمة الإسلامية على التفكير في المواجهة، مما يسهل والله أعلم مهمة الداعين إلى الجهاد والمقاومة العالمية الشاملة ضد هذا العدو.

أثبت الواقع الجديد - الذي سأفصله في هذا البحث - بل فرض اتجاه المعركة الوحيد. وعدم جدوى بل عدم إمكانية الاتجاه بإحداث صراعات جهادية قطرية محدودة . لقد تدولت المعركة بعد سبتمبر2001 وغزو أفغانستان ثم العراق 2003 واستعداد العدو لما بعدها ، حيث فرض العدو نفسه على كامل ساحاتها دفاعا عن وصالحه وحلفائه . هذا ناهيك عن تحطم أو تفكك معظم إن لم يكن كافة البنى والتنظيمات الجهادية المحلية بسبب هذه الحملة الطاغية ، والإمكانيات غير المتكافئة نهائيا لأطراف المعركة . وأظن أن في هذا الواقع الجهادي الجديد ما يغني عن كثرة النقاش لإقناع من تبقى من الكوادر والكيانات الجهادية بضرورة تغيير طريقة التفكير والعمل وفق الاتجاه الجديد للمعركة .

أحدث لديَّ التفكير في إرهاصات وتداعيات أحداث سبتمبر تطويرا محدودا ومهما على بعض الأفكار سأثبتها خلال البحث في مناسباتها مشيرا إلى ذلك إنشاء الله .

أعتقد باختصار أن أحداث سبتمبر وما تلاها من أحداث عالمية قد أدخلتنا ربما في تسلسلات أحداث الملاحم والفتن التي أخبرنا عنها رسول الله صلى الله عليه وسلم والله أعلم . وهاهو العالم يسير نحو أن يمتلئ جوراً وظلماً بإشراف أمريكا وأسيادها اليهود وحلفائهم من الصليبيين والمرتدين

والمنافقين. **وهاهم المؤمنون المجاهدون غرباء مشردون في الأرض لا يجدون ملجأ يؤون إليه،يفرون بدينهم من قرية إلى أخرى ، تماما كما أخبر صلى الله عليه وسلم . وقد تكون الأمور تسير نحو انحصار الثلة المؤمنة.** وفي كثير مما يجري شواهد قد أخبرت بها آثار السنة بل وحتى بعض الآثار الواردة في بعض كتب أهل الكتاب .. وها هو ميزان القوى يختل بشكل صارخ بيننا وبين أعدائنا ، ابتلاء للثلة المؤمنة وفتنة للزائغين عن هدي شريعة الله من المنتسبين لهذا الدين . بحيث تمتلئ الأرض جورا وظلما وتتداعى الأحداث نحو ظهور المهدي عليه السلام ليقود مسيرة المواجهة وليملأ الأرض قسطا وعدلا بعد أن ملئت جورا وظلما. وقد تكون الخيارات أمام العصبة المؤمنة الآن محصورة بالصبر والصمود والتضحية والثبات والتقدم بإيمان ورسوخ قدم نحو الأخدود. وأن علينا الثبات حتى نكون أو ذرارينا المصابرة تحت راية القسط والعدل بعد ذلك وفي وقت ليس ببعيد إن شاء الله. ولكن فريضة الجهاد الماضية إلى قيام الساعة . واستمرارية الطائفة الظاهرة على الحق تقاتل على هذا الدين منصورين لا يضرهم من خذلهم ولا من خالفهم حتى يقاتل آخرهم المسيح الدجال ، هو أمر ثابت في ديننا. فإذا كان علينا أن نسعى أن نكون من هذه الطائفة ونتابع حمل الراية وتسليمها من جيل إلى جيل، ومن طائفة إلى طائفة ، فإني أعتقد أن الخيارات العملية قد أصبحت محصورة بحكم الوضع القائم لدينا ، بحيث أنه لم يعد أمامنا إلا المقاومة بحسب طرق من قبيل هذه التي سأطرحها في هذا الكتاب . سعيا إلى قيام (**مقاومة إسلامية عالمية**) شاملة لهذا العدوان . وأن الأمر أكبر من أن يقع على عاتق النخبة من هذه الأمة .

لقد كان الهجوم المظفر للشهداء الأبرار التسعة عشر على عقر دار الكفر والطغيان أمريكا . وذلك بضربها في صميم منشآتها الاقتصادية والعسكرية .عملا جبارا وتاريخيا بكل المقاييس .. فرحمهم الله وأجزل مثوبتهم ومثوبة كل من أعد وساعد في إخراج وتنفيذ هذا العمل القدري الفذ. **وبصرف النظر عن بعض الحيثيات المتعلقة بملابسات إطلاق الحدث ، والظروف التي سبقته خاصة في أفغانستان ، على صعيد طالبان ، وعلى صعيد التجمع الجهادي العربي في أفغانستان. وكذلك بصرف النظر عن تداعيات الحدث وطبيعة المواجهة التي حصلت من بعده وطريقة إدارتها، لاسيما في أفغانستان ومن ثم باكستان . وهي حيثيات جديرة بالبحث والتأريخ واستخلاص العبر والدروس . وهي أمور لا محل لتفصيلها هنا لخروجها عن موضوع هذا الكتاب ، وسيأتي بعض أطرافها في ثنايا هذا الكتاب إن شاء الله. بصرف النظر عن ذلك ... يمكن القول بأن توجه الشيخ أسامة بن لادن حفظه الله قد وضع المعركة بهذا الشكل في مسارها الصحيح . وذلك بفرض المواجهة بيننا وبين عدونا الحقيقي الداعم من وراء الستار لكافة أعدائنا ، في كل ساحات المواجهة التي نخوضها ، بدءا من صراعنا مع اليهود في فلسطين ، ومروراً بكل مواجهاتنا مع حكامنا المرتدين المدعومين من قبل أمريكا وحلفائها. فجزاه الله خيرا .**

والأمر ذو العلاقة بين تداعيات سبتمبر وأفكار كتابنا هذا، هو أننا إذا سلمنا بهذه المقدمة عن حرب واقعة ومفروضة من العدو علينا ، فسنسلم إذا وفق مقتضيات ديننا الحنيف بأن علينا المواجهة. وأن جهاد الدفع قد صار فرض عين على المسلمين ، كما قال تعالى : ﴿ وَقَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَكُمْ وَلا تَعْتَدُوا إِنَّ اللَّهَ لا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ ﴾ (البقرة:190) ، وقال تعالى : ﴿ وَاقْتُلُوهُمْ حَيْثُ ثَقِفْتُمُوهُمْ وَأَخْرِجُوهُمْ مِنْ حَيْثُ أَخْرَجُوكُمْ وَالْفِتْنَةُ أَشَدُّ مِنَ الْقَتْلِ ﴾ (البقرة: 191). فإذا كنا سنواجه ، فلابد من خسائر في هذه الحرب العالمية . ويجب أن يكون واضحا أمام من يريد الجهاد ، أن من أهم ذلك مسألة (اختيار أسلوب المواجهة) . فإما أن ندخل المعركة وفق تصورات العدو باستنزافنا جزئيا هنا وهناك ، وتحطيم طاقاتنا بالصراع مع الحكام المرتدين ومن تبعهم من المنافقين والمكرهين والجاهلين من جيوشهم ورجال أمنهم .. وهذا ما فعلناه عبر أكثر من ثلاثين سنة ، وعبر عشرات التجارب الفاشلة الباهظة التكاليف . وإما أن نوجّه المعركة نحو العدو الأساسي والمحرك لكل أعدائنا المحليين ، وأعني الثالوث الخبيث (إسرائيل – أمريكا – أوروبا الناتو). ولا شك الآن ، أن المنطق والواقع يثبت أن التوجه لهؤلاء أجدى . ويتضمن تبعا إقناع المسلمين بحرب الحكام المرتدين وطابور النفاق معهم الموالين لهؤلاء الكفرة الغزاة ، لأنهم سيدخلون المعركة إلى جانب أمريكا واليهود بحكم واقعهم وحرصهم على عروشهم . فالمعركة مع اليهود وأمريكا وأوروبا الناتو مفروضة ، ولا بد من تحمل نتائجها كما قال الشاعر :

إذا لم يكن من الموت بد فمن العار أن تموت جبانا

فباختصار :

إن حرب المسلمين اليوم مع اليهود وأمريكا وأوروبا الناتو ، وحلفائهم المرتدين والمنافقين في بلادنا، سيكون ثمنها فادحا ، في أمة طال رقادها ، وطال قعودها ، وطال انغماس أكثرها في الدنيا ، وطال دبيب الوهن من حب الدنيا وكراهية الموت في أوصال خاصتها وعامتها ، وطال ركون أكثر علمائها على موائد سلاطينها .

ولابد أن نبضة الحياة ، وميلاد النهضة سيتبعه مخاض عسير، فلا يهولن الثمن أمة وشبابا قال الله تعالى لهم :

﴿ إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَى مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنْفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ بِأَنَّ لَهُمُ الْجَنَّةَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ وَعْداً عَلَيْهِ حَقّاً فِي التَّوْرَاةِ وَالْإِنْجِيلِ وَالْقُرْآنِ وَمَنْ أَوْفَى بِعَهْدِهِ مِنَ اللَّهِ فَاسْتَبْشِرُوا بِبَيْعِكُمُ الَّذِي بَايَعْتُمْ بِهِ وَذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴾ (التوبة:111) .

ومع ذلك لا بد من القول تنبيها على واقع يحتاج إلى وضع أسس تفصيلية عقدية وعسكرية وإعلامية وحركية لهذه المواجهة . كي تدخلها الأمة بأفضل الصور :

لقد أحسن الشيخ أسامة اختيار طبيعة المعركة وتحديد العدو. فقد وُفق - بحسب رأيي - لاختيار مفتاح الصراع والمواجهة . كما أحسن القائمون على تنفيذ هجمات سبتمبر صناعة صاعق الانفجار، وابتدءوا المعركة بهجوم ظافر كبد العدو خسائر فادحة، وجعل المسلمين يبتدئون المبادرة المذهلة. إلا أني أعتقد أن الأمة الإسلامية بكامل طاقاتها ما تزال غائبة عن المعركة، رغم أنها هي المعنية أساسا بهذا الجهاد ومادته ... وأن ساحة المواجهة ما تزال معطلة ، إذ أن ساحتها الحقيقية هي بلاد المسلمين ، حيث نزلت مختلف أشكال صائل اليهود والنصارى وأعوانهم من المرتدين والمنافقين . وأن على المشرفين على الصحوة الجهادية لهذه الأمة من الجهاديين جميعا أن يعملوا بقول الله تعالى : ﴿ فَقَاتِلْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ لا تُكَلَّفُ إِلَّا نَفْسَكَ وَحَرِّضِ الْمُؤْمِنِينَ عَسَى اللَّهُ أَنْ يَكُفَّ بَأْسَ الَّذِينَ كَفَرُوا وَاللَّهُ أَشَدُّ بَأْساً وَأَشَدُّ تَنْكِيلاً ﴾ (النساء:84) ليقوم المؤمنون – كل المؤمنين - بمهمة الدفع الأساسية.

<u>لقد أُحسن اختيار اتجاه المعركة، ولكن لا يزال أمامنا الكثير من الجهد في مجال الدعوة والبيان وتحريض المؤمنين ، لوضع المعركة إدارة وتنفيذا في ميدانها ومجالها الصحيح</u>، كي نستعيد زمام المبادرة الذي استردته أمريكا بعد أحداث سبتمبر. وما زال في يدها إلى الآن ..

ومهما يكن من أمر المواقف والآراء في الصف الإسلامي و الجهادي من أحداث سبتمبر، فإن من المسلم به أنها قد أوجدت واقعا جديدا، يشكل بفعل الهجمة الأمريكية حملة طاغية تحتاج منا إلى مواجهة . وصرف الاهتمام لذلك . وهو خير ولا شك من إضاعة الوقت ، في التلاوم وتجاذب الآراء حول الأحداث وملابساتها وفاعليها. فقد وصلت المعركة لأن تكون معركة مصير نكون معها أولا نكون .

المرحلة السادسة: ؟؟؟؟؟؟ (2003م – 2004م)

احتلال أمريكا للعراق والحملة الصليبية الصهيونية على الشرق الأوسط:

ثم حصل ما هو معروف من زحف الأمريكان وحلفائهم الإنجليز على العراق . حيث نفذوا فيها خطة شبيها بالذي فعلوه في أفغانستان . واستطاعوا في مدة قياسية تدمير الجيش العراقي وتفكيك وحداته ، ودخول بغداد التي كان من قدرها أن تسقط للمرة الثانية تحت سنابك المغول . المغول الجدد من الروم المعاصرين الذين لم يكونوا أقل بربرية من أسلافهم الذين قدموا مع (هولاكو).

وموضوع هذه الحملة واحتلال العراق وإرهاصاته وتفاصيل يومياته والغوص في تحليل أحداثه ودروسه ، موضوع كبير ليس محله هذا الكتاب . ولكني ألفت النظر إلى ماله علاقة بتبلور أفكار كتابنا هذا وما سأطرحه فيه من نظريات عمل جهادية من أجل قيام (مقاومة إسلامية عالمية) وأهم ذلك في نقاط موجزة:

أهم أسباب انتصار الأمريكان في (أفغانستان / العراق):

الاعتماد على قوى عميلة محلية تعمل بإمرتها على الأرض .

الاعتماد على عزل البلد الفريسة عن جواره ، وتحييد ذلك الجوار ، أو الاعتماد عليه كنقطة انطلاق تقدم الخدمات اللوجستية لقواتها.

الاعتماد على التفوق الجوي والصاروخي الساحق في تدمير كل هدف معادٍ على الأرض . في ساحة الحدث..

الاستعداد لارتكاب المجازر في المدنيين من أجل تحقيق الأهداف العسكرية والضرب بكل أشكال الرأي العام بعرض الحائط.

تجاوز المجتمع الدولي وكل رأي معارض وإخضاعهم لبرنامجها بالترغيب أو الترهيب أو الإهمال ، بعد أن أصبحت أمريكا فعلا قطبا أوحدا في الدنيا ، تتحكم في سياسات الدول وتخضعها لمصلحتها.

تحول الشعوب الإسلامية إلى مجرد مشاهدين للأحداث عجزة ، بعد أن أخرجهم حكامهم وعلماؤهم من دائرة الصراع والفعل .

تبع انتصار أمريكا في أفغانستان وقضائها على القوة العسكرية لطالبان ولفصائل المجاهدين العرب والمسلمين من القاعدة وغيرها في أفغانستان ، وكذلك انتصارها في العراق ، مطاردة عسكرية وأمنية لكل بؤرة يتوقع منها المقاومة للوجود الأمريكي عاجلا أم آجلا . وكان من أهم ذلك تدمير مواقع جماعة أنصار الإسلام الكردية في منطقة (خور مال) شمال شرق العراق على الحدود الإيرانية ، باستخدام نفس الطريقة التي دمرت بها مواقع القاعدة والمجاهدين العرب في (طوره بوره) في أفغانستان . وذلك بالقصف الجوي والصاروخي العنيف والمركز . وزحف الميليشيات الكردية المحلية العميلة للقضاء على من تبقى من المجاهدين على الأرض . ثم أسر من يمكن أسره من الناجين عبر الحدود في الدولة المجاورة من خلال الاتفاقات والمؤامرات الدولية.

وكذلك تم تدمير وتصفية مواقع تجمعات جهادية في (جبال حطاط) في اليمن بالاعتماد على الجيش والأمن اليمني عن طريق القصف الجوي ، ثم الزحف على المواقع .

ثم تابعت أمريكا هذه الطريقة في كل بؤرة علنية يجتمع فيها مجاهدون مناوئون لأمريكا . و بالإضافة لهذا اعتمدت أمريكا نهج المطاردات الأمنية التي صفت من خلالها تنظيمات وخلايا سرية جهادية أخرى في أماكن كثيرة ، بالتعاون مع أجهزة الأمن المحلية كما حصل في السعودية والمغرب و إندونيسيا وبعض دول شرق آسيا.

وقد أكد لي تحليل هذه التجارب التي عايشتها ميدانيا في أفغانستان بعيد سبتمبر 2001م ، وتقصيت ماجرى بعد ذلك عبر المتابعة المركزة المستمرة ؛ ما كنت قد توصلت إليه من أفكار ونظريات المقاومة عبر السنوات العشر الماضية والتي ضمنتها هذا الكتاب وخلاصة ذلك - والله أعلم - :

أولاً : لا يمكن المواجهة مع أمريكا أو أي من حلفائها عسكريا بصورة مكشوفة طالما توفر لديها هذه السيطرة التامة على الأجواء بهذه القدرات التكنولوجية الساحقة ، خصوصاً مع وجود قوى عميلة تعمل بإدارتها على الأرض ، وتحاصر تلك البؤر الجهادية ، وتشارك في الزحف عليها .

وقد أثبتت (طوره بوره - أفغانستان) 2001م و (خورمال - العراق) 2003م و (جبال حطاط - اليمن) 2003م ... ثم ما يجري في الفلوجة وأنا أصحح هذه السطور (نوفمبر 2004م) ، ما كان قد ثبت ذلك في تجارب المواجهة المكشوفة للعصابات المجاهدة في (حماة / سوريا) 1982م ، و(طرابلس ، وتل الزعتر – بيروت - لبنان) 1982م و(النبطية - لبنان) 2000م .. مع أن المجاهدين واجهوا في تلك التجارب جيوشاً بقدرات محلية، فما بالك بالطاقة العسكرية الأمريكية؟ ومسألة عقم المواجهة المكشوفة ، من قبل

العصابات للجيوش النظامية المتفوقة ، أمر معروف قد بحثته معظم كتب حروب العصابات الدراسية.

ثانياً : لا يمكن للتنظيمات السرية مواجهة النظم الأمنية المحلية للحكومات العميلة، بعد قيام التنسيق الأمني على مستوى إقليمي ودولي في ظل ما بات يعرف بالحرب العالمية على الإرهاب ، وبإدارة وإشراف أمريكا . خاصة من خلال إتباع الأساليب الكلاسيكية القديمة للتنظيمات السرية القطرية ذات البناء الشبكي الهرمي.

ثالثاً : وحيث لا مناص ولا مندوحة عن المقاومة ؛ فإن الأسلوب الوحيد للمواجهة الذي يطرح نفسه في ظل هذا الواقع ، هو أسلوب حرب العصابات السرية ذات الخلايا غير المترابطة . الخلايا المتعددة الكثيرة . وهذا ما تبدو ملامح نموذج عنه واضحة في أعمال المقاومة العراقية - متعددة الأطراف - للقوات الأمريكية. وما أثبتته الإنتفاضة المسلحة في فلسطين وغير ذلك من حروب العصابات المدنية في العالم. وهذا ما حاولت الاستفادة من خلاصته وإضافتها في محلها في سياق فصول هذا الكتاب. الذي يطرح نظريات لتفعيل دعوة للمقاومة الإسلامية العالمية .

وفي نهاية هذا التقديم أقول:

لقد دفع كثيرون من شباب الصحوة والجهاد ، ممن نعلمهم ومن لا نعلمهم الثمن باهظاً في كل مكان وطالهم القتل والأسر والتشريد عبر نحو نصف قرن من الزمن قبل أحداث سبتمبر ، وهم خلاصة أمة الإسلام في هذا العصر وأما بعد هجمات سبتمبر .. فقد استشهد الأبطال التسعة عشر وافتتحوا المعركة باتجاهها الجديد ، فرحمهم الله ورفع درجاتهم وجمعنا وإياهم في عليين

ولقد دفع أمير المؤمنين في أفغانستان الملا محمد عمر والمخلصون من مجاهدي الطالبان الثمن فادحاً ، كي يحافظوا على أمانتهم ، ويقوموا بواجبهم في حفظ الإسلام والمسلمين وعدم الرضوخ لتهديدات العدو. وأخذوا بحظهم من القتل والسجن والتشريد . ودفعت أفغانستان وشعبها كاملاً الثمن معهم . فتقبل الله منهم وغفر لنا ولهم ..

ولقد قدمت القاعدة كثيراً من رجالها ثمنا لبدء الجولة الحاسمة ، ودفع الشيخ أسامة وأعوانه الثمن باهظاً وأخذوا بحظهم من القتل والأسر والتشريد . تقبل الله منهم وغفر لنا و لهم . وجمعنا وإياهم في مستقر رحمته ..

ولقد قُتل كثير من كوادر وشباب الجماعات الجهادية العربية في أفغانستان في معركة الدفاع عن الإمارة الإسلامية وفي التصدي للهجمة الأمريكية العمياء على أفغانستان ، ودفع ذلك الرهط

المبارك الثمن باهظا ، وأخذوا بحظهم أيضا من الأسر والقتل والتشريد ، وهم نخبة التيار الجهادي وطليعته . تقبل الله منهم وغفر لنا ولهم وجمعنا وإياهم مع الذين أنعم الله عليهم ..

فلأي هدف ؟ ولأي مقابل ؟ و لم كان هذا العناء كله..؟

لقد كان الهدف هو إيقاظ الأمة المخدرة النائمة ، المغيبة عن ساحة المواجهة ، لوضعها أمام هذه الفريضة وجها لوجه .

وفي هذا البحث الذي قدمت له بهذا التقديم ، نحاول أن نعطي دفعة، وأن نضع خطوة على طريق المهمة الكبرى ؛ وهي وضع أسس تساهم في دفع الأمة كي تأخذ بدورها في هذه المعركة القادمة .

وإني مقتنع بأن النصر بيد الله . وان من أوائل أسبابه التي يجب أن نوفرها:

العمل على تحويل هذه المواجهة لتكون معركة امة بعد أن أشعلتها النخبة .

لقد قام التيار الجهادي عبر عقود أربعة بالامتثال لأمر الله تعالى: ﴿ فقاتل في سبيل الله لا تكلف إلا نفسك ﴾ ويجب على من وقعت عليهم مسؤولية الكلمة وأمانة العلم والقلم أن يؤدوا أمر الآية الثاني ﴿ وحرض المؤمنين ﴾ ، كل ذلك ﴿ عسى الله أن يكف بأس الذين كفروا ﴾ .

نعم : نحن نمر الآن بأصعب الظروف ، ونعيش قمة البلاء... لقد قتل خيرة إخواننا ، وأسر نخبة شبابنا، وتشردت بقيتنا تتخطفها الذئاب الخائنة المتربصة من حكومات الردة وأعوانها ومخابراتها وعملاؤها المنافقين هنا وهناك . ولكننا نعلم علم اليقين أن الله ناصر دينه وحزبه لا محالة ، وأن بشرى انتصارنا وصولا إلى فتح روما حاصل كما بشر رسوله صلى الله عليه وسلم لا محالة .

ولعل المنكوسين من أبناء أمتنا لا يصدقون هذه الحقائق الشرعية ، والبشائر النبوية ، ولكن قيادات أعدائنا وكبار أحبارهم ورهبانهم يعرفونها كما يعرفون أبناءهم . وهم يجمعون الجموع الآن محاولة منهم لتجنب هذا المصير. محاولة الطفل الذي يحاول أن يحجب نور الشمس بكفه الصغيرة .

إنه جهد الذين ﴿ يُرِيدُونَ أَنْ يُطْفِئُوا نُورَ اللَّهِ بِأَفْوَاهِهِمْ وَيَأْبَى اللَّهُ إِلَّا أَنْ يُتِمَّ نُورَهُ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ ﴾ (التوبة:32)

إنهم يعرفون أن نجم حضارتهم قد أفل ، وأن شمس حضارتنا قد بزغ فجرها .

فرحم الله شهداء المجاهدين في كل مكان فقد أعذروا ..

ورحم الله أسرى المسلمين وفرج عنهم فقد أعذروا ..

وأعان الله كل مشرد في سبيله ممن أبلوا وأعذروا ..

وتقبل الله من كل الذين ساعدوا وآووا ونصروا ..

وليسمعها منا كل محب مناصر يبهجه نكاية أعداء الله .. وليسمعها أيضا كل منكوس مرجف لا يؤمن بموعود الله..

وليسمعها القاعدون الجبناء الذين لا يريدون للرجال من هذه الأمة أن يتصدوا لأعداء الله حتى لا يتعكر صفو سكون المراغة التي يتلبطون فيها بين أوحال الدنيا . وفي طليعتهم علماء النفاق وفقهاء البنتاغون ..

وليسمعها كل أعدائنا ومن خلفهم ومن أمامهم ومن معهم :

فليس بيننا وبين أعدائنا .. كل أعدائنا من اليهود والنصارى وحلفائهم الكفار، وأعوانهم من المرتدين والمنافقين في بلادنا إلا قول الله تعالى :

﴿ فَإِذَا لَقِيتُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا فَضَرْبَ الرِّقَابِ حَتَّى إِذَا أَثْخَنْتُمُوهُمْ فَشُدُّوا الْوَثَاقَ ...﴾ ،

﴿ وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ وَمِنْ رِبَاطِ الْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِ عَدُوَّ اللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ وَآخَرِينَ مِنْ دُونِهِمْ لا تَعْلَمُونَهُمُ اللَّهُ يَعْلَمُهُمْ وَمَا تُنْفِقُوا مِنْ شَيْءٍ فِي سَبِيلِ اللَّهِ يُوَفَّ إِلَيْكُمْ وَأَنْتُمْ لا تُظْلَمُونَ ﴾ .

فإلى كل مبلغ عنا أمريكا ومن في حِلفها:

﴿ ارْجِعْ إِلَيْهِمْ فَلَنَأْتِيَنَّهُمْ بِجُنُودٍ لا قِبَلَ لَهُمْ بِهَا و لَنُخْرِجَنَّهُمْ مِنْهَا أَذِلَّةً وَهُمْ صَاغِرُونَ ﴾ (النمل:37) .

﴿ وَلَيَنْصُرَنَّ اللَّهُ مَنْ يَنْصُرُهُ إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ ﴾ (الحج: من الآية40) .

﴿ وَمَنْ جَاهَدَ فَإِنَّمَا يُجَاهِدُ لِنَفْسِهِ إِنَّ اللَّهَ لَغَنِيٌّ عَنِ الْعَالَمِينَ ﴾ (العنكبوت:6) .

فقد سبق القدر بقول الحق:

﴿ كَتَبَ اللَّهُ لَأَغْلِبَنَّ أَنَا وَرُسُلِي إِنَّ اللَّهَ قَوِيٌّ عَزِيزٌ ﴾ (المجادلة:21) .

﴿ إِنَّا لَنَنْصُرُ رُسُلَنَا وَالَّذِينَ آمَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيَوْمَ يَقُومُ الْأَشْهَادُ ﴾ (غافر:51) .

****

﴿ رسائل المقاومة الإسلامية العالمية ﴾

كما أسلفت فإن هذا الكتاب قد وضع لإعطاء تصور يساهم في حـل الإشـكالية العظمـى التـي يعيشها المسلمون في هذا الزمان. وهي الإجابة على سؤال هام وهو :

كيف نواجه أعدائنا الصليبيين المتهودين الجدد فيما نستقبل من أيام ؟

فإنه لا يشك عاقل مبصر أننـا بصـفتنا مسـلمين نعـيش في أزمـة، بـل أزمـات مـن كـل الأنـواع والأشكال .. وأن الصحوة الإسلامية التي نشأت لتتصدى لحل هذه الإشكالات انتهت جميع مدارسـها إلى أزمة بل إلى أزمات .. وأن الشريحة الجهادية المسلحة من هـذه الصـحوة والتـي اتخـذت طريـق الجهاد لحل تلك الإشكاليات ، قد وصلت لأسباب تتعلق بها ولحصـار العـدو لهـا إلى أزمـة .. بـل إلى أزمات.

ونحن بصفتنا أصـوليين ومجاهـدين ، نمـر هـذه الأيـام في عنـق زجاجـة الأزمـات عـلى كافـة الأصعدة . بل لقد أصبحنا بعد أحداث الحادي عشر من سبتمبر، أصبحنا نقدم في وسائل الإعلام على أننا نمثل الأزمة .. التي يتصدى لها كل العالم .

لقد فرضتنا أجهزة إعلام العدو ، والأجهـزة التابعـة لهـا في عالمنـا العـربي والإسـلامي وقـدمتنا للناس بصفتنا أزمة العالم التي يجب أن تزال ! بل لقد أصبح كثير من علماء المسلمين يتناولوننا عـلى منابر خطب الجمعة حتى في المسجد الحرام بصفتنا (الأزمة) وصار **الحبر السمين ، الإمام المنفـوخ (السديس)** ، يدعو في قنوت ختم القرآن (رمضان 2004م) **لدول العالم كافة** ، والإسـلامية خاصـة بالسلامة من الإرهاب ، ويدعو عـلى المجاهـدين بـالهلاك والمحـق والتشـتت .. !! . وكـذلك صـحف ووسائل خطاب كثير مـن أقطـاب الصـحوة الإسـلامية وجماعاتهـا ، تتناولنـا اليـوم بـنفس المنظـور . ومبررهم في ذلك أننا بحملنا السلاح على حكامنا عبر أربعة عقود أوجـدنا الأزمـة ، وبتصـدينا اليـوم للأمريكان وحلفائهم وضعناهم والمسلمين أمام صدام غير متكـافئ وجعلنـاهم وسـط الأزمـة . هـذا ناهيك عن كثير من عوام المسلمين الذين أقنعتهم آلة الإعلام العالميـة والمحليـة بأننـا نمثـل الإشـكال والأزمة.

وهذا البحث تتقاسم فصوله الرئيسية مهمة إثبات حقيقة ، والإجابة على سؤالين .

أما الحقيقة فهي أن الجهاد المسلح المقاومة هو الحل لكافة أزماتنا هذه ، أزماتنا كمجاهـدين ، وكصحوة إسلامية ، وكشعوب مسلمة .

وقد تولت الفصول من الأول إلى الخامس إثبات هذه الحقيقة . وأما السؤال الأول فهو : لماذا فشلت مشاريع الجهاد التي قمنا بها على مدى أربعة عقود ، رغم أن الجهاد هو الحل ؟ وقد تولى الفصلان السادس والسابع معالجة هذا السؤال.

وأما السؤال الجوهري الثاني والذي عقد البحث لأجله، فهو كيف نجاهد أعدائنا فيما نستقبل من أيام ؟ كيف نجاهدهم بأساليب نرجوا فيها نصر الله تعالى ..

كيف نجاهد أعدائنا في عالم ما بعد سبتمبر؟.

وقد بني منطق البحث في الكتاب على أن يقدم كل فصل للذي يليه ، ويكون بمثابة تمهيد منطقي له وصولا إلى الفصل الثامن الذي نفصل فيها الطريقة التي نعتقد جدواها لمتابعة الجهاد ونحن نستقبل القرن الحادي والعشرين ، الذي زعموا أنه سيكون قرنا أمريكيا !

وقد مهدنا للبحث بنبذة عن الغربة والغرباء وطائفة الظاهرين على الحق الذين يقاتلون على هذا الدين إلى قيام الساعة . وهي في اعتقادنا حال من حمل هم الجهاد عبر هذه العقود المنصرمة، وكذلك جيل الجهاد القادم الذي نريد أن نسلمه راية الجهاد وأمانته. فقد شرحت هذه المقدمة خصائص الغربة وسمات أصحابها وما يعتريهم من البلاء في الدنيا وما ينتظرهم من الأجر عند الله في الآخرة . وكذلك خصائص وسمات الظاهرين على الحق .

وأما الفصل الأول :

فهو مرتكز البحث كما هو مرتكز كل فتوى ودعوى : الواقع . واقع المسلمين اليوم بعد ما سيطر أعداؤهم عليهم ، وأسلموا قيادهم للمنافقين من أبنائهم ، وبعد أن سكت عن الحق علماؤهم ، وانغمس بعض كبارهم في كُنف النفاق . وبعد أن تاهت عامتهم في حال من ضياع الدين والدنيا . واقعنا عبر العقود المنصرمة منذ فترة الإستعمار، ثم ما تلاها من حكومات الإستقلال المزعوم . ثم واقعهم الجديد في عالم ما بعد سبتمبر ومطلع هذا القرن الأمريكي المزعوم .

وأما الفصل الثاني :

فهو إثبات للحكم الشرعي في مثل هذا الواقع . ولنقول فيه أن البحث عن الحل لأزمات واقع المسلمين ليست قضية هوى وأراء عقلية . وأن الأدلة الشرعية أوضح من عين الشمس ، وأنها تشير إلى أن حل أزماتنا بصفتنا مسلمين وأزمات صحوتنا وهي صفوتهم وأزمات التيار الجهادي وهم صفوة الصفوة. هي في استئناف الجهاد المسلح الذي صار اليوم فرض عين كالصلاة والصيام . ولكن بأساليب ومناهج تناسب ما أستجد من أحوال . وقد أوردت فيه خلاصة الأحكام الشرعية الهامة .

وتركت تفاصيلها وأدلتها للباب الأول من الجزء الثاني الخاص بالعقيدة الجهادية والمنهج لكونها أهم أسسه .

وأما الفصل الثالث :

فهو عرض تاريخي لمسار صراع الحق والباطل منذ قابيل الذي قتل أخاه الصالح ، وإلى حفيد سلالته

(بوش) الذي يقتلنا تحت نفس الشعار (قال لأقتلنك) . فهذا الفصل استعراض سريع لمسار صراع الحق والباطل على مدى الزمان وتغير أطرافه إلى أن قام النظام العالمي الجديد واستقر- كما أخبرنا صلى الله عليه وسلم – ليكون صراعا بيننا وبين الروم نقاتلهم إلى قيام الساعة .

وأما الفصل الرابع :

فهو فصل تاريخي سياسي بالغ الأهمية . يسلط الضوء على ثلاث محطات تاريخية من مسار صراعنا مع الروم . لنستخرج من خلال تحليل مسار الحملات الصليبية الرئيسية على المسلمين ، في القرن الحادي عشر والثاني عشر، ثم في التاسع عشر والعشرين ، ثم الثالثة الحالية في نهاية القرن العشرين ومطلع الحادي والعشرين . لنستخرج معادلاتها ونحاول اكتشاف مفاتيح النصر والهزيمة والإفادة منها في جولاتنا القادمة معهم .

وأما الفصل الخامس :

فهو استعراض لمسار الصحوة الإسلامية ومدارسها التي تصدت للحملات الصليبية الأخيرة عن طريق مواجهتها أو مواجهة نوابها حكام بلاد المسلمين .منذ نشأت عام (1930م) تقريبا وإلى سنة (2000م) وماآلت إليه بعد أحداث سبتمبر .

وأما الفصل السادس والسابع:

ففيه استعراض تفصيلي لمدرستنا الخاصة ، من بين مدارس الصحوة الإسلامية ، وأعني التيار الجهادي ، حيث نستعرض تاريخه استعراضا تحليليا منذ نشأته (1965) وإلى بلوغه قعر الأزمة نهايات القرن العشرين . ودخوله أخدود المحنة بعيد أحداث سبتمبر . لنستخلص من خلال محطات النجاح والفشل التي مر بها نظريات المواجهة القادمة . وبذلك يشكل هذا الفصل عملية نقد ذاتي بنّاء للتيار الجهادي المعاصر ، بحثا عن الحلول والمخارج. وذلك بغرض استقصاء الأساليب المناسبة للجهاد والمقاومة في عالم ما بعد سبتمبر . وهو مسألة البحث الأساسية كما أسلفنا .

وأما الفصل الثامن :

فهو قلب الكتاب ولبه ، حيث تعتبر كافة الفصول السابقة مقدمات منطقية ودراسات بحثية لاستخراج نظرياته السبعة التي نفرد لكل واحدة منها باباً وهي :

1. **الباب الأول : نظرية المواجهة (المنهج والعقيدة الجهادية)**

:

وهي العقيدة القتالية اللازمة لتعبئة أمة الإسلام بها وتربية شباب المقاومة عليها كي يتأهلوا عقديا وفكريا ونفسيا لحرب قادمة طويلة المدى والله أعلم.

2. **الباب الثاني: النظرية السياسية :**

وفيها تصورات ونظريات الحركة السياسية للمقاومة . من أجل حشد المسلمين ، وتحييد ما أمكن من الخصوم الفرعيين ، لمواجهة هذه الحملات الطاغية..

3. **الباب الثالث: : نظرية التربية المتكاملة :**

وفيها شرح لأساسيات التربية اللازمة لعنصر المقاومة والتي تقوم على :(1) العلم الشرعي (2) الأخلاق والعبادات (3) الفهم السياسي (4) الإعداد العسكري (5) مباشرة الجهاد في دفع الصائل.

4. **الباب الرابع النظرية العسكرية:**

وفيها خلاصة طرح الكتاب لأسلوب المواجهة في المرحلة القادمة . حيث يستخلص الكاتب انتهاء مرحلة العمل من خلال التنظيمات (القطرية – السرية – الهرمية) في عالم الهجمة الدولية لمكافحة الإرهاب . وطرح استمرار الجهاد من خلال أحد أسلوبين : - إما جبهات المواجهة المفتوحة حيث توفرت شروطها .

- وأما جهاد الإرهاب الفردي من خلال طريقة : سرايا المقاومة الإسلامية العالمية .

5. **الباب الخامس: نظرية التنظيم والبناء ونظام العمل:**

وفيه شرح لكيفية تنظيم عمل خلايا المقاومة ، بحسب ما تتصوره في حرب العصابات شاملة ، لا تعتمد التنظيمات المركزية وإنما نظام عمل موجه . وفيها يشرح الكتاب مبدأ نظام بنية سرايا وخلايا المقاومة الإسلامية العالمية بحيث لا تعتمد الأسلوب الهرمي ولا العنقودي الذي تمكن العدو من مواجهته عبر الحملة الدولية على الإرهاب . وإنما باعتماد نظام للعمل الفردي يؤدي الغرض بمجموع الجهد غير المترابط .

6. **الباب السادس : نظرية التدريب :**

وذلك لإعطاء تصور عن برامج إعداد سرايا المقاومة لنفسها عسكريا بشكل ذاتي وسري . في ضوء واقع يستبعد إمكانية إنشاء المعسكرات العلنية على غرار الفرصة التي سنحت وانتهت في البوسنة و الشيشان وأفغانستان وأمثالها .

7. **الباب السابع : نظرية التمويل :**

حيث يوضح الكتاب بعض الأحكام الشرعية وأساليب العمل كي يوفر الجهاد وعمليات المقاومة موارده الذاتية . من خلال العدو والصديق . في عالم أصبح من أساسيات المواجهة الدولية للمجاهدين ما أسموه تجفيف المنابع المالية للإرهاب .

8. **الباب الثامن: الإعلام والتحريض:**

وهي أفكار في أفاق (وحرض المؤمنين) من أجل تحويل المعركة من صراعات نخبوية إلى معركة أمة.

وأما الفصل التاسع:

فهو مجموعة وصايا وتحذيرات موجهة لمن سيعمل في المقاومة وذلك لرفع فاعليتها وتجنيبها مطبات متوقعة ولقطع الطريق على العدو أن يجد سبيلا لإفشال هذه الطريقة التي ندعو إليها . كما يحتوي على ردود على شبهات علماء السلاطين وفقهاء الإستعمار ، والمنبطحين من قيادات الصحوة الإسلامية . وهي نفس الشبهات التي طالما رددها هؤلاء في وجه المجاهدين عبر العقود الماضية فوق ما يضيفون إليها اليوم بحسب رغبات أمريكا وعبيدها المنافقين .

ثم مجموعة من الدلائل الواقعية والنصية على اقتراب النصر الأكبر الموعود بإذن الله .

ثم نختم الكتاب بمسك الختام :

لنتنسم عبير آفاق الكتاب والسنة وهدي سلفنا الصالح لنسير في آفاقها ونستعين بها على أقدار البلاء لنتحمل آلامها، ونستشف من أنوارها لنحلق في آمالها ونعيم ما أعده الله لأوليائه من النصر في الدنيا وجزيل الإحسان في الآخرة .

****

﴿ سلسلة رسائل المقاومة الإسلامية العالمية ﴾

بعد اكتمال هذا الكتاب ، نظرت فيه وقد جاوز الـ 1600 صفحة من القطع الكبير (A4) فوجدته ضخماً ، وربما صرف لضخامته بعض من تعوزه الهمة عن قراءته .

ووجدت أن بعض الفصول تاريخية محضة ، وبعضها سياسية تحليلية ، وبعضها فكرية ، وبعضها تنظيرية حركية ، وأخرى في المنهج والسياسة الشرعية والأحكام والقواعد الدينية ، و كذلك باقي النظريات الثمانية . منها ما هو عسكري محض . ومنها ما هو إعلامي . ومنها ما هو أمني ، ومنها ما هو في التربية والسلوك ..

ورأيت أن جعلها في كتاب واحد فيه فائدة عدم تشتتها بحيث يقع من يعثر على الكتاب على وجبة فكرية متكاملة ، تكون منهجا يشتمل على (**التاريخ والتجارب ، وعلى الدعوة والطريقة والمنهج**) ، لما آمل قيامه في أمتنا من (مقاومة إسلامية عالمية).

ولكني رأيت أن لحجمه الكبير عدة سلبيات قد تعيق ما أهدف له من التوعية والفهم . من ذلك أن كثرة الأفكار ربما تجعل من لم يألف المطالعة والدراسة في الكتب ، ينسيه بعضها بعضا ، ويضعف لدى القارئ القدرة على التركيز . ومن ذلك أن ضخامة الكتاب قد تكون وازعا لدى الكثيرين للكسل في قراءته ، في زمن صارت فيه الدشوش والكمبيوترات مصادر المعرفة، وصار فيه (الشبس و السندوش) الوجبة السريعة المفضلة لكثير من الناس.

ومن ذلك ما أخشاه من عدم تركيز القارئ على لب الموضوع ، وهو الجانب العملي من نظرية المقاومة العالمية. ولأسباب أخرى رأيت أن ، أخرج الكتاب أيضا بصورة مجزأة في كتب منفصلة ، تكون سلسلة من الرسائل . بحيث تشتمل كل واحدة على موضوع معين . وتشمل مجموعها على مجمل أفكاره . بحيث يمكن جمعه في مطبوعة واحدة لمن أراد بعنوان هو اسم السلسلة : (**سلسلة رسائل المقاومة الإسلامية العالمية**) . ويمكن لمن أراد موضوعا معينا أن يعود للرسالة الخاصة بذلك من الرسائل .

كما أن لذلك فائدة أخرى ، وهو أن هناك مواضيع أخرى لم أعرض لها في هذا الكتاب ، وأعتقد أنها تشكل جزءا من فكر دعوة المقاومة الإسلامية العالمية التي أدعو إليها وأعمل على تأسيسها . وبالإمكان – إن يسر الله وأعان وكان في العمر بقية – أن أكتبها فيما بعد وألحقها بسلسلة الرسائل برقمها في السلسلة .

كما أن تقسيم البحث في كتب يساعد على ترجمتها إلى اللغات الأخرى وهو هدف مقصود لذاته إذ أن العرب في المسلمين لا يزيد نسبة عددهم على 20% في حين أن الهدف من دعوة المقاومة عالمي على مستوى أمة الإسلام في مواجهة أمم الكفر. ولهذا استقر عزمي على ما يلي :

(1) إنجاز الكتاب كاملا وإخراج نسخته الأولى باسم (دعوة المقاومة الإسلامية العالمية) ، وهذا الكتاب الجامع يحتوي جزئين . الأول : ويحتوي (الجذور والتاريخ والتجارب). والجزء الثاني ويحتوي (الدعوة والطريقة والمنهج) .

(2) إخراجه مقسما إلى أحد عشر رسالة ، بالإضافة إلى رسالة مقدمة . بحيث تحوي كل رسالة موضوعا واحدا متجانسا ومستقلا ، وذلك كما يلي :

أولاً : إخراج الكتاب إنشاء الله تعالى في رسائل تحمل جميعها عنوانا جانبيا في أعلاها باسم السلسلة (**سلسلة رسائل المقاومة الإسلامية العالمية**) وتحمل كل واحدة منها رقم الرسالة من السلسلة.

ثانياً : اختيار عنوان يناسب الموضوع لكل رسالة ككتاب مستقل .

ثالثاً : و ستكون عناوين الرسائل والكتب من السلسلة على الشكل التالي إن شاء الله :

- **المقدمة والتعريف .**
- **الرسالة الأولى : (المدخل إلى دعوة المقاومة الإسلامية العالمية).**
- **الرسالة الثانية : (واقع المسلمين اليوم وأحكام لشرعية في هذا الواقع).**
- **الرسالة الثالثة : (جذور النظام الدولي ومسار الصراع من قابيل إلى بوش).**
- **الرسالة الرابعة : (فلسفة الصراع ومعادلاته بين المسلمين والروم الصليبيين عبر التاريخ) .**
- **الرسالة الخامسة: (حصاد الصحوة الإسلامية والتيار الجهادي1930- 2002).**
- **الرسالة السادسة : (نظرية المنهج و العقيدة القتالية لدعوة المقاومة الإسلامية العالمية).**
- **الرسالة السابعة : (النظرية السياسية لدعوة المقاومة الإسلامية العالمية).**
- **الرسالة الثامنة : (نظرية التربية المتكاملة لدعوة المقاومة الإسلامية العالمية).**
- **الرسالة التاسعة : (النظرية العسكرية والحركية لدعوة المقاومة الإسلامية العالمية). [وتشمل النظرية العسكرية ونظريات التنظيم والحركة ، و الإعداد والتدريب، ونظرية التمويل]**
- **الرسالة العاشرة : (نظرية الإعلام والتحريض لدعوة المقاومة الإسلامية العالمية).**
- **الرسالة الحادية عشرة :(وصايا و محاذير و بشائر على طريق المقاومة الإسلامية العالمية) .**

وأسأل الله تعالى أن يعيننا، وأن يوفقنا للإخلاص وأسـباب القبـول، وأن يفـتح علينـا بمـا ينصر ـ دينــه، وأن يجعلنا هداة مهديين لا ضالين ولا مضلين، وأن يجعلنا للمتقين إماما، وأن يجعل لنـا نصـيبا مـن أجر من تبع دعوة الخير والجهاد ، فقد روي عنه صلى الله عليه وسلم (الدال على الخير كفاعله) ، كما روي عنه صلى الله عليه وسلم : (العالم والمتعلم شريكان).

****

﴿ فصل في الغربة والغرباء والظاهرين على الحق ﴾

قال الله تعالى:

﴿ فَلَوْلا كَانَ مِنَ الْقُرُونِ مِنْ قَبْلِكُمْ أُولُو بَقِيَّةٍ يَنْهَوْنَ عَنِ الْفَسَادِ فِي الْأَرْضِ ﴾

(هود: من الآية116)

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم:

- (بدأ الإسلام غريبا وسيعود غريبا كما بدأ فطوبى للغرباء)
- (لا تزال طائفة من أمتي يقاتلون على الحق ظاهرين على من ناوأهم حتى يقاتل آخرهم المسيح الدجال)

﴿ فصل في الغربة والغرباء والظاهرين على الحق ﴾

في هذا العصر اليهودي الأمريكي كما يزعمون ..أظلتنا أيام أصبح فيها المسلمون في أهـل الأرض الكفار غرباء .. وأصبح المصلون في مئات ملايين المسلمين غرباء .. وأصبح الملتزمون بما أمر الله ونهى من دينهم في المصلين غرباء .. وأصبح الداعون للإيمان والاعتقاد الصحيح في الملتزمين غرباء .. وأصبح الداعون إلى الله الآمرون بالمعروف الناهون عن المنكر في هؤلاء المؤمنون غربـاء .. وأصـبح الـداعون لجهاد أعداء الله ودفع صائل الكفار والمرتدين والمنافقين عنها أغرب الغرباء ..

وصدق رسول الله صلى الله عليه وسلم وها نحن نسير إلى ما بشر بـه بقولـه: (**بـدأ الإسـلام غريبا وسيعود غريبا كما بدأ فطوبى للغرباء**)..

والحمد لله أن رسول الله صلى الله عليه وسـلم قـد بشرـ بأنـه : (**لا تـزال طائفـة مـن أمتـي يقاتلون على الحق ظاهرين على من نـاوأهم حتـى يقاتـل آخـرهم المسـيح الـدجال**). وأخـبر عـن ثباتهم صلى الله عليه وسلم فقال : (**لا تزال أمـة مـن أمتـي ظـاهرين عـلى الحـق لا يضرـهم مـن خالفهم حتى يأتي أمر الله وهم ظاهرون على الناس**)..

ولأننا نكتب هذا الكتاب لأولئك الغرباء الظاهرين على الحق الذين لا يضرـهم مـن خـذلهم ، يقاتلون على هذا الدين حتى يأتي أمر الله ..

ولأننا نكتبه وقد أصبحت الثلة المؤمنة الثابتة في وجه أعاصير أمريكا الهوجاء وحلفائها صـابرة صامدة لا تعبأ باستكبار أمريكا ، ولا كثرة حلفائها ولا تخذيل عبيدها، أصبحت من أغرب الغربـاء في الناس .. غرباء ظاهرون على الحق يقاتلون على الحق هنا وهناك ... ولأننا نكتب هذا الكتاب لهم ..

ولأننا نكتبه ونحن نعيش بفضل الله الذي يؤتيه من يشاء ـ ونسأله الإخلاص والثبات والقبـول برحمته ـ نعـيش وإخواننـا المجاهـدين والمهـاجرين في سـبيل اللـه أشـد حـالات الغربـة والحصـار والمطاردة والقتل والأسر. فإنا نورد هنا من الزاد ما نشد بـه عضـدنا ونثبـت بـه أنفسـنا .. ونقدمـه بشائر إلى أولئك الصابرين الثابتين الذين نحسب أنهم صدقوا ما عاهدوا الله عليه فمنهم من قضىـ نحبه ومنهم من ينتظر وما بدلوا تبديلا .. كما نقدمه إلى كل العازمين على الانضمام لقافلـة الغربـاء وركب الظاهرين على الحق من الأجيال القادمة الذين سـيرفع اللـه بهـم إن شـاء اللـه رايـة دينـه . ويري كل فرعون وهامان من فراعنة الكفار والمرتدين .. وكل جنودهم منهم ما كانوا يحذرون.

فإن من خير الزاد ، و من بشارة عاجل الخير وآجله، أن نقدم لفصول هذا الكتاب ببعض عبير السنة المطهرة ، وما جاء من بعض الآثار المباركة من صـفات وأحـوال الغربـة والغربـاء والظـاهرين

على الحق الذين يقاتلون على هذا الدين غير عابئين بمن خذلهم ولا من خالفهم حتى يأتي أمر الله ، وما جاء مما أعده الله لهم من البشارة في الدنيا والكرامة في الآخرة .

آملين أن يكون فيها ما يربط على قلوب الشباب المؤمن العازم على المقاومة . مقاومة طغيان أمريكا وحلفائها، بقلب عامر بالإيمان ، و بيد تشد على الزناد .

فإلى أولئك الذين أحبوا الموت في سبيل الله كما أحب عباد أمريكا الحياة .. إليهم ومعهم نتنسم عبير هذه الآثار النبوية العطرة وأنوارها :

جاء في باب الغربة من كتاب مدارج السالكين للإمام العامل ابن القيم رحمه الله تعالى ما نقتطف منه باختصار ما يلي :

(باب الغربة)

قال الله تعالى: ﴿ فَلَوْلا كَانَ مِنَ الْقُرُونِ مِنْ قَبْلِكُمْ أُولُو بَقِيَّةٍ يَنْهَوْنَ عَنِ الْفَسَادِ فِي الْأَرْضِ إِلَّا قَلِيلاً مِمَّنْ أَنْجَيْنَا مِنْهُمْ وَاتَّبَعَ الَّذِينَ ظَلَمُوا مَا أُتْرِفُوا فِيهِ وَكَانُوا مُجْرِمِينَ ﴾ (هود:116)

استشهاده بهذه الآية في هذا الباب يدل على رسوخه في العلم والمعرفة وفهم القرآن ، فإن الغرباء في العالم هم أهل هذه الصفة المذكورة في الآية ، وهم الذين أشار إليهم النبي صلى الله عليه وسلم في قوله

(**بدأ الإسلام غريبا وسيعود غريبا كما بدأ فطوبى للغرباء قيل ومن الغرباء يا رسول الله قال الذي يصلحون إذا فسد الناس**...) ، وعن عبد الله بن مسعود قال رسول الله صلى الله عليه وسلم (**إن الإسلام بدأ غريبا وسيعود غريبا كما بدأ فطوبى للغرباء قيل ومن الغرباء يا رسول الله قال النزاع من القبائل**) وفي حديث عبد الله بن عمرو قال: قال النبي صلى الله عليه وسلم ذات يوم ونحن عنده (**طوبى للغرباء قيل ومن الغرباء يا رسول الله قال ناس صالحون قليل في ناس كثير من يعصيهم أكثر ممن يطيعهم**) .

وقال أحمد عن عبد الله بن عمرو عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : (**إن أحب شيء إلى الله الغرباء قيل ومن الغرباء قال الفرارون بدينهم يجتمعون إلى عيسى ابن مريم عليه السلام يوم القيامة**) .

وفي حديث القاسم عن أبي أمامة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال عن الله تعالى: (**إن أغبط أوليائي عندي لمؤمن خفيف الحاذ ذو حظ من صلاته أحسن عبادة ربه وكان رزقه كفافا وكان مع ذلك غامضا في الناس لا يشار إليه بالأصابع وصبر على ذلك حتى لقي الله ثم حلت منيته وقل تراثه وقلت بواكيه**) ، وقال الحسن : المؤمن في الدنيا كالغريب لا يجزع من ذلها، ولا ينافس في عزها ، للناس حال وله حال. الناس منه في راحة وهو من نفسه في تعب .

وهؤلاء هم القابضون على الجمر حقا، وأكثر الناس بل كلهم لائم لهم . فلغربتهم بين هذا الخلق يعدونهم أهل شذوذ وبدعة ومفارقة للسواد الأعظم.{ **فانظر إلى هذا الوصف وقارنه بحال المجاهدين للأمريكان واليهود وأوليائهم اليوم .. وكيف يتناولهم الإعلام حتى أكثر خطباء الجمعة على منابر المساجد** } .

ومعنى قول النبي صلى الله عليه وسلم هم النزاع من القبائل، أن الله سبحانه بعث رسوله وأهل الأرض على أديان مختلفة ، فهم بين عباد أوثان ونيران ، وعباد صور وصلبان، ويهود وصابئة وفلاسفة، وكان الإسلام في أول ظهوره غريبا، وكان من أسلم منهم واستجاب لله ولرسوله غريبا في حيه وقبيلته وأهله وعشيرته.

فكان المستجيبون لدعوة الإسلام نزاعا من القبائل ، بل آحادا منهم ، تغربوا عن قبائلهم وعشائرهم ودخلوا في الإسلام، فكانوا هم الغرباء حقا. حتى ظهر الإسلام وانتشرت دعوته ودخل الناس فيه أفواجا. فزالت تلك الغربة عنهم . ثم أخذ في الإغتراب و الترحل حتى عاد غريبا كما بدأ، بل الإسلام الحق الذي كان عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه هو اليوم أشد غربة منه في أول ظهوره وإن كانت أعلامه ورسومه الظاهرة مشهورة معروفة، فالإسلام الحقيقي غريب جدا وأهله غرباء أشد الغربة بين الناس. وكيف لا تكون فرقة واحدة قليلة جدا غريبة ، وسبعين فرقة ذات أتباع ورئاسات ، ومناصب وولايات ، ولا يقوم لها سوق إلا بمخالفة ما جاء به الرسول . فإن نفس ما جاء به يضاد أهواءهم ولذاتهم وما هم عليه من الشبهات والبدع ، التي هي نص فضيلتهم وعملهم والشهوات التي هي غايات مقاصدهم و إراداتهم.

{ أنظر سبحان الله ما يقول ابن القيم في القرن الثامن الهجري أن الإسلام في زمانه أشد غربة من وقت ظهر ...فماذا نقول نحن اليوم والله المستعان !!} .

فكيف لا يكون المؤمن السائر إلى الله على طريق المتابعة غريبا بين هؤلاء الذين قد اتبعوا أهواءهم وأطاعوا شحهم وأعجب كل منهم برأيه، كما قال النبي صلى الله عليه وسلم :(**مروا بالمعروف وانهوا عن المنكر حتى إذا رأيتم شحا مطاعا وهوى متبعا ودنيا مؤثرة وإعجاب كل ذي رأي برأيه ، ورأيت أمرا لا يد لك به فعليك بخاصة نفسك، وإياك و عوامهم فإن وراءكم أياما صبر الصابر فيهن كالقابض على الجمر**). ولهذا جعل للمسلم الصادق في هذا الوقت إذا تمسك بدينه أجر خمسين من الصحابة . ففي سنن أبي داود والترمذي من حديث أبي ثعلبة الخشني قال:(**سألت رسول الله صلى الله عليه وسلم عن هذه الآية : ﴿ يا أيها الذين آمنوا عليكم أنفسكم لا يضركم من ضل إذا اهتديتم ﴾ فقال: بل ائتمروا بالمعروف وتناهوا عن المنكر، حتى إذا رأيت شحا مطاعا وهوى متبعا ودنيا مؤثرة، وإعجاب كل ذي رأي برأيه، فعليك بخاصة نفسك ودع عنك العوام فإن من ورائكم أيام الصبر ، فيهن مثل قبض**

على الجمر للعامل فيهن أجر خمسين رجلاً يعملون مثل عمله. قلت يارسول الله أجر خمسين منهم قال أجر خمسين منكم) . وهذا الأجر العظيم إنما هو لغربته بين الناس والتمسك بالسنة بين ظلمات أهوائهم وآرائهم .

فإذا أراد المؤمن الذي قد رزقه الله بصيرة في دينه ، وفقها في سنة رسوله وفهما في كتابه ، وأراه ما الناس فيه من الأهواء والبدع والضلالات وتنكبهم عن الصراط المستقيم الذي كان عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه، فإذا أراد أن يسلك هذا الصراط فليوطن نفسه على قدح الجهال وأهل البدع فيه ، وطعنهم عليه وإزرائهم به وتنفير الناس عنه وتحذيرهم منه. كما كان سلفهم من الكفار يفعلون مع متبوعه وإمامه صلى الله عليه وسلم . فأما إن دعاهم إلى ذلك وقدح فيما هم عليه، فهنالك تقوم قيامتهم ويبغون له الغوائل وينصبون له الحبائل، ويجلبون عليه بخيل كبيرهم ورجله.

فهو غريب في دينه لفساد أديانهم. غريب في تمسكه بالسنة لتمسكهم بالبدع ، غريب في اعتقاده لفساد عقائدهم، غريب في صلاته لسوء صلاتهم، غريب في طريقه لضلال وفساد طرقهم ، غريب في نسبته لهم لمخالفة نسبهم، غريب في معاشرته لهم لأنه يعاشرهم على ما لا تهوى أنفسهم.

وبالجملة فهو غريب في أمور دنياه و آخرته. لا يجد من العامة مساعدا ولا معينا، فهو: عالم بين جهال ، صاحب سنة بين أهل بدع ، داع إلى الله ورسوله بين دعاة إلى الأهواء والبدع ، آمر بالمعروف ناه عن المنكر بين قوم المعروف لديهم منكر والمنكر لديهم معروف]. **انتهى كلام ابن القيم رحمه الله.**

ومن الآثار النبوية التي جاءت في الغرباء وكرامتهم وفضل الغربة وأحوالها :

- جاء في (مجمع الزوائد) عن عبد الله ابن عمرو بن العاص عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال: (**هل تدرون أول من يدخل الجنة من خلق الله عز وجل؟ قالوا الله ورسوله أعلم. قال: الفقراء المهاجرون الذين تسد بهم الثغور، وتتقى بهم المكاره ، ويموت أحدهم وحاجته في صدره لا يستطيع لها قضاء، فيقول الله عز وجل لمن يشاء من ملائكته: ائتوهم فحيوهم. فتقول الملائكة: نحن سكان سمائك، وخيرتك من خلقك، أفتأمرنا أن نأتي هؤلاء فنسلم عليهم. قال: إنهم كانوا عبادا يعبدوني لا يشركون بي شيئا، وتسد بهم الثغور، وتتقى بهم المكاره، ويموت أحدهم وحاجته في صدره لا يستطيع لها قضاء. قال فتأتيهم الملائكة ثم ذلك. فيدخلون عليهم من كل باب سلام عليكم بما صبرتم فنعم عقبى الدار**).
- وفي مسند الإمام أحمد (7072) عن عبد الله بن عمرو قال ثم كنت ثم رسول الله صلى الله عليه وسلم وطلعت الشمس فقال: (**يأتي الله قوم يوم القيامة نورهم كنور الشمس فقال**

أبوبكر أنحن هم يارسول الله قال لا ولكم خير كثير، ولكنهم فقراء المهاجرين الذين يحشرون من أقطار الأرض) (مسند أحمد 2-222) .

- وفي (فيض القدير 4-274) : (قال الثوري - رحمه الله - : **إذا رأيت العالم كثير الأصدقاء فاعلم أنه مخلط. لأنه لو نطق بالحق لأبغضوه.**
- **وقال الغزالي – رحمه الله - وقد صار ما ارتضاه السلف من العلوم غريبا بل اندرس وما أكب الناس عليه فأكثره مبتدع وقد صارت علوم أولئك غريبة بحيث يمقت ذاكرها.)**

هذا بعض ما جاء من الآثار في الغربة والغرباء . جعلنا الله منهم ومعهم في الدنيا والآخرة .
ومما جاء من الآثار النبوية وأقوال أهل العلم في الطائفة المنصورة الظاهرين على الحق يقاتلون على هذا الدين ما نقتطف منه ما يلي:

- عن معاوية رضي الله عنه يرفعه : " **لا يزال من أمتي أمة قائمة بأمر الله لا يضرهم من خذلهم و لا من خالفهم حتى يأتي أمر الله وهم على ذلك**" (البخاري 3641).
- عن جابر بن سمرة رضي الله عنه يرفعه : " **لن يبرح هذا الدين قائما يقاتل عليه عصابة من المسلمين حتى تقوم الساعة** " مسلم (66/13) .
- عن جابر يرفعه : " **لا تزال طائفة من أمتي يقاتلون على الحق ظاهرين إلى يوم القيامة** " رواه مسلم (66/13).
- و في رواية النسائي (214/3) عن سلمة بن نفيل الكندي قال: كنت جالسا عند رسول الله فقال رجل يا رسول الله أذال الناس الخيل ووضعوا السلاح وقالوا لا جهاد قد وضعت الحرب أوزارها فأقبل رسول الله بوجهه و قال: " **كذبوا الآن جاء القتال ولا يزال من أمتي أمة يقاتلون على الحق و يزيغ الله لهم قلوب أقوام و يرزقهم منهم حتى تقوم الساعة وحتى يأتي وعد الله والخيل معقود في نواصيها الخير إلى يوم القيامة وهو يوحى إلي أني مقبوض غير ملبث و أنتم تتبعوني أفنادا يضرب بعضكم رقاب بعض و عقر دار المؤمنين الشام** ".
- عن المغيرة يرفعه " **لا يزال ناس من أمتي يقاتلون على الحق ظاهرين حتى يأتيهم أمر الله** " أحمد (248/4) .
- عن معاوية يرفعه : " **من يرد الله به خيرا يفقهه في الدين و لا تزال عصابة من المسلمين يقاتلون على الحق ظاهرين على من ناوأهم إلى يوم القيامة** " مسلم 13/ 67 .
- عن معاوية يرفعه: " **لا تقوم الساعة إلا وطائفة من أمتي ظاهرون على الناس ، لا يبالون من خذلهم و لا من نصرهم** " ابن ماجة (9).

جاء في كتاب العمدة في إعداد العدة، للشيخ عبد القادر بن عبد العزيز وفقه الله لرضاه وفرج كربته وفك أسره . تحت عنوان هل الفرقة الناجية هي الطائفة المنصورة ؟ قال:

" ورد في معظم كتب العقيدة . أن الفرقة الناجية (أهل السنة والجماعة) هي الطائفة المنصورة (على سبيل المثال : انظر الباب الأخير من العقيدة الواسطية لابن تيمية ، وكذلك مقدمة كتاب معارج القبول لحافظ حكمي، وغيرها) ، والذي يترجح عندي أن الفرقة و الطائفة ليستا مترادفتين ، وأن الطائفة جزء من الفرقة ، فالطائفة المنصورة هي الجزء أو البعض القائم بنصرة الدين علما و جهادا ، من الفرقة الناجية التي هي على المنهج و الاعتقاد الصحيح . و تفريعا من ذلك نقول أيضا إن المجدد هو أحد أفراد الطائفة المنصورة الذي قام بأهم واجبات الدين في زمنه ، على قول الجمهور بأن المجدد فرد واحد و دليلي في هذا ما يلي:

1- قول الله تعالى : ﴿ فَلَوْلا نَفَرَ مِنْ كُلِّ فِرْقَةٍ مِنْهُمْ طَائِفَةٌ لِيَتَفَقَّهُوا فِي الدِّينِ ﴾ (التوبة) فهذه الآية فرقت بين الفرقة والطائفة ، و بينت أن الطائفة جزء من الفرقة ، وأنها هي الجزء القائم بالعلم و الجهاد من الفرقة . كما في تفسير هذه الآية (راجع ابن كثير) .

2- العلم والجهاد ، وهما أهم صفات الطائفة المنصورة ، أصل مشروعيتها أنهما من فروض الكفاية ، يجب على البعض دون الكل من أبناء الأمة القيام بهما ، وهذا البعض القائم بالعلم والجهاد من الأمة هم الطائفة المنصورة .

و المقصد من هذا أن يسعى كل مسلم لان يكون من هذه الطائفة المنصورة القائمة بنصرة الدين بالعلم والدعوة و الجهاد ، قال تعالى: ﴿ وَفِي ذَلِكَ فَلْيَتَنَافَسِ الْمُتَنَافِسُونَ ﴾ (المطففين: من الآية26)

قلت: ومع ذلك فإن الطائفة قد تكون هي الفرقة بأكملها ، وذلك في آخر الزمان حينما ينحاز المؤمنون إلى الشام وعليهم ينزل عيسى بن مريم عليه السلام لقتال الدجال . كما في الأحاديث الصحيحة، وعلى هذا تنزل الروايات التي ذكرت أن الطائفة تكون بالشام أو بيت المقدس (حديث أبي أمامة) وأن هذا يكون بالنسبة لآخر هذه الطائفة بإطلاق ، أما قبل ذلك من الأزمنة ، فالطائفة قد تكون بالشام أو بغيره ، وانظر كلام صاحب كتاب فتح المجيد شرح كتاب التوحيد في شرح الطائفة (ط أنصار السنة صـ278،279)، والله تعالى أعلم. أهـ(العمدةفي إعداد العدة ص 78)

فأقول والله الموفق :

أن المستفاد مما سبق ، أن العلماء اعتبروا الأقسام التالية للطائفة المنصورة :

أهل العلم بالكتاب و السنة .

أهل الدعوة والأمر بالمعروف و النهي عن المنكر.

أهل الجهاد و القتال في سبيل الله .

والذي يبدو لي جمعا بين هذه الأقوال - والله أعلم - ما يلي :

1) أن معظم السلف ممن جعلهم أهل الحديث وأهل العلم قالوا ذلك لأنهم كانوا أسبق الناس إلى الجهاد والقتال إذا تعينت الفريضة أو إذا لم تحقق الكفاية في القتال ، بل قد ورد عن بعض السلف أنه دخل الثغور أكثر من مئة مرة ليس بقصد القتال و إنما لأخذ الحديث لكثرة (أهل الحديث) في مواقع الرباط ، وثغور الجهاد. وهذا عندما كان أهل الحديث أهل الجهاد وليس عندما صار أكثرهم (أهل حديث). وأهل قيل وقال وكثرة سؤال..

أن الطائفة المنصورة هم الذين يتصدرون لأهم الأولويات و الفروض والواجبات في زمانهم من هذه الأبواب الثلاثة - العلم- الدعوة والأمر والنهي – القتال والجهاد .

ففي زمن مثل زمن البخاري والإمام أحمد رحمهما الله تعالى ، كانت الخلافة الإسلامية قوية مهيمنة غازية لأعدائها، واضعة للجزية والصغار على من جاورها من الكفار، فكان حريا أن يكون رؤوس الطائفة المنصورة من أمثال أولئك الأئمة متصدرين للأولوية الأولى، وهي العلم بالسنة وجهاد البدع وهو جهاد البيان، أو متصدرين لجهاد أئمة الباطل وأمراء الجور ، من الذين ظلموا أو ابتدعوا كموقف الإمام أحمد رحمه الله من بني العباس وبدعة خلق القرآن، فكانت ثغرة شاغرة في حين لم يكن هناك من صائل محارب على الأمة . بينما نجد الإمام ابن تيمية جعل جيش الشام ومصر - على ما كان فيهم من البدع والجهل - من أخص من عمهم الإنتماء للطائفة المنصورة ، لدفعهم العدو عن دين الله وبيضة المسلمين وحوزتهم ، رغم عدم اتصافهم بالعلم، ولم يكن المماليك من أهل الحديث كما هو معلوم.. بل كانوا للجهل والبدع أقرب منهم للعلم بعمومهم. ولكنهم كانوا على الثغرة الشاغرة وهي دفع الصائل..

2) لاشك أن القتال من غير علم بدين الله ، ودون انطلاق من أصوله ، وإن كان أصحابه مأجورين بنيتهم في دفع أعداء الله عن الدين والأنفس و الأعراض والأموال ، لا يجعل القائمين بهذا على تمام صفة الطائفة الظاهرة على الحق ، لأنهم لا يكونون ظاهرين على الحق ولا قائمين بأمر الله تماما وكمالا إلا بالعلم مع الجهاد .

3) ليس بالضرورة أن يكون كل فرد في الطائفة المنصورة من أهل العلم، ولكن يكفي أن يكون ومن لهم الأمر والقيادة فيها قد توفرت في مجموعهم صفات العلم والدعوة مع الجهاد والقتال، ويحكم للطائفة بحكم الراية العامة والقيادة. والمنهج والمعتقد .

4) أخيراً - ولا شك - لا بد من البيان أن الكمال في الطائفة المنصورة ورؤوسها أن تجمع العلم إلى الدعوة والأمر والنهي إلى القتال والثبات على ذلك، كما كان حال أئمة الإسلام العظام من أمثال الإمام ابن المبارك رحمه الله، وهو من كبار علماء الإسلام و محدثيهم وفقهائهم ومن كبار المجاهدين المرابطين في الجهاد ، وكذلك الإمام ابن تيمية رحمه الله وهو كذلك من كبار العلماء وأهل الحديث، ومن كبار المجاهدين كلما نزل الصائل، ومن أولئك الإمام الجليل العز بن عبد السلام، وهو كذلك سلطان العلماء ومن مجاهديهم أيام التتار.

5) الخلاصة أن الطائفة المنصورة هي الطائفة القائمة بأمر الله ، الظاهرة على الحق الثابتة عليه، لا يضرهم من خذلهم ولا من خالفهم، يقاتلون على هذا الدين . ولا شك أن القتال و الجهاد هو من أبرز خصائصهم في النصوص (حتى يكاد يكون شرطا عليهم) ، لاسيما إذا تعين أو لم تقم به الكفاية كما هو حالنا اليوم... فلا يمكن للطائفة المنصورة الظاهرة على الحق – وهم نخبة أهل الإسلام- أن يتركوا عندئذ أوجب الواجبات بعد الإيمان، وهو دفع الصائل قتالاً !!.

إذن وحسب ما تقدم ؛ من هم الطائفة المنصورة في هذا الزمان ؟ وهنا يجب أن نعلم مواصفات هذا الزمان ، تلك المواصفات التي أصبح العلم بها من المعلوم من العقل والفهم و النظر بالضرورة...

أولاً : بلاد الإسلام من أقصاها إلى أقصاها محتلة بصائل اليهود أو النصارى أو الملحدين أو الشيوعيين أو المشركين الوثنيين، مباشرة بالغزو والاحتلال الظاهر كما هو حال فلسطين والشام عموما، والبوسنة و الشيشان، وجمهوريات وسط آسيا وتركستان الشرقية التي تحتلها الصين، و كشمير التي تحتلها الهند، وبلاد كثيرة وخلق لا يعلمهم إلا الله تحت حكم الكفار الأصليين . أو بصورة غير مباشرة عبر تولية الكفار الأصليين للمرتدين . كما في عموم باقي بلاد المسلمين ..

ثانياً : كافة بلاد الإسلام من أقصاها إلى أقصاها، استبعد فيها الحكام المرتدون شرع الله، وبارزوه العداء، وحكموا بغير ما أنزل الله ، وبدلوا شرائعه ووالوا أعداءه .

ثالثا: كافة بلاد الإسلام ، يسام فيها أهل الإسلام عموما ، وأهل الدين والدعوة والالتزام خصوصا ، الظلم والجور والعسف ، و القتل وهتك الأعراض و السجون و العذاب، مما أصبح معلوما للقاصي والداني...

- فهل يعقل في مثل هذه الحالات ... أن نقول أن الطائفة المنصورة اليوم هم الذين لا يعبؤون بكل هذا ، ويتفرغون لتنقيح الأسانيد، وتصنيف الكتب، ورواية الحديث؟!
- هل يعقل أنهم الذين لا يهمهم من أمر المسلمين شيئا، ويتفرغون للعبادة و النسك وترديد الأوراد والاعتزال في الزوايا؟!
- هل يعقل أنهم الذين لم يتكلموا في كل هذه النوازل ببنت شفة، ثم لا يكون من شغلهم إلا تنقيح العقيدة الصحيحة بزعمهم، ومحاربة الأضرحة والقبور و شرك الأموات ؟! والكفر يحكمهم ويحيط بهم، ويدخل الفسوق و العصيان والعهر عليهم و على ذراري المسلمين بكل وسائل الإعلام، وحالهم معهم على أحسن ما يرام؟!
- أم هل يكون من الطائفة المنصورة أولئك الذين يجلسون في بلاد الكفار و بين أحضانهم، وينادون ويفتون بأحكام الجهاد والهجرة ؟! ويفتتحون المراكز الإسلامية على مقاييس الإسلام الغربي.
- أم تراهم أولئك الذين يجلسون تحت أحكام المرتدين أو الكفار، يعافسون الأموال والأزواج والأولاد، وينهشون في لحوم المجاهدين في سبيل الله والمهاجرين إلى الله، بأي دعوى من دعاوى التسرع ، وهدم الدعوة ، و تعجل المراحل، وصحة الرايات، وفذلكات الكلام ؟!

لا نشك قيد لحظة بأن الطائفة المنصورة في هذا الزمان وفي مثل هذه الأحوال هم أهل الجهاد ..أهل القتال... أهل السلاح المجاهدين تحت راية لا إله إلا الله محمد رسول الله .. يدفعون صائل الكفار والمرتدين.

يقول الدكتور عبد القادر بن عبد العزيز -حفظه الله- صاحب كتاب (العمدة في إعداد العدة في ختام حديثه عن الطائفة المنصورة) .. من هي و ومن تكون ، وكلام أهل العلم فيها . فيقول في صفحة (80) تحت عنوان " **أهم واجبات الطائفة المنصورة في هذا الزمان** ".

" هذا و إن من أعظم واجبات الطائفة المنصورة في هذا الزمان هو جهاد الحكام المرتدين المبدلين لشرع الله الذين يحكمون المسلمين بالقوانين الوضعية الكفرية..."، إلى أن قال: " و إفساد هؤلاء الحكام وتبديلهم للشرائع والمفاهيم، وإشاعتهم للفواحش في المسلمين، ولو كان الصحابة رضوان الله عليهم أحياء اليوم لكان أعظم أعمالهم هو جهاد هؤلاء الحكام"، إلى أن قال : " وما أرى أحدا من المنتسبين إلى العلم الشرعي في زماننا هذا لم يتكلم في هذه المسألة منكرا ومحرضا المسلمين على الجهاد ما أرى مثل هذا يلقى الله إلا والله تعالى ساخط عليه، قال تعالى: ﴿ إِنَّ الَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَا أَنْزَلْنَا مِنَ الْبَيِّنَاتِ وَالْهُدَى مِنْ بَعْدِ مَا بَيَّنَّاهُ لِلنَّاسِ فِي الْكِتَابِ أُولَئِكَ يَلْعَنُهُمُ اللَّهُ وَيَلْعَنُهُمُ اللَّاعِنُونَ ﴾ (البقرة:159)

إذن لقد دخل الصائل الكافر وانحاز إليه صائل المرتدين و المنافقين، فإذا كانت الطائفة المنصورة هي صفوة أهل هذا الدين ، فلا يعقل أن تفرط بأوجب الواجبات بعد التوحيد -وهو دفع الصائل - بدعوى القيام بالأعمال التي هي دون ذلك بإجماع العلماء ،لأن من فعل ذلك هو من الطائفة المدحورة وليس من الطائفة المنصورة ، إنه من الفئة القاعدة الفارة من الزحف ، هذا حكمه وقد فجأنا العدو في عقر دارنا.

فالطائفة المنصورة في هذا الزمان هم حملة السلاح ورايات الجهاد لدفع هذا الصائل :

أولاً : دفع صائل الكفار الأصليين من يهود ونصارى ومشركين وملحدين ومرتدين وأعوانهم .. دفعهم بالسلاح والسيف، وهذا جهاد السنان . فمن قام بذلك اليوم فهم من أرومة الطائفة المنصورة وأعيانها وأهلها ، أفرادا كانوا أم جماعات.

ثانياً : دفع صائل المنافقين والمجادلين عن هؤلاء الأعداء بالباطل من علماء السلاطين و مبتدعة الدعاة والمرجفين والمخذلين ، دفعهم بالحجة و البينة بقال الله وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وهذا هو جهاد البيان الذي بينه العلماء .

فمن قام بهذا اليوم و تحمل في سبيل ذلك مشاق المطاردة و المحاربة والتشويه فهو من أعوان الطائفة المنصورة ونرجو أن يلحق بهم، وهم دون أهل القتال ما لم يكن من أهل العذر الشرعي. ولا شك عندي بذلك.

وأما من جمع السيف إلى القلم ، و الرشاش إلى اليراع، والقتال إلى العلم والدعوة والأمر بالمعروف والنهي عن لمنكر ، فلا شك أنهم من رؤوس الطائفة المنصورة و قادتها وأعلامها و علمائها و دعاتها المجاهدين . وهم فوق سابقيهم بالمرتبة ولا شك.

نسأل العلي القدير برحمته و فضله الذي يؤتيه من يشاء. أن يجعلنا منهم و معهم ، دنيا و آخرة ، تحت لواء حبيبه المصطفى صلى الله عليه وسلم .

المقاومة الإسلامية العالمية

الجزء الأول

(الجذور- التاريخ – التجارب)

(فصول تمهيدية في التاريخ و التحليل السياسي والفقه الجهادي الحركي)

- **الفصل الأول : واقع المسلمين اليوم.**
- **الفصل الثاني : أحكام شرعية في ضوء هذا الواقع.**
- **الفصل الثالث : جذور النظام الدولي ومسار الصراع من قابيل إلى جورج بوش.**
- **الفصل الرابع : الصراع مع الروم ومعادلات القوى فيه عبر التاريخ.**
- **الفصل الخامس : خلاصة مسار الصحوة الإسلامية (1930- 2004)م.**
- **الفصل السادس : خلاصة مسار التيار الجهادي المسلح (1965-2004)م.**
- **الفصل السابع : الحلول التي طرحت لدى الجهاديين للخروج من الأزمة.**

الفصل الأول
واقع المسلمين اليوم

قال الله تعالى: ﴿ وَمَنْ أَعْرَضَ عَنْ ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنْكاً وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْمَى ﴾ (طـه:124)

وروي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال:
(إن أشقى الأشقياء من اجتمع عليه فقر الدنيا وعذاب الآخرة).

(يا معشر المهاجرين : خمس خصال أعوذ بالله أن تدركوهن :
- ما ظهرت الفاحشة في قوم قط حتى أعلنوا بها إلا ابتلوا بالطواعين والأوجاع التي لم تكن في أسلافهم الذين مضوا .
- وما نقص قوم المكيال إلا ابتلوا بالسنين وشدة المؤونة وجور السلطان.
- وما منع قوم زكاة أموالهم إلا منعوا القطر من السماء ولولا البهائم لم يمطروا.
- ولا خفر قوم العهد إلا سلط الله عليهم عدوا من غيرهم فأخذوا بعض ما في أيديهم.
- وما لم تعمل أئمتهم بما أنزل الله في كتابه إلا جعل بأسهم بينهم شديداً) .
(لا تقوم الساعة حتى يظهر الفحش والبخل، ويخون الأمين ويؤتمن الخائن ، وتهلك الوعول ، وتظهر التحوت ، قالوا يا رسول الله وما التحوت والوعول ؟ قال الوعول وجوه الناس وأشرافهم . والتحوت الذين كانوا تحت أقدام الناس ليس يعلم بهم)

الفصل الأول: واقع المسلمين اليوم

يقول الله سبحانه وتعالى: (وَمَنْ أَعْرَضَ عَنْ ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنْكاً وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْمَى * قَالَ رَبِّ لِمَ حَشَرْتَنِي أَعْمَى وَقَدْ كُنْتُ بَصِيراً * قال كذلك أتتك آياتنا فنسيتها وكذلك قَالَ كَذَلِكَ أَتَتْكَ آيَاتُنَا فَنَسِيتَهَا وَكَذَلِكَ الْيَوْمَ تُنْسَى)

وقد روي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم في الحديث الذي صححه الحاكم من رواية أبي سعيد الخدري أنه قال : (**إن أشقى الأشقياء من اجتمع عليه فقر الدنيا وعذاب الآخرة**).

والحقيقة ليس أوجز لوصف واقع أكثر المسلمين اليوم من هذه الآية وهذا الحديث..

إذا يمكن تلخيص واقع المسلمين اليوم تحت عناوين رئيسية ثلاثة :

أولا: ذهاب الدين عند أكثرية المسلمين .

ثانيا: ذهاب الدنيا لدى الغالبين الساحقة من المسلمين .

ثالثا: تسلط الأعداء وتحكمهم في كافة مناحي حياة المسلمين.

ولنقف على نبذة من التفصيل في هذه العناوين .

﴿ أولاً : ذهاب الدين ﴾

فإن الأمة كادت تفقد معظم مقومات دينها، ويتجلى ذلك في مظاهر انهيار الحياة الدينية وفسادها لدى معظم المسلمين ، وكذلك فساد أحوالها وضياع مقدساتها ، وأهم ذلك غياب الحكم بشرع الله عنها . ويمكن إبراز أهم وجوه ذلك فيما يلي :

1- غياب الحكم بشرع الله عن كافة بلاد المسلمين:

فكما روي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قوله :(**لتنقضن عرى الإسلام عروة عروة فكلما انتقضت عروة تشبث الناس بالتي تليها ،فأولهن نقضا الحكم وآخرهن الصلاة**) (رواه أحمد 21139).

وقد تحقق إخبار رسول الله صلى الله عليه وسلم بذلك. ونقض الحكم بشكل متدرج إلى أن اندثر بالكامل. فقد كانت الثلمة الأولى بانصرام الخلافة الراشدة التي سارت على هدي النبوة بعد ثلاثين سنة من وفاته صلى الله عليه وسلم . وعقب ذلك تحول الحكم إلى نظام الملك العضوض الوراثي على يد بني أمية ، ثم استمر ذلك في ملك بني العباس ومن تلاهم من الملوك الطوائف. مع ما

يتبع ذلك مما يلازم نظام الملوك في الحكم حيث تدرجت القصور -وهي مراكز الحكم المركزي- في الفساد حتى بلغت من ذلك مبلغا عارما ..

وبتسلل الضعف إلى خلافة بني العباس نهايات القرن الثالث الهجري ، تفككت الممالك في أطراف الدولة الإسلامية لتقوم بذلك سلطنات ومملكات وإمارات تعتمد القهر والجبروت ، وتتفاوت فيها وتختلط مظاهر الصلاح والفساد . وتحولت الخلافة شيئا فشيئا إلى رمز شكلي أكثر منه نظام حكم وسلطة.

وكلما أوغل الحكم مع الوقت بعدا عن شريعة الله الكاملة ، بسبب تلاعب أهواء الملوك وتدليس علماء السلطان ، دبت بسبب ذلك مظاهر الفساد في كافة مرافق حياة المسلمين . إلى أن وصلت الأحوال إلى اجتياح التتار لمشرق بلاد الإسلام وغزو الخلافة في عقر دارها ، بعد أن نشطت الهجمات الصليبية على يد الروم والممالك المسيحية الأوروبية وتمكنت من إقامة مستعمرات صليبية على سواحل الشام ، إلى أن تواصل التردي ليبلغ قمته في سقوط بغداد بيد التتار سنة 656 هجرية ، وتقطع أوصال الخلافة العباسية لتدخل كافة بلاد الإسلام تحت وطأة سلاطين الحكم الجبري بالكامل . ولكن مع بقاء مبدأ الحكم بالشريعة كأساس في معظم تلك الممالك بشكل عام .

ثم حصلت نهضة استثنائية ولفترة محدودة بقيام الدولة العثمانية التي نقلت الخلافة إليها ، وأعادت إليها هيبتها المركزية ردحا من الزمن . ثم ما لبثت أن دب إليها الانحلال . وبدأ الفساد يطال مجال التشريعات والحكم بما أنزل الله . ثم تكالبت عليها الدول الاستعمارية الأوربية ، وتآمر عليها اليهود كي يصلوا إلى فلسطين، حيث تمكن حلف الخصوم من إسقاط الخلافة العثمانية سنة 1924 ميلادية وتبع ذلك سقوط كافة البلاد الإسلامية تحت استعمار مختلف الدول الأوربية الصليبية وعلى رأسها إنجلترا وفرنسا وروسيا وغيرها. وخلال فترة الإستعمار نشأت مذاهب العلمانية في بلاد الإسلام وانتشرت في أوساط الطبقات المثقفة من أبناء المسلمين برعاية المستعمر الذي أنشأ على عينه منها أحزابا سياسية وشخصيات وأسر مالكة مهد لها استلام السلطة من بعده في مرحلة ما بعد الإستعمار، أو ما أطلق عليه اسم (الاستقلال). ليقوم بذلك حكم الطواغيت بغير ما أنزل الله في كافة بلاد الإسلام برعاية وإشراف الدول الاستعمارية .

وهكذا مر الحكم الذي نقض عروة عروة بالمراحل التي أخبر عنها رسول الله صلى الله عليه وسلم فيما روي عنه من حديث حذيفة : (تكون النبوة فيكم ما شاء الله أن تكون ثم يرفعها إذا شاء أن يرفعها .ثم تكون خلافة على منهاج النبوة .فتكون ما شاء الله أن تكون ثم يرفعها إذا شاء الله أن يرفعها . ثم تكون ملكا عاضا فيكون ما شاء الله أن يكون ثم يرفعها إذا شاء أن يرفعها .ثم تكون ملكا جبريا فتكون ما شاء الله أن تكون ثم يرفعها إذا شاء أن يرفعها . ثم تكون خلافة على منهاج النبوة .ثم سكت) رواه مسلم. وفي رواية غاية في الأهمية أوردها ابن حماد في كتاب الفتن من

حديث أنس رضي الله عنه قال : (إنها ثم ثم ملك عضوض ثم جبرية ثم طواغيت). وهذا الذي حصل في بلاد المسلمين منذ رحيل الإستعمار وقيام حكومات الطواغيت لترعى مصالحه وتحكم بشرائعه إلى يومنا هذا. حيث تجاهر معظم حكومات بلاد المسلمين بحكمها بغير ما أنزل الله ، بل وتجاهر أكثرها بعدم صلاحية الشريعة الإسلامية للحكم في العصور الحديثة ! بل وتنسب تخلف المسلمين الحالي ومشاكلهم إلى الشريعة ذاتها !.

وهكذا وضعت الدساتير ، وسنت في ضوئها آلاف القوانين التي تحارب الله ورسوله ودين المسلمين ، وتعاكس شريعة ربهم بكل صفاقة ودون أي مواربة ولا حياء .

ففي كثير من بلاد الإسلام أزيلت حاكمية الشريعة نصا من تلك الدساتير، وأبقيت في بعضها مجرد عنوان ممزوج بالشرك الصريح بقولهم (الشريعة الإسلامية هي المصدر الأساسي للتشريع) جاعلينها مصدرا إلى جانب مصادر أخرى . في حين زعمت بعض البلاد كما (السعودية) (أن الشريعة الإسلامية هي المصدر الوحيد للتشريع) ولكنها جعلت إلى جانب المحاكم الشرعية محاكم مدنية أو وضعية أو مختصة بحسب ما أسموها وكلها تحكم بتشريعات وقوانين ولوائح تنظيمية مستمدة أو مستوحاة من تشريعات أوروبا أو من تلك التي ابتدعها كفار العلمانيين والمشرعين المنتسبين لهذه الأمة بالأسماء والأشكال. فاستعلنت تلك التشريعات وصارت لها المحاكم والهياكل الإدارية والقوانين التي تنفذ وتحكم في رقاب المسلمين إلى جانب ما بقي في بعض البلاد من قوانين الشريعة الإسلامية في بعض مجالات الأحوال الشخصية . حيث تتولى السلطات الكافرة الحاكمة بالحديد والنار إنفاذ قوانين الكفر وإخضاع الناس لها .

وهكذا اكتمل نقض الحكم في كافة بلاد الإسلام بلا استثناء. وهذا البلاء هو أهم مظاهر ذهاب الدين ، وأساس كافة أنواع البلاء الأخرى من مظاهر فساد الدين و ذهاب الدنيا وتسلط الأعداء . و لا جرم أن كل ما نحن فيه مما سنورد بعضه في هذا الفصل متفرع عن هذه الطامة العظمى وهي (**الحكم بغير ما أنز ل الله وتبديل شرائعه على يد حكامنا المرتدين الخونة وولايتهم لليهود والنصارى من أسيادهم الكافرين**).

احتلال المقدسات الثلاثة في ملة الإسلام :

وهي مكة المكرمة وفيها الكعبة والمسجد الحرام . والمدينة المنورة وفيها مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم . والقدس الشريفة وفيها المسجد الأقصى- أولى القبلتين وثالث الحرمين الشريفين .

فعلى عكس ما هو شائع ومعروف من أن القدس كانت أول المقدسات ذهابا وذلك سنة 1967م . وأن مكة والمدينة وجزيرة العرب عقر دار الإسلام قد وضعت تحت نفوذ الأمريكان و

قوات التحالف الصليبي التي أطبقت عليها إبان حرب الخليج الثانية سنة1991م. ثم الثالثة سنة 2003م.

فإن الحقيقة أن مكة والمدينة كانت قد ذهبت ووضعت تحت نفوذ الصليبيين قبل ذلك بكثير . وأن ذهاب القدس كان تبعا لذهاب مكة قبله . وأن قوى الردة التي سيطرت على مكة كانت صاحبة دور أساسي في ذهاب القدس على أربعة مراحل رئيسية ، وهي : (1936- 1947 -1967- 2002)م.

وذلك أن بريطانيا الإمبراطورية كانت قد احتلت منذ مطلع القرن السادس عشر وعبر القرون الثلاثة التي تلته كثيرا من أطراف العالم الإسلامي ، وبسطت سيطرتها المباشرة عليها ، ومنها أطراف جزيرة العرب (سواحل اليمن وعمان وإمارات الخليج والكويت)

وقد تنبهت بريطانيا لما تشكله بلاد الحجاز من قدسية لدى المسلمين وما تميزت به بلاد نجد من الإستقلال الذاتي حتى عن مركزية الخلافة العثمانية . فعمدت إلى مكر خبيث منذ مطلع القرن التاسع عشر من أجل السيطرة عليها. وذلك بالتعاون مع عميلهم الأكبر عبد العزيز آل سعود مؤسس الدولة السعودية الثالثة الحالية . حيث كان والده عبد الرحمن وأسرته وأولاده قد لجؤوا إلى الكويت فارين من نجد بعد انهيار الدولة السعودية الثانية.

تلقفت وزارت المستعمرات البريطانية بإشراف مندوبها وعميلها الجديد عبد العزيز آل سعود سنة (1898م) وكان قد جاوز العشرين من عمره بقليل ، ورأت صلاحيته للمهمة التي نفذتها بحذاقة . فقدمت له الدعم العسكري والذهب البريطاني وأوحى إليه مستشاروه باستغلال الدعوة الوهابية وحماس دعاتها المجاهدين من (الإخوان) .

وتمكن عبد العزيز من السيطرة على الرياض ثم نجد عبر عدة حملات منذ (1902م) ثم وقع الخيار من قبل بريطانيا عليه لمشروعها في جزيرة العرب ، بعد أن خدعت (الشريف حسين) عميلها الآخر في الحجاز . وتمكنت بريطانيا من إعلان عبد العزيز سلطانا على نجد والحجاز، بعد أن ضموا إليها مناطق نجران اليمنية ، سنة (1932م) . حيث وعقدوا معه صك ضمان لملكه لتلك البلاد تحت المسمى الجديد الذي أقامته بريطانيا وهو (المملكة العربية السعودية) . وضمنت بموجب ذلك بريطانيا العرش لعبد العزيز وأولاده من بعده مقابل نفوذها على تلك البلاد ، وأخذت عليه ألا يعقد عقدا ولا يبرم أمرا ولاسيما في علاقاته الخارجية بغير إذنها ومشورتها . وقد أصبحت هذه الاتفاقيات الآن وثائق منشورة معروفة تناولتها الكتب التي أرخت لتلك الفترة ، وهي مثبتة فيما نشر من وثائق وزارة الخارجية البريطانية التي تنشر بعض أرشيفها كلما مر عليها ثلاثين سنة.

وبقيام حكم عبد العزيز آل سعود وسيطرته على بلاد الحجاز بعد المذابح التي أقامها جيشه بمساعدة الطيران الإنجليزي (للإخوان) في معركة (السبيلة) ، قضى على قوى الخير التي أوصلته إلى

الملك بعد أن خدعها بتبنيه المزعوم للدعوة الوهابية . وهكذا صفا الجو لعبد العزيز وأولاده من بعده ، ليضعوا مقدرات الأمة المالية ومقدساتها الدينية تحت هيمنتهم وسلطانهم الذي تعهدوا أن لا يخرجوا فيه عن مشورة التاج البريطاني.

منذ ذلك الحين ومكة والمدينة وجزيرة العرب تحت سيطرة الإنجليز. ومن ثم الأمريكان الذين ورثوا العرش السعودي ونفط جزيرة العرب والإشراف على مكة والمدينة ضمن ما ورثوه من ممتلكات التاج البريطاني بعد الحرب العالمية الثانية (1945م) التي أزالت سيادة أوروبا الاستعمارية ، لتتقاسمها سيادة أمريكا وروسيا. وكانت جزيرة العرب وأمراء محمياتها البريطانية ومنهم آل سعود ضمن ما ورثت أمريكا من بريطانيا . والتقى الرئيس الأمريكي (روزفلت) بالملك (عبد العزيز) على ظهر سفينة حربية أمريكية بعد الحرب العالمية الثانية. ونقلت في ذلك اللقاء كفالة ذلك العرش السعودي الخائن إلى الأمريكان بعد البريطانيين مقابل سمعهم وطاعتهم ، فصار يتلقى المدد من الأسياد الجدد (الأمريكان) ، ويعطيهم الولاء كما كان الحال مع أسلافهم الإنجليز.

ومما نشر من وثائق تلك المرحلة موافقة عبد العزيز على برامج الإنجليز في الهجرة الصهيونية إلى فلسطين وعدم الاعتراض على إعطائها لليهود . وموافقته على وعد بلفور.

وفي عام (1936م) قامت الثورة الكبرى التي أشعلها الشيخ عز الدين القسام رحمه الله في فلسطين ضد المستوطنين اليهود ، الذين بدؤوا يزحفون على فلسطين بإشراف الإنجليز الذين كانوا قد تعهدوا بإعطاء فلسطين وطنا قوميا لليهود عبر وعد بلفور رئيس وزراء بريطانيا سنة(1917م). وعجزت بريطانيا عن إخماد الثورة ، فاستنجدت بعميلها (الملك عبد العزيز)، الذي أرسل ولده ووزير خارجيته (فيصل) ليتحايل على عرب فلسطين وزعماء ثورة (1936م) ، من أجل إيقافها بعد أن كفل لهم وفاء (صديقتنا بريطانيا) على حد وصفه ، فأوقفت الثورة ثم أخمدت ، وكان ذلك أول خطوات ضياع القدس .

ثم أشرفت الجيوش العربية السبعة وحكام بلادها على الانسحابات الشكلية للجيوش العربية بإشراف بريطانيا ، لتقوم على إثر تلك الهزائم المبرمجة دولة إسرائيل سنة (1947م) على أكثر أرض فلسطين ، وليضيع معها النصف الغربي للقدس .

وعبر مؤامرة شبيهة سنة (1967م) تم لإسرائيل احتلال القدس الشرقية وفيها مسجد الصخرة والمسجد الأقصى ضمن ما احتلت من الضفة الغربية وأجزاء من سوريا ومصر والأردن.

ثم تتالت فصول المؤامرة – وليس هذا الكتاب محل تفصيلها - لتمر بمحطة مؤتمر مدريد للسلام سنة (1991م) من أجل التطبيع مع اليهود حيث شاركت فيه السعودية وصدرت الفتاوى التاريخية بإباحة ذلك والتدليل عليه بالآيات والأحاديث من قبل هيئة كبار العلماء في السعودية

ورئيسها – أبوهم الوالد - الشيخ (عبد العزيز بن باز) . بعد أن كانوا قد أفتوا بإباحة دخول جيوش الصليبيين الأوربيين والأمريكان لجزيرة العرب بدعوى ضرورة مواجهة خطر صدام حسين !

ثم تابع قطار المؤامرة والكوارث مسيره ليصل إلى (مبادرة الأمير عبد الله بن عبد العزيز) ولي العهد السعودي ، والحاكم الفعلي الحالي للرياض أواسط عام (2002م) ليعرض التطبيع الكامل مع اليهود والاعتراف بإسرائيل مقابل إعادة ما احتلته سنة (1967م) متنازلا عن باقي فلسطين ! ولينعقد مؤتمر القمة العربي الذي حول مبادرته إلى مشروع عربي كان الغرض منه إجهاض الإنتفاضة التي انطلقت بعنف وقوة في رجب (1423هـ) أي قبل المبادرة بسنة . وقام (سعود الفيصل) وزير خارجية السعودية بتسويق المبادرة عربيا وعالميا ليكمل ما قام به أبوه وعمه وجده من قبل .. رغم أن إسرائيل قبلت نصف المبادرة (التطبيع و الاعتراف بها) ورفضت نصفها (الانسحابات مما احتلته سنة 1967) وتوجت ذلك بالإطاحة بالسلطة الفلسطينية وإعادة احتلال ما خولتها إياه من الضفة الغربية وقطاع غزة. وصعدت مجازرها للفلسطينيين منذ ذلك الحين.

وخلال تلك السنيين وفي أواخر (1990م) وأوائل (1991م) زحفت جيوش التحالف الدولي وعلى رأسها أمريكا وبريطانيا لتنزل في جزيرة العرب مليون جندي بمعداتها وآلياتها العسكرية وبوارجها وطائراتها تحت ستار تحرير الكويت ليبدأ الإحتلال والتمركز المنظم للأمريكان والهجمة الصليبية الحديثة على الشرق الأوسط (جزيرة العرب والشام ومصر والعراق). وهكذا وضعت مقدسات المسلمين الثلاثة (مكة والمدينة وبيت المقدس) تحت الإحتلال الصليبي المباشر بإشراف حكام آل سعود وأمراء جزيرة العرب التي توفي رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يوصي المسلمين وينشدهم بقوله (أخرجوا المشركين من جزيرة العرب). وبوجود (القدس) تحت احتلال اليهود بمساعدة الأمريكان وتعهد الإنجليز تكون مقدسات المسلمين الثلاثة قد وضعت تحت احتلال اليهود والصليبيين وهذا من أظهر مظاهر فساد الدين لدى المسلمين الذين خلوا بين أعدائهم وأقدس مقدساتهم وللأسف.

****

2- **فساد عقيدة التوحيد لدى معظم المسلمين وانتشار البدع واندثار السنة:**

فإن الناظر في أحوال المليار وربع المليار من المنسوبين لملة الإسلام اليوم يجد أن أغلبهم لم يعد لديهم من الدين إلا رسمه ، بل ربما إلا اسمه . و يجد أن الملتزمين بالشعائر منهم وهم في أهل الإسلام قلة في هذا الزمان ، قد توفروا على عقائد مشوهة، ليس فيها مما كان عله سلف هذه الأمة ورعيلها الأول إلا النذر اليسير.

فقد درست معالم العقيدة السمحاء التي جاءنا بها رسول الله صلى الله عليه وسلم ووصف أصحابها خلاصة بقوله (ما أنا عليه اليوم وأصحابي) . قد وهت هذه العقيدة في نفوس أكثر من ينسبون إلى الالتزام بل إلى الإنتماء للصحوة الإسلامية ومدارسها المختلفة . وحصل ما أخبر به صلى الله عليه وسلم من افتراق هذه الأمة على ثلاث وسبعين شعبة كلها في النار إلا واحدة ، كما تحقق ما أخبر عنه من قيام دعاة على أبواب جهنم من أجابهم إليه قذفوه فيها . وقد تدرج اندراس هذه العقيدة لدى المسلمين منذ القرن الثاني الهجري ، وما زال البلاء والبدع والانحرافات تطرأ تدريجيا عليها بما أفسد الملوك وفجار القراء من هذا الدين . كما قال ابن المبارك رحمه الله :

وهل أفسد الدين إلا الملوك وأحبار سوء ورهبانها.

والناظر في أحوال العلماء اليوم وتلاميذهم وأحوال المنسوبين لقيادة مدارس الصحوة الإسلامية ..لا نجد ممن يدعوا إلى ما كان عليه الرعيل الأول إلا أحاد الغرباء هنا وهناك . فمن نجا من (ترهات) المبتدعة والضلال والمنحرفين وأهل الأهواء والملل والنحل المختلفة ، لم ينج في الغالب من البلاء العام في زماننا هذا وهو عقيدة الإرجاء، وهو دين الملوك في زماننا هذا وكل زمان . فلا تجد في أكثر قادة وعلماء ورموز من ينسبون للصحوة الإسلامية والعمل الإسلامي والدعوة ، من أقصى المتصوفة إلى أقصى السلفية مرورا بمعظم رواد الحركات الإسلامية والدعوية ، إلا مسبحا بحمد السلاطين ، مواظبا على موائد الحكام ومجالسهم ، مستجديا لرضاهم . مما أضعف مكانة الدين كله في نفوس العامة . فقد مسخت عقيدة الإرجاء توحيد الألوهية وتوحيد الحاكمية في ضمير أكثر الأمة . حتى أصبح الحكام المرتدون العملاء الحاكمون بغير ما أنزل الله ، الظالمون لرعيتهم وأهل ملتهم ، الفاسقون في سلوكهم وأحوالهم ، الكافرون بشريعة ربهم أصبحوا لدى أغلب علماء اليوم وكأن القران – حاشاه – قد نزل فيهم : ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم المؤمنون الصالحون !! وليس كما نزل بالحق والعدل والصدق ﴿ **فأولئك هم الكافرون** ﴾ ﴿ **فأولئك هم الظالمون** ﴾ ﴿ **فأولئك هم الفاسقون** ﴾ .[كما عبرعن ذلك شهيد الإسلام سيد قطب رحمه الله].

وهذا من أعظم مناحي فساد العقيدة لدى العامة والخاصة. ناهيك عما انتشر بين من بقي في أنفسهم للدين مكانة ، من أنواع الخرافات والبدع و(الخزعبلات) والتعلق بالأموات والقبور والمزارات و شعوذات المشعوذين .هذا عند أكثر من ينسب للتدين.

أما الدهماء والعوام ، فقد نسي معظمهم الله فأنساهم أنفسهم . وأصبح أكثرهم يعبد الحكومات ، أو يعبد المال ، أو يعبد أهواء نفسه ، أو يعبد القنوات الفضائية وشاشات التلفزيون يقوم عليها الليل ويعتقد بكل ما تدسه في رأسه من سموم ..

وصارت إله العصر(أمريكا والغرب) وثقافتهم وأفكارهم ، تعبد وتقدس ويُعتقد بها أكثر مما يتعبد الناس لله بعقيدتهم الصحيحة . وصار أكثر الناس يعتقدون في رؤسائهم وكبرائهم وأغنيائهم أنهم ينفعون ويضرون ، ويرزقون ويحرمون ، ويعطون ويمنعون ويرفعون ويخفضون ، بل يحيون ويميتون ... فأي معنى وأي إيمان بقي لأسماء الله الحسنى وصفاته العلى في نفوس أئمة وعلماء هؤلاء ناهيك عن عوامهم؟! ، وأي طعم بقي لزعمهم تصحيح العقائد..

وأما أكثر من يسمون (طلاب علم) فقد تفشى في أكثرهم داء عبادة الأحبار والرهبان الذين أحلوا لهم الحرام فتبعوهم ، وحرموا عليهم الحلال فصدقوهم ، ونافقوا لملوكهم ورؤسائهم فاقتدوا بهم .. ونشروا فيهم بدعا وضلالات ما أنزل الله بها من سلطان ... على أنها دين الله فتبعوهم .

وأما (دعاة للإسلام) والعاملون في الحركات الإسلامية فقد أنزلوا أحزابهم وقياداتهم ، مثل ما أنزل طلاب العلم مشايخهم من الإتباع والطاعة العمياء. رغم علمهم بأن ذلك مناف لأبسط مقومات عقائد الولاء و البراء ، وأن لا طاعة لمخلوق في معصية الخالق . ثم لا تجد إلا متمحكا لتبريرات ،ومتعسفا لتعليلات من أجل تسويغ الإتباع الأعمى وعبادة الرجال .إلا من رحم الله وقليل ما هم .

والمصيبة أن كثيرين منهم يظنون أن تصحيح العقيدة هو مجرد التوغل في بحوث الأسماء والصفات ، ومحاربة القبور والموتى والمزارات . وما دروا أن صحة الاعتقاد تشمل كافة مناحي الحياة عقيدة وعبادة وسلوكاً واتباعاً.

حتى صار الداعي إلى الله ، وإلى حقيقة العودة إلى دينه غريبا بين الناس ، قابضا على جمرة الصبر، منطويا على حرقة المعاناة تماما كما وصف رسول الله صلى الله عليه وسلم .فقد انتشرت البدع ، واندثرت كثير من السنن حتى عند الملتزمين من المتدينين وهم القلة في الأمة .وأما أكثر باقي الأمة ، فما هم في السنة ولا في البدعة لقد أصبح أكثرهم يستن بسنن المغنيين والمغنيات والراقصين والراقصات والرياضيين والرياضيات ،الأحياء منهم والأموات .. وأصبحت دور الأزياء ورموز الفن والمجلات ،ونجوم الشاشات الصغيرة والكبيرة نموذجا للتقليد والإتباع .ولم يعد عند هؤلاء من النسبة لأهل الإسلام إلا التسمي بالأسماء والتمسك ببعض العادات والتقاليد ذات الأصول الدينية مع بعض رسوم العبادات والمواسم الدينية.

****

3- **انتشار الفسوق والعصيان والمجاهرة بالمنكرات :**

فقد صار هذا سمت أغلب المنسوبين للإسلام . وماذا نسوق من الأمثلة وعن ماذا نعرض؟! فالبلاء عام، والكوارث طامة .

فإذا جئت لدنيا المال والأعمال ومعايش الناس ; لرأيت أكثر الناس لا يبالون هل حصلوا رزقهم من حلال أم ومن حرام ، و لرأيت التعامل بالربا قد حل في كل زاوية ، و أن الناس يأكلون أموال بعضهم بالباطل، بالغش والخداع وبيع العينة ونظام البنوك والتعاملات ، وأما معاملات الأسواق فقائمة أصلا على الحرام، هذا ناهيك عن تفشي الرشوة والفساد والسرقات والاحتيال والنهب.

وإن جئت لوسائل الإعلام من الفضائيات و الدشوش وشاشات التلفزيون إلى محطات الإذاعة إلى شبكات الانترنت والمعلومات الدولية إلى الصحف والمجلات ، إلى المنتديات والمراكز الثقافية... إلخ ، لرأيت غالبيتها مصدر البلاء وبوابات الشياطين على بني البشر. فإن سمتها الأساسية قائمة على أنواع المحرمات والموبقات . من الموسيقى والطرب إلى اللهو والعري وعروض الاختلاط وبرامج الزنا والدعارة .. إلى نشر الرذيلة وأفكار الفساد وموديلات الأزياء الغربية الفاضحة . هذا ناهيك عن نشر فلسفات الإلحاد وأفكار العلمانية والثقافات المحاربة لله ورسوله ودين المسلمين . هذا فضلا عما ابتدعوه حديثا من عرض ما أسموه (الإسلام المعتدل) ونموذج حياة أصحابه وطرق تفكيرهم ، وقد صار لبوابات الضلال هذه فقهاء ومفتون وأسسا تؤطر للكفر والمروق من الدين باسم الإسلام (المعتدل) بدعوى مواكبة العصر وعدم إعطاء الحجة لأعداء الدين بتهمتنا بالتطرف والإرهاب . ويكفيك أن تتابع على الفضائيات برامج (فتاوى على الهوا) ولو صدقوا لكتبوها بالألف المقصورة لتصبح (فتاوى على الهوى) على هوى كفار الحكام و فساق المحكومين .

وأما حياة أكثر المسلمين الاجتماعية والأخلاقية ، فلم تعد تقوم على أصول الإسلام من الحياء والحشمة والصدق والإخلاص والرحمة والتعاون على البر والتقوى ...فحياة أكثر العامة قائمة على الرياء والنفاق والغيبة والنميمة ، وقطيعة الرحم ، و التدابر و التناكر ، والتحاسد والكذب ، والغش والمكاسب الحرام ..هذا ناهيك عن انتشار السفور حتى صار الحجاب نادرا ومحاربا على الصعيد الرسمي والاجتماعي ، كما أدت حياة الاختلاط وعمل المرأة في أوساط الرجال في كل مجال إلى انتشار الفساد والرذيلة والخيانات الزوجية ، وتفشى الزنا ، وانتشار الطلاق .. مما أورث المجتمعات أمراضا خطيرة لم تكن فيها من قبل ..هذا فضلا عن مصائب السياحة وشواطئ العراة ، وأندية الرذيلة ومقاهي الفساد ، وصالات الأفراح ، وملاهي المجون، وانتشار الخمور والمخدرات وصالات القمار ومختلف أنواع المحرمات..

وأما عن الحياة الثقافية والفكرية ! فثقافات مستوردة من شرق وغرب ، وفلسفات قائمة على الإلحاد والعلمانية والتنكر لدين هذه الأمة وهويتها وأصالتها في كافة مجالات الفكر والثقافة

والأدب والفنون. وكأنه لم يكفنا ما حصل لنا عبر العقود المتوالية منذ الإحتلال وما تلاه من بلاء حكومات الإستقلال، فها هي أمريكا اليوم تطاردنا بمخططات تغير مناهج التعليم والإعلام والتدريس الديني على كل صعيد . وتصنع لنا برامج التغيير الثقافي لتطال كل مجال .. في اللغة والتاريخ والدين والثقافة وكل مكوماتنا الحضارية والدينية ..

وأما عن الحياة السياسية ...فمجال أخصب للفساد والبعد عن الدين ; فقد انتشرت الأحزاب والتيارات والتجمعات السياسية القائمة على معتقدات وأفكار مناهضة لدين الإسلام . ويكفي أن تستعرض الشرائح السياسية في بلاد المسلمين داخل ما يسمى (البرلمانات). ويكفي أن تطلع على قوانين تشكيل الأحزاب وسير الإنتخابات ، حتى تعلم أي نوع من البشر صار هؤلاء الذين يسمون (مسلمين)! ولتدرك أن بينهم وبين كل أمة نسب إلا مع أمتهم ودين آبائهم وأجدادهم! .

فقد صارت (الديمقراطية) ونموذجها الغربي دينا يعتقد وتسيل في سبيله الدماء في المظاهرات وعلى صناديق الاقتراع ..، وأما الأحزاب التي تسمى (إسلامية) فبرامجها السياسية قائمة على مزيج من الأصول الإسلامية والديمقراطية الغربية مع كم من الفكر المستورد ومنوعات من الإنحرافات والبدع التي اخترعها أصحابها ومزجوها ببعض أصول الدين ليسموها (برامج إسلامية) و(أحزاب إسلامية) ... بل ليطلقوا على ضلالها مصطلح (فقه برلماني)!

وهكذا دب الفساد في كافة مرافق الحياة ... السياسية ،والدينية ، والاقتصادية ، والاجتماعية ، والأخلاقية ، والفكرية ،والثقافية ...إلخ .

وكيف لا ينتشر الفساد والرذيلة ومقومات الصلاح في أمة الإسلام قد دب فيهما العطب :فكما روي في الأثر:(**صنفان من الناس إذا صلحا صلح الناس وإذا فسدا فسد الناس ، العلماء والأمراء**).

كيف لا ينتشر الفساد ويجاهر بالمنكرات ؟ والحكومات القائمة في كافة بلاد الإسلام مشجعة على ذلك ؟! تنفق ميزانياتها ومصادر ثرواتها في وجوه الفساد والإفساد .. كيف لا والقيادات السياسية والأمراء من الملوك والرؤساء والسلاطين وحاشيتهم ووزرائهم ومشرعيهم وقياداتهم العسكرية والأمنية والسياسية ،هم أئمة الرذيلة والفساد ، وهم من أكابر رواد مراتع المنكر وهم المستخفّون بلا حياء بشرائع الدين وشعائر الإسلام ؟! إنهم باختصار:أئمة الكفر والفساد.

وكيف لا وعلماء المسلمين ومشايخهم وقادتهم قد هجروا الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وصار أكثرهم مجرد (ديكور) يكمل به الحكام موائدهم ومنصاتهم وصالوناتهم . في الإجتماعات والحفلات والمناسبات ! كيف لا والصالحون منهم اكتفوا بالسكون في جحور العجز وأعذار الرخص والتقية ! حتى صغر شأنهم وهيبتهم في أعين العامة ولم يعودوا قدوة تحتذى بل زهدوا الناس في أمور الدين وصار كثيرا منهم نموذجا للضعة والتخلف والعمالة والجهل.

غربة أهل الحق :

ومن جراء مظاهر فساد الدين واستعلاء أهل الضلالة ، وكون أكثر أكـابر النـاس في مجتمعـات المسلمين هم أكابر المجـرمين ممـن قـدمنا أحـوالهم مـن أعيـان رجـال السياسـة والتجـارة والفنـون والفساد ومن في حاشيتهم من المنحرفين.

فقد أصبحت الفئة المتمسكة بدينها ،الآمرة بالمعروف الناهية عن المنكر ،الداعيـة إلى تغيـيره ، صارت غريبة في المجتمع . وأصبحت الثلة المؤمنـة المتمسـكة بالاعتقـاد الصـحيح والسـلوك الملتـزم بقواعد الدين غريبة في تلك الفئة الصالحة ، وصارت القلة المجاهدة في سبيل الله ، المواجهة لأعـداء الله في الداخل والخارج من أجل تصحيح هذه الأوضاع ودفع هذا البلاء ، صارت هذه القلـة غريبـة في تلك الثلة . وصار حالها إلى ما وصف رسول الله صلى اللـه عليـه وسـلم مـما قـدمنا لـه في فصـل الغربة والغرباء والظاهرين على الحق .

وعلى هذا الحال انصرم القرن الميلادي العشرون ودخلنا في القرن الحـادي والعشرـين، لتجـد أن أكثر الناس وكأنهم يتهيئون لإتباع المسيح الدجال ،لا يحول بينهم وبين ذلك إلا خروجـه .والعيـاذ بالله ونسأل الله السلامة في ديننا وأعراضنا وأنفسنا و ذرياتنا وكل أمرنا.

ثانياً : ذهاب الدنيا

وأما عن ذهاب دنيا أكثر المسلمين . فإن الأكثرية الساحقة للمليار وربع المليار من المسلمين تعيش في هذا الزمان معيشة ضنكا ، من سوء حال دنياها ، وضيق معايشها ، فضلا عما قدمنا من فساد دينها وبعدها عن ربها . ويكاد يطابق حال أكثرهم ما وصف رسول الله صلى الله عليه وسلم في الحديث الذي رواه ابن ماجة وصححه الحاكم من رواية أبي سعيد الخدري رضي الله عنه حيث قال : (**إن أشقى الأشقياء من اجتمع عليه فقر الدنيا وعذاب الآخرة**) فكأن غالبهم يصير إلى هذا الحال ما لم تتداركهم رحمة الله وعفوه.

وتتجلى مظاهر ذهاب دنيا المسلمين وأسبابها في أمور كثيرة لعل أهمها ما يلي :

1- سرقة بيت مال المسلمين وثرواتهم الأساسية:

فمن المعلوم للقاصي والداني أن منطقة الخليج العربي تحتوي على أكبر احتياطي للنفط المعروف في الكرة الأرضية. وهو خزان النفط الأول في الأرض كما أن الكشوف الحديثة أثبتت أن الخزان الثاني في الأهمية على مستوى العالم هو في منطقة جمهوريات وسط آسيا الإسلامية ، والمنطقة الممتدة من بحر قزوين إلى القفقاس . بالإضافة إلى أن ثروات نفطية وغازية هامة أخرى تتركز في بلاد العراق والشام ، وهنالك بحيرة نفطية أخرى في جنوب السودان والقرن الأفريقي وثالثة ممتدة من مصر إلى الجزائر..هذا على صعيد الثروات الأساسية في العالم الحديث وهي مصادر الطاقة التي تشكل الثقل الأساسي اقتصاديا وسياسيا بل واستراتيجيا على كل المستويات .. فإذا ما أضفنا إليها أن العالم الإسلامي الممتد من أفغانستان و الباكستان والفلبين شرقا إلى شواطئ المحيط الأطلسي وسواحل المغرب وموريتانيا والسنغال غربا ومن أوسط آسيا و القفقاس والبلقان وشمال أفريقيا شمالا وإلى جنوب آسيا وجزر إندونيسيا وأواسط أفريقيا السوداء جنوبا إذا علمنا أن هذا العالم الإسلامي يمتلك من الثروات المعدنية المختلفة مخزونا هائلا استراتيجيا ، بحيث أن عددا من دوله تعتبر من الدول الأولى المصدرة لمعادن صناعية هامة وإذا أضفنا إلى ذلك الثروات الحيوانية والزراعية التي تتوفر عليها هذه المناطق. بالإضافة لما توفره مصادر المواصلات البرية والبحرية والجوية وحقوق (الترانزيت) لهذه المنطقة التي تحتوي على أهم أربع مضائق ومعابر مائية عالمية من أصل خمسة هي مضيق هرمز، وباب المندب ، وقناة السويس ، ومضيق جبل طارق وتشكل أجواؤها عقدة مواصلات بين الجهات الجغرافية الأربع في العالم ; لعجبنا كيف أن هذه المنطقة تشتمل على بلاد قد تصدرت قوائم الدول الأكثر فقرا وتخلفا وجهلا وأمية في العالم !! وأن الأكثرية الساحقة لشعوب هذه المنطقة بما فيها شعوب دول نفطية ذات عضوية في منظمة الأوبك تعيش

تحت خط الفقر . رغم أن الإحصائيات الإقتصادية المنشورة علنا من قبل مراكز الدراسات العالمية ، تشير إلى ثروات خيالية ، تفوق الحصر وتذهل المطلع .

ويكفي على سبيل المثال أن نعلم أن 65% من استهلاك أوروبا للغاز الطبيعي يأتي من الجزائر مرورا بالمغرب . وأن نعلم أن جزيرة العرب وهي عقر دار الإسلام وبيت مالهم الأساسي تحوي 75% من احتياطي النفط المعروف في الأرض . وأنها تنتج نحو 16 مليون برميل نفط يوميا !! وأن أحد حقول النفط في جنوب العراق قادر على إنتاج 5 مليون برميل نفط يوميا هذا عدى ما ينتج من الغاز فيها.. هذا عدا ما هو معلوم من احتياطي النفط والغاز في بلاد مثل إيران والجزائر وسوريا والسودان .. وعن ثاني أكبر احتياطي للنفط في العالم في محيط ببحر قزوين ..

فكيف اتفق هذا ؟! أن تكون شعوب أغنى بقعة في الأرض ، هي أفقر شعوب الأرض !.

يزول العجب إذا اطلعنا على آلية السرقة التاريخية الأسطورية التي يمارسها الغرب بدوله المختلفة، وعلى رأسها أمريكا ودول أوروبا الناتو وروسيا ..وهم العدو الصليبي الزاحف علينا اليوم .. حيث يمول حروبه التي تزهق أرواح أطفالنا بأموالنا وثروات بيت مالنا .. إنهم ببساطة يأخذونها ويذبحوننا بها ! يأخذون بترولنا ليحركون به طائراتهم وأساطيلهم ودباباتهم الآتية لقتل أطفالنا ونسائنا، ولتعود أرباحه على شعوبهم لتعيش رفاه العيش .

إن الثروات تسرق من مصادرها ،لأنها تستخرج كلها عبر شركات أجنبية تشرف على مراحل الاستخراج والتسويق والتجارة ، وتدير البنوك الدولية حيث تستقر الأرصدة ، فتستكمل دائرة السرقة من البداية إلى النهاية!!

ذلك أن السرقة تبدأ من عقد العقود مع الحكومات الخائنة عميلة اللصوص المستعمرين الذين يمتلكون ويديرون تلك الشركات . حيث يذهب ما بين 40-60% إليهم عبر عقود الشراكة ، وهذه أول مراحل السرقة ! ثم تأتي المرحلة الثانية من السرقة بتزوير كميات المواد المستخرجة لأنهم هم المشرفون على استخراجها بواسطة مهندسيهم وخبرائهم ، فضلا عن رشوتهم للمشرفين من حاشية حكامها على هذه الثروات من أجل تزوير الكميات في العديد من البلاد . ثم تأتي ثالث مراحل السرقة ، في تحديد أسعار هذه المواد وتسويقها عالميا بأبخس الأثمان . ويكفي أن نعرف أن السعر الحقيقي المفترض أن يكون لبرميل النفط الخام إذا ما قيس بأسعار المواد المصنعة ، ودوره في تشغيل مصانعها هو بحسب بعض مراكز الدراسات الإقتصادية العالمية في بلاد الغرب ذاته 26يجب أن يكون 260 دولار للبرميل الواحد . في حين لم يتجاوز في الحقيقة سعره عالميا في تاريخه 45 دولار!!. وقد تراوح في معظم وقته حول 20دولار للبرميل ! وانخفض في بعض الأحيان عن 10 دولار!! كل ذلك لأن أسياد البورصة العالمية التي تلعب باسعار البضائع الأساسية ، وقيمة العملات الدولية ،هم من اليهود ومن كبار الرأسماليين الصليبيين ،أي نفس المحتل المستعمر لبلادنا ! ثم

نضيف للمأساة فصلا جميلا حين نعلم أن حكومات بلادنا العميلة ، واللصوص المحليين من حكامنا وملوكنا وأبنائهم وإخوانهم وكبار حاشيتهم ...يحصلون من هذا البترول على هبات من خارج الحصص المقرر إنتاجها عالميا في تلك البلاد ، فيبيعوه بنحو3 دولار للبرميل الواحد في المياه الدولية وأعالي البحار ، فيخسفون بسعر النفط عالميا ، ولكن ناقلة صغيرة من نصف مليون برميل تكفي عائداتها (1.5مليون دولار) لتغطية مصاريف نزواتهم من الزنا والفجور والقمار لعدة أسابيع!!!

هذا مثال واحد من عالم النفط وقس عليه كافة الثروات وطرق سرقتها.....

ثم تأتي المرحلة الرابعة من السرقة ... حين تنتقل حصة بلادنا من ثمن هذه المواد إلى بنوكهم ، لتتحول إلى أرقام و أصفار الكترونية متراكمة عندهم في الحسابات يشغلون بها اقتصادهم ولا يسمحون لحكوماتنا أن تسحب منها إلا كميات محدودة ومحسوبة، لتذهب معظمها في شراء المواد الصناعية والأسلحة واحتياجاتنا مما نستورده من عالمهم المصنع ،حيث يفرضون أسعار موادهم كما يحبون ويشتهون ! بل يفرضون على بلادنا نوع وكميات السلاح والذخائر الذي نستورده ! وسعره طبعا ! يكفي مثالا أن أحد نواب مجلس الأمة الكويتي قد فجر فضيحة حين كشف عن فاتورة بمليارات الدولارات التي تحاسب بها أمريكا الكويت عن نفقات قواتها هناك ، حيث سجل في مصاريف الطعام ثمن (الخسة) من الخضار المستخدمة في السلطة 30 دولار أمريكي !! .

لتكتشف في نهاية المطاف أننا لا نحصل من ثرواتنا إلا على نسب مئوية مضحكة يذهب معظمها للحسابات السرية لحكامنا وجلادينا في البنوك السويسرية والأوروبية والأمريكية ذات الإدارة اليهودية . ولا يصل للشعوب إلا ما يغطي نفقات تلك الحكومات وبعض مشاريعها الأساسية . أما معظم الثروات المعدنية فهي تسرق بنفس الطريقة وتنقل غالبا على شكل فلزات وأحجار ومواد خام للتصدير، بحيث لا تصنع وتستخلص محليا حتى لا يكون في أكثر تلك البلاد بنى تحتية صناعية ولا تستعمل اليد العاملة المحلية فيها إلا على صفة حمالين من المناجم إلى موانئ التصدير !!.

وهكذا تحولت تلك الثروات والنعمة العظيمة التي منحها الله بلاد عباده المسلمين ، إلى نقمة صارت سببا لتصارع الحكومات والانقلابات السياسية والعسكرية محليا من أجل تولي السلطة ، والإشراف على نهب هذه الثروات وتسليمها للسيد المستعمر من قبل الحكام المرتدين المتعاقبين على حكم بلادنا .وسببا في النهاية للغزو الأجنبي والحروب والموت ولباس الخوف والجوع .هذا ناهيك عما تفرضه أمريكا على معظم حكومات بلادنا ولاسيما في عقر دارهم وبيت مالهم (جزيرة العرب) من فواتير تكاليف غزواتها في بلادنا على شكل نفقات قوات (حفظ السلام) و (المساعدات العسكرية) المزعومة !! وهو الاسم الملطف للاستعمار العسكري الحديث . كما فعلت أمريكا بالسعودية عندما قدرت تكاليف (عاصفة الصحراء/ تحرير الكويت) بـ (560 مليار دولار)!

فاستولت على ميزانية السعودية لديها وجعلت ما عجزت عنه على شكل ديون ربوية جعلت السعودية – أكبر مصدر للنفط في العالم – دولة مدينة ربويا لصندوق النقد الدولي !! هذا بعض ما كشفته وسائل الإعلام ، والمخفي عنا أدهى وأعظم وأمر .

2- سوء توزيع الثروة في بلادنا الإسلامية:

لا تنتهي مأساة سرقة بيت مال المسلمين وثرواتهم عند حد سرقتها ، فالمصيبة الأعظم هي أن ما يسلم من الثروات المحلية وما يصل منها لبلادنا يتولى سرقة معظمه حفنة من الحكام الفراعنة المسيطرين على مقدرات البلاد والعباد لينهبوا معظمه، وليتقاسموا بعضه مع المقربين من حاشيتهم وشركائهم وعملائهم وكبار التجار والقائمين على أجهزتهم السلطوية و الطاغوتية ! فيكفي أن تعلم أن ثروات بلاد الخليج النفطية والغازية التي تجاوز مواردها المليار دولار يوميا.. يتقاسمها أسر حاكمة ومالكة لا يتعدى تعداد أفرادها في بعض الدول العشرات من الأمراء. وهم بمجموعهم في دول الخليج العربي لا يزيدون على بضعة مئات من الملوك والأمراء وكبار أبنائهم.. يتقاسمون ثروة الأمة الإسلامية بكاملها.. فيكفي أن تعلم مثلا أن المصروف اليومي للأمير سلطان بن عبد العزيز النائب الثاني لملك ما يسمى بـ (المملكة العربية السعودية) يبلغ 3 مليون دولار يوميا بحسب بعض مراكز الدراسات الملمة بإحصائيات دنيا المال والأعمال وحياة الأغنياء! حيث تغطي هذه المبالغ خدمات قصوره الممتدة من سواحل أمريكا إلى أوروبا إلى شرق آسيا بما فيها من خدمات اللهو والدعارة والقمار والفساد.

وقس غيره عليه ، ومن الطريف المحزن أن تعلم أن الأخبار قد نشرت أن فيصل بن فهد ملك السعودية مات فجأة بسكة قلبية لأنه خسر على موائد القمار في بعض معاركه على طاولة الميسر (10 مليار دولار) يعني عشرة آلاف مليون دولار.. وقس عليه حكام باقي بلاد العالم الإسلامي المنكوب حيث يتولى أبناء الملوك والرؤساء وكبار أعوانهم وقواد جيوشهم وأجهزة استخباراتهم تقاسم ثروات البلاد ، بحيث يعيش معظم أفراد الشعوب الإسلامية عمليا تحت خط الفقر بموجب إحصائيات دراسات اقتصادية واجتماعية يتفطر لها القلب ويندى لها الجبين فسوء توزيع الثروة يتدرج على كل المستويات..

فثمة سوء توزيع للثروة بين البلاد الإسلامية ذاتها بحكم التقسيم السياسي الاستعماري لبلاد العالم الإسلامي وتوزيعها بين دول غنية متخمة ودول فقيرة هالكة .. ففي حين يصل متوسط دخل الفرد في بعض البلاد الإسلامية مثل بنغلادش وأفغانستان وبعض البلاد الأفريقية الإسلامية ليقل عن 100 دولار في السنة للفرد ! أي نحو ربع دولار يوميا يصل متوسط دخل الفرد في البلاد الخليجية إلى

عشرات آلاف الدولارات سنويا للفرد الواحد حيث تسجل بعضها –مثل الكويت وقطر- أعلى معدل لدخل الفرد في العالم . ثم هناك سوء توزيع ثروة داخل كل بلد..

ففي حين تصل ثروة بعض الأفراد في بعض البلاد الإسلامية حتى الفقيرة ولاسيما في طبقات السلطة العليا في كل بلد إلى مرتبة المليارديرات .. حيث يتصدر بعض حكام بلاد المسلمين وبعض أبنائهم وإخوانهم قوائم أغنى عشر مليارديرات في العالم .. تجد بعض أفراد رعيتهم يموتون جوعا وتسحق البطالة معظم أفراد شعوبهم .

كل هذا علما أن من أساسيات ديننا أن أمة الإسلام واحدة ... وأن ذمتهم واحدة ، وتكاملهم واحد . حتى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم ..أخبرنا بأنه ما آمن من بات شبعا وجاره جائع. (الحديث).

فثروات المسلمين هي ملك المسلمين ، بمعنى أن جميع الثروات لجميع المسلمين .

ولكن تقسيمات وزارات المستعمرات الغربية لبلادنا قسمت الثروات ووزعت الفقر والغنى . فأين حال الأمة مما كان عليه الأمر الأول؟!.

فقد روت الآثار أن الصحابة رضوان الله عليهم لما فتحوا العراق وكثرة الغنائم والمال ..نظر عمر في سعة الأرض بعد فتوح العراق وما أفاء الله على المؤمنين ..فجمع الصحابة وناظرهم في أنه يرى ترك أراضي سواد العراق لبيت مال المسلمين، ثروة لمن يأتي من بعدهم رغم أن بعض الصحابة احتج وطالب بأن تقسم على المجاهدين الذين غنموها، وكان لهم في ذلك أدلة ونصوص من كتاب وسنة.

ومما جاء من الآثار في ذلك :

(عن أسلم: قال: سمعت عمر يقول: اجمعوا لهذا المال فانظروا لمن ترونه وإني قد قرأت آيات في كتاب الله. سمعت الله يقول: ﴿ ما أفاء الله على رسوله من أهل القرى ﴾ - إلى قوله – ﴿ والذين جاؤوا من بعدهم ﴾ والله ما من أحد من المسلمين إلا وله حق في هذا المال أُعطي منه أو منع حتى راع بعدن). كنز العمال ص 561 .

فقد فكَّر رضي الله عنه في الذين جاؤوا من بعدهم ، وقال رضى الله عنه : (والله لئن بقيت لهم ليأتين الراعي بجبل من صنعاء حظه من هذا المال وهو يرعى مكانه) كنز العمال ص 524 .

وقال رضي الله عنه (ما على وجه الأرض مسلم إلا وله في هذا الفيء حق أُعطيه أو منعه إلا ما ملكت أيمانكم) كنز العمال ص 525.

وقد ضرب عمر رضي الله عنه المثال بحق فقير يمني بما فتح الله في العراق ، وهي من أبعد ما كان يصل إليه حكمه من ديار الإسلام عن مكان الثروة والمال الجديد . فجعل لأهلها نصيبا مما دخل بيت المال من الثروات حتى الزراعية وهي أرضي سواد العراق ... فما بالك بثروات باطن الأرض

الطائلة ؟! ولكن السياسات الاستعمارية قسمت البلاد وأذلت العباد ، حتى تمكنت من سرقة الجزء الأكبر ، وجعلت المسلمين يتفاضلون فيما بقي منه في أسوء مثال لتوزيع الثروة في التاريخ والواقع . وبذهاب الثروة وضياعها وسوء توزيع ما تبقى منها، نتجت نتائج خطيرة جدا على الصعيد الاقتصادي والاجتماعي والسياسي في بلاد المسلمين ، وانعكست بالإضافة لما نتج عن غياب شرع الله والحكم به مما قدمنا، لتولد باقي أعراض ذهاب الدنيا نكد العيش على كل صعيد . ومن بعض وجوه ضياع الدنيا ونكد العيش على سبيل الذكر و للإشارة ..

3- الظلم :

إن غياب عدالة الشريعة ، وغياب عدالة توزيع المال ، جعل أكثر الناس وحوشا ضارية يأكل بعضهم بعضا ويظلم بعضهم بعضا . والناظر في تسلسل مراتب الظلم والمظالم يجده طابعا أساسيا لعيش المسلمين .. فأمريكا والدول الاستعمارية تظلم بلاد المسلمين حكاماً ومحكومين وتخضعهم لجبروتها. والحكام الفراعنة يظلمون من تحتهم من أعوانهم وشعوبهم ويقهرونهم. وكبار الأعوان يظلمون صغارهم بحسب تفاوت قربهم وبعدهم من السلطان، وبحسب مناصبهم وصلاحيات طغيانهم ،.. وهم بجملتهم يظلمون باقي الناس بحسب قدرتهم أيضا أغنياءَهم وفقراءَهم على حد سواء ، ويبتزون أموالهم و ينتهكون حرماتهم .. وحتى داخل طبقات الشعب ؛ فإنك تجد القوي يظلم الضعيف ، والغني يظلم الفقير ، وهكذا.. ، حتى أن الظلم كاد أن يكون عرفا مقبولا ،لا تكاد تجد عليه اعتراضا من أحد، وكأنه قدر مقدور لا طاقة ولا قبل لأحد بإزالته، حتى أصبحت المحاكم وهي ما تسمى (بيوت العدالة) أصبحت دورا لأخذ الرشوة وأكل الحقوق .. فأين ينتصف مظلوم من ظالم.. ؟!

4- القهر والذل :

وهكذا ألبس الناس ثياب الذل والانكسار، كل ضعيف تجاه من هو أقوى منه، وكل فقير تجاه من هو أغنى منه، وكل محكوم تجاه من بيده شيء من السلطان أكثر منه. وأصبحت الضغائن ومشاعر القهر تسيطر على معظم الناس تجاه حكامهم خاصة ، وفيما بين أكثريتهم عامة ، وأورث هذا الناس أمراضا اجتماعية مستعصية من الرياء والنفاق والتحاسد والتباغض ..

5- الخوف :

وأما لباس الخوف فهو سربال يتسربل به أكثر المسلمين منذ نعومة أظفارهم بسبب ما تقدم من العوارض. فالمسلمون حكاما ومحكومين يخافون من سيطرة وسلطان الأعداء وعدوانهم، والشعوب تخاف حكامها، وكل ضعيف يخاف من هو أقوى منه.

ففي ظل الأنظمة البوليسية حيث تتعدد أجهزة الإستخبارات ، ويتفنن الجلادون في صنوف التعذيب ، وتنفق الحكومات قسطا كبيرا من ميزانيتها في بناء السجون ، يسيطر الرعب على كافة طبقات الناس ، فالموظف يخاف المدير ، والأستاذ يخاف المخبر من التلاميذ ، والسائق يخاف شرطي المرور ، والمواطن يخاف المخابرات، والمتظاهر يخاف القمع.. وخطيب الجمعة يخاف الجاسوس بين المصلين .. والكتاب يخافون الرقابة.. وهكذا.. إلى الحاكم العميل الذي يخاف من أمريكا ، ويواليها خوفا وطمعا كي تُبقي عليه، وتضمن توريث ملكه لأبنائه أو ذويه وأتباعه ..

6- الجوع والأمراض:

وبسبب سرقة بيت مال المسلمين الأساسي (نفطهم وثرواتهم) ، وبسبب سوء توزيع ما تبقي ونهبه من قبل الكبراء . ألبس الناس لباس الجوع مع لباس الخوف. فالأكثرية الساحقة للمسلمين تعيش تحت خط الفقر، وتثبت هذا إحصائيات المنظمات المحلية والعالمية ذات العلاقة بهذا الشأن. كما أن كثيرا من بلاد المسلمين مثل بلاد القرن الأفريقي وبنغلادش وسواها تجتاحها المجاعات والأمراض والكوارث .. التي تحصد مئات آلاف البشر كل سنة. ومعظم بلاد المسلمين نتيجة اختلال موارد الثروة تعيش حياة متدنية على مستوى الخدمات الصحية. مما نشر الأمراض المزمنة والأوبئة وجعل إمكانيات الحكومة دون مستوى التصدي لها ، كما جعل تكاليف العلاج بعيدة عن متناول معظم العائلات الفقيرة.

وقد أودى الفقر بكثير من الشباب والرجال إلى الرحيل عن بلادهم طلبا لموارد الرزق ، حتى صارت كثير من بلاد المسلمين كالباكستان ودول شمال أفريقيا وتركيا وسواها.. بل معظم بلاد المسلمين مصدرا لتصدير العمالة الرخيصة المهاجرة إلى كافة أنحاء العالم ليضيع الرجال شبابهم بعيدا عن أسرهم ونسائهم وأطفالهم من أجل كفاف العيش .أما عن الجهل فحدث ولا حرج ، ويكفي على سبيل المثال أن نعلم أن الإحصائيات تشير إلى وجود (65 مليون) أمي في العالم العرب فقط ، علما أن تعداد السكان فيه يناهز الـ300 مليون نسمة !! .

7- القتل الجماعي:

تتعرض كثير من بلاد المسلمين اليوم لحملات للإبادة الجماعية من قبل المستعمر الغربي في ظل النظام العالمي الجديد. وتكاد لا تخلو نشرة أخبار يوميا من خبر أو أكثر عن تلك المجازر. فخلال العقدين الأخيرين فقط ...حصدت المجازر مئات آلاف المسلمين في البوسنة، و الشيشان ، وكوسوفو، وكشمير، والهند ، والفلبين ، وأفغانستان ، والعراق ، وفلسطين ، ولبنان ، والصومال ، وإندونيسيا ، ونيجيريا ، وبورما ، واريتريا ، و كردستان العراق ، ... وغيرها.

بل إن حملات القتل المنظم والتجويع نالت ملايين الأطفال كما في العراق ، حيث لم تكتف أمريكا بقتل أكثر من 300 ألف مدني وعسكري في حرب الخليج الثانية (عاصفة الصحراء) .. فقتلت عبر 10 سنوات من الحصار أكثر من مليون ونصف طفل من سوء التغذية وانعدام الدواء . وملف المجازر الجماعية وعمليات الإبادة العرقية والتصفية الجسدية الحاصلة للمسلمين اليوم تحتاج إلى مجلدات قائمة بذاتها ومؤرخين متفرغين يتابعون تفصيلها وإحصائياتها !!.

هذا ناهيك عن عمليات القتل والإبادة عبر أنظمة وبرامج تحديد النسل ، والأدوية المعقِمة والفاسدة والناشرة للأمراض ،التي يرسل بها الغرب عبر شحنات الأغذية والمساعدات التي تدخل بلاد المسلمين المنكوبة تحت عناوين المساعدات الغذائية !!.

ناهيك عن عمليات التصفية والمجازر التي تقوم بها الحكومات وأنظمتها الطاغوتية لشعوبها ، وخاصة للشباب المسلم في حال شعورها بأي خطر . وقوائم جرائمهم طويلة، فقد قتل صدام خلال حكمه في العراق أكثر من مليون إنسان ، وقتل الملك حسين في الأردن في أيلول الأسود 1970 عشرين ألف فلسطيني ، وقتل حافظ أسد مطلع الثمانينات أكثر من 40.000 من الشعب السوري وفي تل الزعتر في بيروت - لبنان نحو 60.000 من الفلسطينيين ، وفي طرابلس كذلك أكثر من 20.000 لبناني ، كما حصد النظام الجزائري بعد الإنقلاب ب العسكري 1991 وإلى اليوم أكثر من 150.000 إنسان ...وهلم جرا .

8- التهجير الجماعي :

كذلك وفي كل مناطق الحروب والكوارث ، وفي مناطق المجازر آنفة الذكر ، نجد أن كثيرا ممن سلموا من القتل ، خرجوا في أفواج هجرة جماعية فارين من عمليات الموت الزاحف . كما حصل في البوسنة و الشيشان وأفغانستان والصومال وإرتريا وفلسطين وكشمير وكوسوفو ... ويكفي أن تطلع على إحصائيات المنظمات الدولية لرعاية اللاجئين ، لتكتشف أن عشرات الملايين من المسلمين يعيشون مهجرين عن بلادهم في مخيمات تفتقر لأدنى مقومات حقوق الحيوان فضلا عن حقوق الإنسان.

9- انتهاك الأعراض :

وفي كل تلك المناطق المنكوبة بالحروب وعدوان الدول والعصابات الصليبية والهندوسية والملحدة وغيرها من أنواع الكافرين ، لم تسلم أعراض المسلمين من أبشع عمليات الانتهاك والاعتداء من قبل الكفرة، بل بلغت مدى مرعبا في بعض مناطق البلاء كما حصل في البوسنة حيث سجلت منظمات حقوق الإنسان أكثر من 50.000 حالة اغتصاب للمسلمات هناك . فضلا عما ترصده

الأخبار هنا وهناك من هذه الجرائم .هذا من قبل الأعداء الخارجيين ، فضلا عما تقوم به أجهزة الحكومات البوليسية الفاجرة ورجال استخباراتها في بلاد المسلمين من العدوان على أعراضهم في سجونها بلا حسيب ولا رقيب...

هذا عن الانتهاك الإجباري للأعراض ، ناهيك عما فشا في المسلمين من انتهاك طوعي للأعراض بفضل سياسات الحكومات وأجهزة إعلامها الداعرة في نشر الرذيلة والفساد وسوء الأخلاق ، حتى انتشر الزنا في المسلمين انتشار الوباء..

10- القلق والضياع النفسي :

وهو النتيجة الطبيعية لكل ما سبق ، فإن أمة تعيش بعيدة عن دين ربها ، غريبة عن معتقداتها ، محكومة بشرائع أعدائها ، قد هجرت دينها ولم تنسجم في دين أعدائها ، فبقيت مغربة لا هي تعيش الإسلام، ولا هي تذوب في دين غيره . يعيش أفرادها انعكاسات كل ما قدمنا من ألوان البلاء .. من الفقر والجوع ، والخوف والمرض والقهر والذل والظلم والفساد ، وتسلط الفراعنة الحكام ، وطغيان الأعداء وعدوانهم . بكل ما أورث ذلك من الأزمات السياسية والاقتصادية والاجتماعية والثقافية والفكرية والنفسية .. لا شك أن أمة كهذه سيعيش أفرادها التيه والضياع والقلق . فلا هي في دنيا مريحة ، و لا هي تتسلح بدين يسعفها بالصبر والتوكل والقدرة على مقارعة الخطوب . وهذا ما أثبتته دراسات مطلعة ، وإحصائيات مقلقة ، من ازدياد معدلات الانتحار، والطلاق ، والأمراض النفسية والاجتماعية ، وانتشار كثير من مظاهر الهستيريا وأعراض الإكتئاب . وبالخلاصة ، وكما عبر القرآن عن ذلك بكل اختصار وصرامة .. ، وصدق الله تعالى : ﴿ وَمَنْ أَعْرَضَ عَنْ ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنْكاً وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْمَى* قَالَ رَبِّ لِمَ حَشَرْتَنِي أَعْمَى وَقَدْ كُنْتُ بَصِيراً * قَالَ كَذَلِكَ أَتَتْكَ آيَاتُنَا فَنَسِيتَهَا وَكَذَلِكَ الْيَوْمَ تُنْسَى ﴾ (طه:124-126)

وما أوجز العبرة فيما روي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم فيما روي عنه : (**إن أشقى الأشقياء من اجتمع عليه فقر الدنيا وعذاب الآخرة**).

﴿ ثالثاً :تسلط الأعداء وتحكمهم في كافة مناحي حياة المسلمين ﴾

تماماً وحرفياً ، وكواحدة من أنصع دلائل النبوة، حل بالأمة مـا أخـبر بحصـوله صـل اللـه عليـه وسلم ، فقد روى أبو داود عن ثوبان أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : (**ثـم يوشـك الأمـم أن تداعى عليكم كما تداعى الأكلة إلى قصعتها فقال قائل ومـن قلـة نحـن يومئـذ قـال بـل أنـتم يومئذ كثير ولكنكم غثاء كغثاء السيل ولينزعن الله من صدور عدوكم المهابة منكم وليقذفن الله في قلوبكم الوهن فقال قائل يا رسول الله وما الوهن قال حب الدنيا وكراهية الموت**).

فالعالم الإسلامي اليوم يعيش حالة من التسلط الكامل للأعـداء عـلى جميـع مقـدراتهم وسـبل حياتهم بشكل فظيع ما مر في تاريخهم مثله . ويتجلى ذلك في مظاهر عدة من أهمها :

1- <u>تحويل بلاد المسلمين إلى ميدان لنهب الثروات وسوق لتصريف منتجات الأعداء:</u>

أما نهب الثروات فقد مرت نبذة عنـه، وخلاصـة ذلـك إشراف الإسـتعمار وعـلى رأسـه أمريكـا وأوروبا الغربية على عمليات استخراج الثروات النفطية والمعدنية وغيرها مـن المـوارد ، ثـم الإشراف على نقلها وتحديد أسعارها والتجارة بها والاستيلاء على أثمانها في بنوكهم الصليبية اليهودية .

وفي مقابل ذلك يقوم الغرب المستعمر في بلادنا التي تضم نحو خمس سكان الأرض ، بتحويلها إلى سـوق لتصرـيف منتجاتـه بـدءا مـن الأسـلحة والآليـات و الكمبيـوترات ومختلـف منتجـات التكنولوجيـا ، وانتهـاء بالصـناعات الاسـتهلاكية العاديـة مـن أنـواع الأطعمـة والملبوسـات والمـواد الاستهلاكية المصنعة...

فالمسلمون يستوردون مـن الغـرب حتـى الملابـس الداخليـة و الشباشـب .. بـل حتـى الخبـز والورق الناشف، وبالرغم من أن العدو المستعمر يفرض على الدول المستعمرة ومنها العالم الإسلامي أسعار ثرواتها المعدنية و منتجاتها الزراعية والحيوانية. وهي عصـب صـناعاته ومـوارد غذائـه ، بـل يفرض عليها قيمة عملاتها الشرائية ; فإنه في الوقت ذاته يفرض أعلى الأسعار والرسوم على منتجاتـه المصدرة إلينا ، .بل وتبلغ المأساة مداها إذا علمنا أن الغرب ذاته وعلى رأسـه أمريكـا يقـوم بعمليـة منع انتشار التصنيع الحديث و التكنولوجيـا ، بـل وحتـى التصـنيع المتوسـط في معظـم بـلاد العـالم الإسلامي ، كي نبقى سوقا لتصريف منتجاته بل إنهم يفرضون حتـى السياسـات الإقتصـادية وبـرامج التنمية وخطط الزراعة والإنتاج الحيواني ، التي يتحكم بها بالتفصيل صندوق النقد الـدولي ، بحيـث لا تصل بلادنا إلى الاكتفاء الذاتي من الأغذية الأساسية كالقمح والسـكر والأرز وغـيره. وهنـاك أمثلـة كثيرة صارخة على هذا. فقد منع صندوق النقد الدولي السودان – مثلا - من البـدء بمشرـوع اكتفـاء ذاتي بالقمح بعد وصول حكومـة (البشـير) إلى السـلطة ، ولمـا أصرت هـددها بوقـف المسـاعدات.

وأغرتها أمريكا بإمدادها بالقمح لمدة عشر سنوات بقروض غير ربوية. وبكميات من المنح الغذائية على شكل هبات بدون مقابل! وكان الغرض واضح . وهو تحويل الأراضي الخصبة إلى أراضي بور لا تصلح للزراعة. وربط رغيف الخبز في السودان بالقرار الأمريكي.. ويكفي أن نعلم أن مصر التي كانت في العهد الروماني تكفي الإمبراطورية الرومانية من القمح ، تعيش اليوم على احتياطي من القمح الأمريكي يكفي المصريين من الخبز لمدة ثلاثة أشهر .. وليس هنا محل سرد الإحصائيات والتقارير. فباختصار يمكن القول بأن الحال الاقتصادي والغذائي والصحي للشعوب الإسلامية مرعب بسبب هذه السياسات .

2- تسخير اليد العاملة الإسلامية لخدمة صناعات الأعداء:

فبسبب سياسات التجويع والحصار وحكومات الظلم ... هاجر من بلاد المسلمين ملايين العمال. ومئات الآلاف العلماء والمثقفين وحملة الشهادات إلى بلاد الغرب ولاسيما أوروبا وأمريكا ، ليسدوا ثغرات ضخمة في البنية التحتية لمصانعهم بأبخس الأثمان ...وفوق ذلك فإن الدول الرأسمالية الغربية جميعها ولاسيما الأوروبية قد أنشأت مصانعها المتخصصة في لصناعات البسيطة والمتوسطة في بلاد المسلمين، ولاسيما في مجالات الأغذية والملبوسات والمواد الإستهلاكية تحت مسمى (الماركات) العالمية الشهيرة التابعة لها. لتستفيد من رخص اليد العاملة في بلادنا دون أن تخل بالقاعدة الصارمة المفروضة من قبلهم بأن لا تكون تلك الصناعات من مستوى التكنولوجيا حتى لا تستفيد تلك البلاد من الخبرات الصناعية .

بل إن نظام التسخير للعمالة - شبة المجانية - من قبل الغرب لليد العاملة في البلاد الإسلامية وبلدان العالم الثالث ولاسيما غير المسيحي ، دخل المجال العسكري منذ الحرب العالمية الأولى والثانية .. ويكفي أن نعلم أن وقود المعارك الضخمة التي دارت رحاها في شمال أفريقيا وغيرها من ساحات المواجهة بين دول الحلفاء ودول المحور – كمعركة العلمين وغيرها - كانت من الجنود المجندين من دول المستعمرات ومعظمها دول عربية وإسلامية .. وأن نعلم أن فرنسا خسرت في فيتنام في معركة سقوط (دان بيان فو)، أكثر من 16000من القوات الخاصة كان منهم الآلاف من الجزائريين والمغاربة وجنود المستعمرات الإفريقية وكثير منهم مسلمون ... واليوم تشكل قوات الأمم المتحدة و قوات حفظ السلام في مختلف مناطق التوتر ولاسيما في البلاد الإسلامية من جنود ومرتزقة و متطوعين من المسلمين ، أو من قطعات عسكرية ساهمت بها حكومات نوابهم الطواغيت في بلادنا ! وها هي أمريكا اليوم تقوم باستخدام جنود بعض بلادنا لغزو بلاد أخرى ، ولما تفتحها ، تشكل من أبنائها شرطة و عساكر ، تجعلهم درعا واقيا لعساكرها ، وتستخدمهم في ذبح أبناء بلدهم المستعمَر ذاته !! كما يجري الآن في العراق .

بل إن نظام الاستعباد والعمالة المسخرة لخدمتهم وصل إلى مجال الدعارة والترفيه في استيراد نساء المسلمين للترفيه عن جنود المستعمرين الغزاة لبلادنا كما حصل وذكرت بعض الصحف ووسائل الإعلام عن استخدام القوات الأمريكية والغربية في حرب الخليج الثانية لما يسمى بعاصفة الصحراء أو تحرير الكويت لمئات العاهرات من بعض الدول العربية استقدمن بالاتفاق مع حكومات تلك البلاد للترفيه عن القوات الأمريكية والغربية في استراحات معارك عاصفة الصحراء ، وهم يحررون الكويت !

فهذا النظام الاستعبادي الجديد هو اختراع جديد لإعادة نظام العبودية بأسلوب معاصر يتناسب مع العقلية العبقرية لحضارة ما يسمونه الجنس الأبيض الأوربي الأمريكي...

3- سلب الإرادة لصالح العدو:

في ظل أنظمة الفراعنة القائمة في بلاد المسلمين ، فإن المواطن العادي مسلوب الإرادة . مقهور من قبل السلطة . وحتى رجال الفكر والثقافة والفعاليات الاجتماعية والسياسية والاقتصادية فإنهم مسلوبي الإرادة لصالح أجهزة القمع السلطوية المتشعبة . ولا تنتهي هذه المصيبة هنا. فإن حكوماتنا ذاتها مسلوبة الإرادة لصالح إرادة العدو المستعمر، ولاسيما أمريكا وحلفاءها الأوروبيين في ظل النظام العالمي الجديد .

فلا عقود تجارية ولا نظام تسليح ، ولا نظام تحول للسلطة ، ولا انتخابات ديمقراطية أو انقلابات عسكرية إلا بإشراف السيد الخفي الظاهر (أمريكا وحلفائها).

والأمثلة كذلك تحتاج لمجلدات متخصصة بالتاريخ السياسي للمنطقة العربية والإسلامية .ومن ذلك على سبيل النموذج :

- هلك حافظ أسد في سوريا سنة (2000م)، فحضرت (أولبرايت) وزيرة الخارجية الأمريكية - اليهودية - وأشرفت على نقل السلطة ، وراحت تتنقل بين القاهرة وعمان ودمشق وتل أبيب ، ولم تغادر المنطقة إلا بعد أن صرحت في مؤتمر صحفي بكل وقاحة بأن أمريكا مرتاحة لعملية انتقال السلطة في سوريا! وذلك أن حافظ أسد كان قد رتب خلافته لولده الأكبر باسل ورتبت عقود النفط المستقبلية ، كما وقعت اتفاقية التطبيع السرية مع إسرائيل وغير ذلك من المؤامرات باسمه ، ولكن باسل اختطفه القدر وهلك في حادث تحطم سيارته فجأة ، وتطلع عمه (رفعت الأسد) للاستيلاء على السلطة ودعمه بعض رؤوس النصيرية ، وكذلك تطلع بعض ضباط السنة من حزب البعث الحاكم للسلطة . ولكن حافظ أسد وبترتيب مع أمريكا وحلفائها استدعى ولده الأصغر بشار الذي كان يدرس في بريطانيا. حيث جرى تعديل الدستور لتخفيض عمر الرئيس من 40 سنة إلى عمر بشار 36 سنة وصوت البرلمان السوري في جلسة عاجلة

استغرقت نصف ساعة فقط ليحصل الإجماع على ولاية بشار لما مات أبوه! بإشراف أولبرايت رغم أنف الأكثرية من الطائفة السنية المحكومة، والأقلية من الطائفة النصيرية الحاكمة على حد سواء.

- ومثل ذلك دون أن ندخل في التفاصيل الخارجة عن موضوع الكتاب ، نذكر ما حصل من ولاية عهد الملك حسين رغم أنف الأسرة الهاشمية ، حيث استبعد أخاه وولي عهده لأكثر من أربعين عاما (الأمير حسن) وعين ابنه (عبد الله) وعدل الدستور كذلك لإزالة شروط تقف في وجه تعيينه ملكا ، وتم كل ذلك خلال الدقائق الأخيرة من حياة الملك حسين ..
- ومن ذلك قتل الملك فيصل في السعودية لما لم يلتزم في بعض مواقفه بما تعهد به أبوه من الولاء فوق سطح البارجة الأمريكية لروزفلت !
- ومن ذلك اغتيال الرئيس الباكستاني (ضياء الحق) والإشراف على تعيين القيادات المتوالية في باكستان وصولا إلى الإنقلاب الأمريكي الذي جاء بـ (برويز مشرف) ليشرف على الإطاحة بطالبان ، ثم أشرفت أمريكا على إعادة نموذج أمريكي للديمقراطية في باكستان لمتابعة لعبة غزوها لباكستان ووسط آسيا والشرق الأوسط. وكما قلنا فالأمثلة كثيرة يضيق عنها المجال. و يكفي أن نعلم أن من المعلومات التي حصل عليها الطلاب الإيرانيون عندما احتلوا السفارة الأمريكية بعيد ثورة (خميني) سنة 1979م أن المخابرات الأمريكية (CIA) كانت تدفع أكثر من 250 ألف مرتب شهري لعملاء في منطقة الشرق الأوسط تتراوح مراكزهم من رؤساء دول .. إلى وزراء وقيادات حزبية وسياسية حاكمة ومعارضة على حد سواء ..وتتسلسل المراتب من العملاء ، لتصل إلى تجار و فنانين وكناسين في الشوارع !!!.هذا من عالم السياسة.

ومن الأمثلة من عالم الاقتصاد بعد السياسة :

فقد أرادت الحكومة السعودية سحب مبالغ كبيرة من ودائعها لبعض مشاريعها الداخلية ، فاعترضت الحكومة الأمريكية بحجة أن الاقتصاد الأمريكي لا يحتمل ذلك ، ولم يستطع (فهد) خلال زيارة قام بها لأمريكا أن يحصل على موافقة من (ريغان) وعاد خائبا ، في حين أن إدارة (ريغان) أرادت خفض عائدات إيران من النفط إبان حرب الخليج الأولى مع العراق ، فطلب (ريغان) من (فهد) هاتفيا خفض سعر برميل النفط من (40 دولار) إلى (15 دولار) للبرميل .ومن أجل أن تحافظ السعودية على وارداتها - أو بالأحرى أن تحافظ البنوك الأمريكية اليهودية على مداخيلها من ودائع السعودية - فأمره بزيادة الإنتاج اليومي من (5 مليون) إلى (10 مليون) برميل . وهكذا خسرت السعودية 10.000.000 × - 25 = ـــ 250 مليون دولار. هذا عدا آلاف الملايين من الدولارات التي سببتها من الخسارة لكل الدول الإسلامية المصدرة للنفط،

كلما أشرقت الشمس وغربت من أموال المسلمين الذين يموت الملايين منهم جوعا ، بل خسرت معها كل الدول المصدرة للنفط في العالم ، ولم يكلف ذلك (ريغان) إلا هاتفا فقط !!

- وأما تدخل المؤسسات المالية الدولية في السياسات المالية والاقتصادية للدول العربية والإسلامية فأشهر من أن ننقل الأمثلة عليه ..

وقد وصل الأمر اليوم بفقدان الأمة الإسلامية لإرادتها ، وسلب العدو لهذه الإرادة ، أن يصل ذلك لمجال أخص خصوصيات الأمة ، وهو مناهج التربية والتعليم التي تتدخل أمريكا والغرب اليوم فيها ، وتملك القدرة على أن تحذف وتضيف فيها ..! ووصل الأمر حتى للخطب في المساجد..! والحبل على الجرار

فالأمة الإسلامية مسلوبة الإرادة أمام حكامها ،وحكامها لا إرادة لهم أمام أعدائها .

4- الإحتلال العسكري المباشر وغير المباشر لكافة بلاد العالم الإسلامي :

العالم الإسلامي اليوم محتل من قبل مختلف أنواع الكفار ،من اليهود ، والصليبيين ، والهندوس ، والملحدين، والوثنيين ...إما مباشرة وإما بصورة غير مباشرة .

فبقاع كثيرة ترزح تحت الإحتلال المباشر كالفلبين، وأجزاء من إندونيسيا وبورما ، وأجزاء من الهند وكشمير ، وتركستان الشرقية ، والمقاطعات الإسلامية في روسيا ، و القفقاس و الشيشان ، والبلقان والبوسنة وكوسوفو، وفلسطين وأجزاء من بلاد الشام ، وبقع من المغرب الأقصى ...والعراق أخيرا وليس آخرا.، والسودان التي يبدو أنه قد حان دورها ..، والإشارات بوضع سوريا ومصر ، وبقاع من جزيرة العرب على القائمة أيضا..

وأما باقي بلاد العالم الإسلامي قاطبة ، فهي تحت الإحتلال غير المباشر من قبل دول الغرب الصليبية بنيابة الحكام المرتدين ، وباستحكام الإحتلال الاقتصادي للاحتكارات الرأسمالية الكبرى . وبانتشار القواعد العسكرية البرية والبحرية والجوية في جميع أجزائه ، وبشبكة مكاتب الإستخبارات الأجنبية ولاسيما (CIA) و(FBI) التي انتشرت في جميع بلاد المسلمين بشكل علني أو بستار المنظمات والمؤسسات المتنوعة .

5- التبعية الثقافية والفكرية للعدو:

بسبب مظاهر الإحتلال العسكري والاقتصادي والسياسي والأمني التي ربطت الأمة بعجلة العدو الصليبي اليهودي الكافر في كافة المجالات، جاء دور الإستعمار الفكري والثقافي والاجتماعي .. حيث تسن القوانين وتوضع المخططات وتعقد المعاهدات وتبرمج وسائل الإعلام والتربية والتعليم والثقافة لتغريب مجتمعاتنا وإعادة صياغتها وهيكلتها تبعا لهوى المستعمر. فتارة باسم حقوق

الإنسان، وتارة باسم تحرير المرأة ، وتارة باسم التطبيع الثقافي ، وتارة باسم التطوير الاجتماعي ، وأخرى لتحديث المناهج التعليمية ، ولبرامج إعادة صياغة المجتمعات .. وهكذا..

حتى طال تدخل العدو برامج تدريس الأطفال في المرحلة الابتدائية فما فوقها. حيث تتدخل الأمم المتحدة وبرامج اليونسكو ، فضلا عن سفارات الدول الغربية في تقرير ما يجوز ومالا يجوز في مواد الدراسة . بل بلغ تدخل الحكومات الطاغوتية بأوامر أسيادها في تحديد ما يقال وما لا يقال في خطب الجمعة حتى منعوا فيها ذكر اليهود والنصارى بالسوء ، حتى في السعودية ! بلاد التوحيد المزعومة .

ناهيك عن ما يسمح بنشره وما لا يسمح في الصحف والمجلات وجميع أوجه النشاط الفكري والأدبي . وقد أجبر الغرب حكومات بلادنا على توقيع معاهدات على برامج اجتماعية تتنافى مع أسس ديننا وأعرافنا وتقاليدنا. ولم تعد أخبار حرب الأفكار التي أعلنها وزير الدفاع الأمريكي (رامسفيلد) بخافية على أحد ..، هذا ناهيك عما استفحل في مجتمعاتنا من حمى تقليد الغرب اختيارا ، في أساليب تفكيره وعيشه وطرق طعامه ولباسه بل وحتى بناء حماماته ودور خلائه ! .

****

والخلاصة :

باختصار، فإن ن هذا بعض من واقع المسلمين خلال العقود السبعة الأخيرة من القرن العشرين ، والذي تدرج فيه البلاء منذ سقوط الخلافة وتجزئة بلاد المسلمين على شكل مستعمرات تحت الإحتلال الصليبي ، ثم ما تلا ذلك من مرحلة ما سمي (حكومات الإستقلال) إلى أن بلغ البلاء قمته بعد انهيار لإتحاد السوفييتي وتفرد أمريكا وحلفائها في أوروبا الناتو بإطلاق ما سمي (النظام العالمي الجديد) منذ مطلع التسعينات وإلى اليوم .

وكان من المفروض أن يقف لكل هذه الانهيارات حملة الإسلام وحراسه من العلماء والدعاة وما سمي بجماعات الصحوة الإسلامية والحركات الجهادية .. ولكن وكما سنفصل في الفصول القادمة ، فقد شهدت العقود الأربعة الأخيرة مخاضا صعبا ، كانت خلاصته أن معظم علماء الهيكل الديني المعروف لأهل السنة في كافة بلاد العالم الإسلامي قد توزع إما في متاهات النفاق للحكام والدخول في تبريرات عرجاء من أجل تسويغ خياناتهم للدين وعمالتهم للمستعمرين الجدد ، وإما في جحور العجز والتسويغات المعتسفة ، من أجل تفادي دفع ضريبة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر و قولة الحق عند سلاطين جائرين فسقة ظلمة كافرين.

وأما ما سمي بالصحوة الإسلامية التي انطلقت بعيد سقوط الخلافة بقليل ، فقد خرجت من مصادماتها مع حكومات بلادها مقلمة الأظافر مدجنة ، تتقاسمها التشكيلات السياسية والحزبية المسماة (إسلامية) ! لتجد لها أمكنة في منتصف الطريق مع الجاهلية ، بعد أن انسلخت عن معظم مبادئها وشعاراتها وبرامجها وأفكار مؤسسيها الأوائل رحمهم الله . ليتحول شعارها من كونه (الله غايتنا والرسول قدوتنا ، والقرآن دستورنا والجهاد سبيلنا والموت في سبيل الله أسمى أمانينا) ليتحول وكأنه صار (البرلمان غايتها ، والديمقراطية الغربية قدوتها ، والدستور العلماني دستورها وعليه قسمها ، والانتخابات سبيلها ، والفوز بالمقاعد في حكومات الكفر أسمى أمانيها !!) .

وأما الصحوة العقدية لإعادة المسلمين إلى ما كان عليه السلف الصالح ، فقد توزعت جهودها في جدليات الأبحاث والانشغال بمكافحة أنواع البدع ومكافحة القبور والأموات. وانتهت إلى الإرجاء وتقديس الملوك وأولياء الأمر ومكافحة مناوئيهم ، وأخذت بحظها من السعي للبرلمانات أيضا .

وأما الجماعات الإصلاحية والصوفية و التبليغية .. فقد ازدادت عبثية وبعدا عن واقع المسلمين

.

وأما التيار الجهادي المسلح وتنظيماته في بلاد عربية وإسلامية كثيرة . فقد أبلت بلاء حسنا وقدمت وسعها منذ مطلع الستينات ، وضحى أفرادها في أجواء قعود الصحوة وخذلانها، وقعود عامة الأمة وضياعهم وتيههم ، فانفرد العدو بها وسجل روادها ومجاهدوها أسمائهم في سجلات الشهداء والأسرى والمشردين في سبيل الله ، ليكونوا شهود أخدود جديد على أمة مقهورة قاعدة

مفككة . أمة نسي معظم شعوبها الله فأنساهم أنفسهم وأعقبهم نكد العيش، وحكومات كافرة بالله محكمة لشرائع أعدائه، وعلماء كانوا السبب الأساسي في تخدير هذه الأمة من بين منافق وعاجز .. ودعاة لما سمي صحوة إسلامية ، انتهى كثير منهم دعاة على أبواب جهنم . وهكذا انفردت حكومات الفراعنة بشراذم الجهاديين ذبحا وسجنا وتعذيبا وتشريدا وقهرا.

وانهارت بؤر الجهاد واحدة تلو الأخرى ولم ينصرم القرن العشرون إلا ومعظم المحاولات الجهادية مفككة مشتتة، تتقاسم من بقي من روادها ثابتا على الطريق متاهات الهجرة والتشريد والغربة ، يعيشون أكبر مطاردة لأهل الحق عرفها تاريخ البشرية .

وانصرم القرن العشرون ، وانصرمت الألف الثانية للميلاد ، لنستقبل القرن الحادي والعشرين وألفيته الثالثة ، ولتفتتحه أمريكا وحلفاؤها من أوروبا الناتو بمخططات جعلت من الإسلام والمسلمين عدوها الإستراتيجي والتاريخي القائم والقادم . ولتتبنى سياساتها على مبادئ صراع الحضارة الغربية النصرانية مع حضارة الإسلام والمسلمين . ولتنطلق الحملات الصليبية الثالثة صراحة وعلنا .

وصحا العالم على دوي انفجارات الحادي عشر من سبتمبر ، قبل أن ينصرم العام الأول من القرن الحادي والعشرين . وابتدأنا ما سمي (عالم ما بعد سبتمبر) .

فما هو واقع المسلمين اليوم في ضوء ظروف هذا العالم ؟؟.

****

﴿ واقع المسلمين اليوم في عالم ما بعد 11- سبتمبر-2001م ﴾

كما أسلفت في التقديم فإن ما نعيشه اليوم من أوضاع في العالم الإسلامي بعد أحداث الحادي عشر من سبتمبر ، ليس أبدا نتيجة لذلك الحدث المحدود وإن كان عظيما . فما نحن فيه هو مرحلة جاء دورها وفق مخططات الأمريكان والأوروبيين وأسيادهم اليهود . وهي فصول من مقتضيات النظام العالمي الجديد الذي انطلق مطلع التسعينات ، بعد تفكيك حلف وارسو وإدخال مكوناته في حلف الناتو ، وبدء مرحلة القطب الواحد (الأمريكي اليهودي) الذي يريد إدارة شؤون العالم .

ولذلك فإن قولنا (واقع المسلمين بعد سبتمبر) هو من باب التأريخ الزمني وليس قناعة بما تريد أمريكا إقناع العالم به من كون ما نحن فيه نتيجة لسبتمبر .

ويكفي من الأدلة على ذلك ما نشر من المخططات الصهيونية عن عزم اليهود على استكمال احتلال فلسطين وهدم المسجد الأقصى ، وطرد من تبقى من الفلسطينيين منها ، وفرض سياسة التطبيع الشامل مع جيرانها من حكام العرب والمسلمين .هذا التطبيع الذي أعلنت خططه في مؤتمر مدريد 1991م.

ومن الأدلة على ذلك أيضا ما نشر عن برامج الأمريكان لإعادة احتلال الشرق الأوسط والسيطرة على منابع النفط فيه وفي وسط آسيا . وتشكيل قوات التدخل السريع في أمريكا من أجل ذلك منذ أيام كارتر سنة 1973م. وما تبع ذلك من سياسات استعمارية أمريكية معلنة .

وما العاصفة الأمنية الحالية التي تثير هياجها أمريكا وما أسمته (الحرب العالمية لمكافحة الإرهاب) إلا تنفيذا لبرامج المؤتمرات الأمنية التي انطلقت منذ 1990م وتتابعت بمعدل مؤتمر عالمي أو إقليمي كل ثلاثة أشهر; مثل مؤتمرات برشلونة، وباريس، وميلانو، وشرم الشيخ.. واجتماعات وزراء الداخلية العرب في تونس وجدة والقاهرة كل ستة أشهر . والمؤتمرات الأمنية لدول المتوسط التي شاركت فيها أوروبا وحكام العرب وإسرائيل وأمريكا رغم بعدها عن المتوسط ! ثم تتابع المؤتمرات الأمنية في آسيا وأفريقيا ..

ومن الأدلة على هذه الحملة قبل سبتمبر، أن عدد مكاتب الـ(FBI) العلنية قد بلغ في الشرق الأوسط إلى ما قبل سنة 2001م، (23) مكتبا ، في الرياض وعمان والخرطوم وتونس والمغرب.. وغيرها. هذا عدا مئات المكاتب السرية للـ (CIA) .

وكما قلت، فنحن نعيش الآن حالة استغلال إعلامي أمريكي يهودي مبرمج . وتضخيم إعلامي لسبتمبر وتداعياته وأصحابه، من أجل تبرير عدوانهم وإقناع العالم بعكس الحقيقة التي تدل على أن سبتمبر وغيرها من العمليات، وكذلك الإنتفاضة وسواها من أعمال المقاومة .. ما هي إلا ردود أفعال على عدوان وليست عدوانا ابتداءا كما أقنعوا معظم العالم بذلك وحتى كثيرا من المسلمين .

وإذا ما أردنا أن نجمل القول عن واقع المسلمين اليوم بعد سبتمبر 2001م فإننا نقول بأن أحوالهم قد ازدادت سوءا وتماديا تحت كافة العناوين التي أوردناها سابقا ، من ضياع دينهم ودنياهم وتسلط الأعداء عليهم .

ففي ضياع دينهم ، ازداد إصرار الحكومات ومبرراتها لتبديل الشرائع ومحاربة الإسلام . كما ازدادت حالة احتلال المقدسات صراحة . وتفاقمت موجة إفساد العقائد ونشر البدع وسعار الفسوق والضلال ، بسبب شراسة الهجمة الإعلامية وانتشار الفضائيات الهادفة إلى سياسات الإفساد . وازدادت غربة المؤمنين والمجاهدين والآمرين بالمعروف والناهين عن المنكر بفعل شراسة الهجمة الأمنية .

وأما تحت عنوان ذهاب الدنيا : فنحن اليوم لسنا أمام تمادي سرقة الثروات بالحيلة والنيابة، وإنما أمام حالة إعادة احتلال لمصادر الثروات . وأما سوء توزيع الثروة والظلم والقهر والذل والخوف والقتل و انتهاك الأعراض فازدادت معدلاته المخيفة ، وانتشرت حيث لم تكن قائمة قبل سبتمبر. في مجتمعات كانت أكثر أمنا واستقرارا كمجتمعات الخليج العربي وبلدان المسلمين البعيدة عن مركز الشرق الأوسط كبلاد آسيا وأفريقيا الإسلامية.

وأما تسلط الأعداء فهو سمة عالم ما بعد سبتمبر المعلنة الموغلة في العدوانية ..فلم يعد هناك إرادة حكومات وخصوصيات شعوب... والبرنامج اليوم عبارة عن إعادة احتلال شامل ...هذا إذا أردنا الإجمال . ولكن يجدر بنا تسليط الضوء من باب التأريخ الموجز، ومن باب التوصيف المفيد ، من أجل تحريك دواعي المقاومة لدى الأمة . وذلك بذكر بعض ما حل بالمسلمين بعد أحداث الحادي عشر من سبتمبر 2001 . ومن أهم ذلك باختصار :

1- تدمير الإمارة الإسلامية في أفغانستان:

فقد كانت أمريكا وحلفائها قد أعلنت سياستها وإرادتها بإسقاط حكومة طالبان في أفغانستان منذ أواسط 1997م. وتزايدت وتيرة نواياها ظهورا مع الوقت واتخذت لذلك إجراآت اقتصادية وسياسية من الحصار والعقوبات والتلويح بالغزو والحرب . إلى أن جاءت أحداث سبتمبر فوضعت نواياها موضع التنفيذ. وبتعاون غربي ولاسيما من بريطانيا وأوروبا الناتو. ووسط سكوت دولي وخيانة صريحة من الحكومات العربية والإسلامية ، ولاسيما حكومات باكستان والسعودية وإيران ، تم إسقاط حكومة طالبان في ديسمبر 2001م عبر حملة عسكرية أمريكية. تحركت في طليعتها على الأرض قوات المرتدين العملاء في أفغانستان، الذين دخلوا كابل بحماية الطائرات الأمريكية . وهكذا تم إجهاض التجربة الوحيدة الوليدة لإقامة الدولة الإسلامية منذ سقوط الخلافة

العثمانية . ونصبت أمريكا حكومة عميلة في كابل لتحول أفغانستان إلى قلعة أمريكية تسيطر منها على كافة المنطقة في وسط آسيا ذات الأهمية الإقتصادية والإستراتيجية .

2- محاولة إبادة خلاصة الصحوة الجهادية في العالم الإسلامي :

من المعلوم أن قيام الإمارة الإسلامية ورسوخ حكم طالبان ، في ظل أوضاع دولية كانت تتصاعد فيها هجمة الغرب وحلفائه على التيار الجهادي المسلح ، منذ انفراط عقده في أفغانستان 1992م، وما تبع ذلك من تصفية جيوبه في البوسنة و الشيشان، و إغلاق ملاذاتهم الآمنة مؤقتا في أوروبا والسودان واليمن وتركيا وبعض البلاد العربية ، جعل ما تبقى من خلاصة التيار الجهادي تفيء طبيعيا إلى أفغانستان ، التي لجأ إليها أيضا كثير من المجاهدين من وسط آسيا .

وقد اتخذت أمريكا من أحداث سبتمبر ستارا، ومن دمار الإمارة الإسلامية وسيلة. من أجل تحقيق هدفها في ذبح ما تبقى من خلاصة هذا التيار المجاهد الذي يمثل آخر خطوط دفاع أمة الإسلام عن نفسها في هذا الزمن المؤسف.

وعبر معارك القصف الجوي المتوحش. والهجمات الضارية للمرتدين الأفغان الذين أسقطوا الحكومة الإسلامية ، أنزلت أمريكا وحلفاؤها بالمجاهدين العرب والمجاهدين من وسط آسيا و الباكستان خسائر فادحة قتلا وأسرا . وقد أضافت الحكومة الباكستانية برئاسة (مشرف) فصلا مروعا إلى المذبحة. حيث قتلت على أراضيها العشرات وأسرت عدة مئات من المجاهدين وسلمتهم لأمريكا. وسط صمت وبلادة مخجلة من الشارع الإسلامي في باكستان ، رغم ما أبداه بعض الصالحين من الإخوة الباكستانيين من تعاون أنقذ ما يمكن إنقاذه ممن تشردوا عبر باكستان وإيران ، وتمكنوا من إعادة الانتشار في الدنيا يلتقطون أنفاسهم بعد المعارك الطاحنة والمطاردة العمياء[راجع تفاصيل ذلك في كتاب:

(باكستان مشرف – المشكلة والحل والفريضة المتعينة). للمؤلف .

وقد ترافقت هذه الهجمة على أفغانستان ، مع هجمة شرسة وتعاون أمريكي روسي لتصفية المجاهدين في الشيشان . والتي نجحت إلى حد كبير. بعد أن كانت حملة غربية أمريكية أخرى قد نجحت في تصفية المجاهدين في البوسنة سنة 1995. و تابعت أمريكا الحملة في محاولة لتصفية الجيوب المسلحة في الفلبين واليمن والقرن الأفريقي وحيثما استطاعت بعد أن خضبت شوكتهم الرئيسية في أفغانستان . وما تزال المواجهة مستمرة مع اليهود في أكناف بيت المقدس منذ نحو ثلاث سنوات .

العاصفة الأمريكية الأمنية على الإسلام والمسلمين في جميع أنحاء العالم بدعوى مكافحة الإرهاب بعد أحداث سبتمبر.

هذا عنوان يكتب تحته كتب بل مجلدات بكاملها . لإحصاء تاريخ وأحداث هذه الهجمة البربرية الظالمة على الإسلام والمسلمين ، والذي برمجوا له عبر العقود الثلاثة الماضية مستغلين أحداث سبتمبر .. ولا يتسع المقام هنا للتفصيل ، وإنما أورد أهم ما حدث في عناوين:

تصفية معظم التيار الجهادي المسلح على مستوى الجماعات والقيادات والرموز والهيئات و المؤيدين والموالين ..عن طريق الاغتيالات المعلنة والسرية وعمليات الخطف والأسر، ونقل المعتقلين إلى سجن غوانتانامو الأمريكي في كوبا، أو سجونها المتناثرة في قواعدها الأمريكية في أفغانستان وفي مختلف أنحاء العالم. أو بالتعاون مع حكومات الردة وسجونها الكبرى المشرعة الأبواب للشباب المسلم في هذا الزمان . ولاسيما الحكومات العريقة في مكافحة الجهاد والإسلام والمسلمين كحكومات السعودية ومصر والأردن والمغرب وسوريا وتركيا وباكستان وتونس والجزائر و ...إلخ . وقد طالت هذه الحملة كثيرا من الأبرياء حتى من (التهمة الجهادية) إن جاز التعبير.

محاولة تصفية كامل طيف الصحوة الإسلامية السياسي و الدعوي و الاجتماعي بإطاره العريض العام ، تحت دعوى مكافحة الإرهاب، وقطع جذور الأصولية التي تكوِّن محضنا له. بل لقد طالت الحملة كل ما نسب للإسلام والإسلامية .. مؤسسات إغاثية إسلامية إنسانية ..هيئات اجتماعية ..شركات تجارية .. بنوك إسلامية .. جماعات ..أحزاب .. حتى بنوك إسلامية – نصف ربوية ! بل لقد نال البلاء حتى شخصيات عادية ، نالها الاعتداء الأمريكي لأنهم مسلمون أثرياء يشكلون صيدا للصوصية الأمريكية . كل ذلك باستغلال مسمى الإرهاب والحملة لمكافحته ..

البدء بخطة متدرجة لتصفية الجاليات الإسلامية والعربية ووجودها في الغرب. فقد سنت أمريكا وكافة الدول الأوروبية قوانين لمكافحة الهجرة واللجوء السياسي، بل وأحكاما عرفية تتيح لها اعتقال الأجانب وتوقيفهم وسحب جنسياتهم إن كانوا مجنّسين وإلغاء إقامتهم الرسمية إن كانوا مقيمين. واعتقالهم لمدد مفتوحة دون توجيه أي تهمة .. قوانين عرفية أشرس بكثير من الأحكام العرفية التي تسنها الحكومات الانقلابية العسكرية في العالم الثالث . ولم تسلم من هذا حتى أعرق بلاد الديمقراطية كبريطانيا والدول الإسكندنافية و فرنسا . وفي ظل هذا السعار والكلب الذي رافقه موجة إعلامية موجهة من وسائل الإعلام التي يسيطر عليها اليهود والصليبيون عبر التلفزيونات والصحف والأفلام وكافة وسائل النشر والإعلام. كما تزايدت أعمال الجرائم العنصرية حتى ذكرت إحدى الإحصائيات في أوروبا أن هذه الاعتداءات العنصرية على المسلمين قد تزايدت بعد سبتمبر

خلال سنة 2002م بمعدل 66% عن السنة السابقة . وخلال هذا الأسبوع الذي أجري فيه التصحيحات ، والإضافات الأخيرة على الكتاب ، ونحن في (نوفمبر 2004م) أحرق في هولندا عشرين مسجدا ومركزا إسلاميا في غضون عشرة أيام !!

فقد أحرقت مساجد ، وانفجرت قنابل على مراكز إسلامية ، وقتل أفراد من الجاليات المسلمة وجرح آخرون ، واعتدي على محجبات . حتى أنه قتل بعض الهندوس في أمريكا اعتقادا من الرعاع هناك أنهم مسلمون لأنهم يلبسون عمائم هندوسية! هذا فضلا عن انتشار ما دون ذلك من العدوان من السب والشتم والضرب في الطرقات وإرسال رسائل التهديد.. إلخ .

أجبرت أمريكا كافة دول العالم بالترغيب والترهيب بكافة الوسائل ، على الدخول في حملتها لمكافحة الإرهاب وقام وزير خارجيتهم (كولن بول) وسفراؤهم الدبلوماسيون و الأمنيون ، فجابوا العالم يعقدون المعاهدات الأمنية والاتفاقيات البوليسية هنا وهناك في كافة أقطار الأرض . وألزمت أمريكا حكومات الدول العربية والإسلامية بالتعاون الكامل في الحملة تحت تهديد السطوة العسكرية. حتى صرح بعض رؤساء الدول العربية بذلك كرئيس اليمن ومصر ...

كما ضربت أمريكا بعرض الحائط بكافة الأصوات المعترضة عليها من منظمات حقوق الإنسان أو الهيئات الدولية أو أعيان الشخصيات العامة رغم كثرة المعترضين على تجاوزها لكافة القوانين الدولية ولوائح حقوق الإنسان، وسوء معاملتها للأسرى والموقوفين، واستهتارها خلال عملياتها العسكرية بالمدنيين وقتلهم، وبفضائح سجنها التاريخي في غوانتانامو ..فتجاهلت كل ذلك بصرف النظر عن مصدره سواء كان من بلاد المسلمين أو أوروبا أو من الدول الحليفة لها أو حتى من داخل أمريكا .

انطلاق الحملات الصليبية الثالثة نحو احتلال الشرق الأوسط:

فقد صرح بوش بذلك علنا وأنه بصدد حرب صليبية ، ثم اعتذر ببلاهة معللا ذلك بأنه زلة لسان . ثم توالت زلات لسانه ، و ألسنة معاونيه وكذلك تصريحات الوزراء والقيادات العسكرية لبعض دول الناتو بذلك، ناهيك عن آلاف المقالات الصحفية والتصريحات من مختلف المصادر .. وهكذا بدت البغضاء من أفواههم وما تخفي صدورهم أكبر.

واتخذت أمريكا من مشروع احتلال العراق بداية لبرنامج إعادة رسم خارطة المنطقة سياسيا وجغرافيا . .بل تكشفت معلومات عن مشاريع لتقسيم بلاد الشام والعراق ومصر والسعودية وحتى تركيا ة إيران..واحتلال بعضها مباشرة . حيث يتزامن هذا مع برنامج أمريكي كبير للسيطرة على وسط آسيا انطلاقا من أفغانستان وباكستان . وقد تدرجت أمريكا بانتحال الأعذار الواهية من أجل احتلال العراق كبوابة للزحف على الشرق الأوسط ، بدءا من ضرورة إسقاط صدام، وانتهاء

بتدمير أسلحة العراق للدمار الشامل، التي لم يعثر عليها.. ولست هنا بصدد التأريخ لتفاصيل ما يجري وهو معلوم ..

ويكفي أن أقول أن كل التفاصيل تشير بوضوح إلى حملة احتلال صليبية تقودها أمريكا وبريطانيا وإسرائيل ، ويتعاون فيها كافة دول الناتو الأوروبية وروسيا وحلفاء أمريكا في المنطقة وعلى رأسها الهند وتركيا و الباكستان وحكام البلاد الإسلامية . كل هذا وسط صمت وبلادة دولية مخيفة .

توسيع حلف الناتو ورفع شعارات الحملات الصليبية:

عقد حلف الناتو مؤتمره في شهر 11 -2002م برئاسة بوش ورؤساء 19 دولة أوروبية من أجل ضم عدة دول من أوروبا الشرقية، بعد أن عرض ضم روسيا في مؤتمر آخر قبيل بضعة أشهر. حيث صرح (أثنار) رئيس وزراء أسبانيا (اليميني الصليبي) خلال الحفل بأن دخول روسيا في الحلف يعزز الهوية والروح العقائدية للحلف ، في إشارة واضحة إلى التوجه الصليبي .

وهكذا يتجهز العالم الصليبي اليوم برئاسة أمريكا وعضوية أوروبا الغربية ومن لحق بهم من أوروبا الشرقية لبدء المرحلة الرئيسية من الحملات الصليبية الثالثة التي ابتدأت عام 1990م بحرب عاصفة الصحراء ، بعد تفكيك الإتحاد السوفيتي .حيث يتحرك الناتو بزعامة أمريكا في هذه الحملة نحو الشرق الأوسط بعد أن وصل عدد أعضائه مطلع (2004م) ليصل أعضاؤه إلى 26 دولة، معظمها أوربية .

توسيع الإتحاد الأوروبي على أسس صليبية أيضا:

وذلك بإدخال باقي دول أوروبية الشرقية فيه تدريجيا . واللافت للنظر أيضا ، إبراز الهوية المسيحية للإتحاد الأوروبي برفض عضوية تركيا في الحلف رغم استجدائها على بابه لعدة سنوات. ورغم علمانية حكومتها وذلك لأن شعبها مسلم . فقد أرجأ الإجتماع الأخير للإتحاد خلال شهر 12-2002م برئاسة (الدانمرك) ، بحث عضويتها إلى أواخر 2004م. وقد أوجز الرئيس الفرنسي ـ الأسبق (ديستان) السبب بصراحة بقوله: (إن الإتحاد الأوروبي يضم دولا مسيحية ، وإننا إن قبلنا تركيا فيجب أن نتساءل عن حدود أوروبا). وقد أصبح تعداد سكان دول الإتحاد الأوربي الآن 450 مليون نسمة !

انطلاق البرنامج اليهودي التلمودي الكبير:

برعاية شارون الذي يتحرك في حالة من وحدة الصف السياسية والدينية و الاجتماعية في إسرائيل حول هذا المشروع ، الذي يشتمل على هدم المسجد الأقصىـ وطرد ما تبقى من العرب الفلسطينيين بعد إحداث مجازر مروعة فيهم كما ينبئ بعض ما يتسرب من أخبار.

فقد جاء اليهود بشارون الذي رئس حكومة وحدة وطنية من أجل مواجهة الإنتفاضة التي انطلقت بشراسة وانتقلت إلى المواجهة المسلحة لليهود ، منذ عام 2000م ، وتبنت أسلوب العمليات الاستشهادية التي أودت بأكثر من400 قتيل ومئات الجرحى من اليهود عبر نحو سبعين عملية استشهادية حتى الآن .

وتجري هذه الأيام سلسلة من المجازر الرهيبة للفلسطينيين على يد الجيش اليهودي وسط دعم أمريكي علني ، وأوروبي مبطن ، وصمت دولي مخز . وتعاون عربي خياني ولاسيما من حكومتي الأردن ومصر . ويبدو التناغم كاملا بين المشروع الصهيوني الذي يقتضي حضورا أمريكيا وصليبيا كبيرا من أجل دعم التحرك العسكري للجيش الإسرائيلي قليل العدد . وبين المشروع الصليبي الذي يقتضي تعاونا إسرائيليا على الصعيد العسكري ، ودعما يهوديا عالميا على الصعيد المالي والسياسي والإعلامي.

انعدام أي معارضة دولية لهذه الهجمة والغطرسة الأمريكية الصفيقة:

اللهم إلا شذرات تنطلق على استحياء من بعض الدول مثل الصين وألمانيا وفرنسا وبعض المواقف الروسية بين الحين والأخر . مواقف يمكن اعتبارها تمثيليات دبلوماسية ، ومظاهر تململ وإثبات وجود ، وسعي لحصة أكبر في قصعة المسلمين التي تشرف أمريكا على توزيع حصصها ، أكثر من حملها على محمل الجد . والأدلة كثيرة ولايتسع المجال للاستفاضة بمزيد من التحاليل السياسية هنا .

أوضاع العرب والمسلمين بعد أحداث سبتمبر :

1- على الصعيد الرسمي لحكومات الدول العربية والإسلامية

فقد لخصت آخر مؤتمرات للقمة العربية والإسلامية في ظل عالم ما بعد سبتمبر الحال بكل وضوح . فقد انفض المؤتمرون من كل تلك الإجتماعات المخجلة ،بعد طول خلاف ولسان حال الأمة يقول :

لا يلام الذئب في عدوانه إن يك الراعي عدو الغنمِ

فأما مؤتمر القمة العربية الشهير عام 2002، فكان أبرز ما فيه وفي أهدافه :

تبني الدول العربية لمبادرة ولي العهد السعودي (الأمير عبد الله بن عبد العزيز) ، والتي عرض فيها على إسرائيل تطبيعا عربيا كاملا ، مقابل انسحابها من الأراضي التي احتلتها سنة 1967.

وقد جاء رد إسرائيل مبكرا حتى قبيل انفراط اجتماعات المؤتمر . فقد اقتحم الجيش الإسرائيلي الضفة الغربية وأعاد احتلالها ! ونفذ مجازر واسعة طالت البنية الإدارية والأمنية للسلطة الوطنية الفلسطينية ،والبنية التحتية للمنظمات الفلسطينية مخلفة مئات الضحايا الأبرياء وآلاف الأسرى . كما دمرت مخيمات بكاملها .

وأما عن مبادرتهم فقد قبلت إسرائيل نصفها وهو التطبيع . ورفضت نصفها وهو الانسحاب المطلوب مقابل ذلك . وأحرجت صاحبها عبد الله ومملكته السعودية ، وذلك بطلبها منه أن يزور إسرائيل أو يسمح لرئيسها أن يزوره في السعودية لمناقشة المبادرات إن كان جادا !!.

وأما مؤتمر قمة منظمة الدول الإسلامية الذي تلاه بعد وقت قصير ، فعدا عن ترحيبه بوفد أفغانستان الجديد من المرتدين والعملاء الذين عينتهم أمريكا ، فقد خرج المؤتمر بمقررات شبيهة ومن ذلك :

- تأييد المبادرة السعودية التي صارت عربية من أجل التطبيع مع اليهود والتنديد الأجوف بعدوان اليهود ، دون طرح أي مقابل لذلك .
- خذلان فلسطين والقدس وعدم تقديم أي مشروع جدي لأجلها .
- تأييد الحملة الأمريكية لمكافحة الإرهاب والتأكيد على أن الإسلام الذي يمثله الحكام المرتدون لأكثر من 52 دولة إسلامية ينبذ (العنف والإرهاب)، وهو المسمى العالمي الجديد للجهاد وحق المقاومة!.

وما يزال الوضع العربي والإسلامي في تدهور منذ سبتمبر 2001 ..

فقد وضعت الدول العربية والإسلامية ولاسيما تركيا و الباكستان ودول الخليج والأردن أراضيها وبحارها وسماءها وجيوشها في خدمة الحملة الأمريكية البريطانية لاحتلال العراق . حيث تدفق مئات آلاف الجنود ومئات الطائرات وحاملاتها والبوارج والسفن والمعدات الحربية إلى المنطقة . وسط إعلانات أمريكية عن ضرب إيران وسوريا ولبنان وتقسيم السعودية والتجهيز لنزع سلاح الباكستان .. ووصلت الصفاقة و الابتزاز، أن تسرب أمريكا معلومات عن نيتها الاستيلاء على جميع الودائع المالية للحكومة و المواطنين السعوديين في البنوك الأمريكية . وهي مبالغ خرافية من مرتبة مليارات المليارات من الدولارات ، وذلك بدعوى دعم الإرهاب.

ولم تزد هذه الأحوال الحكومات الإسلامية إلا انبطاحا وارتماء على أعتاب باب البيت الأبيض .. ثم استضافت قطر قيادة القوات الأمريكية التي نقلت من فلوريدا إليها ، وأدارت أمريكا غزو العراق من أراضيها.. وأما الجيش الأردني فقد أجرى مناورات عسكرية مع أربع آلاف جندي أمريكي في المنطقة الممتدة من خليج العقبة إلى حدود العراق قبيل الغزو بقليل . ثم تكشفت الأنباء عن عبور القوات الأمريكية للعراق من غربه عبر الأردن !... وقد أيدت دول الخليج كاملة الحرب عمليا ساعدت فيها ، وتغيب معظم رؤسائها عن مؤتمر مجلس التعاون الخليجي قبل أيام منها في قطر، تهربا من مسؤولية المواقف المعلنة . ووضعت الكويت 60 % مساحتها الشمالية كمنطقة عسكرية أمريكية للتدريب والخدمات اللوجيستية للجيش الأمريكي البريطاني !!حيث عبر منها أكثر من 1400.000 جندي أمريكي بالإضافة إلى 45.000 جندي بريطاني. وترك ثلثها الباقي لاستراحة و استجمام الجنود .. وطار بشار الأسد رئيس سوريا إلى لندن والعواصم الأوروبية ليطمئن على حفظ عرشه من الاهتزاز وسط زلازل حرب العراق ونيران الإنتفاضة في فلسطين .. وحركت إيران المعارضة الشيعية العراقية بين طهران ولندن وواشنطن .. و تابعت باكستان كسائر حكومات البلاد الإسلامية تصيد المجاهدين العرب والطالبان وتسليمهم لأمريكا ..

ثم غزت أمريكا العراق ، ودخلت عاصمة الرشيد ، ودخل جنودها فيها وتبروا ما علو تتبيرا ..، ثم أعلنت أمريكا وضع العراق تحت الإحتلال بتأييد من أوربا ، وترخيص دولي من مجلس الأمن ! ثم عينت فيه حكومة عميلة ، وفرضت الاعتراف بها قسرا على الدول العربية ، والجامعة العربية !

ثم استدعى بوش رئيس تونس (بن علي) إليه فيل انعقاد القمة العربية برئاسة بلاده بشهر ، وأملى عليه الأوامر الأمريكية لينقلها لباقي أمثاله من الرؤساء العرب ! ثم اجتمع وزراء الخارجية العرب و تشاجروا ، بسبب عدم تنسيق مواقفهم تجاه إملاءات بوش ، ثم اجتمع مؤتمر القمة العربي 2004 ، تحت ضغط الشارع العربي ليتمخض عن الفراغ المنتظر ، فتمخضوا ولو يلدوا لنا حتى فأرا !!

وهكذا أعلن النظام العربي إفلاسه ، ليتابع كل زعيم لهاثـه عـلى حـده وهرولتـه خلـف إدارة بوش ! والعامل المشترك بين الجميع هو السباق في مكافحـة الإرهـاب إرضـاء لأمريكـا وسـيد البيـت الأبيض.

وها نحن نشارف على نهايات 2004 ، وما تزال الإستخبارات العربيـة والإسـلامية تعمـل جنبـا إلى جنب مع ضباط الـ (FBI) والـ (CIA) الأمريكية ، في مكافحة إرهـاب الإسـلام والمسـلمين ، مـن سوريا إلى مصر إلى المغـرب إلى الجزائـر إلى تـونس إلى السـودان إلى جزيـرة العـرب ..إلى بـاقي بـلاد المسلمين .. الكل في خدمة أمريكا اليوم .. ويحتاج استقصاء تأريخ وتسجيل مـا يجـري إلى مجلـدات كثيرة ...

****

2- على صعيد العلماء.. (علماء المسلمين)!:

و يا حسرتاه على النسبة والمنسوب إليهم (علماء) .. (المسلمين) !!

فباختصار شديد لموضوع يقزز النفس ويملؤها ألما :

لقد ازداد المنافقون منهم نفاقا بعد سبتمبر . وازداد الساكتون الخائفون منهم سكوتا ...

فاستعلن علماء السلاطين المنافقون حتى على منابر خطب الجمعة في المسجد الحرام في مكة ، والمسجد النبوي في المدينة والمساجد الكبرى في العواصم العربية والإسلامية من القاهرة إلى دمشق إلى الدار البيضاء إلى غيرها يهاجمون الجهاد والمجاهدين ، ويدافعون عن الحكام ، ويدعون لعصمة دماء الغزاة الكافرين ! .. حيث نقلت شاشات التلفزيونات خطب أئمتها وهم يدعون لمكافحة الإرهاب ، ويطالبون بمطاردة أصحابه ، وتجفيف منابعهم المالية، ودعاء الله أن يكشفهم وينقذ المسلمين من شرورهم ، وبثت خطبهم وهم يطالبون أولياء الأمور بمطاردتهم وقطع دابرهم ، وتحريض المسلمين على نبذهم ومحاربتهم .. من دون نسيان الحديث عن حقوق الكفار التي حفظها الإسلام في بلاد المسلمين ، وضرورة حسن معاملتهم.. وخلط الأحكام الشرعية لأنواع الكفار والذميين والمستأمنين ... إلخ

حالة من الاستخذاء و الاستجداء والنفاق للأعداء ، حملة دعائية توقر المسامع وتدمي القلوب وتجمد الدموع في العيون حسرة وألما .. آيات الله تتخذ هزوا وتحرف وتؤول .. وأحاديث الرسول صلى الله عليه وسلم ، تفسر وتشوه وتوضع في خدمة بوش !

وتسابق أرتال العلماء العملاء ، على شاشات الفضائيات ليتباروا في سباق ماراتوني للنفاق والخيانة ، حتى خرج - على سبيل المثال ليعلم إلى أي مدا وصل البلاء – أحد مشاهير علماء المسلمين في بلاد الحرمين ، وهو: (عايض القرني) ليستنكر ويصيح: على شاشة (MBC) الفضائية معلقا على أحداث سبتمبر : (هل أمرنا الدين بقتل الناس ؟..هل أمرنا بهدم العمارات ؟!.. لماذا لا نركز على دعوتهم للإسلام؟! لماذا لا ندعو أعضاء الكونغرس الأمريكي للإسلام ؟ بضع سنيين ويدخلون في دين الله)!! .

ترى هل يدري هذا المسكين (الذي كان قد طالب بضرورة محاكمة الشهيد البطل خطاب وزميله المجاهد البطل - شامل باساييف- أبطال الجهاد في الشيشان ، على ما سببوا من سفك دماء المسلمين !! لأنهم يجاهدون الروس!!) . هل يدري أن الإحصائيات تشير إلى أن 85 % من أعضاء الكونغرس هم من اليهود أو أزواج ليهوديات ! وأن الخمسة عشر الباقين ، أكثرهم من الصليبيين المتهوكين وأتباع الكنيسة الإنجيلية ، الذين يعتقدون بأن مسيحهم لا يخرج إلا بعد مذبحة عظمى تجتث خضراء المسلمين ؟! أظنه لا يدري . فقد روى لنا إخوة مجاهدون من الجزيرة أنه لبس بزة عسكرية وصلى بالقوات السعودية المرابطة على حدود العراق بقيادة (شوارزكوف) وتحت رايات

أمريكا ، أيام عاصفة الصحراء . وخطب فيهم صائحاً: (سر يا خادم الحرمين ونحن نبايعك على الجهاد!) فكيف يدري أمثال هذا ما عليه حال الكونغرس؟

وتتابعت لقاءات نظيره، الشيخ (سعد البريك) الذي بذل كل جهده على الفضائيات السعودية لإقناع المسلمين أن الله ماخلق جزيرة العرب إلا للمشركين! وليثبت أن المجاهدين لهم ولأسياده هم كلاب أهل النار.

وأما الذي يستحق لقب (**شيطان العلماء**) بكل جدارة ، فهو المنافق الخبيث المنكوس الشيخ (**عبدالمحسن العبيكان**) فقد وصلت فيه قلة الحياء -قبحه الله- أن يتابع سلسلة من حلقات على الفضائية السعودية ، وعلى قناة (MBC) اللبنانية الإدارة الممولة من السعودية. حيث ذهب للقول دعما لحكومة العميل (علاوي) ، بعد زيارة الأخير للسعودية : فقال ، أنه ولي أمر شرعي تجب طاعته ، فلما قال له السائل (ولكن أمريكا هي التي عينته وفرضته !) ، فقال : (**ولوعيّن الكفار ولي أمر لبلاد المسلمين ، فهم إمام شرعي تجب طاعته**) ، ولا أدري حقيقة على أي دين تخرج مثل هذه الفتاوى ، التي لا يقبلها ولا دين المجوس ولا عباد البقر... فكل الشعوب والأديان تنكر حاكما عينه العدو وتعتبره غير شرعي ، وحتى قوانين أوربا والأمم المتحدة . ولذلك يعتبروه مؤقتا وليس شرعيا . أما هذا الضال المضل فيعتبره إماما شرعيا ! ثم لما سأله السائل عن جواز مقاومة جنود الأمريكان لعدوانهم ، قال له - وتأمل : (**هم يدافعون عن أنفسهم ضد من يعتدي عليهم في العراق !! ولا يضربون من لا يضربهم !!!!!!!!!!!.**)

فتخيلوا مشروعية دفاع أمريكي مدجج بالسلاح عن نفسه في العراق ! ضد مدني عراقي يعتدي عليه !! وليست هذه الأمثلة أقذر ما تصبحنا وتمسينا به الفضائيات والصحف ووسائل الإعلام من دور علماء السلاطين اليوم في هذه الحملة الصليبية .. فلشيخ الأزهر (طنطاوي) إبداعاته التي زعم في بعضها أن منع فرنسا للحجاب مسألة داخلية ، ليس للمسلمين أن يتدخلوا فيها ! ، ولعلماء الشام كما المغرب العربي فنونهم أيضا ، وما كان كثير من علماء العجم في باكستان وغيرها .. بأقل براعة في النفاق والاستخذاء من أقرانهم علماء سلاطين العرب .. قبحهم الله وأسكنهم مضائق سقره ، فهذا المدعو بـ (المفتي الأعظم) في باكستان الشيخ (رفيع عثماني) ، قال في خطبة حفل لختم البخاري : أن الذين يقتلون وهم يدافعون عن أنفسهم في (إقليم وزيرستان) ضد غارات الجيش عليهم ، بأنهم ليسوا شهداء ! ، ولا أدري أين يذهب حمار البخاري هذا ، الذي حمله أسفارا .. أين يذهب بقوله صلى الله عليه وسلم : من قتل دون ماله ..دون عرضه .. دون دمه .. فهو شهيد ؟! وأضاف أن الجهاد لا يكون إلا بأمر ولي الأمر مشرف ، وأن الأمريكان وأشكالهم في باكستان (ذميين لا يجوز العدوان عليهم) ، بل لا يجوز العدوان عليهم في بلادهم !.وقاس فاعل ذلك على قول سيدنا موسى

عليه السلام لما قتل نفسا (قال هذا من عمل الشيطان)- الآية ! وقس على ذلك . والحبل على الجرار .

وأما دعاة الصحوة ومشاهيرها، فأكثرهم منشغلون في الدعوة للاعتدال .. فهذا شيخ الصحوة سفر الحوالي (هداه الله) قد فتح بيته لدعوة المجاهدين للإستسلام لفراعنة بلاده والتوبة ! التوبة من جهاد الأمريكان في بلاد الحرمين !!

و راح صنوه (سلمان العودة) يحدثنا على شاشة (الجزيرة) عن فقه (المشروع الخاص).. وأن ليس على كل أحد أن يفزع لجهاد الأمريكان في غزو العراق .. فقد يكون بقاءه على مشروعه الخاص أجدى .. ولو كان أطروحة ماجستير .. أو مشروع زواج .. أو قراءة كتاب .. أو حتى جلسة تأمل ! ولم يخبرنا ، التأمل في ماذا ؟!

أما الأخيار.. أخيار العلماء في هذا الربع الأول من القرن الخامس عشر الهجري ، فهم الساكتون عن الحق.. الصامتون الخرس.. القاعدون عن الجهاد وعن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر في كل ما يثير حفيظة السلاطين.. حتى صار من يريد مدح أحدهم يقول عنه: (جزاه الله خيراً، لا ينافق للحكومة ساكت معتزل)!

أحوال تقطع القلوب كمدا ..هذه هي خلاصة أحوال العلماء والأمراء . وصدق ابن المبارك حين قال :

وهل أفسد الدين إلا الملوك وأحبار سوء ورهبانها

فنحن اليوم أمام هذه الهجمة ولا صلاح الدين يواجه الصليبيين، ولا قطز يواجه التتار، ولا العز بن عبد السلام ولا ابن تيمية يجيشون المسلمين ويسيرون أمامهم.. فنحن أمام أحفاد ابن أبي دؤاد.. ولا أحفاد (لابن حنبل) وإنما نحن أمام مثل الذين حمّلوا التوراة ثم لم يحملوها..، وأمام الذين أتتهم آيات الله فانسلخوا منها فاتبعهم الشيطان فكانوا من الغاويين . . أمام حمير تحمل أسفار الحق ، ثم تجد سعيا في مكافحة الإرهاب مع حكامها ! .. وكلاب إن تحمل عليها تلهث أو تتركها تلهث .. ما فتئت تنبح تكافح الإرهاب مع أمريكا وتكافح المسلمين المجاهدين لصالح جورج بوش !.

وأما من تتعلق بهم آمال بعض الآملين ، من مظنة الخير في العلماء في مختلف بلاد المسلمين..

فما زال أمل الآملين في انتظار، وما أدري ما ذا ينتظرون ؟ ! فاسألوهم إن كانوا ينطقون . ودعنا نأمل مع الآملين لنقول : هذا هو حال عموم عملاء (عفواً) أقصد (علماء) المسلمين اليوم - إلا من رحم الله -!

و ليظن كل طالب علم أن شيخه الجليل -ممن رحم الله- وليستريح البعض إلى أن محبوبهم (أبو فلان) وشيخهم (ابن علان) ممن قصدنا بمن رحم الله .

والحقيقة لابد أن يكون هناك من أهل الخير من العلماء من لم نسمع بهم ! رغم متابعتنا لوسائل الإعلام ! فأمتنا أمة خير !

فالسلام على كل واحد من أولئك يوم ولد ويوم يموت ويوم يبعث حيا ..

ونسأل الله تعالى الشهادة في سبيله وأن يقبضنا وقد اكتحلت عيوننا برؤيتهم يقودون الجهاد، و تشنفت آذاننا بسماع نداءاتهم للنفير أو نحتسبها حسرة ضمن حسرات كثيرة في (زمن الصبر والقهر) هذا . ونستريح من عيش زمن صار فيه بطن الأرض خير من ظاهرها والحمد لله الذي أحيانا لنشهد نبوءته – فدته نفوسنا وآباؤنا وأمهاتنا وأبناؤنا- صلى الله عليه وسلم . فكما جاء في الأثر الذي رواه ابن حماد في كتابه : (السنن الواردة في الفتن - 371):

(لا يزال الجهاد حلوا أخضر ما قطر القطر من السماء ، وسيأتي على الناس زمان يقول فيه قراء منهم ليس هذا زمان جهاد ، فمن أدرك ذلك الزمان فنعم زمان الجهاد ، قالوا : يا رسول الله وأحد يقول ذلك فقال نعم : من عليه لعنة الله والملائكة والناس أجمعين) .

نعم. صدق الصادق المصدوق : **عليهم لعنة الله والملائكة والناس أجمعين** .

وربما لو طال بنا عمر ، أو بأولادنا .. لربما شهدنا ما روي في حديث آخر عنه صلى الله عليه وسلم ، فقد أخرج ابن أبي الدنيا عن مالك بن دينار قال :

(بلغني أن ريحا تكون في آخر الزمان وظلمةِ فيفزع الناس إلى علمائهم فيجدونهم قد مسخوا) .

وأخرج الترمذي في نوادر الأصول عن أبي أمامة قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : (**يكون** في أمتي فزعة فيصير الناس إلى علمائهم فإذا هم قردة وخنازير) !! .

فو الله لست أعجب لو أصبح الناس فرأوا أمثال هذا (**العبيكان**) الذي يقول **أن العراقيين يعتدون على الأمريكان في بغداد!!! لست أعجب أن يجدوه قرداً !** ولست أعجب لو رأوا الإمام المنفوخ (**السديس**) ، إمام الحرم المكي الذي لا يستحي من الله أن يدعو **بالسلامة من التفجيرات الإرهابية للدول الكافرة ، وعلى المجاهدين بالهلاك ،على باب الكعبة في دعاء ختم القرآن في آخر ليلة من رمضان 2004 !! ثم يفرغ توسلاته إلى الله بحفظ ولي الأمر والنائب الأول ، والثاني ..! لست أعجب لو أصبح الناس فرأوه خنزيرا..**

وكيف العجب ، وما أشبههما بذلك حتى قبل المسخ !

****

3- وأما على صعيد الصحوة الإسلامية :

فالمتابع لأخبارها وأخبار قادتها وأحزابها وشبابها وصحفها .. لا يكاد يرى إلا الجدليات ، والقيل و القال في مجالسهم وندواتهم ومقابلاتهم على الفضائيات . واسمع عجبا من تفسيرات نصوص الدين في نبذ الإرهاب ، مع شيء من نقد الأمريكان على استحياء ، والتنويه والتعريض بحكام المسلمين ، مع شيء من الطبطبة على أكتافهم و مراعاة مشاعرهم . وفتش عن قيادات الصحوة في مقاعد البرلمانات المشركة المشرعة من دون الله . وفي مناصب الوزارات في حكومات الكفر الحاكمة بغير ما أنزل الله ، الخائنة لله ورسوله و المؤمنين . وتوقف أمام أعذار هؤلاء الدعاة (الإسلاميين الديمقراطيين !) ، و دعاوى الإصلاح والتدرج والتريث والتعقل . لتتذكر قول المتنبي :

يرى الجبناء أن العجز عقلٌ وتلك خديعة الطبع اللئيمِ

وتابع مقابلاتهم على شاشات التلفزيون ، وفتش في ثناياها عن كلمة حق تتلجلج وقد أذابوها في برميل من الكلام الفارغ والتدليس والنفاق .. حتى لا تحسب عليهم دعما للإرهاب . فأمريكا بالمرصاد . وأجهزة الرقابة والإستخبارات يحصون الأنفاس ، ويكشفون عن الخواطر وراء الكلمات ، وينبشون الأسرار من قعر الصدور . والتهمة جاهزة ..أصولية ، فتشدد ، فتطرف ، فتأييد للإرهاب . فانتماء للقاعدة!!

وهناك تقع الواقعة ! فتجمد الحسابات في البنوك . والدماء في الشرايين . وتذاب الأجساد تحت سياط الجلادين . ويعاد تجميعها على كهرباء أجهزة التعذيب المستوردة ..

وما لأحد بهذا الإعصار الأمريكي الهائج لمكافحة الإرهاب اليوم قبل ولا طاقة . ولا تكفي لحية الداعية المقصوصة إلى ما قبل حد النتف بقليل ، ولا قبته البيضاء ، ولا (الكرافتة) الأوروبية و البدلة الأنيقة على الطراز الغربي الحديث ، ولا المشاركة في الديمقراطية والدعوة إليها ، لإثبات الإعتدال !

فعملاء أمريكا واستخباراتهم بالمرصاد على كل حال . والدين عند قيادات الصحوة يسر .. إلى حد ما قاله الشاعر:

(وهذا الدين لفرط يسره ...قد احتوى مسيلمة) . ويتسع عندهم لما يعرضون منه ملفقا تحت دعوى الإعتدال وأعذار الحنكة السياسية وآخر الإختراعات .. (الشفافية) !!

و(احترام الآخر) !!. من غير أن يفهمونا من هو هذا الآخر؟!

وأما أحوال الأمة الإسلامية وشعوبها بعد سبتمبر:

فمن المفارقة أني سمعت فيما كنت أكتب بعض أوراق هذا الكتاب أصوات إطلاق الرصاص و انفجارات الألعاب النارية والموسيقى والصياح .. وتحيرت لأنه لا يتوقع أن تكون القدس قد تحررت فجأة!!.. أو أن الهند قد انسحبت من كشمير ! ونزلت استطلع الخبر .. لقد كانت احتفالات (المسلمين) بدخول السنة النصرانية الجديدة 2003م! إنه عيد رأس السنة الميلادية . لقد دقت الساعة الثانية عشر، وجن جنون البقر !

ودخلت صبيحة السنة الجديدة . ولا شك أنها كانت ليلة حفلات ورقص وخمر ودعارة لملايين (المسلمين) ! ولا شك أن حكوماتهم وأجهزة إعلامهم قد قدمت لهم كل وسائل الفساد ومستلزماته .

وباختصار .. لا تشير وقائع المسلمين هذه الأيام إلا إلى مزيد من التيه والضياع والهزيمة والبوار ..

ولولا الأمل بالله تعالى ، وما وعد رسوله صلى الله عليه وسلم وما بشر . وذلك حق ولا ريب . لانقطع الرجاء ، وانطفأ الأمل . ولكنها نعمة الله وأمل الإيمان .

فما أدري والله ما الذي يلزم هذه الأمة بعد حتى تتحرك للجهاد ؟!

فماذا أكثر من استغاثة القدس ونداء مسجدها الأقصى ؟! وماذا أكثر من انتفاضة الأقصى- وما قدمت ؟! وماذا أكثر من أفغانستان وما أعطت ؟! وماذا أكثر من أخبار الشيشان وما أبلت ؟! والبوسنة وكوسوفو وما عانت ؟ وما تضعه وسائل الإعلام في كل بيت من أخبار البلاء في المسلمين في كل مكان؟!

وماذا يهز كيان الأمة ويحرك وجدانها أكثر من دوي انفجارات سبتمبر؟! .. ومشهد صقور الإسلام وشهدائه يمزقون رمز استكبار أمريكا وجبروتها ويقتحمون نيران الانفجار بأجسادهم الطاهرة ؟ وماذا أكثر من مشهد خمسة وعشرين صبية من نساء وأرامل الشيشان في عمر الورد ، وقد حزمن المتفجرات على أجسادهن .يجاهدن في قلب موسكو ؟

فيا لخزي العمائم ، ويا لعار الشوارب واللحى .. لقد حمل صبايا المسلمين الرشاش وخرجن لجهاد الروس في عقر دار الروس في موسكو !

وماذا يثير الوجدان أكثر من صور أطفال فلسطين تقل أعمار بعضهم عن السادسة من العمر ، يواجهون الدبابات ويجرون خلف جنود اليهود ؟ وماذا أكثر من مشاهد الإنزالات الأمريكية والبريطانية العسكرية الحاشدة في بلاد المسلمين والإعلانات عن تدمير العراق وبرامج احتلال البلاد والعباد؟ ! وماذا ؟! وماذا؟

ماذا أكثر من مشاهد الموت والدمار والخزي والمصائب تضعها شاشات التلفزيون في كل بيت من بيوت المسلمين . فيشاهدونها ويتنقلون بينها وبين الأفلام الخليعة والرسوم المتحركة وعروض الأزياء ومباريات الرياضة ...وحفلات الرقص والموسيقى ودورات مسابقات الـ (ستار أكاديمي) ؟!..

لقد ماتت النفوس .. وتعفنت الضمائر.. ﴿ **كلا بل ران على قلوبهم ما كانوا يكسبون** ﴾.

فالشارع الإسلامي بليد .. ساكن إلا من بعض المظاهرات هنا وبعض صياح الشجب هناك ، ولم تبد بعد بوادر الحركة ، والأمل في موعود الله كبير ، ولعله يتحقق ما يتخوف منه الفراعنة وينذرون منه أمريكا اليوم من أن غزوها للعراق وحملاتها العسكرية والأمنية ستخصب تربة الإرهاب على حد زعمهم .

فنسأل الله أن يصدق فألهم ويخيب مسعاهم .

ومن باب الإحاطة بتوصيف واقع المسلمين ، يجب أن نذكر أن بذور للمقاومة تنتعش هنا وهناك على شكل عمليات محدودة ومبادرات فردية شرقا وغربا .

قليلة هي المبادرات ! ولكن الاستياء عارم والجو مشحون ، والمناخ الثوري يسخن ، ويبشر بوصوله لحرارة الجهاد ، بفضل الله ثم بفضل جبروت الأمريكان وشراسة حقد اليهود ، وجشع الحملات الصليبية وبفضل انكشاف عورات الفراعنة وسقوط آخر أوراق التوت عنها .

هذه المقاومة تبشر بميلاد شمس الأمل ; شمس يكاد لم يبق من الدليل على بزوغها الأكيد إلا أنوار فجر البشائر الصادقة . وبصيص لمعان الأمل في عمليات جهاد المجاهدين هذه. فالوعد حق ولا شك :

(وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَ عَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ وَ لَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَى لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُمْ مِنْ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْناً يَعْبُدُونَنِي لا يُشْرِكُونَ بِي شَيْئاً وَمَنْ كَفَرَ بَعْدَ ذَلِكَ فَأُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ) (النور:55) ، وصدق الله العظيم : (وَنُرِيدُ أَنْ نَمُنَّ عَلَى الَّذِينَ اسْتُضْعِفُوا فِي الْأَرْضِ وَنَجْعَلَهُمْ أَئِمَّةً وَنَجْعَلَهُمُ الْوَارِثِينَ * وَنُمَكِّنَ لَهُمْ فِي الْأَرْضِ وَنُرِيَ فِرْعَوْنَ وَهَامَانَ وَ جُنُودَهُمَا مِنْهُمْ مَا كَانُوا يَحْذَرُونَ) (القصص: 5) .

فقد قارب حال الصابرين ما يبشر بالفرج : (حَتَّى إِذَا اسْتَيْأَسَ الرُّسُلُ وَظَنُّوا أَنَّهُمْ قَدْ كُذِبُوا جَاءَهُمْ نَصْرُنَا فَنُجِّيَ مَنْ نَشَاءُ وَلا يُرَدُّ بَأْسُنَا عَنِ الْقَوْمِ الْمُجْرِمِينَ) (يوسف: 110).

فخلاصة واقع الأمة اليوم هو ما قدمنا وسط دوامة فساد الصليبيين في الأرض وعلو اليهود الكبير فيها . (وَاللَّهُ غَالِبٌ عَلَى أَمْرِهِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لا يَعْلَمُونَ) (يوسف: 21) .

أحوال المجاهدين بعد سبتمبر :

أما هذه فكان الله في العون.. ورحم الله الشهداء ، وأسكنهم فسيح جناته . وصبر الله الأسرى وأحسن خلاصهم من سجون غوانتانامو وفروعها الأسوأ حالا في سجون حكام المسلمين. وحفظ الله المشردين وييسر أمرهم . وثبت الله العازمين الثابتين على الطريق، وأعانهم على حمل الراية خفاقة رغم الجراح ، وتسليمها شامخة لجيل قادم يخلص في حملها .

فالتيار الجهادي بكامل طيفه على صعيد الجماعات والقيادات والرموز والأفراد.. بل وكل مؤيد ومناصر، يمرون في هذه الأيام بأشد محنة مرت على التيار الجهادي المعاصر منذ انطلاقه قبل أربعين عاما، وذلك بسبب الحملة الظالمة التي تشنها أمريكا تحت شعار (مكافحة الإرهاب).

لقد مرت جماعات جهادية عديدة عبر مسيرها بأزمات وملاحم ومصائب بالغة الشدة ، من قبيل ما حصل بالمجاهدين في سوريا وتونس وليبيا والجزائر ومصر وغيرها ، ولكن محنة الحرب العالمية الحالية على الإرهاب ، كما يسمونها ، تختلف من حيث اتساعها وزخمها وحجم خسائرها. فقد افتتحتها أمريكا ، و جيشت لها حلفاءها من دول الناتو وغيرهم من الكفار، ومن قوى الردة المتمثلة بحكام المسلمين وأجهزة قمعهم. لقد وصلت هذه الحملة إلى ذروتها بعد أحداث سبتمبر. حيث دمرت أمريكا الإمارة الإسلامية في أفغانستان، التي شكلت الملاذ الأخير لنخبة الجماعات الجهادية وكوادرها. حيث قتل المئات من كوادر التيار الجهادي في معركة الدفاع عن الإمارة. ثم أتبعت أمريكا ذلك بأسر أكثر من 600 مجاهد من مختلف البلاد العربية ، في باكستان ونقلتهم إلى سجونها. كما ألقت القبض بالتعاون مع حلفائها من الكفار والمرتدين في بلاد المسلمين وغيرها على عدة مئات أخرى، وأدرجت على قائمة الإرهاب عشرات الجماعات الجهادية من مختلف بلاد المسلمين، لتطارد عناصرها في كل بلاد الدنيا، حيث دخل من تبقى من عناصر الجهاديين ولاسيما رموزه وقياداته وقدماء كوادره في حالة من الشتات والتشريد والمطاردة بفعل أكبر حملة أمنية عالمية يشهدها التاريخ، حتى صاروا إلى حال يذكر بما وصف رسول الله صلى الله عليه وسلم المؤمنين في آخر الزمان بقوله (**ثم يفشوا الظلم حتى لا يجد المؤمن ملجأ يؤوي إليه**). واستقصاء تفاصيل ما حل من نكبات وعناء بالمجاهدين الذين وقفوا لأمريكا وحلفائها بالمرصاد يدافعون عن هذه الأمة ودينها ، يحتاج إلى مجلد كبير يروي أروع قصص الثبات والتضحيات والعناء التي نزلت بهم وبنسائهم وأطفالهم و ذويهم وبكل من آواهم ومد يد العون إليهم . ولا يسمح المجال هنا بالسرد والإطالة. وعلى كل حال فلسان حال من تبقى يلهج بالثبات والعزم والتحدي..

فلله الحمد، ما زلنا عازمين..

(**و والله لا نعطيهم إلا السيف**) إن شاء اللـه ، (**ولـو لم نجـد إلا الـذر لنقـاتلهم بـه**) ،(**أو تنفرد هذه السالفة**) حتى يرضى الله تعالى . (**وليأخذ الله من دمائنا ما شاء حتـى يـرضى**).. ﴿ **إن الله اشترى** ﴾ ، وإنا في طائفة قد باعت. ولقد وقع البيع ، (**ولا نقيل ولا نستقيل**) إنشاء الله .

فما عذرنا وقد قضى من مضى .. ولعلنا نلحق بالرفيق الأعلى : ﴿ مَعَ الَّـذِينَ أَنْعَـمَ اللَّـهُ عَلَـيْهِمْ مِنَ النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ وَالشُّهَدَاءِ وَالصَّالِحِينَ وَحَسُنَ أُولَئِكَ رَفِيقاً) (النساء: 69). وكـما قـال الأول ، عاصـم رضي الله عنه ، وقد أحاط به الكفار يستأسروه فأبى . فإنا ننشد كما أنشد:

ما علتي والقوس مني نابل   والقوس فيها وتر عنابل

إن لم أقاتلكم فأمي هابل

فنسأل الله أن يمنعنا منهم أحياء وأمواتا كما منع عاصم رضي الله عنه .

وهذا إن شاء الله حالنا وحال إخواننا المجاهدين . ولنبشر المؤمنين.. ولنخزي أمريكا ومن معها من المنافقتن : فقد أبقى الله رغم كل ما حدث من النكبات من المجاهـدين في كـل مكـان لأمريكـا وحلفائها ما يسوؤهم . ونسأل الله أن يؤهلنا لأحوال تصدق هذه الأقوال .. فليصيحوا ما شاءوا في مســــــــــــــــــــــــــــــــــــــيرة بـــــــــــــــــــــــــــــــــــــوش : (**أعلو هبل**) فما زلنا نردد على أصداء صوت عمـر رضي اللـه عنـه: (**اللـه أعـلى وأجـل**) و ليعبـدوا أمريكا وليقولوا : (**لنا في أمريكا العزى ولا عزى لكم..**) فإن نقول لهـم كـما رد عمـر عـلى أسـلافهم: (**الله مولانا ومولاكم**)... (**قتلانا في الجنة وقتلاكم في النار.. ولا سواء**).

الفصل الثاني
أحكام شرعية في هذا الواقع

قال الله تعالى: ﴿ وَكَذَلِكَ نُفَصِّلُ الْآيَاتِ وَلِتَسْتَبِينَ سَبِيلُ الْمُجْرِمِينَ ﴾ (الأنعام:55)

وقال الله تعالى: ﴿ وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ لَتُبَيِّنُنَّهُ لِلنَّاسِ وَلا تَكْتُمُونَهُ ﴾ (آل عمران:187)

الفصل الثاني : أحكام شرعية في هذا الواقع

نعتقد باختصار أن أحكام الشريعة تقرر أن الجهاد يكون فرض عين على كل مسلم في مثل هذا الواقع اليوم . هذا ما تقرره أحكام الشريعة.
كما أن العقل والمنطق والفهم السليم يدل على أن (الجهاد المسلح هو الحل) من أجل وضع حد لأزمات هذا الواقع .

فأما الأدلة الشرعية على ذلك فهي أوضح من عين الشمس كما سنبين إن شاء الله. فالجهاد فرض عين اليوم على كافة المسلمين من وجوه كثيرة . ولا نورد الأدلة العقلية والمنطقية على ذلك إلا من باب التأكيد، وإفحام من لا تكفيه الأحكام الشرعية للقناعة – والعياذ بالله – و إلا فالمقرر من أساسيات العقيدة أن لا رأي مع رأي الشرع ، ولا اختيار مع اختيار الله ورسوله كما قال تعالى : (وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمْراً أَنْ يَكُونَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ وَمَنْ يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ ضَلَّ ضَلالاً مُبِيناً) (الأحزاب:36)

هذه هي الحقيقة : فالمقاومة العامة لهذا الإحتلال الأجنبي الكافر، وهذه القوى المرتدة المتعاونة معه والرازحة على صدور المسلمين ، هي فرض واجب تقرره الشريعة الإسلامية ، وحقيقة يقتضيها العقل السليم . كما هو الحال في كل أمر حيث تتوافق أدلة الشرع القويم مع مقتضى العقل السليم في كل زمان ومكان.

فهناك أحكام شرعية هامة تتعلق بواقع المسلمين اليوم يجب على علماء الإسلام وقيادات الصحوة والجهاد بيانها للناس، نذكر هنا أهمها بغية الإختصار، تاركين تفصيل أداتها إلى الجزء الثاني من هذا الكتاب.

فإن من أهم ما تقرره الأدلة الشرعية من أحكام في واقع المسلمين اليوم ما يلي:

أولاً: بلاد الإسلام اليوم في حالة احتلال مباشر أو غير مباشر من قبل الأعداء . وجهادهم فرض عين على المسلمين بالإجماع .
ثانياً: حكومات بلاد المسلمين اليوم مرتدة كافرة لتبديلها الشرائع وحكمها بغير ما أنزل الله . وولائها للكفار و خيانتها لله ورسوله والمؤمنين.
ثالثاً : الخروج على الحاكم إن ارتد عن الإسلام أو كان كافرا فرض على المسلمين بالإجماع .
رابعاً: أحكام الشريعة الإسلامية تقرر بالإجماع كفر وردة من تعاون مع الكفار وأعانهم على المسلمين وتوجب قتاله.

خامساً: أحكام الشريعة تقرر وجوب أو جواز قتال الصائل على دين المسلمين أو أنفسهم أو أعراضهم أو أموالهم . حتى ولو كان مسلما.

ولنتناول هذه الأحكام بشيء من التفصيل في أدلتها :

أولاً : بلاد الإسلام في حالة احتلال وعدوان وغزو من قبل الأعداء، وجهاد الغزاة اليوم فرض عين على المسلمين بالإجماع :

كما أثبتنا في الفصل الأول تحت عنوان (واقع المسلمين اليوم) فإنه قد صار من المسلم به اليوم لدى كل عاقل مبصر،أن بلادنا كلها من أقصاها إلى أقصاها محتلة إما مباشرة من قبل الأعداء. وإما بالنيابة من قبل نوابهم المرتدين،مع تواجد عسكري كثيف للصليبيين بانتشار قواعدهم في جميع أرجائها.مع احتلال اقتصادي كامل عبر سيطرة الاحتكارات الإقتصادية .وبانتشار شبكات استخباراتهم ومراكزهم الأمنية.

وهاهي أمريكا اليوم تعيد احتلال العالم الإسلامي من جديد جهارا نهارا. فقد احتلت أفغانستان مباشرة . وبسطت سيطرتها على باكستان ووسط آسيا . وهاهي قد احتلت العراق ، ووزعت مئات آلاف الجنود في جزيرة العرب وتركيا وجنوب الشام فضلا عن ما تنشره في مصر والقرن الإفريقي وشمال أفريقيا وما حول هذه المناطق من بحار.وهاهو بوش يعلن أنه يقود على بلاد المسلمين حملة صليبية ومعه حلفائه في حلف الناتو من البلاد الأوروبية بالإضافة للحليف الرئيسي (إسرائيل) التي تحتل فلسطين، وتستعد لهدم المسجد الأقصى وطرد من تبقى فيها من المسلمين.

فما حكم الشريعة في مثل هذه الأحوال؟ وماذا تفرض أحكام الدين على كل مسلم تجاهها؟

الجهاد عبادة وفريضة، فرضها الله على المسلمين. وهي ثابتة بتواتر الآيات في كتاب الله والأحاديث في سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم بما يغني عن إيراد الشواهد هنا، فهي أشهر من أن تذكر وأكثر من أن تحصر.

جاء في كتاب (الدفاع عن أراضي المسلمين أهم فروض الأعيان) للشيخ المجاهد الشهيد عبد الله عزام شيخ المجاهدين العرب في أفغانستان أيام جهاد الروس – رحمه الله – ما نقتطف منه ما يلي:

وجهاد الكفار نوعان:

جهاد الطلب (طلب الكفار في بلادهم) بحيث يكون الكفار، لا يحتشدون لقتال المسلمين. فالقتال فرض كفاية.وأقل فرض الكفاية سد الثغور بالمؤمنين لإرهاب أعداء الله...الخ.) ثم قال رحمه الله وهو مكان الشاهد:

جهاد الدفع (دفع الكفار من بلادنا) وهذا يكون فرض عين، بل أهم فروض الأعيان، ويتعين في حالات:

2- أولاً: إذا دخل الكفار بلدة من بلاد المسلمين.

3- ثانياً: إذا التقى الصفان وتقابل الزحفان.

4- ثالثاً: إذ استنفر الإمام أفرادا أو قوما وجب عليهم النفير.

5- رابعاً: إذا أسر الكفار مجموعة من المسلمين.

ثم تحدث الشيخ عبد الله رحمه الله عن الحالة الأولى وهي نزول الكفار في أرض من أراضي المسلمين فقال:

(ففي هذه الحالة اتفق السلف والخلف وفقهاء المذاهب الأربعة، والمحدثون والمفسرون في جميع العصور الإسلامية إطلاقا. أن الجهاد في هذه الحالة يصبح فرض عين على أهل هذه البلدة التي هاجمها الكفار، وعلى من قرب منهم. بحيث يخرج الولد دون إذن والده، والزوجة دون إذن زوجها، والمدين دون إذن دائنه. فإن لم يكف أهل تلك البلدة أو قصروا، أو تكاسلوا، أو قعدوا. يتوسع فرض العين على شكل دوائر، الأقرب فالأقرب. فإن لم يكفوا أو قصروا، فعلى من يليهم ثم من يليهم. حتى يعم فرض العين الأرض كلها).

ثم أوجز الشيخ رحمه الله مختصر الأدلة على ذلك عند مذاهب أهل السنة وعلمائهم فقال:

<u>أولاً: فقهاء الحنفية:</u>

قال ابن عابدين في حاشيته ج3 ص238:[**وفرض عين إذا هجم العدو على ثغر من ثغور الإسلام، فيصير فرض عين على من قرب منه. فأما من ورائهم ببعد من العدو فهو فرض كفاية إذا لم يحتج إليهم. فإن احتيج إليهم بأن عجز من كان بقرب العدو عن المقاومة مع العدو. أو لم يعجزوا ولكنهم تكاسلوا، ولم يجاهدوا، فإنه يفترض على من يليهم، فرض عين كالصلاة والصوم، لا يسعهم تركه، وثم وثم ، إلى أن يفترض على جميع أهل الإسلام شرقا وغربا على هذا التدريج]** إهـ.

.وبمثل هذا أفتى الكاساني في بدائع الصنائع ج7 ص72. وكذلك ابن نجيم في البحر الرائق ج5 ص191. وكذلك ابن الهمام في فتح القدير. من أئمة الأحناف.

ثانياً: عند المالكية:

جاء في حاشية الدسوقي. الجزء الثاني ص 174:[**ويتعين الجهاد بفجئ العدو: أي توجه الدفع بفجئ (أي مفاجأة) على كل واحد وإن امرأة أو عبداً أو صبياً، ويخرجون ولو منعهم الولي والزوج ورب الدين**].

ثالثاً: عند الشافعية:

جاء في نهاية المحتاج للرملي. في الجزء الثامن الصفحة 58: [**فإن دخلوا بلدة لنا، وصار بينهم وبيننا دون مسافة القصر، فيلزم أهلها الدفع، حتى من لا جهاد عليه، من فقير وولد وعبد ومدين وامرأة**].

رابعاً: عند الحنابلة:

جاء في المغني لابن قدامة في الجزء الثامن الصفحة 345 : [**ويتعين الجهاد في ثلاث مواضع:**

1. **إذا التقى الزحفان وتقابل الصفان.**
2. **إذا نزل الكفار ببلد يتعين على أهله قتالهم ودفعهم.**
3. **إذا استنفر الإمام قوما لزمهم النفير.**] .

يقول شيخ الإسلام ابن تيمية: (**وأما قتال الدفع فهو أشد أنواع دفع الصائل عن الحرمة والدين واجب إجماعا فالعدو الصائل الذي يفسد الدين والدنيا لا شيء أوجب بعد الإيمان من دفعه، فلا يشترط له شرط (كالزاد والراحلة)، بل يدفع بحسب الإمكان ونص على ذلك العلماء أصحابنا وغيرهم**).

ويقول ابن تيمية في الجزء الرابع من الفتاوى الصفحة 608: (**إذا دخل العدو بلاد الإسلام فلا ريب أنه يجب دفعه على الأقرب فالأقرب، إذ بلاد الإسلام كلها بمنزلة البلدة الواحدة، وأنه يجب النفير أليه بلا إذن والد ولا غريم ونصوص أحمد صريحة بهذا**).

ثم أضاف الشيخ عبد الله عزام إثر هذه الأدلة قوله: [وهذا يعرف بالنفير العام ثم قال وأدلة النفير العام:

قال الله عز وجل :(انْفِرُوا خِفَافاً وَثِقَالاً وَجَاهِدُوا بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنْفُسِكُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ) (التوبة:41)

وقد جاءت الآية قبلها ترتب العذاب والاستبدال جزاءا لترك النفير، ولا عذاب إلا على ترك واجب أو

فعل حرام، قال تعالى في سورة التوبة الآية 39: (إِلاّ تَنْفِرُوا يُعَذِّبْكُمْ عَذَاباً أَلِيماً وَيَسْتَبْدِلْ قَوْماً غَيْرَكُمْ وَلا تَضُرُّوهُ شَيْئاً وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ) .

قال ابن كثير رحمه الله : أمر الله تعالى بالنفير العام مع رسول الله صلى الله عليه وسلم عام غزوة تبوك لقتال أعداء الله من الروم الكفرة من أهل الكتاب وقد بوب البخاري رحمه الله:(باب وجوب النفير وما يجب من الجهاد والنية) وأورد هذه الآية، وكان النفير العام بسبب أنه ترامى إلى أسماع المسلمين أن الروم يعدون على تخوم الجزيرة لغزو المدينة. فكيف إذا دخل الكفار بلاد المسلمين، أفلا يكون النفير أولى؟ قال أبو طلحة رضي الله عنه في معنى قوله تعالى{خفافا وثقالا}، كهولا وشباب ما سمع الله عذر أحد) الجزء الثاني ص144. من مختصر تفسير ابن كثير، وقال الحسن البصري: في العسر واليسر.

ويقول ابن تيمية في الجزء 28 ص 358 (**فأما إذا أراد العدو الهجوم على المسلمين، فإنه يصير دفعه واجبا على المقصودين كما قال تعالى :** ﴿ وَإِنِ اسْتَنْصَرُوكُمْ فِي الدِّينِ فَعَلَيْكُمُ النَّصْرُ ﴾ (الأنفال: 72). **كما أمر النبي صلى الله عليه وسلم بنصر المسلم سواء كان الرجل من المرتزقة للقتال أو لم يكن ، هذا يجب بحسب الإمكان على كل أحد بنفسه وماله مع القلة والكثرة و المشي و الركوب ، كما كان المسلمون لما قصدهم العدو عام الخندق. لم يأذن الله في تركه لأحد**) وقال الزهري: خرج سعيد بن المسيب إلى الغزو وقد ذهبت إحدى عينيه، فقيل له إنك لعليل، فقال (إستنفر الله الخفيف والثقيل، فإن لم يمكني الحرب كثرت السواد وحفظت المتاع) رواه القرطبي في الجامع لأحكام القرآن ج8 ص150.

ثم يتابع الشيخ عبد الله عزام رحمه الله أدلة النفير العام فيقول:

- **ويقول الله عز وجل** ﴿ وَقَاتِلُوا الْمُشْرِكِينَ كَافَّةً كَمَا يُقَاتِلُونَكُمْ كَافَّةً وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ مَعَ الْمُتَّقِينَ ﴾ (التوبة: 36). قال ابن العربي : كافة يعنى محيطين بهم من كل جانب وحالة. رواه القرطبي في الجامع.8 – 150.
- **ويقول عز وجل :**(وَقَاتِلُوهُمْ حَتَّى لا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ الدِّينُ كُلُّهُ لِلَّهِ) (الأنفال: 39). والفتنة هي الشرك. كما قال ابن عباس و السدي. ذكره القرطبي الجزء 253-2. وعند هجوم الكفار، واستيلائهم على الديار فالأمة مهددة في دينها. وعرضة للشك في عقيدتها، فيجب القتال لحماية الدين والنفس والعرض والمال.

قال صلى الله عليه وسلم (لا هجرة بعد الفتح ولكن جهاد ونية وإذا استنفرتم فانفروا) رواه البخاري فيجب النفير إذا استنفرت الأمة. وفي حالة هجوم الكفار فالأمة مستنفرة لحماية دينها. ومدار الواجب على حاجة المسلمين و استنفار الإمام. كما قال ابن حجر في شرح هذا الحديث، جاء في فتح الباري الجزء (6- ص20)، قال القرطبي (كل من علم بضعف المسلمين عن عدوهم وعلم أنه

يدركهم ويمكنه غياثهم لزمه أيضا الخروج إليهم). قال الإمام الجصاص في أحكام القرآن ج1 ص242 :(لا نعلم خلافا أن رجلا لو شهر سيفه على رجل ليقتله بغير حق. أن على المسلمين قتله). وفي هذه الحالة – الصيال – إذا قتل الصائل فهو في النار ولو كان مسلما، وإذا قتل العادل فهو شهيد. هذا حكم الصائل. فكيف إذا صال الكفار على أرض المسلمين، حيث يتعرض الدين والعرض والنفس والمال للذهاب والزوال؟! ألا يجب في هذه الحالة على المسلمين دفع الصائل الكافر والدولة الكافرة.

- **قتال الفئة الباغية: يقول الله عز وجل** ﴿ وَإِنْ طَائِفَتَانِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ اقْتَتَلُوا فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا فَإِنْ بَغَتْ إِحْدَاهُمَا عَلَى الْأُخْرَى فَقَاتِلُوا الَّتِي تَبْغِي حَتَّى تَفِيءَ إِلَى أَمْرِ اللَّهِ فَإِنْ فَاءَتْ فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا بِالْعَدْلِ وَأَقْسِطُوا إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ ﴾ (الحجرات:9) فإذا فرض الله علينا قتال الفئة الباغية المسلمة حفاظا على وحدة كلمة المسلمين وحماية دينها وأعراضها وأموالها. فكيف يكون الحكم في قتال الدول الكافرة الباغية؟ أليس هذا أولى وأجدر.
- **حد الحرابة: قال تعالى:** ﴿ إِنَّمَا جَزَاءُ الَّذِينَ يُحَارِبُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَسْعَوْنَ فِي الْأَرْضِ فَسَاداً أَنْ يُقَتَّلُوا أَوْ يُصَلَّبُوا أَوْ تُقَطَّعَ أَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُمْ مِنْ خِلافٍ أَوْ يُنْفَوْا مِنَ الْأَرْضِ ذَلِكَ لَهُمْ خِزْيٌ فِي الدُّنْيَا وَلَهُمْ فِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ) (المائدة:33) هذا حكم المحاربين من المسلمين الذين يخيفون عامة المسلمين ويفسدون فى الأرض ويعبثون بأموال الناس وأعراضهم، فكيف بالدول الكافرة التي تفسد على الناس دينهم ومالهم وعرضهم، أليس قتالها أوجب على المسلمين وأحرى؟!.

هذه بعض الأدلة والمبررات للنفير العام، إذا دخل الكفار أرض المسلمين، أن دفع العدو الكافر هو أوجب الواجبات بعد الإيمان.] **انتهى النقل عن كتاب الدفاع عن أراضي المسلمين. باختصار طفيف.**

وأقول : فإذا تأملنا أحوال المسلمين اليوم. لوجدنا أن الجهاد قد تعين عليهم من الوجوه الأربعة. في كل الأرض. وأوضح وجوه فرضيته هو الباب الأول (وهو نزول الأعداء في أكثر بلاد المسلمين).

فما من بلد من بلاد المسلمين اليوم، إلا وهو محتل من قبل أنواع الكفار، من اليهود كبلاد فلسطين وأجزاء من بلاد الشام، أو من قبل الصليبيين، كبلاد البوسنة والبلقان، و الشيشان و القفقاس ، والجمهوريات الإسلامية في وسط آسيا والفلبين... وغيرها . أو من قبل الوثنيين مثل كشمير التي يحتلها الهندوس وتركستان الشرقية وأجزاء من جنوب شرق آسيا التي تحتلها الصين...وغير ذلك.

وكل هذه البلاد قد عجز أهلها ومن جاورهم، ثم من جاورهم. ثم جميع من تلاهم وجاورهم، عجزوا أو تكاسلوا أو فرطوا. فعمت الفريضة العينية بالجهاد كل أهل الإسلام.

وأما باقي البلاد الإسلامية والعربية. بما فيها عقر دار الإسلام و كعبتهم ، ومسجد نبيهم صلى الله عليه وسلم. فمحتلة بصورة غير مباشرة من قبل الصليبيين واليهود، بنيابة الحكام المرتدين، وأعوانهم المنافقين الذين وضعوا جيوشهم في خدمة الكفار. بزعامة أمريكا وسيدتها إسرائيل وحلفائهم الصليبيين، الذين ملؤوا البلاد بالقواعد العسكرية البرية والبحرية والجوية. واحتلوا البلاد بهذه الطريقة الحديثة، بتجميع قواتهم فيها في قواعد مركزة، بدل نشرها، واكتفوا بنشر المرتدين لجيوشهم من المنافقين و الجهال والمكرهين والضائعين... الذين يقومون بدور المحتل بالنيابة، حيث يخرج الصليبيون قواتهم من مراكزها وقت الحاجة. ويكفى أن نعلم أن لأمريكا وحلفائهم الصليبيين فوق أرض جزيرة العرب أكثر من مائتي ألف جندي.وسلاحا وعتادا مخزنا يكفي لمليون جندي، يمكن نقلهم خلال أسابيع وقت الحاجة ... وبهذه الطريقة الخبيثة. بتجميع القوات في قواعد مركزية، والاعتماد على قوات المرتدين في الخدمات التفصيلية. يتفادى المحتلون الجدد استفزاز المسلمين للجهاد. ويسمحون للحكام المرتدين بادعاء الإستقلال. ولعلماء السلاطين بصرف الناس عن الجهاد ودعوتهم لطاعة أولياء الأمور المرتدين!

فالمآل واحد، فالبلاد محتلة، والثروات منهوبة، والكافرون يسومون المؤمنين ألوان الذل والهوان على أيدي أعوان المرتدين، وشريعة الله معطلة، وكلمة الكفار هي العليا، والصالحون نزلاء السجون وأقبية التعذيب. والناظر في أحوال بلاد الحرمين والشام ومصر وشمال أفريقيا وتركيا و الباكستان وأفريقيا وأسبابها يرى ذلك بأوضح صوره.

وأما إذا جئنا للبند الثاني من فريضة الجهاد العيني. وهي (التقاء صف المؤمنين بصف الكافرين). لوجدناها متحققة في كل بلاد المسلمين بأشرس صورها، ولكن بصورة خبيثة أيضا، فقد نشر الكافرون الصليبيون، والكفار المرتدون، قواتهم ورصوا صفوفهم وأكدوا حضورهم في كل شبر من بلاد المسلمين. عبر مئات الآلاف من الجيش والشرطة والإستخبارات ورجال الأمن والجواسيس والمخبرين...ناهيك عمن ذكرنا من آلاف الجنود الصليبيين المجمعين في مراكزهم وقواعدهم العسكرية في كل بلد. بحيث أنه ما من مسلم يقف موقف الدفاع عن دينه والالتزام به والدفاع عن قضايا أمته، إلا وتخطفته أيدي تلك العساكر و ترصدته عيون أولئك الجواسيس!! فهل التقى صف الكافرين بصف المؤمنين أم ليس بعد؟ أم يحتاج مشايخنا حتى يبصروا ذلك ويفتون به، أن يتجمع كل أولئك العساكر والمخابرات والجواسيس في صف واحد أمام المساجد وأمام أبوب بيوتهم؟!

وأما إذا جئنا إلى البند الثالث وهو (استنفار الإمام) فلله المشتكى وله الحمد على كل حال. فليس للمسلمين على وجه الأرض اليوم إمام شرعي واحد، وما فيهم اليوم إلا محارب لله ورسوله ساع في الأرض الفساد. فكلهم معتمد على ألوان الكفار من اليهود الصليبيين والوثنيين، ومن اشترى ذمتهم من المنافقين. فليس هناك إمام شرعي يستنفر للجهاد. بل هناك أئمة الكفر والردة يستنفرون الأراذل على المؤمنين!! فهل سقط الجهاد لغياب الإمام الشرعي؟! فمن يدفع الصائل اذن؟

والحقيقة أن حجة الله قد قامت على عباده المسلمين في أكثر بلاد الدنيا. فما من بلد من بلاد المسلمين إلا وقام فيه دعاة للهدى. من علماء عاملين، أو دعاة صادقين أو أمراء جهاد مخلصين. دعوا الناس للجهاد والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، واستنفروهم. وحتى لو خلا بلد من البلاد عن مثل هؤلاء الأئمة، وأمراء الجهاد الصالحين. على فرض ذلك. فأمة الإسلام واحدة. ولا إعتبار من وجهة نظر الإسلام للحدود التي رسمها الصليبيون بين بلادنا، وما اخترعوه من جنسيات وتابعيات وأعلام وجوازات سفر... فأمة الإسلام واحدة وتبقى واحدة. ولم تخل عن أمراء جهاد دعوا المسلمين واستنفروهم. وعلى المسلمين إجابتهم والنفير معهم لدفع الصائل. ومن أمثال هؤلاء وقت غزو الروس لأفغانستان الشيخ عبد الله عزام رحمه الله. ومن وقف معه في الدعوة للنفير العام بالجهاد من علماء باكستان و أفغانستان وغيرهم. ومنهم كافة شيوخ وأمراء الجماعات و الدعوات الجهادية في مختلف البلاد الإسلامية .. ومن هؤلاء اليوم الشيخ أسامة بن لادن حفظه الله، الذي يستنفر المسلمين لجهاد الأمريكان واليهود اليوم ، ومثله العديد من العلماء ودعاة الجهاد ضدهم من بلاد العرب والعجم في العراق و الشيشان وفلسطين والفلبين وإندونيسيا وغيرها. وعلى المسلمين إجابتهم للنفير.

وأما إذا جئنا للوجه الرابع من فريضة الجهاد العينية وهو (إذا أسر العدو بعض المسلمين)، فماذا نقول؟ وماذا نعيد؟ وأين نعد؟ وماذا نزيد؟

- فأسرى الشباب المسلم المخطوف من مختلف بلاد الدنيا إلى سجن غوانتانامو الأمريكي المخزي قد جاوز اليوم 700 أسير من مختلف الجنسيات بحسب المصادر الأمريكية ذاتها.ومثل هذا العدد في السجون الأمريكية في أفغانستان وباكستان.
- وأكثر من هذا العدد مجموع أسرى الشباب المسلم في سجون أوروبا الغربية(بريطانيا- فرنسا- أسبانيا- ألمانيا- بلجيكا-إيطاليا-...).
- (وأما في روسيا فبالآلاف. وقل مثلها في كشمير والفلبين و إرتريا وبلاد إفريقيا. وبلاد وسط آسيا وبلاد التركستان..).

- وأما سجون طغاة بلاد العرب والمسلمين من أمثال حكام السعودية ومصر وبلاد الشام وشمال أفريقيا وتركيا و الباكستان.. فالأرقام المنشورة عبر منظمات حقوق الإنسان، وتقارير منظمة العفو الدولية تذهب إلى عشرات الآلاف في البلد الواحد أحيانا!! فلا شك أن الأرقام عن أسرى الشباب المسلم في تلك البلاد يجاوز مئات الآلاف!! وهذه حقيقة موثقة وليست مبالغات موهومة.
- وأما عن فلسطين فالأخبار العالمية تطالعنا في كل يوم عن قتل المئات وأسر الآلاف. فقد أسر اليهود في يوم واحد من أيام الإنتفاضة أكثر من ألف أسير.! وقد طال الأسر في عموم تلك البلاد النساء والفتيات وحتى الأطفال.
- وأما عن حوادث القتل والتعذيب والاغتصاب وهتك أعراض الرجال والنساء. فلا تكاد تخلوا بلد منها!! فهل وجب الجهاد أم لم يجب بعد؟! وعلماء المسلمين قد أفتوا بأنه إذا سبيت امرأة مسلمة في المشرق وجب على أهل المغرب تخليصها. وأن على المسلمين إنقاذ أسراهم ولو استنفذوا في ذلك جميع أموالهم.

ولعل بعض المنافقين أو بعض الجهال، ينفي حالة الإحتلال عن بعض بلاد المسلمين ، ويحرم مقاتلة الغزاة بدعوى أنهم قدموا بموجب اتفاقات مع حكام بلاد المسلمين. فينبغي أن نثبت لهؤلاء أن هذا لا يجوز لحاكم مسلم لو كان مسلما. وأن نبين لهم أن هؤلاء الحكام قد فقدوا شرعيتهم بكفرهم وردتهم وخروجهم من ملتنا.

وهو ما ستبينه الفقرة التالية :

ثانياً : حكومات بلاد المسلمين اليوم مرتدة كافرة لتبديلها الشرائع وحكمها بغير ما أنزل الله . وولائها للكفار و خيانتها لله ورسوله والمؤمنين:

لقد تسرب العديد من أنواع الشرك بالله إلى معتقدات الكثير من المسلمين مع تتالي الأزمان حتى وصلنا إلى هذه الأزمنة التعيسة المتأخرة .

ومن ذلك ما حصل من الكثيرين من عبادة غيره من دونه، ومعصيته وإنكار أحكامه مع طاعة غيره وطاعة أحكامهم، وترك ولايته وولاية أوليائه ، ثم ولاية أعدائه من دون أوليائه .

فكل مسلم يعتقد و يعترف ويدعى الإيمان بأن الله هو الخالق ، وأنه هو الرزاق ، وأنه هو المحيي ، وأنه هو المميت ، وأنه الضار النافع ، وأنه الخافض الرافع ، وأنه الحكم العدل .. ، إلى آخر أسماء الله وصفاته. ولكن كثيرا من المسلمين في واقعهم يتوجهون في جلب النفع ودفع الضر وطلب الرزق، والخوف والرجاء، والتحاكم والتشريع، والتحليل والتحريم.. على غير ما أمر الله به، إلى البشر من أمثالهم . وخاصة من الحكام والكبراء ، والأحبار والرهبان والعلماء والمشايخ، ومن يعتقدون فيهم من الرجال!

وهذه هي حقيقة العبادة وحقيقة الطاعة ، التي تنقض زعمهم الإيمان بالرب الخالق كما يدعون . الرب الذي لا يتم الإيمان به إلا بملازمة عبادته إلها، وطاعته وحده لا شريك له في أحكامه ، تماما كما يجب الإيمان به ربا خالقا رازقا ...

إن من أعظم وجوه عبادة الله وطاعته، التزام أحكامه وأوامره ونواهيه وشرائعه وهذا بديهي... فهل ثمة تكذيب أكبر من أن يدعي رجل الإيمان بالله ، ثم ينكر تشريعاته و يتنقصها ! ويدَّعي عدم صلاحيتها للعصر! وأنها سبب تخلف المسلمين!! ويقدم غيرها من شرائع البشر عليها عمليا! ويحكم الناس بها ويقهرهم على قوانينها بالقوة!

إن هذه الطاعة لا يتقبلها أحدهم من زوجته، ولا ولده، ولا خادمه ـ ولله المثل الأعلى ـ فهل يقبل رب البيت من زوجته ادعاء حبه وهي تطيع غيره وتنفذ أوامر غيره في بيته؟! وهل يقبل من ولده ادعاء طاعته ثم يطيع جاره و يعصيه ؟ وهل يقبل من خادمه وعامله الذي يأكل من رزقه ، أن يدعي سيادته ، ثم يتحرك وفق توجيهات غيره ! فهم لا يقبلون ذلك على أنفسهم ولله المثل الأعلى . ولهذا جاءهم الخطاب أفلا تتقون ؟! أفلا تذكرون ؟! فهذا ادعاء باطل وعمل منكر.

إن كون الحاكمية لله وحده. وأن التشريع منه وحده. وأن الطاعة له وحده، وأن الحلال ما أحله الله، وأن الحرام ما حرمه، وأن ما أمر به نافذ، وأن ما نهى عنه يُترك. هي أمور من صميم توحيد الألوهية وعبادة الله وحده. وقد أثبت القرآن هذا، وأثبت الكفر لمنكره. كما أثبتته السنة واستقر عليه إجماع هذه الأمة، وسادة علمائها وفقهائها عبر الأزمان والعصور. ولا يكون الدين كله لله في الحقيقة إلا هكذا، والآيات متواترة على هذه المعاني متعاضدة. ومن ذلك قوله تعالى: ﴿ وَأَنِ احْكُمْ بَيْنَهُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ وَلا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ وَاحْذَرْهُمْ أَنْ يَفْتِنُوكَ عَنْ بَعْضِ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ إِلَيْكَ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَاعْلَمْ أَنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ أَنْ يُصِيبَهُمْ بِبَعْضِ ذُنُوبِهِمْ وَإِنَّ كَثِيراً مِنَ النَّاسِ لَفَاسِقُونَ * أَفَحُكْمَ الْجَاهِلِيَّةِ يَبْغُونَ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللَّهِ حُكْماً لِقَوْمٍ يُوقِنُونَ ﴾ (المائدة 49-50)

قال ابن كثير رحمه الله في تفسيره :[(**وأن احكم بينهم بما أنزل الله ولا تتبع أهواءهم**). أي فاحكم يا محمد، بين الناس عربهم، وعجمهم ، وأميهم، وكتابيهم، بما أنزل الله إليك في هذا الكتاب العظيم] ثم قال : [(**ولا تتبع أهواءهم**): أي آراءهم التي اصطلحوا عليها وتركوا بسببها

ما أنزل الله على رسله. ولهذا قال تعالى : (**ولا تتبع أهواءهم**). أي لا تنصرف عن الحق الذي أمرك الله به بأهواء هؤلاء الجهلة الأشقياء]. ثم قال ـ وانتبه إلى هذا الأثر العظيم الهام ـ قال ابن كثير رحمه الله: [وقوله تعالى (**أفحكم الجاهلية يبغون ومن أحسن من الله حكما لقوم يوقنون**) ينكر تعالى على من خرج عن حكم الله المحكم، المشتمل على كل خير، الناهي عن كل شر، وعدل إلى ما سواه من الآراء والأهواء، والاصطلاحات التي وضعها الرجال بلا مستند من شريعة الله. كما كان أهل الجاهلية يحكمون به من الضلالات و الجهالات، مما يضعونها بآرائهم وأهوائهم وكما يحكم بها التتار من السياسات الملكية المأخوذة من ملكهم (جنكيز خان) الذي وضع لهم (الياسق) وهو عبارة عن كتاب مجموع من أحكام قد اقتبسها من شرائع شتى من اليهودية والنصرانية والملة الإسلامية وغيرها. ومنها كثير من الأحكام أخذها من مجرد نظره وهواه، فصارت في بنيه شرعا متبعا يقدمونه على الحكم بكتاب الله وسنة رسول الله صلى الله عليه وسلم. فمن فعل ذلك منهم فهو كافر يجب قتاله حتى يرجع إلى حكم الله ورسوله فلا يحكم بسواه في قليل ولا كثير. قال تعالى:(أفحكم الجاهلية يبغون) أي يبتغون ويريدون ، وعن حكم الله يعدلون؟ وقوله تعالى:(ومن أحسن من الله حكما لقوم يوقنون) أي: ومن أعدل من الله في حكمه لمن عقل عن الله شرعه وآمن به وأيقن وعلم أن الله أحكم الحاكمين وأرحم بخلقه من الوالدة بولدها، فإنه تعالى هو العالم بكل شئ القادر على كل شئ. العادل في كل شئ] اهـ.

ومما قاله ابن كثير عن (الياسق) في تاريخه (البداية والنهاية)، قال:[ثم ذكر الجويني نتفا من (الياسا)، من ذلك: أنه منه زنى قتل، محصنا كان أو غير محصن، وكذلك من لاط. قتل ومن تعمد الكذب قتل، ومن تجسس قتل ، ومن بال في الماء الواقف قتل ، ومن انغمس فيه قتل (...) وفي ذلك كله مخالفة لشرائع الله المنزلة على عباده الأنبياء عليهم الصلاة والسلام **فمن ترك الشرع المحكم المنزل على محمد بن عبد الله خاتم الأنبياء، وتحاكم إلى غيره من الشرائع المنسوخة كفر. فكيف بمن تحاكم إلى الياسا وقدمها عليه. من فعل ذلك كفر بإجماع المسلمين**] اهـ.

قلت:

و(الياسا): هو دستور ومجموعة قوانين، وضعها جنكيز خان، (الملك التتري) لما اجتاح المشرق، ورأى تعدد الأديان والفلسفات، فوضع بمشاورة المشرعين عنده هذا الدستور، مما استحسنوه بعقولهم ومن وحي تجاربهم، وخلطوها بأحكام من الإسلام و النصرانية وأديانهم الوثنية.

وهو نفس الفعل الذي يقوم به اليوم حكام المسلمين بمساعدة مشرعيهم وبرلماناتهم، حيث بنوها أساسا على القوانين الفرنسية والإنجليزية، ذات الأصل الروماني، وخلطوا فيها شيئا من الشريعة الإسلامية، وما أملته عليهم أهواؤهم ! ثم كتبوا في أعلاها كما في بعض البلاد

الإسلامية:(الشريعة الإسلامية هي المصدر الأساسي للتشريع والتقنيين!!) وفي بعض البلاد بخلوا حتى بهذه العبارة الشركية الكاذبة.

فإذا كان ابن كثير قد نقل إجماع المسلمين على كفر من حكم بالياسا أو سواه من جهالات البشر، فكيف بمن حكم بهذه الشرائع الوضعية في المسلمين وأجبرهم عليها بقوة وقهر السلاح!!

ويكفي لكل من أراد أن يطلع على حجم الكفر والفسق والظلم، وتبديل الشرائع، واتخاذ آيات الله هزوا، أن يطلع على نسخة من دستور بلاده، والقوانين المعمول بها في المحاكم، والمراسيم التشريعية التي تصدر عن حكومة بلاده كل يوم. وهذه هي الحالة في باكستان وكافة بلاد المسلمين. تماما كما أخبر صلى الله عليه وسلم فيما روى عنه الأمام أحمد:(لينقضن عرى الإسلام عروة فكلما انتقضت عروة تشبث الناس بالتي تليها. وأولهن نقضا الحكم وآخرهن الصلاة). فلا شك أن من حكّم هذه القوانين كافر يجب قتاله بإجماع المسلمين.

وفي قوله تعالى:﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ يَزْعُمُونَ أَنَّهُمْ آمَنُوا بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنْزِلَ مِنْ قَبْلِكَ يُرِيدُونَ أَنْ يَتَحَاكَمُوا إِلَى الطَّاغُوتِ وَقَدْ أُمِرُوا أَنْ يَكْفُرُوا بِهِ وَيُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَنْ يُضِلَّهُمْ ضَلالاً بَعِيداً ﴾ (النساء:60) يقول ابن كثير رحمه الله :

[هذا إنكار من الله عز وجل، على من يدعي الإيمان بما أنزل الله على رسوله وعلى الأنبياء الأقدمين. وهو مع ذلك يريد أن يتحاكم في فصل الخصومات إلى غير كتاب الله وسنة رسوله] ثم قال:[فانها-أي الآية – ذامة لكل من عدلوا عن الكتاب والسنة وتحاكموا إلى ما سواهما من الباطل وهو المراد هنا بالطاغوت. ولهذا قال (يريدون أن يتحاكموا إلى الطاغوت)] أي كما قال في نفس سورة النساء بعد بضع آيات في قوله تعالى [فلا وربك لا يؤمنون حتى يحكموك فيما شجر بينهم ثم لا يجدون في أنفسهم حرجا مما قضيت ويسلموا تسليما]: [أي إذا حكموك يطيعونك في بواطنهم فلا يجدون في أنفسهم حرجا مما حكمت به وينقادون له في الظاهر والباطن فيسلمون لذلك تسليما كليا من غير ممانعة ولا مدافعة ولا منازعة. كما ورد في الحديث:(والذي نفسي بيده لا يؤمن أحدكم حتى يكون هواه تبعا لما جئت به)]اهـ.

وفي قوله تعالى من سورة الأحزاب الآية 36 : ﴿ وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمْراً أَنْ يَكُونَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ وَمَنْ يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ ضَلَّ ضَلالاً مُبِيناً ﴾ .

قال ابن كثير رحمه الله: [**فهذه الآية عامة في جميع الأمور. وذلك أنه إذا حكم الله ورسوله بشيء فليس لأحد مخالفته ولا اختيار لأحد هنا ولا رأي ولا قول (.....) ولهذا شَدد في خلاف ذلك فقال:[ومن يعص الله ورسوله فقد ضل ضلالا مبينا] وكقوله تعالى [فليحذر الذين يخالفون عن أمره أن تصيبهم فتنة أو يصيبهم عذاب أليم]** اهـ.

- قال الإمام أبو بكر الجصاص في تفسير قوله تعالى: ﴿ **فلا وربك لا يؤمنون...**﴾ **الآية السابقة: (وفي هذه الآية دلالة على أن من رد شيئا من أوامر الله تعالى أو رسوله صلى الله عليه وسلم، فهو خارج من ملة الإسلام، سواء رده من جهة الشك فيه، أو من جهة ترك القبول و الانقياد و الامتناع عن التسليم. وذلك يوجب صحة ما ذهب إليه الصحابة في حكمهم بارتداد من امتنع عن أداء الزكاة)** أحكام القرآن ج2 ـ ص212.

- وقال الإمام ابن تيمية رحمه الله تعالى: ﴿ **إنما كان قول المؤمنين إذا دعوا إلى الله ورسوله ليحكم بينهم أن يقولوا سمعنا وأطعنا وأولئك هم المفلحون** ﴾ النور 51 **قال:[فبين سبحانه أن من تولى عن طاعة الرسول وأعرض عن حكمه فهو من المنافقين وليس بمؤمن. وأن المؤمن هو الذي يقول سمعنا وأطعنا. فإذا كان النفاق يثبت ويزول الإيمان بمجرد الإعراض عن حكم الرسول وإرادة التحاكم إلى غيره مع أن هذا ترك محض، وقد يكون سببه قوة الشهوة فكيف بالتنقص ونحوه] اهـ** (الصارم المسلول، ص 38).

- كذلك نقل شيخ الإسلام اتفاق الفقهاء فقال: **(والإنسان متى حلل الحرام ـ المجمع عليه ـ أو حرم الحلال المجمع عليه ـ أو بدل الشرع ـ المجمع عليه ـ كان كافرا مرتدا باتفاق الفقهاء)**

الفتاوى ج3 ص267.

- وقال رحمه الله في الفتاوى ج35 ص406: **(ومن حكم بما يخالف شرع الله ورسوله وهو يعلم ذلك فهو من جنس التتار الذين يقدمون حكم الياسق على حكم الله ورسوله).**

- ويقول أيضا في منهاج السنة ج3 ص22: **(فمن استحل أن يحكم بين الناس بما يراه عدلا من غير إتباع لما أنزل الله فهو كافر).**

- وفي الفتاوى الكبرى ج4 ص515: **(ومعلوم بالإضطرار من دين المسلمين وباتفاق جميع المسلمين أن من سوغ إتباع غير دين الإسلام أو إتباع غير شريعة محمد صلى الله عليه وسلم فهو كافر).**

- ويقول الإمام ابن القيم رحمه الله : عند قوله تعالى: ﴿ فَإِنْ تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ إِنْ كُنْتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلاً ﴾ (النساء: من الآية59) قال: [**وهذا دليل قاطع على أنه يجب رد موارد النزاع في كل ما تنازع فيه الناس، من الدين كله، إلى الله ورسوله صلى الله عليه وسلم. لا إلى أحد غير الله ورسوله صلى الله عليه وسلم، فمن أحال الرد إلى غيرهما، فقد ضاد أمر الله ، ومن دعا عند النزاع إلى حكم غير الله ورسوله، فقد دعا بدعوى الجاهلية، فلا يدخل العبد في الإيمان حتى يرد كل ما تنازع فيه المتنازعون إلى الله**

ورسوله، ولهذا قال تعالى: ﴿ إن كنتم تؤمنون بالله واليوم الآخر﴾ وهـذا مـما ذكـر آنفـا، أنـه شرط ينفي المشروط بانتفائه، فدل على أن من حكّم غـير اللـه ورسـوله في مـوارد النـزاع كـان خارجا عن مقتضى الإيمان بالله واليوم الآخر.وحسبك بهذه الآية العاصمة القاصمة بيانا وشفاء فإنها قاصمة لظهور المخالفين لها، عاصمة للمستمسكين بها، المتمثلين ما أمرت به] (الرسالة التبوكية).

- وفي نفس هذه الآية قال ابن كثير رحمه الله:[**فدل على أن من لم يتحـاكم في محـل النـزاع إلى الكتاب والسنة ولم يرجع إليهما في ذلك فليس مؤمنا بالله ولا باليوم الآخر] اهـ** (تفسير ابن كثير).
- ويقول ابن القيم رحمه الله: (**ثم أخبر سبحانه أن من تحاكم إلى غير ما جاء بـه الرسـول فقـد حكم الطاغوت وتحاكم إليه.والطاغوت كل ما يتجاوز به العبد حده من معبـود أو متبـوع أو مطاع، فطاغوت كل قوم من يتحاكمون إليه غـير اللـه ورسـوله أو يعبدونـه مـن دون اللـه أو يتبعونه على غير بصيرة من الله**). إعلام الموقعين ج1 ص5.
- وقال رحمه الله في مدارج السالكين 1ص 337 : (**إن اعتقد أن الحكم بما أنزل الله غـير واجـب وأنه مخير فيه مع تيقنه حكم الله فهذا كفر أكبر**).
- يقول القاضي أبو يعلي في أصول الـدين ص 271: (**ومـن اعتقـد تحليـل مـا حـرم اللـه بـالنص الصريح، أو من رسوله أو أجمع المسلمون على تحريمه، فهو كافر،كمن أباح شرب الخمر ومنع الصلاة والصيام والزكاة. وكذلك من اعتقد تحـريم شـئ حللـه اللـه أباحـه بـالنص الصـريح أو أباحه الله عز وجل. والوجه فيه أن في ذلـك تكـذيب للـه تعـالى ولرسـوله في خـبره، وتكـذيب للمسلمين في خبرهم. ومن فعل ذلك كفر بإجماع المسلمين**).
- قال الإمام القرطبي في تفسيره عند قوله تعالى: ﴿ وَإِنْ نَكَثُوا أَيْمَانَهُمْ مِنْ بَعْـدِ عَهْـدِهِمْ وَطَعَنُـوا فِي دِينِكُمْ فَقَاتِلُوا أَئِمَّةَ الْكُفْرِ إِنَّهُمْ لا أَيْمَانَ لَهُمْ لَعَلَّهُمْ يَنْتَهُـونَ ﴾ (التوبـة:12) قـال: (**اسـتدل بعـض العلماء بهذه الآية على وجوب قتل من طعن في الدين إذ هو كافر، والطعن أن ينسب إليه ما لا يليق به، أو يعترض بالاستخفاف على ما هو من الدين لمـا ثبـت مـن الـدليل القطعـي عـلى صحة أصوله واستقامة فروعه**) ج8 ص82.

فانظروا اليوم في خطابات وتصريحات هؤلاء الرؤساء وأعوانهم، وما فيها مـن طعـن بالـدين واستخفاف بشعائره.

- وقال رحمه الله : (**إن حكم بما عنده على من أنه من عند الله فهو تبديل له يوجـب الكفـر**)

ج6 ص191.

- وقال:(**إن طلب غير حكم الله من حيث لم يرض به فهو كافر**) تفسير القرطبي.

ونكتفي بهذه الآثار. والشواهد كثيرة جدا، من أقوال الأئمة والعلماء ونصوص الكتاب والسنة.

وقد تكلم في هذه المسألة جمع من علماء المسلمين المعاصرين الذين عاشوا واقع كفر حكامنا في هذا العصر، وبينوا أن ما يصدر عنهم من تشريع وتبديل لشرع الله وحكم بغير ما أنزل الله هو كفر أكبر. وننقل ههنا طائفة من أقوالهم:

- قال الشيخ محمود الآلوسي في تفسيره : (**لا شك في كفر من يستحسن القانون ويفضله على الشرع، ويقول هو أوفق بالحكمة، وأصلح للأمة، ويتميز غيظاً ويتعصب غضبا إذا قيل له في أمر الشرع فيه كذا . كما شهدنا ذلك في بعض من خذلهم الله فأصمهم وأعمى أبصارهم. فلا ينبغي التوقف في تكفير من يستحسن ما هو بين المخالفة للشرع منها، ويقدمه على الأحكام الشرعية منتقصا للحق**) [روح المعاني ج28ص 20].
- وقال الشيخ محمد أمين الشنقيطي رحمه الله :(**ومن لم يحكم بما أنزل الله معارضة للرسل وإبطالا لأحكام الله فظلمه وفسقه وكفره كله مخرج من الملة**) أضواء البيان ج2ص104.
- وقال في تعليقه على حديث عدي بن حاتم وقول النبي صلى الله عليه وسلم: (**ألم يحرموا عليكم ما أحل الله ويحلوا لكم ما حرم الله فتبعتموهم ؟ قال بلى، قال فتلك عبادتهم**). قال رحمه الله : (**وهذا التفسير النبوي:أن كل من يتبع مشرعا بما أحل وحرم مخالفا لتشريع الله أنه عابد له، متخذه ربا،مشرك به كافر بالله. هو تفسير صحيح لا شك في صحته، واعلموا أيها الأخوان أن الإشراك بالله في حكمه، والإشراك به في عبادته كلها بمعنى واحد ولا فرق بينهما البتة، فالذي يتبع نظاما غير نظام الله، وتشريعا غير تشريع الله، وقانونا مخالفا لشرع الله، من صنع البشر. معرضا عن نور السماء الذي أنزله الله على لسان رسوله صلى الله عليه وسلم من كان يفعل هذا هو ومن كان يعبد الصنم ويسجد للوثن، لا فرق بينهم البتة بوجه من الوجوه فهما واحد كلاهما مشرك بالله هذا أشرك في عبادته وهذا أشرك في حكمه**) أضواء البيان.
- ويقول في نفس التفسير: (**وبهذه النصوص السماوية التي ذكرنا يظهر غاية الظهور أن الذين يتبعون القوانين الوضعية التي شرعها الشيطان على لسان أوليائه مخالفة لما شرعه الله جل وعلا على ألسنة رسله، أنه لا يشك في كفرهم إلا من طمس الله على بصيرته وأعماه عن نور الوحي مثلهم**).
- ويقول رحمه الله (**وأما النظام الوضعي المخالف لتشريع خالق السموات والأرض فتحكيمه كفر بخالق السموات والأرض. كدعوى أن تفضيل الذكر على الأنثى في الميراث ليس بإنصاف، و أنهما يلزم إستواؤهما فى الميراث،ودعوى أن تعدد الزوجات ظلم وأن الطلاق ظلم للمرأة ، وأن الرجم والقطع ونحوهما،أعمال وحشية لا يسوغ فعلها بالإنسان ونحو ذلك، فتحكيم هذا**

النوع من النظام في أنفس المجتمع وأموالهم وأنسابهم وعقودهم وأديانهم، كفر بخالق السموات والأرض) أضواء البيان ج4ص84 .

- قال الشيخ أحمد شاكر رحمه الله ، وهو إمام محدث معاصر توفي سنة 1958، وكان قد عمل في مجال القضاء الشرعي في مصر ثم اعتزله، قال في تعليقه وتحقيقه لمسند الإمام أحمد عند الحديث رقم 7747: (**ومن حكم بغير ما أنزل الله عامدا عارفا فهو كافر. ومن رضي عن ذلك وأقره فهو كافر، سواء أحكم بما يسميه شريعة أهل الكتاب أم بما يسميه تشريعا وضعيا. فكله كفر وخروج من الملة، أعاذنا الله من ذلك**).
- ومما جاء عنه رحمه الله: (**أفيجوز مع هذا في شرع الله أن يحكم المسلمون في بلادهم بتشريع مقتبس عن تشريعات أوربا الوثنية الملحدة، بل بتشريع تدخله الأراء والأهواء الباطلة.يغيرونه ويبلونه كما يشاؤون . ولا يبالي واضعه أوافق شرع الإسلام أم خالفه، إن المسلمين لم يبتلوا بهذا قط إلا في عهد التتار**) إلى أن قال (**ما أظن رجلا يعرف دينه ويؤمن به جملة وتفصيلا(...) ما أظنه يستطيع إلا أن يجزم غير متردد ولا متأول ، بأن ولاية القضاء في هذه الحالة باطلة بطلانا أصليا لا يلحقه التصحيح ولا الإجازة.إن الأمر في هذه القوانين الوضعية واضح وضوح الشمس هي كفر بواح لا خفاء فيه ولا مداراة ولا عذر لأحد ينتسب لأهل الإسلام كائنا من كان في العمل بها أو إقرارها**) عمدة التفاسير ج4ص171.

ومن الأدلة الناصعة في القرآن والسنة، على كفر من أعطى نفسه حق التشريع من التحليل والتحريم، وتبديل الشرائع والعدوان على حاكمية الله، وجعل نفسه بذلك ربا يعبد، ما أخبر به سبحانه عن كفر اليهود والنصارى، في قوله: ﴿ اتَّخَذُوا أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَانَهُمْ أَرْبَاباً مِنْ دُونِ اللَّهِ وَالْمَسِيحَ ابْنَ مَرْيَمَ وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا إِلَهاً وَاحِداً لا إِلَهَ إِلَّا هُوَ سُبْحَانَهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴾ **(التوبة:31)** .

فقد روى الإمام أحمد والترمذي وابن جرير عن طريق عدي ابن حاتم رضي الله عنه، كما نقل ذلك ابن كثير في تفسيره، أن عديا لما جاء رسول الله صلى الله عليه وسلم، ليسلم وكان نصرانيا، وجده يقرأ هذه الآية.فقال لرسول الله صلى الله عليه وسلم: إنهم لم يعبدوهم. فقال صلى الله عليه وسلم:(**بلى إنهم حرموا عليهم الحلال وأحلوا لهم الحرام. فاتبعوهم. فذلك عبادتهم إياهم**).

ومعلوم أن تفسير القرآن بالسنة الثابتة هو من أصح التفاسير. ودلالة الآية والحديث واضحة تماما،تدل على أن من شرع فحلل وحرم، فقد جعل نفسه ربا. وعلى أن من أطاعه فقد عبده، وهذه هي عبادة قوم فرعون لفرعون. فهو لما قال لهم ﴿ **ما علمت لكم من إله غيري**﴾ القصص – 38. ﴿ **فقال أنا ربكم الأعلى**﴾ النازعات – 24. لم يطلب منهم أن يعتقدوا أنه هو الذي خلقهم ورزقهم وخلق الكون ودبره، فقد كان للمصريين في عهده آلهة يعبدونها بهذه الصفة، وإنما عبدوه إلها مشرعا بالطاعة.

وهو نفس الدور الذي يقوم به حكام المسلمين اليوم ومشرعوهم، وبرلماناتها الكافرة الظالمة الفاسقة. وقد قال تعالى: ﴿ **فاستخف قومه فأطاعوه إنهم كانوا قوما فاسقين** ﴾ الزخرف-54.

كيف لا وهم في مراسيمهم وبرلماناتهم يحلون الخمور، تصنيعا وبيعا وترخيصا، ويقبضون عليها الرسوم والمكوس، وكذلك دور الزنا وبنوك الربا، ويساوون في حق التصويت على التشريع،بين المؤمن والكافر، وبين البر والفاجر، وبين الرجل و المرأة، وبين العالم والجاهل... ويعقدون الأحلاف المحرمة، ويبرمون المعاهدات الباطلة، ويمنعون مساجد الله أن يذكر فيها اسمه، ويسعون في خرابها، ويحرمون في مقابل ذلك مما أحلوا. الأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر، والجهاد، والجزية ، والاحتساب، وأنواعا من البيع الحلال... ناهيك عن القوانين التي تبيح المكوس الظالمة، وتقنن لقتل وسجن وتشريد الناس ظلما وعدوانا...إلى آخر ما شرعوا وقننوا وأحلوا وحرموا، قاتلهم الله أنا يؤفكون.

ويجدر بنا لفت النظر إلى أمر هام. وهو أن بقاء رسوم من أثار الشريعة. ونتفا من أحكامها طي سجلات القوانين الوضعية، كبعض أحكام الأحوال الشخصية، والزواج والطلاق والميراث، في بعض البلاد الإسلامية، لا يجعل الحكم يوصف بأنه حكم الشريعة. كما أن التزوير والضحك على عقول البسطاء بعنونة الدستور بالكلمة الفارغة الخادعة، وهي قولهم(الشريعة الإسلامية هي مصدر التشريع والتقنيين) أو (الشريعة الإسلامية هي المصدر الأساسي للتشريع) كما في بعض البلاد، أو حتى بالمبالغة بالدجل بالقول (الشريعة الإسلامية هي المصدر الوحيد للتشريع والتقنيين). ثم التشريع والتقنيين من دون الله تحت هذا العنوان.كما في بعض البلاد كالسعودية والسودان واليمن...فهذا لا يجعل الحكم شرعيا، ولله المشتكى كم يستخفون بعقول شعوبهم، باستخدام بعض العلماء من عملاء السلطان. فمن يقبل أن يشتري قارورة خمر، كتب عليها (حليب) على أنها حليب، أو زيت!!! وهل يطهر الخمر بالكتابة علية؟!. هذا من جهة. ومن جهة أخرى، فإن من المعلوم في ديننا أن النجاسة تلغى الطهارة، والله أغنى الأغنياء عن الشرك، كما أخبر عن نفسه جل جلاله، وقال في الحديث القدسي:(من عمل عملا أشرك فيه معي غيري تركته وشركه) رواه مسلم. والله لا يقبل إلا أن يكون الدين كله لله، قال تعالى: ﴿ وقاتلوهم حتى لا تكون فتنة ويكون الدين كله لله ﴾ (الأنفال/39).

وقال تعالى: ﴿ إنا أنزلنا إليك الكتاب بالحق فاعبد الله مخلصا له الدين* ألا لله الدين الخالص ﴾ الزمر-3.

والعبرة ليست في كبر وعظم هذا الشرك بالتشريع، أو بحجم ما خلط بالحكم بغير ما أنزل الله. وإنما باستحلال هذا الفعل والإقدام عليه، والعدوان على حاكمية الله الذي قال : ﴿إن الحكم إلا لله أمر ألا تعبدوا إلا إياه﴾ يوسف-67. والفتنة التي نحن فيها هي أن الدين في بلادنا لم يعد كله

لله. قال ابن كثير في قوله تعالى:[وقاتلوهم حتى لا تكون فتنة ويكون الدين كله لله] الأنفال-39. عن ابن عباس: [يعني لا يكون شرك]، وعن عروة وغيره من علمائنا [حتى لا تكون فتنة]: [حتى لا يفتن مسلم عن دينه]، [وعن محمد بن اسحق: ويكون التوحيد خالصا لله ليس فيه شرك. ويخلع ما دونه من الأنداد].

قال الإمام الشاطبي رحمه الله: (**كل بدعة وإن قلت بتشريع زائد أو ناقص أو تغير للأصل الصحيح، كل ذلك قد يكون ملحقا بما هو مشروع، فيكون قادحا في المشروع. لو فعل أحد مثل هذا في نفس الشريعة عامدا لكفر.**

إذ الزيادة و النقصان فيها أو التغير قل أو كثر كفر فلا فرق بين ما قل أو كثر) الاعتصام .

وقال الإمام ابن تيمية: (**فإذا كان بعض الدين لله وبعضه لغير الله وجب القتال حتى يكون الدين كله لله. ولهذا قال تعالى :** ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَذَرُوا مَا بَقِيَ مِنَ الرِّبا إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ فإن لم)فَإِنْ لَمْ تَفْعَلُوا فَأْذَنُوا بِحَرْبٍ مِنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ) (البقرة:279) .

وهذه الآية نزلت في أهل الطائف لما دخلوا في الإسلام، والتزموا الصلاة والصيام، ولكنهم إمتنعوا عن ترك الربا وبين الله تعالى أنهم محاربون له ولرسوله. فإذا كان هؤلاء محاربين لله ورسوله يجب جهادهم، فكيف بمن يترك كثيرا من شرائع الإسلام وأكثرها كالتتار؟! وقد اتفق علماء الإسلام على أن الطائفة الممتنعة، إذا امتنعت عن بعض الواجبات الإسلامية، فإنه يجب قتالهم، إذا تكلموا بالشهادتين وامتنعوا عن الصلاة والزكاة، أو صيام رمضان أو حج البيت العتيق أو عن الحكم بينهم بالكتاب والسنة أو عن تحريم الفواحش أو الخمر أو نكاح ذوات المحارم، أو استحلال ذوات النفوس والأموال بغير الحق، أو الربا أو الميسر، أو الجهاد للكفار، أو عن ضربهم الجزية على أهل الكتاب...ونحو ذلك من شرائع الإسلام، بأنهم يقاتلون عليها حتى يكون الدين كله لله)ج 28 مسألة 217.

فالخلاصة :

أنه اذا ما اختلط دين الله بدين غيره، وتشريعه بتشريع غيره، وحكمه بحكم غيره، كانت الفتنة عن دين الله، ووجب القتال حتى لا تكون فتنة. وهذا هو الحاصل اليوم وما جناه حكامنا علينا من فساد في الداخل. وعدوان من الخارج وضنك في الحياة العامة. وذل على يد الأعداء.

ولقد سمى ربنا سبحانه وتعالى أمثال هؤلاء الحكام (الكافرون، الفاسقون، الظالمون)، فجاء من عملاء السلاطين من يسمى هؤلاء الحكام مسلمون صالحون، وأولياء أمور شرعيون. وكأن عندهم قرآنا خاصا بهم كتبوا فيه: ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم المسلمون المؤمنون الصالحون !!!.

سبحان الله!! كيف وقد أوجدوا مختصين بالقانون الوضعي، درسوا في بلاد الصليب الكافرة في الغرب، وأسموا واحدهم(مشرع) هكذا باللفظ الصريح.. ناهيك عن ما يفعله هؤلاء الملوك والرؤساء

والأمراء من سن القوانين وتشريع المراسيم، بما في ذلك حل أجهزة التشريع ذاتها (البرلمان) اذا خطر لهم ذلك!. فالحاكم تارة يعبد المشرع ويطلب من الناس عبادته، وتارة يسجنه، وإذا أراد أن يقتله قتله!!! كما كان عباد الأصنام يصنع واحدهم إلها من تمر ثم يأكله! أو إلها من خشب ثم يحرقه ليطبخ عليه! ناهيك عن وجوه الكفر الأخرى التي تلبسوا بها من ولاء الكافرين، وقتل المؤمنين ، وأوجه نواقض الإيمان من الأقوال والأفعال.

هذا عن كفر حكام بلاد الإسلام في هذا الزمان من باب التشريع من دون الله والحكم بغير ما أنزل الله.

ولكن هؤلاء المحاربين لله ورسوله لم يكتفوا بكفرهم من هذا الوجه ، فأضافوا إليه كفرا أشد وضوحا، وأسهل إثباتا . وهو ولاؤهم لأعداء المسلمين ومعاونتهم ومظاهرتهم على شعوبهم وأهل ملتهم . فلنتأمل في بعض التفصيل الموجز في الحكم الشرعي في جريمتهم الأخرى هذه

عقيدة الولاء و البراء. وحكم موالاة الكافرين وأنواعها وحكم قتال المسلمين إلى جانب الكفرة والمرتدين

بصرف النظر عن أجناس البشر وألوانهم ، واختلاف لغاتهم وشعوبهم ، وغناهم وفقرهم ، أو أي اعتبار آخر. فقد اعتبرت الشريعة لهم نسبتان فقط هما:

(مؤمن) و (كافر). وقررت بالنصوص الواضحات من الكتاب والسنة ، أن أهل الإيمان إخوة، ويشكلون أمة واحدة. فقد قال تعالى: ﴿ إنما المؤمنون إخوة ﴾ الحجرات 10.

كما قررت أن الكفار على اختلاف مذاهب كفرهم، وأجناسهم، وشعوبهم، ولغاتهم (ملة واحدة). وبهذا الوضوح تقرر أن أهل التكليف إنسهم وجنهم في هذه الأرض أمتان (أهل الإيمان) و (أهل الكفر).

وقد أمر الله سبحانه وتعالى بكل وضوح المؤمنين بموالاة بعضهم بعضا، والبراءة من الكافرين، وعلى هذا بنيت (عقيدة الولاء و البراء). وليست هذه القضية، قضية فرعية من قضايا الإيمان. بل هي قضية أساسية، مرتبطة بأساس التوحيد، إذ يبنى عليها الإيمان أو الكفر، ونسبة الإنسان لإحدى هاتين الأمتين.

وقد قال تعالى : ﴿ لا تَجِدُ قَوْماً يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَوْ كَانُوا آبَاءَهُمْ أَوْ أَبْنَاءَهُمْ أَوْ إِخْوَانَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ أُولَئِكَ كَتَبَ فِي قُلُوبِهِمُ الإِيمَانَ وَأَيَّدَهُمْ بِرُوحٍ مِنْهُ وَيُدْخِلُهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ أُولَئِكَ حِزْبُ اللَّهِ أَلا إِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴾ (المجادلة:22)

وأخبر بقوله:[والمؤمنون والمؤمنات بعضهم أولياء بعض] التوبة – 81. [والذين كفروا بعضهم أولياء بعض] الأنفال – 73.[والمنافقون والمنافقات بعضهم من بعض] التوبة – 67.

وقال تعالى: ﴿ وَإِنَّ الظَّالِمِينَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ وَاللَّهُ وَلِيُّ الْمُتَّقِينَ ﴾ الجاثية: 19 . فهما نسبتان وجنسيتان ، وآصرتان ورابطتان فقط، (مسلم يوالي مسلماً)... و(كافر ومنافق يوالون بعضهم بعضاً).

وقد أمر الله باعتقاد هذه العقيدة، وأخبر أننا إن لم نفعلها ﴿ تكن فتنة في الأرض وفساد كبير ﴾ الأنفال 73. والناظر في آيات القرآن الكريم، يجد أنها غطت مسألة الأمر بولاية المؤمنين وما يترتب عليها، والنهي عن ولاية الكافرين والأمر بالبراءة منهم وما يترتب عليها، بكل التركيز والوضوح. ويمكن أن نورد طرفا من ذلك بالإيجاز من خلال استخلاص الأحكام و التقريرات القرآنية كما يلي:

1. **المؤمن ولي المؤمن:**

قال تعالى: ﴿ وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُـهُمْ أَوْلِيَـاءُ بَعْـضٍ يَـأْمُرُونَ بِـالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَـوْنَ عَـنِ الْمُنْكَرِ وَيُقِيمُونَ الصَّلاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَيُطِيعُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ ﴾ (التوبة: 71) .

2. **الكافر ولي الكافر:**

قال تعالى: ﴿ والذين كفـروا بعضـهم أوليـاء بعـض ﴾ الأنفـال – 72. ﴿ المنـافقون والمنافقـات بعضهم من بعض يأمرون بالمنكر وينهون عن المعروف ﴾ التوبة – 67.

3. **النهي عن ولاية الكافرين:**

قال تعالى : ﴿ لا يتخذ المؤمنون الكافرين أولياء من دون المؤمنين ومن يفعل ذلك فلـيس مـن الله في شيء ﴾ آل عمران28

وقال تعالى : ﴿ يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا الكافرين أولياء من دون المؤمنين ﴾ النساء-144.

4. **ولاية المؤمن للمؤمن هي ولاية لله ورسوله وهي نصر وغلبة:**

قال تعالى: ﴿ إنما وليكم الله ورسوله والذين آمنوا ﴾ المائدة – 55.

﴿ ومن يتول الله ورسوله والذين آمنوا فإن حزب الله هم الغالبون ﴾ المائدة – 56.

5. **ولاية المسلم للكافرين هي ولاية للشيطان،ودخول في حزبه:**

وهي خسارة وسخط من الله تعالى يوجب الخلود في النار : قال تعـالى : ﴿ أَلَـمْ تَـرَ إِلَى الَّـذِينَ تَوَلَّوْا قَوْماً غَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مَا هُمْ مِنْكُمْ وَلا مِنْهُمْ وَيَحْلِفُونَ عَلَى الْكَذِبِ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴾ (المجادلة:14) إلى قوله تعالى: ﴿ اسْتَحْوَذَ عَلَيْهِمُ الشَّيْطَانُ فَأَنْسَاهُمْ ذِكْرَ اللَّـهِ أُولَئِـكَ حِـزْبُ الشَّـيْطَانِ أَلا إِنَّ حِـزْبَ الشَّيْطَانِ هُمُ الْخَاسِرُونَ ﴾ (المجادلة:19) .

كما قال تعالى: ﴿ تَرَى كَثِيراً مِنْهُمْ يَتَوَلَّوْنَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَبِئْسَ مَا قَدَّمَتْ لَهُمْ أَنْفُسُهُمْ أَنْ سَخِطَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ وَفِي الْعَذَابِ هُمْ خَالِدُونَ * وَلَوْ كَانُوا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالنَّبِيِّ وَمَـا أُنْـزِلَ إِلَيْـهِ مَـا اتَّخَـذُوهُمْ أَوْلِيَاءَ وَلَكِنَّ كَثِيراً مِنْهُمْ فَاسِقُونَ ﴾ (المائدة:80).

وقال تعالى: ﴿ وَمَنْ يَتَّخِذِ الشَّيْطَانَ وَلِيّاً مِنْ دُونِ اللَّهِ فَقَدْ خَسِرَ خُسْرَاناً مُبِيناً ﴾ (النساء: 119)

6 . ولاية المسلم للكافرين واهية وسيتبرأ الشيطان من ولايتهم بعد أن ورطهم في الكفر:

قال تعالى: (مَثَلُ الَّذِينَ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ أَوْلِيَاءَ كَمَثَلِ الْعَنْكَبُوتِ اتَّخَذَتْ بَيْتاً وَإِنَّ أَوْهَنَ الْبُيُوتِ لَبَيْتُ الْعَنْكَبُوتِ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ) (العنكبوت:41)

وقال تعالى: ﴿ وَقَالَ إِنَّمَا اتَّخَذْتُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَوْثَاناً مَوَدَّةَ بَيْنِكُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ثُمَّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ يَكْفُرُ بَعْضُكُمْ بِبَعْضٍ وَيَلْعَنُ بَعْضُكُمْ بَعْضاً وَمَأْوَاكُمُ النَّارُ وَمَا لَكُمْ مِنْ نَاصِرِينَ ﴾ (العنكبوت:25)

وقال تعالى: ﴿ كَمَثَلِ الشَّيْطَانِ إِذْ قَالَ لِلإِنْسَانِ اكْفُرْ فَلَمَّا كَفَرَ قَالَ إِنِّي بَرِيءٌ مِنْكَ إِنِّي أَخَافُ اللَّهَ رَبَّ الْعَالَمِينَ ﴾ (الحشر:16) .

7. **ولاية المسلم للكافرين تجعله منهم وتحبط عمله وتفضي به إلى الردة:**

قال تعالى: في سورة المائدة : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَتَّخِذُوا الْيَهُودَ وَالنَّصَارَى أَوْلِيَاءَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ وَمَنْ يَتَوَلَّهُمْ مِنْكُمْ فَإِنَّهُ مِنْهُمْ إِنَّ اللَّهَ لا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ ﴾ (المائدة:51) .

ثم قال بعدها: ﴿ وَيَقُولُ الَّذِينَ آمَنُوا أَهَؤُلاءِ الَّذِينَ أَقْسَمُوا بِاللَّهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ إِنَّهُمْ لَمَعَكُمْ حَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ فَأَصْبَحُوا خَاسِرِينَ * يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا مَنْ يَرْتَدَّ مِنْكُمْ عَنْ دِينِهِ فَسَوْفَ يَأْتِي اللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ أَذِلَّةٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى الْكَافِرِينَ يُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلا يَخَافُونَ لَوْمَةَ لائِمٍ ذَلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ ﴾ المائدة – 54-51.

وبعد أن قال: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَتَّخِذُوا الْكَافِرِينَ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِ الْمُؤْمِنِينَ أَتُرِيدُونَ أَنْ تَجْعَلُوا لِلَّهِ عَلَيْكُمْ سُلْطَاناً مُبِيناً ﴾ (النساء:144) . قال بعدها: ﴿ إِنَّ الْمُنَافِقِينَ فِي الدَّرْكِ الْأَسْفَلِ مِنَ النَّارِ وَلَنْ تَجِدَ لَهُمْ نَصِيراً ﴾ النساء – 145.

8. **النهي عن اتخاذ الأقرباء والقوم والعشيرة أولياء إن كانوا كافرين:**

وأن ودهم مع كفرهم بسبب القرابة مناقض للإيمان: قال تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَتَّخِذُوا آبَاءَكُمْ وَإِخْوَانَكُمْ أَوْلِيَاءَ إِنِ اسْتَحَبُّوا الْكُفْرَ عَلَى الْأِيمَانِ وَمَنْ يَتَوَلَّهُمْ مِنْكُمْ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ * قُلْ إِنْ كَانَ آبَاؤُكُمْ وَأَبْنَاؤُكُمْ وَإِخْوَانُكُمْ وَأَزْوَاجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ وَأَمْوَالٌ اقْتَرَفْتُمُوهَا وَتِجَارَةٌ تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا وَمَسَاكِنُ تَرْضَوْنَهَا أَحَبَّ إِلَيْكُمْ مِنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَجِهَادٍ فِي سَبِيلِهِ فَتَرَبَّصُوا حَتَّى يَأْتِيَ اللَّهُ بِأَمْرِهِ وَاللَّهُ لا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ ﴾ (التوبة – 24-23).

وقال تعالى: ﴿ لا تَجِدُ قَوْماً يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَوْ كَانُوا آبَاءَهُمْ أَوْ أَبْنَاءَهُمْ أَوْ إِخْوَانَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ أُولَئِكَ كَتَبَ فِي قُلُوبِهِمُ الْأِيمَانَ وَأَيَّدَهُمْ بِرُوحٍ مِنْهُ وَيُدْخِلُهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ

وَرَضُوا عَنْهُ أُولَئِكَ حِزْبُ اللَّهِ أَلا إِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴾ (المجادلة:22).

9. النهي عن اتخاذ الكفرة بطانة وأعوانا وقد بدت البغضاء من أفواههم:

قال تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَتَّخِذُوا بِطَانَةً مِنْ دُونِكُمْ لا يَأْلُونَكُمْ خَبَالاً وَدُّوا مَا عَنِتُّمْ قَدْ بَدَتِ الْبَغْضَاءُ مِنْ أَفْوَاهِهِمْ وَمَا تُخْفِي صُدُورُهُمْ أَكْبَرُ قَدْ بَيَّنَّا لَكُمُ الْآياتِ إِنْ كُنْتُمْ تَعْقِلُونَ ﴾ (آل عمران:118)

10. النهي عن ولاية من قاتلنا وأخرجنا من ديارنا:

قال تعالى: ﴿ إِنَّمَا يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ قَاتَلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَأَخْرَجُوكُمْ مِنْ دِيَارِكُمْ وَظَاهَرُوا عَلَى إِخْرَاجِكُمْ أَنْ تَوَلَّوْهُمْ وَمَنْ يَتَوَلَّهُمْ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ ﴾ (الممتحنة:9) .

11. النهي عن ولاية من اتخذ ديننا هزوا ولعبا:

قال تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَتَّخِذُوا الَّذِينَ اتَّخَذُوا دِينَكُمْ هُزُواً وَلَعِباً مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكُمْ وَالْكُفَّارَ أَوْلِيَاءَ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ ﴾ (المائدة:57) .

12. التشديد في النهي عن ولاية اليهود والنصارى خاصة من بين الكافرين:

إن الناظر في أسباب نزول معظم آيات النهي عن ولاية الكافرين، يجد أنها نزلت في النهي عن ولاية اليهود و النصارى. ومع ذلك فقد سمتهم آيات القرآن صراحة من بين الكافرين المنهي عن ولايتهم جميعا قال تعالى: ﴿ يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا اليهود والنصارى أولياء ﴾ المائدة – 51 . وقال تعالى:﴿ يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا الذين اتخذوا دينكم هزوا ولعبا من الذين أوتوا الكتاب من قبلكم والكفار أولياء ﴾ المائدة-57.

13. الأمر بالأخذ بملة إبراهيم بالبراءة الكاملة من الكافرين وبغضهم ومعاداتهم:

قال تعالى: ﴿ قَدْ كَانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ فِي إِبْرَاهِيمَ وَالَّذِينَ مَعَهُ إِذْ قَالُوا لِقَوْمِهِمْ إِنَّا بُرَآءُ مِنْكُمْ وَمِمَّا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ كَفَرْنَا بِكُمْ وَبَدَا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ الْعَدَاوَةُ وَالْبَغْضَاءُ أَبَداً حَتَّى تُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَحْدَهُ إِلَّا قَوْلَ إِبْرَاهِيمَ لِأَبِيهِ لَأَسْتَغْفِرَنَّ لَكَ وَمَا أَمْلِكُ لَكَ مِنَ اللَّهِ مِنْ شَيْءٍ رَبَّنَا عَلَيْكَ تَوَكَّلْنَا وَإِلَيْكَ أَنَبْنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ ﴾ (الممتحنة:4)

14. حددت الآيات القرآنية أعذار من يتولى الكفار من المسلمين ويقعون في النفاق أنها إما من أجل طلب العزة أو للخوف من الأذى والدوائر:

وقد رد القرآن على هذه الأعذار وأبطلها، وحكم على أصحابها بالنفاق والردة والانتساب للكفار، وذلك بسبب مرض قلوبهم وأن عاقبتهم الندم في الدنيا والآخرة وأن مصيرهم إلى النار. قال تعالى: ﴿ بشر المنافقين بأن لهم عذابا أليما * الذين يتخذون الكافرين أولياء من دون المؤمنين أيبتغون عندهم العزة فإن العزة لله جميعاً ﴾النساء-138-139. وقال تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَتَّخِذُوا الْيَهُودَ وَالنَّصَارَى أَوْلِيَاءَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ وَمَنْ يَتَوَلَّهُمْ مِنْكُمْ فَإِنَّهُ مِنْهُمْ إِنَّ اللَّهَ لا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ * فَتَرَى الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ يُسَارِعُونَ فِيهِمْ يَقُولُونَ نَخْشَى أَنْ تُصِيبَنَا دَائِرَةٌ فَعَسَى اللَّهُ أَنْ يَأْتِيَ بِالْفَتْحِ أَوْ أَمْرٍ مِنْ عِنْدِهِ فَيُصْبِحُوا عَلَى مَا أَسَرُّوا فِي أَنْفُسِهِمْ نَادِمِينَ ﴾ المائدة- 51-52 .

ومن أخطر مظاهر موالاة الكافرين : الجلوس مع الكفرة والمرتدين والمنافقين وهم يستهزئون بآيات الله وشعائر دينيه وعباده المؤمنين: قال تعالى: ﴿ وَقَدْ نَزَّلَ عَلَيْكُمْ فِي الْكِتَابِ أَنْ إِذَا سَمِعْتُمْ آيَاتِ اللَّهِ يُكْفَرُ بِهَا وَيُسْتَهْزَأُ بِهَا فَلا تَقْعُدُوا مَعَهُمْ حَتَّى يَخُوضُوا فِي حَدِيثٍ غَيْرِهِ إِنَّكُمْ إِذاً مِثْلُهُمْ إِنَّ اللَّهَ جَامِعُ الْمُنَافِقِينَ وَالْكَافِرِينَ فِي جَهَنَّمَ جَمِيعاً ﴾ (النساء:140) . طاعة الكفار فيما نهى الله عنه ولو بشيء قليل: قال تعالى في سورة محمد صلى الله عليه وسلم: ﴿ إِنَّ الَّذِينَ ارْتَدُّوا عَلَى أَدْبَارِهِمْ مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ الْهُدَى الشَّيْطَانُ سَوَّلَ لَهُمْ وَأَمْلَى لَهُمْ * ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا لِلَّذِينَ كَرِهُوا مَا نَزَّلَ اللَّهُ سَنُطِيعُكُمْ فِي بَعْضِ الْأَمْرِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ إِسْرَارَهُمْ ﴾ (محمد:25/26) . فطاعة الذين كرهوا شريعة الله، في أمرهم ولو بشيء قليل طريق للردة.

1- اتخاذ الكفرة بطانة و مستشارين، وناصحين و معاونين، ووضع المسلمين تحت أمرهم ونهيهم، فهذا شكل من أشكال ولايتهم التي نهى الله عنها.

2- النصيحة للكفار ودلالتهم على ما يقويهم ونصرتهم بالرأي على المسلمين.

3- التحاكم إلى قوانينهم وشرائعهم، هو من أكبر أشكال ولايتهم، قال الإمام ابن تيمية رحمه الله في مجموع الفتاوى ج199/28: [**ومن جنس موالاة الكفار التي ذم الله بها أهل الكتاب والمنافقين، الإيمان ببعض ما هم عليه من الكفر، أو التحاكم إليهم دون كتاب الله.** كما قال تعالى: ﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ أُوتُوا نَصِيباً مِنَ الْكِتَابِ يُؤْمِنُونَ بِالْجِبْتِ وَالطَّاغُوتِ وَيَقُولُونَ لِلَّذِينَ كَفَرُوا هَؤُلاءِ أَهْدَى مِنَ الَّذِينَ آمَنُوا سَبِيلاً ﴾ النساء51.

إلا أن أخطر ذلك وأوضحه ردة هو : القتال معهم وتحت رايتهم وفي خدمة مصالحهم، وهذه أعظم أشكال الولاية، حيث يضحي المرء بروحه في سبيل الكفار، وهو كفر مخرج من ملة الإسلام، وانتماء إليهم بنص القرآن: ﴿ ومن يتولهم منكم فإنه منهم ﴾ المائدة-51. وقد برئ الله منه : ﴿ فليس من الله في شيء ﴾ البقرة-28. وقد قال تعالى: ﴿ الذين آمنوا يقاتلون في سبيل الله والذين كفروا يقاتلون في سبيل الطاغوت ﴾ البقرة-76. وقال تعالى: ﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ نَافَقُوا يَقُولُونَ لِإِخْوَانِهِمُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَئِنْ أُخْرِجْتُمْ لَنَخْرُجَنَّ مَعَكُمْ وَلا نُطِيعُ فِيكُمْ أَحَداً أَبَداً وَإِنْ قُوتِلْتُمْ لَنَنْصُرَنَّكُمْ وَاللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ ﴾ (الحشر:11).

ومن الآثار التي وردت في تفسير بعض النصوص القرآنية السابقة:

قال ابن حزم رحمه الله ينقل الإجماع : (صح أن قول الله تعالى ﴿ ومن يتولهم منكم فإنه منهم ﴾ إنما هو على ظاهره، **بأنه كافر من جملة الكفار** ، **وهذا حق لا يختلف فيه اثنان من المسلمين**) المحلى ج13 ص25.

قال الطبري في تفسيره ج1 ص277: (من تولى اليهود والنصارى من دون المؤمنين فإنه منهم، **أي من أهل دينهم وملتهم** ، فإنه لا يتولى متول أحد إلا وهو به وبدينه وما هو عليه راض وإذا رضيه ورضي دينه فقد عادى ما خالفه وسخط **وصار حكمه حكمه**).

وقال ابن جرير في تفسير{من اتخذ الكفار أعوانا وأنصارا وظهورا يواليهم على دينهم ويظاهرهم على المسلمين فليس من الله في شيء أي قد برء الله منه بارتداده عن دنه ودخوله في الكفر).ج3 ص228.

وقال ابن القيم في كتابه أحكام أهل الذمة ج1ص67:(إن الله حكم ولا أحسن من حكمه أنه من تولى اليهود والنصارى فهو منهم{ومن يتولهم منكم فإنه منهم } **فإذا كان أولياؤهم منهم بنص القرآن كان لهم حكمهم**).

قال ابن كثير في تفسير سورة المائدة الآية 50-53 : [أي نهي تبارك وتعالى عباده المؤمنين عن موالاة اليهود والنصارى الذين هم أعداء الإسلام وأهله قاتلهم الله. ثم أخبر أن بعضهم أولياء بعض. ثم تهدد وتوعد من يتعاطى ذلك فقال:﴿ ومن يتولهم منكم فإنه منهم ﴾ المائدة-51. قال ابن أبي حاتم[(...)إن عمر أمر أبا موسى الأشعري أن يرفع إليه ما أخذ وأعطى في أديم واحد، وكان له كاتب نصراني فرفع إليه ذلك، فعجب عمر وقال: إن هذا لحفيظ، هل أنت قارئ لنا كتابا في المسجد جاء من الشام؟ فقال: إنه لا يستطيع، فقال عمر أجنب هو؟ قال لا، بل نصراني: قال: فانتهرني، وضرب

فخذي وقال : أخرجوه ثم قرأ: [يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا اليهود والنصارى أولياء].
حدثنا محمد بن الحسن(...) قال عبد الله بن عتبة:[ليتق أحدكم أن يكون يهوديا أو نصرانيا وهو لا يشعر ، قال: فظنناه يريد هذه الآية].

قال ابن كثير :[وقوله تعالى: ﴿ فترى الذين في قلوبهم مرض ﴾. أي شك وريب ونفاق. ﴿ يسارعون فيهم ﴾ أي يبادرون إلى موالاتهم، ومودتهم في الباطن والظاهر[يقولون نخشى أن تصيبنا دائرة] أي: يتأولون مودتهم وموالاتهم، لأنهم يخشون أن يقع أمر من ظفر الكافرين بالمسلمين، فتكون له أياد عند اليهود والنصارى فينفعهم ذلك. عند ذلك قال تعالى ﴿ فعسى الله أن يأتي بالفتح ﴾ قال السدي: يعني فتح مكة. قال غيره يعنى القضاء والفصل ﴿ أو أمر من عنده ﴾ قال: السدي: يعنى ضرب الجزية على اليهود والنصارى ﴿ فيصبحوا ﴾ أي الذين والوا اليهود والنصارى من المنافقين.﴿ على ما أسروا في أنفسهم ﴾ من الموالاة ﴿نادمين﴾ أي على ما كان منهم مما لم يجد عنهم شيئا، ولا دفع عنهم محذورا. بل كان عين المفسدة. فإنهم فضحوا وأظهر الله أمرهم في الدنيا لعباده المؤمنين، بعد أن كانوا مستورين لا يدر كيف حالهم. فلما انعقدت الأسباب الفاضحة لهم تبين أمرهم لعباد الله المؤمنين]-

<u>(سبحان الله كأنما تحكي هذه الآية وتفسيرها حالة حكام بلاد المسلمين الذين يعاونونها كمشرف وحكومته الباكستانية في موالاتهم لأمريكا لأنهم يظنون أنها ستنتصر على المسلمين فيكون لهم عندهم مكانة. و اعتذارهم عن ذلك بخوف الدائرة والمصيبة منها، والرغبة في طلب العز منها، وما سيندمون عليه من افتضاح أمرهم وخسارتهم وعقوبتهم على أيدي المؤمنين لما يأتي نصر الله).</u>

وفي قوله تعالى :﴿ لا يتخذ المؤمنون الكافرين أولياء من دون المؤمنين ومن يفعل ذلك فليس من الله في شيء ﴾ آل عمران28 قال ابن كثير رحمه الله تعالى: [نهى تبارك وتعالى عباده المؤمنين أن يوالوا الكافرين، وأن يتخذوهم أولياء يسرون إليهم بالمودة من دون المؤمنين. ثم توعد على ذلك فقال تعالى:
﴿ ومن يفعل ذلك فليس من الله في شيء ﴾ أي: ومن يرتكب نهي الله هذا فقد برئ الله منه(...) ﴿ ويحذركم الله نفسه ﴾ أي: يحذركم نقمته في مخالفته وسطوته وعذابه لمن والى أعدائه وعادى أوليائه].

وفي قوله تعالى من سورة آل عمران ﴿ يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا بطانة من دونكم ﴾ (الآية). قال ابن كثير: [يقول تبارك وتعالى ناهيا عباده المؤمنين عن اتخاذ المنافقين بطانة، أي يطلونهم

على سرائرهم. وما يضمرونه لأعدائهم والمنافقون. بجهدهم وطاقتهم لا يألون المؤمنين خبالا أي يسعون في مخالفتهم وما يضرهم بكل ممكن وبما يستطيعون من المكر والخديعة. ويودون ما يعنت المؤمنين ويحرجهم ويشق عليهم.

وكما ذكرنا فالآيات والأحاديث والآثار وأقوال العلماء متضافرة بهذه المعاني.

وهذه الحقائق هي من أولويات الإسلام وأساسيات العقيدة، التي يلخصها بكل إيجاز ووضوح، خطاب القرآن الصريح لكل مسلم:

﴿ من يتولهم منكم فإنه منهم ﴾ ﴿ومن يفعل ذلك فليس من الله في شيء ﴾ **وهذا واضح. فمن يتولى الكفار فهو كافر مرتد مثلهم قد برئ الله منه.**

وقد عد الشيخ محمد بن عبد الوهاب مظاهرو الكفار على المسلمين في نواقض الإسلام العشرة التي ذكرها وهي :

الشرك بالله ، الذبح لغير الله وللقبر.

من جعل بينه وبين الله وسائط يدعوهم ويسألهم الشفاعة ويتوكل عليهم.

من لم يكفر المشركين أو يشك في كفرهم أو صحح مذهبهم .. كفر.

من اعتقد أن غير هدي النبي صلى الله عليه وسلم أكمل من هديه ، أو أن حكم غيره أحسن من حكمه ، كالذي يفضل حكم الطواغيت على حكمه فهو كافر.

من أبغض شيئا مما جاء به الرسول صلى الله عليه وسلم – ولو عمل به – فهو كافر.

من استهزأ بشيء من دين الرسول أو ثوابه أو عاقبه كفر ، والدليل: ﴿ قل أبالله وآياته ورسوله كنت تستهزئون ﴾ (التوبة:65).

السحر، فمن فعله أو رضي به كفر. ﴿ وما يعلمان من أحد حتى يقولا إنما نحن فتنة فلا تكفر ﴾ (البقرة:102).

مظاهرة المشركين ومعاونتهم على المسلمين: ﴿ ومن يتولهم منكم فإنه منهم ﴾ **(المائدة:51) وهي محل الشاهد .**

من اعتقد أن بعض الناس يسعه الخروج عن شريعة محمد صلى الله عليه وسلم، كما خرج الخضر عن شريعة موسى عليه السلام فهو كافر.

من أعرض عن دين الله – لا يتعلمه ولا يعمل به -. ﴿ والذين كفروا عما أنذروا معرضون ﴾ (الأحقاف :3).

قال سليمان بن عبد الله بن الشيخ محمد بن عبد الوهاب: (اعلم رحمك الله أن الإنسان إذا أظهر للمشركين الموافقة على دينهم خوفا منهم ومداراة لهم ومداهنة لدفع شرهم – فإنه كافر

مثلهم ، وإن كان يكره دينهم ويبغضهم و يحب الإسلام والمسلمين ، هذا إذا لم يقع منه إلا ذلك. فكيف إذا كان في دار منعة واستدعى بهم ، ودخل في طاعتهم ، وأظهر الموافقة على دينهم الباطل . وأعانهم عليه بالنصرة ، ووالاهم ، وقطع الموالاة بينه وبين المسلمين ، فإن هذا لا شك مسلم أنه كافر من أشد الناس عداوة لله ورسوله صلى الله عليه وسلم ولا يستثنى من ذلك إلا المكره . و قد أجمع العلماء على أن من تكلم بالكفر هازلا فإنه يكفر ، فكيف بمن أظهر الكفر خوفا وطمعا)....

وساق الشيخ عشرين دليلا على قوله منها: ﴿ ولن ترضى عنك اليهود ولا النصارى حتى تتبع ملتهم ﴾ (البقرة:120) ﴿ ولا يزالون يقاتلونكم ﴾ (البقرة:217).

﴿لا يتخذ المؤمن الكافرين أولياء من دون المؤمنين ﴾ (آل عمران:28) ﴿ وَقَدْ نَزَّلَ عَلَيْكُمْ فِي الْكِتَابِ أَنْ إِذَا سَمِعْتُمْ آيَاتِ اللَّهِ يُكْفَرُ بِهَا وَيُسْتَهْزَأُ بِهَا فَلا تَقْعُدُوا مَعَهُمْ حَتَّى يَخُوضُوا فِي حَدِيثٍ غَيْرِهِ إِنَّكُمْ إِذاً مِثْلُهُمْ ﴾ (النساء:140)

﴿ تَرَى كَثِيراً مِنْهُمْ يَتَوَلَّوْنَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَبِئْسَ مَا قَدَّمَتْ لَهُمْ أَنْفُسُهُمْ أَنْ سَخِطَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ وَفِي الْعَذَابِ هُمْ خَالِدُونَ * وَلَوْ كَانُوا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالنَّبِيِّ وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْهِ مَا اتَّخَذُوهُمْ أَوْلِيَاءَ وَلَكِنَّ كَثِيراً مِنْهُمْ فَاسِقُونَ ﴾ (المائدة:80-81). الحديث (**من جامع المشرك وسكن معه فهو مثله**). قال الشيخ سليمان عبد الله بن محمد بن عبد الوهاب إن الذي يدعي الإسلام ويكون مع المشركين في الاجتماع والنصرة والمنزل معهم يعده المشركين منهم فهو كافر مثلهم، إن ادعى الإسلام ، كالناس الذين أقاموا في مكة و ادعوا الإسلام بعد الهجرة ، وخرجوا في بدر فظن بعض الصحابة إنهم مسلمون وقالوا: قتلنا إخواننا ، فأنزل الله تعالى:﴿ إن الذين توفاهم الملائكة ظالمي أنفسهم﴾ (النساء:67). (من ظهرت منه علامات النفاق الدالة عليه كارتداده عند التحزيب على المؤمنين وخذلانهم عند اجتماع العدو ، يجوز إطلاق اسم منافق عليه .

إذن، وللشهادة لله نقول:

إن من أعظم التلبيس والظلم والافتراء على الله الكذب.. ومن أعظم تبديل آيات الله واتخاذها هزوا. ومن بيع الدين بالدنيا والشراء بآيات الله ثمنا قليلا، أن يحاول المدلسون أن يصوروا هذا الولاء الكامل الحاصل من حكام المسلمين، وهذا الحلف المتين القائم بينهم وبين اليهود والنصارى، من أمريكان و أوروبيين وسواهم من الكفار على أنه قضية ضرورات ومصالح مشروعة. أو حالات إكراه، بعد أن تبدى النفاق منهم، وتنوعت أشكال ولائهم للكفار. بل بلغت أعلاها، من القتال معهم والدفاع عنهم. وبنصرتهم على المسلمين مهما كلف ذلك من خراب ديار المسلمين، وزهق أنفسهم وسفك دمائهم وبيع أراضيهم ونهب ثرواتهم. مما لا يمكن تسميته إلا أنه خيانة وعمالة لهم وولاء للكافرين وبراء من المؤمنين.

والحقيقة التي لاغباش فيها، هي أن الردة المتأتية عن هذا الولاء للكفار، التي تلبس بها أكثر حكام المسلمين اليوم، وجروا إليها أنظمتهم وحكوماتهم، وجروا إليها، جودهم ورجال أمنهم والعاملين في حكوماتهم. هي من أوضح وجوه كفرهم ونفاقهم.

وهي بالإضافة لما تلبسوا به من الكفر الصريح لتبديلهم شرائع الإسلام واستبدالها بشرائع الكفر والطاغوت، من فلسفات وشرائع أعداء هذا الدين، الذين والوهم. تكون شاهدين يدمغان هؤلاء الحكام بالردة والكفر والخروج من ملة الإسلام.

ولا يدفع هذا الحكم عنهم تدليس المدلسين الذين نصبوا من أنفسهم خصماء عن هؤلاء الخونة رغم قوله تعالى: ﴿ ولا تكن للخائنين خصيماً ﴾.

فقد قال تعالى: ﴿ إنا أنزلنا إليك الكتاب بالحق لتحكم بين الناس بما أراك الله ولا تكن للخائنين خصيماً ﴾ **إلى قوله تعالى:** ﴿ ها أنتم جادلتم عنهم في الحياة الدنيا فمن يجادل الله عنهم يوم القيامة أم من يكون عليهم كفيلا ﴾ (النساء 105-109).

فسبحان الله! ﴿ أفلا يتدبرون القرآن أم على قلوب أقفالها ﴾ **؟ وما أظنها إلا الاثنتين معاً..**

قلوب مقفلة ولاتتدبر القرآن . بسبب ما ران على تلك القلوب من السحت وأكل أموال السلاطين. مصداقاً لقوله صلى الله عليه وسلم: (من أتى أبواب السلاطين افتتن. وما زاد عبد من السلطان قربا إلا ازداد من الله بعداً) **أبعدهم الله ..**

ثالثا : الخروج على الحاكم إن ارتد عن الإسلام أو كان كافرا واجب على المسلمين بالإجماع:

ماذا يترتب شرعا على كفر الحاكم للمسلمين أو ردته عن الإسلام..؟ :

كما ذكرنا آنفا، فان كافة مصائب المسلمين وما نزل بهم من كوارث داخلية مردها في الحقيقة إلى غياب شرع الله عنهم، وحكمهم بغير ما أنزل الله، وكفر حكامهم، وولائهم للكفار. فالأصل فى الشريعة أن (الإمام جُنَّة) يقاتل من ورائه ويدفع به العدوان، ويقوم به العدل والقسط، وتقضى به الحقوق، فتتوازن الأمة داخليا، وتدفع عدوها خارجيا. وبقدر فساد الحاكم تفسد أحوال الرعية، والعلماء هم ضابط الحكام. وبقدر فسادهم يفسد الحكام. فكما جاء في الأثر : (**صنفان من الناس إذا صلحا صلح الناس، وإذا فسدا فسد الناس، العلماء والأمراء**). والحقيقة أن بحث مسألة إسلام حكامنا أو كفرهم وردتهم، بعدما آلت الأحوال إلى ما نراه اليوم، هي مسألة فى غاية العظمة والخطورة.لأنها بوابة البحث عن مخرج لمشاكل المسلمين اليوم. فهي مسألة ديننا ودنيانا.

وبالاختصار. فإن الحكم الشرعي بإسلام الحاكم، أو كفر الحاكم، يترتب عليه من اللوازم والنتائج، أحد فقهين متناقضين تماماً.

وقبل الخوض في مترتبات إسلام الحاكم أو كفره، نذكر بأمر هام جدا، وهو مفصل الهدى والضلال في هذه المسألة، هذا الأمر هو: أن إسلام الحاكم أو كفره مرتبط تماما بقضية حكمه بالشريعة التي يحكم بها، بمعنى:

- **. إذا كان الحكم لله، والشريعة قائمة، فالحاكم مسلم، ما لم ينقض إسلامه.**
- **. وإذا كان الحاكم مسلما، فمن لوازم ذلك أن يحكم بما أنزل الله.**

فليس هناك حكم بما أنزل الله إن كان الحاكم كافراً، ولا يكون الحاكم مسلماً إذا حكم بغير ما أنزل الله. فهما مترادفتان: حاكم مسلم = حكم بما أنزل الله .

وعكسها بعكسها : حكم بغير ما أنزل الله = حاكم كافر.

وهذا أوضحناه في الفقرة السالفة، عندما تكلمنا عن الحاكمية والولاء.

من لوازم ونتائج كون الحاكم مسلما يحكم بشريعة الله ويوالي المؤمنين ويعادي الكافرين:

وجوب السمع والطاعة له في كل ما يأمر به، ما لم يكن معصية، في المنشط والمكره، والصبر على الأثرة، وأن لا ينازعه أمره قال تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ﴾ (النساء: من الآية59)•

وجوب احترام المسلمين لعهوده، وعقوده ومعاهداته واتفاقاته وأمانه وذمته، مادامت فى حدود الشريعة.

وجوب النفير معه إن استنفر المسلمين للجهاد فى سبيل الله، ضد الكفار او المرتدين، أو البغاة أو المفسدين فى الأرض.

وجوب نصيحته، والتعاون معه على البر والتقوى والمعروف قدر الاستطاعة، وعدم الافتئات عليه ما لم يفرط بالأمر بالمعروف والنهى عن المنكر.

وجوب الصبر عليه، وطاعته، وإن أخذ مالك، وجلد ظهرك، وإن تلبس بالفسق فى نفسه، والجور في حكمه. ما لم يتلبس بكفر فيه من الله برهان. والأحاديث الدالة على هذه الأمور كثيرة.

هذا كله مادام الحاكم مسلما لم يتلبس بناقض من نواقض الإيمان، أو كفر فيه من الله برهان كما في الحديث الصحيح المتفق عليه، عن عبادة بن الصامت رضي الله عنه قال:[**دعانا رسول صلى الله عليه وسلم فبايعناه فكان مما أخذ علينا: أن بايعنا على السمع والطاعة فى منشطنا ومكرهنا**

وعسرنا ويسرنا وأثرة علينا وألا ننازع الأمر أهله، قال صلى الله عليه وسلم (إلا أن تروا كفرا بواحا عندكم فيه من الله برهان)] وهذه رواية مسلم.

وجوب جهاد الحاكم الكافر أو المرتد: نقل الإمام النووي في شرحه لصحيح مسلم عند شرح هذا الحديث عن القاضي عياض الإجماع على الخروج على الحاكم إن كفر. فقال : **[قال القاضي عياض: أجمع العلماء على أن الإمامة لا تنعقد لكافر. وعلى أنه لو طرأ عليه الكفر انعزل. وقال وكذا لو ترك إقامة الصلوات والدعاء إليها. قال القاضي عياض: فلو طرأ عليه كفر وتغيير للشرع أو بدعة، خرج عن حكم الولاية وسقطت طاعته ووجب على المسلمين القيام عليه وخلعه ونصب إمام عادل إن أمكنهم ذلك. فإن لم يقع ذلك إلا لطائفة وجب عليهم القيام بخلع الكافر ولا يجب في المبتدع إلا إذا ظنوا القدرة عليه فإن تحقق العجز لم يجب القيام ويهاجر المسلم عن أرضه ويفر بدينه]** (صحيح مسلم بشرح النووي ج12-ص229)

قال الحافظ ابن حجر في فتح الباري شرح صحيح البخاري : **(إنه -أي الإمام- ينعزل بالكفر إجماعا فيجب على كل مسلم القيام في ذلك فمن قوي على ذلك فله الثواب، ومن داهن فعليه الإثم، ومن عجز وجبت عليه الهجرة من تلك الأرض)** ج13ص154.

قال أبو يعلى: (**إن حدث منه ما يقدح في دينه نظرت فإن كفر بعد إيمانه فقد خرج عن الإمامة وهذا لا إشكال فيه لأنه خرج عن الملة ووجب قتله**).

قال الأستاذ عبد القادر عودة رحمه الله في كتابه(الإسلام بين جهل أبنائه وعجز علمائه) : (**وأن إباحة المجمع على تحريمه كالزنا والسكر واستباحة إبطال الحدود وتعطيل أحكام الشريعة وشرع ما لم يأذن به الله إنما هو كفر وردة وأن الخروج على الحاكم المسلم إذا ارتد واجب على المسلمين وأقل درجات الخروج على أولي الأمر هو عصيان أوامرهم ونواهيهم المخالفة للشريعة**).

وقد استنبط العلماء والمفسرون من قوله تعالى لسيدنا إبراهيم صلى الله عليه وسلم : ﴿ وَإِذِ ابْتَلَى إِبْرَاهِيمَ رَبُّهُ بِكَلِمَاتٍ فَأَتَمَّهُنَّ قَالَ إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَاماً قَالَ وَمِنْ ذُرِّيَّتِي قَالَ لا يَنَالُ عَهْدِي الظَّالِمِينَ ﴾ (البقرة:124) .

أن الإمامة لا تنعقد لكافر بل ولا لفاسق أو ظالم ابتداء. وكذلك استنبطوا من قوله تعالى: ﴿وَلَنْ يَجْعَلَ اللَّهُ لِلْكَافِرِينَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ سَبِيلاً ﴾ (النساء: من الآية141). أي لا يجعل الله للكافرين على المؤمنين سلطة وقهرا وتحكما. ومن أعظم السلطة ولاية الحاكم، فهي الإمامة العظمى، وأعظم سبيل للطاعة والقهر بل لقد منع العلماء بيع الرقيق المسلم لكافر، وكذلك منعوا المناصب والولايات التي يكون فيها المسلم تحت الكافر، ومن هذا الوجه حرم زواج المسلمة بالكافر، لأن ولاية البيت

للزوج. وستكون المسلمة في أمر كافر. في حين أباح العكس. فالخلاصة كما نقل النووي الإجماع على بطلان ولاية الحاكم الكافر أو من ارتد وطرأ عليه الكفر ووجوب الخروج عليه وخلعه.

جاء في كتاب الإمامة العظمى عند أهل السنة (تأليف عبد الله الدميجي) في الفصل الثالث تحت عنوان (عزل الإمام والخروج على الأئمة) ص 465 ما ننقل منه باختصار مايلي:

[من المتفق عليه بين العلماء أن الإمام ما دام قائما بواجباته الملقاة على عاتقه في تدبير شؤون رعيته، عادلا بينهم فلا يجوز عزله ولا الخروج عليه، بل ذلك مما حذر منه الإسلام وتوعد الغادر بعذاب أليم. لكن هناك أموراً عظيمة لها تأثير على حياة المسلمين الدينية والدنيوية منها ما يؤدي إلى ضرورة عزل الإمام المرتكب لها. وهذه الأمور منها ما هو متفق عليه بين العلماء ومنها ما هو مختلف فيه. والآن نستعرض هذه الأسباب لنرى آراء العلماء فيها:

الأول : الكفر والردة بعد الإسلام:

أول الأمور وأعظم الأسباب الموجبة لعزل الوالي هو الردة والكفر بعد الإيمان، فإذا ما ارتكب الإمام جرماً عظيماً يؤدي إلى الكفر و الإرتداد عن الدين فإنه ينعزل بذلك ولا يكون له ولاية على مسلم بحال.

قال تعالى: ﴿ : ﴿وَلَنْ يَجْعَلَ اللَّهُ لِلْكَافِرِينَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ سَبِيلاً ﴾ النساء 141. وأي سبيل أعظم من سبيل الإمامة؟ وفى الحديث الذي رواه عبادة بن الصامت رضي الله عنه قال: (بايعنا – أي رسول الله صلى الله عليه وسلم على السمع والطاعة في منشطنا ومكرهنا وعسرنا ويسرنا وأثره علينا وألا ننازع الأمر أهله إلا أن تروا كفرا بواحا عندكم من الله فيه برهان) متفق عليه. قال الخطابي: (معنى – بواحاً – يريد ظاهراً (باديا) (وعندكم من الله برهان) قال الحافظ بن حجر في شرح البخاري (أي نقص آية وخبر صحيح لا يحتمل...) التأويل) وقال النووي في شرحه لمسلم : (المراد بالكفر هنا المعصية، ومعنى الحديث لا تنازعوا ولاة الأمور في ولايتهم ولا تعترضوا عليهم إلا أن تروا منهم منكرا محققا تعلمونه من قواعد الإسلام). ومن مفهوم هذا الحديث أنه لا يشترط أن يعلن هذا الحاكم الردة عن الإسلام أو الكفر، بل يكفى إظهاره لبعض المظاهر الموجبة للكفر. قال الشيخ أنور شاه كشميري في كتاب (إكفار الملحدين) ص22 في نسخة (المجلس العلمي في كراتشي):(ودل – أي هذا الحديث- أيضاً على أن أهل القبلة يجوز تكفيرهم وإن لم يخرجوا عن القبلة، وأنه قد يلزم الكفر بلا التزام وبدون أن يريد تبديل الملة، و إلا لم يحتج الرائي إلى برهان).

فظاهر الحدث أن من طرأ عليه الكفر فإنه يجب عزله وهذا أهون ما يجب على الأمة نحوه، إذ الواجب أن يقاتل ويباح دمه بسبب ردته لقوله صلى الله عليه وسلم (من بدل دينه فقتلوه).- ثم نقل الدميجي كلام القاضي عياض وكلام ابن حجر والقاضي أبو يعلى الذي أسلفناه- ثم قال: قال

السفاقسي: (أجمعوا على أن الخليفة إذا دعي إلى كفر أو بدعة يثار عليه) إرشاد الساري بشرح صحيح البخاري. ج 10 ص 217.

الثاني: ترك الصلاة والدعوة إليها. (...).

الثالث: ترك الحكم بما أنزل الله :

والذي يدل على أن هذا السبب موجب لعزل الإمام بجميع صوره المكفرة والمفسقة هو ورودها مطلقة في الأحاديث النبوية الصحيحة الآتية:

عن أنس بن مالك رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: (**إسمعوا وأطيعوا وإن استعمل عليكم عبد حبشي كأن رأسه زبيبة ما أقام فيكم كتاب الله**) رواه البخاري.

عن أم الحصين الأحمسية رضي الله عنها قالت: (حججت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم حجة الوداع...إلى أن قالت ثم سمعته يقول (**إن أمر عليكم عبد مجدع – حسبتها قالت أسود – يقودكم بكتاب الله فاسمعوا له وأطيعوا**) وفي رواية الترمذي والنسائي سمعته يقول (**يا أيها الناس اتقوا الله وإن أمر عليكم عبد حبشي مجدع فاسمعوا له وأطيعوا ما أقام فيكم كتاب الله**).

فهذه الأحاديث واضحة الدلالة على أنه يشترط للسمع والطاعة أن يقود الإمام رعيته بكتاب الله، أما إذا لم يحكم فيهم شرع الله فهذا لا سمع له ولا طاعة وهذا يقتضي عزله، وهذا في صور الحكم بغير ما أنزل الله المفسقة، أما المكفرة فهي توجب عزله ولو بالمقاتلة كما سبق بيانه في السبب الأول. والله أعلم].أهـ.

وقد وقفت على كلام في غاية الأهمية كشاهد معاصر في موضوعنا هذا:

فقد جاء في كتاب (تكملة فتح الملهِم – في شرح صحيح مسلم) لشيخ الإسلام في باكستان (الشيخ محمد تقي العثماني) : عند شرح هذا الحديث الشريف :

[**عن جنادة بن أبي أمية ، قال: دخلنا على عبادة بن الصامت وهو مريض فقلنا : حدثنا أصلحك الله بحديث ينفع الله به سمعته من رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقال : دعانا رسول الله صلى الله عليه وسلم فبايعناه ، فكان فيما أخذ علينا أن بايعنا على السمع والطاعة في منشطنا ومكرهنا ، وعسرنا ويسرنا، وأثرة علينا ، وأن لا ننازع الأمر أهله . قال : إلا أن تروا كفرا بواحا عندكم من الله فيه برهان.**

(**قال الشيخ تقي عثماني**): [قوله: " **وأن لا ننازع الأمر أهله" أي لا ننازع الأمير في إمارته** ، وزاد أحمد من طريق عمير بن هانئ عن جنادة: (**وإن رأيت أن لك في الأمر حقا فلا تعمل بذلك**

الظن ، بل اسمع وأطع ، إلى أن يصل إليك بغير خروج عن الطاعة) وزاد في رواية حبان أبي النضر عند ابن حبان وأحمد: (**وإن أكلوا مالك وضربوا ظهرك**) كما في فتح الباري (8/13).

قوله: (**إلا أن تروا كفرا بواحا**) بفتح الباء الواو ، يعني ظاهرا باديا ، من قولهم: باح بالشيء يبوح به بوحا و بواحا: إذا أذعه وأظهره ، و وقع في بعض الروايات: " براحا" بالراء بدل الواو ، وهو قريب من هذا المعنى ، وأصل البراح: الأرض القفراء التي لا أنيس فيها ولا بناء ، وقيل : البراح: البيان ، يقال برح الخفاء إذا ظهر . ووقع عند الطبراني في الحديث: " كفرا صراحا " بصاد مضمومة ثم راء . هذا ملخص ما في فتح الباري (8/13).

مسألة الخروج على أئمة الجور:

وبهذا الحديث استدل جمهور العلماء على أنه لا يجوز الخروج على السلطان الجائر أو الفاسق إلا أن يظهر منه كفر صريح . قال الحافظ في الفتح (7/13) (قال ابن بطال: في الحديث حجة في ترك الخروج على السلطان ولو جار . وقد أجمع الفقهاء على وجوب طاعة السلطان المتغلب والجهاد معه ، وأن طاعته خير من الخروج عليه لما في ذلك من حقن الدماء وتسكين الدهماء ، وحجتهم هذا الخبر وغيره مما يساعده، **ولم يستثنوا من ذلك إلا إذا وقع من السلطان الكفر الصريح ، فلا تجوز طاعته في ذلك ، بل تجب مجاهدته لمن قدر عليها**).

وربما يفهم منه بعض الناس أن الإمام الجائر لا يجوز الخروج عليه في حال من الأحوال مادام متسميا باسم الإسلام . وليس الأمر على هذا الإطلاق ، ولاسيما على مذهب الإمام أبي حنيفة رحمه الله تعالى .

يقول الإمام أبو بكر الجصاص رحمه الله في أحكام القرآن (70/1) تحت قوله تعالى : ﴿ **ولا ينال عهدي الظالمين** ﴾ وكان مذهبه (**يعني أبا حنيفة**) مشهورا في قتال الظلمة ، وأئمة الجور ، ولذلك قال الأوزاعي: " احتملنا أبا حنيفة على كل شيء حتى جاءنا بالسيف " يعني قتال الظلمة ، فلم نحتمله .... وقضيته في أمر زيد بن على مشهورة ، وفي حمله المال إليه ، وفتياه الناس سرا في وجوب نصرته والقتال معه ، وكذلك أمره مع محمد وإبراهيم ابني عبد الله بن حسن).

أما الذي أشار إليه الجصاص من قضية زيد بن علي ، فما ذكره أصحاب التواريخ أن زيد بن علي لما خرج على بني أمية أيده الإمام أبو حنيفة بماله ، وقد أخرج الموفق بسنده: (كان زيد بن علي أرسل إلى أبي حنيفة يدعوه إلى نفسه ، فقال أبو حنيفة لرسوله: لو عرفت أن الناس لا يخذلونه ويقومون معه قيام صدق ، لكنت أتبعه وأجاهد معه من خالفه ، لأنه إمام حق ، ولكني أخاف أن يخذلوه كما خذلوا أباه ، لكني أعينه بمالي فيتقوى به على من خالفه ، وقال لرسوله : (ابسط عذري عنده ، وبعث إليه بعشرة آلاف درهم) . ثم قال الموفق (وفي غير هذه الرواية اعتذر بمرض

يعتريه في الأيام حتى تخلف عنه ، وفي رواية أخرى : سئل عن الجهاد معه ، فقال: **خروجه يضاهي خروج رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم بدر** ، فقيل له: فلم تخلفت عنه ؟ قال: لأجل ودائع كانت عندي للناس عرضتها على ابن أبي ليلى ، فما قبلها ، فخفت أن أقتل مجهلا للودائع ، وكان يبكي كلما ذكر مقتله) راجع مناقب الإمام الأعظم للموفق المكي(260/1 و261).

وأما قصته مع محمد النفس الزكية وأخيه إبراهيم بن عبد الله ، فإنهما خرجا على المنصور ، وذكر المكي في المناقب (84/2) أن أبا حنيفة كان يحض الناس على إبراهيم ويأمرهم بإتباعه ، وذكر قبل ذلك **أنه كان يفضل الغزوة معه على خمسين حجة** ، وذكر الكردي في مناقبه (22/2) أن الإمام أبا حنيفة منع الحسن بن قحطبة أحد قواد المنصور من الخروج إلى إبراهيم بن عبد الله ، ويقال: إن المنصور سم أبا حنيفة من أجل هذا ، حتى توفي رحمه الله .

وكذلك قصة سيدنا الحسين بن علي رضي الله عنه مع يزيد بن معاوية معروفة ، وخرجت جماعة من المتقين على الحجاج بن يوسف .

فالذي يظهر لهذا العبد الضعيف عفا الله عنه بعد مراجعة النصوص الشرعية وكلام الفقهاء والمحدثين في هذا الباب – والله أعلم – أن فسق الإمام على قسمين:

- **الأول ما كان مقتصرا على نفسه ، فهذا لا يبيح الخروج عليه ، وعليه يحمل قول من قال : إن الإمام الفاسق أو الجائر لا يجوز الخروج عليه .**
- **والثاني: ما كان متعديا وذلك بترويج مظاهر الكفر ، و إقامة شعائره ، وتحكيم قوانينه ، واستخفاف أحكام الدين ، والامتناع من تحكيم شرع الله مع القدرة على ذلك لاستقباحه ، وتفضيل شرع غيرالله عليه . فهذا ما يلحق بالكفر البواح . ويجوز حينئذ الخروج بشروطه.**

وأحسن ما رأيت في هذا الموضوع كلام نفيس لشيخ مشايخنا حكيم الأمة **أشرف علي التهانوي** رحمه الله رسالته " جزل الكلام في عزل الإمام " وإنما مطبوعة في المجلد الخامس من إمداد الفتاوى (ص119 إلى 131).

وإن خلاصة ما ذكره رحمه الله في تلك الرسالة أن الأمور المخلة بالإمامة على سبعة أقسام:

القسم الأول: أن يعزل الإمام نفسه بلا سبب ، وهذا فيه خلاف ، كما في شرح المقاصد (282/2).

والقسم الثاني: أن يطرأ عليه ما يمنعه من أداء وظائف الإمامة ، كالجنون ، أو العمى ، أو الصمم أو البكم ، أي صيرورته أسيرا لا يرجى خلاصه ، وهذا ما ينحل به عقد الإمامة ، فينعزل الإمام في هذه الصور جميعا.

والقسم الثالث: أن يطرأ عليه الكفر ، سواء كان كفر تكذيب وجحود ، أو كفر عناد ومخالفة ، أو كفر استخفاف أو استقباح لأمور الدين . وفي هذه الصورة ينعزل الإمام ، وينحل عقد الإمامة ، فإن أصر على بقائه إماما ، وجب على المسلمين عزله بشرط القدرة ولكن يشترط في ذلك أن يكون الكفر متفقا عليه ، بدليل قوله عليه السلام (في حديث الباب) : " إلا أن تروا كفرا بواحا عندكم من الله فيه برهان " وكما يشترط قطعية الكفر ، يشترط أيضا أن يكون صدوره منه قطعيا كرؤية العين ، ولا يكتفى في ذلك بالروايات الظنية ، بدليل قوله عليه السلام: " إلا أن تروا " المراد به رؤية العين بدليل تعديته إلى مفعول واحد. ثم قد تختلف الآراء في كون الصادر من السلطان كفرا ، أو في دلالته على الكفر ، أو في ثبوته بالقرائن الحالية و المقالية، أو في قطعية الكفر الصادر منه . فكل من عمل عند وقوع مثل هذا الخلاف برأيه الذي يراه فيما بينه وبين الله يعتبر مجتهدا معذورا ، فلا يجوز تفويق سهام الملامة إليه. على أن وجوب الخروج في هذه الصورة مشروط بشرط القدرة ، وبأن لاتحدث به مضرة أكبر من مضرة بقاء مثل هذا الإمام . يقول الشريف الجرجاني في شرح المواقف (353/8) : (**وللأمة خلع الإمام وعزله بسبب يوجبه ، مثل أن يوجد منه ما يوجب اختلال أحوال المسلمين ، وانتكاس أمور الدين ، .... وإن أدى خلعه إلى فتنة احتمل أدنى المضرتين).** فيمكن أيضا أن يقع الخلاف في تعيين أدنى المضرتين ، فكل يعمل بما يراه فيما بينه وبين الله . فلا يجوز لواحد أن يلوم الآخر . وعلى مثل هذه الأمور الاجتهادية يحمل اختلاف الصحابة والتابعين ومن بعدهم في الخروج على بعض الأئمة في زمنهم .

القسم رابع: أن يرتكب السلطان فسقا مقتصرا على نفسه ، كالزنا ، وشرب الخمر وما إلى ذلك . وحكمه أنه لا ينعزل به بنفسه ، ولكنه يستحق العزل ، فعلى الأمة أن تعزله إلا أن تترتب على العزل فتنة . قال في الدر المختار ، باب الإمامة (يكره تقليد الفاسق ويعزل به إلا لفتنة) وقال ابن عابدين تحته: (قوله: ويعزل به ، أي بالفسق لو طرأ على ، المراد أنه يستحق العزل كما علمت آنفا ، ولذا لم يقل ينعزل) . وقال ابن الهمام في المسايرة: (وإذا قلد عدلا ثم جار وفسق لا ينعزل، وإن لم يستلزم، ولكن يستحق العزل، وإن لم يستلزم فتنة) و حاصله أنه لا يجوز الخروج عليه في هذه الصورة بما فيه سفك الدماء وإثارة الفتنة (...)

والقسم الخامس: أن يرتكب فسقا يتعدى أثره إلى أموال غيره ، بأن يظلم الناس في أموالهم ، **ولكن يتأول في ذلك بما فيه شبهة الجواز** ، مثل أن يحمل الناس الجبايات متأولا فيها بمصالح العامة . وحكمه أنه لا ينعزل به ، وتجب إطاعته ، ولا يجوز به الخروج عليه . كما سيأتي في عبارة ابن عابدين.

والقسم السادس: **أن يظلم الناس أموالهم ، وليس له في ذلك تأويل ، ولا شبهة جواز . وحكمه أنه يجوز للمظلوم أن يدفع عنه الظلم ، ولو بقتال ويجوز الصبر أيضا بل يؤجر عليه ، وأن**

هذا القتال ليس للخروج عليه ، بل للدفاع عن المال ، فلو أمسك الإمام عن الظلم وجب الإمساك عن القتال . قال ابن عابدين ناقلا عن فتح القدير: (ويجب على كل من أطاق الدفع أن يقاتل مع الإمام إلا إن أبدوا ما يجوز لهم القتال ، كأن ظلمهم ، أو ظلم غيرهم ظلما لا شبهة فيه، .... بخلاف ما إذا كان الحال مشتبها أنه ظلم ، مثل تحميل بعض الجبايات التي للإمام أخذها وإلحاق الضرر بها لدفع ضرر أعم منه). **وهذا حكم المظلوم الذي يقاتل دفعا للظلم عن نفسه . أما غيره فهل يجوز له أن ينصر هذا المظلوم ضد الإمام ؟ اختلفت فيه عبارات القوم ، فذكر في فتح القدير أنه يجب على غير الظلوم أن يعين هذا المظلم و المقاتل حتى ينصفه الإمام ويرجع عن جوره ، وذكر في جامع الفصولين والمبتغي والسراج أنه لا ينبغي للناس معاونة السلطان ولا معاونتهم . ووفق ابن عابدين بين القولين بأن وجوب إعانتهم إذا أمكن امتناعه عن بغيه ، و إلا فلا** . راجع رد المحتار ، باب البغاة (341/3). وأما كون الصبر أولى في هذه الحالة ، فلما سيأتي عند المصنف من حديث حذيفة ابن اليمان رضي الله عنهما أخبر فيه عن أئمة الجور ، وفيه: (قلت: كيف أصنع يا رسول الله إن أدركت ذلك؟ قال: تسمع وتطيع ، وإن ضرب ظهرك وأخذ مالك ، فاسمع وأطع) فالمراد من قوله عليه السلام: (فاسمع وأطع) نهيه عن الخروج. **وأما القتال لدفع الظلم فجوازه مبني على الأحاديث التي تبيح عن القتال عن النفس وعن المال ، وبما أن هذا القتال يشابه الخروج صورة ، فتركه أولى استبراءا للدين.**

والقسم السابع: أن يرتكب فسقا متعديا إلى دين الناس ، فيكرههم على المعاصي ، وحكمه حكم الإكراه المبسوط في محله ، ويدخل هذا الإكراه في بعض الأحوال في الكفر حقيقة أو حكما ، وذلك بأن يصر على تطبيق القوانين المصادمة للشريعة الإسلامية ، إما تفضيلا لها على شرع الله ، وذلك كفر صريح ، أو توانيا ، وتكاسلا عن تطبيق شريعة الله ؛ بما يغلب منه الظن أن العمل المستمر على خلاف الشريعة يحدث استخفاف لها في القلوب ، فإن مثل هذا التواني والتكاسل ، وإن لم يكن كفرا صريحا يحيث يكفر به مرتكبه ، ولكنه في حكم الكفر . بدليل ما ذكره الفقهاء من أنه لو ترك أهل بلدة الأذان حل قتالهم ، لأنه من أعلام الدين ، وفي تركه استخفاف ظاهر به ، راجع باب الأذان من رد المحتار(384/1). وحينئذ يلحق هذا القسم السابع بالقسم الثالث ، وهو الكفر البواح ، فيجوز الخروج على التفصيل الذي سبق في حكمه.

ثم إن وجوب الخروج في القسم الثالث والسابع مشروط بالقدرة والمنعة ، وجواز الخروج فيهما مشروط بأن يرجى عقد الإمامة لرجل صالح فيه شروط تواجد فيه شروط الإمامة ، وأما إذا

صار الأمر من جائر إلى جائر ، أو استلزم ، مثل استيلاء الكفار على المسلمين ، فلا يجوز الخروج في هاتين الصورتين أيضا.

وما روى من خروج سيدنا الحسين بن علي رضي الله عنهما على يزيد بن معاوية ، وتأييد الإمام أبي حنيفة زيد بن علي ، ومحمد النفس الزكية وإبراهيم بن عبد الله في خروجهم على أئمة زمنهم محمول على القسم الثالث أو السادس أو السابع . وقد ذكرنا أن الآراء يمكن أن تختلف في تعيين ما يبيح الخروج ، والله سبحانه وتعالى أعلم.] أهـ (تكملة فتح الملهم ج3/ ص 326-331) .

فكما أسلفنا فإننا أمام حالة كفر حكامنا بواحا من بابين عظيمين من أبواب الردة وهما:

التشريع من دون الله واستبدال شرع الله بشرائع البشر والحكم بها بغير ما أنزل الله.

ولاية الكفار من اليهود والنصارى وغيرهم وقتال المسلمين معهم وفى سبيل مصالحهم.

هذا غير ما تلبسوا به من أشكال مكفرات الأقوال والأفعال وما أتوا به من أسباب الخروج من ملة المسلمين. مما يوجب الخروج عليهم ومقاتلتهم وقتلهم إجماعا كما تقدم من الأدلة.

من لوازم و مترتبات كفر الحاكم. أصلا أو ردة :

1- **سقوط ولايته وبطلان إمامته.**
2- **وجوب الخروج عليه بالسلاح وخلعه.**
3- **وجوب قتله لردته. قال صلى الله عليه وسلم:(من بـدل دينـه فـاقتلوه). رواه أحمد.**
4- **وجوب أو جواز مقاتلة طائفته إن منعوه بالسلاح.**
5- **وجوب عدم السمع والطاعة وجباية الأموال له.**
6- **وجوب عدم معاونته، ولا العمل لديه ولا مشاركته جريمة الحكم بغير ما أنزل الله**
7- **بأى منصب أو أي شكل.**
8- **بطـلان جميـع عهـوده ومواثيقـه، ومعاهداتـه وأمانـه... لأنـه لا يمثـل المسلمين.**
9- **وجوب العمل فوراً، على نصب إمام مسلم بدلا عنـه وطاعتـه بمـا تقـدم من الحقوق**
10- **والواجبات.**

فمسألة ارتداد الحاكم وما يترتب على ذلك من ضياع الحقوق وفساد أنظمة الحكم في الـدماء والأموال والإعراض وما يترتب على ذلك من طغيان الكافرين واستعلاء الظـالمين وسـيادة المفسـدين والفاسقين. وتسلط الأعداء الخارجين من الكفار والملحدين وتعاون المنافقين معهم. وما يترتـب عـلى ذلك من ضياع البلاد والعباد. ليست مسـألة فرعيـة ثانويـة لـيس للشرـيعة فيهـا أحكـام وواجبـات وأوامر ونواهي؟ كيف والله تعالى يقول:﴿ ونزلنا عليك الكتاب تبيانا لكل شيء ﴾النحل-89.

فهي مسألة رئيسية وإن أهملها أكثر الناس اليوم عامتهم و خاصتهم.

كما يجب لفت النظر إلى حالة خطيرة متفشية بين كثير من أهل العلم وأتبـاعهم. وهـي أنهـم لو اهتدوا وفق الأدلة الشرعية إلى كفر الحاكم اليوم. وهو حال أصـبح العميـان يبصرـونه بحواسـهم وجوعهم وأحوالهم. فإن هؤلاء لا ينتقلون إلى الإقرار بالمترتبات السـالفة عـلى كفـر الحـاكم. فـتراهم يقرون بكفر الحاكم، ولكنهم يعملـون عنـده، ويتسـلمون المناصـب، ويـدخلون مؤسسـاته الكـافرة، التشريعية والقضائية والتنفيذية. بل قد يقاتلون في صـفه وتحـت رايتـه ولـو ذبـح المسـلمين وقتـل الذين يأمرون بالقسط من الناس!.

وهذا من البلاء الذي عم و طم في أكثر بلاد المسلمين. ولأسباب مردها في النهاية لدى عامة المسلمين و خاصتهم إلى الجهل أو العجز. فهم لا يخرجون على هؤلاء الحكام الكفرة المناصرين لأعداء الله ولا يقاتلونهم، فهم إما جهلة بوجوب هذا القتال، وإما أنهم يقرون بالوجوب ويدعون العجز.

وفى التحقيق في أسباب ذلك وما يدعونه من العجز تجد أن الحقيقة عكس ذلك، وأن السبب الذي يظهر بكل جلاء هو ما أوجزه صلى الله عليه وسلم في كلمتين، لقد أصاب الأمة: (الوهن) الذي أخبر عنه صلى الله عليه وسلم ففي الحديث الذي رواه أبو داوود في سننه : (**ثم يوشك الأمم أن تداعى عليكم كما تداعى الأكلة إلى قصعتها فقال قائل ومن قلة نحن يومئذ قال بل أنتم يومئذ كثير ولكنكم كغثاء السيل ولينزعن الله من صدور عدوكم المهابة منكم وليقذفن الله في قلوبكم الوهن فقال قائل يا رسول الله وما الوهن قال حب الدنيا وكراهية الموت**). لقد أحب الناس الدنيا عامتهم و خاصتهم إلا من رحم الله. وكرهوا الموت فتداعت عليهم الأمم.. وأعقبهم ذلك عيشا ضنكا على أيدي حكامهم، عيش الموت أرحم منه كما قال تعالى:﴿ وَمَنْ أَعْرَضَ عَنْ ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنْكاً ﴾ (طه: من الآية124) .

رابعا:أحكام الشريعة تقرر بالإجماع كفر وردة من تعاون من المسلمين مع الكفار وأعانهم على المسلمين،وتوجب قتاله :

لكل جمع ورابطة تقوم بين فئة من الناس مقومات تربط بينهم من أهمها. فكرة يعتقدونها وصفة اجتمعوا عليها ومصلحة توحد بينهم. وقيادة أو رأس اجتمعوا عليه يأتمرون بأمره. ويصدرون عن مشورته. وراية يقاتلون تحتها. وهدف مشترك يسعون لتحقيقه.. فإذا ما توفرت مثل هذه المواصفات لجمع من الناس أطلق عليهم اسم جماعة. أو اصطلح عليهم شرعا باسم (طائفة). فإن كان لهم منعة وشوكة وقوة يدافعون بها سموا (طائفة ممتنعة ذات شوكة). فإن اجتمعت هذه الطائفة على الإسلام والإيمان سميت (طائفة إيمان وإسلام). وإن التقوا على ناقض من نواقض الإسلام، سموا (طائفة ردة) كما كان حال المرتدين أيام أبي بكر رضي الله عنه . وإن كانوا كفاراً أصلا سموا (طائفة كفر). وإن خرجوا على إمام شرعي مع تمسكهم بالإسلام، وبغوا عليه سموا (طائفة باغية). وإن خرجوا للسلب والنهب والقتل سموا (طائفة فساد) وهكذا..

ومن البديهي أن هذه الطائفة تسمى بصفة الغالب عليها. مع وجود من لا تنطبق عليه صفاتها معهم.كأن يكون أحدهم جاهلا بهم، أو مكرها على الوجود معهم، أو جمعته إليهم مصلحة ذاتية أو عصبية قرابة أو غير ذلك...فلا شك أنه يوجد منافقون في طائفة الإسلام ليسوا منهم. وقد حصل هذا في غالب تاريخ المسلمين ولم يسلم منه حتى جيش رسول الله صلى الله عليه وسلم.

وكذلك قد يوجد في صف المسلمين، المنتفعون والمنتسبون للإسلام لأجل الدنيا..وكذلك قد يوجد في طائفة الكفر مسلم أكره على الوجود معهم. أو جاهل بحالهم تلبس أمره عليهم. وينطبق هذا الاستثناء في وجود من ليس من الطائفة فيها على طوائف البغاة والمفسدين والمرتدين والكافرين..ووجود هؤلاء الشواذ عن الطائفة لا يكون له حكم الغالب، أو حكم الراية أو الرابطة التي اجتمعت عليها. ولا يتغير اسمها ولا حكمها الشرعي بسبب هؤلاء الشواذ. وفي حكم الشريعة، فلكل طائفة من هذه الطوائف حكمها الشرعي. فالواجب تجاه طوائف أهل الإيمان الولاء والنصرة. وتجاه طوائف الردة والكفر البراءة والمعاداة.وتجاه أهل الشر والفساد الدفع والقتال ضدهم إن صالوا على دين أو عرض أو مال أو نفس لأهل الإسلام..وهكذا..

فإذا ما اتضح لنا مفهوم الطائفة، وحكمها الغالب على من فيها من الشواذ عنها، إنتقلنا إلى الحديث عن مشكلة أعوان الكافرين والمرتدين من المنتسبين للإسلام، والذين يقاتلون المسلمين مع طوائف الكفر أو الردة أو سوى ذلك.. خاصة أولئك العاملين في مجال السلطة والدفاع عنها. يقاتلون المسلمين بأوامر الحكام المرتدين، مثل العاملين في أجهزتهم العسكرية والأمنية كالجيش والدرك والشرطة وأجهزة الأمن وما يتبعها من القوات المسلحة وشبه المسلحة وما يخدمها من أجهزة تابعة..

فما الحكم الشرعي الواجب اعتقاده في هؤلاء المنتسبين أصلا لملة الإسلام؟ ويدينون بدينهم ويتسمون بأسمائهم وقد يؤدي بعضهم بعض شعائر الإسلام، ثم يأتي المسلمين فيقاتلهم ويطاردهم ويحاربهم، تنفيذا لأوامر أسياده من الحكام المرتدين. ولا يمنعه إسلامه أن يقاتل حتى إلى جانب الكفار الأصليين بأوامر أولئك الحكام الذين أعلنوا موالاتهم ونصرتهم للكفار، والدفاع عن مصالحهم و قبول أوامرهم؟

فنقول والله المستعان وهو يهدي السبيل:

إن هذا الجندي أو رجل الأمن أو الشرطة، المدافع عن الطاغوت، العامل عنده، المحارب للمسلمين معه ومع أوليائه الكفار، له إحدى حالات:

أولاً: أن يكون هذا التابع موافقا لسيده الحاكم الكافر، فيما ذهب إليه من عداء الإسلام وموالاة الكافرين والعدوان على شريعة الله، عارفا بأحوال رئيسه متفقا معه مقتنعا بما هو عليه من حرب الإسلام والمسلمين.

ثانياً: أن يكون هذا التابع يعمل ويقاتل مع سيده وهو غير موافق لسيده في محاربة الإسلام والمسلمين . وهذا له إحدى ثلاث حالات:

أن يكون جاهلا بالأمر كله لا يدرك ما يقوم به ولا يفهم أنه حرب للدين وللمسلمين، جاهلا بردة سيده وكفره ونفاقه للكافرين، فهو (**جاهل**).

أن يكون مكرها على تنفيذ أوامر سيده، بتهديده بالعقاب أو السجن أو القتل، إن هو لم ينفذ الأوامر، تهديدا فعليا لا يستطيع الفكاك أو الهرب منه. فهو (**مكره**).

أن يكون عارفا بأحوال سيده، وليس جاهلا ولا مجبرا مكرها، وإنما اتخذ موقعه معهم لمصلحة دنيوية من الكسب والوظيفة، أو لعصبية قرابة عائلية أو حزبية أو مذهبية، أو أي سبب دنيوي فهو (**مرتزق أو متعصب**).

أما من الناحية العملية: فإن هؤلاء الأصناف الأربعة :

1- العارف القاصد.
2- المكره.
3- الجاهل.
4- المرتزق بالباطل.

لا يختلفون عمليا فيما يقومون به من محاربة الله ورسوله والمؤمنين وقتل وسجن ومطاردة وأذى الذين يأمرون بالقسط من الناس... فهم يَقتُلُون ويقتَلون بأوامر أسيادهم وأمرائهم ورؤسائهم، ويحاربون شعوبهم أو غيرها.

وخلاصة الحكم الشرعي في هؤلاء نوجزه في نقاط مختصرة لا تخرج عن إيجاز هذا الكتاب، وينقسم الحكم الشرعي إلى مسألتين وهما:

الأول: هل ما زال هؤلاء على حكم الإسلام؟ أم أنهم كفروا وخرجوا من ملة الإسلام؟

والثاني: هل يجوز قتالهم وقتلهم أم لا يجوز؟

<u>**فأما المسألة الأولى :**</u> وهو المقتنع بما عليه أسياده من محاربة الإسلام والمسلمين وولائهم للكافرين. فهو مثلهم في الحكم الشرعي. منافق مرتد كافر، أصالة وقناعة بالكفر وليس تبعا لأسياده. ولنفس الأدلة السالفة الذكر في حقهم. أما النوع الثاني: وهم الذين لا يوافقون أسيادهم، ولكن يقاتلون معهم، وهم الجاهل، والمكره والمقاتل للدنيا ومكاسبها وروابطها. فهؤلاء يرتكبون بفعلهم هذا، عملا من أعمال الكفر. وهو قتال المسلمين مع الكافرين، فهم بهذا ينتمون إلى طائفة الردة، إن قاتلوا بقيادة مرتد، وإلى طائفة الكفر، إن قاتلوا تحت راية كافر أصلي. وهذا ثابت لقوله تعالى : ﴿ الَّذِينَ آمَنُوا يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَالَّذِينَ كَفَرُوا يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ الطَّاغُوتِ فَقَاتِلُوا أَوْلِيَاءَ الشَّيْطَانِ إِنَّ كَيْدَ الشَّيْطَانِ كَانَ ضَعِيفاً ﴾ (النساء:76) . وهذه الآيات تثبت أن المؤمن يقاتل في سبيل الله، والقتال في سبيل الله علامة انتماء لطائفة الإيمان. وأن الكافر يقاتل في سبيل الطاغوت وأن القتال في

سبيل الطاغوت علامة انتماء لطائفة الطاغوت. وأن فاعل هذا ولي للشيطان أمر الله بقتاله وبشر بالنصر عليه، والآية صريحة واضحة.

وفي آية أخرى أخبر سبحانه عن فرعون وطائفته، وما هم عليه من الكفر وحرب المؤمنين. فقال: ﴿ إِنَّ فِرْعَوْنَ وَهَامَانَ وَ جُنُودَهُمَا كَانُوا خَاطِئِينَ ﴾ (القصص: 8). فجمع لفرعون ووزيره ومعاونه ونائبه هامان ولجنوده نفس الصفة: ﴿ خاطئين ﴾ ومعلوم أن خطيئة فرعون هي الكفر بالله وحرب المؤمنين. فهو-أي فرعون- جعل نفسه ربا يشرع ويعبد واستخف قومه فأطاعوه إنهم كانوا قوما فاسقين، فشملتم الصفة:

وأما الحكم التفصيلي لهؤلاء الجنود الذين يقاتلون اليوم: (الجاهل ، المكره، المقاتل للدنيا عن علم) فهو ما يلي والله تعالى أعلم:

الجاهل جهلا حقيقيا يمنعه من إدراك ما هو عليه من الحال، وما عليه حال رؤسائه [هذا على افتراض وجود مثل هذا الجهل]. وكذلك المكره إكراها حقيقيا فعليا، مهددا بالقتل والأذى، لا يستطيع فرارا من عمله، ولا هجرة من مكان إجباره. فهؤلاء قد نص علماء أهل السنة والجماعة، على أن جهلهم وإكراههم (إن كان حقيقيا) يعتبر لهم عذرا شرعيا و فيبقى لهم حكم الإسلام على ظاهره مع بقاء حكمهم العام، (أنهم من طائفة الكفر) لأنهم معهم. ولا يعنى هذا كفرا عينيا لكل واحد من طائفة الكفر.

وأما المقاتل للدنيا للكسب والوظيفة أو الارتزاق ، أو لعصبية للقوم أو الوطن أو الحزب أو القبيلة أوأي رابطة عصبية. وهو يعرف أنه يقاتل المسلمين، مع حاكم كافر ظالم يوالي الكفار ويعاونهم. فهذا الجندي ليس جاهلا بالأمر ولا مكرها بالتهديد، بل هو مختار يستطيع ترك عمله، أو الفرار منه، أو عدم الدخول فيه أصلا لو أراد. وقد دخله للأسباب الدنيوية، فهذا منافق اشترى الدنيا بالآخرة، وقاتل المسلمين من أجل الدنيا، فهو كافر يقاتل تحت راية الكافرين. لا عذر له من جهل أو إكراه ، وأما قصد الدنيا والمكاسب فليس من الأعذار الشرعية في فعل الكفر. فهذه الأعذار معروفة عند أهل السنة والجماعة وهي (الجهل، والإكراه، والتأويل، وعدم القصد للفعل)، وهذه سيأتي شرحها إن شاء الله... ففي أمثال هؤلاء الذين اشتروا الدنيا بالآخرة يقول تعالى: ﴿ وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَكُمْ لا تَسْفِكُونَ دِمَاءَكُمْ وَلا تُخْرِجُونَ أَنْفُسَكُمْ مِنْ دِيَارِكُمْ ثُمَّ أَقْرَرْتُمْ وَأَنْتُمْ تَشْهَدُونَ * ثُمَّ أَنْتُمْ هَؤُلاءِ تَقْتُلُونَ أَنْفُسَكُمْ وَتُخْرِجُونَ فَرِيقاً مِنْكُمْ مِنْ دِيَارِهِمْ تَظَاهَرُونَ عَلَيْهِمْ بِالإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ وَإِنْ يَأْتُوكُمْ أُسَارَى تُفَادُوهُمْ وَهُوَ مُحَرَّمٌ عَلَيْكُمْ إِخْرَاجُهُمْ أَفَتُؤْمِنُونَ بِبَعْضِ الْكِتَابِ وَتَكْفُرُونَ بِبَعْضٍ فَمَا جَزَاءُ مَنْ يَفْعَلُ ذَلِكَ مِنْكُمْ إلا خِزْيٌ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ يُرَدُّونَ إِلَى أَشَدِّ الْعَذَابِ وَمَا اللَّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ * أُولَئِكَ الَّذِينَ اشْتَرَوُا الْحَيَاةَ الدُّنْيَا بِالْآخِرَةِ فَلا يُخَفَّفُ عَنْهُمُ الْعَذَابُ وَلا هُمْ

يُنْصَرُونَ ﴾ البقرة:86-84 ، وقد روى الإمام مسلم رحمه الله من حديث أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: **(من خرج من الطاعة وفارق الجماعة فمات، مات ميتة جاهلية. ومن خرج على أمتي يضرب برها و فاجرها ولا يتحاشى من مؤمنها ولا يفي لذي عهد عهده فليس مني ولست منه).**

هذا من حيث حكمهم الشرعي النظري، هل يحكم لهم بالكفر أم بالإسلام.

وأما المسألة الثانية: وهي حكم قتال هؤلاء المنتسبين للإسلام المقاتلين للمسلمين مع الكافرين، فهو إيجازا كما يلي والله تعالى أعلم:

كل من قاتل المسلمين مع الكافرين فقتاله واجب على المسلمين، ولا يجب على المسلم، ولم يكلفه الله ما لا يستطيع، من تمييز الجاهل من القاصد، ولا المكره من العامد.

بل قال تعالى:﴿ وقاتلوا في سبيل الله الذين يقاتلونكم ولا تعتدوا﴾ البقرة – 190. وقد استدل العلماء بحديث عائشة رضي الله عنها الذي جاء فيه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أخبر عن جيش يغزو الكعبة، حتى إذا كانوا ببيداء من الأرض خسف بأولهم و آخرهم، فقالت عائشة: يا رسول الله كيف يخسف بأولهم و آخرهم وفيهم عبيدهم وأسواقهم ومن ليس منهم، فأخبرها رسول الله صلى الله عليه وسلم بأنه يخسف بأولهم و آخرهم ويحشرون يوم القيامة على نياتهم. وفي رواية أم سلمة رضي الله عنها كما جاء في صحيح مسلم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :(**يعوذ عائذ بالبيت فيبعث إليه بعث فإذا كانوا ببيداء من الأرض خسف بهم)** فقلت: فكيف بمن كان كارها؟ قال رسول الله صلى الله عليه وسلم:**(يخسف به معهم ولكنه يبعث يوم القيامة على نيته)**. فاستدل العلماء بهذا الحديث على قتل الجاهل والمكره وغير القاصد، ممن قصد المسلمين بالحرب مع الكافرين، ويبعثه الله على نيته معذورا إن كان له عذر.

فقال العلماء: إذا كان الله-وهو القادر لو شاء على تمييز المكره والجاهل – لم يميزه من الخسف، فكيف لعبيد الله أن يميزوه من الكافرين وهو يقاتل معهم؟!

فهذا الخسف به أو قتله معهم، هو من العقوبة القدرية على وجود المسلم في سواد الكافرين أو الظلمة، فيأخذه العقاب معهم، ولا يظلمه الله فيبعث على نيته، إن كانت صالحة نفعته في الآخرة.

وعلى كل حال، فالهاجم على المسلمين يريد بهم الأذى، هو فى أحسن أحواله (مسلم صائل) وقد تكلم العلماء في حكمه الذي سنشير إليه في آخر هذه الفقرة.

فالخلاصة :

نحن لنا الظاهر والله يتولى السرائر. فظاهره مقاتل مع الكافرين، فيجب قتاله أو يجوز. وسريرته إلى الله ، إن كانت صالحة نفعته يوم القيامة. فقد روى البخاري رحمه الله تعالى فى كتاب الشهادات من صحيحه عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه أنه قال: (**إن أناسا كانوا يؤخذون بالوحي في عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم. وإن الوحي قد انقطع، وإنما نأخذكم الآن بما ظهر لنا من أعمالكم، فمن أظهر لنا خيرا، أمناه وقربناه. وليس إلينا من سريرته شيء، الله يحاسب في سريرته. ومن أظهر لنا سوءا لم نأمنه ولم نصدقه، وإن قال أن سريرته حسنة).**

فالحكم العام له أنه من (طائفة الكفر) إن كان مع الكفار. وأنه من (طائفة الردة) إن كان مع المرتدين. وأنه من (طائفة البغاة) إن كان معهم وهكذا. وسيأتي التفصيل عن أعذار المكرهين والجاهلين في الفقرة التالية إن شاء الله.

ولمزيد من الوضوح نقول والله المستعان :

إن هؤلاء الذين يزعمون أنهم مسلمين، ويتسمون بأسمائهم ويلبسون لباسهم، وربما صلوا أو صاموا، من الذين يعملون في جيوش حكام المسلمين أو شرطتهم أو استخباراتهم..ثم ينفذون أي أمر صدر إليهم من رؤسائهم، حلالا كان أم حراما، ويطيعونهم عن قناعة أو جهل أو إكراه ، وقد رباهم أسيادهم على ذلك وأخذوا عليهم العهود والمواثيق. فإنهم كما هو معلوم، يدافعون عن حكام كفرة ظلمة فسقة، ويقاتلون إلى جانب جيوش الكافرين، كما هو حاصل اليوم من جيوش تركيا وباكستان وبعض البلاد العربية والإسلامية، ويعملون إلى جانب أجهزة أمن واستخبارات اليهود والنصارى من الأمريكان و الأوروبيين وغيرهم من الكفار، ويحرسون قواعدهم العسكرية. ومراكزهم الدبلوماسية، والتجارية، بل ومراكز تنصير المسلمين، ومراكز نشر الدعارة والفساد والمجون...ولا يبالون في سبيل تنفيذ أوامر أسيادهم، هل قتلوا مسلما، أو روعوا مؤمنا، أو شردوا امرأة مسلمة، أو يتموا طفلا، أو انتهكوا حرمات بيوت وأعراض المستضعفين..

بل تراهم مستعدين لأن يحارب بعضهم بعضا، وأن يضرب بعضهم رقاب بعض، في الانقلابات الداخلية، أو في الحروب الأهلية الناشبة بين حكامهم الطواغيت في البلدان المتجاورة! حيث كثيرا ما تتحارب دول إسلامية أو عربية مع بعضها. فترى هؤلاء الجنود (المسلمين!) يخلصون في سفك دماء بعضهم، وفى أسر وإفناء بعضهم! وهم يدّعون الإسلام! وعموم قتالهم هو على سلطان ملوكهم، أو على الصراع على الأراضي واختلاف السياسات، لتكون العزة لفلان أو فلان. وليس لاستعلاء حق، أو اندحار باطل. لأنهم تربوا على طاعة الملوك والرؤساء والولاء للوطن أو القوم أو الحزب.

فالحقيقة الشرعية الناصعة – والله تعالى أعلم – أن هؤلاء المقاتلين إجمالا لهم حكم راياتهم وطائفتهم. كما أسلفنا، فمن قاتلنا تحت راية حاكم مرتد، نقاتلهم بصفتهم طائفة ردة، ومن قاتلنا تحت راية الأمريكان والكفار نقاتلهم بصفتهم طائفة كفر..

وعلى هذا فلا يجوز أن يصلى على قتلاهم، ولا يدفنون مع المسلمين، مع التنبيه المهم جداً على أننا لا نحكم بالكفر العيني على كل فرد منهم، كما تقدم إلا إذا علمت منه بينة بأنه ليس جاهلا ولا مكرها وإنما عامد قاصد . ومن علم منه أنه موافق لأسياده المرتدين، موال لأسيادهم الكفار من أمريكان وغيرهم فهذا نحكم بكفره وردته حيا وميتا، ويأخذ أحكام ذلك، فزواجه من مسلمة باطل، ولا يرث مسلما ولا يورثه... إلى آخر أحكام المرتدين.

يقول الشيخ أحمد شاكر محدث الديار المصرية، المتوفى سنة 1958.في فتواه الشهيرة بقتال الإنجليز والفرنسيين ومن شابههم ممن اعتدى على بلاد المسلمين، وحكم من أعانهم من المسلمين والتي نشرها في مجلة الهدي النبوي:

[أما التعاون مع الإنجليز، بأي نوع من أنواع التعاون، قل أو كثر.فهو الردة الجامحة، والكفر الصراح. لا يقبل فيه اعتذار، ولا ينفع معه تأول، ولا ينجي من حكمه عصبية حمقاء، ولا سياسة خرقاء، ولا مجاملة هي النفاق. سواء أكان ذلك من أفراد، أو حكومات أو زعماء. كلهم في الكفر والردة سواء.إلا من جهل أو أخطأ ثم استدرك أمره وتاب، وأخذ سبيل المؤمنين، فأولئك عسى الله أن يتوب عليهم، إن أخلصوا من قلوبهم لله لا للسياسة ولا للناس (...) ألا فليعلم كل مسلم، في أي بقعة من بقاع الأرض إذا تعاون مع أعداء الإسلام، مستعبدي المسلمين، من الإنجليز والفرنسيين وأحلافهم وأشباههم، بأي نوع من أنواع التعاون، أو سالمهم فلم يحاربهم بما استطاع، فضلا عن أن ينصرهم بالقول أو العمل على إخوانهم في الدين إن فعل شيئا من ذلك ثم صلى فصلاته باطلة، أو تطهر بوضوء أو غسل أو تيمم فطهوره باطل، أو صام فرضا أو نفلا فصومه باطل، أو حج فحجه باطل، أو أدى الزكاة المفروضة، أو أخرج صدقة تطوعا، فزكاته باطلة مردودة عليه، أو تعبد لربه بأي عبادة فعبادته باطلة مردودة عليه، ليس له فى شيء من ذلك أجر، بل عليه الإثم والوزر. ألا فليعلم كل مسلم أنه إذا ركب هذا المركب الدنيء فقد حبط عمله، من كل عبادة تعبد بها لربه قبل أن يرتكس، في حمأة هذه الردة رضي لنفسه. ومعاذ الله أن يرضى بها مسلم حقيق بهذا الوصف العظيم. ذلك بأن الإيمان شرط في صحة كل عبادة. وفى قبولها كما هو بديهي، معلوم من الدين بالضرورة، لا يخالف فيه أحد من المسلمين. وذلك بأن الله سبحانه يقول :(وَمَنْ يَكْفُرْ بِالإِيمَانِ فَقَدْ حَبِطَ عَمَلُهُ وَهُوَ فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ) (المائدة: 5) **وهو في الآخرة من الخاسرين (...) ألا فليعلم كل مسلم كل مسلمة، أن هؤلاء الذين يخرجون على دينهم ويناصرون أعداءهم.**

من تزوج منهم فزواجه باطل بطلانا أصليا، لا يلحقه تصحيح، ولا يترتب عليه أي أثر من آثار النكاح، من ثبوت نسب وميراث وغير ذلك. وأن من كان منهم متزوجا بطل زواجه كذلك، وأن من تاب منهم ورجع إلى ربه وإلى دينه، وحارب عدوه ونصر أمته، لم تكن المرأة التي تزوج بها حال الردة، ولم تكن المرأة التي ارتد وهي فى عقد نكاحه زوجا له، ولا هي في عصمته. وأنه يجب عليه بعد التوبة أن يستأنف زواجه بها. فيعقد عليها عقدا صحيحا شرعيا كما هو بديهي واضح. ألا فليحتط النساء المسلمات اللاتي ابتلاهن الله بأزواج ارتكسوا في حمأة هذه الردة أن قد بطل نكاحهن،وصرن محرمات على هؤلاء الرجال،ليسوا لهن بأزواج حتى يتوبوا توبة صحيحة عملية،ثم يتزوجوهن زواجا صحيحا.ألا فليعلم النساء المسلمات أن من رضيت منهن بالزواج من رجل هذا حاله وهي تعلم حاله،أو رضيت بالبقاء مع زوج تعرف فيه الردة فإن حكمها وحكمه في الردة سواء. ومعاذ الله أن ترضى النساء المسلمات لأنفسهن ولأعراضهن، ولأنساب أولادهن شيئا من هذا. ألا إن الأمر جد (...) فلينظر كل امرئ لنفسه ، وليكن سياجا لدينه من عبث العابثين وخيانة الخائنين.] انتهى الشاهد من كلام الإمام المحدث رحمه الله. نقلاً عن كتابه (كلمة الحق - أحمد شاكر).

فهذه الأحكام الشرعية، ذات الصلة بالعقيدة وأصول الدين. من قواعد الحاكمية لله،والولاء و البراء في ذات الله، ليست مسائل فرعية.وإن الأمانة كما كررنا متعلقة فى أعناق علماء كل بلد أن يبينوها للناس ولا يكتمونها، رغبة فى ما عند السلاطين أو رهبة مما لديهم. ذلك أنها مسألة إيمان وكفر قد تطال مئات الآلاف من البشر الذين يقاتلون فى سبيل الطاغوت ويحسبون أنهم مسلمين.

ويجب الإجابة على أسئلة هامة وبصدق وصراحة ورجولة خاصة من قبل كل عالم وقائد وداعية مسلم:

هل نريد أن ننهض بأمتنا؟ هل نريد أن نتحرر من مستعمرينا؟ هل نريد أن نرقى باقتصادنا ونستثمر ثرواتنا ونسترد حقوقنا؟ هل نريد أن ندافع عن أنفسنا ضد مختلف أنواع الكافرين؟

وقبل ذلك هل نريد أن نحكم بشريعة الله؟ ونتخلص من شرائع النصارى و قوانين الكفار التي تحكمنا؟

فإذا كان جواب أحدهم على هذه الأسئلة بالنفي! فهو ليس معني بما يهم المسلمين من مسائل هذا الكتاب. بل لا يكون مدرجا على قائمة المسلمين.

وأما إذا كان الجواب كما هو مفترض من كل مسلم بنعم، فإن المسائل السابقة وعلى رأسها مسألة كفر وردة الحكام المواليين للكفار، ومسألة قتالهم مع أوليائهم، وبالتالي قتال جنودهم تأتى على رأس تلك المسائل وفى مقدمتها، ولا شك شرعا وعقلا ومنطقا فى ذلك.

وإن من نافلة القول، ومن المعلوم من العقل والبصر بالضرورة، أن نعلم أن الأمريكان اليوم لا يحاربوننا مباشرة، ولا يواجهوننا على الأرض بجنودهم إلا قليلا ! وهم يدفعون بالآلاف من المنتسبين للإسلام من هؤلاء الضلال و الجهال والمكرهين والمرتزقة والمنافقين، يقاتلون من بين أيديهم ومن خلفهم، عن أيمانهم وعن شمائلهم، بأمر من أسيادهم المرتدين، كما حصل معنا في أفغانستان ، ويحصل اليوم معنا أيضا في باكستان. وكما حصل في حرب الكويت، حيث دخلت الجيوش العربية والإسلامية تفتح الطريق للأمريكان. وكما تفعل أمريكا اليوم في العراق بالجيش والعملاء العراقيين، وبخدمات جيوش دول الخليج العربي، والأردن وباكستان وسواها .

وأما على صعيد مطاردة الأمريكان، للعلماء والشباب المسلم، فيعرف كل عالم، وداعية إلى الله، وكل شاب مجاهد، أن الذي يضرب عليه الباب ليلا ويجره بثياب النوم إلى السجن، ويكشف سوأة بيته وأهله، ليس أمريكيا وإنما من بني جلدته! فهل الجلاد الذي يستقبله بالضرب والركل والشتم في السجن؟وهل القاضي الذي يحكم عليه بغير ما أنزل الله، بالإعدام أو السجن؟وهل الذين ينفذون هذه الأحكام؟؟ هل كل من سبق من هؤلاء هم من اليهود والأمريكان؟؟ أم من الذين يزعمون أنهم مسلمين؟! إنهم من المرتدين والضلال من بني قومنا. فهل سنقاتلهم، أم سنسلم إليهم ديننا وأعراضنا، ونبيح لهم أموالنا ودمائنا؟ وبالتالي يضرب اليهود والأمريكان والصليبيون جذورهم في بلادنا ويفعلون بنا ما يشاؤون.

يجب أن نقاتلهم دفاعا عن دين الله والمستضعفين. وأمر الله واضح:

﴿ وقاتلوا في سبيل الله الذين يقاتلونكم ولا تعتدوا ﴾ البقرة – 190.

﴿ وَمَا لَكُمْ لا تُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَالْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ الرِّجَالِ وَالنِّسَاءِ وَالْوِلْدَانِ الَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا أَخْرِجْنَا مِنْ هَذِهِ الْقَرْيَةِ الظَّالِمِ أَهْلُهَا وَاجْعَل لَنَا مِنْ لَدُنْكَ وَلِيّاً وَاجْعَلْ لَنَا مِنْ لَدُنْكَ نَصِيراً * الَّذِينَ آمَنُوا يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَالَّذِينَ كَفَرُوا يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ الطَّاغُوتِ فَقَاتِلُوا أَوْلِيَاءَ الشَّيْطَانِ إِنَّ كَيْدَ الشَّيْطَانِ كَانَ ضَعِيفاً ﴾(النساء:76/ 75).

ونلفت النظر إلى أننا هنا بصدد معرفة الحكم الشرعي لقتال هؤلاء ، ولسنا بصدد قضايا الرأي والحرب والمكيدة، من قتالهم هجوما أم دفاعا، وتقديم ذلك أو تأخيره عن قتال الأمريكان والكفار فذلك متروك لقادة الجهاد وأمراء الحرب من المسلمين، بحسب مقتضيات الضرورة والمصلحة.

هل يعذر الجندي المقاتل للمسلمين مع الكافرين بالجهل ؟

أما العذر بالجهل، فهو كما قلنا أن يقدم المسلم على فعل الكفر، جاهلا بأنه فعل محرما يترتب عليه الكفر. أي في حالة مثالنا أن يقدم هذا الجندي المسلم على قتال المسلمين، معتقدا أن رئيسه ولي أمر مسلم، وأنه يقاتل ناسا غير مسلمين، أو مسلمين مستحقين للقتال (بغاة ، مفسدين). بحيث يكون جهله هذا حقيقيا. وكأن يجهل أنه يقاتل مع الكفار ، أو يظن أنهم كفار جاؤوا لمساعدة رئيسه المسلم ضد من يجوز قتالهم شرعا.

فان توفر مثل هذا الجهل المفترض لهذا الجندي ، فقاتل المسلمين مع الكافرين وهو لا يدري حال رئيسه ومن معه ولا حال المسلمين المظلومين الذين يقاتلهم ... فهذا قد يعذر بجهله عند الله، لا نحكم بكفره عينا . لو ثبت لدينا له مثل هذا الجهل.

فهل يتوفر مثل هذا الجهل اليوم، لهؤلاء الجنود والضباط والشرطة والإستخبارات المقاتلين للمسلمين والمجاهدين، بأوامر هؤلاء المرتدين إلى جانب وبقيادة جيوش اليهود والنصارى؟! هل يعقل هذا مع انتشار وسائل الإعلام المختلفة، من الإذاعات ، والتلفزيونات، و الدشوش ، والصحف والمجلات؟! بالإضافة إلى قيام المسلمين بالمظاهرات في الشوارع، والخطباء في المساجد ، وحديث الناس في كل مكان عن هذه القضايا! حتى يمكن القول اليوم بأن طبيعة المعركة بين المسلمين والكافرين، وفساد الحكام وكفرهم وفجورهم، وسفور نسائهم وفضائح أبنائهم وأقربائهم ، وحكمهم بغير شريعة الإسلام وولائهم للكفار، ومحاربتهم للمساجد والعلماء والشباب المسلمين المجاهدين...الخ. قد صارت معلومة لكل أحد، في كل بلاد المسلمين ومنها باكستان. فإن كان في هؤلاء الجنود من بلغت به البلاهة أن يجهل هذه الأمور!! فهو معذور بجهله والله تعالى أعلم. نقاتله وجوبا أو جوازا ، وقد ينفعه عذره عند الله ، ويبعث على نيته.

هل يعذر الجندي المقاتل للمسلمين مع الكافرين بالإكراه ؟ :

سنتوقف مع هذا العذر، بشيء من التفصيل- رغم رغبتنا بالإيجاز – لأنه الأهم، ولأنه العذر الشائع. فمعظم هؤلاء الجنود والضباط العاملين في الجيش والشرطة وقوى الأمن، يعترفون بإدراكهم للواقع. ولكن يعتذرون أو يعتذر من يدفع عنهم صفة الردة والكفر، بأنهم مكرهون ومجبرون على قتال المسلمين بأوامر أسيادهم المرتدين أو الظالمين، إلى جانب وبقيادة الكافرين . كما حصل في بعض الدول العربية والإسلامية، حيث ساقت أمريكا عبيدها الحكام لقتال المسلمين، فساقوا عبيدهم الجنود لذلك.

فهل يمكن قبول عذر هؤلاء بالإكراه ؟! فلنر ذلك:

الإكراه شرعا:

هو الإجبار، والمُكره هو المجبور على فعل أو قول شيء لايريده، ولا يفعله في حال زوال الإكراه عنه. يقول الإمام ابن حجر في كتابه الجليل، فتح البـاري في شرح صـحيح البخـاري، في بـاب الإكـراه، ج12 ص 385 : [الإكراه: هو إلزام الغير بما لا يريده. وشروط الإكراه أربعة:

الأول: أن يكون فاعله قادرا على إيقاع ما يهدد به. والمأمور عاجزا عن الدفع ولو بالفرار.

الثانى: أن يغلب على ظنه أنه إذا امتنع أوقع به ذلك.

الثالث: أن يكون ما هدده به فوريا، فلو قـال لـه: إن لم تفعـل كـذا ضربتـك غـدا، لا يعـد مكرها. ويستثنى ما إذا ذكر زمنا قريبا جدا، أو جرت العادة بأنه لا يخلف.

الرابع: ألا يظهر من المأمور ما يدل على اختياره. كمـن أكـره عـلى الزنـا فـأولج وأمكنـه أن ينزع ، ويقول: أنزلت ، فيتمادى حتى ينزل.] أهـ

فالمستخلص من كلامه رحمه الله، أن المكره هو : من أجبر على فعل مالا يريد، بحيث:

أولاً : أنه لا يريد هذا الفعل باختياره وإنما بالإجبار الحقيقي.

ثانياً : أنه لا يستطيع عدم الاستجابة، عاجز عن دفع الإكراه.

ثالثاً : أنه لا يستطيع التخلص ممن أكرهه بفرار أو بهجرة أو نحوها.

رابعاً: أنه يتيقن وقوع التهديد قريبا وبالتأكيد..

خامساً: أن لا يتمادى بالفعل إن زال عنه الإكراه، لمصلحة أو شهوة.

فهل تنطبق هذه الشروط على هذا الذي يزعم أنه مسلم، ثم يقصد قتـال المسـلمين، فيسـفك دماءهم، ويهتك أعراضهم، وينهب أموالهم، بأوامر المرتدين وصحبة الأمريكان والكافرين؟! يجب أن يسأل هذا الجندي أو الشرطي أو رجل الأمن، بضع أسئلة. ليعلم هل هو مكره أم غير مكره، أسـئلة تحدد إجاباتها، تبرأته إن كان معذورا في فعلته المكفرة هذه أو الحكم عليه بعدم العذر.

هل دخل هذا الجندي الجيش أو الشرطة أو الاستخبارات، باختياره أم مجـبرا؟ وهـذا يختلـف من دولة إلى أخرى فهناك دول تجند الشباب إجباريـا في هـذه القـوات، وهنـاك دول يكـون دخـول هذه القوات اختيارا، بل يحتاج إلى الواسطة والرشوة! لما فيها من المكاسب وفـرص الرشـوة والنهـب والغصب لأموال الناس.

هل يستطيع هذا الجندي الاستقالة و الانسحاب من عمله هذا، بعد أن رأى ما يكره عليه، أم لا يستطيع؟

هل يستطيع الفرار من عمله إذا لم تمكنه الاستقالة، بالاختفاء في بلده، أو الهجرة عنها إن لـزم الأمر أم لا يستطيع ؟

هل هو مهدد فعلا، إن لم ينفذ الأوامر، ومتيقن بوقوع العقاب به أم لا ؟
هل يتمادى بالقتل والنهب وهتك الأعراض! تحقيقا لرغباته ومصالحه أم للإكراه.

أمور أخرى يجب بيانها في قضية الإكراه:

أولاً: عندما قام مدعي الإكراه بهذا العمل مختارا متطوعا- أي دخل الجيش والشرطة باختياره- وليس عبر التجنيد الإجباري-هل كان يعلم أن عمله يقتضي إكراهه على فعل ما حرم الله أم لا؟ فإذا كان يعلم أنه سيكره على تنفيذ الأوامر! حلالها وحرامها بحكم نظام الجيش والشرطة والأمن. ثم أكره من بعد، لم يكن إكراهه عذرا له، لأنه أقدم مختارا على ما يعلم أنه سيكره فيه على الكفر أو الظلم أو ما حرم الله، وذلك من اشتهار حال هذه المؤسسات وأعمالها! وقد ضرب العلماء مثلا لهذه الحالة، بمن دخل أرض قوم يكرهون من ساكنهم على الكفر، وهو يعلم قبل أن يدخل بذلك، ثم دخل فأكرهوه.. لم يكن الإكراه عذرا له . فهل يعلم من يتطوع في هذه القوات مختارا، أنه سيقدم على هذه الأعمال أم لا يعلم؟ فإذا كان يعلم ما سيكلف به، قبل أن يكره، لم يكن عذره بالإكراه مقبولا، ولو أكره فعلا على عمل يكرهه.

ثانياً: المكره نوعان:

1. **من يكره على قول أو عمل كفري لا يؤذي به غيره من المسلمين:**

وإنما يقدم على ما ينتقض الدين بفعله أو قوله، وهو كاره كما أكره سيدنا عمار بن ياسر تحت التعذيب على النيل من رسول الله صلى الله عليه وسلم مجبرا، بعد أن قتلوا أباه وأمه و غطوه في البئر حتى كاد يهلك من التعذيب. فقال كلمة الكفر، فعذره رسول الله صلى الله عليه وسلم وأجازه. وجعلها رخصه للمسلمين، فقال: (إن عادوا فعد). وبين أن العزيمة والصبر أولى في حالة الإكراه وأكثر أجرا، وأن الإكراه عذر لمن فعله وقلبه مطمئن بالإيمان. في حين لم يقبل العلماء العذر ممن هدد بالعذاب، ولم يتيقن وقوعه. وهكذا لم يقبل الإمام أحمد بن حنبل عذر العلماء الذين أجابوا الحاكم للقول بخلق القرآن لما هددهم واعتذروا بقول الله تعالى: ﴿ إلا من أكره وقلبه مطمئن بالإيمان ﴾ وبحديث عمار رضي الله عنه، قال الإمام أحمد : (إن عمارا ضربوه وأنتم قيل لكم سنضربكم)ولما احتج يحيى بن معين، وهو إمام جليل من المحدثين، كان قد ضعف للتهديد، واستجاب واعتذر بهذا العذر.. رفض الإمام أحمد حجته وقال: (يقول لي أكره ولم يضرب سوطا واحدا). ولم يكلمه بقية حياته، ولم يرد عليه السلام لما سلم عليه ابن معين، والإمام أحمد على فراش الموت!! رحمه الله وأكثر في أمتنا من أمثاله! وقد روي:عنه قوله (لا إكراه إلا بالسيف) وعن

غيره من العلماء أن الإكراه هو بالتهديد بالقتل، أو ببتر عضو، وذهب بعضهم بأنه مطلق العذاب الذي لا يطيقه، ولا يستطيع الفرار منه.

وقد يقول البعض ويعتذر عن فعل حكومة الباكستان أو الكويت والسعودية والأردن .. مثلا بمعاونة الأمريكان، بأن الله قد أباح التقية من الكافر، ويقولون : نحن نقاتل معهم اتقاء لشرهم علينا وعلى بلادنا . فهذا زعم مردود. فان الله تعالى قال في سورة آل عمران الآية (28): ﴿ لا يَتَّخِذِ الْمُؤْمِنُونَ الْكَافِرِينَ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِ الْمُؤْمِنِينَ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ فَلَيْسَ مِنَ اللَّهِ فِي شَيْءٍ إِلَّا أَنْ تَتَّقُوا مِنْهُمْ تُقَاةً وَيُحَذِّرُكُمُ اللَّهُ نَفْسَهُ وَإِلَى اللَّهِ الْمَصِيرُ ﴾.

قال ابن كثير في تفسيرها [أي إلا من خاف في بعض البلدان والأوقات من شرهم فله أن يتقيهم بظاهره لا بباطنه ونيته.

كما قال البخاري عن أبي الدرداء إنه قال: (إنا لنكشر في وجوه أقوام وقلوبنا تلعنهم) وقال الثوري: (قال ابن عباس: ليس التقية بالعمل، إنما التقية باللسان] ا هـ.

2. هو المكره على فعل يؤذي به غيره من المسلمين :

كمن يأمر بقتل مسلم أو هتك عرضه أو نهب ماله، أو أذيته، وقد نص العلماء على أن المسلم لا يعذر أن يوقع بغيره الأذى إن هدد هو به، فلا يجوز له إن هدد بأخذ ماله إن لم ينهب غيره من المسلمين، أن يدفع عن ماله بنهب مال مسلم آخر، ثم يقول أنا مكره.

وأخطر من ذلك ، لا يجوز له أن يقتل مسلما، إن هدد بالقتل إذا لم يقتله، فقال العلماء: ليس حفظ نفسه مقدم على إزهاق نفس مسلم، بل يجب عليه ألا يقتل مسلما ولو قتلوه، فيقتل صابرا محتسبا، وبهذه النية يكون شهيدا إن شاء الله.

فهل يفعل هؤلاء الجند (المكرهون بزعمهم) هذا؟! هل لو رفض هذا الجندي قتل المسلمين، يقتل؟ أم يسجن؟ أم يقطع مرتبه ومعاشه؟ أم يطرد من وظيفته في الجيش أو الشرطة فقط؟.

فيقدم على قتل المسلمين، وقد جعل الله زوال الكعبة أهون عنده من قتل امرئ مسلم! كما أخبر صلى الله عليه وسلم وقد قال الله تعالى: ﴿ وَمَنْ يَقْتُلْ مُؤْمِناً مُتَعَمِّداً فَجَزَاؤُهُ جَهَنَّمُ خَالِداً فِيهَا وَغَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَلَعَنَهُ وَأَعَدَّ لَهُ عَذَاباً عَظِيماً ﴾ (النساء:93) . هذا إن قتله في شجار على الدنيا، أو نزغة شيطان، فكيف بمن قتله لأنه مؤمن مهاجر مجاهد في سبيل الله، إرضاء لأمريكا ؟!.

فهؤلاء الجنود الذين يظنون أنفسهم مكرهين، يقتلون المسلمين، حتى لا يطرد واحدهم من وظيفته، أويناله بعض العذاب. فهذا ليس حاله حال المكره، وإنما كمن قال الله تعالى عنهم: ﴿ ذلك بأنهم استحبوا الحياة الدنيا عن الآخرة وأن الله لا يهدي القوم الكافرين ﴾. فهناك فرق بين من

أكره فنطق بكلمة الكفر وقلبه مطمئن بالإيمان. وبين من شرح بالكفر صدرا، فقال كلمة الكفر، وفعل فعل الكفر، حفاظا على حظه من الدنيا. وقد بين القرآن الكريم هذا صراحة: إذ قال الله تعالى في سورة النحل: ﴿ إِنَّمَا يَفْتَرِي الْكَذِبَ الَّذِينَ لا يُؤْمِنُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْكَاذِبُونَ* مَنْ كَفَرَ بِاللَّهِ مِنْ بَعْدِ إِيمَانِهِ إِلا مَنْ أُكْرِهَ وَقَلْبُهُ مُطْمَئِنٌّ بِالإِيمَانِ وَلَكِنْ مَنْ شَرَحَ بِالْكُفْرِ صَدْراً فَعَلَيْهِمْ غَضَبٌ مِنَ اللَّهِ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ* ذَلِكَ بِأَنَّهُمُ اسْتَحَبُّوا الْحَيَاةَ الدُّنْيَا عَلَى الآخِرَةِ وَأَنَّ اللَّهَ لا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ * أُولَئِكَ الَّذِينَ طَبَعَ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ وَسَمْعِهِمْ وَأَبْصَارِهِمْ وَأُولَئِكَ هُمُ الْغَافِلُونَ * لا جَرَمَ أَنَّهُمْ فِي الآخِرَةِ هُمُ الْخَاسِرُونَ * ثُمَّ إِنَّ رَبَّكَ لِلَّذِينَ هَاجَرُوا مِنْ بَعْدِ مَا فُتِنُوا ثُمَّ جَاهَدُوا وَصَبَرُوا إِنَّ رَبَّكَ مِنْ بَعْدِهَا لَغَفُورٌ رَحِيمٌ ﴾ (النحل:110/105) .

فهل هؤلاء الجنود في الجيش والشرطة والأمن والإستخبارات، والسجانين والجلادين الذين يعذبون الناس حتى الموت.. مكرهون؟! نعوذ بالله من قول الزور وشهادة الزور!! هل هؤلاء المجرمون مكرهون؟! أنظر في حالهم وسلوكهم واحكم عليه بمقياس الإسلام ، أنظر في صلاتهم، وصيامهم، وأدائهم لشعائر الإسلام؟ ثم أنظر في كسبهم السحت من الرشاوى وما يظلمون الناس ، ويقبضون المكوس على الطرقات ، وفى الأسواق وعلى أبواب البيوت! ثم انظر في تسابقهم على الوظيفة في هذه المؤسسات الظالمة النجسة من الشرطة والإستخبارات والقيام على السجون والمعتقلات!!.

نعم.. قد يكون هناك من لا يتلبس بذلك ممن التحق بالجيش للدفاع عن البلاد وقتال أعداءها ولم يكن بعلمه ولم يدر بخلده أن يزج به أسياده في قتال المسلمين إلى جانب الكافرين، ولكن هل يعذر هذا بالقتال تحت قيادة وراية الكافرين، والأمريكان والإنجليز، لسفك دم المؤمنين. ثم يقول: أنا مجبور مكره!

فهل تطوع بالجيش وهو يعلم حال قيادته ورئاسته وما هم عليه من الردة، بتبديل الشرائع والعمالة للكفار والفساد والرشوة و البغي والظلم، أو لا.؟؟

وهل دخل الجيش دفاعا عن الوطن والأرض والقوم؟ هذه كلها ليست من سبيل الله فى شيء ما لم تكن لتكون كلمة الله هي العليا بل هي نوايا عصبية جاهلية!

فإن كان قد دخل بنية الجهاد في سبيل الله، لأنه قد دلس عليه بعض العلماء المدلسين، بأن هذه الحكومة ورؤساءها مسلمون وأولياء أمور شرعيون. وأن مفاسدهم لا تخرجهم عن الإسلام!. وانطلت عليه هذه الخديعة الضالة، ثم وجد نفسه أمام الحال الجديد .. فهذا قد يعذر بجهله لوجوده في مثل هذا الجيش، وقتاله تحت رايته بقصد الدفاع عن المسلمين، ولكن هل يعذر بجهله، وبالإكراه فى قتل المسلمين إرضاء للكافرين، وتحت رايتهم وقيادتهم؟! اللهم لا.

هذا واجبه الاستقالة من هذا الجيش، أو على الأقل رفض الأوامر من هذا النوع، والفرار من القتال ولو سجن أو عذب أو طرد من وظيفة. وهذا العقاب في حقه نعمة من الله يخرجه من الضلالة ومن غضب الله عليه - فإن خُيِّر و أُجبر على قتل مسلم أو يقتل، فواجبه أن يختار القتل صابرا محتسبا على أن يقتل مسلما، وليس له أن يقتل مسلما ثم يقول أنا مكره، هذا ليس بعذر إكراه شرعي، فليس من الإكراه أن يقدم على قتل المسلمين وهتك حرماتهم ثم يقول : إذا لم أفعل طردت من عملي، أو قطع راتبي أو وضعت على عقوبات مالية! إن واجب هذا الجندي إن وجد نفسه مكرها على قتال المسلمين من قبل أسياده المرتدين، أو أسيادهم الأمريكان والإنجليز والكافرين... أن يستدير بسلاحه لقتال من يكرهه على فعل الكفر، ويجاهده بسلاحه ويقتل شهيدا صابرا مجاهدا وليس أن يتلطخ بدم المسلمين وأعراضهم ويظن نفسه مكرها.. فإن لم يمكنه الخلاص إلا بالفرار من الجيش وعجز عن قتالهم لضعفه أو لقلة من معه، وجب عليه الفرار والهجرة عن بلده. وأرض الله واسعة وعندها يكون مهاجراً في سبيل الله صابرا فارا من الفتنة بدينه. والهجرة والفرار من حكومة كهذه القائمة في باكستان، فرض على من وجد نفسه أمام الفتنة في دينه والاضطرار لفعل الكفر بالقتال تحت قيادة وراية الأمريكان إن عجز عن قتال هذه الحكومة وقد أخبر القرآن الكريم، وبينت السيرة النبوية الشريفة، ونصوص السنة عن قوم مسلمين بقوا في مكة بعد أن هاجر رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى المدينة ولم يهاجروا لأن لهم في مكة مصالح، من أهل ومساكن وتجارة. فلما كانت غزوة بدر بين المسلمين ومشركي مكة ، أكرهوا على الخروج مع كفار مكة إجبار أو حياء من قومهم. فقتل بعضهم فى المعركة فتأسف المسلمون على قتلهم وقالوا قتلنا إخواننا! فأنزل الله تعالى فيهم قوله: ﴿ إِنَّ الَّذِينَ تَوَفَّاهُمُ الْمَلائِكَةُ ظَالِمِي أَنْفُسِهِمْ قَالُوا فِيمَ كُنْتُمْ قَالُوا كُنَّا مُسْتَضْعَفِينَ فِي الْأَرْضِ قَالُوا أَلَمْ تَكُنْ أَرْضُ اللَّهِ وَاسِعَةً فَتُهَاجِرُوا فِيهَا فَأُولَئِكَ مَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ وَسَاءَتْ مَصِيراً * إِلَّا الْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ الرِّجَالِ وَالنِّسَاءِ وَالْوِلْدَانِ لا يَسْتَطِيعُونَ حِيلَةً وَلا يَهْتَدُونَ سَبِيلاً * فَأُولَئِكَ عَسَى اللَّهُ أَنْ يَعْفُوَ عَنْهُمْ وَكَانَ اللَّهُ عَفُوّاً غَفُوراً * وَمَنْ يُهَاجِرْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ يَجِدْ فِي الْأَرْضِ مُرَاغَماً كَثِيراً وَسَعَةً وَمَنْ يَخْرُجْ مِنْ بَيْتِهِ مُهَاجِراً إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ ثُمَّ يُدْرِكْهُ الْمَوْتُ فَقَدْ وَقَعَ أَجْرُهُ عَلَى اللَّهِ وَكَانَ اللَّهُ غَفُوراً رَحِيماً ﴾ النساء (97-100) .

وقد بينت هذه الآيات بصراحة كما شرحها المفسرون أحكاماً هامة منها:

- وجوب الهجرة من ديار الكفر والفرار من فتنها. خاصة لمن يتعرض للفتنة إلى حيث لا يفتن فى دينه.

- أن من أكره وخرج للقتال مع الكافرين. لم يتقبل عذره لأنه كان عليه أن يهاجر بـدل البقاء حتى يكره للخروج لقتال المسلمين مع الكافرين. وأن من قتل منهم كان مصيره إلى جهنم ولم يقبل عذره.

- أن الله عذر المستضعفين الذين لم يهاجروا لأنه لا حيلة لهم، ولا يهتدون إلى طريق للهجرة، ولا سبيل لديهم إليها. فهؤلاء معذورون بعدم الهجرة،(وليس العذر للقتال مع الكفار) ووعدتهم الآية بالعفو والمغفرة عن تقصيرهم بعدم الهجرة.

- ثم بشر القرآن المهاجر فى سبيل الله بكفالة الله له بسعة الرزق فى الدنيا، وأنه إن مان فإن الله ضامن لأجره في الآخرة.

فأين هذه الأحوال، من هؤلاء المنتسبين لهذه الجيوش الظالمة.

هل هم مكرهون مهددون بالقتل إن لم يقتلوا المسلمين؟ لا. وحتى لو كان ذلك، فليس هذا بعذر وعليهم حينها الهجرة والفرار ممن أكرههم.

ولكن الحقيقة المرة، هي أن أكثرهم يقدم على فعل الكفر هذا بقتال المسلمين مع الكافرين حرصا على ما توفره له الوظيفة فى الجيش أو الشرطة أو الاستخبارات، من البيوت الفارهة، والسيارات الفخمة، والمرتبات العالية المنهوبة من ثروات المسلمين، والمكوس الموضوعة على ضعفائهم..ثم يعتذرون بأنهم فى الجيش والشرطة للدفاع عن الوطن، وأنهم مكرهون على قتال المسلمين بحكم الوظيفة.

فهذا ليس بإكراه لا شرعا ولا عقلا..أيقبل عذر واحدهم بالإكراه على قتل مسلم؟ ولا يقبل عذر المسلم المهاجر المجاهد فى سبيل الله بقتل هؤلاء دفاعا عن نفسه؟ وهم الذين قصدوه بالعدوان و جاءوه بصحبة الجنود الأمريكان ودهموا بيته عليه وعلى زوجته وأولاده.

فكما أسلفنا هذا ليس بإكراه وإنما هو حال وصفه الله سبحانه وتعالى بقوله: ﴿ ذلك بأنهم استحبوا الحياة الدنيا على الآخرة وأن الله لا يهدي القوم الكافرين ﴾.

وأما حال المكره المعذور شرعاً من الذين يقاتلون المسلمين فهو كما يلي:

- أنه أكره على التجنيد إجباريا فى جيش يقاتل المسلمين وليس باختياره.

- أنه عجز فعلا عن الفرار أو الهجرة.

- يجب عليه أن يورى فى القتال ولا يمد سلاحه لأذى المسلمين بل يعطل سلاحه ولو قتل بيد الكفار أو المسلمين، وهو بهذه النية شهيد.إن شاء الله. فإن كان فى جيوش

الطواغيت و شرطتهم ممن قاتلوا المسلمين، أو فيمن فعل فعلتهم، جندي تنطبق عليه مواصفات هذا المكره فهو معذور. و إلا فلا عذر له.

خامسا : أحكام الشريعة تقرر وجوب أو جواز قتال الصائل على دين المسلمين أو أنفسهم أو أعراضهم أوأموالهم ولو كان مسلما.

قد يصر مكابر، رغم الأدلة الواضحة، بأن هؤلاء الجنود المقاتلين للمسلمين مع الكافرين والمرتدين ، هم مسلمون، يصلون ويصومون، ويشهدون ألا إله إلا الله، محمدا رسول الله، ولا يكفرون بقتالهم للمسلمين. فلمثل هذا حتى نكون عمليين وحسما لجدل فارغ لا يقوم بالأدلة وإنما بالعواطف والأهواء نقول: هب ذلك،فإن للمسلم الذي يحمل السلاح على المسلمين، بغيا، أو فسادا في الأرض، أحكاما بينها العلماء تحت عنوان **(دفع الصائل المسلم)** . فقد بين العلماء أن كل دين نزل من عند الله، جاء للحفاظ على الضرورات الخمسة (الدين – النفس – العرض- العقل- المال) ولذا فيجب المحافظة على هذه الضرورات بأي وسيلة مشروعة، ومن هنا شرع الإسلام دفع الصائل.

والصيال شرعاً: كما عرفه العلماء هو الوثوب على الشيء المعصوم بغير حق، والمعصوم هو النفس أو العرض أو المال.

والصائل كما عرفه العلماء: هو كل معتد على ما كان معصوما شرعا سواء كان مسلما عصم بحق الإسلام أو عصمته ذمة المسلمين. فالقتال لدفع هذا المعتدي مشروع شرعا بالدفع عن الحرمات بل يصير واجبا في كثير من الحالات. قال تعالى : ﴿ فمن اعتدى عليكم فاعتدوا عليه بمثل ما اعتدى عليكم ﴾.

أما الصائل على الدين:

فواجب بقوله صلى الله عليه وسلم **(من قتل دون دينه فهو شهيد)** قال ابن تيمية رحمه الله : (**وأما قتال الدفع فهو أشد أنواع دفع الصائل عن الحرمة والدين واجب إجماعا فالعدو الصائل الذي يفسد الدين والدنيا لاشيء أوجب بعد الإيمان من دفعه)**. الفتاوى الكبرى ج5ص530.

وأما الصائل على العرض:

فيجب دفعه باتفاق الفقهاء ولو أدى إلى قتله وإن كان مسلما. قال النووي: (وأما المدافعة عن الحريم فواجبة بلا خلاف). وقال الشيخ عبد الله عزام رحمه الله: (قد يسأل سائل : أو يجوز لنا أن نقتل شرطيا يصلي ويصوم، من أجل أنه يريد أن يأخذني إلى قسم البوليس؟ فقال: (وأما رأي الفقهاء بالإجماع أنه لا يجوز لأحد أن يستسلم لإنسان يريد أن ينتهك عرضه(...) إتفق الفقهاء جميعاً على أن دفع الصائل عن العرض واجب بالإجماع. فإذا أنت تركت الشرطة يقتحمون بيتك في وهن من الليل، وزوجتك عارية في ثياب النوم يكشفون عنها غطائها ليبحثوا أنك نائم عندها فعرضك منتهك وأنت آثم عند رب العالمين فهنا الظلم. والصلاة والصيام من مثل هذا الشرطي لا تمنع عنه قضية القتل) الجهاد فقه وإجتهادج3 ص139.

وأما الصائل على النفس:

فيجب دفعه عند جمهور العلماء. وقد ذهب البعض للجواز دون الوجوب، ولو كان مسلما وفي الحديث الصحيح : (من قتل دون ماله فهو شهيد، ومن قتل دون دمه فهو شهيد،ومن قتل دون دينه فهو شهيد، ومن قتل دون أهله فهو شهيد) رواه أحمد وأبو داود. وروى عنه صلى الله عليه وسلم : (من قتل دون مظلمته فهو شهيد) رواه النسائي.

قال الإمام الجصاص بعد هذا الحديث في أحكام القرآن ج1 ص 242 : **(لا نعلم خلافا أن رجلا لو شهر سيفه على رجل ليقتله بغير حق أن على المسلمين قتله).**

قال الشيخ الشهيد عبد الله عزام رحمه الله:(وفي هذه الحالة– الصيال – إذا قتل الصائل فهو في النار ولو كان مسلما وإذا قتل العادل فهو شهيد.

وأما الصائل على المال:

فقد ذهب جمهور علماء المسلمين إلى جوازه واعتبره البعض واجبا. عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رجلا قال: يا رسول الله: أرأيت إن جاء رجل يريد أخذ مالي. قال صلى الله عليه وسلم **(لا تعطه)** قال أرأيت إن قاتلني، قال صلى الله عليه وسلم **(فقاتله)** قال: أرأيت إن قتلني. قال صلى الله عليه وسلم **(فأنت شهيد)** قال أرأيت إن قتلته، قال صلى الله عليه وسلم **(هو في النار)** رواه مسلم.

ويقول الإمام ابن تيميه في مجموع الفتاوى ج28 ص45:[(والسنة والإجماع متفقان على أن الصائل المسلم إذا لم يندفع صوله إلا بالقتل قتل وإن كان المال الذي يأخذه قيراطا من دينار. ففي الصحيح (من قتل دون ماله فهو شهيد)].

قال الشافعي رحمه الله: (إذا دخل الرجل منزل الرجل ليلا أو نهارا بسلاح فأمره بالخروج فلم يخرج، فله أن يضربه وإن أتى على نفسه ، أي إذا قتل المدفوع) الأم ج6 ص33.

قال ابن تيمية رحمه الله (السنة والإجماع متفقين على أن الصائل المسلم إذا لم يندفع صـوله إلا بالقتل قتل). الفتاوى الكبرى ج 28.

هذا مختصر أحكام دفع الصائل المسلم على أحاد المسلمين. فكيف به لو جـاء يريـد الـدين أو النفس أو العرض أو المال.. أو كل ذلك،تحت راية وقيادة الأمريكان والمرتدين.؟!

وسنعيد إيراد هذه الأدلة الشرعية بمزيد من التفصيل بالإضـافة لسـواها مـن الأحكـام الشرعية الأساسية في مثل جهادنا لأعدائنا هذه الأيام ، في الباب الأول من الفصل الثـامن في الجزء الثاني من هذا الكتاب ، وهـو بعنـوان (الفكـر والمـنهج و العقيـدة الجهاديـة لـدعوة المقاومة الإسلامية العالمية) حيث نعرض لتفاصيل الأدلة الشرعية لـبعض المسـائل المنهجيـة إن شاء الله .

﴿ أدلة العقل والمنطق على أن الجهاد المسلح هو الحل ﴾

نحن نسأل من يريد جدالنا في حقيقة أن الجهاد المسلح اليوم هو الحل الوحيد حقيقة ! إذا لم يكن الحل لمشاكلنا هذه وقد دهمنا العدو، بالمقاومة المسلحة ، فبم يكون ؟!

- هل بطقطقة المسابح في أركان الزوايا ؟!
- أم بتنقيح الأسانيد وتأليف الأبحاث الشرعية ؟!
- أم تراه بالسهر على أزرار الكمبيوتر في معارك الإنترنت ومناقشاتها الحامية - الوطيس؟! أم تراه بالمداخلات التلفونية الثائرة مع مقابلات الفضائيات؟!
- أم تراها بالتصفية والتربية وتزكية النفوس ؟! وها هو العدو يصفي مقومات وجودنا، ويربي أجيالنا حسبما يريد على مر الساعات والدقائق!
- أم تراها بالصياح في المظاهرات ، وما تجود به الحكومات من إجازة الاحتجاجات الصامتة أو الصاخبة في الشوارع؟!
- أم تراها بالاختراع العظيم الذي توصلت إليه الصحوة ، وما جاءنا به الفقه البرلماني؟ بالاعتراض على الإحتلال وعلى إزهاق الأنفس وعلى نهب الثروات وعلى نهك الأعراض ، تحت قبة البرلمان ؟!
- أم بـ (الحملة العالمية لمكافحة العدوان) . ببيان أجوف يرسل بالفاكس للفضائيات لاستنكار ما يجري من طامات في بلاد المسلمين !!

الحقيقة أن حالنا مع هذه الآراء كأهل بيت كانوا ينامون مطمئنين ، فدهمهم اللصوص ليلا، فبعضهم ذبح الأب ، وبعضهم أثخن الأم بالجراح ، وثالث يقصد الأخت لينهك العرض، ورابع منشغل بنبش الخزائن لسرقة المال ، وخامس دهس الأطفال في عتمة الليل ، وسادس ينهب أثاث البيت ويضرم النار في أنحائه...

والرجال من أفراد الأسرة موزعون في بعض الغرف قد شغل كلا منهم أمره ، وقد هب أخوهم الأصغر يناديهم ليهبوا للدفاع عن الدم المسفوك والعرض المنهوك والمال المنهوب والبيت الذي تنهدم أركانه.. ولامجيب..

فأحدهم منهمك في قيام الليل يؤدي ورده ، ومن شدة خشوعه لم يسمع ما يجري !

والثاني منكب على كتب العلم يفتش عن تحقيق سند لم يتأكد من صحته منذ أيام !! والثالث منهمك في نقاش دعوى مع أحد الجيران يدعوه للصلاح !!!

والرابع يتابع حوارا دينيا مفتوحا عبر الإنترنت أمام شاشة الكمبيوتر!!!!

والخامس يطبع بعض الدعايات الانتخابية لـدعم ترشـيح بعـض العلـماء والـدعاة لانتخابـات البرلمان المقبلة...

والشاب الصغير يصـيح ، وأختـه تلطـم الخـد وتسـتغيث ، وبعـض الأطفـال يرمـون اللصـوص المسلحين بالحجارة ، وقد شغل إخوانهم بالدعوة وأنواع العمل الإسلامي!!

هذا عن إخوانهم الملتزمين.. فلهم إخوة آخرون مشغولون بأمور أخرى.. !

فبعضهم يسهر أمام التلفزيون يتابع برنامج ستار أكاديمي .. على قناة فضائية ..

وآخر يرتمي ثملا من السكر في إحدى زوايا البيت ..!

وثالث منغمس في حديث عاطفي على الموبيل.. يرسل رسائل غرامية عبر قناة روتانا !

أما أولاد العمومة والجيران من حولهم ، فبعضهم في السهرات والسمر، وآخرون يقومون الليل على الفواتير والحسابات التجارية لمبيعات ذلك اليوم .ز وبعضهم يحتسي الشاي على ناصـية المقهـى حتى ساعة متأخرة من الليل ..!

ويهب الشاب اليافع ليدفع اللصوص المسلحين بسكينه ، والأطفال يدفعون بالحجارة، والأخت تحاول جهدها بكفها العزلاء.. فهذا مبلغ الجهد أمام اللصوص المدججين بالسـلاح . فالـدفع والمـوت والشهادة أرحم من العيش في مثل هذا البيت الذي تشهد جدرانه على هذا الخزي والعار والصغار.. هذا نموذج أحوال أمتنا اليوم..

فهل يظن الطيبون جزاهم الله خيرا عـلى جهـودهم في دعـوة الفسـاق إلى الهـدى ، أنهـم قـد سقطت عنهم الفريضة المتعينة بالدفع؟! أم يظنون أن دعوتهم تلك ستدفع عـدوا غاشـما، أو تقـيم شرعا مغيبا، أو تغير حكومة خائنة كافرة فاجرة ؟

أم هل يظنون بأن الحملات الصليبية إن ضربت بجرانها في بلادنا ، وساقت عبيدها من الحكام إلى مزيد من محاربة الدين وإضلال أهله ، أنهـم سـيبقى أمـامهم مجـال للتبليـغ والـدعوة وعـمارة المساجد ؟!.

أم هل يظن الدعاة إلى تصحيح عقائد المسلمين .. أنـه سـتبقى لنـا عقائـد مـع غـزو الصـليبين لديارنا.. ومع استعلاء عملائهم من العلمانيين والمرتدين؟!

وأي عقائد ستبقى لنا بعد أن صارت أمريكا إلها يعبد طوعا وكرها في بلادنا من قبل كثير مـن المسلمين؟! أي عقائد ستبقى لأطفالنا وشبابنا بعد أن صارت المـنظمات الدوليـة تفـرض عـلى بلادنـا مناهج التدريس في كافة المراحل ، بل وتتدخل حتى في نصـوص خطـب الجمعـة في مسـاجدنا؟! أي عقائد بعد أن صاروا يضعون لنا سياسات التعامل مع نسائنا من خلال إلزام حكوماتنا بمعاهـدات (حقوق المرأة) بحسب ثقافاتهم الإلحادية الإباحية؟!

أي عقائد ستبقى مع برامج (إعادة صياغة المجتمعات) الخليجية والعربية والإسلامية كما أعلنها الأمريكان ؟! .

أم هل يظن الصالحون المواظبون على تزكية أنفسهم ، أن الدشوش والفضائيات ستترك من ذريتهم وأبنائهم من يلتفت إلى السلوك والصلاح في ظل هذه الأحوال الفاجرة؟!

أم هل يعتقد (الديمقراطيون الإسلاميون) ، أن في مزيد من التجارب جدوى بعدما حصل في الجزائر وتركيا وتونس ؟! .. وبعدما حصل من إنجازات الإسلاميين في برلمانات مصر والأردن وباكستان ودول الخليج والمغرب وغيرها؟!.

وهل يظنون أن وجودهم كأقليات إسلامية مسحوقة بين الأحزاب العلمانية المعارضة والحاكمة في البرلمان ، سيغير مجرى التاريخ الذي تكتبه حراب الصليبيين اليوم ؟!

أم يعتقدون بعدما انتشرت مكاتب (CIA) و(FBI) وتدفق مئات آلاف الجنود والجيوش الصليبية في البلاد ، وراحت أمريكا تعين من تشاء من الحكام وتعزل من تشاء ، أن بإمكانهم تحقيق الأغلبية وإقامة حكم الإسلام .. ، بعدما رأوه من العاصفة التي اجتثت حكومة طالبان و حكومة العراق ، وراحت تعلن أنها ستعيد رسم الخريطة السياسية بل والجغرافية في الشرق الأوسط؟!

وصدق الله العظيم: ﴿ أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَتَكُونَ لَهُمْ قُلُوبٌ يَعْقِلُونَ بِهَا أَوْ آذَانٌ يَسْمَعُونَ بِهَا فَإِنَّهَا لا تَعْمَى الْأَبْصَارُ وَلَكِنْ تَعْمَى الْقُلُوبُ الَّتِي فِي الصُّدُورِ ﴾ (الحج:46) .

سبحان الله .. حقيقة صار حالنا كما قال الشاعر:

وليس يصح في الأذهان شيء ... إذا احتاج النهار إلى دليل

نحن نعتقد أن تلك الحلول – جزى الله أصحابها خيرا كلا بنيته – لن تحل مشكلنا اليوم . ونعتقد أن المقاومة الإسلامية العالمية المسلحة الشاملة هي الحل ، وأن بإمكانها – بإذن الله – دحر العدو.

ونقول بملء أفواهنا نعم إن الأمر كذلك . نعم .. مدعومة بالأدلة الشرعية . ونعم كما تقتضي أدلة العقل والمنطق والواقع . فإن هناك حقائق واضحة تدعم ما نذهب إليه:

أولاً: إن شعوب الأمة العربية، ومثلها جميع الشعوب الإسلامية ، قد غسلت أيديها وانقطع رجاؤها من كافة المذاهب والتيارات والفلسفات والأفكار الوافدة والمحلية التي لا تنطلق من الإسلام كحل ممكن لمواجهة هذا الصائل. ومن يتابع ما تكتبه الصحف ، وما يكتبه الناس العاديون في زوايا القراء ، أو ما يقولونه في مداخلاتهم عبر الفضائيات، أو ما يصيحون به في مظاهراتهم.. يجد أن الجميع ، وحتى الفساق من المسلمين ومن أسرفوا على أنفسهم ، ناهيك عن الملتزمين والمتدينين.. الجميع يصرحون بجلاء بأنهم مع الجهاد ، وأنهم يعتقدون بأنه لن يقوم لهذا العدو الغازي إلا

رايات الجهاد تحت شعار (لا إله إلا الله محمد رسول الله). وحتى التنظيمات العلمانية والشخصيات الوطنية والتيارات القومية في فلسطين كما في كل مكان ، بدأت تتأسلم حقيقة ، أو زعما ، وصارت تتأقلم في إعلامها وشعاراتها مع الإسلام . إما بعودة صادقة إلى جذورها، وإما مجاراة للشارع الإسلامي الذي بدأ يشهد عودة نحو الدين كرد طبيعي على الهجمة الصليبية على أمة الإسلام واستهدافها في عقيدتها ومكوناتها.

وهكذا كان حال أمتنا أيام النوازل عبر تاريخنا كله. بل هذه طبيعة الإنسان أمام الكوارث الكبرى .. أن يعود إلى ربه ومعتقده راجيا النصر والنجاة .

بل إن الأمل في الإسلام ، والجهاد تحت شعارات الإسلام كحل لمواجهة طغيان أمريكا، قد صار أملا لدى كل أعداء أمريكا من الشعوب المستضعفة، حتى الجماعات اليسارية وجماعات السلام في العالم الصليبي ذاته. والمتابع لكتابات بعض الكتاب الغربيين يجد أن بعضهم قد بدأ يصرح في سياق ما يكتب عن طغيان أمريكا ، بأنه لم يعد هناك أمل لمواجهة أمريكا إلا بالمسلحين المسلمين .. بل وصل الأمر بإحدى المظاهرات المضادة للعولمة والحرب التي خرج فيها مئات الآلاف في إيطاليا أن ترفع ضمن شعاراتها صورة لـ (ابن لادن) وقد ألبسوه قبعة (جيفارا) ورسموه بطريقة تشبهه ..! وكتبوا تحت صورته شعارات مضادة لأمريكا! و عبروا بذلك عن أن رمز الجهاد الإسلامي المسلح اليوم هو الحل في مواجهة أمريكا!.

فالكل يعلم ويؤمن اليوم أن الحل يجب أن يخرج من جعبة الإسلاميين بالجهاد لمواجهة طغيان النظام العالمي الجديد .

ثانيا: إن جماهير الصحوة الإسلامية وكوادرها و النشطاء فيها ، يشكلون اليوم كتلة هائلة على الصعيد العددي في بلاد المسلمين قاطبة وفي كل منها على حدة . ففي كل مؤتمر للتبليغ يجتمع في مساجدهم أحيانا ما يربو على عشرات الآلاف في المدينة الواحدة ، بل يبلغ حشدهم السنوي من مختلف دول العالم في باكستان ما يزيد على ما يجتمع في مكة للحج ، أكثر من مليوني مسلم .

وأما السلفيون وأتباع مدرسة أهل الحديث وجماعاتهم وتلاميذ مدرستهم ، فالمتابع لمواقعهم على الإنترنت وصحفهم ونشاطاتهم في البلاد العربية والإسلامية يجد أنهم اليوم - تبارك الله – يعدون بمئات الآلاف إن لم يكن بالملايين ، ناهيك عن من يرتاد مساجدهم من العامة.

وأما الإخوان المسلمون وفروعهم والجماعات الإسلامية المنبثقة عنهم والحاملة لفكرهم تحت مختلف المسميات فما تزال الشريحة الأساسية عددا وحضورا في الصحوة في أكثر بلاد العالم العربي والإسلامي ، فهم يُعدون بالملايين أيضا، فضلا عن عشرات الملايين من أنصارهم والمصوتون لهم في الإنتخابات .

هذا ناهيك عن الجماعات الصوفية وأتباعها ومشايخها ومريديها . فضلا عن مئات الجماعات والأحزاب والكتل الإسلامية المختلفة التي تدخل بمجموعها تحت مسمى (الصحوة الإسلامية) والتي تشكل بلا مبالغة على كتلة بشرية ضخمة في العالم الإسلامي. فإذا ما أضفنا إليهم المتعاطفون معهم ومع عموميات شعار الإسلام لوجدنا أننا أمام جموع غفيرة هائلة قد نما في قلبها اليوم التطلع إلى مواجهة أمريكا واليهود وحلفائهم الصليبيين تحت شعار الجهاد والإسلام . ولكنها ما تزال كتلة غثائية لا قيمة لها لأنها تفتقر إلى ثلاثة أشياء :

- **منهج الاعتقاد والعقيدة القتالية الجهادية .**
- **برامج العمل الجاد المباشر .**
- **القدوة الميدانية من قيادات تلك الصحوة و ورموزها الجهادية في كل بلد إسلامي .**

وكل متبصر يدرك اليوم . أن مشكلة هذه الأمة ، هي في أن أكثر علمائها قد نكصوا على أعقابهم بين خائن وعاجز. وأن عموم قيادات الصحوة فيها قد اختاروا الاستراحة وقد انعقدت غبار الحرب يبحثون عن حلول وسط مع الجاهلية على قارعة منتصف الطريق.. إنه الوهن : (**حب الدنيا وكراهية الموت**) . وصدق الصادق الأمين .

<u>ثالثا:</u> لقد أثبتت تجارب الشعوب الإسلامية وغير الإسلامية منذ مرحلة الإستعمار، وخاصة بعد الحرب العالمية الثانية وإلى اليوم ، قدرة الشعوب التي أخذت بمنهج المقاومة الشعبية على إرهاق المستعمرين وإجبارهم على الرحيل.

هذا في وقت كان الزخم الحضاري لذلك الإستعمار الأوروبي و الأمريكي والروسي هائلا ، وفي أوج عنفوانه . وكان بمقدوره الاستمرار وتحمل ضربات المقاومة. ومع ذلك أسفرت كل تلك المقاومات عن دحر المستعمرين وهزيمتهم.. في كل مكان .

وفي عالمنا العربي والإسلامي من ذلك الملف تجارب رائدة ، في المغرب ، والجزائر واليمن ، والعراق ، ومصر ، والشام ، وأفغانستان و القفقاس والهند وإندونيسيا وغيرها...

وفي تجاربنا المعاصرة كذلك ، نجد في ملفنا انتصارات الجهاد المجيدة في البوسنة و الشيشان وأفغانستان.. ما يثبت القدرة على الانتصار ودحر العدو. وأما اليوم ونحن نخوض الحرب ضد أمريكا ، فيكفي للمتابع أن يلمس بوادر التصدع والإنهيار والسقوط فيها من جراء عملية واحدة فقط في أحداث الحادي عشر من سبتمبر. وقد أثبتت المواجهات مع الأمريكان في العراق وأفغانستان أخيرا . ومن قبلها في الصومال وفي حرب عاصفة الصحراء ، أن الأمريكان عاجزون عن الحضور والمواجهة على الأرض ، إلا باستخدام عملائهم المرتدين من أبناء جلدتنا. وأن أمجادهم محصورة في نشر الخراب والموت والدمار فوق رؤوس المدنيين من الجو فقط . فكيف لو واجهت

أمريكا مقاومة إسلامية عالمية شاملة في كافة بلاد المسلمين. بل وفي كافة بلاد الدنيا .. وفي عقر دارها ؟ ماذا لديها من حيلة إلا الانسحاب والفرار.؟

وأما عن حلفائها الأوروبيين في الناتو فهم أضعف منها وأهزل عسكريا واقتصاديا واجتماعيا. والحلف بينهم متصدع أصلا .

فالحضارة الغربية عامة والأمريكية خاصة، حضارة هشة عجوز، تعصف بها الأمراض السياسية والاجتماعية والاقتصادية والنفسية، إلى حد يعجب معه المرء كيف استطاعت أن تحيط بنا وتسعى لإعادة استعمارنا. وما ذلك إلا لأن أمتنا قد بلغت بسبب بعدها عن شريعة الله ، حدا من الوهن جعلها قصعة لأولئك الطامعين رغم هزالهم !.

فالمقاومة المسلحة مفروضة شرعا وواقعا ، وهي ممكنة ومضمونة النتائج بإذن الله ، بأدلة الشريعة وشواهد الواقع والتاريخ . ولكنها تحتاج أن تشارك بها جماهير المسلمين عامة، وأن تقودها صحوة إسلامية يقودها علماء وقادة قدوة رواد . مقاومة تنهض بها أمة بكاملها ، وليس عشرات الفدائيين المخلصين.

<u>نحتاج مقاومة تكون نهج ومعركة أمة ، وليست طريق وتضحيات نخبة فقط .</u>

وأما انتظار الحلول لأزمات هذا الواقع ، من خلال الطرق المطروحة اليوم في سوق الصحوة ، عبر مدارسها كلها، من أقصى الصوفية إلى أقصى السلفية مرروا بتجارب الأحزاب السياسية الإسلامية وبطروحات الإصلاح والتربية.. فيكفي في استعراض نتيجة تجاربها، وحصاد عطائها عبر أكثر من سبعين سنة حتى الآن أن نستنتج أنها طرق وحلول قد بلغت حد الإفلاس. ولم تقدم حلا لما نحن فيه. بل لم تصل إلى نتائجها وأهدافها الذاتية.

فلا مدارس التربية والتصفية والإصلاح والسلوك ، لا الصوفية منها ولا السلفية ولا التبليغية، تمكنت من إصلاح أفراد المجتمعات . والفساد اليوم عارم، والفسوق منتشر والعقائد مهزوزة ، والأحوال أسوأ اليوم من حالها يوم انطلقت تلك المدارس بكثير.

ولم تستطع الأحزاب الإسلامية السياسية التي قصدت الوصول إلى السلطة من أجل إقامة حكم الشريعة أن تصل إلا إلى السجون والمعتقلات ، ثم إلى نقض المناهج التي أرساها المؤسسون الأوائل رحمهم الله . ثم وصلت إلى الارتماء على أعتاب السلطات الغاشمة في أدوار سياسية هامشية مخجلة. هذا ناهيك عن المتاهة التي أضاعت فيها أسس عقيدة التوحيد بدعوى المصلحة والتدرج .

والحل واضح عقلا ومنطقا كما هو ثابت دينا وشرعا:

يجب أن يقام شرع الله على أنقاض الجاهلية والردة الحاكمة ، وعلى فلول جحافل المستعمرين الغزاة.

وعندما يقوم حكم الله .. يزع الله بالسلطان ما لا يزع بالقرآن كما قال سيدنا عثمان رضي الله عنه.

ولم يقم في تاريخ البشرية حكم ، ولم تؤسس دولة، ولا نهضت حضارة قديمة ولا حديثة ، إلا على أسنة الحراب، وتحت ظلال السيوف. وفي تجارب المؤمنين والكافرين على حد سواء عبر التاريخ أكبر برهان. ومن هالته هذه الحقيقة فليقرأ التاريخ ، فإن لم يبصرها ويفهمها فليراجع عقله. وهذه دولة إسرائيل وحضارة أوروبا الغربية المعاصرة وأمجاد أمريكا اليوم آخر الأدلة على قيام الدول ونشوء الحضارات.

والخلاصة:

إن حكم الشريعة ومقتضى أحكام دين الله في واقع المسلمين اليوم وأزماته الشرعية والدنيوية، تفيد أن الجهاد هو الحل، وأن سبيله الوحيد في قيام المقاومة الإسلامية العالمية المسلحة، وفي المواجهة الشاملة مع أعدائنا المحتلين وحلفائهم المرتدين والمنافقين.

ليس من حل إلا في دروب الشهادة. في أن يطلب شباب هذه الأمة الموت كي توهب لهم ولأمتهم الحياة. كما قال تعالى: ﴿ قَاتِلُوهُمْ يُعَذِّبْهُمُ اللَّهُ بِأَيْدِيكُمْ وَيُخْزِهِمْ وَيَنْصُرْكُمْ عَلَيْهِمْ وَيَشْفِ صُدُورَ قَوْمٍ مُؤْمِنِينَ ﴾ (التوبة:14) .

وعندها فقط ﴿ وَيَوْمَئِذٍ يَفْرَحُ الْمُؤْمِنُونَ * بِنَصْرِ اللَّهِ ﴾ (الروم: 4/5) .

وعندها ترى ﴿ النَّاسَ يَدْخُلُونَ فِي دِينِ اللَّهِ أَفْوَاجاً ﴾ (النصر:2) .

وعندها تقام الصلاة ويحكم العدل ويؤمر بالمعروف وينهى عن المنكر، وتصح العقائد ويتهذب السلوك. لأن أولياء الله قد مكنوا في الأرض وأقاموا شرعه كما قال تعالى: ﴿ الَّذِينَ إِنْ مَكَّنَّاهُمْ فِي الْأَرْضِ أَقَامُوا الصَّلاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ وَأَمَرُوا بِالْمَعْرُوفِ وَنَهَوْا عَنِ الْمُنْكَرِ وَلِلَّهِ عَاقِبَةُ الْأُمُورِ ﴾ (الحج:41).

وقبل أن نخوض في لب هذا الكتاب لنعرض وجهة نظرنا في كيفية هذا الجهاد وطرق المقاومة ومنهجها، وهو ما نعتقد أنه مقدمة الحل بإذن الله ، سنمر بعدد من الفصول التمهيدية وصولا إلى الفصل الثامن الذي يشتمل على ذلك إن شاء الله.

ونستهل ذلك باستعراض تاريخ صراعنا الأزلي مع الروم وجذوره منذ قام الصراع بين الحق والباطل على هذه الأرض وذلك هو الفصل التالي وقصة مسار ذلك الصراع من أيام قابيل إلى أيام بوش ، حيث ما زال الباطل يصرخ في وجه الحق: ﴿ **لأقتلنك** ﴾.

لأن فهم التاريخ يشكل أساس فهم الواقع الذي يشكل إدراكه أساس استلهام خطى المستقبل.

الفصل الثالث
جذور النظام الدولي ومسار الصراع
من (قابيل) إلى (جورج بوش)

قال الله تعالى:

﴿ وَاتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ ابْنَيْ آدَمَ بِالْحَقِّ إِذْ قَرَّبَا قُرْبَاناً فَتُقُبِّلَ مِنْ أَحَدِهِمَا وَلَمْ يُتَقَبَّلْ مِنَ الْآخَرِ قَالَ لَأَقْتُلَنَّكَ ﴾

(المائدة:27)

روى أبو داود عن ثوبان أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: (**ثم يوشك الأمم أن تداعى عليكم كما تداعى الأكلة إلى قصعتها فقال قائل ومن قلة نحن يومئذ قال بل أنتم يومئذ كثير ولكنكم غثاء كغثاء السيل ولينزعن الله من صدور عدوكم المهابة منكم وليقذفن الله في قلوبكم الوهن فقال قائل يا رسول الله وما الوهن قال: حب الدنيا وكراهية الموت**).

الفصل الثالث:

﴿ جذور النظام الدولي ومسار الصراع

من قابيل إلى جورج بوش[1] ﴾

يشكل الاستعراض الموجز لمسار الصراع منذ تقاتل ولدا آدم عليه السلام وقتل الشرير منهما (قابيل) أخاه الصالح (هابيل)، وإلى قيام النظام العالمي الجديد بقيادة الولايات المتحدة الأمريكية على مبادئ (صراع الحضارات) وحتمية تصفية بعضها لبعض، يشكل ملخصا لجذور النظام العالمي الجديد، وبمعنى أدق استعراضا لتاريخ النظام الدولي وصراع أطرافه إلى أن استقر صراعا بين المسلمين والروم كأبرز أوجه الصراع الدائم في تاريخ البشرية الوسيط والحديث.

وسأوجز في هذه النبذة تحت هذا العنوان ما يؤدي الغرض كتوطئة تاريخية لأفكار هذا الكتاب الذي يشتمل على دعوة المقاومة الإسلامية العالمية ومنهجها وطريقتها .

بدايات الصراع (قال: لأقتلنك) :

لقد قص علينا القرآن الكريم خبر اعتداء ولد آدم الأول على أخيه وقتله إياه بعد وعيده الصريح وإقدامه بذلك على سن سنة القتل في بني البشر. قال تعالى: ﴿ وَاتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ ابْنَيْ آدَمَ بِالْحَقِّ إِذْ قَرَّبَا قُرْبَاناً فَتُقُبِّلَ مِنْ أَحَدِهِمَا وَلَمْ يُتَقَبَّلْ مِنَ الْآخَرِ قَالَ لَأَقْتُلَنَّكَ قَالَ إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ اللَّهُ مِنَ الْمُتَّقِينَ * لَئِنْ بَسَطْتَ إِلَيَّ يَدَكَ لِتَقْتُلَنِي مَا أَنَا بِبَاسِطٍ يَدِيَ إِلَيْكَ لِأَقْتُلَكَ إِنِّي أَخَافُ اللَّهَ رَبَّ الْعَالَمِينَ * إِنِّي أُرِيدُ أَنْ تَبُوءَ بِإِثْمِي وَإِثْمِكَ فَتَكُونَ مِنْ أَصْحَابِ النَّارِ وَذَلِكَ جَزَاءُ الظَّالِمِينَ * فَطَوَّعَتْ لَهُ نَفْسُهُ قَتْلَ أَخِيهِ فَقَتَلَهُ فَأَصْبَحَ مِنَ الْخَاسِرِينَ ﴾. (المائدة: 27 - 30).

وبصرف النظر هنا عما خاضت فيه بعض روايات التفاسير من أسباب القتل ، و الاكتفاء بالسبب الظاهر الذي ذكرته الآيات حيث اتقدت نار الحقد في صدر الشرير فصرخ متوعدا أخاه بقوله (لأقتلنك)! فإنا نجد أن تلك النار المتأججة في صدره لم يخمدها رد الأخ الصالح بما احتواه من

[1] فكرة الربط بين قابيل وجورج بوش ، ووحدة شعارهما (لأقتلنك) . سمعتها في درس للشيخ (أبو الوليد المصري) – مصطفى حامد –. ومن الأمانة أن أذكر له هذا هنا ، وقد استعرت الفكرة لعنوان هذا الفصل . والرجل من عباقرة الكتاب والمفكرين ومن الدرر التي ضاع قدرها وقيمتها في بحر الأمواج المتلاطمة لمسار الجهاد العربي في أفغانستان . وهو صحفي محترف وكاتب ومؤرخ . ومفكر استراتيجي على مستوى عال . ولا أدري ما مصيره بعد الأحداث . وأسأل الله أن يكون في عافية ، ويبلغه مني السلام ، وأن يدعو لي بظهر الغيب .

الوعظ واللين والتذكير بالله والتخويف من النار، فطوعت له نفسه فعلا أن يقـدم عـلى أول جريمـة على سطح الأرض.

وهكذا سارت مسيرة الشر مع قسم من أولاد آدم فحملوا مهمة سفك الدماء والعدوان والظلم عبر مسار البشرية إلى أن وصلت تلك الراية المضمخة بالدماء إلى أيـدي الحضـارة الغربيـة ووريثتهـا المتجبرة أمريكـا لتتبنـى نظريـة صراع الحضـارات ، تلـك النظريـة التـي مفادهـا أن الأرض لا تتسـع لحضارات متناقضة، ولابد من أن الصراع الحتمي سيجعلها تصفي بعضها بعضاً، وأنه إن كان بإمكان الحضارة الغربية ذات الطابع النصراني الصليبي والنظرية الإقتصادية الرأسمالية والفلسفة العلمانيـة الإباحية والنهج السياسي القائم على الديمقراطية، بإمكانهـا أن تتعـايش مـع بعـض الحضـارات فـإن صدامها مع الحضارة الإسلامية عدوها الذي افترضته بعد قضائها على حضارة الشرق السـوفيتية هـو صدام حتمي. حيث اعتقدت أمريكا وراحت تجر وراءهـا أوروبـا الغربيـة وروسـيا المنهـارة ودول (حلف وارسو) اللاهثة من أجل دخول الناتو للاعتقـاد بـأن عليهـا إزالـة حضـارة الإسـلام والمسـلمين وفرض سياستها وهيمنتها وثقافتها وفلسفتها الكافرة على شعوبهم.

وهكذا استعلن بوش بأنه يقود حرباً صليبيةً مقدرة له من قبل الرب الذي اختاره لها بعـد أن شفاه من الإدمان على الخمـر!! كـما اسـتعلن معـاونوه الصـليبيون المتصـهينين بـالقول بـأنهم ورثـة الحضارة الرومانية المسيحية وأن أعداءها في التاريخ ـ يقصد المسـلمين ـ هـم أعـداؤها في الحـاضر والمستقبل.

ومن هنا تحركت أمريكا عـلى كافـة الصـعد لتفـرض عـلى العـالم مـا أسـموه (النظـام العـالمي الجديد) منذ انفراط عقد الإتحاد السوفيتي مطلع العقد الأخير من القرن العشرين.

ليسير وفق أحلام المنظرين المتصهينين الأمريكان من أمثال (كيسنجر) و(هينينغتون) و(ولـف) وغيره.. الذين صرحوا بأن على أمريكا أن تعمل ليكون القرن الحادي والعشرين مطلع الألفية الثالثة قرنا أمريكيا.. وهكذا.. عاد شعار الشر (لأقتلنك) ليرتفع مع رايات الإجرام الأمريكية مهددا كـل مـن يقف في وجه هجمة الطمع والطغيان الأمريكية المعاصرة وخاصة كـل قـوى المقاومـة والمواجهـة في ديار الإسلام والمسلمين..

محطات من تاريخ الصراع وجذوره من خلال قصص الأنبياء وأتباعهم:

انتشر أبناء آدم.. وعبدوا الله على دين التوحيد كما علمهم أبوهم عليه السلام.. ثم تطاول العهد و اجتالتهم الشياطين يمينا وشمالا عن الصراط السوي ودب فيهم الشرك والظلم والطغيان..

فأرسل الله الرسل تباعا.. مبشرين ومنذرين في كل أمة كما أخبر تعالى: ﴿ إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ بِالْحَقِّ بَشِيراً وَنَذِيراً وَإِنْ مِنْ أُمَّةٍ إِلَّا خَلا فِيهَا نَذِيرٌ ﴾ (فاطر/24).

لقد كان من أكبر أسباب تمسك المشركين بشركهم: تقليد الآباء، وطاعة الكبراء، والتزام العادات وما ألفته النفوس، و إتباع الشهوات، وأساس كل ذلك جري السادة والملأ من الكبراء ورجال الدين الفاسدين وراء المصالح. وتعطيل العامة لعقولهم و إتباعهم لكبرائهم رهبا ورغبا.. وهكذا أخبرنا تعالى: ﴿ ثُمَّ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا تَتْرَا كُلَّ مَا جَاءَ أُمَّةً رَسُولُهَا كَذَّبُوهُ فَأَتْبَعْنَا بَعْضَهُمْ بَعْضاً وَجَعَلْنَاهُمْ أَحَادِيثَ فَبُعْداً لِقَوْمٍ لا يُؤْمِنُونَ ﴾ (المؤمنون:44) .

لقد كانت خلاصة دعوة الأنبياء وأساس عقيدتهم واحدة :

﴿ وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولاً أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ فَمِنْهُمْ مَنْ هَدَى اللَّهُ وَمِنْهُمْ مَنْ حَقَّتْ عَلَيْهِ الضَّلالَةُ فَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكَذِّبِينَ ﴾ (النحل:36) .. وكذلك كانت ردود الكفرة والملحدين على رسلهم متشابهة واحدة.. وتنوعت أشكال الصراع وقصص تلك المواجهات الدامية.. ولكن أساس صورتها كانت شديدة التشابه، فأهل الحق يعبدون الله ويوحدونه و ويريدون تعبيد الخلق له.. والكفار بزعامة سادتهم وكبرائهم وكهانهم وعلماء سلاطينهم وأصحاب المصالح فهم يعبدون الطواغيت والأهواء ويريدون صرف الناس عن الحق.. فيعذبون أهله ويطاردونهم.

وتكررت شعارات الشر ووعيده.. لنخرجنكم.. لنرجمنكم.. لنقتلنكم.. لنسجننكم.. وهكذا كان منذ قالها الأخ الشرير لأخيه الصالح: (لأقتلنك)..

فأما نوح عليه السلام أول الرسل فقد صبر على قومه قرابة ألف سنة وكان جزاؤه وعيدهم الدائم

﴿ قَالُوا لَئِنْ لَمْ تَنْتَهِ يَا نُوحُ لَتَكُونَنَّ مِنَ الْمَرْجُومِينَ ﴾ (الشعراء:116).

وهؤلاء قوم إبراهيم عليه السلام يقولون لأبي الأنبياء كما قص علينا تبارك وتعالى: ﴿ فَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِ إِلاّ أَنْ قَالُوا اقْتُلُوهُ أَوْ حَرِّقُوهُ فَأَنْجَاهُ اللَّهُ مِنَ النَّارِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴾

(العنكبوت:24) . ، حتى أبوه قال له:
﴿ قَالَ أَرَاغِبٌ أَنْتَ عَنْ آلِهَتِي يَا إِبْرَاهِيمُ لَئِنْ لَمْ تَنْتَهِ لَأَرْجُمَنَّكَ وَاهْجُرْنِي مَلِيّاً ﴾ (مريم:46) .

وهؤلاء قوم شعيب عليه السلام يتهددونه وأتباعه : ﴿ قَالَ الْمَلأُ الَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا مِنْ قَوْمِهِ لَنُخْرِجَنَّكَ يَا شُعَيْبُ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَكَ مِنْ قَرْيَتِنَا أَوْ لَتَعُودُنَّ فِي مِلَّتِنَا قَالَ أَوَلَوْ كُنَّا كَارِهِينَ ﴾ (الأعراف:88) .. و زادوه من الوعيد : ﴿ قَالُوا يَا شُعَيْبُ مَا نَفْقَهُ كَثِيراً مِمَّا تَقُولُ وَإِنَّا لَنَرَاكَ فِينَا ضَعِيفاً وَلَوْلا رَهْطُكَ لَرَجَمْنَاكَ وَمَا أَنْتَ عَلَيْنَا بِعَزِيزٍ ﴾ (هود:91) .

وأما قوم لوط عليه السلام فكذلك قولهم: ﴿فَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِ إِلَّا أَنْ قَالُوا أَخْرِجُوا آلَ لُوطٍ مِنْ قَرْيَتِكُمْ إِنَّهُمْ أُنَاسٌ يَتَطَهَّرُونَ﴾ (النمل:56) .

إلى أن جاء موسى عليه السلام وقص القرآن علينا قصة صراعه الطويل مع فرعون وقومه حيث أعلن الفرعون عن أصل المشكلة : ﴿ قَالَ لَئِنِ اتَّخَذْتَ إِلَهاً غَيْرِي لأَجْعَلَنَّكَ مِنَ الْمَسْجُونِينَ ﴾ (الشعراء:29) .
﴿ وَقَالَ الْمَلَأُ مِنْ قَوْمِ فِرْعَوْنَ أَتَذَرُ مُوسَى وَقَوْمَهُ لِيُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ وَيَذَرَكَ وَآلِهَتَكَ قَالَ سَنُقَتِّلُ أَبْنَاءَهُمْ وَ نَسْتَحْيِي نِسَاءَهُمْ وَإِنَّا فَوْقَهُمْ قَاهِرُونَ ﴾ (الأعراف:127) .

ثم أخبرنا القرآن الكريم بما كان من سلوك بني إسرائيل وكبرائهم وكهانهم الفسقة الفاسدين مع أنبيائهم : ﴿ وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ وَقَفَّيْنَا مِنْ بَعْدِهِ بِالرُّسُلِ وَآتَيْنَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ الْبَيِّنَاتِ وَأَيَّدْنَاهُ بِرُوحِ الْقُدُسِ أَفَكُلَّمَا جَاءَكُمْ رَسُولٌ بِمَا لا تَهْوَى أَنْفُسُكُمُ اسْتَكْبَرْتُمْ فَفَرِيقاً كَذَّبْتُمْ وَفَرِيقاً تَقْتُلُونَ ﴾ (البقرة:87) .

إلى أن جاء نبي الله عيسى عليه السلام فمكر به الأحبار والرهبان من اليهود وسعوا إلى الحاكم الروماني لقتله وصلبه فنجاه الله منهم (**وما قتلوه وما صلبوه**) فطاردوا أتباعه على مدى قرنين من الزمان قتلا وتشريدا حيث ذكر القرآن إحدى صور تلك المعاناة في قصة أصحاب الأخدود : ﴿ قُتِلَ أَصْحَابُ الْأُخْدُودِ* النَّارِ ذَاتِ الْوَقُودِ * إِذْ هُمْ عَلَيْهَا قُعُودٌ * وَهُمْ عَلَى مَا يَفْعَلُونَ بِالْمُؤْمِنِينَ شُهُودٌ * وَمَا نَقَمُوا مِنْهُمْ إِلاّ أَنْ يُؤْمِنُوا بِاللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ ﴾ (البروج 4 / 8)
إلى أن جاءت الرسالة الخاتمة فكان من أمر كفار قريش مع نبي الرحمة صلى الله عليه وسلم ومع أتباعه ما غطته روايات السيرة وخلدته آيات القرآن ونصوص السنة ليتلخص التهديد بإخباره

تعالى بخلاصة مكر أعداء الله بالمؤمنين في كل زمان ومكان : ﴿ وَإِذْ يَمْكُرُ بِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِيُثْبِتُوكَ أَوْ يَقْتُلُوكَ أَوْ يُخْرِجُوكَ وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ اللَّهُ وَاللَّهُ خَيْرُ الْمَاكِرِينَ ﴾ (الأنفال:30) سجن أو قتل أو تشريد وهذا ما يحصل اليوم من قبل أمريكا وحلفائها من الكفار والمرتدين في كل من يفكر بمقاومتهم والوقوف في وجه طغيانهم..

عبر وملاحظات:

إن الدارس لقصص الأنبياء بدءا من دعوة نوح عليه السلام و انتهاء بالسيرة العطرة لسيدنا المصطفى عليه الصلاة والسلام كما غطتها نصوص القرآن والسنة النبوية على صاحبها أفضل الصلاة والسلام يخرج بعبر ودروس لا تنتهي عن مسير الصراع مع الباطل. كما أن دراسة التاريخ البشري عموما والإسلامي خصوصا تعطي أفضل الدروس وأوضحها عن مسيرة هذا الصراع عبر التاريخ وفي حدود الإيجاز الذي نحن بصدده نذكر من ذلك:

1. **عدم إمكانية عيش قوى الخير والشر في مكان واحد:**

فرغم أن أسرة آدم عليه السلام كانت صغيرة جدا بل الأسرة الوحيدة في الأرض لم تتسع الأرض بكاملها لذلك الأخ الشرير كي يتحمل وجود أخ صالح يتقبل الله منه معه فيها.. فلقد كان بإمكانه أن يقول لأخيه لا أريدك بقربي أخرج إلى أرض أخرى.. إلى جبل آخر.. إلى إقليم آخر.. إلى قارة أخرى.. ولكن لم يجد إلا مقالة:(لأقتلنك).. فالشر لا يتحمل وجود الخير على ظهر الأرض كلها إن استطاع.. وهذه لفتة تفيدنا أن من العبث حقيقة.. ومن مصادمة السنن الكونية ومنطق التاريخ أن يتخيل بعض أهل الحق أن أهل الباطل وقوى الشر تتحمل جوارهم بل مجرد وجودهم..

ومن هنا تسقط كل نظريات التعايش بينهما على كافة الأصعدة..

فلم يمكن لحاكم طاغية عبر التاريخ أن يتحمل وجود من يوحد الله في شعبه ولا يعبده، حتى ولو تركه وشأنه وطغيانه.. كما لا يمكن لدولة جرثومية في بنيتها وفكرتها مثل إسرائيل أن تتحمل قيام دويلة فلسطينية في خاصرتها ولو بمواصفات ممسوخة على جزء من أرض فلسطين ، حتى ولو سلمت هذه الدويلة لإسرائيل بكل ما سلبته منها واعترفت بشرعيتها الغير مشروعة أصلا. وهذا ما أثبته المسار السخيف لاتفاقيات السلام بدءا من (أوسلو) ومرورا بـ (مدريد) وغيرها وانتهاء بـ (خارطة الطريق) إلى الهاوية..

كما أثبتت التجارب السياسية في كافة الدول الإسلامية أن قوى الكفر والعلمنة والإلحاد والتغريب لم تتحمل وجود قوى أصولية وأحزاب إسلامية معها تحت قبة البرلمان، إلا ممسوخة مدجّنة مسيّرة. وقد رفضتها حتى مع حالتها هذه في الغالبية الساحقة من التجارب.. فمن السذاجة

أن يتصور بعض الإسلاميين تلك الرقعة المحدودة تحت قبة البرلمان تتسع لقوى الإيمان والكفر بالله في ألوهيته و ربوبيته، وهي تتعايش بسلام. حيث لم تتسع الأرض كاملة لجوار الحق والباطل. حيث ما لبث الباطل أن صرخ بالحق (لأقتلنك)..

2. إن الشر لا يندفع بالمواعظ وتحريك الضمير وإنما بمقاومته وقطع دابره:

فلم ينفع قابيل أن ذكّره أخاه بأنه مسالم له، وأنه لم يحرك يده ضده ، وتذكيره بالخوف من الله ، وتوعّده بالنار جزاء للظالمين..

فقال تعالى: ﴿ فَطَوَّعَتْ لَهُ نَفْسُهُ قَتْلَ أَخِيهِ فَقَتَلَهُ فَأَصْبَحَ مِنَ الْخَاسِرِينَ ﴾ (المائدة:30) . ثم قال تعالى: ﴿ مِنْ أَجْلِ ذَلِكَ كَتَبْنَا عَلَى بَنِي إِسْرائيلَ أَنَّهُ مَنْ قَتَلَ نَفْساً بِغَيْرِ نَفْسٍ أَوْ فَسَادٍ فِي الْأَرْضِ فَكَأَنَّمَا قَتَلَ النَّاسَ جَمِيعاً وَمَنْ أَحْيَاهَا فَكَأَنَّمَا أَحْيَا النَّاسَ جَمِيعاً وَلَقَدْ جَاءَتْهُمْ رُسُلُنَا بِالْبَيِّنَاتِ ثُمَّ إِنَّ كَثِيراً مِنْهُمْ بَعْدَ ذَلِكَ فِي الْأَرْضِ لَمُسْرِفُونَ ﴾ (المائدة:32)..

ولأن العبرة في الجرأة على القتل لا بكمية القتل.. فمن قتل نفسا زورا وطغيانا وظلما فهو مستعد لقتل غيرها لنفس الدوافع. وهذا ما أثبتته هذه الحضارة الغربية البربرية الهمجية التي تسود صفحات تاريخها بقصص مروعة من الجرائم.

فمنذ انطلقت حملة الكشوف الجغرافية بتفويض ومباركة من بابا الفاتيكان مطلع القرن السادس عشر، تركت الدول النصرانية الأوروبية وراءها قصصا من القتل والفتك بالبشر في القارات الخمسة الأخرى تشيب لها الولدان.

لقد أباد الغرب أعراقا وأمما بكاملها في الأمريكيتين وأستراليا، وارتكب عبر التاريخ منذ ذلك الوقت وإلى يومنا هذا فضائع جاوزت ضحاياها مئات الملايين من البشر.. بل لقد أباد الأوروبيون بعضهم بعضا في صراعهم على عائدات الاستعمار وعلى المصالح والسياسات المختلفة فقتل في الحرب العالمية الأولى نحو 8 مليون نسمة. وأفنى الأوروبيون فيما بينهم بالإضافة للروس والأمريكان واليابان نحو 82 مليون إنسان في الحرب العالمية الثانية . حيث قصفوا المدن على رؤوس المدنيين وجعلوهم حقل تجارب لمخترعاتهم العسكرية الفاتكة وانفردت أمريكا بتجريب أول قنبلتين نوويتين في التاريخ الحديث فقتلت زهاء ربع مليون نفس في لحظات ! ..

ولعلم الله بأن في بني الإنسان أمثال هؤلاء.. شرع الجهاد والدفع فقال تعالى: ﴿ أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَاتَلُونَ بِأَنَّهُمْ ظُلِمُوا وَإِنَّ اللَّهَ عَلَى نَصْرِهِمْ لَقَدِيرٌ * الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ بِغَيْرِ حَقٍّ إِلا أَنْ

يَقُولُوا رَبُّنَا اللَّهُ وَلَوْلا دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُمْ بِبَعْضٍ لَهُدِّمَتْ صَوَامِعُ وَبِيَعٌ وَصَلَوَاتٌ وَمَسَاجِدُ يُذْكَرُ فِيهَا اسْمُ اللَّهِ كَثِيراً وَلَيَنْصُرَنَّ اللَّهُ مَنْ يَنْصُرُهُ إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ ﴾(الحج:39/ 40) .

وقال تعالى عنهم: ﴿ لا يَرْقُبُونَ فِي مُؤْمِنٍ إِلّاً وَلا ذِمَّةً وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُعْتَدُونَ ﴾.(التوبة:10). ولذلك قال: ﴿ فَمَنِ اعْتَدَى عَلَيْكُمْ فَاعْتَدُوا عَلَيْهِ بِمِثْلِ مَا اعْتَدَى عَلَيْكُمْ وَاتَّقُوا اللَّهَ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ مَعَ الْمُتَّقِينَ ﴾ (البقرة/194)

ولهذا شرع الجهاد وفرض الإعداد، إعداد القوة بهدف (الإرهاب) ، نعم إرهاب هذا الجنس النكد المعتدي من أبناء آدم حيث ما وجدوا . ولذلك أمر تعالى بوضوح وصراحة ﴿ وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ وَمِنْ رِبَاطِ الْخَيْلِ ﴾ وحدد الهدف بصراحة مكملاً: ﴿ تُرْهِبُونَ بِهِ عَدُوَّ اللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ وَآخَرِينَ مِنْ دُونِهِمْ لا تَعْلَمُونَهُمُ اللَّهُ يَعْلَمُهُمْ ﴾ (الأنفال:60)

والآيات بهذا المعنى كثيرة.. لقد علم الله أن هذا الجنس الشرير القاتل من بني البشر يجب أن يردعوا . وأن تستأصل شأفتهم إن لم يردعوا، وألا يسمح لهم بالعيش إلا تحت الذلة والصغار يدفعون الجزية عن يد وهم صاغرون ، وأن أكثره لا يستقيم إلا ما دمت عليه قائماً.. وهكذا أثبت التاريخ وصدق الله العظيم:

﴿ أَلا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ ﴾ (الملك:14) .

الصراع بين الحق والباطل أزلي. كان وسيستمر. وأعداء الحق على مر التاريخ هم الملأ المستكبرون من الحاشية والأعوان وكهنة السلطان:

منذ نشأ الشرك.. وقامت نواة السلطة وتكون الطغيان ارتبطت مصالح السلطان والطاغوت بمصالح أهل الأموال والدنيا بزيف سدنة الضلال من الكهان، فصار لهم الملأ، وحرسهم الأعوان.. وكثيرا ما أطلق القرآن الكريم على هذه الثلة أداة الشيطان في وجه أهل الحق لفظ (الملأ) أو لفظ (الذين استكبروا) أو لفظ (الذين أترفوا)..

نعم بدأ هذا الصراع منذ قابيل واستمر مع المتكبرين من قوم نوح ثم ما تلاه من الأنبياء عليهم السلام ممن قص علينا القرآن ذكرهم إلى تفصيلات ذلك في قصة موسى عليه السلام مع عدو الله فرعون إلى قوى الكفر وأصحاب المصالح ممن سعوا في قتل المسيح فأنجاه الله، وصولا لدعوة خاتم الأنبياء عليه الصلاة والسلام.. واستمر بعد ذلك كما سنبين عبر التاريخ الإسلامي بين دول الكفر ودولة الإسلام.. وبين قوى الحق والصلاح وقوى الاستكبار والظلم والجور داخل دولة الإسلام ذاتها، منذ أن افترق السلطان والقرآن.. كما أخبر سيد المرسلين صلى الله عليه وسلم..

قال الله تعالى: ﴿ لَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحاً إِلَى قَوْمِهِ فَقَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ * قَالَ الْمَلَأُ مِنْ قَوْمِهِ إِنَّا لَنَرَاكَ فِي ضَلالٍ مُبِينٍ ﴾ الأعراف 59 ـ 60.

﴿ وَإِلَى عَادٍ أَخَاهُمْ هُوداً قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ أَفَلا تَتَّقُونَ * قَالَ الْمَلَأُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَوْمِهِ إِنَّا لَنَرَاكَ فِي سَفَاهَةٍ وَإِنَّا لَنَظُنُّكَ مِنَ الْكَاذِبِينَ ﴾ الأعراف 65 ـ 66.

﴿ وَإِلَى ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَالِحاً قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ قَدْ جَاءَتْكُمْ بَيِّنَةٌ مِنْ رَبِّكُمْ ﴾ الأعراف 73.

﴿ قَالَ الْمَلَأُ الَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا مِنْ قَوْمِهِ لِلَّذِينَ اسْتُضْعِفُوا لِمَنْ آمَنَ مِنْهُمْ أَتَعْلَمُونَ أَنَّ صَالِحاً مُرْسَلٌ مِنْ رَبِّهِ قَالُوا إِنَّا بِمَا أُرْسِلَ بِهِ مُؤْمِنُونَ * قَالَ الَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا إِنَّا بِالَّذِي آمَنْتُمْ بِهِ كَافِرُونَ ﴾ (الأعراف: 75-76)

﴿ وَإِلَى مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْباً قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ ﴾ (الأعراف:85). ﴿ قَالَ الْمَلَأُ الَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا مِنْ قَوْمِهِ لَنُخْرِجَنَّكَ يَا شُعَيْبُ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَكَ مِنْ قَرْيَتِنَا أَوْ لَتَعُودُنَّ فِي مِلَّتِنَا قَالَ أَوَلَوْ كُنَّا كَارِهِينَ ﴾ (الأعراف/88).

ثم إلى قصة فرعون وملئه وموقفهم من سيدنا موسى عليه السلام إلى قريش والسادة الملأ الذين استكبروا وتجبروا حتى قذفوا بالقليب وهكذا.. كما قال تعالى : ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَا فِي قَرْيَةٍ مِنْ نَذِيرٍ إِلَّا قَالَ مُتْرَفُوهَا إِنَّا بِمَا أُرْسِلْتُمْ بِهِ كَافِرُونَ ﴾ (سبأ:34) .

﴿ وما أكثر الناس ولو حرصت بمؤمنين ﴾ :

هكذا أخبر ربنا تبارك وتعالى عن أهل الحق بأنهم الثلة والقلة في كل قوم عبر التاريخ على مستوى الأرض وعلى مستوى كل قوم وإزاء كل دعوة حق.. وهكذا أثبتت عبر تاريخ كل الدعوات المؤمنة وكل دعوة حق.. فقد دعا نوح قومه ألف سنة إلا خمسين عاما، فما آمن معه إلا قليل..

وقد ذكر المفسرون أرقاما أقلها أولاده الثلاثة، وأعلاها ثمانون.. وأقواها اثني عشر مؤمنا!!. فالمسلمون في الكفار قليل.. والمؤمنون في المسلمين قليل.. وقليل من عباد الله الشكور.. والمقربون ثلة من الأولين وقليل من الآخرين.. وأصحاب اليمين في أهل الإسلام ثلة من الأولين وثلة من الآخرين..

3. **إنك لا تهدي من أحببت ولكن الله يهدي من يشاء ولا رابطة بين مؤمن وكافر:**

أخبر الله سبحانه وتعالى رسوله صلى الله عليه وسلم بأنه يهدي من يشاء وأنه ليس له من الأمر شيء وقال له : ﴿ إِنَّكَ لا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ ﴾ (القصص:56) .

والآيات في هذا المعنى كثيرة جدا والله أعلم بمن هو أهل للرحمة والهدى.. ﴿ فَإِنَّ اللَّهَ يُضِلُّ مَنْ يَشَاءُ وَيَهْدِي مَنْ يَشَاءُ فَلا تَذْهَبْ نَفْسُكَ عَلَيْهِمْ حَسَرَاتٍ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِمَا يَصْنَعُونَ ﴾ (فاطر: 8) .

كما قررت العقيدة بصرامة أن لا رابطة بين مؤمن وكافر فقال تعالى :

﴿ إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ ﴾ (الحجرات: 10) وقال تعالى : ﴿ وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ ﴾ (التوبة: 71). وكذلك : ﴿ وَالَّذِينَ كَفَرُوا بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ ﴾ (الأنفال: 73). وهكذا انفصلت علاقة الأبوة على أساس الكفر والإيمان فقال تعالى يقطع العلاقة بين نوح عليه السلام وابنه الكافر: ﴿ قَالَ يَا نُوحُ إِنَّهُ لَيْسَ مِنْ أَهْلِكَ إِنَّهُ عَمَلٌ غَيْرُ صَالِحٍ ﴾ (هود: 46) .

كما انفصلت علاقة البنوة بين إبراهيم وأبيه فقال تعالى: ﴿ وَمَا كَانَ اسْتِغْفَارُ إِبْرَاهِيمَ لِأَبِيهِ إِلَّا عَنْ مَوْعِدَةٍ وَعَدَهَا إِيَّاهُ فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُ أَنَّهُ عَدُوٌّ لِلَّهِ تَبَرَّأَ مِنْهُ إِنَّ إِبْرَاهِيمَ لَأَوَّاهٌ حَلِيمٌ ﴾ (التوبة:114) .

وكذلك بين الزوج وزوجه ﴿ ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلاً لِلَّذِينَ كَفَرُوا امْرَأَتَ نُوحٍ وَ امْرَأَتَ لُوطٍ كَانَتَا تَحْتَ عَبْدَيْنِ مِنْ عِبَادِنَا صَالِحَيْنِ فَخَانَتَاهُمَا فَلَمْ يُغْنِيَا عَنْهُمَا مِنَ اللَّهِ شَيْئاً وَقِيلَ ادْخُلا النَّارَ مَعَ الدَّاخِلِينَ ﴾ (التحريم:10) . وبين سبحانه وتعالى أن هذا هو سبيل الأسوة الحسنة فقال: ﴿ قَدْ كَانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ فِي إِبْرَاهِيمَ وَالَّذِينَ مَعَهُ إِذْ قَالُوا لِقَوْمِهِمْ إِنَّا بُرَآءُ مِنْكُمْ وَمِمَّا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ كَفَرْنَا بِكُمْ وَبَدَا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ الْعَدَاوَةُ وَالْبَغْضَاءُ أَبَداً حَتَّى تُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَحْدَهُ إِلَّا قَوْلَ إِبْرَاهِيمَ لِأَبِيهِ لَأَسْتَغْفِرَنَّ

لَكَ وَمَا أَمْلِكُ لَكَ مِنَ اللَّهِ مِنْ شَيْءٍ رَبَّنَا عَلَيْكَ تَوَكَّلْنَا وَإِلَيْكَ أَنَبْنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ ﴾ (الممتحنة:4) .

وكذلك أثنى الله تعالى على صحابة رسوله عندما تمثلوا ذلك وأنزل القاعدة فقال: ﴿ لا تَجِدُ قَوْماً يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَوْ كَانُوا آبَاءَهُمْ أَوْ أَبْنَاءَهُمْ أَوْ إِخْوَانَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ أُولَئِكَ كَتَبَ فِي قُلُوبِهِمُ الْإِيمَانَ وَأَيَّدَهُمْ بِرُوحٍ مِنْهُ وَيُدْخِلُهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ أُولَئِكَ حِزْبُ اللَّهِ أَلا إِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴾ (المجادلة:22) .

هذه نقطة أساسية لفهم الصراع بين الحق والباطل من منظور أهل الإيمان..

وقال: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَتَّخِذُوا آبَاءَكُمْ وَإِخْوَانَكُمْ أَوْلِيَاءَ إِنِ اسْتَحَبُّوا الْكُفْرَ عَلَى الْأِيمَانِ وَمَنْ يَتَوَلَّهُمْ مِنْكُمْ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ * قُلْ إِنْ كَانَ آبَاؤُكُمْ وَأَبْنَاؤُكُمْ وَإِخْوَانُكُمْ وَأَزْوَاجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ وَأَمْوَالٌ اقْتَرَفْتُمُوهَا وَتِجَارَةٌ تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا وَمَسَاكِنُ تَرْضَوْنَهَا أَحَبَّ إِلَيْكُمْ مِنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَجِهَادٍ فِي سَبِيلِهِ فَتَرَبَّصُوا حَتَّى يَأْتِيَ اللَّهُ بِأَمْرِهِ وَاللَّهُ لا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ ﴾ (التوبة: 23 / 24) .

نمو التجمعات البشرية وقيام الممالك.. ونشوء السلطة وقيام النموذج الفرعوني المتكرر عبر التاريخ (حاكم ـ كاهن ـ أعوان):

في بؤر التجمع البشري الأولي بدأت تتكون نويات العشائر من الأسر المتقاربة نسبا ومسكنا، من أولاد الأب الواحد وأولادهم.. ومع تناميها بدأت تتكون القبائل من تجمع العشائر أولاد الجد الواحد..

وبشكل فطري وطبيعي قامت الحاجة لنشوء السلطة ، التي تكونت بشكل تلقائي من كبير الأسرة أو جدها أو شيخها المطاع الذي ترجع إليه القبيلة في شؤونها وحاجتها..

ولما كان اجتماع القبائل على موارد الغذاء والرزق من المياه والمراعي ومواطن الصيد، سرعان ما ضاقت المواقع بأهلها فتباعد الناس في المساكن بحثا عن موارد الرزق نتيجة الحاجة والصراع على تلك الموارد..

فكانت السلطة في تلك المرحلة مكونة من شيخ القبيلة وكبير رجال الدين أو الكهان فيها وكبار رؤوس العشائر أو الأسر وأهل المال أو القوة والبأس..

ومع تفاوت القبائل في حجمها سيطرت القوية منها على من حولها من الأسر والقبائل الضعيفة إما بالتزاوج أو التحالف أو بالبطش والسيطرة.. وبدأت القبائل المتضخمة تأخذ شكل الممالك الصغيرة.. وسرعان ما برزت الحاجة لمستلزمات المُلْك من الأعوان والسلاح والحصون . ونشأت طبقة الملأ والأعوان. وأدوات الملك و نويات مؤسساته..

وكما حصل في تضخم بعض القبائل. تضخمت بعض الممالك لتبتلع من حولها أو تهجِّرها وتسيطر على أرضها.. ومكنت كثرة العدد والموارد بعضها من أن تتحول إلى ممالك قوية تقوم على نظام إقطاعي يسود فيه كبار القادة والملاك الذين يشكلون كبار أعوان الملوك، الذين اتسع مع اتساع الموارد والسلطان مدى نفوذهم وبالتالي مظاهر سلطانهم من كثرة الجند والسلاح وإنشاء القلاع والحصون والأسوار على مدنهم وممالكهم.. ونشأ ت أنظمة اجتماعية واقتصادية وسياسية بحسب حال كل مملكة، وبالطبع كان لكل مملكة دينها ومعتقداتها وبالتالي نشأت طبقة رجال الدين والكهان الذين يديرون الحياة الدينية لكل مملكة..

وكما توسعت القبائل توسعت الممالك . وقام الصراع على النفوذ والسلطان أو الموارد والأراضي وسوى ذلك من متاع الدنيا.. فقامت الحروب بين الممالك وابتلع الأقوياء الضعفاء فبدأت تتكون الممالك الكبرى التي ازدهرت فيها حضارات عظيمة في مختلف مناطق الأرض على يد أولئك الملوك الأقوياء.. واضطرت الممالك الصغرى إلى الدخول في حمايتها أو الذوبان فيها أو الرحيل من جوارها إلى مناطق أخرى.. فتوسعت تلك الممالك لتصل إلى حجم الإمبراطوريات في بعض الأحيان..

ونتيجة الظلم ، والتنوع العرقي والديني في مكونات الإمبراطوريات ، أو الممالك الكبرى ، ونتيجة الصراع فيما بينها ، تفككت في كثير من الأحيان تلك الإمبراطوريات والممالك الكبيرة إلى مكونات أخرى من الممالك الصغيرة ، وعادت إلى مستوى المملكة أو الإمارة أو حتى القبيلة لتعاود دورة التاريخ سيرها معها بأشكال مختلفة فتتسع وتمتد ثم تتفكك وتتحلل.. وهكذا دواليك..

* قيام النموذج الفرعوني ومثلث السلطة: (الحاكم ـ الكاهن ـ الأعوان):

حكم الملوك والزعماء شعوبهم ورعاياهم بالترغيب والترهيب.. فالعطايا والمناصب والمكاسب لمن يطيع السلطان، والبطش والقتل و النكال لمن يخالفه.. ومع الوقت أدرك الملوك والطغاة ما للسيف والذهب ـ أو العصا والجزرة ـ من أثر ناجع في سياسة الناس..

إلا أن دهاة الساسة والملوك الطواغيت ، لفت نظرهم طاعة الناس لرجال لا يملكون سيفا ولا ذهبا، ولا حراسا ولا أعوانا، ولا شيئا من هيلمان السلطان! إنهم رجال الدين والكهان الذين يقبعون في معابدهم ، حيث يأتيهم الناس طواعية ليدفعوا لهم الصدقات ويقربوا بين أيديهم القرابين بلا إجبار، ويقضون لهم المهام و الخدمات، بل ويهبون لهم حياتهم بكل اختيار. حيث لا يحصل الملوك على ذلك من الناس إلا بالسيف والسوط..

فالناس يطيعون الكهان بسبب دواعي الفطرة الكاملة التي فطرها الله في قلوب الناس من السعي لعبادة خالقهم وإرضائه..

فإما يعبد الناس ربهم وفق هدي الأنبياء ، ثم ورثتهم من العلماء ، فيوصلونهم إلى الله على الطريق المستقيم لا يريدون منهم جزاءا ولا شكورا، وإنما هداة ربانيين يبتغون الأجر من الله تعالى.. وإما أن تجتال الشياطين الناس ذات اليمين وذات الشمال فيعبدون الطاغوت ويشركون بربهم ، وتقودهم في هذا الضلال شياطين الإنس والجن من السحرة والكهان ورجال الدين المنحرفين. فينحرف الناس في دروب الضلالة كل أمة بحسب شيطانها وضلالها، ذلك منذ عبد الناس حجارة الطوطم والكواكب والظواهر الطبيعية والحيوانات والنار والأصنام ، أو عبدوا البشر والطواغيت إلى آخر أشكال الشرك المتطورة بحسب تطور المجتمعات..

إن الناس يطيعون كهانهم ورجال الدين فيهم ظنا منهم أنهم يوصلون إلى طاعة خالقهم . فتستريح فطرتهم في عبادة ذلك الخالق ، حيث لا تستريح فطرة ولا تستقر نفس إلا بالركون إلى معبودها بالحق أو بالضلالة..

ولذلك ترى الإنسان مهما سما في مراتب العلم والمعرفة والذكاء ، يخلع عقله وتفكيره مع حذائه على باب المعبد ، ويستعد في غالب الأحيان نفسيا ، لطاعة رجل الدين القابع في داخله ، ليدله على رضا معبوده ويعلمه كيف يعبده ويطيعه. وهو على استعداد لبذل كل غال ونفيس في سبيل هذه الراحة.. وهكذا مازلت ترى اليوم حامل شهادة دكتوراة في أرقى العلوم ، يثني ركبتيه ويبسط راحتيه ساجدا لبقرة أو فأرة أو نار، أو تمثال أصم مزركش ! فيما يرش عليه الكاهن بعض رذاذ الماء من يده المتعفنة ، ويطلق دخان البخور لتغطي على نتنه ونتن معبده.. أو ربما يتبع هذا الحصيف فتوىً عوجاء من رجل دين منافق لسلطانه ، حتى ولو كانت لا تدخل في عقل عنزة. من قبيل إضفاء الشرعية على احتلال النصارى لبلاد الحرم بدعوى الاستعانة ، وجعل من جاهدهم مفسدا في الأرض!! وهكذا كان وما زال ديدن البشر..

وحتى لما ثار الناس مؤخرا على رجال الدين وانخلعوا من أديانهم ، وفروا إلى ظلمات الإلحاد . لم تستقر نفوسهم وما زالوا يتيهون في ظلمات السحر والكهانة والبحث في المغيبات ، والاعتقاد في الأوهام والأشباح والأطباق الطائرة! حتى يسكن هذا العطش الفطري لعبادة رب قادر مهيمن يلجؤون إليه في المهمات!.

أدرك الساسة و دهاة الطواغيت هذه الظاهرة ، وأدركوا أن استيعاب هؤلاء المستحوذين على الطاعة بلا سلطان ولا أعوان أفضل من مواجهتهم . وعلموا أنهم إن خضعوا إليهم خضع لهم القطاع الأكبر من الناس الذين لم يتمكن السيف والسوط ولا الذهب من إخضاع أكثرهم إلا مؤقتا، حيث يكون الأصل في الناس هو التفلت والبغض للسلطان وسيفه وذهبه لولا الخوف والحاجة..

فقرّب رجالُ المُلك رجالَ الدين، وأغدقوا عليهم الذهب والعطايا، و أوعدوا من أبى منهم السيف والعذاب . فطوعوا أكثرهم . فأنشؤوا لهم هيلمانا كهيلمان الملك، فارتفعت قباب المعابد

كما ارتفعت أبراج القصور. وصار لهم الحراس والأعوان والأتباع والخدم. وهكذا انضم رجال الدين إلى الملأ من كبار القواد والأمراء والأعوان وشكلوا الحاشية. وقام التزاوج النكد بين الملوك والكهان ورجال الدين ، هذا التزاوج الذي دمر مستقبل البشرية في معظم تاريخها . وعبّد الناس للطاغوت بدل أن يعبدوا ربهم..

وبهذا اكتمل مثلث السلطة الذي قام على (**الحاكم والكاهن والأعوان**)، وشكل كبار الكهان وكبار الأعوان وجنودهم الظلمة ما اصطلح عليه القرآن بلفظة (الملأ) أو (الذين استكبروا) أو (الذين أترفوا).. وحاز هؤلاء ما شاؤوا ، واستولوا على ما أرادوا من دنيا الناس والشعوب المسحوقة طوعا أو كرها.

وتنوعت أشكال مثلث السلطة بحسب تنوع وتطور المجتمعات والممالك والحضارات.. ولكن التاريخ وآثاره وما تركته تلك الحضارات من شواهد مكتوبة أو ملموسة ، وكذلك ما أخبرتنا به الكتب الدينية السابقة ثم القرآن الكريم ، دلت جميعها على أن مثلث السلطة كان مكونا من هذا الحلف:(**الحاكم والكاهن والأعوان**). حيث كان صلاح الملأ والحاشية دائما بصلاح ذلك السلطان . والعكس بالعكس. فالملوك العادلون قربوا العلماء الصالحين ورجال الدين المخلصين . واستقام تبعا لذلك مسلك الجند والأعوان. وأما الطغاة فقد قربوا المجبرين والفاسدين. وكان الناس دائما على دين ملوكهم..

وهكذا قام الساحر المشعوذ يهيج النار إلى جانب رئيس القبيلة، ويدير الطقوس في المجتمعات البدائية. ثم تطورت الحضارات فقام النموذج الفرعوني الذي فصل القرآن وأفاض في تركيبته وأحواله.. فوقف النمرود وكهان الأصنام لسيدنا إبراهيم عليه السلام حتى رموه في النار ثم هجّروه بعد نجاته، ولما جاء موسى عليه السلام إلى فرعون وقف في وجهه حلف السحرة والأعوان من الملأ إلى جانب الفرعون.. ثم وقف الأحبار والرهبان من اليهود إلى جانب الملوك الطغاة ضد الصالحين في كثير من تاريخهم. فجاء نموذج (بلعام بن باعوراء) الذي قص الله قصته مع القوم الجبارين وملكهم ضد نبي الله والمؤمنين من بني إسرائيل.. ثم جاء اليونان وقامت حضارتهم الوثنية، فكان لها أباطرتها وكهانها وآلهتها وجندهم وملوكهم ، ثم جاء الرومان فورثوا حضارة اليونان بحذافيرها.. وقامت حضارات كثيرة في المشرق والمغرب . وكلها تدل آثارها على نفس المسالك والبنية في مثلث السلطة. (**حاكم وكاهن وأعوان**). ولما جاء سيدنا عيسى عليه السلام وقف الأحبار والرهبان والملأ من بني إسرائيل وأرباب الدنيا والمصالح مع الحاكم الروماني وسعوا في قتله فأنجاه الله منهم.. ثم طارد القياصرة والملوك أتباعه وقتلوهم حتى حفروا لهم الأخدود الذي ذكره القرآن ، وطاردوا أصحاب الكهف وأمثالهم، حتى سمي القرن الأول والثاني الميلادي في التاريخ المسيحي بعصر الشهداء..

ثم غزت النصرانية الإمبراطورية الرومانية ، بعد أن شوهها الرهبان والأحبار اليهود ومزجوها بالوثنية وبعض تعاليم اليهودية..

وتكررت السنّة فكان البابا كبير الرهبان والأحبار النصارى إلى جانب الإمبراطور القيصر.. ونشأ له ما هو معروف من المؤسسة الدينية وسلطانها.. واكتمل على يد النصارى الهيكل الديني الذي صار البابا الأكبر فيه إمبراطورا دينيا متوجا يضاهي الإمبراطور الروماني وملوك أوروبا في ملكهم وذهبهم وحراسهم وحشمهم.. وشهدت أوروبا كثيرا من الحروب والنزاعات بين الملوك والأباطرة العظام وبين البابا وكبار كرادلته ورهبانه وكانت الغلبة دائما للباباوات.. حتى ثار بعض الملوك واتخذوا لأنفسهم باباوات فرعيين غير البابا المركزي.

والتاريخ الأوروبي و الكنسي يقص الفظائع من أفعال مثلث السلطة هذا (الحاكم والكاهن والأعوان) وما فعلوا بالشعوب مما يشيب له الولدان ، ويشابه الأساطير. فقد استلبوا الأموال ، و سفكوا الدماء ، واستحلوا من الأعراض ما شاؤوا. حتى بلغ بهم أن يبيعوا الناس إقطاعات في الجنات من عالم الآخرة!.. حتى ثار الناس على دين البابا ، وإله البابا ، وكفروا وألحدوا ورموا الدين جانبا. لتقوم الحضارة الغربية على مزيج من الإلحاد والعلمانية والنصرانية المتهودة الملوثة. كما يشهدها العالم منذ أكثر من قرنين من الزمن..

فلما جاء دين الله الخاتم وشريعته المحمدية، ركزت العقيدة على ربط العبد بربه وأزالت وألغت دور الكاهن في حياة المسلم الإيمانية. فكان للدين علماء بمنزلة ورثة أنبياء يهدون الناس إلى ربهم بلا جزاء ولا أجر ولا إلزام. حيث يستطيع أي أحد من الناس أن يسلك سبيل طلب العلم ليكون من أهل العلم.. كما قننت الشريعة للسلطان دوره وحقوقه وصلاحياته . وكانت الشريعة فوق الحاكم والمحكوم..

ولكن الذي حصل في أرض الواقع هو ما أخبر به رسول الله صلى الله عليه وسلم من أن أهل الإسلام سيتبعون سنن من كان قبلهم حذو القذة بالقذة.. قالوا يا رسول الله اليهود والنصارى؟ قال فمن؟ (أي فمن إلا هم؟!) لقد تبعهم أهل الإسلام في كثير من الأمور وكان شر ذلك ؛ الإتباع في النظام السياسي وهيكله ، من قيام الملوك والسلاطين ونظامهم الوراثي.. ونشأ هيكل شبيه بهيكل الأحبار والرهبان إلى جانب كل سلطان.. وتماما كما أخبر رسول الله صلى الله عليه وسلم في أحد أحاديث معجزات النبوة فيما روي عنه من حديث حذيفة : (**تكون النبوة فيكم ما شاء الله أن تكون ثم يرفعها إذا شاء أن يرفعها . ثم تكون خلافة على منهاج النبوة .فتكون ما شاء الله أن تكون ثم يرفعها إذا شاء الله أن يرفعها . ثم تكون ملكا عاضا فيكون ما شاء الله أن يكون ثم يرفعها إذا شاء أن يرفعها . ثم تكون ملكا جبريا فتكون ما شاء الله أن تكون ثم يرفعها إذا شاء أن يرفعها . ثم تكون خلافة على منهاج النبوة .ثم سكت**) رواه مسلم.

وفي رواية غاية في الأهمية أوردها ابن حماد في كتاب الفتن من حديث أنس رضي الله عنه قال(**إنها ثم ثم ملك عضوض ثم جبرية ثم طواغيت**).

وفي رواية : عن أنس بن مالك قال : (**إنها ستكون ملوك ثم جبابرة ثم الطواغيت**) .

وهذا الذي حصل في المسلمين منذ رحيل الإستعمار وقيام حكومات الطواغيت لترعى مصالحه وتحكم بشرائعه إلى يومنا هذا... وهكذا سن بنو أمية سنة الملك في الأمة المحمدية وتبعهم بعدهم سلاطين المسلمين وخلفاؤهم (كما اصطلح على تسميتهم اصطلاحاً).. وكذلك كان دأب الملوك والأمراء المسلمين لما تفرقت ممالك بلاد الإسلام إلى دول وممالك شتى..

فكانت النبوة فينا كما حفظت قصتها لنا كتب السيرة العطرة ونصوص السنة.. وكان النبي صلى الله عليه وسلم هو الحاكم السياسي كما أنه مصدر التشريع والتلقي..

فلما قامت الخلافة الراشدة على منهاج النبوة ، قام خليفة رسول الله صلى الله عليه وسلم بأعباء الحكم والسياسة والريادة الدينية، يعاونه أهل الحل والعقد من علماء الصحابة والتابعين.

فلما انقلب الأمر كسروية قيصرية ، وانتقل إلى الملك العضوض، فالملك الجبري استلزم الملك والسلطان مقومات مثلث السلطة من الكهان والأعوان..

فسلك أهل الإسلام في ذلك سنة من كان قبلهم.. فما بالك عند ما تحقق ما ورد به رسول الله صلى الله عليه وسلم من قيام الطواغيت؟..

وهكذا كان إلى جانب كل ملك صالح علماء صالحون وأعوان مقسطون . ونادرا ما مر هذا في التاريخ الإسلامي.. وكذلك قام إلى جانب ملوك الجور من الخلفاء والسلاطين والأمراء المسلمين ، علماء سلطان منحرفون على قدر جور أمرائهم..

إلى أن قام الطواغيت يحكمون المسلمين ، فطغى علماؤهم وابتدعوا وزادوا ونقصوا في دين الله قدر ما استطاعوا . ولم يسلم من عبثهم إلا القرآن الكريم ، الذي تكفل الله بحفظه . وما حفظ من سنته صلى الله عليه وسلم. ومع ذلك لعب علماء السوء دورهم في تحريف الكلم عن مواضعه وسوء التأويل ولي أعناق النصوص، لتوافق أهواء الملوك.. وكان الجند والأعوان من أعوان الظلمة وأصحاب السيطرة رهن إشارة الملوك الذين انتهبوا من دين أولئك العلماء وفتاويهم ما شاؤوا قدر ما استطاعوا..

وهكذا حصل ما أخبر به رسول الله صلى الله عليه وسلم من افتراق القرآن والسلطان.. ومن نعمة الله على أهل مكة الإسلام أن حفظ لهم القرآن بحفظه وقيض لهم من حفظ السنة ونقحها.. وأنعم عليهم ببعض العلماء والعاملين المخلصين في كل ظروف من تقوم بهم حجة الله على خلقه . فوقفوا بالمرصاد لذلك الإنحراف وتحملوا في سبيل الله جبروت الملوك وضريبة مواجهة فقهاء السلاطين وعلماء الضلالة وجهالات وطغيان الجنود والأعوان من أتباع السادة والكبراء.

وهكذا كان إلى جانب كل سلطان من أمثال المأمون والمعتصم أمثال أحمد بن أبي دؤاد وأصحابه ممن يقول للمعتصم محرضا له على قتل أحمد بن حمبل: (اقتله يا إمام ودمه في عنقي) حتى كان في خلفهم من شيوخ الأزهر في مصر من يفتي بقتل سيد قطب وإخوانه . ومن هيئة كبار العلماء في السعودية ومن يفتي بقتل المجاهدين للأمريكان ويحكم بأنهم لا يروحون رائحة الجنة!!..

إن فهم هذه السنة الكونية أساسٌ هام جدا لفهم طبيعة صراع الحق والباطل عبر التاريخ عامة ، وفي زماننا هذا خاصة، حيث ترزح كافة بلادنا تحت احتلال قوى الكفر مباشرة وبصورة غير مباشرة . كما مر معنا في الفصل الأول . حيث ينوب عنهم ويقوم على حراسة مصالحهم ويشاطرهم المكاسب حكام مرتدون تترسوا خلف علماء ضلالة ، فأسبغوا الشرعية عليهم وعلى الإحتلال الصليبي بل واليهودي. وأفتوا بقتل المجاهدين وحرمة التعاون معهم ، ليصبحوا جزءا من الحملة الأمريكية لمكافحـــــــــــــــــــــة الإرهـــــــــــــــــــــاب..
وهكذا تكرر عبر الأزمان وعلى مر الحضارات والممالك النموذج الفرعوني لمثلث السلطة الذي فصل فيه القرآن وبين وأفاض بطريقة تبعث على الدهشة والعجب..

*** النموذج الفرعوني من خلال نصوص القرآن:**

لقد قص الله سبحانه وتعالى قصة فرعون من خلال مساحة واسعة في القرآن بصورة تختلف من حيث الشرح والاختصار في 27 سورة من سور القرآن.. حيث ورد ذكر فرعون زهاء 76 مرة . وغالبا ما جاء مقترنا بذكر السحرة أو الملأ أو الجند والأعوان.. ولعل أكثرها تفصيلا ما جاء في سور (الأعراف / يونس / طه / الشعراء / القصص / الزخرف)..وانظر إلى الإعجاز المذهل في تصوير السلطة الفرعونية وأركانها في كل زمان ومكان، وأساليبها في الصراع مع الحق وأدوار أركانها الثلاثة (الحاكم / الكاهن / الجند والأعوان)، وحيثيات المواجهة ودور الأجهزة السلطوية ، وأداء أهل الحق والباطل على مسرح الحدث من خلال مشاهد الصراع ونختار من تلك النصوص وقفة سريعة مع ما جاء في سورة الشعراء الآيات (23- 68) :

أعوذ بالله من الشيطان الرجيم

﴿ قَالَ فِرْعَوْنُ وَمَا رَبُّ الْعَالَمِينَ * قَالَ رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا إِنْ كُنْتُمْ مُوقِنِينَ * قَالَ لِمَنْ حَوْلَهُ أَلَا تَسْتَمِعُونَ * قَالَ رَبُّكُمْ وَرَبُّ آبَائِكُمُ الْأَوَّلِينَ * قَالَ إِنَّ رَسُولَكُمُ الَّذِي أُرْسِلَ إِلَيْكُمْ لَمَجْنُونٌ * قَالَ رَبُّ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَمَا بَيْنَهُمَا إِنْ كُنْتُمْ تَعْقِلُونَ * قَالَ لَئِنِ اتَّخَذْتَ إِلَهاً غَيْرِي لَأَجْعَلَنَّكَ مِنَ الْمَسْجُونِينَ * قَالَ أَوَلَوْ جِئْتُكَ بِشَيْءٍ مُبِينٍ * قَالَ فَأْتِ بِهِ إِنْ كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ * فَأَلْقَى عَصَاهُ فَإِذَا هِيَ ثُعْبَانٌ مُبِينٌ * وَنَزَعَ يَدَهُ فَإِذَا هِيَ بَيْضَاءُ لِلنَّاظِرِينَ * قَالَ لِلْمَلَأِ حَوْلَهُ إِنَّ هَذَا لَسَاحِرٌ عَلِيمٌ *

)يُرِيدُ أَنْ يُخْرِجَكُمْ مِنْ أَرْضِكُمْ بِسِحْرِهِ فَمَاذَا تَأْمُرُونَ * قَالُوا أَرْجِهْ وَأَخَاهُ وَابْعَثْ فِي الْمَدَائِنِ حَاشِرِينَ * يَأْتُوكَ بِكُلِّ سَحَّارٍ عَلِيمٍ * فَجُمِعَ السَّحَرَةُ لِمِيقَاتِ يَوْمٍ مَعْلُومٍ * وَقِيلَ لِلنَّاسِ هَلْ أَنْتُمْ مُجْتَمِعُونَ * لَعَلَّنَا نَتَّبِعُ السَّحَرَةَ إِنْ كَانُوا هُمُ الْغَالِبِينَ * فَلَمَّا جَاءَ السَّحَرَةُ قَالُوا لِفِرْعَوْنَ أَإِنَّ لَنَا لَأَجْراً إِنْ كُنَّا نَحْنُ الْغَالِبِينَ * قَالَ نَعَمْ وَإِنَّكُمْ إِذاً لَمِنَ الْمُقَرَّبِينَ * قَالَ لَهُمْ مُوسَى أَلْقُوا مَا أَنْتُمْ مُلْقُونَ * فَأَلْقَوْا حِبَالَهُمْ وَعِصِيَّهُمْ وَقَالُوا بِعِزَّةِ فِرْعَوْنَ إِنَّا لَنَحْنُ الْغَالِبُونَ * فَأَلْقَى مُوسَى عَصَاهُ فَإِذَا هِيَ تَلْقَفُ مَا يَأْفِكُونَ * فَأُلْقِيَ السَّحَرَةُ سَاجِدِينَ * قَالُوا آمَنَّا بِرَبِّ الْعَالَمِينَ * رَبِّ مُوسَى وَهَارُونَ * قَالَ آمَنْتُمْ لَهُ قَبْلَ أَنْ آذَنَ لَكُمْ إِنَّهُ لَكَبِيرُكُمُ الَّذِي عَلَّمَكُمُ السِّحْرَ فَلَسَوْفَ تَعْلَمُونَ لَأُقَطِّعَنَّ أَيْدِيَكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ مِنْ خِلافٍ وَلَأُصَلِّبَنَّكُمْ أَجْمَعِينَ * قَالُوا لا ضَيْرَ إِنَّا إِلَى رَبِّنَا مُنْقَلِبُونَ * إِنَّا نَطْمَعُ أَنْ يَغْفِرَ لَنَا رَبُّنَا خَطَايَانَا أَنْ كُنَّا أَوَّلَ الْمُؤْمِنِينَ * وَأَوْحَيْنَا إِلَى مُوسَى أَنْ أَسْرِ بِعِبَادِي إِنَّكُمْ مُتَّبَعُونَ * فَأَرْسَلَ فِرْعَوْنُ فِي الْمَدَائِنِ حَاشِرِينَ * إِنَّ هَؤُلاءِ لَشِرْذِمَةٌ قَلِيلُونَ * وَإِنَّهُمْ لَنَا لَغَائِظُونَ * وَإِنَّا لَجَمِيعٌ حَاذِرُونَ * فَأَخْرَجْنَاهُمْ مِنْ جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ * وَكُنُوزٍ وَمَقَامٍ كَرِيمٍ * كَذَلِكَ وَأَوْرَثْنَاهَا بَنِي إِسْرائيلَ * فَأَتْبَعُوهُمْ مُشْرِقِينَ * فَلَمَّا تَرَاءَى الْجَمْعَانِ قَالَ أَصْحَابُ مُوسَى إِنَّا لَمُدْرَكُونَ * قَالَ كَلَّا إِنَّ مَعِيَ رَبِّي سَيَهْدِينِ * فَأَوْحَيْنَا إِلَى مُوسَى أَنِ اضْرِبْ بِعَصَاكَ الْبَحْرَ فَانْفَلَقَ فَكَانَ كُلُّ فِرْقٍ كَالطَّوْدِ الْعَظِيمِ * وَأَزْلَفْنَا ثَمَّ الْآخَرِينَ * وَأَنْجَيْنَا مُوسَى وَمَنْ مَعَهُ أَجْمَعِينَ * ثُمَّ أَغْرَقْنَا الْآخَرِينَ * إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُمْ مُؤْمِنِينَ * وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ ﴾ (الشعراء:23 / 68).

*** وهكذا جاء دور السحرة وعلماء الفرعون :**

ابتدأ الحوار بين موسى عليه السلام وفرعون عقديا.. فلما بين موسى أن لهم ولآبائهم ربا هو مالك الملك ورب المشارق والمغارب.. دب في فرعون شيطان الطغيان فاتهمه بالجنون ، ثم هدده بالسَّجن إن هو اتخذ ربا يطيعه ويدين له بدلا عن طاعة الملك ودينه.. ثم عرض موسى عليه السلام المعجزات والدلائل المفحمة.. وهنا أسقط في يد الفرعون.. فهذه معجزات لا تناقش ، ولا توضع في السجن، عندها ﴿ قال للملأ حوله إن هذا لساحر عليم * يريد أن يخرجكم من أرضكم بسحره فماذا تأمرون﴾ اتهمه بقدرة السحر.. واستنجد بالملأ يستفز فيهم حرصهم على الملك ﴿ يريد أن يخرجكم من أرضكم ﴾ ويظهر الديمقراطية الآن رغم أنه الآمر الناهي الذي قال لهم يوميا ﴿ ما أريكم إلا ما أرى وما أهديكم إلا سبيل الرشاد﴾ حتى بلغ أن يقول لهم ﴿ أنا ربكم الأعلى ﴾!!. الآن يخاطب أعوانه باللين ومنطق المشاركة ﴿ماذا تأمرون﴾؟ وهكذا هم في كل زمان كما يفعلون اليوم في مسرحيات الإصلاح السياسي بعد زلازل العراق..

وهكذا أدرك الملأ أن المسألة مسألة خوارق وعقائد تحتاج أهلها، فاستنجدوا بعكاز الفراعنة في كل زمان المشايخ و (رجال الدين)، ﴿قالوا أرجه وأخاه ﴾أي أجل حواره الآن ﴿ وابعث في المدائن حاشرين * يأتوك بكل سحار عليم ﴾ بكل مقتدر من الكهان، سحار كثير السحر عليم به. وهنا تأتي لفتة هامة وما أشبهها بما يحصل اليوم ﴿ فجمع السحرة لميقات يوم معلوم ﴾.. وكم تذكرت هذه الآية عندما قرأت ذات مرة بيانا لهيئة كبار العلماء بعد أن فجر المجاهدون مواقع للأمريكان في (**الخبر والرياض**) في السعودية.. فجاء في مطلع بيان هيئة كبار العلماء : (بناءا على دعوة من وزير الداخلية سمو الأمير نايف بن عبد العزيز... اجتمعت هيئة كبار العلماء في دورتها الطارئة بتاريخ ..) . فسبحان الله كيف تشابهت الأمور.

لقد أرسل فرعون وزارة الداخلية إلى هيئة كبار العلماء حاشرين.. فاجتمعوا في دورتهم الطارئة لميقات يوم معلوم! وقيل للناس يومها : إن هؤلاء الذين ضربوا الأمريكان في السعودية شرذمة قليلون ، وأنه لولي الأمر غائظون.. وأن الجميع حاذرون.. وأن على كل مواطن أن يكون رجل أمن..

فلماذا يجتمع السحرة؟! إنهم يجتمعون لتطويع الناس للفرعون [وقيل للناس هل أنتم مجتمعون] لماذا؟ ﴿لعلنا نتبع السحرة إن كانوا هم الغالبين﴾ وهنا لفتتان هامتان:

أولاهما: أن الملأ يتبعون فرعون في العادة. فكيف رضي لهم الفرعون وللناس أن يتبعوا السحرة ؟ !ما كان ذاك إلا لعلمه أن إتباعهم للسحرة هو في نهايته طاعة للفرعون لأنهم سيأمرونهم بهذا.

ثانيهما: أن شرط طاعة الناس للسحرة [إن كانوا هم الغالبين].. فالناس تتبع الحجة والبرهان الشرعي منهم إن غلبوا أو أوهموا الناس بغلبتهم.

[فلما جاء السحرة قالوا لفرعون : أئن لنا لأجرا إن كنا نحن الغالبين] فهم يعملون للدنيا والأجر.. فما أجرهم؟ لقد اختار لهم الفرعون أعلى الأجر وأحبه إلى النفوس المتعلقة بالدنيا، فقال:[نعم وإنكم إذا لمن المقربين] الأجر هو القرب من السلطان.. لأن بالقرب منه تقضى الحوائج، ويتقرب بعدها الناس لهم بما شاؤوا من النساء و البنين والقناطير المقنطرة من الذهب والفضة والخيل المسومة والأنعام والحرث.. أما الفرعون فهو يضمن بقربهم فسادهم لأنه كما جاء في الأثر (ما ازداد عبد من السلطان قربا إلا ازداد من الله بعدا). وهو يعلم هذا وكل السلاطين والحكام يعرفونه..

فلما اتفقوا على أن يلقوا.. استعلنوا بالشعار كما يستعلن عباد السلاطين اليوم [قالوا بعزة فرعون إنا لنحن الغالبون]، فلما غُلبوا وتبين الإعجاز الإلهي لهم، وعرفوا لأن الله كان قد كتب لهم السعادة [قالوا آمنا برب العالمين].

أدرك الفرعون أن عكاز السلطان الأول قد انصدع وتكسر وتخلى عنه.. فأشهر عكازه الثاني وهم (الجند والأعوان) وأخذ بالتهديد والوعيد [لأقطعن أيديكم وأرجلكم من خلاف و لأصلبنكم أجمعين]..

فلما آمن من آمن وشرعوا بالهجرة والاختفاء، جاء دور الآلة الإعلامية ﴿ فأرسل فرعون في المدائن حاشرين * إن هؤلاء لشرذمة قليلون * وإنهم لنا لغائظون * وإنا لجميع حاذرون﴾. وما أشبه تلك البارحة بهذه الليالي ، وما تديره آلة الإعلام اليوم فيما يسمونه (مكافحة الإرهاب) .

فسبحان الله.. وكما تشابه المسار ستتشابه النتيجة بإذن الله . فالعاقبة للمتقين..وقعر اليم لكل جبار عنيد.

* أما الملأ:

من المستشارين والأعوان والحاشية والجند . فهم كما جاؤوا في سياق القرآن شركاء في كل شيء ، شركاء في التسلط والطغيان ، شركاء في الجرم ، كما أنهم شركاء في حكمهم الشرعي ، وكذلك شركاء في العاقبة والمصير..

فقد وردت هذه اللفظة في القرآن الكريم ثلاثين مرة.. وكلها للتعبير بحسب سياق الآيات عن كبار أعوان الملك ومستشاريه وقادته والمقربين منه.. وقد مرت في أكثر آيات قصص الأنبياء كما سبق في بعض الشواهد بصفتهم الأعوان الواقفين دفاعا عن الطاغوت دائما في وجه الأنبياء وأتباعهم . فهم كما وصفهم تعالى :

المتكبرين : ﴿ الْمَلأُ الَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا ﴾ (الأعراف:75) . ﴿ قَالَ الَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا إِنَّا بِالَّذِي آمَنْتُمْ بِهِ كَافِرُونَ ﴾ (الأعراف:76).

والمترفين : ﴿ وَاتَّبَعَ الَّذِينَ ظَلَمُوا مَا أُتْرِفُوا فِيهِ وَكَانُوا مُجْرِمِينَ ﴾ (هود:116) .

﴿ وَمَا أَرْسَلْنَا فِي قَرْيَةٍ مِنْ نَذِيرٍ إِلَّا قَالَ مُتْرَفُوهَا إِنَّا بِمَا أُرْسِلْتُمْ بِهِ كَافِرُونَ ﴾ (سبأ:34) .

﴿ وَإِذَا أَرَدْنَا أَنْ نُهْلِكَ قَرْيَةً أَمَرْنَا مُتْرَفِيهَا فَفَسَقُوا فِيهَا فَحَقَّ عَلَيْهَا الْقَوْلُ فَدَمَّرْنَاهَا تَدْمِيراً ﴾ (الإسراء:16) .

والمتتبع لأمرهم في الآيات لاسيما في قصص فرعون المتكررة يلاحظ أمورا ثلاثة:

1. **أن السلطان يرتكز إليهم وأنهم يرتكزون إليه.**

2. **أن دورهم مباشر في تثبيت أركان الفرعون، وفي التخطيط والتآمر ، وبتنفيذ الحرب ضد حزب الإيمان.**
3. **أن القرآن الكريم قد قرنهم إلى الفرعون في الحكم الشرعي وكذلك العقاب والمصير..**

- فهم يباشرون المؤامرة، قال تعالى :﴿ وَجَاءَ رَجُلٌ مِنْ أَقْصَى الْمَدِينَةِ يَسْعَى قَالَ يَا مُوسَى إِنَّ الْمَلَأَ يَأْتَمِرُونَ بِكَ لِيَقْتُلُوكَ فَاخْرُجْ إِنِّي لَكَ مِنَ النَّاصِحِينَ ﴾ (القصص:20) .
- وهم أركان ألوهية الفراعنة وعباد طاغيتهم : ﴿ وَقَالَ فِرْعَوْنُ يَا أَيُّهَا الْمَلَأُ مَا عَلِمْتُ لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرِي﴾ (القصص: 38) ..
- ولذلك شملهم موسى بدعائه على الفرعون لما قال : ﴿ وَقَالَ مُوسَى رَبَّنَا إِنَّكَ آتَيْتَ فِرْعَوْنَ وَمَلَأَهُ زِينَةً وَأَمْوَالاً فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا رَبَّنَا لِيُضِلُّوا عَنْ سَبِيلِكَ رَبَّنَا اطْمِسْ عَلَى أَمْوَالِهِمْ وَاشْدُدْ عَلَى قُلُوبِهِمْ فَلا يُؤْمِنُوا حَتَّى يَرَوُا الْعَذَابَ الْأَلِيمَ ﴾ (يونس :88) .
- كيف لا وهم شركاء في الظلم كما قال تعالى: ﴿ ثُمَّ بَعَثْنَا مِنْ بَعْدِهِمْ مُوسَى بِآياتِنَا إِلَى فِرْعَوْنَ وَمَلَأِهِ فَظَلَمُوا بِهَا فَانْظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُفْسِدِينَ ﴾ (لأعراف:103) .
- وهم المتكبرون معه، قال تعالى: ﴿ إِلَى فِرْعَوْنَ وَمَلَأِهِ فَاسْتَكْبَرُوا وَكَانُوا قَوْماً عَالِينَ ﴾ (المؤمنون:46)

.

- وقد كانت الدعوة إلى فرعون ولهم سواء بسواء: ﴿ فَذَانِكَ بُرْهَانَانِ مِنْ رَبِّكَ إِلَى فِرْعَوْنَ وَمَلَأِهِ إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْماً فَاسِقِينَ ﴾ (القصص: 32) .

ولكنهم استكبروا وتولوا مهمة فتنة المؤمنين ومطاردتهم..قال تعالى: ﴿ فَمَا آمَنَ لِمُوسَى إِلَّا ذُرِّيَّةٌ مِنْ قَوْمِهِ عَلَى خَوْفٍ مِنْ فِرْعَوْنَ وَمَلَأِهِمْ أَنْ يَفْتِنَهُمْ وَإِنَّ فِرْعَوْنَ لَعَالٍ فِي الْأَرْضِ وَإِنَّهُ لَمِنَ الْمُسْرِفِينَ ﴾ (يونس:83)

فلما استجاب الله دعاء موسى، أخذهم العذاب الأليم وغرقوا معه .. وسبحان المنتقم العادل والجزاء من جنس العمل..

﴿ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسَى بِآياتِنَا وَسُلْطَانٍ مُبِينٍ * إِلَى فِرْعَوْنَ وَمَلَأِهِ فَاتَّبَعُوا أَمْرَ فِرْعَوْنَ وَمَا أَمْرُ فِرْعَوْنَ بِرَشِيدٍ * يَقْدُمُ قَوْمَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَأَوْرَدَهُمُ النَّارَ وَ بِئْسَ الْوِرْدُ الْمَوْرُودُ ﴾ (هود:98 / 96) .

*** وأما الجند وصغار الأعوان:**

فحالهم حال الملأ وهم جزء منهم ، والطبقة السفلى من تكوينهم، وينسحب عليهم ما سبق من الملاحظات. فهم السند الحقيقي عددا وعدة، في تثبيت أركان الفرعون والملأ. وهم المباشرون لعذاب المؤمنين و نكالهم ، وهم الذين باعوا آخرتهم بدنيا غيرهم من أجل بعض الفتات.. ولذلك أشارت الآيات أيضا إلى اشتراكهم في الجرم وقصدهم بالدعوة واشتمالهم على عقاب طاغوتهم معه.. في الدنيا والآخرة.. والآيات واضحة لا تحتاج إلى تعليق..

قال تعالى: ﴿ الَّذِينَ آمَنُوا يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَالَّذِينَ كَفَرُوا يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ الطَّاغُوتِ فَقَاتِلُوا أَوْلِيَاءَ الشَّيْطَانِ إِنَّ كَيْدَ الشَّيْطَانِ كَانَ ضَعِيفاً ﴾ (النساء:76)

فالقتال مع المؤمنين في سبيل الله علامة على الإيمان. والقتال في سبيل الطاغوت علامة على الكفر.

وقال تعالى:﴿ إِنَّ فِرْعَوْنَ وَهَامَانَ وَجُنُودَهُمَا كَانُوا خَاطِئِينَ ﴾ (القصص/8) . فخطيأتهم واحدة جملة وهل كانت خطيئة الفرعون إلا الكفر بالله ومحاربة أوليائه.

﴿ وَاسْتَكْبَرَ هُوَ وَجُنُودُهُ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَظَنُّوا أَنَّهُمْ إِلَيْنَا لا يُرْجَعُونَ ﴾ (العنكبوت:39) . فهم شركاء في الاستكبار، شركاء في الجحود.. ﴿ وَجَاوَزْنَا بِبَنِي إِسْرائيلَ الْبَحْرَ فَأَتْبَعَهُمْ فِرْعَوْنُ وَجُنُودُهُ بَغْياً وَعَدْواً ﴾ (يونس/90) .

فهم الأداة..أداة جريمة الفرعون ﴿ هَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ الْجُنُودِ * فِرْعَوْنَ وَثَمُودَ ﴾ (البروج:18 / 17) .

فما فرعون وثمود لولا الجنود؟. ﴿ فَأَتْبَعَهُمْ فِرْعَوْنُ بِجُنُودِهِ فَغَشِيَهُمْ مِنَ الْيَمِّ مَا غَشِيَهُمْ ﴾ (طه/78) شراكة العقاب في الدنيا ومثلها قوله.. ﴿ فَأَخَذْنَاهُ وَجُنُودَهُ فَنَبَذْنَاهُمْ فِي الْيَمِّ فَانْظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الظَّالِمِينَ ﴾ (القصص/40) .. تأكيد لسابقتها.. وكذلك قوله : ﴿ وَنُرِيدُ أَنْ نَمُنَّ عَلَى الَّذِينَ اسْتُضْعِفُوا فِي الْأَرْضِ وَنَجْعَلَهُمْ أَئِمَّةً وَنَجْعَلَهُمُ الْوَارِثِينَ * وَنُمَكِّنَ لَهُمْ فِي الْأَرْضِ وَنُرِيَ فِرْعَوْنَ وَهَامَانَ وَجُنُودَهُمَا مِنْهُمْ مَا كَانُوا يَحْذَرُونَ ﴾ (القصص 6/5) .

وهكذا رأى الجند والأعوان من العقاب مع فرعون وهامان ما كانوا يحذرون..

﴿ إِلَى فِرْعَوْنَ وَمَلَأِهِ فَاتَّبَعُوا أَمْرَ فِرْعَوْنَ وَمَا أَمْرُ فِرْعَوْنَ بِرَشِيدٍ * يَقْدُمُ قَوْمَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَأَوْرَدَهُمُ النَّارَ وَبِئْسَ الْوِرْدُ الْمَوْرُودُ* وَأُتْبِعُوا فِي هَذِهِ لَعْنَةً وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ بِئْسَ الرِّفْدُ الْمَرْفُودُ ﴾ (هود:97-99) . وهذه أسوأ ما ينتظرهم من شراكة المصير في الآخرة..

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ جَاءَتْكُمْ جُنُودٌ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحاً وَجُنُوداً لَمْ تَرَوْهَا وَكَانَ اللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيراً ﴾ (الأحزاب/90).. فجند الطاغوت في مقابلة جند الله وملائكته ، ومصيرهم هو مصير زعيمهم إبليس وكل جنده.. ﴿ فَكُبْكِبُوا فِيهَا هُمْ وَالْغَاوُونَ* وَجُنُودُ إِبْلِيسَ أَجْمَعُونَ ﴾ (الشعراء: 94 / 95) . فهكذا اشتركوا في المصير إلى النار..

وهكذا فهم عسكر إبليس مع كل طاغية جبار، وحّدهم الجرم ووحّدهم العقاب في الدنيا والمصير في الآخرة إلا ما شاء ربك.. وهكذا أعود لأؤكد..

من أني أعتقد كما اعتقدت دائما ، أن مشكلة أهل الإيمان والجهاد في هذا الزمان كما كانت في معظم الأزمان، وهي اليوم أوضح وأكبر، في كهنة هذا الزمان علماء السلطان المجرمين الذين لبسوا على الناس دينهم ، وشرّعوا للكفر وجوده ، وحاربوا من وقف في وجههم، وكانوا نكالا ووبالا على أمة الإسلام ودعاتها إلى الله ومجاهديها المستضعفين، ولا عجب أن يخصهم القرآن بأشد آيات الوعيد والعقاب كما قال تعالى: ﴿ إِنَّ الَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَا أَنْزَلْنَا مِنَ الْبَيِّنَاتِ وَالْهُدَى مِنْ بَعْدِ مَا بَيَّنَّاهُ لِلنَّاسِ فِي الْكِتَابِ أُولَئِكَ يَلْعَنُهُمُ اللَّهُ وَيَلْعَنُهُمُ اللَّاعِنُونَ ﴾ (البقرة:159) **وقوله :** ﴿ إِنَّ الَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ مِنَ الْكِتَابِ وَيَشْتَرُونَ بِهِ ثَمَناً قَلِيلاً أُولَئِكَ مَا يَأْكُلُونَ فِي بُطُونِهِمْ إِلَّا النَّارَ وَلا يُكَلِّمُهُمُ اللَّهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَلا يُزَكِّيهِمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾ (البقرة:174).

وكذلك هؤلاء الذين يدَّعون أنهم أتباع مستضعفون ، عبيد مأمورون ، لا ذنب لهم ، من الجند والشرطة وصغار الأعوان والإستخبارات. فكذلك لا عجب أن يجمعهم الله تبارك وتعالى في جهنم إلى أسيادهم و كبرائهم الذين اجتمعوا إليهم في الدنيا ، ولا تنفعهم إذ ذاك براءتهم ، قال تعالى: ﴿ إِذْ تَبَرَّأَ الَّذِينَ اتُّبِعُوا مِنَ الَّذِينَ اتَّبَعُوا وَرَأَوُا الْعَذَابَ وَتَقَطَّعَتْ بِهِمُ الْأَسْبَابُ * وَقَالَ الَّذِينَ اتَّبَعُوا لَوْ أَنَّ لَنَا كَرَّةً فَنَتَبَرَّأَ مِنْهُمْ كَمَا تَبَرَّأُوا مِنَّا كَذَلِكَ يُرِيهِمُ اللَّهُ أَعْمَالَهُمْ حَسَرَاتٍ عَلَيْهِمْ وَمَا هُمْ بِخَارِجِينَ مِنَ النَّارِ ﴾ (البقرة167 / 166).

نشوء الممالك وزوالها ونظرية ابن خلدون في قيام الحضارات . ونظريـة تـويني في تنقلها بين المشرق والمغرب:

تدل الدراسات التاريخية والآثار في مختلف أنحاء المعمورة على أن حضارات كثـيرة وممالـك لا حصر لها قد قامت وبادت هنا وهناك. و المجهول منها أكثر من المعـروف. ولم يبـق لنـا منهـا إلا مـا تدل عليه بعض الحفريات الأثرية، وما دوّن في بعض الأدبيات القديمة وما أشارت إليه بعض الكتب المقدسة..

وقد قامت ممالك وتوسعت حتى وصلت حد الممالك العظيمة والاتساع الإمبراطوري. ثم دبت فيها عوامل الضعف والفناء، واجتاحتها ممالك أقوى منها، فأدى ذلك إلى تحللها إلى مكوناتها وقيـام ممالك أصغر أو أكبر منها بحسب أمواج وتفاعلات التـاريخ البشريـ.. وقـد تقصى ـ العلامـة الباحـث العبقري ابن خلدون رحمه الله.. نشأة تلك الممالك وزوالهـا، وقيـام الحضـارات والعمـران وانـدثاره، وأسباب ذلك وعوامله و أطواره ومراحله، فتوصل إلى نظريـات أساسـية في علـم التـاريخ والاجـتماع والسياسة..

وقد ضمن نظريته تلك كتابه المشهور بـ (مقدمة ابن خلدون) . وبمقتضى تلـك النظريـات أو الملاحظات . فإنه أثبت أن الممالك والحضارات تولد وتتطور، وتشـب وتهـرم وتمـوت بـأطوار شـبيهة جدا بالأطوار التي يمر بها الإنسان..

ويجدر بالإشارة أن فهم منطق التاريخ وسياقه في ذلك ، يهمنا جـدا في فهـم أسـباب ومراحـل قيام النظام الدولي والصراع التاريخي بين الممالك والحضارات، لأن هـذا يسـاعدنا عـلى فهـم أسـباب النهضة والهزيمة في تاريخ المسلمين، ماضيهم وحاضرهم.. ولنفهم ونستنبط ما يشير من الأدلة إلى أن الحضارة الغربية المعاصرة، وآخر مراحلها الحالية بقيادة أمريكا آيلة إلى زوال لا محالة، وأن حضـارة الإسلام ماضـية إلى بـزوغ شمسـها وقيـام نهضـتها بـإذن اللـه . مـما يـدفعنا للأمـل والجـد والعمـل. فالمستخلص من كلام ابن خلدون – رحمه الله - أنه كما أن الإنسان يولد ضعيفا مرميا على الأرض لا يستطيع حراكا ولا سعيا ويحتاج غيره في كل حاجاته ، ثم يتطور فيحبو على أربع ، ثم ينمو فيشـب على قدميه ويسير متعثرا، حتى يستقيم له المسير. ثم يصير غلاما يرتع ويلعب، ثم شابا جلدا صـلب العود، فرجلا تاما المدارك والقوى. فإذا ما بلغ الأربعين بلغ أشده وذروة قواه البدنية والعقليـة.. ثـم يبدأ به الهبوط والتراجع في كافة القوى، فيكتهل ثم يصبح شيخا، ثم شيخا فانيا. كما قال تعالى :

﴿ وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ ثُمَّ يَتَوَفَّاكُمْ وَمِنْكُمْ مَنْ يُرَدُّ إِلَى أَرْذَلِ الْعُمُرِ لِـكَيْ لا يَعْلَـمَ بَعْـدَ عِلْـمٍ شَـيْئاً إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ قَدِيرٌ ﴾ (النحل:70) .

وهكذا يشيب الشعر، ويرق العظم، وينحني الظهر، وهي رسل ملك الموت تؤذن بالرحيل. ثم يسير على ثلاث ؛ رجليه وعكازه، وقد يحبو على أربع ليقضي حاجته كما بدأ، ثم ينطرح في فراشه أرضا لا حراك به حتى يدركه الموت، فيعود من حيث أتى، ونسأل الله حسن الختام.

وقد رأى ابن خلدون ـ وأثبتت حوادث الأيام ما رأى ـ أن الدول كذلك تمر بهذه الأطوار.. فهي تنشأ وتشب وتستوي قواها ثم تذبل وتضعف، وتنهار قواها ، ثم تموت ليتقاسم إرثها وحضارتها وأراضي شعوبها دول أخرى، وهكذا وكما تتفاوت أعمار الإنسان، تتفاوت أعمار الدول. وكما يموت البعض بسبب أمراض داخلية أو عدوى أمراض خارجية، فكذلك الدول في الغالب. وكما يختطف موت الفجأة أو القتل بعض البشر، فربما هلكت دول بمفاجأة قوى أكبر منها ، أو بالعوارض الطبيعية.. وقد تعمر بعض الدول أشهرا أو سنوات، وقد مر في التاريخ دولا وحضارات قد عمرت آلاف السنين أو مئاتها.. وصدق الله العظيم : ﴿ قُلِ اللَّهُمَّ مَالِكَ الْمُلْكِ تُؤْتِي الْمُلْكَ مَنْ تَشَاءُ وَتَنْزِعُ الْمُلْكَ مِمَّنْ تَشَاءُ وَتُعِزُّ مَنْ تَشَاءُ وَتُذِلُّ مَنْ تَشَاءُ بِيَدِكَ الْخَيْرُ إِنَّكَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴾ (آل عمران:26) .

ومن المهم الذي أشار إليه ابن خلدون أن الدول تنشأ لاجتماع مؤسسيها على عصبية ما (يقصد رابطة)، قد تكون ملكا ، أو قرابة ، أو دينا ، أو عرقا قوميا ، أو مصالح مشتركة... فتنشأ عصبية المُلْك. وتبدأ أمرها بقيامهم على العصبية فيما بينهم ، وعلى الخشونة والبأس والتضحية في سعيهم.

وغالبا ما يكون المؤسسون الأوائل زاهدون في المتاع ، منصرفون إلى الحرب والجد والبناء.. ثم يتلوهم جيل يولد في القوة والنعيم فيكتسب صفات من قبله لقربه منها ويحافظ على الملك ويطوره، ولكن بشيء من الترف والمتعة في الملك. ثم يتلوه جيل أقل صلابة وأكثر ترفا وبعدا عن الكد والتعب ، وهكذا حتى تقوم أجيال قد انحلت لديها العصبية، وأرخت قواها ومفاصلها أثار الترف والنعيم ، فيدب الضعف للدولة، فتطمع بها دول أو عصبيات أخرى فتعدوا عليها وتستلب ملكها لتبدأ الدورة مع الجدد من جديد.. وقد تكون أسباب السقوط داخلية أو خارجية وقد تجتمع كل العوامل..

وهكذا وباستعراض تاريخ الأمم والملوك القريب المعروف لدينا منذ دون الإنسان آثاره أي منذ نحو 6000 -7000 عام تقريبا نجد أن حضارات الصين والهند والسند واليونان والرومان والفراعنة وسواها . وما تخلل ذلك من ممالك ثانوية، قد مرت كلها في هذه الأطوار وصدقت ما ذهب إليه ذلك العلامة العظيم رحمه الله.

ويجب أن نعلم أن هذه السنة ما تزال سائرة في النظم والدول الحديثة . وقد مرت بها الحضارة الإسلامية إلى أن دب بها الضعف، وتناهبت إرثها ممالك الحضارة الأوربية. التي انفردت

بالسيادة منذ نحو200 سنة ، إلى أن قام النظام العالمي الحديث بعد الحرب العالمية الثانية فنشأت أمريكا وروسيا كوريثتين لإرث المستعمرات الأوروبية.. إلى أن أزالت أمريكا وحلفائها حضارة الشرق السوفيتية، ليقوم (النظام العالمي الجديد) على أساس القطب الأوحد المنفرد بالسلطة والقوة لأول مرة في تاريخ البشر المعروف.

وقد قام المؤرخ الإنجليزي المعروف (أرنولد توينبي) المتوفى سنة 1963 بإضافة ملاحظة على منطق سير التاريخ .

إذ لاحظ وتنبأ بناء على ملاحظته أن الحضارة قد تداولت بين الشرق والغرب أربع مرات وهي سائرة للخامسة بلا شك.. فقال أن الحضارة ولدت في الشرق في ممالك السند والهند والصين وفارس القديمة وحضارات العراق ومصر واليمن ثم انتقلت للغرب إلى اليونان ثم الرومان، ثم انتقلت للشرق على يد المسلمين وقامت الحضارة الإسلامية، ثم انتقلت للغرب على يد الحضارة الغربية الأوروبية فالأمريكية.. وقال أنها تسير ولا شك للعودة للشرق والمسلمين بناء على نذر الإنهيار والتحلل في الحضارة الغربية وبذور النهضة والإشراق في الشرق الإسلامي..

وهذا ثابت لدينا في البشائر النبوية وحتى في نبوءات كتب أهل الكتاب القديمة، وقد أوضح كتاب و فلاسفة غربيون معاصرون ذلك بصورة أصرح . بل كتب بعض الكتاب الأوروبيين والأمريكان مؤخرا كتبا تنبؤوا فيها بسقوط أمريكا والحضارة الغربية في خلال عشرين سنة. وقد مضى على بعض تلك الكتابات نحو عشر سنين.. فسقوطهم لا شك قادم ، ونهوضنا لا شك قائم . وهو غيب في علم الله. نسأل الله أن يشهدنا إياه . أو أن يجعلنا ممن عمل له عملا ينفعه يوم لا ينفع مال ولا بنون.. إلا من أتى الله بقلب سليم

الحضارات والنظام الدولي القديم إلى ظهور الإسلام:

رغم أن الدراسات الأثرية تشير إلى أن حضارات قديمة موغلة في القدم قد قامت وازدهرت في كل أنحاء الأرض وكافة قاراتها. إلا أنه لم يمكن معرفة تاريخ الإنسان بشئ من تفاصيله إلا عندما بدأت الكتابة ويرجع ذلك إلى نحو 6000 أو 7000 عام. ومن أشهر الحضارات القديمة المعروفة، تلك التي قامت في بلاد الصين والهند وفارس، وحضارات العراق القديمة من الآشورية و الكلدانية والبابلية وغيرها . وحضارات بلاد الشام كالفنيقية و السومرية و الكنعانية، وحضارات جزيرة العرب، كعاد وثمود ، وحضارات اليمن كسبأ وحمير وقوم تبع . وكذلك حضارات مصر الفرعونية ووادي النيل. وحضارات شمال إفريقيا و قرطاجة، وكذلك حضارة اليونانية. ثم الحضارة الرومانية. وكذلك حضارات الهنود الحمر وقدماءهم في الأمريكتين ولاسيما الجنوبية فيها حيث قامت حضارات متطورة وراقية ..

ومع تطور الحضارات وقيام التواصل بينها عبر علا قات السلم والحرب، بدأ ما يمكن تسميته بـ **النظام الدولي** . حيث تمكنت حضارات وممالك عظمى من بسط سيطرتها على ما جاورها، وكان لها نظما سياسية واقتصادية واجتماعية وثقافية، كما كان لها سياسات عسكرية داخلها وفي جوارها، ومنازعات مع من جاورها من الإمبراطوريات القوية.

ومن أشهر ذلك ما قام في العالم القديم آسيا وأفريقيا وأوروبا ـ وهو العالم المتواصل جغرافيا وحضاريا مثل ما كان بين حضارة فارس القديمة التي عمرت عدة آلاف من السنين . وحضارة اليونان وصراعها على خط التماس في الشرق الأوسط . وهي مناطق بلاد الشام والعراق وتركيا (أو ما يعرف بهضبة الأناضول أو آسيا الصغرى).. وقد شهدت تلك المرحلة انتصار فارس وتفكك حضارات اليونان وضعفها وتمزقها، ثم نهوضها مرة أخرى وتوحدها على يد القائد التاريخي الإسكندر المقدوني، الذي جمع اليونان ثم غزا بهم المشرق ودحر الفرس ووصل إلى تخوم الصين . كما دخل مصر الفرعونية ومعظم بلاد المشرق.

ثم نهضت فارس ثانية وأقامت إمبراطورية امتد ملكها من بلاد الرافدين في العراق إلى بلاد فارس (إيران) والسند (باكستان) وأفغانستان وأجزاء من وسط آسيا. وفي ذلك الحين نهضت الإمبراطورية الرومانية في شبه الجزيرة الإيطالية وورثت حضارة اليونان وتمددت لتشمل كل البلاد المحيطة بالبحر المتوسط: الشام ومصر وشمال إفريقيا وأجزاء من الأنضول وكافة القارة الأوروبية.

وهكذا آل النظام الدولي القديم إلى وجود حضارتين متنافستين، تتحاربان أيضا على خطوط التماس في الشرق الأوسط، في الشام والعراق! .

وكان لذلك النظام الدولي كثيرا من صفاته في الوقت الحاضر ، من نفوذ الدولتين العظميين على جيرانهم، وتدخلهم في شؤونهم الداخلية. وقيام نظام الحروب بالوكالة بين أتباع الإمبراطورية الفارسية من أعراب العراق وبلاد الرافدين وهم ملوك المناذرة الذين كانوا على دين أسيادهم الفرس مجوسا يعبدون النار مثلهم . وبين أتباع الإمبراطورية الرومانية البيزنطية التي آلت عاصمتها إلى القسطنطينية وهم عرب الشام الغساسنة وكانوا على دين أسيادهم الرومان نصارى مثلهم..

وقد تبادل الروم والفرس النصر والهزيمة مرات عدة في حروب طاحنة أيضا، كما قامت بينهم في أيام السلم علاقات التبادل الحضاري والإقتصادي..

و في ذلك الوقت كان عرب جزيرة العرب يعيشون في عزلة سياسية تامة عن الجوار، في نظام بدائي متفكك مستقل عما حوله يقوم على تجمعات قبلية وعشائرية متحاربة فيما بينها متفرقة سياسيا لا يجمعها ملك ولا نظام . فقد كانت متفرقة دينيا تعبد كل قبيلة آلهتها وأوثانها. وكان للعرب في الجزيرة نظام اقتصادي بدائي يقوم في معظمه على الرعي، وشئ من الزراعة حول واحات مياه الصحراء، وعلى التجارة وخطها القديم الذي يعبر مكة والمدينة والعقبة من اليمن إلى الشام

ويربط بين تجارة المشرق القادمة من الصين والهند بحرا إلى اليمن ، وتجارة الغرب القادمة من بلاد الرومان من الأناضول وشمال الشام. ولم يكن في جزيرة العرب نظام موحد ومستقل إلا في اليمن. حيث قامت ممالك وطيدة الأركان ، إلى أن غزاها الأحباش النصارى حلفاء الرومان ، ثم غلب عليها ملوك ارتبطوا بفارس الذين عينوا عليهم حكاما تابعين لهم..

هذه هي الأحوال السياسية وما يمكن أن نسميه اصطلاحا بـ(النظام الدولي) في قلب العالم القديم، أوروبا وشمال أفريقيا ونصف آسيا الغربي..

وفي هذه الأجواء في بدايات القرن السابع الميلادي (610 ميلادي).. بزغ شمس الإسلام، وبعث سيد ولد آدم، وخير الأولين والآخرين، سيدنا محمد صلوات الله وسلامه عليه. وبزغت شمس الحضارة الإسلامية حيث قامت نواة دولة الإسلام وتوحدت جزيرة العرب خلال باقي حياته وبعثته صلى الله عليه وسلم التي امتدت 23 سنة.

لتدخل دولة الإسلام بذلك معترك النظام الدولي الذي صار يتشكل من ثلاثة أقطاب هم: الروم والفرس ودولة الإسلام . منذ القرن السابع الميلادي.

أهمية معرفة التاريخ :

من الضروري جدا من أجل فهم أحداث الحاضر ، واستقراء المستقبل ، وفهم جدلية صراع الحق والباطل ، سواء على الصعيد الداخلي (بين المسلمين) ، أو على الصعيد الخارجي ،(مع أعدائهم وخاصة الروم) . الإلمام ولو بشكل عام ، بالمحطات التاريخية التي مررنا بها نحن المسلمين . وكذلك تاريخ أعدائنا بشكل عام . والمحطات المشتركة بيننا وبينهم . كما أن لهذا فائدة كبرى في فهم سنن النصر والهزيمة ، وأسباب القوة والضعف ، مما يساعد المسلم عامة والمجاهد خاصة ، وقياداتهم الواعية – كما يفترض - على وجه الخصوص . على التحرك في صراعاتنا القائمة والقادمة على بصيرة .

كما أن معرفتنا بتاريخنا المجيد ، تزودنا بدافع قوي ، على المضي قدما على آثار خطى أجداد أماجد طاولوا الثريا رفعة وعزا ، عندما فهموا أننا قوم أعزنا الله بالإسلام ، ومهما ابتغينا الغز في سواه أذلنا الله، كما قال سيدنا عمر رضي الله عنه . (ومن يهن الله فما له من مكرم) .

ولذلك نعرض في الصفحات المقبلة لنبذة مختصرة من محطات تاريخنا المجيد وما فيه من دروس وعبر لا تحصى .

ونلي ذلك بلمحة عابرة عن تاريخ أعدائنا الأزليين ..الروم (بني الأصفر) . قاتلهم الله .

النظام الدولي زمن البعثة النبوية (صراع الفرس والروم):

ولد رسول الله صلى الله عليه وسلم سنة 570م . وأوحي إليه كما هو معروف سنة 610 ميلادية . وكان الروم والفرس يقتسمان سيادة العالم المحيط بالجزيرة العربية، وكان كل منهما يطمع في الاستيلاء على منطقة النفوذ الممتدة من شاطئ الفرات إلى سواحل البحر المتوسط ، ويعمل على تحطيم قوة خصمه العسكرية. ومن أجل ذلك كانت الحروب متصلة بينهما، وكانت سجالا تقطعها مهادنات لا تطول. وقد اتسمت تلك الحروب بضروب القسوة، من تقتيل وتدمير وتخريب.

وقد اشتد ذلك الصراع بين الدولتين في عهد الملكين:

جوستنيان الأول الذي نصب إمبراطورا على الروم عام (527م).

كسرى الأول (أنوشروان) الذي نصب ملكاً على فارس عام (531م). ففي عام (546م) شن كسرى أنوشروان حربا على الروم وانقض على سورية الشمالية فاستولى على أنطاكية عاصمة الشرق آنئذ، واستولى على الرها (أوذيسا) و قنسرين وحلب ومدن أخرى ، ونقل آلاف الأسرى من أنطاكية إلى مدينة بناها على غرارها بالقرب من المدائن دعاها (أنطاكية) وعرفت باسم (الرومية)، وولي عليها رجلا من نصارى الأهواز .

لم يستطع جوستنيان صد كسرى عن بلاده لاشتغاله بحروبه مع قبائل (الآفار) و (السلاف) الذين كانوا يغيرون على حدود مملكته من جهة أوروبا، وقد اضطر أن يعقد صلحا مع كسرى. وفي عام (563م)، تم هذا الصلح على أن ينسحب كسرى من البلاد التي احتلها لقاء فدية كبيرة وجزية سنوية يدفعها الروم.

وفي عام (565م) مات جوستنيان الأول وخلفه جوستنيان الثاني فنقض الصلح الذي أبرمه سلفه مع كسرى، فارتد كسرى على سورية فدمرها. ويموت جوستنيان الثاني عام (578م) فيخلفه الإمبراطور (تيبريوس) فيصالح كسرى على مال وجزية.

وفي عام (579م) يموت كسرى أنوشروان فيخلفه ابنه (هرمز)، ويموت كذلك (تيبريوس) فيخلفه الإمبراطور (موريس) وتتألب قبائل الترك في الشمال الشرقي لفارس بعد موت كسرى، فيرسل هرمز لحربهم جيشا بقيادة قائد يدعى (بهرام) فيهزمهم ويغنم أموالهم، ويغريه النصر فينقلب على مليكه هرمز ويخلعه و يسمله، ويستولي على الملك.

ويحاول كسرى الثاني (أبرويز) ابن هرمز أن يسترد عرش أبيه فلم يفلح، فيلجأ إلى إمبراطور الروم (موريس) يستنصره على (بهرام)، فيكرمه الإمبراطور ويستجيب لنصرته ويزوجه ابنته ويمده بجيش عظيم يتغلب به على (بهرام) ويسترد عرش أبيه ويخلفه في الملك.

وفي عام (602 م) يغتال القائد البيزنطي (فوكاس) الإمبراطور (موريس)، ويستولي على الحكم وينصب نفسه إمبراطورا ويقتل أبناء موريس إلا واحدا منهم استطاع النجاة والهرب، فلجأ إلى كسرى أبرويز يستنصره على (فوكاس) كما نصره أبوه على (بهرام) من قبل، فيطلب كسرى من الروم تنصيبه ملكا خلفا لأبيه ويهددهم بحرب إذا لم يفعلوا فيرفضون.

ويشن كسرى إبرويز حربا ضروسا على الروم ويستولي فيها على بلاد الشام ومصر والنوبة، ويحمل خشبة الصليب (المزعوم) من بيت المقدس إلى المدائن عاصمة الفرس ، ثم يوجه جيشا كثيفا إلى القسطنطينية فيحاصرها ويستعين على حصارها بقبائل (الآفار) و (السلاف)، أعداء البيزنطيين، فيحاصرونها من جهة أوروبا، ويتمكن (هرقل) قائد الجيش البيزنطي من فك الحصار عن القسطنطينية . حيث استطاع بمحالفة الترك، أعداء الفرس، طرد جيش كسرى من بلاد الروم.

وفي عام (610 م) وهو عام البعثة النبوية ، يخلع (هرقل) الإمبراطور (فوكاس)، لما شاع من فساد حكمه، ويدفعه إلى الشعب فيقتله وينصب الجيش هرقل لتغلبه عن الفرس وخلعه ملكا ضالا. ويشن هرقل حربا على الفرس يسترد بها ما كانوا قد استولوا عليه من بلاد الروم، ثم يهاجمهم في بلادهم ويكسر جيوشهم في وقعة (نينوى) عام (627 م) ويحمل كثيرا من أموالهم ويفرض عليهم جزية سنوية.

وقد كانت هذه الوقعة آخر الحروب بين الفرس والروم، وهي التي أشار إليها القرآن الكريم بقوله: ﴿غُلِبَتِ الرُّومُ فِي أَدْنَى الأَرْضِ وَهُمْ مِنْ بَعْدِ غَلَبِهِمْ سَيَغْلِبُونَ ﴾ و بعد هذه الوقعة جاء دور المسلمين فاكتسحوا الدولتين في آن واحد بقوة الواحد الأحد .

﴿ خلاصة تاريخ الدول والممالك في التاريخ العربي والإسلامي ﴾ منذ قيام الدولة النبوية وإلى أيامنا هذه

(1هـ-622م /1425 هـ - 2004م) .[1]

---

[1] اعتمدت في كتابة هذا الفصل (الفصل الثالث) الذي يحوي الملخص التاريخي ، على عدد من الأقراص الإلكترونية التي تحوي برامج في التاريخ الإسلامي ، بالإضافة لعدد من المراجع التاريخية . وقد قمت بإعادة صياغة ما نقلته عن تلك البرامج والمراجع بتصرف كبير جدا ، لأن غالبها كتب بأيد غير إسلامية ، أو ربما معادية للإسلام حاقدة على تاريخ المسلمين أو بعض صناعه . و قد افتقرت للأمانة أحيانا ، وقد تخلل مادتها شيء من التزوير أحيانا ، و لم تحترم قداسة بعض الشخصيات ذات المكانة الدينية (كالصحابة) رضوان الله عليهم . ولا مكانة بعض الخلفاء والملوك والصالحين المشهود لهم بحسن السيرة والمكانة . وأكثرها كتب بنفس قومي علماني ، وليس إسلامي ولا محايد .

وقد استفدت من تلك المراجع في المعلومات العامة والتواريخ ، ونقل بعض النصوص التي لم يتخللها ما يشين في التاريخ الإسلامي . وقمت بتعديل كل ما استوقفني من تشويه أو صيغة غير مناسبة . بما يشبه عمليات التجميل الجراحية الدقيقة . وقد ساعدني على ذلك ما قد يسر الله لي من دراسة التاريخ دراسة أكاديمية ، ثم تعمقي فيه بجهود دراسية ذاتية وخاصة في التاريخ الإسلامي ، وكتب التاريخ السياسي المعاصر .. وعملي في مجال الصحافة والإعلام.

وعموما وللأمانة العلمية ، فإني أذكر هنا أهم مراجع هذا الفصل هي :

1- برنامج تاريخ الإسلام –إنتاج مؤسسة حرف – بتصريح من الأزهر (الذي كان شريفا). – كما وصفه الشيخ ابراهيم عزت رحمه الله – وهو مصدر أساس النص ، وعليه تمت التعديلات والتصحيح بتصرف واسع جدا .

2- برنامج التاريخ الإسلامي – إنتاج مؤسسة صخر .

3- كتاب تاريخ الدولة العثمانية – لفريد بك المحامي . وهو فيما يبدو مصري من أصل تركي كتب كتابه سنة 1909. و يتضح فيه نفسه الماسوني ، وحقده على السلطان عبد الحميد رحمه الله ، ونفسه الشعوبي التركي ، وتأييده لجمعية الإتحاد والترقي اليهودية الماسونية . وكتابه منشور في برنامج الألفية المعروف .

4- كتاب البداية والنهاية لابن كثير – رحمه الله – وهو المرجع الذي اعتمدته في تصحيح كثير مما مر من أخطاء في ما سبق من مراجع .

5- مؤلفات شهيد الإسلام الشيخ عبد الله عزام ، ولاسيما كتبه (خط التحول التاريخي ، أضواء على القومية العربية ، السرطان الأحمر .)

6- مراجع أخرى ، ومعلومات خاصة جمعتها من وسائل الإعلام ومن مصادر معلوماتية أخرى ....(**المؤلف**) .

الدولة النبوية (1-11هـ)

في اليوم الثاني عشر مـن ربيـع الأول (24 أيلـول- سـبتمبر 622 م) مـن السـنة الثالثـة عشرة للبعثة، وصل رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى يثرب لتكون أول عاصمة لدولـة الإسـلام وتسـمى المدينة المنورة ، وتصبح منطلقا لجيوش المسلمين الفاتحة. حيث اعتبرت سـنة الهجـرة في عهـد عمـر رضي الله عنه بداية لتاريخ الإسلام.

أهم أحداث العصر النبوي من هجرة الرسول صلى الله عليه وسلم إلى وفاته:

و يمكن تلخيص أهم المحطات في تلك الفترة بالنقاط التالية :

- **وقعة بدر (2 هـ) :**

في رمضان من السنة الثانية للهجرة ، علم النبي صلى الله عليه وسـلم أن قافلـة كبـيرة قادمـة من الشام عليها أبو سفيان ابن حرب، وأنها ستمر ببدر تستقي من مائها وتريح فيها.

فجهز النبي صلى الله عليه وسلم حملة من ثلاثمائة رجـل ونيـف ،واتجـه بهـا إلى بـدر ليفجـأ القافلة، وراع قريشا ما سـمعوا وتنـادوا إلى حـرب المسـلمين. ومـع أن أبـا سـفيان أرسـل بعـد ذلـك يخبرهم أنه تحول إلى الساحل ونجا من المسلمين ودعاهم إلى الرجوع إلى مكـة إلا أن كـبراء قـريش عزموا على قتال المسلمين.

وفي 17 رمضان من تلك السنة التقى الجمعان في أول معركة تفجرت فيها طاقة الإيمان وانتصر فيها المسلمون على قلة عددهم وقتلوا نحو سبعين من أبطال قريش ورءوسهم، وأسروا مثل ذلك .

لقد كانت وقعة بدر فاتحة التاريخ الإسلامي ، فلم تكن حربا بين متكافئين في العـدد والعـدة، وإنما كانت حربا بين حب العقيدة التي تطلب من أجلها الشهادة، وبين حب المال الذي تطلب مـن أجله الحياة، **ولا يمكن لطالب الحياة أن يقهر طالب الشهادة.**

وهذا هو العامل الأساسي الذي جعل العرب بعد إسلامهم يغلبون بأعداد قليلة جيوش الـدول العظمى من حولهم - بفضل الله - في حروب الفتوح.

- **نقض اليهود عهد النبي:**

عاد النبي صلى الله عليه وسلم إلى المدينة فوجد اليهود قد تغيرت قلـوبهم، فقـد آلمهـم نصر المسلمين ببدر، ولم يحتسبوه ولم يصبروا على كتمان ما في نفوسهم.

وكان بنو قينقاع أكثر اليهود سخطا لهذا النصر وتهوينا من شأنه، فأخذوا ينفسون على المسلمين ما نالوا من فوز ويتحدونهم ويتحرشون بهم ، فحاصرهم رسول الله صلى الله عليه وسلم في حصونهم، فاستسلموا له واكتفى النبي صلى الله عليه وسلم بإجلائهم عن المدينة وإبعادهم إلى بلاد الشام.

- **وقعة أحد (3 هـ) :**

ثارت ثائرة اليهود لما حل ببني قينقاع ، فأخذوا يغرون الأعراب بالإغارة على المدينة والاعتداء على المسلمين. كذلك أخذوا يحرضون قريشا على حرب المسلمين ليثأروا لقتلاهم في وقعة بدر ووعدوهم بمظاهرتهم في الحرب، وكان أشد المحرضين اثنان من رؤساء يهود بني النضير وهما: كعب الأشرف ، وسلام ابن أبي الحقيق .

فتطوع فريق من الأنصار لاغتيالهما بأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم فقتلوهما.

تأثرت قريش بتحريض اليهود، فجهزت جموعها لحرب المسلمين، وتوجهت قريش بمن حشدت نحو المدينة يقود حشدها أبو سفيان ابن حرب.

ولما علم النبي صلى الله عليه وسلم بذلك جهز جيشا وخرج بهم إلى جبل أحد القريب من المدينة ووضع خيرة الرماة في أعلى الجبل لحماية ظهور المسلمين.

وظهرت طلائع النصر وتراجعت قريش يتبعهم المسلمون ويجمعون ما غنموه منهم. وظن رماة المسلمين أن المعركة قد انتهت فأخلوا أماكنهم وسارعوا لينالوا نصيبهم من الغنائم. واهتبل خالد بن الوليد الفرصة، وكان يقود رماة المشركين، فصعد الجبل من الخلف وأخذ يمطر المسلمين بوابل من السهام، وارتدت جموع قريش عليهم، فأصبحوا بين نارين واضطربت صفوفهم وعم الذعر فيهم حتى قتل بعضهم بعضا وانهزم من نجا من القتل.

وقد قتل في هذه الوقعة أكثر من سبعين رجلا من المسلمين بينهم بطل الإسلام حمزة بن عبد المطلب عم النبي ، قتله (وحشي) أحد رماة الأحباش، وأصيب النبي صلى الله عليه وسلم بجرح في وجنته وشج رأسه الشريف . وصاح صائح قريش أن محمدا قد قتل، وصدق المشركون وكفوا عن القتال وانسحبوا، فقد نالوا - بظنهم- ما كانوا يبتغون.

- **<u>اليهود يحاولون اغتيال النبي صلى الله عليه وسلم :</u>**

لم يهنأ يهود بني النضير بنجاة النبي صلى الله عليه وسلم، فعقدوا العزم على اغتياله أخذا بثأر ابن الأشرف وابن أبي الحقيق، ففشلوا وانكشف أمرهم وعلموا أن النبي صلى الله عليه وسلم سيعاقبهم فآووا إلى حصونهم.

فحمل عليهم النبي صلى الله عليه وسلم وحاصرهم، ولما استيأسوا طلبوا أن يأذن لهم بالخروج من المدينة كما خرج بنو قينقاع، فاستجاب لهم وخرجوا بأموالهم، ونزل فريق منهم في خيبر وانضموا إلى يهودها، وتابع الآخرون مسيرتهم إلى بلاد الشام.

- **<u>وقعة الخندق (5هـ):</u>**

لم يبق من يهود المدينة سوى بني قريظة، وقد آلمهم ما حل بإخوانهم بني قينقاع وبني النضير، ورأوا أن يؤلبوا قريشا وأحلافهم من قبائل العرب على حرب المسلمين والقضاء على دولتهم، وتعهدوا بمظاهرتهم في هذه الحرب.

وحشدت قريش ونادت أحلافها وأحزابها فجاءوها برجالهم يلبون نداءها، وبلغ الحشد عشرة آلاف مقاتل.

وعلم النبي صلى الله عليه وسلم بخبر هذه الحملة العظيمة فاستشار أصحابه فأشاروا عليه أن يقف المسلمون موقف المدافع عن مدينتهم، وأشار <u>سلمان الفارسي</u> رضي الله عنه بحفر خندق حول المدينة يقف الرماة دونه، يمنعون من يحاول اجتيازه من المشركين.

وجاء من يخبر النبي صلى الله عليه وسلم بما فعل بنو قريظة فأرسل إليهم سيدين من سادة الأنصار هما <u>سعد بن معاذ</u> سيد الأوس، وسعد بن عبادة سيد الخزرج لتذكيرهم بعهد النبي صلى الله عليه وسلم ونهيهم عن الغدر بالمسلمين وتحذيرهم عاقبته، فسخروا منهما وأظهروا عزمهم على مظاهرة قريش.

ولما وصل جيش المشركين وقف دون الخندق ولم يستطع الدخول إلى المدينة وأخذ رماة المسلمين يصرعون من يحاول اجتياز الخندق، ودام الحصار شهرا حتى برم حلفاء قريش (الأحزاب) بطول الانتظار وفوت ما كانوا يأملون من الغنائم، ووقع الخلف والشقاق بينهم وبين قريش.

وهنا يسر الله إسلام زعيم من زعماء العرب هو نعيم بن مسعود الأشجعي . وكان قد قدم مع قومه بني الأشجع لقتال المسلمين مع من قدم من أحلاف قريش، فأعلن إسلامه وطلب من النبي صلى الله عليه وسلم أن يشترك مع المسلمين في الدفاع عن المدينة فطلب منه الرسول أن يخفي إسلامه وأن يخذل قريشا وبني قريظة ويوقع بينهما الشقاق، ففعل ونجحت الخطة.

ثم أرسل الله ريحا عاتية على جيش قريش والأحلاف فانتزعت الخيام وكفأت القدور وملأت الأفواه والعيون بالرماد، وقد أشار القرآن الكريم إلى هذا العون الإلهي بقوله تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ جَاءَتْكُمْ جُنُودٌ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا وَجُنُودًا لَمْ تَرَوْهَا وَكَانَ اللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرًا ﴾

وكان الأحزاب قد سئموا الانتظار وطول الحصار، فأخذوا يتراجعون، وارتدت قريش وهي تتجرع غيظها، وفي ذلك يقول الله تعالى: ﴿ وَرَدَّ اللَّهُ الَّذِينَ كَفَرُوا بِغَيْظِهِمْ لَمْ يَنَالُوا خَيْرًا وَكَفَى اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ الْقِتَالَ ﴾.

تحكيم سعد بن معاذ بما فعل يهود بني قريظة: فور انتهاء غزوة الخندق جهز النبي صلى الله عليه وسلم سرية وتوجه إلى بني قريظة ليعاقبهم على نقضهم العهد، فتحصنوا في حصونهم، ولما اشتد عليهم الحصار طلبوا تحكيم سعد بن معاذ وكانوا حلفاءه، واستجاب النبي صلى الله عليه وسلم لطلبهم، فحكم سعد بقتل رجالهم وسبي نسائهم وأطفالهم، ونفذ النبي صلى الله عليه وسلم حكم سعد فيهم.

تحول المسلمين من حالة الدفاع إلى حالة الهجوم:

بعد أن خلت المدينة من اليهود، وسلم الإسلام من منافسة اليهودية، وسلم المسلمون من مكر اليهود وخداعهم، تحول المسلمون من حالة الدفاع إلى حالة الهجوم.

وبدأ النبي بغزو القبائل المشركة الموالية لقريش ليثبت أن بالمسلمين قوة وأنه لم يصبهم وهن بعد وقعة أحد ووقعة الخندق، فانتصر وعاد بمغانم كبيرة، وعلمت القبائل أن لا طاقة لها بقتال المسلمين .

- **صلح الحديبية (6هـ) :**

في أواخر شهر شوال من السنة السادسة للهجرة، أعلن النبي صلى الله عليه وسلم أنه يريد المسير إلى مكة لأداء العمرة، وأذن في أصحابه بالرحيل إليها لأدائها معه، ففرحوا وطابت نفوسهم بزيارة الكعبة وقد حرموا منها، وكان المهاجرون قد اشتد شوقهم إلى ديارهم ومن خلفوا فيها من أهلهم .

وسار النبي صلى الله عليه وسلم بألف وخمسمائة من المهاجرين والأنصار، لا يحملون من آلات الحرب إلا السيوف في القرب، ولبسوا لباس الإحرام ليؤكدوا لقريش أنهم يريدون العمرة ولا يقصدون الحرب، وما حملوا من سيوف إنما كان للحماية مما قد يعترضهم في الطريق.

ووصلت قافلة المسلمين إلى الحديبية القريبة من مكة . ولما علمت قريش بقدوم نبينا محمد صلى الله عليه وسلم وصحبه رفضت السماح لهم بدخول مكة وكان شهر ذي القعدة قد حل، وهو من الأشهر الحرم التي يمتنع فيها القتال.

وأرسل النبي صلى الله عليه وسلم عثمان بن عفان ليفاوض قريشا، وتأخرت عودته وأشيع أنه قتل. وهنا عزم النبي صلى الله عليه وسلم على دخول مكة .

واستجاب المسلمون لما عزم عليه النبي صلى الله عليه وسلم وبايعوه على الموت وهو جالس في ظل شجرة، وقد أثنى الله على المبايعين ورضي عنهم في آية نزلت بهذه المناسبة:

﴿لَقَدْ رَضِيَ اللَّهُ عَنِ الْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ الشَّجَرَةِ فَعَلِمَ مَا فِي قُلُوبِهِمْ فَأَنْزَلَ السَّكِينَةَ عَلَيْهِمْ وَأَثَابَهُمْ فَتْحًا قَرِيبًا﴾ ومن ثم دعيت هذه المبايعة ببيعة الرضوان.

لم يقتل عثمان رضي الله عنه ، كما كان أشيع وعاد إلى الحديبية (وكان قد تأخر في مفاوضة قريش وفي إزالة مخاوفها، وكان المطلب الأساسي لقريش أن يعود المسلمون ذلك العام على أن يدخلوا مكة معتمرين في العام المقبل، لكي لا يقول العرب أن قريشا استذلت للمسلمين فيصيبها من ذلك معرة.

ووافق النبي صلى الله عليه وسلم على مطلب قريش، وعلى أساسه عقد اتفاقا بينه وبين قريش عرف بصلح الحديبية وبمقتضاه عقدت هدنة بين الطرفين مدتها عشر سنوات.

وقد تضمن عقد الصلح شروطا منها أن يرد المسلمون من يأتيهم من قريش مسلما بدون إذن وليه، وألا ترد قريش من يعود إليها من المسلمين، وأن من أراد أن يدخل في عهد قريش دخل فيه، ومن أراد أن يدخل في عهد محمد من غير قريش دخل فيه، والدخول في العهد محالفة توجب مناصرة الحليف إذا ما استنصره واستنجد به، فدخلت خزاعة في عهد رسول الله ودخلت بنو بكر في عهد قريش.

- **غزو المدن اليهودية :**

أتاحت الهدنة بين النبي صلى الله عليه وسلم، وبين قريش، أن يفرغ النبي لحرب من تبقى من اليهود في جزيرة العرب، فقد كان إلى جانب يهود المدينة جاليات يهودية تقطن في خيبر ووادي القرى وفي فدك و تيماء، وهي مدن تقع على الحدود الفاصلة بين شمال بلاد العرب وبلاد الروم.

وقد كان يهود تلك المدن يثيرون الأعراب على المسلمين، فجهز النبي صلى الله عليه وسلم حملة على أولئك الأعراب فأخضعهم، وتوجه بعد ذلك إلى خيبر فافتتحها واستسلم يهود المدن الأخرى دون حرب.

وكان النبي صلى الله عليه وسلم متسامحا مع اليهود، فأبقاهم في أراضيهم واستعملهم في الزراعة على أن يجليهم متى شاء.

- **عمرة القضاء (7 هـ) :**

ومضت السنة الأولى من الهدنة، فتوجه النبي صلى الله عليه وسلم مع جميع المسلمين إلى مكة لقضاء العمرة، وأمضوا فيها ثلاثة أيام، ثم خرجوا منها كما قضى بذلك صلح الحديبية.

وقد عاين رجال قريش سلوك المسلمين عن كثب، فوجدوا فيهم قوما آخرين، صاغهم الإسلام صوغا جديدا، وأخذ كثير منهم يفكرون ويتدبرون مبادئ الإسلام، وسرعان ما أقبل جماعات منهم إلى المدينة مسلمين، ومن هؤلاء خالد بن الوليد وعمرو بن العاص وعثمان بن طلحة، وهم من سادة قريش وأبطالها، ممن شاركوا في قتال المسلمين من قبل.

- **الرسول يوجه رسائل إلى ملوك وأمراء الدول المجاورة:**

أخذ الإسلام ينتشر في جزيرة العرب بعد الانتصارات التي حققها النبي صلى الله عليه وسلم في أعقاب صلح الحديبية ورأى النبي صلى الله عليه وسلم أن تبلغ دعوته مسامع ملوك وأمراء الدول المجاورة، فأرسل إليهم كتبا مع سفراء يدعوهم إلى الإسلام، فاستجاب البعض لدعوته كالمنذر بن ساوى أمير البحرين ورد الآخرون السفراء.

فمنهم من كان رده جميلا كملك الروم والمقوقس صاحب مصر، ومنهم من كان رده قبيحا ككسرى أبرويز ملك فارس فقد مزق كتاب النبي صلى الله عليه وسلم . وكذلك شرحبيل أمير غسان الذي سخر من الدعوة للإسلام ، وقتل سفير رسول الله صلى الله عليه وسلم (الحارث بن عمير الأردي) رضي الله عنه .

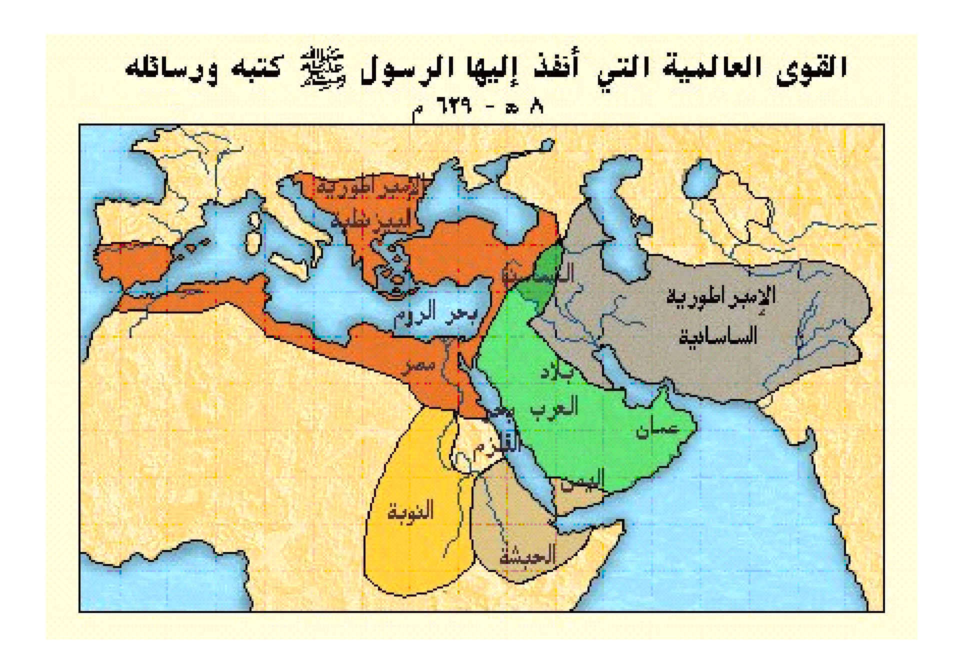
- **الرسول يجهز حملة انتقام لقتل سفيره الحارث بن عمرو : وقعة مؤتة :**

كان قتل هذا السفير شديد الوقع على رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فجهز حملة عدتها ثلاثة آلاف رجل لحرب الغساسنة، وجعل قيادتها لزيد بن حارثة. ولما علم الغساسنة بأمرها استنجدوا بحلفائهم الروم فانجدوهم بجيش عظيم. وكان اللقاء في (مؤتة).

وفي تلك المعركة قتل زيد بن حارثة قائد الجيش، وقتل من بعده عبد الله بن رواحة ثم جعفر ابن أبي طالب رضي الله عنهم ، ثم انتدب الناس خالد بن الوليد لتولي قيادته، وأدرك أن في استمرار المعركة فناء جيش المسلمين، فانسحب بخطة عسكرية باهرة، إذ أثار الغبار خلف جيشه المنسحب،

فأوهم الروم أن مددا ضخما جاء مـن المدينـة وأرهبـتهم حيلـة خالـد فتوقفـوا عـن تتبـع الجـيش المنسحب.

وبهذا الانسحاب ظهرت مهارة خالد الحربية وارتقى إلى صف القادة الذين رفعوا راية الإسلام. وكانت وقعة مؤتة فاتحة النضال للفتوحات الإسلامية خارج الجزيرة. **وبداية الصراع بين المسلمين و الروم .**



● **<u>فتح مكة (8 هـ) :</u>**

وجاءت السنة الثامنة للهجرة وقد كـثر عـدد المسـلمين بـدخول كثـير مـن القبائـل في الإسـلام. ويشاء الله أن تنقض قريش عهدها مع المسلمين، فقد عدت قبيلة بني بكر على قبيلة خزاعة، وكان بنو بكر قد دخلوا في عهد قريش ودخل بنو خزاعة في عهد النبي صلى اللـه عليـه وسـلم، فانتصرت قريش لحلفائها واستنجدت خزاعة بالنبي صلى الله عليه وسلم، وحانت بذلك فرصة لفتح مكة.

فقد أصبحت قريش في عزلة بعد أن أسلمت أكثر القبائل العربية وفقـدت قـريش في حروبهـا مع المسلمين كثيرا من رجالها، ولحق بالمسلمين جمع من أبطالها المغاوير.

أعد النبي صلى الله عليه وسلم جيشا عظيما من المهاجرين والأنصـار وانضـمت إليـه القبائـل التي أسلمت، وأعلن النبي صلى الله عليه وسلم أنه يريد مكة لحرب قريش التي نقضت عهدها.

وسار الجيش يتبع قائده العظيم عليه الصلاة والسلام . وعسـكر خـارج مكـة ورأت قـريش أن النبي صلى الله عليه وسلم جاء ومعه جمع كبير من العرب وأنه لا طاقة لها بحربهم، فاستسلمت . وجاء العباس، عم النبي ومعه أبو سفيان فأسلما وفتحا لـه أبـواب البلـد الحـرام، وقبـل أن يـدخلها استعرض الجيش بحضورهما، فمرت سراياه أمامهما وهي تهتف: ﴿ وَقُلْ جَاءَ الْحَقُّ وَزَهَـقَ الْبَاطِـلُ إِنَّ الْبَاطِلَ كَانَ زَهُوقًا ﴾ .

ودخل النبي صلى الله عليه وسلم مع الجيش إلى مكة وتوجه إلى الكعبة راكبـا ناقتـه بتواضـع جم ، فأخذ بتحطيم الأصنام ومحو الصور من جدران الكعبـة، ثـم أمـر بـلالا الحبشي أن يصـعد إلى سطح الكعبة فأذن بالناس معلنا هزيمة الشرك .

- **<u>غزو ثقيف و هوازن (8 هـ) :</u>**

انضمت قريش إلى صفوف المسلمين وانتظمت معهم في جيشه لحرب قبيلتي هوازن و ثقيف ، وقد رفضوا الدخول في الإسلام . والتقى المسلمون مع هوازن في (وادي حنين) وانتصروا عليهم بعد حرب ضروس، كاد أن يغلب فيها المسـلمون لـولا ثبـات النبـي صـلى اللـه عليـه وسـلم، ثـم حـاصر المسلمون ثقيفا في مدينتهم (الطائف) فاضطروا للاستسلام، ودخلت هوازن و ثقيف في الإسلام.

- **<u>المسيرة النبوية لقتال الروم : غزو تبوك و دومة الجندل (9 هـ) :</u>**

عاد النبي إلى المدينة بعد فتح مكة وكانت السنة التاسعة للهجرة قد حلت، فجهز جيشا كبـيرا عدته أربعون ألف رجل، وسار به نحو (مؤتة) يريد أن يثأر لما حل بجيش المسلمين فيها. ولما وصـل إلى مدينة تبوك عسكر فيها، وعلم الروم بقدومه فلم يتقدموا لحربه، فقد راعهم لقاء هـذا الجـيش الكبير، يقوده رجال لا يعرفون الهزيمة، واتخذ جيش الروم مكانه داخل بـلاده مـدافعا بعـد أن كـان يريد الهجوم.

واكتفى النبـي صـلى اللـه عليـه وسـلم بمـا أحدثـه مـن رهبـة في قلـوب الـروم، وعقـد بعـض المعاهدات مع مدن الحدود وكانوا على النصرانية مقابل تعهدهم بدفع الجزية، واستعصـت (دومـة الجندل)، فأرسل النبي صلى الله عليه وسلم <u>خالد بن الوليد</u> على رأس سرية فأخضعها وأسر صاحبها أكيدر بن عبد الملك فقدم به المدينة فأسلم وعقد معه النبي صلى الله عليـه وسـلم معاهـدة ورده إلى قومه، وكانت غزوة تبوك آخر غزوات النبي صلى الله عليه وسلم .

- **<u>إقبال وفود القبائل العربية إلى المدينة وإعلان إسلامها :</u>**

وبلغت مسامع العرب انتصارات النبي صلى الله عليه وسلم بفتح مكة وإسلام قريش وإسلام ثقيف و هوازن ، وإخضاع صاحب دومة الجندل ودخول مدن الحدود الشمالية في عهد النبي وتعهدها بدفع الجزية إليه. فأقبلت وفود القبائل العربية من كل فج تعلن إسلامها، فكان النبي يعرفها بعقيدة الإسلام ومبادئه ويرسل معها من يختاره لها من صحابته ليعلمها شعائر الدين ويبين لها أحكامه.

- **<u>إنذار من بقي على الشرك من العرب (9 هـ) :</u>**

أما من بقي على الشرك من العرب فقد أمهلوا أربعة أشهر، فإذا انقضت ولم يسلموا فقد أمر النبي بقتالهم حتى ينتزع الشرك من جزيرة العرب.

وقد نزل بهذا الإنذار نص قرآني في مطلع سورة التوبة المعروفة بسورة (براءة) وهو: ﴿ بَرَاءَةٌ مِنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ إِلَى الَّذِينَ عَاهَدْتُمْ مِنَ الْمُشْرِكِينَ فَسِيحُوا فِي الْأَرْضِ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ وَاعْلَمُوا أَنَّكُمْ غَيْرُ مُعْجِزِي اللَّهِ وَأَنَّ اللَّهَ مُخْزِي الْكَافِرِينَ ﴾

﴿ فَإِذَا انْسَلَخَ الْأَشْهُرُ الْحُرُمُ فَاقْتُلُوا الْمُشْرِكِينَ حَيْثُ وَجَدْتُمُوهُمْ ﴾ . وقد تلا هذا الإنذار علي ابن أبي طالب على مسامع المسلمين في موسم الحج من السنة التاسعة.

ولم تمض تلك السنة حتى دانت جزيرة العرب بدين الإسلام وتوحدت في دولة واحدة وفرضت الزكاة على المسلمين، وعين النبي صلى الله عليه وسلم مطارحها ومقاديرها وأرسل عمالا لجبايتها.

- **<u>حجة الوداع (10 هـ) :</u>**

وهلت السنة العاشرة للهجرة وقد دخل العرب في الدين الجديد وانتظموا تحت راية الإسلام، وأقبل موسم الحج فخرج النبي صلى الله عليه وسلم في أكثر من مئة ألف مسلم حاجا، وخطب في عرفات في هذه الجموع مودعا، وفيها بين أركان الإسلام وأعلن المساواة بين المسلمين وجعل تقوى الله معيار التفاضل بينهم، وتلا آخر آية من آيات التنزيل الحكيم: ﴿ الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الإسلامَ دِينًا ﴾

وبهذه الخطبة اختتم النبي العظيم صلى الله عليه وسلم مهمته في أداء رسالته وفي تجهيز العرب بالطاقة الإيمانية ليكونوا رسلها إلى العالم.

- **<u>ظهور حركة الردة :</u>**

لم يكد النبي صلى الله عليه وسلم يفرغ من حجة الوداع حتى ظهرت في اليمن حركة الارتداد عن الإسلام وقد تزعمها مشعوذ يدعى (عيهلة بن كعب العنسي) ويعرف بالأسود العنسي، وقد استهوى قومه بما أراهم من ضلالات سحره فاتبعوه.

وسرت حركة الردة إلى اليمامة وظهر فيها رجل من بني حنيفة يدعى مسيلمة بن ثمامة، وأرسل إلى النبي صلى الله عليه وسلم يطلب منه أن يشركه في أمره، ودعاه النبي صلى الله عليه وسلم ، <u>مسيلمة الكذاب</u>.

واتسع خطر <u>الأسود العنسي</u> في السنة الحادية عشرة للهجرة، فأرسل النبي صلى الله عليه وسلم إلى من بقي في اليمن من المسلمين يحضهم على قتله فاغتالوه، وقضي على حركة الردة في اليمن بعد مقتله، ولكنها ظلت قائمة في اليمامة حتى خلافة أبي بكر رضي الله عنه فقضى عليها في عهده .

- **<u>مرض الرسول ووفاته (11 هـ) :</u>**

وفي مطلع ربيع الأول من السنة الحادية عشرة للهجرة، مرض رسول الله صلى الله عليه وسلم وقبضه الله إلى جواره في يوم الاثنين الثاني عشر من ذلك الشهر. وبانتقاله صلى الله عليه وسلم إلى الرفيق الأعلى . ختمت حياة خاتم الأنبياء وأعظم العظماء في تاريخ الإنسانية.

الدولة الإسلامية في عهد الخلفاء الراشدين(11-41 هـ)

- **<u>مدة خلافة الخلفاء الراشدين وأعمارهـم:</u>**

- **<u>أبو بكر الصديق</u>**: رضي الله عنه : سنتان وثلاثة أشهر توفي في جمادى الآخرة سنة 13هـ عن 63عاما .
- **<u>عمر بن الخطاب</u> :** رضي الله عنه : 10سنوات وستة أشهر توفي في ذي الحجة سنة 23هـ عن 63عاما .
- **<u>عثمان بن عفان</u>** : رضي الله عنه : اثنتا عشر سنة توفي في ذي الحجة سنة 36هـ عن 82 عاما.
- **<u>علي بن أبي طالب</u>**: رضي الله عنه : 4 سنوات وتسعة أشهر توفي في رمضان سنة 40هـ عن 60عاما.

- **<u>خلافة أبي بكر الصديق رضي الله عنه (11- 13 هـ):</u>**

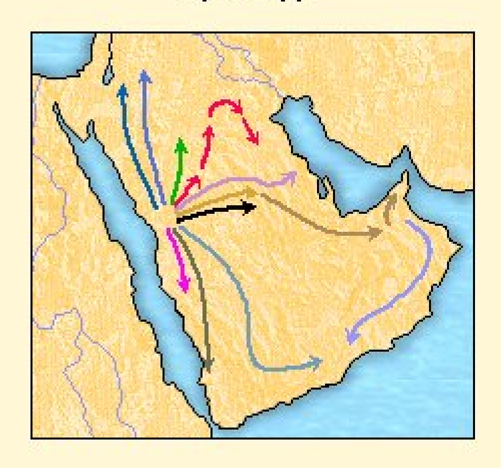
بعد وفاة الرسول صلى الله عليه وسلم. أسفرت الشورى بين المسلمين عن بيعة أبي بكر الصديق رضي الله عنه .

وكان من أهم إنجازات أبي بكر رضي الله عنه خلال مدته القصيرة ، قمع المرتدين ، و إنفاذ جيش إسامة الذي جهزه رسول الله صلى الله عليه وسلم لغزو الروم في الشام ، وكذلك إطلاقه رضي الله عنه حركة الفتح الإسلامي نحو العراق .

حروب الردة [١١ هـ]

- هجوم أبي بكر على عبس وذبيان
- جيش خالد بن الوليد إلى طيىء ثم أسد ثم تميم ثم حنيفة
- جيش عكرمة بن أبي جهل إلى بني حنيفة
- جيش شرحبيل بن حسنة في أثر عكرمة إلى بني حنيفة
- جيش طريفة بن حاجز إلى سليم وهوازن
- جيش عمرو بن العاص إلى قضاعة ووديعة والحارث
- جيش خالد بن سعيد إلى مشارف الشام
- جيش العلاء بن الحضرمي إلى البحرين
- جيش حذيفة بن محصن إلى دبا بعمان
- جيش عرفجة بن هرثمة إلى مهرة
- جيش المهاجر بن أبي أمية إلى صنعاء ثم حضرموت
- جيش سويد بن مقرن إلى تهامة اليمن

حروب الردة



اتجاه الجيوش في بلاد الشام



- جيش أبي عبيدة عامر بن الجراح ← حمص
- جيش يزيد بن أبي سفيان ← دمشق
- جيش شرحبيل بن حسنه ← الأردن
- جيش عمرو بن العاص ← فلسطين
- مدد خالد بن الوليد

- **خلافة عمر بن الخطاب رضي الله عنه (13- 23 هـ):**

عهد سيدنا أبو بكر أثناء مرضه بالخلافة إلى سيدنا عمر بن الخطاب رضي الله عنهما ، وكان قد استشار فيه عبد الرحمن بن عوف وعثمان بن عفان، فذكرا فضله وحمدا رأي أبي بكر. ثم ظهر أبو بكر للناس في المسجد وقال لهم: هل ترضون بمن أستخلف عليكم، فما ألوت من جهد الرأي، ولا وليت ذا قرابة.

ويروي الإمام السيوطي عن ابن عساكر أن عليا ابن أبي طالب قام فقال: لا نرضى إلا أن يكون عمر، فقال أبو بكر: هو عمر فاسمعوا له وأطيعوا، ثم أحضر أبو بكر عمر وقال له: إني قد استخلفتك على أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم وأوصاه بتقوى الله. ولما توفي أبو بكر بايع الناس عمر بمن فيهم علي ابن أبي طالب، ومعه بنو هاشم رضي الله عنهم أجمعين . وتولى عليّ القضاء لعمر مدة خلافته . وزوجه ابنته أم كلثوم ، وهي بنت فاطمة الزهراء بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم . وولدت له ابنه زيدا وابنته رقية. وقد رتب الفقهاء على الطريقة التي جرى فيها استخلاف عمر قاعدة في أصول الحكم . وهي جواز انعقاد الخلافة بعهد من قبل الخليفة السابق.

امتدت ولاية عمر عشر سنين وخمسة أشهر وإحدى وعشرين ليلة، وانتهت حياته بيد أبي لؤلؤة المجوسي الذي اغتاله في فجر يوم الأربعاء لثلاث ليال بقين من ذي الحجة سنة 23 للهجرة . وقد تولى اغتيال عمر بمؤامرة دبرها الهرمزان القائد الفارسي، الذي أسره المسلمون سنة 17هـ في وقعة (تستر) وأرسل إلى عمر بن الخطاب بطلب منه، فأراد عمر قتله ولكنه نجا من القتل بإعلان إسلامه . ولما قتل عمر أقدم ابنه عبيد الله فقتل الهرمزان .

كان عدل عمر رضي الله عنه أشهر من أن يشار إليه ، وكان من أهم الإنجازات في عهده ، **فتح الشام والعراق ومصر، وأكثر بلاد فارس** حيث وصلت جيوش المسلمين إلى أذربيجان .

- **خلافة عثمان بن عفان رضي الله عنه (23- 36 هـ):**

لما اغتيل عمر رضي الله عنه ، طُلب إليه أن يولي ابنه عبد الله بن عمر فأجاب: ما حمدتها فأرغب فيها لأحد من أهل بيتي بحسب آل عمر أن يحاسب واحد منهم .

وقد رأى أن يختار ستة من أجل صحابة رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ممن بشرهم بالجنة ليتشاوروا فيما بينهم ويختاروا للخلافة واحدا منهم، وهم:

عثمان ابن عفان وعلي ابن أبي طالب وعبد الرحمن بن عوف والزبير بن العوام وطلحة بن عبيد الله وسعد ابن أبي وقاص رضي الله عنهم ، وأوصى أن يحضر معهم ابنه عبد الله بن عمر على أن لا يكون له من الأمر شيء، بل ليحكم بينهم إذا اختلفوا.

دعا عمر أصحاب الشورى وأمرهم أن يجتمعوا بعد وفاته، وحدد لهم مهلة ثلاثة أيام تلي وفاته ليختاروا في خلالها خليفة منهم، وعين المقداد بن الأسود حاجبا لهم ، وقال له: إن أجمع خمسة على رجل منهم وأبى الآخر فاضرب عنقه، وإن أجمع ثلاثة على واحد، وثلاثة على واحد، فليحكموا عبد الله بن عمر فأي الفريقين حكم له فليختاروا خليفة منهم، فإن لم يرضوا بحكم عبد الله فليكونوا مع الذين فيهم عبد الرحمن بن عوف ثم بين عمر فضل كل واحد منهم وامتدح مزاياه، وقال: ما أظن أن يلي الخلافة إلا أحد رجلين: علي أو عثمان.

وفعلا أسفرت الشورى عن اختيار عثمان رضي الله عنه وبايعه الصحابة . و تميزت فترة عثمان رضي الله عنه باتساع الفتوحات ، حيث سقط آخر الأكاسرة وقتل ، ودخلت بلاد فارس في الإسلام . كما توغل جيش الصحابة الفاتحين في شمال إفريقيا ، وعبر إلى الأندلس ، ولكنه لم يمكث فيها . وفتحت منطقة بلاد الري وأعالي الجزيرة حول بحر قزوين إلى تخوم الأناضول . وهكذا أقبلت الدنيا على المسلمين تماما كما بشرهم بها رسول الله صلى الله عليه وسلم .

ثم نزغ الشيطان وتسلل الخلاف ، واستغل رؤوس الفتنة بعض الملاحظات التي أثيرت حول سياسات ذي النورين عثمان رضي الله عنه وحصلت الفتنة المشهورة ، التي تولى كبرها أوباش من الناس ، والتي أسفرت عن حصاره وقتله في بيته رضي الله عنه وأرضاه . لتفتح على الأمة فتنة لم ترتق بعد آثاها إلى يومنا هذا .

ولله الأمر من قبل ومن بعد .

- **خلافة علي بن أبي طالب رضي الله عنه (36- 40 هـ):**

بعد مقتل عثمان بايع أهل المدينة عليا ابن أبي طالب رضي الله عنهما وقام بنو أمية يطالبون بدم عثمان المظلوم ، متهمين عليا بحماية قاتليه، وانضمت إليهم السيدة عائشة بنت أبي بكر الصديق وزوج النبي صلى الله عليه وسلم . ووقعت الفتن المشهورة التي كان فيها موقعة الجمل ، ثم انحاز معاوية بن أبي سفيان بأهل الشام، حيث تمركز علي رضي الله عنه في العراق ، ووقعت الفتنة الكبرى .. ثم حصلت واقعة التحكيم المشهورة بين علي ومعاوية ، وفشلت وأسفرت عن ميلاد فرقة الخوارج .

و صمم الخوارج على قتل علي ابن أبي طالب ومعاوية ابن أبي سفيان وعمرو ابن العاص ، وتطوع ثلاثة لهذه المهمة، وهم: عبد الرحمن بن ملجم وقد ضمن قتل علي ، والحجاج بن عبد الله البرك التميمي وقد ضمن قتل معاوية . وعمرو بن بكر التميمي وقد ضمن قتل عمرو بن العاص . وقد نفذ الملعون ابن ملجم ما ضمنه فقتل عليا رضي الله عنه . و أخفق الآخران ، فنجا معاوية وعمرو بن العاص . رضي الله عنهم أجمعين .

- **<u>خلافة الحسن بن علي بن أبي طالب رضي الله عنهما (40-41 هـ):</u>**

بويع الحسن بالخلافة بعد اغتيال أبيه، وبلغه أن معاوية ابن أبي سفيان قد سار إلى حربه وإسقاط الخلافة عنه وأنه نزل (مسكن)، فجهز الحسن جيشا من أهل الكوفة وتوجه به إلى لقاء معاوية. ولكنهم انخذلوا عنه كما تفرقوا عن أخيه وأبيه من قبل - وما يزال هذا دأب الشيعة إلى يومنا هذا - وكرهوا القتال وتفرقوا عن الحسن ونهبوه، وقيل إنه أصابته منهم طعنة حربة، فلم يجد الحسن جدوى في متابعة الحرب بمثل أولئك ، وأرسل إلى معاوية كتابا يعلن فيه رغبته في مصالحته والتنازل له عن الخلافة لقاء شروط ، فأرسل معاوية إليه صحيفة بيضاء مختومة بخاتمه ليملي فيها ما يشاء من شروط، فأملى فيها الحسن رضي الله عنه شروطه، وقدمها إلى معاوية فتقبلها وعاد مع الحسن إلى الكوفة . وفي مسجدها أعلن الحسن تنازله لمعاوية وبايعه الناس، وسمي ذلك العام عام الجماعة لاجتماع المسلمين على خليفة واحد. وعاد الحسن بعد ذلك إلى المدينة، ثم توفي رضي الله عنه في المدينة سنة 50هـ . بعد أن تحققت فيه نبوءة جده صلى الله عليه وسلم عندما قال : (**إن ابني هذا سيد ولعل الله يصلح به بين طائفتين من المسلمين**) .

الفتوحات الإسلامية في عهد الخلفاء الراشدين :

بعد أن أخمد أبو بكر عصيان المرتدين وعم الإسلام الجزيرة العربية ، قام بتنفيذ السياسة التي قررها الرسول صلى الله عليه وسلم في نشر الإسلام خارج الجزيرة، فوجه القوى الإسلامية إلى الجهاد في جبهتين: جبهة العراق بقيادة خالد بن الوليد وجبهة الشام بقيادة أبي عبيدة ابن الجراح ومعه يزيد ابن أبي سفيان وأخوه معاوية و شرحبيل بن حسنة وعمرو بن العاص. وفي العراق تم فتح القسم الجنوبي منه، ثم أمر أبو بكر خالد بن الوليد أن يتوجه إلى الشام مع قسم من جيش العراق مددا لأبي عبيدة ابن الجراح وتم فتح الشام بعد وقعة اليرموك سنة 13هـ وقبيل وفاة أبي بكر رضي الله عنهم أجمعين .

وفي عهد عمر بن الخطاب رضي الله عنه ،(13 - 23هـ) غزا معاوية الروم حتى بلغ (عمورية) وسط (تركيا الحالية) وفتحت الجزيرة وأرمينية وأذربيجان، وطرق المسلمون باب الأبواب على بحر الخزر (قزوين) على يد عياض بن غنم. وفتحت مصر على يد عمرو بن العاص. وامتد الفتح الإسلامي على الأقاليم الساحلية الليبية (طرابلس وبرقة).

وفي العراق تولى قيادة الجيش الإسلامي سعد بن أبي وقاص، وتم على يده فتح ما تبقى من العراق بعد وقعة القادسية (سنة 14هـ) وفيها هزم جيش الفرس وقتل قادته، واجتاز المسلمون حدود بلاد إيران ففتحوا خراسان والأهواز وإقليم فارس وامتد الفتح جنوبا حتى مكران (بلوشستان)إلى حدود السند وشرقا إلى سجستان (أفغانستان).

وفي خلافة عثمان (23 - 35هـ) أعيد فتح خراسان وأرمينية وأذربيجان بعد انتقاضها، وفتحت الري و همذان و طبرستان و جرجان واكتمل فتح إيران. وفي بلاد الشام لم يبق بعد وقعة اليرموك إلا حاميات بيزنطية في بعض مدن فلسطين والساحل ، فأتم فتحها معاوية ابن أبي سفيان، وكان عمر بن الخطاب رضي الله عنه ، ولاه على الشام بعد وفاة أخيه زيد بطاعون عمواس سنة 18هـ.

وعلى جبهة الروم أنشأ معاوية نظام الصوائف و الشواتي لمتابعة غزو الروم. وفي سنة 27هـ بلغ القسطنطينية وحاصرها، وأنشأ في عكا دارا لصناعة السفن، وفيها تم أول أسطول إسلامي وكان باكورة عمله الاستيلاء على جزيرتي قبرص و أرواد، وبه أبيد الأسطول البيزنطي في وقعة (ذات السواري) سنة 34هـ وأصبح شرق البحر المتوسط بعدها بحرا إسلاميا. وفي مصر امتد الفتح

الإسلامي نحو إفريقية بقيادة عبد الله بن سعد بن أبي سرح الذي ولاه عثمان بعد عزلـه عمـرو بـن العاص وانتصر المسلمون على جيش الروم، وكان بقيادة (جرجير gregarious) وتم الاستيلاء على (سبيطلة) التي اتخذها عاصمة له، وفتحت بعد هذه المعركة أبواب المغرب.

وفي عهد علي ابن أبي طالب توقفت الفتوحات، ما خلا توغـل جـرى في جبهـة السـند ، وذلـك بسبب الفتن التي ثارت في عهده وانتهت بقتله رضي الله عنه .

الدولة الإسلامية في عهد الخلافة الأموية(41-132هـ)

بتنازل الحسن بن علي رضي الله عنه عن الخلافة إلى معاوية ابن أبي سفيان ، انتقلت الخلافة إلى بني أمية. وانتهت بذلك الخلافة الراشدة ، وابتدأ عصر الملك العضوض في تاريخ الإسلام والمسلمين .

وقد انطوى العهد الأموي على فترتين:

أ - الفترة السفيانية : وهي الفترة التي تولى الخلافة فيها معاوية ابن أبي سفيان وابنه يزيد بن معاوية وحفيده معاوية بن يزيد وقد امتدت 23 سنة (41 - 46هـ).

ب- الفترة المروانية : وهي الفترة التي انتقلت فيها الخلافة إلى الفرع المرواني من بني أمية بتولي . مروان بن الحكم حتى عهد حفيده مروان بن محمد بن الحكم ، آخر خلفاء بني أمية، ومدتها 68 سنة (64 - 132هـ).

وفي خلال الفترتين ومدتهما 91 سنة وتسعة أشهر توالى أربعة عشر خليفة كان أعظمهم شأنا معاوية ابن أبي سفيان رضي الله عنه، وعمر بن عبد العزيز رضي الله عنه . واتسعت الدولة وتوطدت أركانها في عهد وعبد الملك بن مروان ، والوليد بن عبد الملك ، وأخوه هشام بن عبد الملك . وكانت مدة خلافتهم (71 سنة) من أصل (91 سنة) فالدولة الأموية كانت دولتهم، وفي عهدهم امتدت رقعتها من المحيط الأطلسي إلى حدود الصين، ثم أخذت شمس الخلافة الأموية بالغروب، بما شب فيها من ثورات أضرمها الصراع على الخلافة والانقضاض على الحكم ، وثورات الخوارج ، وحروب أهلية أثارتها العصبية القبلية بين المضرية واليمنية.

وقد ترتب على انتقال الخلافة إلى بني أمية النتائج التالية :

- في المجال السياسي :

أ - **تحول الخلافة إلى ملك موروث** ، ينتقل بعهد من الخليفة السابق إلى ابنه أو إلى اثنين أو أكثر من أولاده بالترتيب ، كما فعل عبد الملك بن مروان حين عهد بالخلافة إلى ولديه الوليد وسليمان ، إذ تبدلت صيغة البيعة ، فبعد أن كانت بيعة الخليفة في عهد الخلفاء الراشدين تقوم على مبايعته على الشورى ، والعمل بكتاب الله وسنة رسوله ، وتؤخذ ممن حضر المبايعة من أهل الحل والعقد من كبار الصحابة وأولى الأحلام والنهى في المدينة . أصبحت تؤخذ من الرعية بحضور الخليفة في عاصمة الدولة (دمشق) وبحضور كبار عماله في الولايات. وكان الخليفة يأخذ البيعة لمن يعهد بالخلافة من أولاده من بعده ، وإذا ما رفض أحد البيعة، فكانت تؤخذ بالقهر والغلبة.

ب – إنتقال عاصمة الدولة الإسلامية إلى دمشق بعـد أن كانـت في العـراق – الكوفـة – زمـن علي رضي الله عنه ، وفي المدينة المنورة قبل ذلك .

ج- انتقال سلطة الحكم إلى بني أمية ، وقد تجمعت عصبيتهم في الشام منذ الفتح الإسـلامي والتقت مع قبيلة كلب اليمانية المتوطنة هناك قبل الإسلام ، وبذلك ارتبطت القبائل الكلبية مع بني أمية برابطة المصاهرة وشكلت الثقل السياسي الذي دعم الدولة الأموية حتى أواخر عهدها.

د- نشوء عهد من الاستقرار السياسي في الدولة الإسلامية أتاح لها هضم الفتوحات التي تمت في عهد الخلفاء الراشدين. والإضافة عليها ، واتساع الدولة الإسلامية إلى أوج مسـاحتها التـي امتـدت من حدود الصين شرقا إلى الأندلس ومراكش غربا ، ومن بلاد القفقاس شمالا إلى بحـر العـرب وبـلاد النوبة جنوبا .. وانتظام كل هذه الرقعة في إطار الحكم الإسلامي .

هـ - أصبح نظام الخلافة أشبه شيء بالنظام الملكي أو القيصري، ومن ثم زادت الصفة الزمنيـة في الخلافة على الصفة الدينية وابتدأ ما أخبر به رسول الله صلى الله عليـه وسـلم مـن أن السـلطان والقرآن سيفترقان .. كما أخذت الدولة بالنظام الإداري والمالي الذي كان متبعا في الـدولتين الفارسـية والبيزنطية.

- في المجال الاقتصادي :

تحولت طرق التجارة إلى مواني الشام ومصر، وخاصة بعد معركة (ذات الصواري) سـنة 34هــ وتدمير الأسطول البيزنطي.

وأصبحت عواصم بلاد الإسلام الكبرى وفي طليعتها مدن الشام ومصر والعراق وخراسان وشمال إفريقيا ، والأندلس.. عواصم الدنيا وزهرتها ، وفي طليعتها عاصمة الخلافـة الأمويـة دمشـق . حيـث ازدهرت التجارة ، وسارت الركبان آمنة تربط شرق العالم القديم بغربه من تخوم الصين وبلاد الهنـد والسند ، إلى بلاد الروم وممالكهم على الشاطئ الآخر للبحر الأبيض المتوسط .

- في المجال العلمي :

ازدهرت الحضارة والعلوم في عهد الدولة الأموية وبلغت مستوى رفيعـا . فقـد انتشرـ صـحابة رسول الله صلى الله عليه وسلم في مختلف البلاد المفتوحة واستوطنوها ولاسيما بلاد الشام والعـراق ومصر، وقد حمل التابعون علوم الصحابة وفقههم وسمتهم ، بعد ذلك إلى فارس وخراسـان وإفريقيـا الشمالية .

ودون الحديث الشريف في زمن عمر بن عبد العزيز رضي الله عنـه ، ونبـغ في طبقـة التـابعين وتابعي التابعين خلال تلك الفترة علماء أفذاذ حفظوا علوم الشريعة ووضعوا الأساس العلمـي الـذي شمخت عليه مناراتها فيما بعد .

ولكن وإلى جانب ذلك شهد تحـول نظـام الحكـم إلى الشـكل الملـكي الكسرـوي القيصرـي ، أن تظهر ظاهرة علماء السلاطين ، وفقهاء القصور ، حتى وجـدنا في وثـائق تـاريخ تلـك المرحلـة بعـض الأئمة الأعلام كأبي حازم والحسن البصري و الأوزاعي ، يزرون بتلـك الظـاهرة وأربابهـا. وفي مجـالات الحضارة الأخرى من العمران والعلوم والفنون .. أدى دخول العرب بلاد الحضـارات القديمـة ، كـبلاد فارس ، والروم ، والسند والهند ..وبلاد الترك إلى جوار الصين ، إلى هضمهم لخلاصـة تلـك الحضـارات ومزجها ، وإنتاج نموذج فريد للحضارة ، بقيت إشعاعاته منارة للإنسانية إلى قرون طويلة بعد ذلـك ..

- **<u>مدة خلافة الخلفاء الأمويون وأعمارهم 661 -750 م:</u>**

1. **<u>معاوية بن أبي سفيان</u>** رضي الله عنه :661 - 680 م ، تسعة عشرة سنة وثمانيـة أشهـــر تـوفي في رجب سنة 60هـ عن 78عاما .
2. **<u>يزيد بن معاوية:</u>** 680 - 683 م، ثلاثة سـنين وثمانيـة أشهـــر تـوفي في ربيـع الأول سـنة 64هـــ عن38عاما .
3. **<u>معاوية بن يزيد</u>**: 683- 683 م أربعون يوما توفي في سنة64هـ عن23عاما .
4. **<u>مروان بن الحكم</u>**: 683- 685 م سنة وعشرة أشهر و توفي في رمضان سنة 65هـ عن 71عامـا .
5. **عبد الملك بن مروان :** 685 -705 م إحدى وعشرون سنة توفي سنة 86 هـ عن 60عاما.
6. **الوليد بن عبد الملك :** 705- 715 م تسع سنين وثمانية أشهـر تـوفي في جـمادى الآخـرة سـنة 96 هـ عن 48 عاما .
7. **سليمان بن عبد الملك :** 715- 718 م سنتان وثمانية أشهـر توفي في سنة 99هـ عن 45 عاما.
8. **عمرو بن عبد العزيز رضي الله عنه** : سنتان وخمسة أشهـــر تـوفي في رجـب سـنة718 720 م 101 هـ عن 40عاما .
9. **يزيد بن عبد الملك بن مروان:** 720 -724 م : أربع سنين وشهـر توفي في شعبان سنة 105هـــ عن 38 عاما .
10. **هـشام بن عبد الملك بن مروان** 724- 743 م : تسـعة عشرـة سـنة وسـبعة أشهـــر تـوفي في ربيع الآخر سنة 125هـ عن 54 عاما .
11. **الوليد بن يزيد بن عبد الملك** 743 - 744 م : سـنة وشهـــران تـوفي في جـمادى الآخـرة سـنة 126هـ عن 38عاما .

12. **يزيد بن الوليد بن عبد الملك** 744- 744 م : خمسة أشهر توفي في ذي الحجة سنة 126هـ عن 40 عاما
13. **إبراهيم بن الوليد بن عبد الملك:** 744- 744 م : سبعون يوما خلع سنة 127هـ وتوفي في ربيع الآخر سنة 132هـ عن 60عاما .
14. **مروان بن محمد بن مروان بن الحكم** 744 - 750 م : خمس سنين توفي في ذي الحجة سنة 132هـ عن60عاما .

- **الفتوحات في عهد بني أمية :**

في عهد معاوية بن أبي سفيان رضي الله عنه (41 - 60هـ) استمرت الفتوحات في صعود ، فقد امتدت شرقا إلى ما وراء النهر وفتحت بخارى وبلاد الصغد . وتوغل المسلمون في إفريقية واستولوا على (قابس) و (بنزرت) و (سوسة) على يد معاوية ابن حديج، أمير إفريقية، ثم فتحت (قفصة) و (قسنطينة) على يد عقبة بن نافع. وفي المشرق تم فتح خراسان و سجستان بعد انتقاضهما واستمرت غارات الصوائف في جبهة الروم، وتوالت الغارات البحرية على جزيرتي (صقلية) و (رودوس) تلك الغارات التي مهدت للاستيلاء عليهما.

وفي عام 48هـ أرسل معاوية حملة استطلاعية إلى ضواحي القسطنطينية ليختبر خط الدفاع البيزنطي عن العاصمة (القسطنطينية) . وفي عام 53هـ وجه معاوية حملة لغزو هذه المدينة بقيادة ابنه يزيد ومعه قائد البحر سفيان بن عوف الأزدي ، وضم إليه الصحابي الجليل أبا أيوب الأنصاري، وعادت الحملة بعد حصار دام سبع سنوات، وفيها توفي أبو أيوب ودفن قرب أسوار القسطنطينية.

وفي عهد يزيد بن معاوية (60 - 64هـ) اقتصرت الفتوحات على توغل عقبة بن نافع في إفريقية وبلوغه ساحل البحر الأطلسي، وغزا المسلمون خوارزم من بلاد ما وراء النهر. وقد مضى أكثر أيام خلافته في صراع مع الحسين بن علي بن أبي طالب رضي الله عنهما والذي انتهى بقتل الحسين، وفي صراع مع عبد الله بن الزبير وقد طلب الخلافة بعد استشهاد الحسين.

وفي عهد عبد الملك بن مروان (64 - 86هـ) توقفت الفتوحات عند حدودها السابقة، ما عدا بعض التوسع في بلاد ما وراء النهر ، وكان سبب ذلك اشتغال عبد الملك في صراعه مع ابن الزبير واشتغاله بقمع الثورات والفتن التي أثارها الشيعة والخوارج، وقد أرهقت عبد الملك واضطرته إلى مصالحة الروم على مال لوقف هجومهم على الثغور الإسلامية.

وفي عهد الوليد بن عبد الملك (86 - 96هـ) أخذت مسيرة الفتوح في صعود، فقد توغل أخوه مسلمة بن عبد الملك في أذربيجان وفتح عددا من القلاع والحصون، واتسع الفتح فيما وراء النهر

على يد قتيبة بن مسلم ففتحت (بخارى) و (سمرقند) و (بلاد الشاش) و (فرغانة) و (كاشان) وامتدت فتوحات قتيبة إلى دلتا نهر جيحون.

وفي إفريقية أكمل موسى بن نصير أمير إفريقية، فتح المغرب وفي سنة 86هـ وجه حملة بحرية بقيادة عياش بن آشيل فغزا صقلية وعاد منها بغنائم، وجهز موسى جيشا بقيادة مولاه طارق بن زياد فاجتاز البحر إلى الأندلس سنة 93هـ وانتصر على ملك القوط (رودريق) في معركة جرت في (شذونة)، ثم لحق به موسى بن نصير واشترك معه في فتح بعض الأقاليم الأسبانية،. وفي الهند توغل محمد بن القاسم الثقفي فيها وفتح كثيرا من قلاعها ومدنها.

وفي عهد سليمان بن عبد الملك (96 - 99هـ) اجتاز قتيبة بن مسلم حدود الصين وفتح مدينة (كاشغر). وفي الأندلس توغل عبد العزيز بن موسى، -وكان قد خلف أباه في إمارة الأندلس- في أسبانيا، وفتح عددا من أقاليمها، وفتح يزيد بن المهلب أمير خراسان جرجان و قهستان و طبرستان. وجهز سليمان حملة بحرية بقيادة عمر بن هبيرة، وأخرى برية بقيادة أخيه مسلمة، فحاصرت القسطنطينية من البر والبحر، وعادت بأمر من عمر بن عبد العزيز بعد توليه الخلافة.

وفي عهد عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه ، (99 - 101هـ) اجتاز المسلمون جبال (البرتات - البيرينيه) إلى بلاد الغال (فرنسا) بقيادة السمح بن مالك، أمير الأندلس، واستولوا على (أربونة - ناربون) و (طولوشة - تولوز)، ولم تتسع الفتوحات في عهد عمر إلى أبعد من ذلك لقصر مدة خلافته.

وفي عهد يزيد بن عبد الملك (101 - 105هـ) توغل المسلمون في بلاد الغال (فرنسا) بقيادة عنبسة بن سحيم أمير الأندلس، حتى بلغ أعلى نهر الرون وقام الأسطول الإسلامي في المغرب بغارات على جزيرة صقلية وجزيرة سردينية.

وفي خلافة هشام بن عبد الملك (105 - 125هـ) صعدت مسيرة الفتوحات الإسلامية إلى أبعد غاياتها وبلغت الأوج. فقد غزا أسد بن عبد الله القسري، أمير خراسان ما وراء النهر بلاد الصغد والترك. وغزا الحجاج بن عبد الملك بن مروان بلاد الخزر وأرمينية وبلاد اللان وفرض عليها الجزية، وتابع الجراح الحكمي أمير أرمينية غزو بلاد الخزر، ولما استشهد سنة 112هـ خلفه في الإمارة مروان بن محمد فغزا أقاليم بحر الخزر (قزوين) ووطد الحكم الإسلامي فيها.

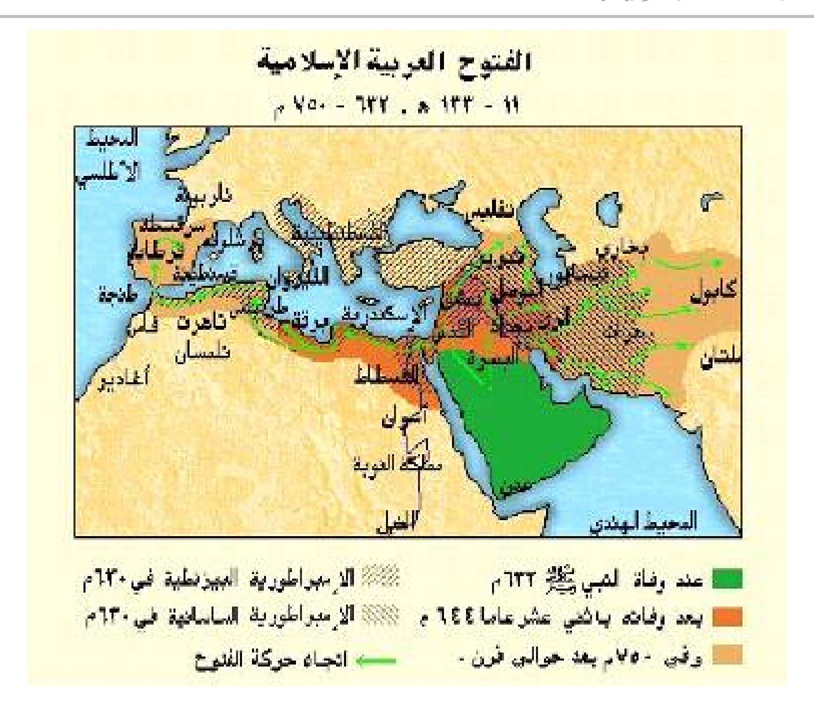
وفي بلاد السند توغل الجنيد بن عبد الرحمن المري فيها وفتح عددا من بلدانها، ثم توقف الفتح حتى أيام الغزنويين في أواخر القرن الرابع والقرن الخامس الهجري. وفي بلاد الغال غزا عبد الرحمن الغافقي، أمير الأندلس، جنوبها الغربي واستولى على مدينة (بوردو) ثم صعد شمالا والتقى مع (شار مارتل) بين مدينتي (تور) و (بواتيه) في معركة ضارية جرت سنة (114هـ - 732م)

استشهد فيها عبد الرحمن وهزم جيشه، بسبب انشغال الجند بحماية الغنائم التي كانوا غنموها، واستشهد معه في تلك المعركة كثير من المسلمين، حتى أطلق على تلك المعركة (بلاط الشهداء).

وخلف عبد الرحمن في إمارة الأندلس عبد الملك بن قطن ، فغزا بلاد (البشكنس - الباسك). وفي إفريقية وجه عبيد الله بن الحبحاب أمير إفريقية، جيشا بقيادة حبيب بن أبي عبيدة الفهري ففتح بلاد السوس وغزا أرض السودان (السنيغال)، وفي البحر المتوسط غزا الأسطول الإسلامي، بقيادة حسان بن محمد بن أبي بكر جزيرتي (ساردينية) و (كورسيكا)، وتوجه أسطول آخر بقيادة حبيب بن أبي عبيدة الفهري ومعه ابنه عبد الرحمن، فغزا جزيرة (صقلية) سنة 122هـ والتحم مع الأسطول البيزنطي في معركة هزم فيها هذا الأسطول، وكان في نية حبيب أن يمضي في الفتح حتى يستولي على الجزيرة كلها، غير أن ثورة البربر بزعامة ميسرة المدغري اضطرته إلى العودة. وفي جبهة الروم استمرت غزوات الصوائف و الشواتي، كشأنها في عهد الخلفاء السابقين.

وبوفاة هشام بن عبد الملك تنتهي المرحلة المروانية الأولى، وفيها امتدت رقعة الدولة الإسلامية من أسبانيا والبحر الأطلسي والمغرب الأقصى إلى حدود بلاد الهند والصين، ومن بحر الخزر وأرمينية إلى المحيط الهندي. وقد اعتبر الخلفاء الأمويون حدود البلاد المفتوحة بدايات لفتوحات مستمرة لا تنتهي عند حدود، ما دام الجهاد مفروضا على المسلمين لنشر رسالة الإسلام، وما دامت الغنائم تدفع المجاهدين لمتابعة الجهاد.

وبعد هشام بن عبد الملك تبدأ المرحلة الثانية والأخيرة من الفترة المروانية، وفيها توقفت الفتوحات. وقد تولى الحكم أربعة خلفاء، كانت مدة خلافتهم ست سنوات وهم: الوليد بن يزيد بن عبد الملك ويزيد بن الوليد بن عبد الملك، وأخوه إبراهيم، و مروان بن محمد بن مروان بن الحكم. ولم تتجاوز مدة خلافة الثلاثة الأول بضعة أشهر، وشغلت خلافة الأخير المدة الباقية (127 - 132هـ)، وقد أمضاها في قمع الفتن والثورات الداخلية التي أحاطت به من كل جانب، ولم يتمكن، على ما أوتي من صبر وشجاعة وإقدام من كبحها، وانتهى مصيره بقتله بيد العباسيين، وبه ختمت حياة الدولة الأموية، وانطوت رايتها التي انتشرت في ظلها راية الإسلام، في تلك الرقعة الواسعة من الأرض .





<u>**أسباب سقوط الدولة الأموية :**</u>

<u>**أولا :**</u> **صراعات القصور على السلطة** و جعل ولاية العهد لأكثر من واحد وما ولد هذا الأمر من صراع على الملك ، أضعف الحكومة المركزية ، وأطمع فيها الثائرين عليها .

ثانيا: أثر العصبية القبلية في الصراع على الملك .

ظهر أثر هذه العصبية بعد وفاة يزيد بن معاوية بن أبي سفيان وتخلي ابنه معاوية (الثاني) عن الخلافة ، فقد نصرت قبيلة كلب اليمانية مروان بن الحكم حين رشح نفسه للخلافة، وقاتلت معه الضحاك بن قيس الفهري، زعيم القيسية في الشام ، وكان يدعو لعبد الله بن الزبير. وانتصر مروان في وقعة (مرج راهط) سنة 64هـ بسواعد الكلبيين، وقتل الضحاك بن قيس في الموقعة وهزم القيسية، ومن بعدها تأصلت العداوة بين اليمانية و القيسية (المضرية)، وظل اليمانية حلفاء بني أمية حتى خلافة الوليد بن يزيد بن عبد الملك حين ثار عليه يزيد بن المهلب بن أبي صفرة زعيم اليمانية.

وقد سرت العصبية القبلية بين اليمانية و القيسية إلى الأندلس وخراسان. وقد انضم اليمانية إلى المعارضة في النهاية ، ومالوا مع أبي مسلم الخراساني ضد نصر بن سيار. وقد أفاد أبو مسلم، القائم بالدعوة العباسية، من هذا الصراع القبلي، الذي أضعف الحكم الأموي في مقاومة الدعوة العباسية وكان من أسباب انتصارها.

ثالثاً : بذخ الخلفاء والأمراء وإسرافهم :

لما آلت الخلافة إلى بني أمية وتحولت إلى ملك موروث، برزت مظاهر الملك في البذخ لدعم ملكهم واكتساب الولاء. وقد أفاضوا عطاياهم على الشعراء، لتنطلق لهواتهم بمدحهم ونشر مآثرهم والدفاع عنهم، والشعراء يومئذ وسيلة الدعاية والإعلام. واتبعوا سياسة البذخ والإنفاق، واتخذوا أبهة الملك في مظهرهم وملبسهم ومجالسهم. وقد مال بعضهم إلى حياة اللهو والمجون، ومنهم من أسرف ورويت عنه حكايات وأخبار تخرج عن نطاق الدين والأخلاق.

ومن المؤرخين من يطعن في صحة هذه الحكايات ، لما في بعضها من الإغراق في المبالغة، ويرى أنها وضعت في العصر العباسي الأول للتشهير ببني أمية، تتمة لحملة التنكيل بأحيائهم وأمواتهم بعد سقوط دولتهم. ولكن الثابت أن تحول الخلافة إلى ملك منذ ذلك العهد ، أدخل على نظام الحكم كل لوازم فساد الملوك وما تحتويه قصورهم .

رابعاً : جور العمال وظلمهم :

واجه الأمويون ثورات وفتن كثيرة . وقد كلفت الدولة نفقات باهظة، وقضي فيها آلاف القتلى والشهداء. وكان موطن هذه الفتن والثورات العراق والجزيرة وخراسان ثم انتقلت إلى أفريقية. وقد اختار خلفاء بني أمية ولاة لهذه الأقاليم من أشد الرجال قسوة . وكان منهم زياد بن أبيه، وابنه عبيد الله بن زياد، والحجاج ابن يوسف الثقفي، وابن أخيه عمر بن يوسف الثقفي ..

وقد منحهم الخلفاء السلطة المطلقة لقمع هذه الثورات والفتن وفرض الطاعة بالقوة، فكانوا هم ومن كانوا يولونه من الأعمال في ولاياتهم ينكلون بمن يقع في قبضتهم من الثائرين و العصاة. وكان من وجوه الظلم القتل بالشبهة ومصادرة الأموال.

خامساً : الإخلال بمبدأ المساواة بين العرب والموالي :

كان مبدأ المساواة الذي أعلنه الإسلام الدافع القوي لإقبال شعوب البلاد المفتوحة على الدخول في الدين الجديد، وقد قام بينهم وبين المسلمين ولاء متبادل فعرفوا باسم (الموالي)، وقد ضمن لهم مبدأ التساوي مع العرب، ما ورد في القرآن الكريم، وما روي من أحاديث الرسول صلى الله عليه وسلم ، وقد طبق هذا المبدأ في عهد الرسول صلى الله عليه وسلم وعهد الخلفاء الراشدين، فلم يكن هناك تمييز بين صهيب الرومي وسلمان الفارسي و بلال الحبشي، وبين أي مسلم عربي، مهما علا نسبه.

. ولما تولى الخلافة بنو أمية، نقضوا هذا المبدأ وتعصبوا للعرب ووضعوا الموالي في درجة أدنى في الحقوق والواجبات وكان يعهد إليهم بالأعمال الدنيا، أما العليا فللعرب.

ولما كثرت نفقات الدولة بسبب الحروب وقمع الثورات والفتن، فرض عمال الأقاليم الجزية على من أسلم من الموالي، كما فرضوا الخراج على أراضيهم، خلافا لأحكام الإسلام، التي قضت بإعفاء من أسلم من الموالي من الجزية، وألزمته بدفع العشر بدلا من الخراج.

وقد أدى التمييز بين العرب والموالي إلى التحاق الموالي بأحزاب المعارضة من علوية وخوارج، ودعم ثوراتهم على الحكم الأموي ، كما أدى إلى ظهور فكرة الشعوبية، وهي إحياء الموالي، وخاصة الفرس، لقوميتهم وتقاليدهم والتفاخر بها والحط من شأن العرب.

تلك هي الأسباب التي أدت إلى سقوط دولة بني أمية، يضاف إليها الدعوة السرية التي اختطها بنو العباس ووجهوا دعاتهم لنشرها في العراق وخراسان، وانضم إليهم العلويون وشيعتهم ومعهم الموالي وتوحدت صفوفهم في مقاومة الحكم الأموي .

وقد أورد المسعودي ما قاله شيخ من شيوخ بني أمية في أسباب سقوط دولتهم:

(لقد شغلنا بلذاتنا عن تفقد ما كان تفقده يلزمنا، فظلمنا رعيتنا، فيئسوا من إنصافنا وتمنوا الراحة منا، و تحومل على أهل خراجنا فتخلوا عنا وخربت ضياعنا، فخلت بيوت أموالنا، ووثقنا بوزرائنا فآثروا مرافقهم على مرافقنا، وأمضوا أمورا دوننا، وأخفوا علمها عنا، وتأخر عطاء جندنا، فزالت طاعتهم لنا واستدعاهم أعادينا فتضافروا معهم على حربنا، وطلبنا أعداؤنا فعجزنا عنهم لقلة أنصارنا، وكان استتار الأخبار عنا من أوكد أسباب زوال ملكنا).

ويضيف المسعودي على هذه الأسباب إثارة روح العصبية القبلية بين اليمنية والقيسية (عرب الشمال والجنوب)، وافتخار كل منهما على الأخرى وادعاؤها بما لها من المناقب، فنتج عن ذلك

تعصب القيسية لمروان بن محمد وانحراف اليمنية عنه إلى الدعوة العباسية، وانتهى الأمر إلى انتقال الدولة عن بني أمية إلى بني هاشم.

وقد تخلل دولة بني أمية محاولة للإصلاح قام بها أمير المؤمنين الراشد عمر بن عبد العزيز؛

فقد أراد عمر بن عبد العزيز أن يقوِّم في خلافته ما اختل من سياسة أسلافه، وما ساء من سلوكهم، وأن يتأسى بسياسة جده عمر بن الخطاب رضي الله عنهما ، فألزم رجال الدولة بالتقشف واستبدل بعمال الولايات عمالا اختارهم من أهل التقوى والأمانة والعلم و الشرع، ورد جميع ما اغتصبه الولاة وأصحاب النفوذ من أموال إلى بيت المال إن كانت من أموال الدولة، وإلى أصحابها إن كانت من أموال الأفراد،

وتألف قلوب العلويين ومنع سب علي بن أبي طالب رضي الله عنه . وأخذ الخوارج بالمناظرة وحجهم فيها . وأصلح السياسة الضرائبية فمنع أخذ الجزية التي كان يأخذها عمال الولايات من أهلها بعد إسلامهم، ومنع فرض الخراج على أراضي من أسلم منهم.

ولما قيل لعمر إن هذا الإصلاح يضر بموارد الدولة، أجاب : (إن الله أرسل محمدا صلى الله عليه وسلم هاديا ولم يرسله جابيا). وقد أجرى إصلاحات إدارية ومالية أخرى لم يكتمل تنفيذها لقصر مدة خلافته وهي سنتان ونيف ، وقد رفعته تقواه وورعه إلى مرتبة سامية، وعده كثير من السلف ، خامس الخلفاء الراشدين وقيل إن بني أمية دسوا له السم لانتزاعه منهم كثيرا مما اغتصبوه ، وأنه هم أن يعيد الأمر شورى بين المسلمين.

- تقييم عهد بني أمية :

مهما قيل في الأسباب التي أدت إلى سقوط الدولة الأموية، فلا ينكر أنها كانت أول دولة عالمية للإسلام، وأنها هي التي نشرته في الرقعة الواسعة من العالم التي تمتد من ساحل البحر الأطلسي إلى حدود الهند والصين، ومن البحر الأسود وبحر الخزر (قزوين) إلى المحيط الهندي، وأنها كانت أقوى دول الإسلام، وكان عصرها بفضل العرب والمسلمين، أكثر العصور الإسلامية قدرة على الجهاد، وقوة في الكفاح، وأشدها نشاطا وحيوية.

وفي عهدها تلاقى العرب، في البلاد المفتوحة، مع شعوب أخرى كانت تتقدمهم في الحضارة وتفوقهم في المعرفة، فتأثروا بثقافاتهم وتقاليدهم ونظمهم، واستطاعوا أن يتمثلوها وأن يضفوا عليها روحا إسلامية.

واتسمت الحياة العلمية بتدوين الحديث والتفسير و المغازي والأخبار، كما اتسمت بنمو الفقه واستيعاب تطبيقاته لحاجات الحياة المتطورة. واتسمت الحياة الثقافية بدراسة المذاهب الفلسفية واللاهوتية ومناظرة أصحابها.

كذلك اتسمت الحياة الثقافية بالأخذ بعلوم اليونان في الطب والكيمياء، وكان خالد بن يزيد بن معاوية بن أبي سفيان أول من اهتم بنقل تلك العلوم إلى اللغة العربية. واتسمت الحياة الاقتصادية بنشاط التجارة واتساعها، وخاصة بعد أن سيطر الأسطول الحربي على شرقي البحر المتوسط، في أعقاب المعركة الحربية المعروفة بذات السواري سنة 34هـ وبسط سيادة الدولة الإسلامية عليها، واتسع نشاط التجارة بعد فتح إفريقية والأندلس، فكانت السفن التجارية تمخر في البحر وتسعى بين مواني بيزنطة وإيطاليا وصقلية وكريت و رودوس وقبرص، تتجر معها، على الرغم من استمرار الغزوات البحرية التي كانت تشنها على تلك البلاد.

كذلك نشطت التجارة البرية، فكانت القوافل تعبر الطرق البرية إلى الهند والصين، وتسلك بلاد إيران وما وراء النهر إلى سمرقند بخارى وبلاد الخزر وتحمل تجارتها من تلك البلاد وإليها. واتسمت الحياة الزراعية بتوفير الأيدي العاملة المجلوبة من إفريقية لاستصلاح أراضي السواد جنوبي العراق.

واتسمت الحياة العمرانية ببناء المساجد الفخمة والقصور الشاهقة والمستشفيات (البيمارستانات) وببناء المدن ودور الصناعة المعدة لبناء السفن التجارية والحربية. ففي عهد معاوية بن أبي سفيان بنيت مدينة القيروان بناها عقبة بن نافع سنة 50هـ وفي عهده بنيت دار الصناعة في عكا .

وفي عهد عبد الملك بن مروان بنيت قبة الصخرة في القدس وبدئ ببناء المسجد الأقصى، وأعيد بناء الكعبة والحرم المكي سنة 74هـ وبنيت مدينة (القيروان) - تونس - وأقيمت فيها دار لصناعة السفن، تولى بناءها حسان بن النعمان أمير إفريقية سنة 82هـ وبنيت مدينة واسط بناها الحجاج بن يوسف الثقفي أمير العراق، سنة 82 - 83هـ لتكون وسطا بين الكوفة والبصرة، وفي عهد الوليد بن عبد الملك اكتمل بناء الجامع الأموي بدمشق سنة 87 - 96هـ وجدد بناء الحرم النبوي مع توسيعه وتزيينه بالفسيفساء، وبنيت القصور الصحراوية.

واهتم الوليد بالمرافق العامة من إصلاح الطرق وحفر الآبار في طريق الحج وإنشاء البيمارستانات للمرضى وبناء دور خصصت للمجذومين وأخرى للعميان والمقعدين، وأجرى الخليفة عليها أرزاقا.

وفي عهد سليمان بن عبد الملك بني الجامع الأموي في حلب سنة 97هـ، وبنى سليمان وهو ولي للعهد مدينة الرملة بفلسطين، وفيها بنى القصور والجامع. وفي سنة 109هـ بنى هشام بن عبد الملك قصر الرصافة بالقرب من الرقة وبنى عبيد الله بن الحبحاب أمير إفريقية، جامع الزيتونة، وفي عام 127هـ بنى مروان بن محمد مدينة حران قرب الموصل لتكون عاصمة مؤقتة له بين الشام والعراق، لكي يسهل عليه مراقبة ما يجري فيهما.

وإلى جانب النشاط العمراني تمت إصلاحات مالية وإدارية، فقد عرب عبد الملك بن مروان القراطيس، وهي ورق البردي، وكان الأقباط في مصر يصنعونه ويتوجونه باسم المسيح، فأمر عبد الملك أن يستبدل اسم المسيح بـ (قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ)

كذلك ضرب عبد الملك السكة وضرب الدنانير الذهبية لأول مرة في الإسلام، وضرب الحجاج الثقفي أمير العراق، الدراهم الفضية المنقوشة ووضع لها الوزن. وفي سنة 81هـ نقل عبد الملك الديوان من الرومية إلى العربية، وكذلك فعل الحجاج الثقفي فقد نقل الديوان من الفارسية إلى العربية، ومثله فعل عبد الله بن عبد الملك بن مروان أمير مصر سنة 86هـ فقد نقل الديوان من القبطية إلى العربية، وتأسى به حسان بن النعمان أمير إفريقية، فنقل ديوان إفريقية إلى العربية. ويعتبر ضرب السكة وتعريب الدواوين تأكيدا لكيان الدولة المالي والاقتصادي.

وإذا كان يؤخذ على دولة بني أمية الظلم والجور، فلعل ذلك ما كانت تقتضيه الظروف الحرجة، وخاصة أن الخارجين عليها، كانوا من الأشداء في نضالهم، ومن المتعصبين لعقائدهم..

وقد رأينا أن الثورات والفتن قد أحاطت بدولة بني أمية، واندلعت في عدة جبهات، وخاصة في العراق، ثم أضحى مقرا للشيعة، وفيه ظهر الخوارج الثائرون على نظام الحكم.

- **ظاهرة علماء السلطان في العصر الأموي :**

كما ذكرنا سالفا ، فقد استتبع تحول نظام الحكم الإسلامي من الخلافة لإلى الملك على يد بني أمية ، أن تظهر توابع النظام الملكي وأركانه ، من مثل ما ألف عبر التاريخ من فساد القصور ، وقيام نظام السلطة على أسسها الثلاثة (الحاكم – الكاهن – الأعوان) . وهكذا ظهرت طائفة علماء السلطان لأول مرة في تاريخ المسلمين لتزين مجالس الأمراء وأبواب السلاطين ، وتلحق بالملأ ..

ولقرب العهد بخير القرون ، فقد انبرى من أئمة الهدى من وقف لهذه الفئة بالمرصاد واستعصى على ملوك الجور الذين تدرجوا في الفساد . وقد حفظ لنا كتب التاريخ الإسلامي منذ ذلك العهد تراثا رائعا من مواقف علماء الحق وأئمة الهدى ..

ومن ذلك ما قاله الإمام الحسن البصري يوبخ أولئك المتزلفين على أبواب الأمراء : (جاء في كتاب سير أعلام النبلاء : روى أبو نعيم في الحلية حدثنا ... حدثنا فضيل بن جعفر قال خرج الحسن من عند ابن هبيرة فإذا هو بالقراء على الباب فقال : ما يجلسكم ها هنا ؟! تريدون الدخول على هؤلاء الخبثاء . أما والله ما مجالستهم مجالسة الأبرار . تفرقوا .. فرق الله بين أرواحكم وأجسادكم . قد فرطحتم نعالكم ، و شمرتم ثيابكم ، وجززتم شعوركم . فضحتم القراء فضحكم الله . والله لو زهدتم فيما عندهم لرغبوا فيما عندكم . ولكنكم رغبتم فيما عندهم . أبعد الله من أبعد).

كان هذا سرد لبعض أخبار بني أمية وعهدهم ، وصدق الله العظيم :

﴿ تِلْكَ أُمَّةٌ قَدْ خَلَتْ لَهَا مَا كَسَبَتْ وَلَكُمْ مَا كَسَبْتُمْ وَلا تُسْأَلونَ عَمَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴾ (البقرة:134).

الدولة الإسلامية أيام الخلافة العباسية(132-656هـ)

- **انتقال الخلافة إلى بني العباس :**

انتقلت الخلافة إلى بني العباس بعد نجاح الـدعوة السريـة التـي أطلقهـا دعـاتهم منـذ بدايـة السنة المئة للهجرة في خراسان حتى سنة 132هــ ، وفيهـا انكشـف سر الـدعوة التـي كـان ظاهرهـا الدعوة لاختيار خليفة من بيت آل النبي صلى الله عليه وسلم يـرضى عنـه المسـلمون، وكـان يطلـق عليها (الرضا من آل محمد)، إمعانا في الكتمان . ثم تبين أنها كانت تخفي الدعوة لبني العباس.

وفي يوم الجمعة الثاني عشر من ربيع الأول سنة 132هـ دخل الكوفة أبو العباس عبد الله بـن محمد بن علي بن عبد الله بن عباس وبويع في مسجدها، وألقى في أهل الكوفة خطابا، بين فيه حق بني العباس في الخلافة ولقب بالسفاح.

ومن ذلك اليوم طوي علم بني أمية الأبيض وارتفع علم بني العباس الأسود. وأخذ عما السفاح عبد الله وصالح ولدا علي بن عبد الله العباسي يطاردون بني أمية بعد هزيمة مروان بن محمد آخر خلفائهم والقبض عليه في (بوصير) بمصر وقتله . فنبشوا قبور بني أمية في دمشق وأحرقوا مـا تبقـى من رفاتها . وأثخنوا بجمع كبير من بنـي أميـة في فلسـطين فقتلـوهم عـلى شـاطئ نهـر (فطـرس) وتشتت من نجا منهم في الآفاق . وسبحان الذي يؤت الملك من يشاء وينزع الملك ممن يشاء ، ويعز ون يشاء ويذل من يشاء .

النتائج التي ترتبت على انتقال الحكم إلى بني العباس :

ترتب على انتقال الحكم إلى بني العباس النتائج التالية:

أولاً: نقل العاصمة من الشام إلى العراق .

ثانياً: انتقال النشاط التجاري إلى العراق، وربط التجارة البرية ببغداد والبحرية بالبصرة.

ثالثاً : قيام صراع بين أشراف العرب وأشراف الموالي من الفـرس ، ثـم الـترك عـلى نيـل مناصـب الدولة، وإيثار الموالي بهذه المناصب ، مما أدى لسقوط الدولة في نصفها الثاني تحت إدارتهم كليا .

رابعاً : اشتداد مقاومة الناقمين من العلويين والخوارج وتـوالي ثـوراتهم عـلى الحكـم العبـاسي، وانشغال الدولة بقمعها مما أدى إلى :

أ - توقف الفتوحات وتحول الدولة العباسية من موقف الهجوم - وهو موقف الدولة الأمويـة - إلى موقـف الـدفاع ، واعتبـار الحـدود التـي وصـل إليهـا الأمويـون في فتوحـاتهم، حـدودا نهائيـة والوقوف عندها والاكتفاء بالدفاع عنها على الحدود مع الروم غربا أو الترك شرقا .

ب - عجز الدولة عن ضبط الحكم في الولايات الإفريقية، مما اضطرها إلى السكوت والاعتراف بحالة راهنة قضت بانتزاع بعض الأقاليم من سيادة الدولة، مما أظهر الدول المستقلة . كما فعل عبد الرحمن بن معاوية بن هشام بن عبد الملك الأموي الملقب بالداخل، حين انتزع الأندلس سنة 138هـ وأقام فيها إمارة مستقلة تحولت إلى خلافة سنة 300هـ في عهد عبد الرحمن الناصر، وكما فعل إدريس الأول، بعد نجاته في وقعة (فخ) سنة 169هـ وإقامته في المغرب دولة علوية مستقلة، كذلك أدى اختلال الأمور في المغرب الأدنى (تونس) إلى تولية إبراهيم بن الأغلب عليه ومنحه الاستقلال الذاتي سنة 184هـ وإنشائه دولة بني الأغلب، لتحول دون امتداد دولة الأدارسة نحو المشرق. وإلى جانب هذه الدول المستقلة التي انفصلت سياسيا وإداريا عن دولة بني العباس، نشأت في إفريقية إمارات مستقلة كإمارة بني مدرار التي أنشأها في (سجلماسة) أبو القاسم سمغو سنة 155هـ والإمارة الرستمية التي أنشأها عبد الرحمن بن رستم في (تاهرت) سنة 160هـ وكانت كلا الإمارتين تدينان بمذهب الخوارج.

خامساً : تخصيص بعض الولاة بإقليم من أقاليم الدولة استقلالا، مكافأة لهم لقيامهم بخدمة الدولة، كما فعل المأمون بتخصيص طاهر بن الحسين بإقليم خراسان إمارة مستقلة يتوارثها أبناؤه من بعده، وذلك مكافأة له للتغلب على أخيه الأمين.

- **ويمكن تقسيم مرحلة الخلافة العباسية إلى ثلاثة أطوار، بحسب القوة والضعف وهي :**

  - **الطور الأول : طور القوة والعصر الذهبي : (132- 247 هـ / 750-861 م) .**

  - **الطور الثاني : طور الضعف والتفتت وتسلط القادة الأعاجم من الفرس والترك :**
    (247- 487هـ / 861 - 1094م)

  - **الطور الثالث : طور الإنهيار والغزو الخارجي من الصليبيين والتتار : (487-656هـ / 1094 - 1258م)**

الخلفاء العباسيون في بغداد :

الطور الأول :

1- أبو العباس السفاح : 750 - 754 م / 132 - 136 هـ .
2- أبو جعفر المنصور: 754- 775 م / 136 - 158 هـ .
3- محمد المهدي بن أبي جعفر المنصور : 775 - 785 م / 158- 169 هـ .
4- موسى الهادي بن محمد المهدي: 785 - 786 م/ 169 - 170 هـ .
5- هارون الرشيد بن محمد المهدي : 786 - 809 م / 170 193- هـ .
6- الأمين بن هارون الرشيد : (قتل) . 809- 813 م / 193 - 198 هـ .
7- المأمون بن هارون الرشيد: 813- 833 م / 198- 218 هـ .
8- محمد المعتصم بالله بن هارون الرشيد : - 833 842 م/ 218 - 227 هـ .
9- هارون الواثق بالله بن المعتصم بالله: 842 - 847 م/ 227 -232 هـ .
10- جعفر المتوكل على الله بن المعتصم بالله : (قتل) 847 -861 م/ 232 -247 هـ

الطور الثاني :

11- المستنصر بالله بن المتوكل على الله : (قتل) 861- 862 م/ 247 - 248 هـ .
12- احمد المستعين بالله بن المعتصم بالله: (قتل) 862 -866 م/ 248 252 هـ .
13- المعتز بالله بن المتوكل على الله : (قتل) 866 -870 م /252 -255 هـ .
14- محمد المهتدي بن الواثق بالله : (قتل) 870 -870 م /255- 256 هـ .
15- احمد أبو العباس المعتمد على الله بن المتوكل: 870 -892 م/ 256 279 هـ
16- احمد أبو العباس المعتضد بالله بن الموفق بن المتوكل على الله : 892 -902 م /279 -289 هـ .
17- علي المكتفي بالله بن المعتضد بالله: 902 -908 م / 289 - 295 هـ .
18- جعفر أبو الفضل المقتدر بالله بن المعتضد بالله : (خلع مرتين ثم قتل) 908 - 932 م /295 - 320 هـ .
19- عبد الله بن المعتز الراضي بالله : (ولي الخلافة يوما واحدا) ! 909 م /296 هـ .
20- محمد القاهر بالله بن المعتضد بالله : 932 -934 م /320 - 322 هـ .
21- احمد أبو العباس الراضي بالله بن المقتدر: 934 -940 م /322 -329 هـ .
22- ابراهيم المتقي بالله بن المقتدر بالله : 940 -945 م /329 - 333 هـ .

23- عبد الله أبو القاسم المستكفي بالله بن المكتفي : (سملت عيناه وسجن حتى مات) ! 945 - 946 م/ 333 - 334 هـ .

24- المطيع لله ابن المقتدر : (خلع نفسه) ! 946 - 974 م /334 - 363 هـ .

25- عبد الكريم أبو بكر الطائع لله بن المطيع : 974 -991 م /363 - 381 هـ .

26- احمد أبو العباس القادر بالله بن الأمير اسحق بن المقتدر بالله: 991 -1031 م / 381 - 422هـ .

27- عبد الله أبو جعفر القائم بأمر الله بن القادر بالله : 1031 -1075 م/ 422 - 467 هـ .

28- عبد الله المقتدي بأمر الله حفيد القائم بأمر الله : (لان أباه مات قبله) 1075 - 1094 م /467 - 487 هـ .

الطور الثالث :

29- احمد أبو العباس المستظهر بالله بن المقتدي بأمر الله : 1094 -1118 م /487 - 512 هـ .

30- أبو منصور فضل المسترشد بالله بن المستظهر بالله : (قتله الباطنيون) 1118 - 1135 م / 512- 529 هـ .

31- أبو جعفر المنصور الراشد بالله بن المستظهر بالله : (خلعه السلطان مسعود) 1135 - 1136 م /529 - 530 هـ .

32- محمد المقتفي لأمر الله بن المستظهر بالله : 1136 -1160 م /530 - 555 هـ

33- يوسف المستنجد بالله بن المستظهر بالله : 1160 -1170 م /555- 566 هـ .

34- أبو محمد الحسن المستضيء بأمر الله بن المستنجد بالله: 1170 - 1180 م /566 - 575 هـ

35- الناصر لدين الله بن المستضيء بأمر الله: 1180 - 1225 م / 575 622 هـ .

36- أبو النصر محمد الظاهر بأمر الله بن الناصر لدين الله: 1225 -1226 م / 622 - 623 هـ .

37- أبو جعفر المنصور المستنصر بالله بن الظاهر بأمر الله : 1226 - 1242 م /623 - 640 هـ .

38- أبو احمد عبد الله المستعصم بالله بن المستنصر بالله : (قتله التتر) 1242 - 1258 م /640 656 هـ .

- **الفتوحات في عهد الدولة العباسية :**

وقفت الدولة العباسية عند الحدود التي انتهت إليها الدولة الأموية قبل سقوطها، وما جرى في عهد الدولة العباسية إنما كان إخضاعا لأقاليم انتقضت عليها وتم إخضاعها، فكأنما فتحت من جديد، كانتقاض بعض نواح فيما وراء النهر سنة 134هـ ، وانتقاض طبرستان سنة 142هـ ، وانتقاض سجستان سنة 152هـ ، وانتقاض جرجان سنة 167هـ ، وقد كانت هذه الانتفاضات ثورات على الحكم العباسي أو تمردا عليه قمعت بشدة وعنف.

وقد استمرت غزوات الصوائف في جبهة الروم واقتصرت على حماية الثغور الإسلامية، الجزرية والشامية، وتتابعت من عام 142هـ حتى عام 191هـ وتوقفت بعد ذلك إلى عام 215، بسبب الحرب الأهلية بين الأمين والمأمون، من أجل الخلافة، وما تبعها من أحداث. ولما استقر الملك للمأمون استأنف حملات الصوائف، وكان آخرها الحملة التي قادها بنفسه سنة 218هـ وتوقف بها عند مدينة طرسوس ، وفيها توفي تلك السنة ، بعد أن أمر أن يحمل إليه الإمام أحمد بن حنبل ليمتحنه في مسألة خلق القرآن ، فحمل إليه في أغلال ثقيلة ، وقد اشتهر أن الإمام دعا ربه في الطريق ، أن لا يجمعه الله بالمأمون ، فجاء خبر وفاته وهم في الطريق ، وأعيد الإمام إلى بغداد !.

توقفت حملات الصوائف بعد ذلك، وأصبحت الثغور الإسلامية هدفا لغارات الروم. ففي سنة 243هـ أغار الروم على الثغور الجزرية وبلغوا مدينة (شمشاط) واقتربوا من مدينة (آمد - ديار بكر) كما أغاروا سنة 245هـ على الثغور الشامية من جهة (أنطاكية) ولم تفلح حملات الصوائف التي قادها قائدان شهيران وهما: علي بن يحيى الأرميني ، وعمر بن عبد الله الأقطع . في صد غارات الروم واستشهد الاثنان في عراك معهم.

على أننا لا بد أن نشير إلى ثلاث حملات عسكرية ضخمة توجهت إلى بلاد الروم وكانت حملات تأديبية :

الأولى: وجهها الخليفة المهدي سنة 165هـ بقيادة ابنه هارون الرشيد وفيها بلغ القسطنطينية فهادنته الملكة (إيرين) وعقدت معه صلحا مع جزية سنوية مجزية.

والثانية: قادها الرشيد بنفسه وهو خليفة سنة 187هـ عندما نقض الإمبراطور(نقفور) الذي خلف(إيرين) الهدنة ، وأرسل رسالة حادة للرشيد ، فكتب له الرشيد على ظهرها مجيبا : (من أمير المؤمنين هارون الرشيد إلى نقفور كلب الروم ؛ أتاني كتابك يا ابن الفاجرة ! والجواب ما ترى لا ما تسمع !!) .

ثم غزاه وانتصر عليه ، فصالحه الإمبراطور (نقفور) وعقد معه هدنة جديدة .

والثالثة: الحملة التي قادها الخليفة المعتصم بالله بنفسه سنة 223هـ انتقاما من الروم الذين أغاروا على ثغور الجزيرة ودخلوا مدينة (زبطرة) فنهبوا وسبوا النساء وهدموا المدينة . وكانت غارة الروم هذه بطلب من الثائر بابك الخرمي الذي كانت جيوش الخليفة تلاحقه، فلما ضيقت عليه الخناق طلب من الإمبراطور البيزنطي (تيئوفيل) أن يشن الغارات على الثغور الإسلامية ليضطر الخليفة إلى سحب جيوشه عنه. وقد استجاب الإمبراطور لمطلبه وزحف على الثغور، ولكن بعد أن كان بابك قد وقع في قبضة جيش الخليفة حيث أسره (الإفشين) قائد المعتصم .

فقد روت كتب التاريخ أن امرأة من نساء المسلمين كانت مأسورة في عمورية فاستغاثت بالمعتصم، ونادت : (وا معتصماه) ! فقال لها الرومي : ليأتك المعتصم على حصان أبلق ، فبلغ ذلك المعتصم ، فأمر بتجييش جيش حمل فيه ثمانين ألف حصان أبلق ! وقد نفذ المعتصم حملته المشهورة التي خلدها ، الشاعر أبو تمام بقصيدة عصماء، وذلك عندما زعم المنجمون وقالوا له : أن النجوم والنبوءات تشير لعدم إمكانية النصر في ذلك الوقت ، فأصر المعتصم على الغزو وخرج ، وكان في جيشه جم غفير من العلماء والصالحين المشاهير منهم محمد بن واسع رحمه الله والتقى المعتصم مع جيش الإمبراطور في معركة جرت في (عمورية) انتهت بهزيمة الروم وأسر الإمبراطور. وتخريب عمورية وتحريقها . وقد قال في ذلك أبو تمام شعرا جاء في مطلعه :

السيف أصدق أنباء من الكتب   في حده الحد بين الجد واللعبِ .

وإذا كان من فتح في هذا العصر من دولة بني العباس، فهو فتح صقلية الذي تولاه الأمراء الأغالبة، أمراء إفريقية. ففي سنة 212هـ جهز الأمير زيادة الأول بن إبراهيم بن الأغلب حملة بحرية بقيادة القاضي العالم المجاهد : أسد بن الفرات رحمه الله .

ومنها أغاروا على جزيرة مالطة وافتتحوها أيام محمد بن الأغلب سنة 261هـ ، وعبروا مضيق مسينا وغزوا قلورية (كالابريا calabria) وهي المنطقة الواقعة في أقصى الجنوب من شبه جزيرة إيطاليا.

• تقييم العصر العباسي الأول :

يمكن القول أنه إذا كان العصر الأموي عصر الفتوحات الإسلامية، فإن العصر العباسي كان عصر الحضارة الإسلامية. وقد ظهر أثرها في تطور علوم الشريعة ، ومختلف مناحي الحياة العمرانية والأدبية والفكرية والعلمية والاجتماعية....

فقد تطورت علوم الدين المختلفة ، كعلوم القرآن ، وعلوم الحديث ، كما نشأت في هذه المرحلة المذاهب الأربعة ، وهي مدارس الأئمة الأجلاء (الإمام أبو حنيفة النعمان ، والإمام مالك ، والإمام الشافعي ، والإمام أحمد بن حنبل) ، وغيرهم من الأئمة الأعلام الذين كان لهم مذاهب

ومدارس فقهية ، كانت أقل انتشارا ، كالإمام سفيان الثوري ، والإمام الأوزاعي ، وغيرهم .. وقد ظهر تـدوين السـيرة النبويـة ، وتـاريخ الخلفـاء الراشـدين مـن بعـده وسـيرهم ومـا بعـد ذلـك مـن أحداث،فوضعت أسس علم التاريخ الإسلامي ، وظهر تدوين الحديث وتمحيص الصحيح منه من غير ذلك ، وبرز أئمة الحديث الأعلام ، كالبخاري ومسلم ، وعبد الله بن المبـارك ، وابـن عيينـة ، وأحمـد ابن حنبل وغيرهم كثير رحمهم الله تعالى ..



وتبعا لذلك تطورت علوم العربية. وظهرت علوم قواعد اللغة لضبط لفظها على نحو كـلام الأعـراب وعرف بعلم النحو وكذلك علـم الصرف ، و ظهـر رجـال عنـوا بمفـردات اللغـة ومعانيهـا المختلفـة واستعمالاتها معتمدين في ذلك على شواهد من كلام العرب وأشعارهم وأمثالهم، فكان من كل هـذا الذي صنعوه عمدة في تفسير القرآن والحـديث، أعـان الفقهـاء في اسـتنباط الأحكـام مـن مصـدريها الأساسيين وهما القرآن والسنة. وغير ذلك من العلوم اللازمة للفقه الذي تأسسـت مدارسـه في تلـك الفترة ..

وأما في المناحي الحضارية الأخرى ، فقد تطـورت الحيـاة العمرانيـة ونجـد مـن آثـار ذلـك في تجديد أبي العباس السفاح لمدينة الأنبار ، واتخاذها عاصمة له وفي بنائه مدينة الهاشـمية ، وفي بنـاء المنصور مدينة بغداد ، ونقل العاصمة إليها ، وفي بنائه مدينة الرافقة ، إلى جانب مدينة الرقـة ، وفي بناء مدينة سامراء التي كان اسمها (سُّرَ من رأى) في عهد المعتصم، وفي بناء مدينـة المتوكليـة أيـام المتوكل، وفيما شيد في هذه المدن من قصور، أثار بهاؤها قرائح الشعراء.

وقد تجلت الحياة الأدبية في شعر الشعراء ، فقد أضفت نعومة الحياة رقة في الشعر، وابتـداعا لمعان جديدة، وألهمت خيال الشعراء بصور فنية لم يكن لشعراء العصر الأموي عهد بها. وكان عطاء الخلفاء وسخاؤهم، ومن كان يجاريهم في العطاء من الوزراء والكبراء يشحذ إلهـام الشـعراء ويطلـق لهواتهم بجيد الشعر، وكان الشعر وسيلة إطـرائهم والتغنـي بفضـائلهم. وإلى جانـب الشـعراء ظهـر الكتَّاب، فابتدعوا أسلوبا جديدا يقوم على سلاسة التعبير، ودقة المعاني وإشراق البيـان، ومـن هـؤلاء من رقا إلى الوزارة .

وفي الحياة الفكرية نجد أثر الثقافات الأجنبية التـي حملهـا المـوالي معهـم، مـن حكمـة الهنـد وأدب الفرس وفلسفة اليونان والعلوم التطبيقية الأخرى . وقد تأثر بها الفكر الإسلامي، وتلقاهـا بمـا نقل منها إلى العربية ، فانعكست عليه خيرا وشرا .

وكان الخليفة المنصور أول من عني بهذا النقل وتبعه حفيده الرشيد ثـم المـأمون الـذي أنشـأ دارا للترجمة أسماها (دار الحكمة) واشتهرت بما جلب إليها من كتب الأوائل ، وخاصة ما كتب منها باليونانية والسريانية والقبطيـة، ووكـل بهـا مترجمـين مـن كـل الاختصاصـات : في الطـب والهندسـة والفلك (التنجيم) والصيدلة .. وقد كان لتلك الظاهرة أثرا إيجابيا تجـلى في ازدهـار العلـوم البحتـة والتطبيقية ، كالطب والرياضيات ، والهندسة، والفلك ، والكيمياء.. ، ولكنه لم يخلـو مـن أثـر سـلبي بالغ الضرر بسبب ما دخل من علوم الفلسفة والمنطق على أبحاث الشريعة ، مما أوجد ما عرف بــ (علم الكلام) الـذي دخـل في علـم العقائـد والتوحيـد ، وأوجـد مـذاهب عقديـة منحرفـة وضـالة كالجهمية ، والقدرية ، وغيرها ... وكان في طليعتها مذهب المعتزلة ، الذي يتلخص بـاعتماد تحكـيم العقل على نصوص الشرع كتابا وسنة .. والذي فجر مسألة فتنة خلق القرآن التـي طحنـت العلـماء والرعية أيام المأمون والمعتصم والواثق ، وبقيت آثار هذا المذهب المنحـرف إلى يومنـا هـذا، حيـث ينتمي أكثر من يسمون مفكرين إسلاميين ، ورموز صحوة إسلامية إليه .وبعضهم لا يدري !

وكان من مظاهر الحضارة التي تميز بها العصرـ العبـاسي تطـور الحيـاة الاجتماعيـة. فقـد أدى امتزاج العرب بالموالي، وأكثرهم من الفرس، إلى ظهور طبقة مـن المولَّـدين، أحـدثت تطـورا في حيـاة الأسرة والمجتمع.

ففي الأسرة الحاكمة تقدمت زوجات الخلفاء ، وزوجات كبار الـوزراء والأمـراء ، اللـواتي دعـين بأمهات الأولاد - وهن الجواري المستولَدات بالزواج بعد تحريرهن - على الحرائر العربيـات في كثـير من الأحيان ، ونلن الحظوة عند الأزواج، وحظي أبناؤهن عند آبائهم بما لم يحـظ بـه أبنـاء الحرائـر. وقد ضرب الخلفاء العباسيون في ذلك المثل.

وإذا نحن استثنينا أبا العباس السفاح ومحمد المهدي بن المنصور، ومحمد الأمـين بـن الرشـيد، فكل خلفاء بني العباس ولدن من إماء وجواري محظيات !!! .

وكان لأمهاتهم الفارسيات والتركيات والروميات والبربريات ... الكلمة العليا في اختيار أولياء العهد، فكانت صاحبة الدل على الخليفة تفرض ابنها ليخلف أباه وتلزمه بالعهد إليه، فيقوم بين الأبناء نزاع كان يؤدي إلى صراع دموي، كما حدث بين الأمين والمأمون، وكما جرى مع المتوكل، فقد عهد بالخلافة إلى ابنه محمد (المنتصر) وهو ابن أمة تدعي (حبشية)، فزاحمتها أم محمد (المعتز) وهي مثلها أمة تدعى (صبيحة)، فلقبوها (قبيحة) وجعلت المتوكل يعزم على تقديم ابنها في ولاية العهد على أخيه محمد (المنتصر)، ولما علم هذا ما عزم عليه أبوه، ائتمر مع القادة الأتراك على قتله، فقتلوه.

وقد أدى تغلب العنصر الفارسي منذ أيام المأمون الذي كان أخواله من الفرس ، ثم التركي منذ أيان المعتصم الذي كان أخواله من الأتراك . كذلك تسربت التقاليد الفارسية إلى الحياة الاجتماعية، فظهرت الأزياء الفارسية في البلاط وتقرر في قصور الخلفاء ما كان متبعا من المراسم في قصور الفرس، واحتفل بالأعياد الفارسية كالمهرجان والنيروز ورام ، وغيرها من الأعياد الأخرى ..!.

وهكذا سيطر المولَّدون وبرز إمساكهم بزمام الدولة إلى انحسار العنصرـ العربي الخالص وارتداده إلى البادية التي خرج منها، وتوقفت فريضة جهاد الطلب ، وبها توقفت حدود الدولة الإسلامية عند النهايات التي بلغتها الدولة الأموية . ولم تعد تلك النخبة كما وصفها الله تعالى بقوله:

﴿ كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ ﴾ (آل عمران: 110).

- **ظاهرة علماء السلطان في العصر العباسي الأول :**

حاول الخلفاء العباسيون – كما كان ذلك دأب خلفاء بني أمية - استمالة الفقهاء ورجال الدين ليدعموا سلطانهم عند العامة، فازدادت ظاهرة علماء السلطان بروزا ، حتى ظهر ابن أبي دؤاد أيام المأمون والمعتصم، وبلغ بأحد أتباعه أن ينصح المعتصم بقتل أحمد بن حنبل ، قائلا له : اقتله يا إمام ودمه في عنقي!

ولكن تلك الأيام كان فيها من علماء الحق ، من يقف لجور أولئك الملوك ، ويأبون أن يكونوا (ديكورا) في حاشيتهم ، كما كان من الأئمة الأربعة ، وغيرهم من الأعلام كسفيان الثوري ، و الأوزاعي ، وغيرهم كثير . كما وقف أولئك العلماء للمنافقين من علماء القصور .

وكان جل العلماء يتعففون عن أبواب السلاطين ، ويعتبرونها أبواب الفتنة في الدين وبوابة البوار في الآخرة . وقد سجلت سيرهم أنصع صور الثبات في تلك الآونة .

• أهم القضايا والمشكلات التي اعترضت دولة بني العباس في ذلك الطور :

اعترضت دولة بني العباس في نصفها الأول (132 - 250هـ) عدة قضايا ومشكلات كان أهمها:

- ولاية العهد :

أدت الطريقة التي اتبعت في اختيار ولاة العهد إلى انقسام البيت العباسي وإلقاء العداوة والبغضاء بين أفراده. فالمنصور انتزع ولاية العهد من ابن أخيه عيسى بن موسى ونقلها إلى ابنه المهدي. وكان المهدي هدد بقتل أبيه إذا قدم عليه أخاه جعفرا.

والهادي أراد خلع أخيه الرشيد من ولاية العهد ونقلها إلى ابنه جعفر فقتل قبل أن يتمكن من ذلك.

والأمين خلع أخاه المأمون وعهد بولاية العهد إلى ابنه القاصر موسى ، فخلعه المأمون وقاتله وانتهت حياة الأمين بقتله.

والعباس بن المأمون تآمر على قتل عمه المعتصم لانتزاع الخلافة منه فقتله المعتصم.

والمنتصر تآمر على قتل أبيه المتوكل لأنه أراد أن يقدم عليه أخاه المعتز.

فكانت ولاية العهد من أسباب تفكك البيت العباسي كما كانت من قبل من أسباب تفكك البيت الأموي.

- ظاهرة النعرة الشعوبية :

الشعوبية نسبة إلى (الشعوب) وهم الأقوام الذين فتح العرب المسلمون بلادهم ودخلوا في الإسلام وعرفوا باسم (الموالي)، أي أنهم ارتبطوا مع العرب برابطة الولاء.

وقد محا الإسلام الفوارق الطبقية والقومية وجعلهم إخوة، تقوم أخوتهم على رابطة الإيمان، وفي ذلك يقول الله تعالى: ﴿ إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ ﴾ . وقد سوى النبي صلى الله عليه وسلم بين الموالي وبين العرب بقوله: (**لا فضل لعربي على أعجمي إلا بالتقوى**)

ولما تولى الخلافة بنو أمية، أحيوا العصبية العربية، التي كانت سائدة زمن الجاهلية، وميزوا بين العربي والعجمي، فكان المولى أدنى مرتبة من العربي في المرتبة الاجتماعية، وكانوا دون العربي في الفيء والعطاء، بل كان عمالهم يفرضون الجزية على رءوسهم والخراج على أراضيهم بعد إسلامهم...!

وقد أدى هذا الإخلال بمبدأ المساواة إلى تذمرهم ، وأيدوا الدعوة العباسية، وكانوا أعوان العباسيين في إقامة دولتهم.

وقد اعترف لهم الخلفاء العباسيون بالفضل وحفظوا لهم يدهم فولوهم الوظائف الكبرى. وكانت أسرة البرامكة أول من تقدم في دولة بني العباس، منذ أبي العباس السفاح، فكان منهم الوزراء والولاة وكان منهم الكتاب.

وفي عهد الرشيد لمع نجمهم ، وتولوا مقاليد الحكم في الدولة . وفي زمنهم نشط الشعوبيون، يستظلون بحمايتهم، وأخذ الكتاب والشعراء منهم يمتدحون فيهم أمجاد الفرس. وفي عهد المأمون حل بنو سهل و بنو طاهر - وكانوا قبل إسلامهم من أشراف الفرس و مجوسهم - محل البرامكة بعد نكبتهم ، فكان الفضل بن سهل ومن بعده أخوه الحسن بن سهل وزراء المأمون والقائمين على تدبير أموره ومخططي سياسته، وكان طاهر بن الحسين وأولاده قادة جيوشه وبقوتهم ارتفع إلى سدة الخلافة بعد قتلهم أخاه الأمين، فانتعشت الشعوبية، ولم تعد تقتصر على مديح الفرس وتمجيد ماضيهم، بل تجاوزته إلى القدح بالعرب ونشر مثالبهم والسخرية من تقاليدهم.

وفي عهد المأمون خاض الكتاب والشعراء الشعوبيون في امتداح الفرس وذم العرب.

ولم يكتف الشعوبيون بالقدح في طبائع العرب وحياتهم الاجتماعية بل تجاوزوا ذلك إلى الانتقاص من ثقافتهم ومقامهم، وامتدحوا الثقافات الأعجمية، وتغافلوا عن التطور الكبير الذي حدث في تاريخ العرب في النواحي الاجتماعية والفكرية، حتى فسروا بعض آيات القرآن بما يفيد تفضيل العجم على العرب .

وقد رد كتاب العرب وشعراؤهم على الشعوبيين ودفعوا ما قيل في مثالب العرب ببيان ما لهم من المزايا والفضائل، من كرم وشجاعة ونجدة ومروءة، ومن فصاحة وبيان، ومن تكريم عند الله تعالى باختيار النبي صلى الله عليه وسلم منهم وإنزال القرآن الكريم بلغتهم، وبدينهم اهتدى الناس وخرجوا من الظلمة إلى النور.. وكان ذلك الصراع أح أوجه التركيب الاجتماعي .

- حركات الزندقة :

يطلق اسم زنديق - بالفارسية (زند كراي) - على الملحد الذي لا يؤمن بوحدانية الله ولا باليوم الآخر. وقد شاعت الزندقة في فارس وأطلقت على من ظل معتنقا تعاليم (مزدك) و (ماني) التي تدعو إلى عبادة إلهين إله النور، وإله الظلمة وأباحت ما حرم الإسلام من حرمات، وتأثرت بعقائد الهند التي تقول بالتناسخ والحلول، ثم تدثرت بدثار التشيع وأخذت تقاوم الإسلام، وكانت ترمي بذلك إلى تحقيق هدفين:

- الانتقاض على الحكم العربي - وإفساد عقيدة المسلمين .

أما الانتقاض فقد جرى على أسلوبين، أحدهما سياسي ساعد عليه تقريب العناصر الفارسية ومشاركة الخليفة العباسي في السلطة، وأحيانا الاستقلال بها من دونه بتفويض منه. فقد كانت هذه العناصر تحلم بإعادة مجدها المفقود وتشجع حركات الزندقة والشعوبية، وكانت تخفي أحلامها

بمطاوعة الخلفاء فيما يشتهون وإشباع شهواتهم وإظهار الوفاء لهم. وكان من هؤلاء أبو مسلم الخراساني ثم البرامكة، ثم آل سهل وآل طاهر.

أما الأسلوب الثاني، فكان في خلع طاعة الخليفة وإعلان الثورة عليه، ومنها ثورة الراوندية و الخرمية و البابكية وغيرها.

وكان الهدف الثاني الذي ترمي إليه الزندقة هو إفساد عقيدة المسلمين تحت شعار التشيع، ومن خلاله تسربت عقائد وديانات الفرس السابقة للإسلام، فكانت تغرر بالشبان بما كان ماني يدعو إليه من طلب اللذة بإباحة شرب الخمر ووطء المحرمات ومنهم الأخوات والبنات.

وقد بدأ الخليفة المنصور بتتبع الزنادقة وقتل من قامت عليه الحجة، واشتد المهدي في تتبعهم، وكان يستتيبهم، فمن تاب أطلقه ومن أبى قتله، وبذلك أوصى ابنه موسى (الهادي) . وقد سار الرشيد بسيرة أبيه وأخيه فتعقب الزنادقة وبطش بمن ثبتت عليه الزندقة. أما المأمون فكان إذا سمع بزنديق أمر بحمله إلى مجلسه وفيه جماعة من المتكلمين - المعتزلة - فناظروه لعلهم يقنعونه ويردونه إلى الإسلام، وكان المأمون يشترك في مناظرته، فإذا لم يكف عن غوايته، أمر بقتله.

كذلك فعل المعتصم فقتل قائده (الإفشين) بعد محاكمته وثبوت الزندقة عليه .

- مسألة خلق القرآن :

كما ذكرنا آنفا ، فقد أدى الاحتكاك بفلسفات اليونان ، والانفتاح على ثقافات الدول المفتوحة الفارسية والشرقية الأخرى إلى دخول أفكار شاذة لدى بعض من مزج ذلك بعلوم الشريعة ولاسيما في مجال العقائد ، مما ولد مذاهب منحرفة كان من أبرزها تأثيرا في تلك الفترة ، ما سمي بمذهب المعتزلة ، الذين جعلوا العقل – بحسب فهم عقولهم السقيمة – حكما على النصوص الشرعية المحكمة كتابا وسنة ! وقد صار بعض أئمة ذلك المذهب مقربين من الخليفة المأمون ، وأقنعوه بمذهبهم ! ، وفي أواخر خلافته ابتدع المعتزلة و زعيمهم مسالة القول بخلق القرآن التي تصدى لضلالها أئمة أهل السنة وفي طليعتهم الإمام أحمد بن حنبل .

وفي أواخر عهد خلافته ألزم المأمون الفقهاء بالأخذ بها، ففي سنة 218هـ توجه المأمون لحرب الروم فأناب عنه في بغداد إسحاق بن إبراهيم المصعبي، وهو ابن عم طاهر بن الحسين ولما وصل إلى مدينة (طرسوس) كتب لنائبه يأمره أن يدعو الفقهاء ويسألهم عن رأيهم في خلق القرآن، فمن قال إنه مخلوق أطلقه، ومن قال بغير ذلك فقد أمره ألا يستعين به في عمل وأن يسقط شهادته وأن يمنعه من التحديث بحديث رسول الله صلى الله عليه وسلم . ومن الفتوى، فإن أصر بعد ذلك فليشده بالحديد ويرسله إليه بـ(طرسوس) .. وقد حمل إليه الإمام ابن حنبل مصفدا بالسلاسل ، و دعا ربه في الطريق أن لا يجمعه بالمأمون ، فجاءهم خبر وفاته في الطريق ورد ابن حنبل إلى بغداد .

وكان المأمون قد عهد بالخلافة من بعده إلى أخيه المعتصم بالله وأوصاه أن يستمر بامتحان الفقهاء، فسلك مسلك المأمون وكتب إلى الولايات بذلك، وأمر المعلمين أن يعلموا الصبيان أن القرآن مخلوق ، وقاسى الناس منه مشقة وجورا عظيما، وقتل كثيرا من العلماء، وضرب الإمام أحمد بن حنبل بين يديه وعذب ثم أوصى المعتصم ابنه الواثق بامتحان العلماء، فتبع أباه وسلك مسلكه في امتحانهم وقتل المحدث أحمد بن نصر الخزاعي لأنه لم يقل بخلق القرآن وسعى بالخروج على الواثق . ولما جرى الفداء بين المسلمين والروم سنة 231هـ أمر أن لا يفتدى من أسرى المسلمين إلا من قال بخلق القرآن ، فمن رفض ترك في أيدي الروم.

وأمر الواثق بامتحان أهل الثغور فقالوا بخلقه جميعا إلا أربعة نفر، فأمر الواثق بضرب أعناقهم إن لم يقولوا بخلق القرآن، فأبوا فضرب أعناقهم. ولما تولى المتوكل الخلافة أبطل القول بخلق القرآن وخرج أحمد بن حنبل من بيته بعد أن لزمه طيلة عهد المعتصم والواثق ، فأكرمه المتوكل، وغضب على أحمد بن أبي دؤاد فعزله وصادر أمواله وحبسه مع أبنائه وإخوته وأصابه الفالج فمات .

- حياة الترف وبداية التحلل من القيم الدينية :

فقد أحدثت هذه الحياة الطارئة، تراخيا في الأخلاق الإسلامية، وأصبح اللهو والمجون والعبث من سمات كثير من أهل ذلك العصر، وتطنب كتب التاريخ بأخبار ما عجت به قصور الخلفاء والكبراء من قصص تكاد تقرب من الخيال مما يطول ذكره ، ولا داعي للإفاضة فيه هنا . وأظن أن كثيرا من تلك الأقاصيص كانت من نسج خيال الوضاعين والأدباء و القصاصين ..ولكن الحقيقة أن لكل تلك التهويلات أصلا..

وكان ذلك الترف وما ذكرنا من أسباب التقهقر المعول الذي قد جذور الخلافة الإسلامية ، لتصبح في العصر العباسي التالي منصبا يعبث به القادة والمماليك.

- **العصر العباسي الثاني :**

ويمتد من خلافة المستنصر الذي قتل أباه المتوكل بالتآمر مع القادة الأتراك ، إلى خلافة المقتدي بالله الذي شهدت خلافته بداية الحملات الصليبية على سواحل الشام ، وبداية تحرك التتار في شرق الخلافة على تخوم بلاد ما وراء النهر .

● السمات التي يتميز بها العصر العباسي الثاني :

أولاً - تغلب القادة المتغلبين على الخلافة :

يعتبر إقدام القادة الأتراك على قتل الخليفة المتوكل على الله في الخامس عشر من شهر شوال سنة 247هـ بداية العصر العباسي الثاني، وفيه استبد القادة بالسلطة، وأصبح الخليفة طوع إرادتهم وأسير هواهم. وقد أصبح مصير الخلافة في أيديهم، فمن شاءوا خلعوه ثم قتلوه، ومن شاءوا ألزموه خلع نفسه و سملوه وصادروا أمواله. وحين خلع الخليفة أحمد المستعين بالله، وهو أول خليفة خلع، لم يلبث أن قتل بعد خلعه.

ولما استولى البويهيون على السلطة بعد الأتراك، اتبعوا نهجهم، فكان الأمير البويهي يولي الخلافة من يشاء ويخلع من يشاء وكان الخلع كثيرا ما يتم بالذل والهوان.

وكان خلع الخليفة يوم ابتهاج عند الجند، ففيه يجري نهب دار الخلافة وفيه يطالب الجند الخليفة الجديد برسم (بيعته). وكان يجري على الخليفة المخلوع نفقة قد لا تكفيه، فيضطر إلى التكفف واستعطاف الناس، كما جرى للخليفة القاهر بالله بعد خلعه ومصادرة أمواله و سمله، فكان يخرج إلى جامع المنصور و يتكفف المصلين ويقول: تصدقوا علي فأنا من قد عرفتم . وذلك بعد أن كان قد حفر الأخاديد في قصره وملأها ذهبا وفضة ..!! وسبحان مالك الملك !

وقد توالى على الخلافة منذ خلافة المنتصر بالله سنة 248هـ إلى خلافة المستظهر بالله سنة 487هـ أي خلال 239 سنة، سبعة عشر خليفة، منهم أربعة قتلوا وهم: المستعين بالله والمعتز بالله والمهتدي بالله والمقتدر بالله، ومنهم ثلاثة خلعوا وسملوا (قلعت عيونهم) وهم: القاهر بالله والمتقي لله والمستكفي بالله، ومنهم اثنان أجبرا على خلع نفسيهما وهم: المطيع و الطائع ، وهناك خليفتان قيل في بعض الروايات أنهما قتلا بالسم وهما: المعتمد على الله و المعتضد بالله، فيكون مجموع من قتل وخلع ومات بالسم عشر خلفاء.من أصل سبعة عشر !!

ثانياً - عزل الوزراء ومصادرتهم :

لم يكن حال الوزراء بأفضل من حال الخلفاء، فكان الوزير يأتمر بأمر المتغلبين، فإذا غضبوا عليه عزلوه وصادروا أمواله، وقد يقتلونه، كما جرى للوزير أحمد بن إسرائيل ولكاتبه عيسى بن نوح. فقد صادرهما القائد التركي صالح بن وصيف وقتلهم ضربا بالسياط . ومثل ذلك بل أشد ما جرى لكثير من الوزراء.

وكثيرا ما كان الوزير يُنصب ثم يُعزل، ويتكرر نصبه وعزله عدة مرات لا يفصل بينهما إلا أمد قصير، وغالبا ما كان ينتهي عزله بمصادرته وقتله، ومع ذلك فإن الكثيرين كانوا يطمعون في تولي الوزارة، ويبذلون المال في سبيل توزيرهم !!.

ذلك أن الوزارة كانت موردا للثراء الفاحش عن طريق الرشاوى، ومن ذلك أن محمد بن عبيد الله بن خاقان وزير المعتضد بالله كان يأخذ الرشوة من كل طالب وظيفة، وربما عين للوظيفة الواحدة عددا من الموظفين، وقيل إنه عين في يوم واحد تسعة عشر ناظرا للكوفة وأخذ من كل واحد رشوة وكان أهمها ضمان الخراج وتعيين الولاة والعمال والقضاة والكتاب، فيكون للوزير على من يوليه جبايات يجني منها ربحا وفيرا، ويثري به ثراء فاحشا.

من أجل ذلك كانت الوزارة هدفا للدسائس من حاسدي الوزير، الطامعين في منصبه، فإذا أفلح الدس على الوزير عزل وصودرت أمواله، وكان ما يصادر يعد بآلاف الآلاف من الدنانير، ومع ذلك فقد يسلم له الكثير مما يكون قد طمره في حفرة، أو أخفاه في مكان بعيد .

ثالثاً - ابتداع الألقاب و الكنى :

لما انتقلت الخلافة إلى بني العباس أضافوا إلى هذا اللقب ألقابا تدل على صفة يتميز بها الخليفة. فقد عرف عبد الله أبو العباس أول خليفة عباسي، بلقب (السفاح) وتلقب أخوه عبد الله أبو جعفر بلقب (المنصور) وتلقب ابنه محمد من بعده بلقب (المهدي) وتلقب من بعده ولداه، موسى وهارون بلقب موسى (الهادي) وهارون (الرشيد). ولقب الرشيد أولاده الثلاثة: محمد وعبد الله والقاسم بلقب محمد (الأمين) وعبد الله (المأمون) والقاسم (المؤتمن).

ولما تولى الخلافة محمد بن الرشيد خلفا لأخيه المأمون ابتدع لقبا، أضافه إلى اسم الله تعالى فتلقب بمحمد (المعتصم بالله)، وجرى الخلفاء من بعده على تقليده، وأصبح الخليفة يعرف بلقبه.

ولما استبد القادة الأتراك بالسلطة منح الخليفة إلى من بيده السلطة منهم لقب (أمير الأمراء) ولقب (معز الدولة) و(عماد الدولة) (ركن الدولة)، و(عضد الدولة) و(جلال الدولة) و(بهاء الدولة) و(فخر الدولة).

ولم يكتف بنو بويه بهذه الألقاب، بل أضافوا إليها لقب (السلطان)، ومنهم من تلقب بلقب (شاهنشاه) أي ملك الملوك الذي أفتى العلماء بحرمته . ثم سرت هذه الألقاب بعد ذلك إلى أمراء الأقاليم المستقلين، فكان من الحمدانيين في الموصل وحلب: (ناصر الدولة) و(سيف الدولة) و(شبل الدولة)، وتبعهم بعد ذلك أمراء بني عقيل في الجزيرة وملوك الإخشيد في مصر، وسلاطين غزنة وكان منهم: (ناصر الدولة) سبكتكين و(يمين الدولة) محمود . و(شهاب الدولة) و(جمال الدولة) و(كمال الدولة)، وإلى هذه الألقاب أضيفت أيضا كنى (كأبي الفضائل) و(أبي المعالي) وما شابه ذلك.

وقد أصبحت الكنى والألقاب في العصر العباسي الثاني موردا للخلفاء، وخاصة بعد أن رفعت عن أيديهم أموال بيت المال في عهد معز الدولة البويهي فكان بعض الخلفاء يبيع الألقاب لمن يطلبها...!

رابعاً - مظالم عمال الخراج :

يشمل الخراج ضريبة ما تخرجه الأرض من ثمرات ومحاصيل، وكان يتولى جبايتها مع جباية موارد الدولة الأخرى عمال يدعون (عمال الخراج) وكانوا يتمتعون بسلطة كبيرة. وقد عرفوا بالظلم والعسف فكانوا يجبون أضعاف ما كانوا يضمنون أداءه للدولة.

وقد روى المؤرخون ما كان يجري على أيديهم من المظالم، وما كان يلقى المكلفون من صنوف العذاب.

ومثل ذلك يفعلون مع من يرث ميراثا ضخما، فكانوا يعملون على الاستيلاء على ميراثه، أو يشركونه فيه، فإذا رفض سجنوه وأخذوا في تعذيبه حتى ينالوا ما يريدون .

وقد جمع عمال الخراج مما جنوه ثروات كبيرة، ملكوا بها الضياع وبنوا الدور والقصور وعقدوا فيها مجالس الطرب والسمر والشراب، وقصدهم الشعراء يتكسبون بمدحهم .

وقد يتولى الوزير مع وزارته ضمان الخراج، فيجبي بسلطانه مالا كثيرا، يؤدي بعضه إلى بيت المال ويوفر لنفسه ما تبقى.

خامساً - مصادرة الأموال :

لم تقتصر المصادرة على أموال من يخلع من الخلفاء أو يعزل من الوزراء والعمال، بل شملت أموال الناس وخاصة التجار منهم، فكان الخليفة العباسي أو السلطان البويهي، إذا أعوزه المال أمر بمصادرة التجار.

سادساً - فساد القضاء :

كان القضاء هو الأداة التي تضمن سلامة المجتمع وأمنه بإشاعة العدل والمساواة بين أفراده. ويشترط في القاضي أن يكون عالما بأحكام الشرع، مراعيا مقاصده ومجتهدا فيه، وأن يكون عفيفا، غير طامع في مال ولا مغتر بجاه ولا مطيع لسلطان في غير ما أمر الله.

وكان القاضي يرتزق من بيت المال في حدود حاجته وقد يتورع فيقضي بغير أجر. ومن الفقهاء من كان يعتبر القضاء محنة وابتلاء فيأبى توليه مخافة أن يصدر في قضائه عن جور أو يلحق ظلما

بأحد، فيبوء بخسران يقاضيه الله عليه. ففي حديث الرسول صلى الله عليه وسلم: (قاض في الجنة وقاضيان في النار) فهو يخشى أن يكون أحد القاضيين.

وهذا أبو حنيفة يريده الخليفة المنصور العباسي على القضاء فيمتنع، فيأمر المنصور بضربه بالسياط، ثم يأمر بحبسه، وقيل إنه مات في الحبس . وهذا سفيان الثوري يكتب إليه الخليفة المهدي بولاية قضاء الكوفة على أن لا يتعرض أحد لحكم من أحكامه، فيأخذ العهد ويرميه في دجلة ثم يتوارى . ومثله إسماعيل بن إبراهيم الأسدي المعروف بابن علية . وعبد الله بن وهب وكثيرون غيرهم ممن تحرج من تولي القضاء فامتنع عن قبوله.

هكذا كان شأن القضاء فيما مضى حتى جاء العصر العباسي الثاني، فتأثر القضاء بفساد العصر وأصبح وسيلة للارتزاق !! وارتقى إليه من ليس من أهله. ففي عهد الخليفة المقتدر، ولى وزيره أبو الحسن بن الفرات القضاء تاجرا كان أسدى إليه معروفا.

ومضت فترة جرى فيها تضمين القضاء لقاء رشاوى ومبالغ ضخمة !! . ففي عام 350هـ ضمن السلطان معز الدولة البويهي قضاء بغداد لأبي عبد الله بن أبي الشوارب ومعه قضاء القضاة ، لقاء مائتي ألف درهم يدفعها كل سنة إلى خزانة السلطان.

وكان تضمين القضاء وسيلة للرشوة، ويبدو أنها كانت مألوفة عند بعض أبناء أبي الشوارب، وأكثرهم ممن تولى القضاء فقد روى ابن كثير أن محمد بن الحسن بن عبد الله بن أبي الشوارب، قاضي بغداد كان ينسب إلى أخذ الرشوة في الأحكام والولايات. على أن هذه الأسرة قد تولى أكثر أبنائها القضاء، وكانوا على جانب كبير من العلم والورع، غير أن الفساد سرى إلى بعضهم، وكان فساد القضاء كما يقول صاحب المنتظم، أول ما انحل من سياسة الملك.

وقد أورد محمد بن سعد الزهري المتوفى عام 230هـ مقارنة بين قضاة صدر الإسلام وقضاة زمانه فقال: كان الرجلان يتقاولان بالمدينة في أول الزمان فيقول أحدنا للآخر: لأنت أفلس من القاضي، فصار قضاة اليوم ولاة وجبابرة وملوكا وأصحاب غلات وضياع و تجارات وأموال !!.

سابعاً - الفتن و الصراعات الداخلية:

أ - الفتن المذهبية :

ثارت فتن بين الشيعة وبين أهل السنة، وخاصة الحنابلة منهم، فتن كان مسرحها بغداد. وقد بدأت في أوائل القرن الرابع الهجري وامتدت إلى أواخر القرن الخامس الهجري، وكانت تتوالى الفتن عاما بعد عام، وكثيرا ما كانت تشتد، فينشب فيها قتال مرير يرافقه حرائق وتدمير.

وقد شد آل بويه أزر الشيعة لتشيعهم، وشد الأتراك أزر أهل السنة لأخذهم بمذهبهم، وكان القُصاص من الجانبين يثيرون شعور الطرفين بالعداء و يحرشون فيما بينهم. حتى بلغ الإسفاف في

إحدى السنين – كما جاء في تاريخ ابن كثير - أن يخرج الجهال والرعاع من المنسوبين للسنة جملا رمزوا به إلى جمل موقعة الجمل وساروا خلفه ، ورفع الشيعة راياتهم و استعلنوا بسب الصحابة.. ! واقتتل الناس حتى تعطلت الأسواق والحياة وانتشر الشر في بغداد !!

وكذلك كانت تثور الفتن أحيانا حتى بين أهل السنة . بين الحنابلة و الأشاعرة، وبين الحنفية والشافعية..، فكان أهل كل مذهب يتعصبون لمذهبهم، ويدفعهم التعصب إلى أن يقتتلوا. ففي عام 469هـ قدم أبو نصر القشيري إلى بغداد فوعظ بالمدرسة النظامية ونصر الأشاعرة وحط على الحنابلة، فهاج عوام أهل السنة وأحداثهم وقصدوا المدرسة النظامية، وحميت الفتنة وقتل جماعة منهم. وثارت الفتنة في عام 476هـ بين الفريقين وتلتها فتن أخرى كانت تثور بين حين وآخر وامتدت إلى آخر القرن السادس الهجري.

كذلك ثارت الفتن بين الحنفية والشافعية، وكلاهما من أهل السنة، ففي عام 468هـ نشبت فتنة كبرى بينهم بسبب تحول إمام من أئمة الحنفية إلى المذهب الشافعي . فقد روى السبكي أن الإمام أبو المظفر منصور بن أحمد بن عبد الجبار المعروف بابن السمعاني الخراساني. تحول من المذهب الحنفي الذي ناظر فيه ثلاثين سنة، إلى المذهب الشافعي، فقامت الحرب بين جماعة المذهبين، واضطرمت الفتنة بينهم، حتى كادت أن تملأ ما بين خراسان والعراق .

ويصف لنا ياقوت في معجمه ، آثار الخراب الذي أصاب بعض المدن في أعقاب الفتن التي كانت تنشب بين أصحاب المذهبين، فحين يذكر مدينة أصفهان يقول: " وقد فشا الخراب في نواحيها لكثرة الفتن والتعصب بين الحنفية والشافعية، والحروب المتصلة بين الحزبين، فكلما ظهرت طائفة نهبت الأخرى..."، وجرى مثل ذلك في مدن أخرى كالري و ساوة.

وروى الإمام السبكي أن مسعود بن علي وزير خوارزم شاه، أمير خوارزم كان متعصبا للشافعية، وقد بنى في مدينة (مرو) جامعا، فتعصب عليه أهل المدينة وهم أحناف، فأحرقوا الجامع، وقامت فتنة هائلة، كادت الجماجم فيها تطير عن الغلاصم..

ب - فتن الجند :

كان الجيش في أغلبه يتألف من الأتراك و الديلم، وكثيرا ما شغبوا على الخليفة لتأخر أعطياتهم، وكثيرا ما أدى شغبهم إلى خلع الخليفة طمعا برسم البيعة ممن يخلفه. وقد يرتد شغبهم على الناس، فتندلع فتنة يكثر ضحاياها.

ففي عام 421هـ برم الناس من اعتداء الجند الأتراك، وعجزت الدولة عن ردعهم لضعفها وهوانها، فاجتمع الهاشميون و العلويون ومعهم الفقهاء، فاستنفروا الناس لصد الأتراك. فعمد

الأتراك إلى رفع الصليب على رمح !! يتحدون بذلك الدولة، وترامى الفريقان بالنشاب والآجر، وقتل طائفة من الناس.

وفي عام 429هـ تظلم الناس من اعتداء الديلم واقتحامهم الدور وتعرضهم للنساء، فلم يستمع السلطان البويهي لتظلمهم، فالتحموا مع الديلم في قتال مرير، واهتبل العيارون انشغال الناس في القتال، فداهموا البيوت والمخازن، واقتحم اللصوص بغداد فأخذوا ما وجدوا من الخيول.

ج - فتن العيارين والشطار(السراق و الحرامية والصعاليك):

كان للعيارين والشطار نصيب كبير في الفتن ، فقد تألف منهم فرق منظمة، كانت تخضع لزعيم يدعى (مقدم العيارين) وهو الذي يزودها بالسلاح ويتولى تدريبها وتوجيهها. وكان ينتظم في هذه الفرق أوزاع من الناس وأخلاط من الفقراء، فيهم السني والشيعي، وفيهم الهاشمي والعلوي وفيهم الأعرابي والكردي والعجمي. كانت فرقهم تنتهز انشغال الناس في الفتن التي تثار، فيغيرون على منازل الأغنياء، وكثيرا ما تغلبوا على الشرطة وهزموها. وقد بلغ من قوتهم أن فرضوا الخطبة لزعيمهم في صلاة الجمعة في إحدى المرات !.

ففي عام 424هـ اجتمع في الرصافة ببغداد فريق منهم وألزموا الخطيب أن يخطب للبرجمي (زعيم العيارين) مع خطبته للخليفة والسلطان !. وكانوا يفرضون الإتاوات على أصحاب الأعمال، وربما تولوا حفظ الأمن !، وتلقب زعماؤهم بلقب القواد. وكانت أفعالهم فيها ظاهرة الثورة على فساد الحكم. وقد التزم (البرجمي) ومن بعده (الطقطقي) بمعاني الثورة ، وطريقة الصعاليك . في مقاومة حكم تسوده الفوضى ويطغى عليه نهب الأموال، واختل فيه ميزان العدل وسرت فيه الرشاوي.

وكان سلوك هؤلاء الحرامية مطبوعا بالمروءة ! فلم يكن يسمح لأحد من أعوانهم الاعتداء على امرأة أو أخذ شيء منها، ولا التعرض لأوساط الناس وفقرائهم .

على أن جماعات اتخذوا اسم العيارين كانوا أقرب إلى اللصوص و السراق، وفيهم فجار وقوادون، فكانوا يمارسون عدوانهم على الناس فلا ينكرها عليهم أحد . لأن قائدا من قواد الديلم يدعى أبا جعفر بن شيرزاد . ضمن لهم ما كانوا يمارسونه بمبلغ خمسة وعشرين ألفا دينار يدفعونها إليه في كل شهر !.

ثامناً - الثورات :

نشبت الثورات في العصر العباسي الثاني بين عامي 255 و 366هـ ما يزيد على خمسين ثورة، منها ما كان ثورة على الحكم، ومنها ما كان انتقاضا على الحاكمين، من خليفة وسلطان.

وكان أهم الثورات خطرا في أسبابها ونتائجها ثورتان هما: ثورة عرفت باسم ثورة الزنج وثورة القرامطة.

أ - ثورة الزنج :

سبق للزنج أن ثاروا سنة 71هـ ثم ثاروا سنة 76هـ لما فشا فيهم من الأفكار الشاذة ، والزعماء الأدعياء ، ونتيجة لما كان ينالهم من ظلم ملاك الأراضي الذين جلبوهم من شرق إفريقيا لاستصلاح أراضيهم. وقد قمع الحجاج أمير العراق الثورتين.

ثم قامت لهم ثورة عارمة في عهد الخليفة المعتز بالله. قادها رجل فارسي دعا نفسه محمد بن علي وزعم أنه علوي النسب وتروي الروايات، أنه قدم من الأهواز سنة 255هـ ونزل في منطقة تقع في جنوب العراق حيث كان يقوم باستصلاحها الزنوج الإفريقيون ، وكانوا يلاقون ظلما مريرا من أصحاب الأراضي . فاندس فيهم ذلك الرجل وادعى أنه من آل البيت، ودعاهم لاتباعه ليحررهم من الرق، وينجيهم من عذاب أسيادهم، وأخذ يظهر لهم، بما أوتي من ذكاء وسعة حيلة، أعمالا فيها كثير من الشعوذة وينبئهم بأخبار يزعم أنها من الغيب.

وقد أقام دعوته على دعوة الخوارج وهي المساواة بين المسلمين. وقد استجاب له الأعراب الذين كانوا يسكنون في بوادي البصرة ، ويعملون لشظف العيش بشن الغارات على القرى واعتراض قوافل الحجاج، ينهبون ويسلبون ، وقد أغراهم بما يطمع فيه الفقراء الذين ضمر في قلوبهم الشعور بالإيمان وتراخت عقيدتهم، فأباح لهم شيوعية الأموال والنساء، وهي عقيدة مزدك الفارسي، فاجتمعوا عليه مؤمنين بدعوته.

وقد عرف القائم بتلك الدعوة، الناظم لتلك الجموع الغفيرة بصاحب الزنج، لأن العدد الغالب من أتباعه كان منهم، ولأنهم أول من استجاب لدعوته، فاستولى على البحرين و الأحساء، ثم توجه صعدا إلى البصرة. وفي شوال سنة 257هـ أغار على تلك المدينة وهي غافلة، فداهمها بجموعه وأمعن أتباعه فيها نهبا وسلبا وقتلا وتحريقا، فلم يسلم من أهلها إلا من هرب وهام على وجهه يلتمس النجاة.

وأوى من ظل في المدينة إلى المسجد الجامع ظنا منهم أنهم يأمنون فيه على أرواحهم، لكن الثائرين ما لبثوا أن داهموا المسجد وقتلوا من أوى إليه، ثم اقتحموا البيوت وقتلوا الأطفال وسبوا

النساء، وفيهم كثير من شرائف النساء، فتقاسمهم الآسرون، ومن دخلت في سهمه استخدمها وفجر بها ثم باعها.

ثم أحرقوا البصرة فأضحت معالمها أطلالا. وبعد خراب البصرة توجه صاحب الزنج بأتباعه إلى الأهواز وهزم الحملات التي كان يرسلها الخليفة المعتمد على الله لقتاله.

وبعد ذلك قصد (واسط) وهم بالتوجه إلى بغداد لولا أن الخليفة جمع له جيشا كثيفا قاده أخوه الموفق بالله، فتغلب على صاحب الزنج بعد قتال مرير وتمكن من قتله والقضاء على الفتنة التي أثارها والتي دامت خمس عشرة سنة (255 - 270هـ).

ب - ثورة القرامطة :

لم تكد تنتهي ثورة الزنج حتى نشبت ثورة أخرى كانت امتدادا لها ومنادية بشعارها وهو مقاومة الظلم ، معلنة مبدأ المساواة بين الناس لتتستر وراءه عن حقيقة الزندقة التي تحتويها . وقد عرفت بثورة القرامطة، وتنسب هذه التسمية إلى رجل فارسي عرف بلقب (قرمط)، وقيل أن اسمه (حمدان الأشعث) ، وقد كان أحد دعاة الإمام الإسماعيلي (المنتظر) الذين بثهم في الأقطار عبد الله بن ميمون القداح .

فلما تم القضاء على ثورة الزنج سنة 270هـ اجتمع حوله فلولها وبدأ بما بدأ به صاحب الزنج من إظهار الزهد والتقشف والورع ، فجذب إليه قلوب الناس، وكان يخفي وراء هذا السلوك هدفا سياسيا، وقد دعا إلى مذهب فيه مزيج من المزدكية الفارسية واليهودية والنصرانية والإسلام، جعل الصلاة أربع ركعات، ركعتان قبل طلوع الشمس وركعتان بعد غروبها، وجعل القبلة والحج إلى بيت المقدس وجعل الصوم يومين في السنة، وهما يوم المهرجان ويوم النيروز . وعدل في الأذان، وفرض جزية على من خالفه وأباح قتله إن أمكن ذلك، وأخذ يفسر آيات القرآن بتأويل، بدعوى أن لآياته وأحكامه تأويلا باطنيا يفسر به ظاهرها، ومن ثم عرف مذهبهم بالباطنية.

وقد كثر أتباع قرمط وكثر، وقد أقام هؤلاء دولة لهم في القطيف والبحرين واليمن وقادوا حروبا في العراق أرادوا بها انتزاع الخلافة، ونازعوا الفاطميين زعامة الدعوة الشيعية ، فهاجموا قواعدهم في الشام وهموا بمهاجمة القاهرة وقد تمكن الفاطميون من صدهم.

وفي سنة 317هـ أغاروا على مكة فقلعوا الحجر الأسود وقتلوا الحجاج، وحملوا الحجر الأسود إلى القطيف عاصمة ملكهم وأعادوه سنة 239هـ لقاء السماح لهم بفرض ضريبة على الحجاج.

ومن تتبع الأسباب التي انطلقت منها ثورة الزنج، ثم ثورة القرامطة والتأمل بنتائجها نجد أنها ترجع إلى سببين مفترقين ومتوازيين.

فالأول :هو استغلال دعاة الثورة جهل العامة من أجل سلخهم من العقيدة الإسلامية من دعاة يحملون حطام دياناتهم السابقة التي ما زالوا متأثرين بها.

والسبب الثاني :هو استغلال الضجر والضيق من استبداد الولاة ومن إرهاق عمال الخراج، يضاف إلى بؤس الفقراء الذين يعانون ألم الجوع والعطالة والحرمان. وكان هؤلاء مع كل دعوة للتحرر من الظلم الذي يحل بهم والضيق الذي يكابدونه.

وقد اختار دعاة الثورة جنوب العراق والمناطق المجاورة له لبعدها عن بغداد وعجز الدولة عن تتبع الثائرين.

تاسعاً - تقسيم الدولة العباسية بين الخلافة المركزية والمتغلبين:

كانت الدولة في أيام بني أمية وحدة شاملة من شرقها الممتد من بلاد ما بين النهرين وحدود الصين والهند إلى مغربها في المغرب الأقصى والأندلس. وكان يحكم أقاليمها ولاة يوليهم خليفة دمشق وإليه يرجعون في أمورهم الهامة، ينفذون سياسته ويحكمون بسلطانه. ولما انتقلت الخلافة إلى بني العباس استقلت بعض الأقاليم بتفويض منهم واستقل البعض الآخر بالغلبة عليهم.

ففي عهد أبي جعفر المنصور استولى عبد الرحمن بن معاوية بن هشام بن عبد الملك سنة 138هـ على الأندلس واستقل بها وأنهى الحكم العباسي وأعاد الحكم إلى بني أمية.

وفي عهد المنصور أيضا أنشأ إدريس بن محمد (النفس الزكية)، وهو من أحفاد الحسن بن علي بن أبي طالب دولة الأدارسة في المغرب الأقصى سنة 172هـ.

وفي 140هـ قامت الدولة المدارية في المغرب الأقصى وهم من الخوارج الصفرية .

وفي 162هـ قامت في تاهرت (الجزائر) الدولة الرستمية وهم من الخوارج الإباضية .

وفي عام 184هـ أنشأ إبراهيم بن الأغلب بتفويض من الخليفة هارون الرشيد دولة الأغالبة في المغرب الأدنى (تونس).

وفي عام 205هـ أنشأ طاهر بن الحسين بتفويض من المأمون دولة بني طاهر في خراسان مكافأة له لنصرته على الأمين.

فهذه الأقاليم الأربعة انفصلت عن الدولة العباسية، واستقلت عنها، وتداولت الحكم بطريق الإرث. غير أن انفصال بعضها كان يختلف عن انفصال البعض الآخر. ففي دولة بني أمية في الأندلس وفي دولة الأدارسة في المغرب الأقصى، انقطعت الصلة بدولة الخلافة العباسية. أما في دولة بني طاهر ودولة الأغالبة، فلم تنقطع الصلة بها، بل ظلت على ولائها وتبعيتها.

وفي العصر العباسي الثاني ازدادت الظاهرة وانفصلت عن دولة الخلافة الأقاليم الآتية:

ففي سنة 254هـ انفصلت مصر والشام وقامت فيهما الدولة الطولونية ، أسسها أحمد بن طولون.

وفي سنة 254هـ قامت دولة بني الصفار في سجستان بزعامة الليث بن الصفار واستولت على خراسان وقضت على دولة بني طاهر.

وفي سنة 261هـ قامت دولة بني سامان في خراسان بزعامة نصر بن أحمد ابن أسد بن سامان وقضت على الدولة الصفارية.

وفي سنة 332هـ قامت الدولة الإخشيدية. وحكمت مصر والشام وامتدت لليمن .

وفي سنة 297هـ قامت في إفريقية دولة العبيديين بزعامة أبي عبيد الله المهدي وقضت على دولة الأغالبة، ثم على دولة بني الإخشيد وامتد حكمها إلى مصر والشام والحجاز.

وفي سنة 320هـ قامت دولة بني بويه في فارس و أصبهان و همذان والري بزعامة أبناء بويه وهم: الحسن وعلي وأحمد وأبناؤهم من بعدهم.

وقامت في الموصل والجزيرة وحلب دولة بني حمدان بزعامة أبناء حمدان بن حمدون التغلبي 292هـ.

وفي سنة 321هـ قامت دولة الغزنويين فيما وراء النهر بزعامة سبكتكين، أمير غزنة ومن بعده ابنه محمود المعروف باسم محمود الغزنوي فقضى على دولة بني سامان وامتدت دولته إلى الهند.

وفي عام 328هـ لم يبق في يد الخليفة سوى بغداد وسواد العراق، وقد جرد منهما حين استولى معز الدولة البويهي على بغداد سنة 334هـ فلم يبق من الخلافة غير لقبها.

وفي عام 421هـ قامت دولة الترك (الغز) السلاجقة .

القادمين من بلاد تركستان، فأزالت دولة الغزنويين و البويهيين والدويلات الأخرى، بزعامة طغرلبك السلجوقي،

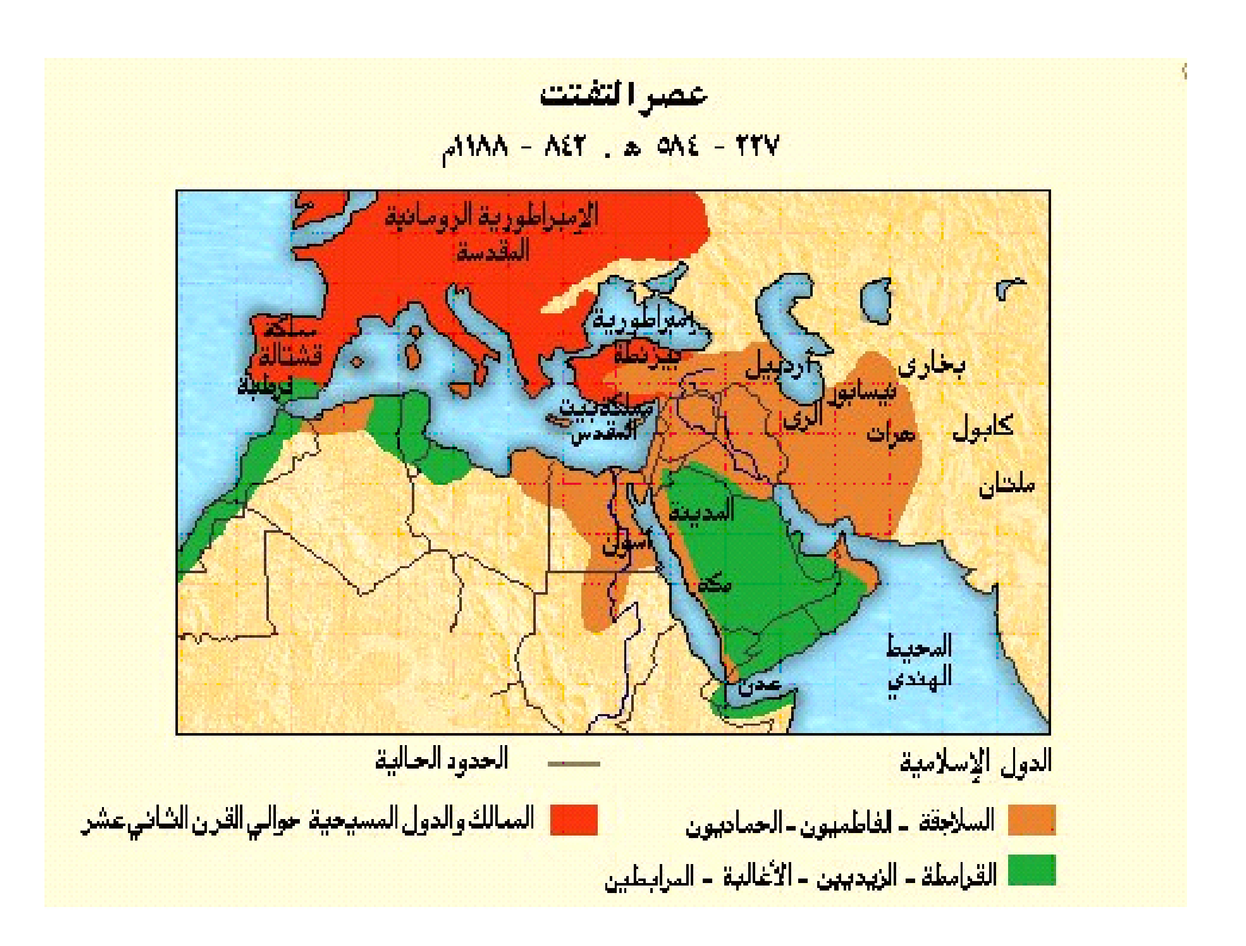
ولما مات طغرلبك خلفه ابن أخيه ألب أرسلان فقامت في عهده وحدة الدولة الإسلامية الممتدة من بلاد ما بين النهرين إلى بلاد الشام . غير أن الخلاف ما لبث أن ثار بينه وبين وبين أولاد عمه ، وقامت سنة 470هـ دولة عرفت بدولة سلاجقة الروم (يقصد بها سكنهم في بلاد الروم)

وقد أحدث الانشقاق بين السلاجقة بينهم أحقادا، فواجهوا الغزو الصليبي متفرقين، ولو أنهم واجهوه متحدين، لتحولت مسيرة الأحداث وجهة أخرى ولسلمت بلاد الإسلام من غزو ما زالت تتجرع مرارته.

عاشرا : انتشار الترف و الانحلال والفساد الاجتماعي في كثير من العامة والخاصة :

فقد أدى فساد القصور ، وما تلطخت به من الصراعات والمفاسد ، إلى تفشي ذلك في أوساط مختلف طبقات العامة ، ولاسيما الموسرة منها ، نتيجة ازدهار التجارة ، وانفتاح الدنيا على الناس . ونلاحظ هذا في كثير من كتابات الوعاظ والعلماء في تلك الفترة . والذين لم يألوا جهدا في الأمر

بالمعروف والنهي عن المنكر للحكام والمحكومين . ولكن عجلة الإنهيار كانت دائرة بقـوة ، ومقتضى السنن في الممالك والدول كانت تسير بدولة العباسيين إلى أجلها المحتوم .



- **<u>الطور الثالث من الخلافة العباسية :</u>**

ويمتد من خلافة المستظهر . حيث بدأت القوى الخارجية تتربص بدولـة الإسـلام وتعـد العـدة للانقضاض عليها ، وينتهي بانتهاء دولة بني العباس تحت سنابك خيل المغول .

﴿ وَكَذَلِكَ أَخْذُ رَبِّكَ إِذَا أَخَذَ الْقُرَى وَهِيَ ظَالِمَةٌ إِنَّ أَخْذَهُ أَلِيمٌ شَـدِيدٌ ﴾ (هـود:102) ، وكـان أمـر الله قدرا مقدورا .

- **السمات المميزة للعصر العباسي الثالث :**

هذا العصر هو امتداد للعصر العباسي الثاني وقد تميز هذا العصر بكل سمات العصر الذي تقدمه من الانحلال وأسباب الضعف وفساد الحكم ، وضياع العوام وترف الخواص .... وزاد عليها ما لقي العالم الإسلامي من غزو مغولي أتاه من المشرق وغزو صليبي أتاه من الغرب، وكان من قبل مستشريا في الأندلس، وما أصاب الإسلام من محن ما زال يئن تحت وطأتها إلى الآن .

أهم الدول المستقلة منذ قيام العصر العباسي وإلى قيام الدولة العثمانية :

(أ) – في المشرق والعراق والشام ومصر :

1- الدولة الصفارية (254-298هـ /868-911م):

أسسها يعقوب بن ليث الصفار في سجستان (إيران) وتوسع على حساب الدولة الطاهرية في خراسان التي أسسها طاهر بن الحسين سنة (198هـ/813 م) ، والدولة العلوية في طبرستان التي أسسها الحسن بن زيد سنة (250هـ/863م) . ولعجز دولة الخلافة العباسية ، اعترفت بشرعية حكم الصفار ، الذي أسس جيشا قويا قمع به الخوارج وسيطر على طرق التجارة بين الهند ووسط آسيا . ثم فكر بغزو بغداد، فاستنجد الخليفة بأحمد بن اسماعيل أمير الدولة السامانية ، فهزم الصفاريين وقضى على دولتهم سنة (298هـ/911م) .

2- الدولة الطولونية (256- 292 هـ /870-905 م):

أسسها أحمد بن طولون في مصر وهو قائد تركي استفاد من ضعف الدولة العباسية التي كانت ترسل من ينوب عنها في حكم الولايات البعيدة عن مركز دولة الخلافة ، وقد جاء أحمد بن طولون مصر نائبا عن (باكباك التركي) ثم قلده الخليفة ولاية مصر ، فاستقل بها ، ووسع دولته . ولما كلفه الخليفة بحماية الثغور الشامية ، ضم الشام إلى مصر ، ثم مد دولته إلى ليبيا ، والحجاز، وبلاد النوبة جنوب مصر . وقد عم الرخاء عصره ، وكان عادلا حازما و كون جيشا قويا . ثم تولى بعده ابنه (خمارويه) فحفظ أملاك أبيه ، وضم إليها الموصل ، وتوطدت العلاقة بينه وبين الخليفة ، فزوج ابنته (قطر الندى) للخليفة المعتضد ثم ضعفت الدولة ، وأعاد الخليفة العباسي ضم تلك البلاد للخلافة المركزية سنة (292هـ) .



<u>3-الدولة السامانية (261-389هـ / 874-998م):</u>

وتنسب لأسرة فارسية اعتنقت الإسلام في العصر الأموي ، وأسسها نصر بن أحمد الساماني في بلاد ما وراء النهر ، وتوسعت في عهد اسماعيل بن أحمد وضمت طبرستان وبلاد الري ، وقد تصدت الدولة السامانية للخطر الصيني على آسيا الوسطى ، واستفادوا من طرق التجارة ، وازدهر في عهدهم العمران ، وكلن معظمهم على مذهب السنة ، وقد ازدهرت حاضرات الإسلام ، في عهدهم ، وحفلت بالحركة العلمية والشعراء والأدباء . وأصبحت بخارى و سمرقند ومدن تركستان من ألمع حضارات الإسلام .

<u>4- الدولة الحمدانية (292-392هـ /904-1002م):</u>

وهم من أسرة عربية اعتنقت المذهب الشيعي الإمامي الإثناعشري ، وقد تأسست في الموصل سنة 292هـ ، في عهد الخليفة المكتفي بالله ، وساندته في مواجهة الخوارج والقادة الأتراك . واشتهرت بجهاد الروم البيزنطيين . ، وقد قضى البويهيون الشيعة عليهم سنة 368هـ ، وبقي نفوذهم في حلب ، وامتد ملكهم إلى دمشق ، واصطدموا بالإخشيديين ، وبعد وفاة سيف الدولة سنة 356هـ ضعفت حالهم وقضى الفاطميون الشيعة عليهم سنة 392هـ . وقد اشتهر بلاط سيف الدولة بالأدباء والشعراء ، من أمثال المتنبي الذي أذاع صيتهم ، وشاهرهم أبو فراس الحمداني ، و الأصفهاني (الزنديق) صاحب كتاب الأغاني الشهير .. المليء بالأكاذيب و الطرائف.

5 - الدولة الفاطمية (298- 567هـ / 909-1171م) :

قامت الدولة الفاطمية في إفريقية سنة 298هـ بزعامة عبيد الله المهدي مدعيا أنه صاحب الحق في الخلافة وأنه حفيد محمد بن إسماعيل بن جعفر الصادق وقد مهد لقيامها داعية إسماعيلي يدعى أبو عبد الله الشيعي وحشد لنصرتها قبيلة (كتامة)، وعرفت بـ (الدولة العبيدية) .

ولما رسخت قواعدها قضت على دولة الأغالبة في القيروان ثم قضت على دولة الإخشيد في مصر، وبنت فيها مدينة القاهرة ثم انتقلت إليها في عهد المعز لدين الله ودعيت بالدولة الفاطمية. ولم يستطع الخليفة العباسي المقتدر بالله أن يدفع قيامها.

ثم حدثت بها أحداث سياسية واقتصادية واجتماعية تراخت فيها قوتها وانتهت إلى الزوال. وقد بدأ هذا التراخي في عهد الحاكم بأمر الله لفاطمي الذي بلغ من الكفر والظلم شأوا عظيما . وازداد الضعف والتراخي في عهد المستنصر بالله الفاطمي، فقد ولد من جارية تربت في بيت يهودي يدعى أبا سعيد التستري وتولت أمه تدبير أمور الدولة واستوزرت وزراء يهود، منهم صدقة بن يوسف الفلاحي وأبو سعيد التستري، وقد أسند هؤلاء مناصب الدولة إلى أبناء جلدتهم من اليهود، فاضطهدوا المسلمين.



قامت الدولة الفاطمية في بلاد المغرب سنة ٢٩٧ هـ ثم انتقل الفاطميون إلى مصر سنة ٣٥٨ هـ حتى شملت سوريا و بلاد الحجاز ووصلت لأقصى اتساع لها .

وفي عهد المستنصر بالله انحسر سلطان الفاطميين عن بلاد الشام باستيلاء السلاجقة عليها وزالت دولتهم في جزيرة صقلية باستيلاء النورمان عليها سنة 461هـ . وعم الوباء الذي يعتبر أطول وباء عرفته مصر في العصور الوسطى ، إذ امتد ثماني سنين (446 - 454هـ) واقترنت هذه الشدة التي اصطلح المؤرخون تسميتها بسنين الشدة العظمى بقيام الحروب الأهلية الداخلية . حتى تدارك الأمر وزيرهم بدر الجمالي، والي عكا وقد استدعاه المستنصر سنة 466هـ فأعاد النظام ووجه همه إلى إصلاح البلاد، وتزوج المستنصر ابنته وولدت له ابنه (المستعلي).

ولما توفي المستنصر سنة 487هـ بعد حكم دام ستين سنة ادعى الخلافة ابنه (نزار) وكان أبوه قد عهد بها إليه، ولكن الأفضل بن بدر الجمالي، الذي خلف أباه في قيادة الجيش، قدم عليه أخاه (المستعلي) وهو ابن أخته، وتم ذلك بقتل (نزار)، وبقتله افترقت الإسماعيلية إلى فرقتين: فرقة المستعلية، وفرقة النزارية.

وفي عهد المستعلي بدأت الحروب الصليبية على بلاد الشام واحتل الصليبيون بيت المقدس سنة 493هـ، وقد أعقب المستعلي خلفاء منهم المخلوع ومنهم المقتول إلى أن انقضى عهد الدولة الفاطمية – غير مأسوف عليها - سنة 567هـ على يد صلاح الدين الأيوبي وقيام الدولة الأيوبية.

وكان الفاطميون من الباطنية الشيعة الغلاة ، وقد حكم علماء أهل السنة الأثبات ممن عاصروهم بكفرهم وخروجهم عن الإسلام . وقد طبعت الدولة الفاطمية بالظلم والعنت فوق الكفر . وراسل كبار وزرائهم الصليبيين والروم مرارا واستدعوهم لغزو مصر ووعدوهم العون ضد جيش الشام الذي حمل في ذلك الزمان مهمة جهاد الصليبيين على عاتقه .

6 - الدولة الإخشيدية (323- 358هـ / 935-969 م) :

وتنسب إلى محمد بن طغج الإخشيد وهو تركي ، وكان في خدمة والي مصر ، وأبلى في صد غارات الفاطميين عن مصر ، فأسند إليه الخليفة ولاية مصر ، ثم ضم إليها الشام واليمن ، فنظم البلاد وقوي مركزه . ثم فسدت علاقته بالخلافة وقامت الحرب بينهم . وبعد موت الإخشيد خلفه ابنه أبو القاسم أنجور وكان طفلا، فتولى الوصاية عليه معلمه كافور الإخشيدي وكان عبدا أسودا يخدمهم ، فاستولى على البلاد . وبعد موت كافور سيطر الفاطميون على مصر بقيادة جوهر الصقلي وضمها للفاطميين .

7- الدولة البويهية (334-447 هـ /945-1055م):

البويهيون أسرة فارسية شيعية سكنت شمال فارس عند قزوين . وتمكن علي والحسن وأحمد أولاد أبي شجاع ، مستغلين الفوضى في فارس فقضت على الكيانات السياسية ، وقد حاول الخليفة

المستكفي بالله أن يتخلص من سلطة القادة الأتراك ، فاستعان بالبويهيين فدخلوا بغداد سنة 334هـ /945م . فرحب الخليفة بهم وأعطاهم ألقاب سامية . فسمي أحمد (معز الدولة) وحسن (عماد الدولة) وعلي (ركن الدولة) . ولكونهم من الشيعة انتزعوا السلطة من الخلفاء ، واتخذوا لقب (السلطان) وأحيوا لقب الملك الفارسي (شاهنشاه) . استمال البويهيون الرعية بتخفيف الضرائب ، وقاموا بإصلاحات . ثم دب الصراع بينهم . وأسقطهم السلاجقة الأتراك سنة447هـ. وقد شجع البويهيون الحركة العلمية ولاسيما الفلاسفة ، والزنادقة من أمثال الفارابي وابن سينا وأمثالهم .

8- الدولة الغزنوية (366-555هـ / 976-1160م) :

قامت هذه الدولة بزعامة القائد التركي (ألب تكين) وكان مولاه منصور بن نوح الساماني ملك خراسان قد ولاه سنة 351هـ أميرا على سجستان (أفغانستان)، فاستقل بها وأقام فيها دولة اتخذ من مدينة (غزنة) عاصمة لها فعرفت بالدولة الغزنوية،

وقد تعاقب عليها واحد وعشرون ملكا كان أشهرهم محمود بن سبكتكين المعروف بمحمود الغزنوي. الملك الصالح المعروف ، الذي فتح الهند ، وحطم أصنام الوثنيين وأدخل الإسلام إليها ، واتسعت دولته وشملت بلاد أفغانيتان وما وراء النهر وشرق إيران وبلاد السند (باكستان) وأجزاء شاسعة من الهند .

ثم انقضى عهدها باستيلاء الدولة الغورية عليها سنة 582هـ في عهد آخر ملوكها تاج الدولة خسرو ملك.

9- دولة السلاجقة (431-590هـ / 1040-1194 م):

تنتسب هذه الدولة إلى سلجوق بن دقاق، وهو زعيم دولة تركية كبيرة كانت تقطن فيما وراء النهرين (سيحون و جيحون) في منطقة واسعة تعرف بتركستان، أي بلاد الترك. وفي عام 429هـ آلت زعامة هذه القبيلة إلى (طغرلبك) حفيد (سلجوق) فاجتاز بقبيلته منطقة ما بين النهرين متوجها نحو المشرق وانتهز انشغال الغزنويين بحروب أنهكتهم، فاستولى على خراسان والري و همذان وأزال الحكم الغزنوي عنها وأقام فيها دولة لقومه عرفت بدولة السلاجقة.

وفي عام 432هـ استولى على جرجان و طبرستان وامتدت دولته إلى قزوين. وفي عام 446هـ استنصره الخليفة العباسي القائم بأمر الله ودعاه إلى بغداد لينقذه من وزيره أرسلان البساسيري، وكان قد استولى على السلطة واستبد بها وملك أمر العراق وخطب للمستنصر الفاطمي صاحب مصر، فاستجاب طغرلبك لدعوته وزحف إلى بغداد وقضى على البساسيري وأنهى الحكم البويهي

فيها، ثم استولى على الموصل وأذربيجان وسنجار وتمت له السيطرة على البلاد الإيرانية من شاطئ نهر سيحون إلى ساحل البحر الأسود ومن شواطئ بحيرة خوارزم إلى بحر عمان.

وفي عام 455هـ توفي طغرلبك وآلت خلافته إلى ابن أخيه ألب أرسلان فتابع مسيرة عمه ووجه عام 463هـ جيشا بقيادة قائده (أتسز) إلى بلاد الشام فاستولى على دمشق وتوجه سنة 464هـ على رأس جيش لفتح الأناضول فاستولى على أرمينية بعد معركة ضارية مشهورة مع الروم جرت في (ملاذ كرت) وفيها هزم جيش الروم وأسر ملكه (رومانوس الرابع).الذي كان قد رفض الصلح مع السلطان ألب أرسلان ، وكانت تلك المعركة واحدة من مشاهد الإسلام العظيمة مع الروم . ولم يكن في جيش السلطان الذي طلب من جنوده أن لا يخرج معه من ارتبط بالدنيا بحاجة ينتظر قضاءها ، إلا خمسة عشر ألف مقاتل وقد ذكرت الروايات أن الروم ناهزوا مأتي ألف مقاتل . وقد نصح شيخ السلطان له أن يوقت المعركة وقت صلاة الجمعة حيث تكون المنابر داعية للمجاهدين . وفي أول المعركة ألقى السلطان خوذته على الأرض وتذلل إلى الله ، وصاح بالجند قائلا : (ما هاهنا ملك يأمر فيطاع ، من شاء الانصراف فلينصرف)، وأمر الجند أن يخلصوا في طلب النصر أو الشهادة ، ثم كبر وهجم ، فحملوا كرأس الحربة على خيمة الإمبراطور رومانوس ، الذي سقط أسيرا بيد السلطان وانهزم جيشه الذي هلك جله في طريق الفرار والعودة إلى القسطنطينية .

وفي عام 465هـ أقدم باطني إسماعيلي على اغتيال (ألب أرسلان) فخلفه ابنه (ملك شاه) وفي عهده أخذت الدولة السلجوقية في التقلص بعد انقسامها إلى دولة موزعة بين أبناء البيت السلجوقي، فدولة في خراسان ودولة في الشام ودولة في بلاد الروم.



أما دولة السلاجقة في خراسان فقد آلت إلى سنجر بن ألب أرسلان وانتهت بوفاته سنة 552هـ باستيلاء دولة خوارزم عليها.

وأما دولة السلاجقة في العراق فقد آلت إلى محمد بن ملكشاه ومن بعده إلى ابنه محمود وتوارثها من بعده أبناؤه ثم زالت باستيلاء دولة خوارزم عليها سنة 573هـ في عهد آخر ملوكها ركن الدين طغرل (الثاني).

وأما دولة السلاجقة في الشام فقد آلت إلى (تتش) بن ملكشاه وانقسمت بعد مقتله سنة 488هـ بين ولديه: دقاق ورضوان، فاختص دقاق بدمشق واختص رضوان بحلب، وانقضت دولة حلب بعد وفاة آخر ملوكها سلطان شاه بن رضوان باستيلاء نجم الدين إيلغازي صاحب ماردين عليها سنة 511هـ بدعوة من أهلها، ثم بقيام عماد الدين زنكي صاحب الموصل بالاستيلاء عليها سنة 521هـ، وبعد اغتياله سنة 541هـ قيام ابنه نور الدين محمود خلفا له فيها.

وانقضت دولة دمشق وصاحبها دقاق بن تتش سنة 497هـ باستيلاء أتابكه (نائبه) القائد طغتكين على السلطة، وبوفاته سنة 522هـ قيام ابنه تاج الدولة بوري خلفا له، وقد نسبت الدولة إليه فعرفت بالدولة البورية وامتدت أيامها حتى استولى عليها نور الدين محمود بن عماد الدين زنكي سنة 549هـ وضمها إلى حلب وجعلها عاصمة الدولة الأتابكية في بلاد الشام.

وأما دولة السلاجقة في بلاد الروم فقد قامت بزعامة سليمان بن قتلمش، من أحفاد سلجوق ومن أبناء عمومة ألب أرسلان فقد تزعم سليمان عصابات تركية في أعقاب وقعة (ملاذ كرت) وأخذ يطارد فلول جيش الروم ويستولي على الأقاليم التي يجتاحها حتى إذا اقترب من سواحل بحر مرمرة سنة 470هـ استقر في مدينة (نيقية) - أزنيك الحالية - وأقام فيها دولة سلجوقية.

وفي عام 477هـ حاول سليمان الاستيلاء على بلاد الشام واستخلاصها من (تتش) بن ملكشاه في معركة جرت بينهما فلم يتمكن من الفرار وقتل فيها فخلفه ابنه داود وتلقب بلقب (قليج أرسلان).

ولما قدمت الحملة الصليبية الأولى واقتحمت القسطنطينية سنة 490هـ ثم اجتازتها إلى آسية، اضطر قليج أرسلان إلى التخلي عن (نيقية) وانسحب مع قومه إلى الجنوب الشرقي من الأناضول واتخذ من مدينة (قونية) عاصمة لملكه.

وفي عام 500هـ توفي قليج أرسلان فتوزعت أقاليم دولته بين أبنائه وإخوته واستحالت إلى مجموعة دويلات اتصلت بينها الحروب. إلى أن قامت الدولة العثمانية على أنقاضها سنة 699هـ - وهم من سلالاتهم - فانطوت تحت جناحها.

10 - الدولة الغورية (439-612هـ / 1048-1215 م) :

تأسست هذه الدولة في بلاد الغور سنة 439هـ بزعامة عز الدين حسين ابن حسن بن محمد وأخذت تزاحم الدولة الغزنوية حتى قضت عليها سنة 582هـ وضمتها إليها، وقد امتدت فتوحاتها إلى بلاد الهند ومنها انبثقت دولة المماليك الأتراك وكان قطب الدين أيبك أول ملوكهم في الهند.

وفي عام 612هـ خضعت الدولة الغورية للسيادة الخوارزمية وزالت معها بالغزو المغولي سنة 628هـ.

11- الدولة الخوارزمية (470- 628هـ / 1048- 1258م):

قامت هذه الدولة في بلاد خوارزم جنوب بحيرة (أورال) ومصب نهر (جيحون)، بزعامة القائد التركي (أنوشتكين)، وكان السلطان السلجوقي قد ولاه عليها سنة 470هـ.

وقد اتسعت في عهد ملكها سلطان شاه محمود بن إيل أرسلان باستيلائها على خراسان وإزالة الحكم السلجوقي عنها بعد وفاة السلطان سنجر بن ملكشاه سنة 552هـ ثم باستيلائها على الدولة الغورية سنة 612هـ.

وفي عام 628هـ استولى عليها المغول وأزالوا دولتها في عهد آخر ملوكها جلال الدين منكبرتي.

12- الدولة الأرتقية (499- 521 هـ / 1077- 1121 م):

تنتسب هذه الدولة إلى زعيم عشيرة من التركمان يدعى (أرتق بن أكسب)، وكان قد التحق عام 449هـ بخدمة السلطان السلجوقي تتش بن ألب أرسلان صاحب بلاد الشام فأقطعه القدس وما حولها. ولما توفي (أرتق) خلفه ولداه: معين الدين سقمان ، ونجم الدين إيلغازي.

وفي سنة 491هـ استرد الفاطميون القدس فأخرجوهما منها، فتوجها بقومهما من التركمان إلى الجزيرة الفراتية فتملك معين الدين سقمان ديار بكر (آمد) وتملك نجم الدين إيلغازي (ماردين) وأقام كل منهما فيما تملك دولة أرتقية.

وفي عام 511هـ حاصر الصليبيون مدينة حلب فاستنجد أهلها بنجم الدين إيلغازي فأنجدهم وقاتل الصليبيين في معركة جرت في (سهل بلاط) سنة 513هـ وأسر زعيمهم (روجيه ده سالرنو) أمير أنطاكية وتملك حلب وأقام فيها دولة أرتقية تعاقب أبناؤه عليها إلى أن استولى عليها عماد الدين زنكي عام 521هـ وأقام فيها دولة أتابكية.

13- الدولة الأتابكية(516- 579هـ / 1122 - 1171م) :

تنتسب هذه الدولة إلى عماد الدين زنكي بن آقسنقر وكان (أتابك) - أي نائب - السلطان السلجوقي محمود بن محمد بن ملكشاه سلطان العراق، وفي عام 516هـ ولاه السلطان على الموصل فأقام فيها دولة عرفت بالدولة الأتابكية.

وفي عام 521هـ استولى عماد الدين على حلب وأزال الدولة الأرتقية. وقد اشتهر عماد الدين رحمه الله بجهاد الصليبيين ، وإسقاطه أولى الإمارات الصليبية في سواحل الشام

وفي عام 541هـ اغتال الحشاشون الباطنية (أجداد النصيرية العلوية الحاكمين لسوريا ولبنان في زماننا هذا) – اغتالوا الأمير المجاهد عماد الدين زنكي رحمه الله فانقسمت الدولة الأتابكية إلى دولتين : دولة في الموصل ودولة في حلب.

أما دولة الموصل فخلفه فيها ابنه سيف الدين غازي الأول وتعاقب عليها من بعده أبناؤه حتى انقضى عهدها باستيلاء المغول عليها سنة 660هـ.

وأما دولة حلب فخلفه فيها ابنه الملك الصالح المجاهد نور الدين محمود وحمل بعده لواء جهاد الصليبيين . وفي عام 549هـ استولى نور الدين على دمشق وضمت إليه بلاد الشام.

ولما توفي نور الدين سنة 569هـ خلفه فيها ابنه الصالح إسماعيل وكان طفلا صغيرا . وفي عام 579هـ تولى صلاح الدين الأيوبي ضمها إلى الدولة الأيوبية التي أقامها في مصر فأضحت معها دولة واحدة.بشورى علماء الشام ومصر ، ليوحد البلاد في مواجهة الصليبيين .

13- الدولة الأيوبية (567 – 648هـ / 1171 - 1250 م) :

وقد أسس هذه الدولة الميمونة الملك الناصر صلاح الدين يوسف بن نجم الدين أيوب، وكان قد توجه إلى مصر كقائد من قواد خاله (أسد الدين شيركوه) قائد الجيش الذي أرسله الملك الصالح نور الدين زنكي سلطان الشام المجاهد لصد حملة الصليبيين على مصر .

وقد استعان الخليفة الفاطمي العاضد بأسد الدين وأسند إليه الوزارة ، ليتقوى به على أمراء الفاطميين المتنافسين و كبيرهم (شاور) . ولما توفي (أسد الدين في مصر وهو يعد العدة لصد الحملة الصليبية ، عين الخليفة الفاطمي صلاح الدين مكان خاله . وبعد انتصار صلاح الدين وجيش الشام ومصر على الصليبيين بقليل ، توفي الخليفة الفاطمي سنة 567هـ بعد قتل وزيره شاور بن مجير السعدي الذي كان يكاتب الصليبيين . واستولى صلاح الدين على حكم مصر ، وقطع الخطبة للفاطميين وجعلها للخليفة العباسي ببغداد ، وألغى المذهب الفاطمي العبيدي الإسماعيلي القائم على الزندقة ، وأعاد المذهب الشافعي السني لمصر، ثم تصدى لعدد من المحاولات الصليبية مع فلول الفاطميين ودعم الأسطول الروماني وانتصر عليهم ، واستتب له الأمر في مصر . و بعد وفاة نور الدين محمود ، حضر صلاح الدين إلى الشام وعقد له علماء الشام ومصر البيعة سلطانا عل بر مصر والشام ، ثم توسعت مملكته وضم إليها الحجاز واليمن وبعض أنحاء الجزيرة . وقد سجل صلاح الدين رحمه الله انتصارات مشهودة على الصليبيين أدت لاسترجاع بيت المقدس سنة 583هـ . محققا حلم الملك الصالح نور الدين زنكي رحمه الله . وقد تقسمت أقاليم الدولة، بعد وفاته، بين أبنائه وإخوته وتحولت تلك الدولة الكبرى بعد وفاته سنة 589هـ إلى دويلات ثارت فيها الحروب . وقد استقرت أحوالها لبعض الوقت في زمن الملك العادل أخو صلاح الدين ، ثم آلت الشام للملك الصالح إسماعيل الذي ناصر الصليبيين على عمة نجم الدين أيوب الذي استقل بملك مصر . ثم توفي نجم الدين وهو يصد الحملة الصليبية السابعة ، فتابعها قائده معز الدين إيبك ، الذي تزوج زوجته (شجرة الدر) ، وآلت إليه السلطنة لتنتهي الدولة الأيوبية وتقوم في مصر دولة المماليك . وقد تتابع سقوط الدويلات الأيوبية الأخرى في بلاد الشام في عهد الملك المملوكي الظاهر بيبرس البندقداري وضمت إلى دولة المماليك.

15- دولة المماليك (648 - 922هـ / 1250- 1517 م) :

تنتسب هذه الدولة إلى الملوك الأتراك الذين كانوا من مماليك السلطان نجم الدين أيوب ابن الملك الكامل الأيوبي وكان الملك الكامل قد بنى لهم في جزيرة الروضة بنهر النيل - وكان يعرف ببحر النيل - قلعة فعرفوا بالمماليك البحرية وأولهم الملك المعز عز الدين إيبك، وقد انتقل إليه الملك عن طريق شجرة الدر زوجة الملك الصالح نجم الدين وكانت تولت الملك بعد وفاته ثم تزوجت من عز الدين إيبك وتنازلت له عن الملك فانتقل الملك عن طريقها إلى المماليك.

وقد اتسعت دولة المماليك في عهد الملك الظاهر بيبرس البندقداري فقضى على الدويلات الأيوبية في بلاد الشام وضمها إلى دولة المماليك في مصر.

و حمل المماليك لواء الجهاد ضد الصليبيين بعد الأيوبيين ، فقد أزال السلطان بيبرس معظم تلك الإمارات . ليزول آخرها (إمارة عكا 1291هـ) في عهد السلطان خليل بن قلاوون .

ودامت دولة المماليك حتى استولى العثمانيون على مصر والشام سنة 922هـ بعد هزيمة المماليك في معركة مرج دابق .



ملوك دولة المماليك :

1- المماليك البحرية :

م	الملك	نهايته	مدته
1-	عز الدين إيبك	قتل	1250 - 1257 م
2-	نور الدين علي بن عز الدين	خلع	1257 - 1258 م
3-	المظفر سيف الدين قطز	قتل	1258 - 1260 م
4-	الظاهر ركن الدين بيبرس البندقداري		1260 – 1277 م
5-	الملك السعيد أبو المعالي محمد	خلع	1277 - 1279 م
6-	الملك العادل سيف الدين بن الظاهر	خلع	1279 - 1279 م

2- المماليك البرجية :

م	الملك	نهايته	مدته
7-	قلاوون الألفي المنصور سيف الدين		1279 -1290 م
8-	صلاح الدين خليل الأشرف بن قلاوون		1290- 1293 م
9-	الملك الناصر محمد بن قلاوون	خلع	1293 - 1294 م
10-	الملك العادل كتبغا	خلع	1294 - 1296 م
11-	المنصور حسام الدين لاجين	خلع	1296- 1298 م
12-	الناصر محمد بن قلاوون ثانية	خلع ثانية	1298 - 1308 م
13-	المظفر ركن الدين بيبرس	خلع	1308- 1308 م
14-	الناصر محمد بن قلاوون ثالثة		1308- 1341 م
15-	المنصور أبو بكر بن قلاوون	قتل	1341 - 1342 م
16-	الأشرف علاء الدين كجك	خلع	1342- 1342 م
17-	الناصر شهاب الدين احمد الملك الصالح	خلع	1342 - 1342 م
18-	الملك الصالح علاء الدين ابو الفداء اسماعيل		1342 - 1345 م
19-	الملك الكامل شعبان	خلع ثم قتل	1345 - 1346 م
20-	المظفر حاجي	قتل	1346- 1347 م
21-	الملك الناصر أبو المحاسن حسن	خلع	1347 - 1351 م
22-	الملك صلاح الدين صالح	خلع وسجن حتى مات	1351 - 1354م
23-	الملك الناصر أبو المحاسن حسن	ثانية	1354- 1361 م
24-	الملك صلاح الدين محمد بن المظفر حاجي	خلع	1361- 1363 م
25-	الملك الأشرف أبو المعالي زين الدين شعبان	قتل	1363 - 1377 م
26-	الملك المنصور علاء الدين علي بن الأشرف		1377- 1381 م
27-	الملك الصالح أمير حاج بن الأشرف	خلع	1381 - 1382 م

وهو آخر سلاطين المماليك الأتراك.

3 - المماليك الشراكسة :

م	الملك	نهايته	مدته
28.	برقوق الظاهر سيف الدين	خلع	1382 -1389 م
29.	الملك الصالح أمير حاج	تولى و خلع ثانية وسجن حتى مات	1389 -1389 م
30.	الملك الظاهر برقوق	ثانية	1389- 1399 م
31.	الملك الناصر زين الدين أبو السعادات	اختفى ثم ظهر	1399 - 1405 م
32.	الملك المنصور عز الدين أبو العز عبد العزيز	خلع و سجن	1405 - 1405 م
33.	الناصر زين الدين أبو السعادات	ثانية قتل	1405 - 1412 م
34.	الخليفة المستعين بالله جمع بين الخلافة والسلطنة		1412- 1412 م
35.	الأمير شيخ المؤيد أبو النصر		1412 -1421 م
36.	الملك المظفر أبو السعادات احمد	خلع	1421- 1421 م
37.	الظاهر سيف الدين أبو سعيد ططر		1421 - 1421 م
38.	محمد بن ططر الملك الصالح ناصر الدين	خلع وسجن	1421- 1422 م.
39.	الأمير برسباي الدقماقي الملك الأشرف أبو النصر		1422 - 1438 م
40.	الملك العزيز أبو المحاسن جمال الدين	خلع	1438- 1438 م
41.	الملك الظاهر أبو سعيد جقمق	استقال	1438- 1452 م
42.	الملك المنصور أبو السعادات فخر الدين عثمان	خلع	1452 - 1453 م
43.	اينال العلائي الملك الأشرف أبو النصر سيف الدين		1453-1461 م
44.	الملك المؤيد احمد أبو الفتح شهاب الدين	خلع	1461-1461 م
45.	خوشقدم الملك الظاهر أبو سعيد سيف الدين		1461-1467 م

46.	بلباي الملك الظاهر أبو النصر سيف الدين	خلع	1467 - 1467 م
47.	تمر بغا الملك الظاهر أبو سعيد	خلع	1467- 1496 م
48.	الملك الناصر أبو السعادات ناصر الدين	خلع	1496- 1498 م
49.	قانصوه الملك الظاهر أبو سعيد		1498 - 1500 م.
50.	الأمير جان بلاط الملك الأشرف أبو النصر	خلع وسجن وخنق	1500- 1501 م
51.	طومان باي الملك العادل		1501 - 1502 م
52.	قنصوه الغوري الملك الأشرف	قتل في الحرب مع العثمانيين	1502- 1516 م
53.	طومان باي الثاني	شنقه العثمانيون	1516- 1517 م

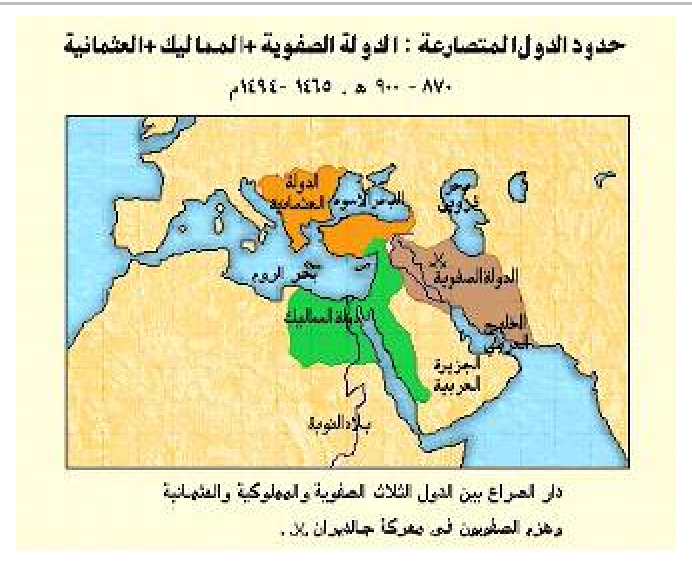
16- الخلافة العباسية (الرمزية) في مصر (656-922 هـ / 1258- 1517م) :

ادعى الخلافة بعد مقتل الخليفة المستعصم سنة 656هـ اثنان من بني العباس، أحدهما يدعى أبا العباس أحمد بن علي (وجده الأعلى المسترشد بالله بن المستظهر بالله)، والآخر يدعى أبا القاسم أحمد بن الظاهر بأمر الله وهو أخو المستنصر بالله ويلتقي مع الأول بالخليفة المستظهر بالله.

وقد توجه الأول إلى حلب وأثبت فيها نسبه بشهادة جماعة من عرب خفاجة فبايعه أمير حلب حسام الدين بن أبي الفوارس وبايعه معه جماعة من العلماء وفيهم الشيخ عبد الحليم بن تيمية.

وتوجه الآخر إلى القاهرة وأثبت نسبه بشهادة جماعة من عرب مهارش فبايعه الملك الظاهر بيبرس وبايعه معه جماعة من الأعيان والعلماء وتلقب بالمستنصر بالله عام 659هـ. وقد طلب من الملك الظاهر أن يجهزه بقوة ليقاتل المغول فزوده بقوة قليلة هزمها المغول وفيها قتل الخليفة المستنصر، وقدم أبو العباس أحمد إلى القاهرة فبويع فيها خلفا للمستنصر وتلقب بالحاكم بأمر الله.

واستمرت خلافة بني العباس في مصر حتى استولى العثمانيون عليها سنة 922هـ بقيادة السلطان سليم الأول وقد تنازل الخليفة العباسي عن الخلافة للسلطان العثماني فنقلها إلى القسطنطينية وظلت قائمة في أعقابه إلى أن زالت بزوال الدولة العثمانية سنة : 1342هـ / 1923م.



(ب) – الدول التي استقلت في جزيرة العرب زمن العباسيين :

17– الدولة الإباضية في عمان (176هـ / 792م) :

الإباضية هم من الخوارج المعتدلين القريبين من مذهب السنة . يعود مذهبهم لعبد الله بن إباض التميمي وقد حاربهم الأمويون والعباسيون وطردوهم من الشام والحجاز واليمن وإفريقيا ، ولكن أقلية منهم بقوا في عمان إلى أيامنا هذه .

وقد تأسست الدولة الإباضية في عمان سنة 176هـ أسسها الجلندي بن مسعود الإباضي . وقد كان من أبرز دعاتهم غسان بن عبد الله الحميدي، و الصلت بن مالك . وقد عملوا في التجارة وازدهرت دولتهم بذلك.

18- دولة القرامطة - البحرين - (296- 398 هـ / 909- 1008م) :

وقد مر نبذة عنها لما ذكرنا الثورات . وقد ابتدأت على يد داعية فاطمي متخفي هو (الحسين الأهوازي) الذي حمل الدعوة الإسماعيلية إلى جنوب العراق والبحرين . ولما مات خلفه . رجل فارسي عرف بلقب (قرمط)، قيل أن اسمه (حمدان الأشعث) وقد كان أحد دعاة الإمام الإسماعيلي (المنتظر) الذين بثهم في الأقطار عبد الله بن ميمون القداح، منظم الدعوة الإسماعيلية.

وقد دعا إلى مذهب فيه مزيج من المزدكية الفارسية واليهودية والنصرانية والإسلام،

وقد أقام هؤلاء دولة سنة 296 هـ في القطيف والبحرين واليمن وقادوا حروبا في العراق أرادوا بها انتزاع الخلافة، ونازعوا الفاطميين زعامة الدعوة، فهاجموا قواعدهم في الشام وهموا بمهاجمة القاهرة وقد تمكن الفاطميون من صدهم.

وفي سنة 317هـ أغاروا على مكة فقلعوا الحجر الأسود وقتلوا الحجاج، وحملوا الحجر الأسود إلى القطيف عاصمة ملكهم وأعادوه سنة 239هـ لقاء السماح لهم بفرض ضريبة على الحجاج.

وبقيت هذه الدولة قائمة إلى أن زالت سنة 398 هـ .

19- دولة بني نجاح في (زبيد – اليمن) (421-554 هـ / 1030 1160 م) :

أسس هذه الدولة عبد حبشي تمكن من التحرر . وأقام دولة في زبيد . ولكن أفراد الأسرة تصارعوا . مما مكن والي تهامة (علي بن محمد) القضاء عليهم سنة 554هـ .

20 – الدولة الصليحية (صنعاء – اليمن) (450- 647هـ / 1058 - م) :

دانت هذه الدولة بالمذهب الإسماعيلي . وقد أسسها محمد الصليحي الذي تلقى الدعوة على يد الدعاة الإسماعيلية في اليمن ، وكانت عاصمتهم صنعاء وارتبطت بصلات ودية مع الفاطميين في مصر ، حيث أسبل عليهم الألقاب السامية مثل (أمير الأمراء) و(المكرم)..وقد مدوا نفوذهم للحجاز ثم سقطت الدولة على يد توران شاه آخر سلاطين الأيوبيين . ومن أبرز شخصياتهم السيدة الحرة (أروى بنت أحمد) التي قامت بدور هام بنشر المذهب الإسماعيلي في الهند وعمان . وبقي من آثارها مسجد في صنعاء .

21- دولة بني رسول (اليمن) (626- 826 هـ / 1229 -1423 م) :

أسسها علي بن رسول وهو من نسل الغساسنة (ملوك الشام قبل الفتح) . وقد عينه الأيوبيون واليا على مكة سنة 652هـ ثم أسندوا إليه حكم اليمن ، فمد نفوذه من حضرموت إلى مكة . وبقيت دولته في سلالته قرابة قرنين وكانوا تجارا ، أثروا من التجارة البحرية ولاسيما مع الهند ، وتقدمت في عهده الصناعة والزراعة . وقد كانوا على المذهب الشافعي . وشجعوا العلماء وجمعوا المكتبات .

(ج)- الدول التي استقلت في إفريقية :

22- الدولة المدارية (140- 297هـ /757-909 م) :

قامت هذه الدولة في المغرب الأقصى ، وقد أسسها (عبد) يدعى عيسى بن يزيد الأسود ، وكان أحد الخوارج الصفرية . ولكن قبيلة (مكناسة) البربرية ثارت عليه و واستولت على الإمارة التي رئسها أبو القاسم (سمكو بن واسول) وكانت عاصمة الدولة مدينة (سلجماسة) في واحة في الصحراء . وقد اهتموا بالتجارة مع إفريقيا السوداء جنوب الصحراء الكبرى . وحازوا ثروة كبيرة . ثم

تنازع أفراد الأسرة ، إلى أن دهمهم جيش أبي عبد الله الشيعي داعية الفاطميين ، وأسقط دولتهم سنة (297هـ) .

<u>23- الدولة الرستمية (162- 296هـ / 779- 908 م) :</u>

أسسها عبد الرحمن بن سستم وهم من الخوارج الإباضية المعادين للدولة العباسية ، وقد تأسست في تاهرت (الجزائر) . وتميز حكمه بالعدل في الرعية ، واشتهر بالتجارة مع إفريقيا السوداء وجلبوا الذهب والرقيق . مما أعطى (تاهرت) مركزا حضاريا وعمرانيا. ثم تصارعت داخل دولتهم العناصر العربية والبربرية والفارسية على الملك ، ونشأت بينهم صراعات مذهبية بين الإباضية والصفرية والمعتزلة والشيعة والسنة . ثم سقطت بيد أبي عبد الله الشيعي الفاطمي سنة 296هـ.

<u>24 - دولة الأدارسة (172-375هـ / 788-985 م) :</u>

في عهد الخليفة أبي جعفر المنصور، قام ضد العباسيين في المدينة محمد (النفس الزكية) ، وأرسل المنصور إليه جيشا ، واشتبك معه في معركة انتهت بقتل محمد سنة 145هـ.

وفي عام 169هـ ثار على المنصور علوي آخر هو الحسين بن علي بن الحسن ابن الحسن بن الحسن السبط بن علي بن أبي طالب ومعه عماه إدريس ويحيى ابني عبد الله. فأرسل المنصور جيشا لقتاله، وجرت بين الفريقين معركة في موقع قرب المدينة يعرف بـ (فخ)، وفيها قتل الحسين وتمكن عمه إدريس بن محمد (النفس الزكية) من الهرب. وتوجه إدريس إلى المغرب الأقصى ونزل على قبيلة من البربر تدعى (أوربة) فعرفها بنفسه، فبايعته ودخلت في طاعته قبائل أخرى، وخلع إدريس طاعة بني العباس وأنشأ مدينة (فاس) واتخذها عاصمة له وفيها أقام سنة 172هـ دولة علوية مستقلة عرفت بدولة الأدارسة .

ولما استقر إدريس في ملكه جند من قبائل البربر جيشا فغزا المغرب الأوسط وضمه إلى مملكته. واستمرت تلك الدولة إلى أن قضت عليها الدولة الفاطمية سنة 375هـ.

<u>25– الدولة الأغلبية (184-296 هـ / 800-909 م) :</u>

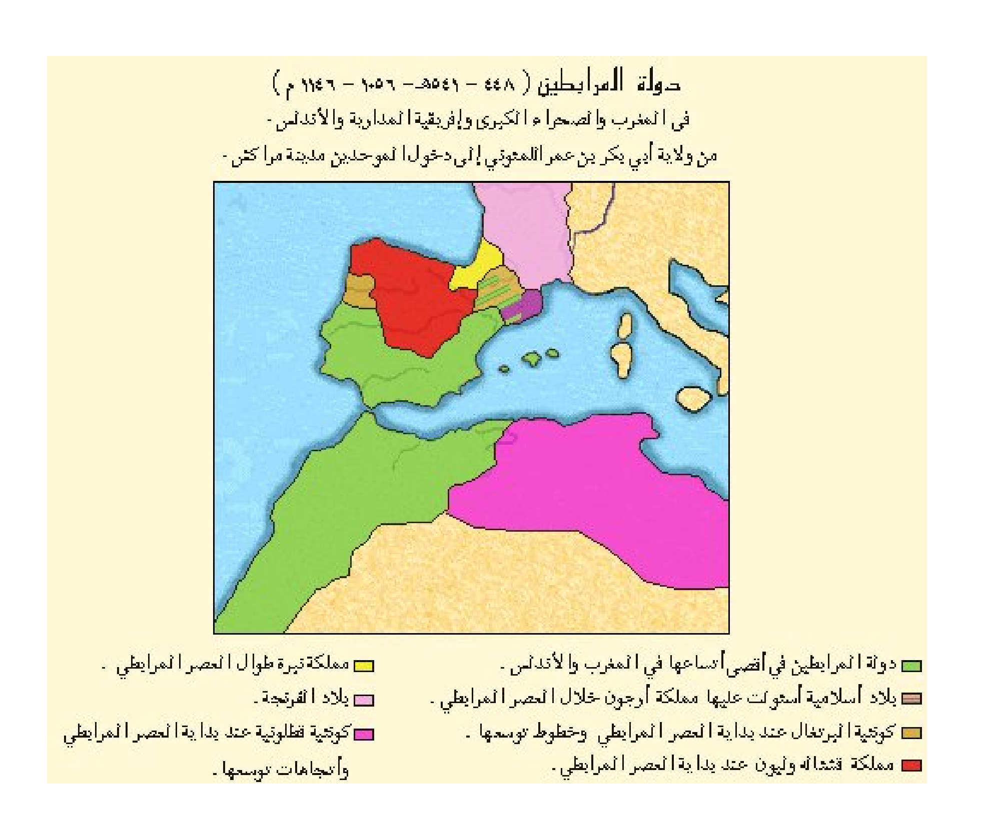
خشي <u>هارون الرشيد</u> أن تمتد أطماع الأدارسة فيستولوا على المغرب الأدنى (تونس) ، وكان يعرف باسم (إفريقية) فأراد أن يقيم حكما ثابتا يناط برجل يستقل به ليدفع عنه خطر الأدارسة، فوقع اختياره على إبراهيم ابن الأغلب، فولاه على إفريقية سنة 184هـ على أن تكون ولايته وراثية

في مقابل مبلغ من المال يدفعه إلى الخليفة، وكانت (القيروان) عاصمة للولاية، فبنى إبراهيم بن الأغلب مدينة دعاها (العباسية) اتخذها عاصمة لدولته التي عرفت بدولة الأغالبة .

وفي عهد حفيده زيادة الله الأول تم الاستيلاء على جزيرة (صقلية) بقيادة الفقيه الكبير (أسد بن الفرات) وضمت إلى دولة الأغالبة. وقد امتد حكم الدولة الأغلبية حتى قيام الدولة الفاطمية التي قضت عليها .

26- دولة المرابطين (453 – 541هـ / 1062- 1147 م):

تأسست هذه الدولة في المغرب الأقصى سنة 453هـ بزعامة يوسف بن تاشفين اللمتوني (نسبة إلى قبيلة لمتونة البربرية) وكان رجالها يشدون اللثام (النقاب) على وجوههم فعرفوا بالملثمين.



وقد لبى الملك المجاهد يوسف بن تاشفين دعوة المعتمد بن عباد ملك أشبيلية، ليصد عنه عدوان ألفونسو السادس ملك قشتالة فاجتاز البحر إلى الأندلس سنة 479هـ على رأس جيوش من البربر وتمكن من هزم الملك الأسباني في وقعة شهيرة جرت في سهل (الزلاقة). وخضعت بعدها دويلات طوائف الملوك لسلطان المرابطين.

وبعد وفاة يوسف بن تاشفين سنة (500هـ) خلفه ملوك من أبنائـه فـيهم المنصرف إلى لهـوه وفيهم الفتى الماجن وفيهم الحدث القاصر، ولم يخل الأمر من نزاع بينهم فأخذت الدولة في الانهيـار وطمع بها الموحدون فاستولوا عليها سنة 541هـ في عهد آخر ملوكها إسحاق بـن عـلي بـن تاشـفين حفيد يوسف بن تاشفين.

27- الموحدون (541- 668هـ / 1147- 1270 م) :

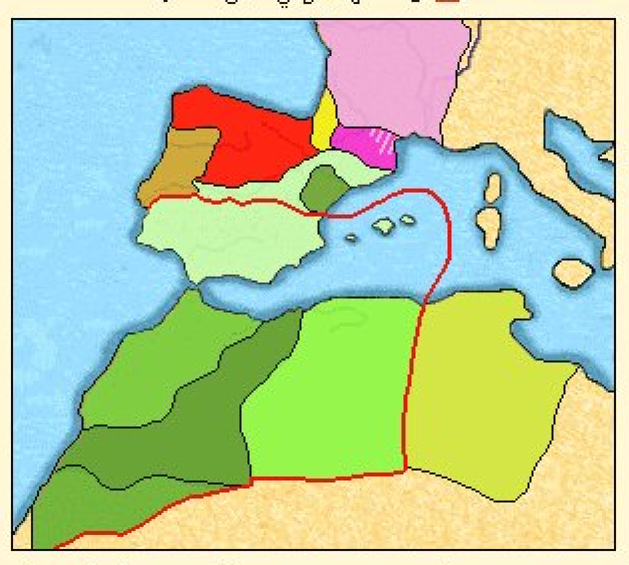
تنتسب هذه الدولة إلى محمد بن تومرت، مـن قبيلـة (زناتـة البربريـة) وموطنهـا في الجنـوب الشرقي من المغرب الأقصى. وكان ابن تومرت قد دعا إلى مذهب التوحيد فعرف أصحابه بالموحدين وتلقب بالمهدي، ولما توفي سنة 524هـ خلفه في دعوته تلميذه المقـرب إليـه عبـد المـؤمن بـن عـلي، فأخذ يغير على المرابطين وتمكن في عام 541هـ من الاستيلاء على مدينة مراكش وأزال دولة المرابطين في المغرب الأقصى وأقام دولة للموحدين.

وقد اشتدت قوة الموحدين في عهد ابنـه أبي يعقـوب يوسـف الأول. ففـي عـام 567هــ اجتـاز البحر إلى الأندلس وأخضع بها من ظل مواليا للمرابطين كابن مردنيش وابن غانية.

ولما توفي سنة 580هـ خلفه ابنه أبو يوسف يعقوب المنصور وفي عهده بلغت دولـة الموحـدين أوجها في العز والمنعة، فقد اجتاز البحر إلى الأندلس عدة مرات صد فيها عدوان الأسبان وكان آخرها عام 591هـ في الوقعة التي هزم فيها ألفونسو الثامن هزيمة منكرة وعرفـت بوقعـة (الأراك) و أحيـا فيها وقعة الزلاقة التي جرت من قبل عام 479هـ.

ولما توفي أبو يوسف يعقوب المنصور سنة 595هــ خلفـه ابنـه النـاصر لـدين اللـه محمـد وفي عهده أخذت دولة الموحدين في الانهيار، فقد اشتبك مع الأسبان في معارك هـزم فيهـا وكـان أشـدها وقعا تلك التي جرت سنة 609هـ والتي عرفت بوقعة (العقاب) وتتابعت هـزائم الموحـدين بعـدها في عهد أخلافه منها هزيمة وقعة (أبي دانس) سنة 614هـ.

ولم يطل عهد الموحدين بعد ذلك فقد استولى بنو مرين على دولتهم سنة 668هـ في عهد آخـر ملوكهم إدريس الملقب بأبي دبوس.



28- دولة بني مرين (668- 875هـ / 1270- 1470 م) :

تنتسب هذه الدولة إلى مؤسسها عبد الحق المريني من قبيلة زناتة البربرية، المقيمة في منطقة (سلجماسة) بالمغرب الأقصى. ففي عام 610هـ تحول عبد الحق بقبيلته إلى بلاد الريف منتجعا وأخذ يغير على مناطق الموحدين والتقى معهم سنة 612هـ في معركة هزمهم فيها وتوالت بعد ذلك هزائم الموحدين حتى تم لبني مرين إزالة دولتهم سنة 668هـ وقد امتدت دولة بني مرين في المغرب الأقصى إلى سنة 875هـ.

29- دولة بني زيان من بني عبد الواد (633-962هـ / 1235 - 1555 م) :

تنتسب هذه الدولة إلى مؤسسها أبي يحيى يغمراسن بن زيان العبدوادي، من بني زيان بتلمسان. ففي عام 633هـ استقل يغمراسن بتلمسان واشتملت دولته على إفريقية الوسطى

(الجزائر) وخضعت بضع سنين للسيادة المرينية وامتد عمرها حتى استولى عليها العثمانيون سنة 962هـ.

30- دولة الحفصيين (625- 941هـ / 1227 - 1534م):

تنتسب هذه الدولة إلى أبي حفص عمر بن أبي زكريا يحيى الهنتاتي، وكان أبو زكريا من عمال دولة الموحدين بتونس ثم استقل عنها سنة 625هـ وقامت بين أخلافه خصومات انقسمت بسببها الدولة سنة 681هـ إلى دولتين: دولة في تونس ودولة في (بجاية) بالمغرب الأوسط، وامتدت إلى أن استولى عليها العثمانيون سنة 941هـ.



(د) الدولة الإسلامية في الأندلس:

31- دولة الأمويين في الأندلس (92- 897هـ / 713- 1452م) :

اجتاز المسلمون البحر من المغرب الأقصى إلى الأندلس عام 92هـ بقيادة طارق بن زياد وموسى بن نصير وخضعت مع ما فتح من بلاد شمال إفريقية إلى دولة بني أمية بدمشق.

1- عبد الرحمن الداخل (138- 172هـ) :

ولما انقضى عهد الأمويين بقتل مروان الثاني آخر ملوكهم ، تمكن عبد الرحمن بن معاوية بن هشام بن عبد الملك بن مروان أن يفلت من قبضتهم وأن ينجو من القتل، وتوجه متخفيا إلى المغرب لاجئا إلى قبيلة (نفزة) وفيها أخواله. فلما اطمأن إلى نفسه، أخذ يكاتب من ظل من أهل الأندلس على ولائه لبني أمية، فجاءه تأييدهم لقدومه.

وفي شهر ذي الحجة من عام 138هـ اجتاز عبد الرحمن البحر، ومعه جمع من العرب والبربر، ونزل الأندلس، وانضم إليه من كان يرقب قدومه، وتوجه إلى قرطبة فدخلها بعد أن قضى على أميرها يوسف بن عبد الرحمن الفهري، المعتمد من قبل الخليفة العباسي أبي جعفر المنصور، ومن ثم دعي عبد الرحمن بلقب (الداخل).

تمكن عبد الرحمن من القضاء على الثورات التي أثارها المؤيدون لبني العباس، وفيهم الطامعون بالاستقلال بما في أيديهم من أقاليم ومدن، ومنهم من استنصر بشارلمان، ملك الفرنجة، فجاء بجيوشه سنة (161هـ - 771 م)، ولكنه لم يلبث أن عاد بعد أن فشل في حملته. ولم يصرف عبد الرحمن انشغاله بقمع تلك الثورات التي توالت طيلة حكمه عن الإدارة والعمران ، فقد أنشأ جامع قرطبة الذي أصبح جامعة اجتذبت إليها مشاهير علماء المشرق .

2 – هشام بن عبد الرحمن الداخل (172- 180 هـ) :

توفي عبد الرحمن سنة 172هـ فخلفه ابنه هشام الأول بعهد من أبيه ، فثار عليه أخواه سليمان وعبد الله، ينازعانه الإمارة ، وامتدت ثورتهما إلى عهد ابنه الحكم الأول. وقد تمكن هشام من صد هجمات ملوك الفرنجة واستولى على بعض قلاعهم وحصونهم، وأضاف إلى جامع قرطبة المئذنة، وجدد بناء القنطرة على نهر قرطبة المعروف باسم (الوادي الكبير)، وكان السمح بن مالك أمير الأندلس قد بناها سنة 100هـ.

3 – الحكم بن هشام (180- 206 هـ) :

توفي هشام الأول سنة 180هـ وخلفه ابنه الحكم الأول بعهد من أبيه فقمع ثورة عميه سليمان وعبد الله بقتل الأول واستسلام الثاني، وقضى على ما نشب من فتن، وغزا بلاد الفرنجة وصد عدوانهم على الثغور.

4 –عبد الرحمن (الثاني) بن الحكم (206- 238هـ) :

توفي الحكم الأول سنة 206هـ فخلفه ابنه عبد الرحمن الثاني بعهد من أبيه. في عهده ثارت فتنة بين اليمنية و المضرية على منطقة (تدمير)، فقمعها الحكم وأمر بهدم (تدمير) وأقام مكانها مرسى للسفن، فسميت (مرسية)، وأخمد عصيان أهل طليطلة وتابع غزو الممالك النصرانية.

5 – محمد (الأول) بن عبد الرحمن (238-273 هـ) :

توفي عبد الرحمن الثاني سنة 238هـ فخلفه ابنه محمد الأول بعهد من أبيه. في عهده ثار المولدون بزعامة عمر بن حفصون، وثار عليه أهل طليطلة وتحالفوا مع ملك (جليقة). وأثار الراهب (ايلوخيو) فتنة انتهت بقتله . ونشبت بين محمد وبين ملوك النصارى حروب انتهت بغلبته عليهم والاستيلاء على كثير من قلاعهم وحصونهم. في عهده هاجم (النورمان - الفايكونج) السواحل الأندلسية وتولى قائد البحرية الأندلسية (خشخاش بن سعيد) طردهم.

6 – المنذر بن محمد (273-275 هـ) :

توفي محمد الأول سنة 273هـ وخلفه ابنه المنذر الأول، ولم يطل حكمه سوى سنتين.

7 – عبد الله بن محمد (275- 300هـ) :

توفي المنذر سنة 275هـ وخلفه أخوه عبد الله بن محمد. ثار عليه أمراء أشبيلية وتتابعت في عهده ثورات المولدين وطال حكمه خمسا وعشرين سنة.

8 – خليفة الأندلس عبد الرحمن الناصر (300-350):

توفي عبد الله بن محمد فخلفه حفيده عبد الرحمن (الثالث)، وتلقب بلقب الخلافة، حين انهارت سلطة الخليفة في بغداد وهو أول من تلقب بلقب الخلافة في دولة الأمويين بالأندلس، وكان أسلافه يتلقبون بلقب (الإمارة). امتد حكمه خمسون سنة أمضاها في قمع الثورات وفي حروبه مع الفرنجة. وقد بلغت الدولة الأموية في عهده منتهى رفعتها في القوة والعلم والعمران. ففي القوة كان لها السيطرة الكاملة على بلاد الثغور المتاخمة لبلاد العدو، وفي العلم أصبحت قرطبة محجة العلماء، وكثر قصادها من أعلام المشرق، ونفست بهم على بغداد. وفي العمران بني عبد الرحمن مدينة الزهراء وصب فيها عبقرية العرب في الهندسة والبناء والزخرفة العجيبة، فجاءت أعجوبة الزمان وآية من آيات الفن الرفيع. وقد أضاف إلى لقب الخلافة لقب (الناصر لدين الله)، فكان يعرف به.

9 – المستنصر بالله الحكم بن عبد الرحمن الناصر (350- 366هـ) :

توفي عبد الرحمن الناصر سنة 350هـ فخلفه ابنه الحكم (الثاني) بعهد من أبيه وتلقب بلقب (المستنصر بالله)، وقد سار سيرة أبيه، فحارب ملوك (قشتالة) و (ليون) و (نافار) وقهرهم وصد هجماتهم. في عهده أغار (النورمان - الفايكونج) على السواحل الأندلسية للمرة الثانية فصدهم.

ازدحم العلماء على بابه، وغصت بهم مجالسه، وترجمت إلى العربية كتب كانت تهدى إليه من أباطرة الروم، وقد أنشأ مكتبة حوت أربعمائة ألف مجلد، ولم يكن من أهل الأندلس في عهده من لا يعرف القراءة والكتابة، بينما كان الجهل يسود أوروبا، ولم يكن فيها من يعرف الكتابة والقراءة إلا القليل.

10 – هشام بن الحكم (366هـ) :

- توفي الحكم (الثاني) المستنصر بالله سنة 366هـ وخلفه ابنه هشام (الثاني) بعهد من أبيه وتلقب بلقب (المؤيد بالله)، ولم يكن قد تجاوز الحادية عشرة من عمره. وكان العهد إليه بإصرار أمه (صبح) البشكنسية عن زوجها الحكم وبتأييد حاجب القصر محمد بن أبي عامر. وقد استطاع هذا الحاجب أن ينتزع السلطة من الخليفة القاصر وأن يستقل بها وأن يقيم الدولة العامرية بزعامته.

- **الدولة العامرية :**

11 - قضى ابن أبي عامر على نفوذ (صبح) أم الخليفة ، كما قضى على نفوذ الوزير عثمان المصحفي وحجب الخليفة عن الناس، وألزمه الإقامة في القصر وأعد له ما يلهي طفلا في مثل سنة ويصرفه عن التفكير في غير ما أريد له وفرض عليه. خاض ابن أبي عامر حروبا بلغت - كما يقول المؤرخون - خمسين وقعة، كتب له النصر في أكثرها، ومن أجل ذلك تلقب بالمنصور، ومات متأثرا بجراح أصابته في آخر حروبه . وأمر أن يوسد في القبر على لِبِنَتَيْنِ صنعهما مما جمع على وجهه من غبار جهاد النصارى .

ثم تحالف ملوك الفرنجة لقتال المسلمين بعد وفاة ابن أبي عامر وقيام دول الطوائف، وذلك بإثارة الضغائن بين ملوك تلك الدول واستنجادهم بملوك وأمراء الفرنجة، الذين كانوا يفرضون على من أعانوه مبالغ كبيرة، كثيرا ما كان يعجز عن أدائها، وينتهي الأمر بالاستيلاء على مملكته وطرده منها.

12 - توفي ابن أبي عامر (المنصور) بعد سبع وعشرين عاما من تغلبه على الحكم، فخلفه في الحجابة ابنه عبد الملك، وتلقب بلقب (المظفر بالله)، وسار في تدبير الملك سيرة أبيه. وظل الخليفة هشام محجوبا عن الناس وقد بلغ من العمر سبعا وثلاثين عاما.

13 - توفي عبد الملك سنة 399هـ فخلفه في الحجابة أخوه عبد الرحمن الملقب بلقب (شنجول) فأخرج هشاما من معتقله وأكرهه أن يوليه الخلافة من بعده، فكتب له بذلك عهدا. ولما علم أهل قرطبة بالأمر ثاروا على عبد الرحمن واجتمعوا على أموي يدعى محمد بن هشام من

أحفاد عبد الرحمن الناصر وبايعوه وتلقب بمحمد المهدي وتمكن من قتل (شنجول) وبه انتهت دولة بني عامر.

عودة الخلافة إلى بني أمية (محمد المهدي وسليمان المستعين) :

14 - حجز محمد المهدي هشاما المؤيد وادعى أنه مات وأعلن للناس وفاته وأخرج لهم جثة شخص شبيه به وصلى عليها ودفنها باحتفال . ولم يلبث أن ثار على محمد المهدي ابن عم له يدعى سليمان بن الحكم ابن سليمان بن عبد الرحمن الناصر ونازعه الخلافة، والتف حوله البربر. وقد استعان كل منهما بملك من ملوك الفرنجة، وفي الحرب تمت الغلبة لسليمان بن الحكم وقتل محمد (المهدي) ودخل سليمان إلى قرطبة وكان ذلك سنة (400 - 402هـ) وأحضر هشاما (المؤيد) وكان حيا، فتنازل لسليمان عن الخلافة وبايعه وتلقب بلقب (المستعين بالله) .

واختفى بعد ذلك المؤيد وقيل أن المستعين قتله. وقد أقطع المستعين زعماء البربر الذين نصروه إقطاعات في جنوب الأندلس وشرقه، فأعلن بقية الولاة استقلالهم وانفصالهم عن قرطبة وبذلك انفرط عقد الدولة الأموية، وقامت على أنقاضها دويلات مستقلة لطوائف من العرب والبربر و الصقالبة، يحكم كل طائفة منها حكام سلكوا مسلك الملوك وعرفوا بملوك الطوائف وفقدت قرطبة مكانتها كعاصمة واستوت مع دول الطوائف، وتعاقب عليها حكام من أصول عربية منهم أدارسة من بني حمود ومنهم من بني جهور ومنهم بقايا من بني أمية.

قيام دولة بني حمود في قرطبة :

(علي بن حمود الإدريسي والقاسم بن حمود ويحيى بن علي بن حمود) :

15 - ساءت سيرة المستعين بالله فثار أهل قرطبة عليه واستنجدوا بالأمير علي بن حمود الإدريسي الهاشمي، أمير (سبتة)، فاستجاب لهم وتوجه سنة 407هـ مع جيش من البربر، فدخل قرطبة وقتل المستعين ولقب نفسه (المتوكل على الله الناصر لدين الله)، وكان شديدا على مماليكه فاغتالوه سنة 408هـ فخلفه أخوه القاسم ابن حمود، وتلقب بلقب (المأمون).

وفي سنة 413هـ ثار عليه البربر وخلعوه وولوا ابن أخيه يحيى بن علي الإدريسي وتلقب بلقب (المعتلي بالله). ولم يلبث أن خلعه البربر وأعادوا عمه القاسم بن حمود فبايعوه وتلقب بلقب (أمير المؤمنين) ثم إنهم خلعوا القاسم وأعادوا ابن أخيه يحيى للمرة الثانية.

- **عودة الحكم إلى بني أمية:**

(المستظهر، المستكفي، المعتد)

16 - خلع أهل قرطبة يحيى بن علي وبويع أموي يدعى عبد الرحمن (الخامس) ابن هشام بن عبد الجبار بن عبد الرحمن الناصر خليفة وتلقب بلقب (المستظهر بالله)، ولم يلبث سوى شهر

ونصف من عام 413هـ حتى خلع وبويع أموي يدعى محمد (الثالث) ابن عبد الرحمن بن عبيد الله بن عبد الرحمن الناصر وتلقب بلقب (المستكفي بالله)، وبعد أربع سنوات من ولايته خلع وبويع أموي آخر يدعى هشاما (الثالث) ابن محمد بن عبد الملك بن عبد الرحمن الناصر وتلقب بلقب (المعتد بالله) وقد ضاق أهل قرطبة بسوء تصرفه فخلعوه وأخرجوه من قرطبة سنة 422هـ وبه انقرضت دولة بني أمية في الأندلس.

قيام دولة بني جهور في قرطبة:

بعد خلع المعتد بالله ولى أهل قرطبة عليهم الوزير أبا الحزم بن جهور، فقام بتدبير الأمور إلى أن مات سنة 435هـ وخلفه ابنه أبو الوليد محمد بن جهور، وما زال على قرطبة حتى خلعه أهلها سنة 462هـ فأعقبه ابنه عبد الملك، فأساء السيرة فأخرجوه عنها.

ضم قرطبة إلى أشبيلية:

بعد خلع عبد الملك بن جهور سنة 468هـ زحف المعتمد بن عباد أمير أشبيلية على قرطبة فملكها وزالت دولة بني جهور ومعها دولة قرطبة.

- **دولة المرابطين في الأندلس :**

في عام 477هـ استولى ألفونسو السادس ملك (ليون) على طليطلة واستخلصها من بني ذي النون وعقد حلفا مع ملوك الأقاليم المسيحية للاستيلاء على أشبيلية، فاستنجد أميرها المعتمد بن عباد بيوسف بن تاشفين ، أمير دولة المرابطين في المغرب الأقصىـ فأنجده وقدم إلى الأندلس على رأس جيش من البربر وقاتل ألفونسو ومحالفيه في معركة شهيرة جرت في موقع يعرف بالزلاقة، بالقرب من بطليوس وذلك في 12 رجب سنة 479هـ وانتهت بنصر المرابطين وسحق الجيش الأسباني في موقعة مشهودة من أيام الإسلام .

وبعد هذه الموقعة أخذ المرابطون يستولون على دول الطوائف واحدة بعد أخرى وينفون ملوكها إلى المغرب الأقصى وأقاموا في الأندلس دولة للمرابطين عاصمتها قرطبة. وقد دامت دولتهم حتى قضى عليها الموحدون بزعامة عبد الله بن تومرت.

دولة الموحدين في الأندلس

اضمحلت دول المرابطين في الأندلس بعد وفاة يوسف بن تاشفين وقد أطمع اضمحلالها ملوك النصارى، فتحالفوا للقضاء عليها، فسارع الموحدون إلى صدهم ودخلت جيوشهم الأندلس سنة 543هـ والتحموا مع الأسبان في معركة ضارية عرفت بمعركة (الأرك) وانتصروا عليهم نصرا مبينا.

وقد أخذ الأسبان بعدها يعدون العدة لمعركة أخرى، جمعوا لها قواهم وحشدوا جيوشهم، والتقوا مع جيش الموحدين سنة 609هـ في معركة عرفت بمعركة (العقاب) وكانت معركة فاصلة تم فيها النصر للأسبان.

نهاية دولة الموحدين في الأندلس :

بعد معركة العقاب بدأ مصير الأندلس يهتز، وأخذت قواعد الأندلس تسقط في يد الأسـبان ولم تأت سنة 644هـ حتى سقطت دولة قرطبة و بلنسية ودانية و مرسية في أيديهم. أمـا غرناطـة فقـد ثبتت خلف حصونها. ثم انهارت مقاومتها وسقطت بيد الأسبان سنة 897هــ (1492 م) وبسـقوطها انتهى حكم المسلمين في أسبانيا ودالت دولتهم بعد حكم دام ثمانمائة عام.







تاريخ سقوط أهم المدن الأندلسية :

130 هـ / 748 م: بمبلونة	Pmpalone
374 هـ / 985 م: برشلونة	Barcelona
387 هـ / 997 م: سانتياغو	Santiago
392 هـ / 1002 م: ليون	Leon
446 هـ / 1055 م: سلمنقة	Salamanca
456 هـ / 1064 م: قلمربة	Colambra
457 هـ / 1065 م: بربشتر	Barbastro
476 هـ / 1084 م: مجريط	Madrid
477 هـ / 1085 م: طليطلة	Toledo
489 هـ / 1096 م: وشقة	Huesca
507 هـ / 1114 م: تطيلة	Tudela
512 هـ / 1119 م: سرقسطة	Zaragoza
543 هـ / 1177 م: قونقة	Cuonca

585 هـ / 1179 م: شلب	Silves
619 هـ / 1222 م: ماردة	Merida
627 هـ / 1229 م: بطليوس	Badajos
628 هـ / 1230 م: ميورقة (من جزر الباليار)	Mallorca
632 هـ / 1235 م: يابسة	Ibza
633 هـ / 1236 م: قرطبة	Cordoba
633 هـ / 1236 م: طلبيرة	Tolavera
636 هـ / 1238 م: دانية	Denia
640 هـ / 1242 م: قرطاجنة	Cartagena
641 هـ / 1243 م: دانية	Denia
641 هـ / 1443 م: مرسية	Murcia
644 هـ / 1246 م: جيان	Jaen
645 هـ / 1247 م: لشبونة	Lisbaana
645 هـ / 1247 م: شاطبة	Jativa
646 / 1248 م: إشبيلية	Sevilla
647 هـ / 1249 م: لاردة	Lerida
661 هـ / 1262 م: ولبة	Huelva
661 هـ / 1262 م: لبلة	Nibela
661 هـ / 1262 م: قادس	Cadis
686 هـ / 1287 م: منورقة (بقية جزر الباليار)	Menorca
702 هـ / 1310 م: جبل طارق	Giraltar
818 هـ / 1415 م: سبتة	Ceuta
890 هـ / 1485 م: رندة	Ronda
893 هـ / 1487 م: مالقة	Malaga
894 هـ / 1488 م: وادي آش	Cudix
894 هـ / 1488 م: المرية	Almeria
898 هـ / 1492 م: غرناطة	Granada

أعمار الدول الإسلامية

قال تعالى :

﴿ وَتِلْكَ الْأَيَّامُ نُدَاوِلُهَا بَيْنَ النَّاسِ وَلِيَعْلَمَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَيَتَّخِذَ مِنْكُمْ شُهَدَاءَ وَاللَّهُ لا يُحِبُّ الظَّالِمِينَ ﴾ (آل عمران .140)

وعن حذيفة رضي الله عنه : أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: **(تكون النبوة فيكم ما شاء الله أن تكون ثم يرفعها الله إذا شاء أن يرفعها. ثم تكون خلافة على منهج النبوة ، فتكون ما شاء الله أن تكون، ثم يرفعها الله إذا شاء أن يرفعها. ثم تكون ملكا عاضا فتكون ما شاء الله أن تكون ثم يرفعها الله إذا شاء أن يرفعها . ثم تكون ملكا جبريا فتكون ما شاء الله أن تكون ثم يرفعها إذا شاء أن يرفعها . ثم تكون خلافة على منهاج النبوة ثم سكت .)** رواه مسلم.

وفي رواية لابن حماد : من حديث أنس رضي الله عنه قال : **(إنها ثم ثم.. ملك عضوض.. ثم جبرية، ثم طواغيت !!).**

وفي رواية عن شهر بن عطية عن أنس بن مالك قال : **(إنها ستكون ملوك ثم جبابرة ثم الطواغيت).**

الدولة النبوية :..............................1- 11هـ ....(11 عاما

دولة الخلفاء الراشدين :..................11-41هـ ....(30 عاما

دولة الخلافة الأموية :.......................42- 132هـ...(90عاما

دولة الخلافة العباسية :....................132- 656هـ.......................................(524 عاما).

<u>أعمار الدول الإسلامية المستقلة .. بحسب تسلسل تاريخ قيامها :</u>

1- دولة بني أمية في الأندلس مع دول الطوائف: .... 138– 897هـ...............
2- الدولة المدارية - المغرب الأقصى : .... 140- 297 هـ.............
3- الدولة الرستمية – تاهرت/ الجزائر: .... 162 – 296 هـ.............
4- دولة الأدارسة – المغرب الأقصى - : .... 172 – 375 هـ.............
5- الدولة الإباضية – عُمان- :.. 176-792 هـ.............
6- الدولة الأغلبية – تونس- : .... 184 – 296 هـ.............
7- الدولة الصفارية – سجستان /إيران - : .... 254- 298 هـ.............
8- الدولة الطولونية – مصر والشام - : .... 256- 298 هـ.............
9- الدولة السامانية- ما وراء النهر و طبرستان - : .... 261- 389هـ.............
10- الدولة الحمدانية – الموصل والشام - :... 292- 392 هـ.............
11- الدولة القرامطة – الخليج العربي - :.. 296- 398هـ.............
12- الدولة الفاطمية- مصر والشام - :... 298 – 567 هـ.............
13- الدولة الإخشيدية – مصر - :.. 323 – 358 هـ.............
14- دولة بني بويه – بلاد فارس - :... 334 - 447 هـ ....
15- الدولة الغزنوية – أفغانستان والهند - :.. 366- 555هـ.............
16- دولة بني نجاح – زبيد / اليمن - :.. 421- 554هـ.............
17- دولة السلاجقة – بلاد الري في المشرق- : .... 429 – 583 هـ.............
- دولة السلاجقة في الشام :.. 470 - 508 هـ ....
- دولة السلاجقة في الأناضول :.. 470 - 707 هـ ....
18- الغورية – أفغانستان والهند - :.. 439-612هـ.............
19- الصليحية- صنعاء/ اليمن - : .... 450-647هـ.............
20- دولة المرابطين – المغرب الأقصى - :... 448 – 540 هـ.............
21- الدولة الخوارزمية – ما وراء النهر/خوارزم.................................. 470 –617 هـ ....
22- الدولة الأرتقية (في آمد وماردين) :.. 500 – 809 هـ.............
23- الدولة الأتابكية (في الموصل) :.. 516 - 660 هـ ....
- الدولة الأتابكية (في الشام) :.. 541 - 579 هـ ....
24- دولة الموحدين – المغرب الأقصى/ بفاس- : .... 515 - 668 هـ ....

أسباب انهيار الخلافة الإسلامية :

يعود انهيار الخلافة الإسلامية إلى عدة أسباب . لعل من أهمها:

أولاً – تحول نظام الخلافة إلى النظام الملكي الوراثي :

لما انتقلت الخلافة إلى بني أمية بدلوا نظام الشورى بنظام الإرث في الأسرة .وبدات مرحلة الملك العضوض . فقد عهد معاوية بالخلافة من بعده لابنه يزيد وانتزع البيعة له بالمال لمن يخضع للمال، وبالقوة لمن يخضع بالقوة، ثم انتقلت الخلافة ، إلى بني مروان ابن الحكم من بني أمية . ثم اتسع بعد ذلك نطاق الخلفية، فأصبح الخليفة يعهد إلى ابنين أو أكثر من أبنائه يتوارثونها واحدا بعد آخر بالترتيب الذي يقرره، كما فعل عبد الملك بن مروان بن الحكم فقد عهد بالخلافة من بعده إلى أبنائه : الوليد ثم سليمان ثم يزيد ثم هشام. وقد توسط عمر بن عبد العزيز بين سليمان ويزيد بعهد من سليمان.

واستقر نظام الخلافة في الدولة الإسلامية بعد ذلك على نظام الإرث وأصبحت البيعة رسما شكليا يقبل عليها الناس، يتقدمهم الأمراء والكبراء والعلماء، وتؤخذ عليهم الأيمان المغلظة مع الحلف بالطلاق و العتاق لكي لا يتحللون منها. وفي العصر العباسي الثاني لم يعد أحد يبالي بالبيعة بعد أن أصبح مصير الخلافة بيد المتغلبين من القادة الأعاجم من فرس وترك . وقد ترتب على وراثة الخلافة مفسدتان أساسيتان وهما :

الصراع من أجل الملك . وظاهرة الاستبداد والظلم.

1 - الصراع من أجل الملك:

وقد امتلأت كتب التاريخ المختلفة بصور كثيرة من صراعات الأسر المتعددة على الملك ، ومن صراعات القصور داخل الأسرة الواحدة على ولاية العهد ..

وقد وقف الفقهاء من نظام الإرث في الخلافة موقف المسلم بالأمر الواقع ، من باب سد باب مزيد من الفتن ، فأجازوا للخليفة أن يعهد بالخلافة إلى ابنه أو إلى ابن أخيه، ثم أجازوا أن يعهد بالخلافة لعدد من أبنائه يتوارثونها على الترتيب الذي يقرره، كذلك قبلوا خلافة من ينال الخلافة بالغصب والسيف ، حتى لو كان فاجرا، لكيلا يبيت المسلمون بلا خليفة. وبذلك يدخل في باب الإجازة جميع الخلفاء والملوك والأمراء الذين شملتهم قاعدة الإرث ،أو التغلب . البر منهم والفاجر.

2 - ظاهرة الاستبداد والظلم :

لما انتقل نظام الخلافة من قاعدة الشورى إلى نظام الإرث، وأصبحت البيعة رسما شكليا، تؤخذ بالرغبة أو الرهبة .

صار سلطان الملوك مطلقا لا رقيب عليه، يتصرف على هواه. وقد نشأ عن ذلك انحراف عن خطة الإسلام وتعطيل لجدوى فريضة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

فلم يعد الأمر كما جاء في خطاب أبي بكر حين تولى الخلافة فقال: " أيها الناس، إني قد وليت عليكم ولست بخيركم، فإن رأيتموني على حق فأعينوني، وإن رأيتموني على باطل فسددوني. أطيعوني ما أطعت الله فيكم، فإن عصيته فلا طاعة لي عليكم. ألا إن أقواكم عندي الضعيف حتى أخذ الحق له، وأضعفكم عند القوي حتى آخذ الحق منه "

وقد ترتب على ممارسة الخليفة سلطانه المطلق نشوب هذا العدد الكبير من الثورات، وهكذا أدت ظاهرة الإحتجاج على الظلم والاستبداد، إلى إنهاك موارد الدولة وأضعفت قوتها.

وقد وقف الفقهاء أمام مشاهد الاستبداد والظلم فريقين: فريق أراد الدنيا فدخل في دنيا الخلفاء ونال حظه منها، ومنهم من زين أفعالهم فازداد منهم قربا. وفريق أراد الآخرة وسعى لها فتنكب عنهم وصمت على مضض ، وأبى أن ينال عملا من ولاية أو قضاء، لكيلا يعمل في ظل حكم جائر فيسأل عنه ، ويعتبر عمله عنده شهادة حسن سلوك من العالم للحاكم أمام الرعية . وهي من أسوأ شهادات الزور العملية . ومن هؤلاء الإمام أبو حنيفة والإمام أحمد وسفيان الثوري وعبد الله بن إدريس وعبد الله بن وهب و وكيع بن الجراح وطاووس و الأوزاعي ، ومحمد بن أسلم الطوسي ، وسعيد بن المسيب ، وسعيد بن جبير، ... كثيرون غيرهم ، في حين أخذ البعض بعزيمة الأمر والنهي العملي ، فخرج يقارع الطغيان كما حصل من الإمام الحسين رضي الله عنه ، وكما حصل من القراء الذين خرجوا على الحجاج ، وكما حصل من أحمد بن نصر الخزاعي في عهد الواثق العباسي...، ولما لم تؤدي كل تلك المحاولات إلى إزالة الظلم لأسباب يطول شرحها. وصار قصارى موقف الصالحين اعتزال القصور وحكامها ، والصدع بالحق ، أو الاعتزال عنهم إيثارا لسلامة الدين .

ويلحق بهذا الفريق من تزهد وتصوف وأعرض عن الدنيا واعتزل أهلها وانصرف إلى عبادة الله والتأمل في ملكوته، فصفت نفسه ورقت وأمتعته بلذة روحانية لا تعدلها لذة الحياة المادية. وبهذا الفريق بدأ عهد التصوف كظاهرة رفض للحياة المترفة واحتجاجا على شيوع الظلم والاستبداد.

وقد اشتدت ظاهرة الظلم في العصر العباسي الثاني وتضاعفت مع مضاعفة السلطة بين الخلفاء والمتغلبين. فقد أضيفت إلى وسائل القتل و السمل والنفخ و الفصد وقطع الأعضاء والحبس في المطامير والتوسيط، والموت عطشا وجوعا والطرح تحت أقدام الفيلة والإلقاء في حظيرة السباع. فكان الخليفة أو القائد المتغلب يختار لمن يقتله الميتة بإحدى هذه الوسائل .

وقد ازدادت ظاهرة الظلم ضراوة عندما انتقل الحكم من الملك العضوض ، كما كان حال بني أمية وبني العباس ، إلى مرحلة الملك الجبري ، كما كان حال معظم حكام التغلب وأمراء وملوك الدول المستقلة المتصارعة على الملك والسلطان .. يكاد لا يستثنى من ذلك إلا ومضات مضيئة قليلة

لملوك وأمراء صالحين، مروا في سماء تاريخ أكثر الملوك والسلاطين ، كشهب لامعة في سماء الظلم والظلمات .

وقد أدى اشتداد ظاهرة الظلم منذ العصر العباسي الثاني إلى نشاط التصوف والتفاف العامة حول المتصوفة، يجدون العزاء عندهم والاطمئنان، ويلتمسون في جوارهم الصبر على احتمال الظلم وتعزية النفس بوعيد الله الانتقام لهم... بعد أن ازداد مع الأيام افتراق السلطان والقرآن كما أخبر رسول الله صلى الله عليه وسلم . حتى ما إذا دخلنا تاريخنا الحديث ، وجاء عصر الطواغيت الذي أخبر عنه سيدنا المصطفى صلى الله عليه وسلم ، منذ أواخر الدولة العثمانية ثم حكومات الإستعمار ، ثم حكومات ما أسمي (الإستقلال)، وصلنا إلى مرحلة تواجه السلطان مع القرآن ، وليس مجرد افتراق السلطان والقرآن .كما سيمر بعض شواهد ذلك في فصول الكتاب اللاحقة إن شاء الله تعالى ويسر . ولله الأمر من قبل ومن بعد .

ثانياً - الزواج من الإماء وتدخلهن في شؤون الحكم وولاية العهد :

كانت زوجات وأمهات الخلفاء في عهد الخلفاء الراشدين من شريفات النساء ومن أعراق عربية . كذلك كان خلفاء العهد الأموي.

ولم يشذ عن القاعدة سوى اثنين من خلفاء بني أمية هما: يزيد بن الوليد بن عبد الملك و مروان بن محمد بن الحكم، آخر خلفاء بني أمية، فأم يزيد فارسية تدعى (شاه فرند) وهي بنت فيروز بن يزدجرد بن كسرى، آخر ملوك الفرس . وأم مروان بربرية من قبيلة (نفزة) بالمغرب الأقصى .

أما زوجات وأمهات خلفاء بني العباس فجميعهن من الجواري المحررات، من فارسية ورومية وتركية و أرمنية وبربرية، باستثناء ثلاثة منهم وهم: أبو العباس السفاح والمهدي والأمين. كذلك كانت زوجات وأمهات أمراء وخلفاء بني أمية في الأندلس، فقد كن من نساء النصارى المستبيات أو المهداة إلى الأمراء والخلفاء وفيهن من بنات ملوك وأمراء النصارى الأسبان .

ومن أشهر النساء في دولة بني العباس، الخيزران زوجة المهدي وأم ولديه موسى (الهادي) وهارون (الرشيد)، وصبيحة (القبيحة) زوجة المتوكل وأم ولده المعتز، و(شغب) زوجة المعتضد وأم ولده المقتدر. ومن أشهر النساء في دولة الأندلس (طروب) زوجة الأمير الأموي عبد الرحمن الثاني وأم ابنه عبد الله. و(صبح) زوجة الخليفة الأموي الحكم المستنصر الأندلسي وأم ولده هشام (المؤيد).

وقد جرى على هذه السنة الوزراء والحجاب وملوك الطوائف، فقد تزوج المنصور بن أبي عامر ابنة (سانشو الثاني) ملك (نافار) ثم تزوج ابنة (برمود الثاني) ملك (ليون)، وكان زواجه منهما لغرض

سياسي أريد منه التقوي بمن صاهروه على أعدائه من ملوك آخرين أو على أمراء من المسلمين كانوا قد خرجوا عليه. وتزوج المعتمد بن عباد أمير إشبيلية جارية من جواري نخاس يدعى (ابن رميك) ، فعرفت بالرميكية . كذلك كان شأن الخلفاء الفاطميين.

وقد كان لكثير من هؤلاء الجواري الأمهات دورا في سياسة الدولة أدى إلى صراع من أجل الخلافة وانشقاق بين الأخوة وأبناء العمومة، وكان ذلك من أسباب ضعف الدولة وانهيارها.

من ذلك ما كان للخيزران، زوجة المهدي، من شأن في عهد زوجها، فكان الوزراء والكبراء يقفون على بابها لحاجاتهم. ولما تولى ابنها موسى (الهادي) الخلافة أراد الحط من شأنها ومنعها من التدخل في شئون الدولة فعملت على قتله كما قيل.

وهذه (قبيحة) زوجة المتوكل أغرت زوجها بتقديم ابنها (المعتز) على أخيه المنتصر في ولاية العهد، فكانت سبب قتل زوجها المتوكل.

وأما (شغب) فقد كان لها مشاغباتها والكلمة العليا في قصر المعتضد وولي عهده المقتدر ، ويكفي للدلالة على ذلك ما زعموا من أن قهرمانتها تولت النظر في المظالم .

وأما (طروب) فقد حاولت مؤامرة لقتل زوجها عبد الرحمن بن الحكم لتدفع عن ابنها (عبد الله) منافسة أخيه (محمد) في خلافة أبيه، وقد اكتشف زوجها عبد الرحمن المؤامرة وتغابى عن فعل زوجته وظل محتفظا بإيثاره لها ودلها عليه لفرط حبه لها.

وهذه (صبح) زوجة الحكم المستنصر فقد فرضت ابنها (هشاما) لولاية العهد ولما يبلغ الحادية عشرة من عمره.

وهذه (الرميكية) زوجة ابن عباد تفتن زوجها بدلها وتصبيه بجمالها فينطلق في التغزل بها بشعر عذب رقيق، حتى فرش لها المسك والكافور معجونا بماء الورود فصنع لهل طينا لما اشتهت أن تعافس الطين كفلاحات رأتهن من نافذة القصر !! فصرفته عن أمور الدولة إلى لهو أغرى به ألفونسو السادس الملك الإسباني، فهم بالانقضاض عليه، لولا أن أنجده يوسف بن تاشفين زعيم المرابطين، فدفع عنه الأسبان ثم استولى على ملكه . ونفاه إلى المغرب الأقصى مع زوجته وأولاده ليقرض الشعر في سجن(أغماد) .

ولا ريب أن الأمهات الأجنبيات قد خلَّقن أبناءهن بأخلاقهن ورسخن فيهم تقاليدهن التي نشأن عليها ورفعن إلى سدة الحكم أبناء فيهم من لم يبلغ الحلم، وفيهم من عاش في نعيم القصور فغلب عليه اللهو والمجون، وتولى الحكم أعوان، من وزراء وقادة، فانقادوا لأطماعهم وأهوائهم وكانوا من أسباب انهيار الدولة. وصدق عمر رضي الله عنه .

فقد ورد في مصنف ابن أبي شيبة عن خرشة بن الحر قال : قال عمر:

(**تهلك العرب حين يبلغ أبناء بنات فارس**) . وكذلك جاء فيه عن عبد الله بن عمرو قال : (**لم يزل أمر بني إسرائيل معتدلا حتى نشأ فيهم أبناء سبايا الأمم فقالوا فيهم بالرأي فضلوا وأضلوا**) .

ثالثاً- تجنيد الموالي :

لما تولى المعتصم بن الرشيد الخلافة تحول الطابع العربي للجيش، وصار أكثر الجند من الأتراك، وكان يُأتي بهم من تركستان أطفالا، حيث يربون على الحرب والقتال. وعظم شأنهم في عهد الخليفة الواثق ومن بعده المتوكل، وارتقى فريق منهم إلى رتبة القادة.

ومن ذلك الوقت أضحى الإسلام في حالة دفاع عن الحدود التي وقفت عندها فتوح الخلفاء الراشدين ومن بعدهم بنو أمية. وقد تحول الجند الموالي إلى جنود مرتزقة، يعتصبون إذا ما تأخرت أرزاقهم ويهددون بالعصيان وقد رتبوا لأنفسهم حقوقا عند نصب الخليفة يعرف برسم البيعة.

رابعاً: حياة الترف و السرف :

أخذت الفتوحات تتوالى وتتسع حتى بلغت منتهاها في العصر الأموي، فانبسطت أسارير الدنيا على المسلمين. وفي العصر العباسي بلغ السرف غايته عند الخلفاء والأمراء والوزراء و سراة الناس، وتطاولت القصور، واتسعت الدور، تخطر في أبهائها جوار مثل الحور .. من كل جنس ولون.

وقد حفلت القصور بمجالس الطرب، يرتادها الشعراء ويتبارون بوصف ما يجري فيها من لهو وعبث، فينالون بما تجود به قرائحهم وتنطلق به لهواتهم، الجوائز على أقدارهم. وقد دونت أخبار تلك المجالس وما كان يجري فيها من إسراف باللهو والمجون وحتى الخمور في دواوين الشعراء وكتب الأدب والأخبار.

ومن مشاهد اللهو والعبث ومظاهر الترف و السرف ما روي عن ترف الخليفة المقتدر، فقد كان مبذرا مؤثرا للشهوات، وقد وزع جواهر الخلافة ونفائسها على حظاياه. ومن فنون لهوه أنه أراد في يوم أن يشرب على نرجس في بستان قصره، وكان وقت تسميد الزرع، فاستبدل السماد بالمسك، بمقدار ما احتاج إليه البستان من السماد وسمد به، وجلس يشرب يومه وليلته، واصطبح من غده ، فلما قام أمر بنهب المسك، فانتهبه الخدم والعاملون في البستان واقتلعوه من أصول النرجس، وخرج منه مال عظيم.

ومن مشاهد الترف و السرف ما كان ينفق في أعراس الخلفاء، ففي عرس الرشيد على زبيدة بنت جعفر بن المنصور، قدم الرشيد ما لم يقدم لامرأة قبلها من الجوهر والحلي والتيجان والأكاليل وقباب الفضة والذهب والطيب والكسوة، وقد بلغت نفقة هذا العرس من مال بيت المال - سوى ما أنفقه الرشيد - خمسون ألف ألف (مليون) درهم. وفي عرس المأمون على بوران بنت الحسن بن

سهل وزعت رقاع بأسماء ضياع وقصور وصلات، وجعلت الرقاع في بنادق المسك، ونثرت بين أيدي العروس، فكان الذي يلتقط شيئا يحبس عليه، وقد قدرت نفقة ذلك العرس بأربعين ألف ألف (مليون) درهم، عدا ما أنفقه والد العروس.

ومن مشاهد الترف و السرف ختان أبناء الخلفاء، فقد حفظ التاريخ لنا وصفا مسهبا لاحتفال الخليفة المتوكل بختان ولده المعتز، وقد بلغت نفقاته ستة وثمانين ألف ألف درهم، وقيل إن الناس كانوا يستكثرون ما أنفق في عرس المأمون ثم أتى ما أنفق في ختان ابن المتوكل ما أنسى ذلك.

ومثله ما أنفقه الخليفة الأندلسي عبد الرحمن الناصر في إعذار (ختان) حفدته بقصر الزهراء.

ومن مشاهد الترف و السرف النهم في الطعام وفي النكاح. فانتشرت المطاعم الشهية، وصارت تقدم في أوان من ذهب وفضة، ..

وقد أزاح سيف الجلاد ميزان العدل فأصمت الحق، وأضحى قوله مهلكة يطلبها من أراد الاستشهاد.

ولم تقتصر مجالس الخلفاء ومن سار سيرتهم من السلاطين على مشاهد الترف و السرف بل كانت تحفل باللهو والعبث، فكان الندماء يقومون بضروب اللهو الماجن، وربما تحلل الحضور من أبهة الملك لمزيد من العبث. وقد تأسى الوزراء والكبراء بسيرتهم و كانت تجري في مجالسهم مشاهد فيها أنوع من اللهو و الطرائف.

و من أسباب وعوامل تتابع انهيار الدول الإسلامية:

1- ارتقاء ملوك صغار سدة الملك :

. فقد ابتليت الأمة بما أخبر عنه رسول الله صلى الله عليه وسلم من (إمارة الصبيان) :

فعن أبي هريرة يقول : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : (تعوذوا بالله من سنة سبعين ، ومن إمارة الصبيان) .

فارتقى سدة الملك ملوك صغار منهم أطفال ومنهم أحداث مراهقون،وقد بدأ هذا منذ عهد بني أمية . وأما في المرحلة التي نحن بصددها فنذكر فيما يلي طرفا منهم:

**** في دولة بني العباس:**

أ- المقتدر خلف أخاه المكتفي سنة 295هـ وعمره ثلاث عشرة سنة.

ب- المقتدي خلف جده القاسم بأمر الله سنة 467هـ وعمره ستة عشر عاما.

جـ- المستظهر خلف أباه المقتدي سنة 487هـ وعمره سبعة عشر عاما.

**** وفي الدولة السلجوقية :**

أ- ملكشاه الثاني خلف أباه بركياروق وعمره أربع سنوات !!.

ب- محمود بن محمد بن ملكشاه الأول خلف أباه وعمره أربعة عشر عاما.

** **وفي الدولة الفاطمية :**

أ- الظاهر بن الحاكم بأمر الله خلف أباه سنة 411هـ وعمره ستة عشر عاما، وكان أبوه الحاكم قد خلف أباه العزيز سنة 365هـ وعمره أحد عشر عاما !.

ب- المستنصر خلف أباه الظاهر سنة 427هـ وعمره سبع سنين.

جـ- الآمر بأحكام الله خلف أباه المستعلي سنة 495هـ وعمره خمس سنين !!. وما أدري بأي أحكام سيأمر مثل هذا الرضيع ؟!

د- الظافر خلف أباه الحافظ سنة 544هـ وعمره سبعة عشر عاما.

هـ- الفائز خلف أباه الظافر سنة 549هـ وعمره خمس سنين !.

و- العاضد خلف جده الحافظ سنة 555هـ وعمره أحد عشر عاما.

** **و في الدولة الأتابكية :**

أ- عز الدين مسعود الثاني خلف أباه مودود بن عماد الدين زنكي سنة 572هـ وعمره عشر سنين !.

ب- نور الدين أرسلان خلف أباه عز الدين مسعود سنة 589هـ وعمره عشر سنين!.

ج- الصالح إسماعيل خلف أباه نور الدين محمود بن عماد الدين زنكي سنة 569هـ وعمره 11عاما!.

** **وفي الدولة الأيوبية :**

أ- المنصور محمد حفيد الناصر صلاح الدين الأيوبي خلف أباه العزيز عثمان سنة 595هـ وعمره عشر سنين !.

ب- الأشرف موسى حفيد الملك الكامل الأول خلف ابن عمه توران شاه ابن الملك الصالح نجم الدين أيوب سنة 648هـ وعمره ستة أعوام !!.

ج- الملك العزيز محمد خلف أباه الملك الظاهر غازي بن صلاح الدين الأيوبي سنة 612هـ وعمره ثلاث سنوات !!.

د- الناصر صلاح الدين (الثاني) يوسف بن العزيز محمد خلف أباه سنة 634هـ وعمره سبع سنين !.

** **وفي دولة المماليك** :

أ- الملك العادل سلامش خلف أباه الملك الظاهر بيبرس سنة 678هـ وعمره سبع سنين.

ب- الملك الناصر محمد ابن الملك المنصور قلاوون خلف أباه (في ولايته الأولى) سنة 693هـ وعمره تسع سنين . وفي ولايته الثانية أربعة عشر عاما.

جـ - الملك الأشرف كجك خلف أباه الناصر محمد بن قلاوون وعمره سبع سنين !.

د- الملك الصالح إسماعيل بن الناصر محمد بن قلاوون خلف أخاه شعبان وعمره سبعة عشر عاما.

هـ- الملك الناصر حسن خلف أخاه سيف الدين حاجي بن الناصر محمد بن قلاوون وعمره أحد عشر عاما.

** **و في الدولة الأموية بالأندلس** :

هشام الثاني المؤيد بن الحكم المستنصر خلف أباه سنة 366هـ وعمره عشر سنين.

** **وفي دولة المرابطين** :

إسحاق بن علي بن يوسف بن تاشفين خلف ابن أخيه إبراهيم بن تاشفين سنة 541هـ وعمره عشر سنين.

** **وفي دولة الموحدين** :

المستنصر أبو يعقوب بن محمد الناصر خلف أباه سنة 611هـ وعمره ستة عشر عاما.

ولم يكن ما مر من عددنا من أطفال وأحداث ومراهقين رقوا سدة الملك على سبيل الحصر، بل على سبيل المثال. فقد أتاح نظام الخلفية في دول الإسلام أن يخلف الابن أباه أو أخاه ولو لم تتوفر فيه أهلية الحكم، وهذا ما لا يأتلف مع شريعة الإسلام، لأن شروط الخلافة أن يقوم اختيار الخليفة على مبدأ الشورى وأن يكون راشدا سليم العقل ومن أهل العلم فضلا عن الشروط الأخرى .

وقد أدى نظام الخلفية في الملك وارتقاء الصغار سدة الحكم إلى تزاحم الوزراء والأمراء في الوصاية عليهم أو النيابة عنهم. لأن من يحظى بذلك تؤول إليه السلطة الفعلية في الحكم وفي التصرف بأموال الدولة كما يشاء فيغنى غناء فاحشا. وإذا وقع الاختيار على واحد منهم، أقيم الاحتفال بخلافة الخلف فيزين بزينة الملك ويكسى بكسوته، وقد يكون الخلف صغيرا فيحمله من انتصب وصيا عليه ويدخل به مكان الاحتفال، وقد يرتاع الصغير مما يشهد فيندفع بالبكاء، وقد يشتد روعه ويجري له أمر مفزعا، كما جرى للفائز الفاطمي - وكان في الخامسة من العمر - حين

حمله الوزير العباس بن أبي الفرج الصنهاجي ودخل به إلى مكان الاحتفال، فارتاع الصبي مما رأى وبال على كتف الوزير.. فأفاض من كرمه على معالي الوزير !!.

وإذا كان الخلف حدثا حجزوه بالقصر، بعد الاحتفال بخلافته، وحجبوه عن الناس وجمعوا له صبية في مثل عمره يلاعبونه. وإذا كان الخلف مراهقا ألهوه بالجواري وبكل ما يغري من كان في مثل سنه من أنواع المتع واللهو الماجن كما جرى للظافر بن الحافظ الفاطمي حين بويع خلفا لأبيه وهو في السابعة عشرة من العمر.

2- الصراع على الملك :

أدى انشطار العالم الإسلامي إلى دويلات كثيرة إلى نزاع بين ملوكها وصراع مرير أدى إلى انهيارها وزوالها، كما أدى تربع الصغار والأحداث سدة الملك إلى استئثار نوابهم (الأتابكة) بالسلطة وائتمار بعضهم ببعض لانتزاع هذه السلطة واستبدادهم بها.

أ- ففي دولة السلاجقة :

كان طغرلبك الأول، مؤسس دولة السلاجقة، قد عهد بالخلافة من بعده إلى ابن أخيه سليمان بن داود، فلما توفي طغرلبك سنة 455هـ انتزع ألب أرسلان بن داود السلطنة من أخيه سليمان، ثم ثار عليه ابن عمه قتلمش بن أرسلان بيغو فقاتله ألب أرسلان وقتله.

وخلف ملكشاه أباه ألب أرسلان بعد وفاته سنة 465هـ فخرج عليه سليمان بن قتلمش وتمكن من بسط نفوذه على قسم كبير من آسيا الصغرى (الأناضول) كما أوضحنا من قبل. وفي عام 466هـ ثار قاورت بن داود على ابن أخيه ملكشاه فلقيه ملكشاه بناحية همذان وأسره ثم قتله.

وفي عام 473هـ ثار (تتش بن ألب أرسلان) على ابن أخيه ملكشاه واستولى على بعض مدن خراسان فصالحه ملكشاه على أن يملك (تتش) بلاد الشام فملكها وأقام فيها دولة سلجوقية على نحو ما بينا من قبل.

وفي عام 486هـ توفي ملكشاه فخلفه ابنه بركياروق سلطانا أعظم على السلاجقة فطلب (تتش) السلطنة لنفسه وتوجه إلى (أصبهان) يقاتل بركياروق من أجلها وجرت بينهما معركة فاصلة سنة 488هـ قتل فيها (تتش).

ولم يكد بركياروق يفرغ من قتال عمه (تتش) حتى نازعه على السلطنة العظمى أخواه (سنجر) و (محمد) ابنا ملكشاه وجرت بينهما حروب أدت إلى وهن فيهم وضعف وانتهت باستيلاء دولة خوارزم على دولة السلاجقة في المشرق.

ب- و في الدولة الفاطمية :

بلغت الدولة الفاطمية أوج رفعتها وأقصى سعتها في عهد المعز لدين الله ثم أخذت في التردي والانهيار في عهد ابن حفيده المستنصر بن الظاهر بن الحاكم بأمر الله ويرجع هذا التردي إلى العوامل الآتية:

أ- صغر سن المستنصر. فقد بويع خلفا لأبيه الظاهر سنة 427هـ وله من العمر سبع سنين فتولت الجواري و الخصيان العناية به والإشراف عليه، وتركت أمور الدولة بين يدي والدته ووزيره أبي منصور صدقة بن يوسف الفلاحي.

وكانت أم المستنصر جارية سوداء ليهودي يدعى أبا سعد إبراهيم بن سهل التستري وكان الظاهر قد اشتراها منه و استولدها ابنه المستنصر.

ولما خلف المستنصر أباه وزر له أبو منصور صدقة الفلاحي، وكان يهوديا ثم ادعى أنه أسلم وارتفع شأن اليهود في زمان وزارته وأسندت إليهم مناصب الدولة، وولت أم المستنصر سيدها أبا سعد التستري اليهودي وظيفة المستشار لها وعهدت إليه بإدارة أملاكها، وأخذ اليهودي في اضطهاد المسلمين .

ب- أخذ الوزير الفلاحي والمستشار التستري يتنازعان السلطة، وقد استمال الفلاحي الجند الأتراك فقتلوا بأمره التستري ونقمت أم المستنصر على الفلاحي فشرعت في شراء العبيد السود فقتلوا الفلاحي، وثارت الفتنة بين الأتراك والعبيد ودعي القائد بدر الجمالي، أمير عكا فقدم إلى مصر سنة 455هـ وأخمد الفتنة.

جـ- توفي بدر الجمالي سنة 487هـ فخلفه في الوزارة وفي قيادة الجيش ابنه الأفضل أبو القاسم شاهنشاه، وكان المستنصر قد تزوج بأخت الأفضل و استولدها ولدا سماه أحمد وكان له من زوجة أخرى ولد اسمه نزار، وهو أكبر أولاده وقد عهد إليه بخلافته.

وتوفي المستنصر بعد وفاة بدر الجمالي بقليل وولى الأفضل ابن أخته أحمد الخلافة ولقبه المستعلي وقتل نزارا ، وقد أدى ذلك إلى شطر الفاطمية الإسماعيلية إلى شطرين: المستعلية و النزارية.

د- في أيام المستعلي اجتاحت الحملة الصليبية الأولى بلاد الشام سنة 492هـ واستولت على أنطاكية وعلى مدن الساحل، وكانت إمارات مستقلة. ثم استولت على مدينة القدس سنة 493هـ ولم تتمكن الحامية الفاطمية من الدفاع عنها فاجتاحها الصليبيون وحلت بها الكارثة الكبرى وأقامها الصليبيون عاصمة لمملكتهم فيها.

هـ- وفي عام 495هـ توفي المستعلي فخلفه ابنه علي وله من العمر خمس سنوات ولقبوه بلقب الآمر بأحكام الله وتولى الأفضل بن بدر الجمالي زمام الحكم واستبد به. ولما شب الآمر برم به

وعزم على قتله وتولى تنفيذ القتل رجل مقرب من الآمر يدعى أبا عبد الله البطائحي ، وكان الآمر قد مناه بالوزارة فقتله وخلفه في الوزارة سنة 515هـ وتلقب بالمأمون.

و- وكان للآمر أخ يدعى جعفرا، وكان يطمع بالملك فاتفق مع البطائحي على قتل أخيه الآمر، فأحس الآمر بالأمر فقتل البطائحي سنة 519هـ ثم لقي الآمر المصير نفسه إذ تربص به جماعة من الإسماعيلية النزارية (وهم خصوم الإسماعيلية المستعلية) وقتلوه وهو يجوز الجسر إلى جزيرة الروضة ثم يقبض عليهم ويقتلون.

وفي أيام الآمر استولى الصليبيون على طرابلس سنة 502هـ ثم استولوا على (عرقة وبانياس وبيروت وصيدا) وتسلموا مدينة صور سنة 518هـ وحاولوا غزو مصر.

ز- بعد مقتل الآمر خلفه عبد المجيد بن محمد بن المستنصر وتلقب بالحافظ، وولى الوزارة أحمد بن الأفضل بن بدر الجمالي، ولم يلبث أحمد أن اغتيل فولى الحافظ الوزارة ابنه الحسن وكان ولي عهده، فأساء السيرة وقتل كثيرا من الأمراء وصادر الأموال وتواعد على قتل من سلم من الأمراء فقتله أبوه الحافظ بالسم.

حـ- توفي الحافظ سنة 544هـ فخلفه ابنه إسماعيل وتلقب بالظافر وعمره سبعة عشر عاما وأقاموا له سليمان بن مصار وزيرا فأقام في الوزارة شهرين وخرج عليه أبو الحسن علي بن سلار والي الإسكندرية وانتزع منه الوزارة وتلقب بالعادل سيف الدين.

وفي عام 548هـ اغتاله ربيب له يدعى نصر بن العباس بن أبي الفتوح الصنهاجي فتولى أبوه العباس الوزارة وكان الظافر - فيما يقال - مولعا بابنه نصر، فأوعز إليه أبوه أن يقتله فقتله ورماه في بئر وفقد ولم يعلم بقتله أحد واتهم العباس الصنهاجي أخوي الظافر بقتله فقتلهما ودخل إلى القصر وأخرج عيسى بن الظافر، وعمره خمس سنوات، وحمله على كتفه ودخل به إلى مجلس فيه الأعيان والفقهاء فبايعوه ولقبوه بالفائز. ونظر الطفل إلى المشهد الحافل وسمع ضجيج الناس فارتاع وبال على كتف الوزير كما ذكرنا من قبل وتولى العباس الصنهاجي الوزارة وتلقب بالأفضل ركن الدين، وآلت إليه أمورها، فاستبد واستباح الأرواح والأموال، ولم يلبث أن ثار عليه الجند والناس واستنجدوا بأمير الصعيد، طلائع بن رزيك فقصد القاهرة وتمكن من القبض على العباس الصنهاجي وعلى ابنه نصر و قتلهما وولى شاور بن مجير السعدي خلفا له على إمارة الصعيد.

ط- تولى طلائع بن رزيك الوزارة خلفا للعباس الصنهاجي وتلقب بالملك الصالح واستقل بأمور الدولة وأخذ يبيع الولايات للأمراء ويجمع الأموال، فساءت سيرته وضاق به رجال القصر، وبرم الناس بتصرفاته، وكان الفائز بكفالة عمته الكبرى، فشرعت تعد العدة لقتله، فلما علم بذلك سارع إلى قتلها ونقل كفالة الفائز إلى عمته الصغرى.

وفي عام 555هـ توفي الفائز عن عشر سنين وجاء طلائع بحفيد للحافظ الفاطمي يدعى عبد الله بن يوسف بن الحافظ، وكان طفلا في الحادية عشرة من عمره فبويع بالخلافة ولقبوه بالعاضد واستمر طلائع بن رزيك في الوزارة. وكانت عمة الفائز الصغرى التي تولت رعايته بعد مقتل أختها قد عزمت على قتله وتمكنت من دس جماعة لاغتياله فقتلوه وتولى الوزارة من بعده ابنه رزيك بن طلائع

ي- ثار شاور بن مجير السعدي، أمير الصعيد، على رزيك، وكان طامعا بالوزارة، فقصد القاهرة مع جمع من أعراب الصعيد وقاتل رزيك وقتله واستولى على الوزارة، فنازعه فيها ضرغام بن عامر اللخمي، وكان من أمراء رزيك وأعوانه، وانتزع منه الوزارة.

ك- فزع شاور إلى نور الدين محمود بن عماد الدين زنكي صاحب الشام فأنجده لقاء شروط تعهد بها، وجهز له جيشا بقيادة القائد أسد الدين شيركوه ومعه ابن أخيه يوسف بن أيوب، وقصد الجيش القاهرة وقاتل ضرغاما في معركة قتل فيها ضرغام وأعيد شاور إلى الوزارة وعاد أسد الدين إلى دمشق . ولما استقل شاور بالحكم خشي من أطماع نور الدين محمود فحالف الصليبيين وأدخلهم أرض مصر، فوجه نور الدين جيشا إلى مصر بقيادة أسد الدين شيركوه ومعه ابن أخيه يوسف بن أيوب، فأخرج الصليبيين منها وقبض على شاور وقتله.

ل- أسند الخليفة العاضد الفاطمي الوزارة إلى أسد الدين شيركوه فتوفي بعدها بستة أشهر فأسند الخليفة الوزارة إلى ابن أخيه يوسف ولقبه الناصر لدين الله صلاح الدين، ولم يلبث صلاح الدين أن قطع الخطبة للعاضد وخطب للخليفة العباسي المستضيء بأمر الله ومات العاضد، وكان آخر خلفاء الفاطميين. واستقل صلاح الدين بمصر وبه قامت الدولة الأيوبية.

وقد علق المؤرخ المصري ابن تغري بردي في كتابه النجوم الزاهرة، بما كان يجري بين الطامعين بالوزارة في العهد الفاطمي من تآمر وقتال فيقول (... وهذا شأن أرباب المناصب، إذا عزل أحدهم بآخر أراد هلاكه ولو هلك العالم معه، وهذا البلاء من تلك الأيام إلى يومنا هذا).

ح-وفي الدولة الأيوبية :

أ- قسم صلاح الدين الأيوبي، قبيل وفاته، دولته التي ضمت مع مصر بلاد الشام والحجاز واليمن والجزيرة، بين أبنائه وبين إخوته وأبنائهم وبين أبناء أعمامه، فجعل دمشق ومدن الساحل لابنه الأفضل علي، وهو أكبر أبنائه، وجعل مصر وجنوب الشام لابنه الملك العزيز عثمان وجعل حلب وأعمالها لابنه الملك الظاهر غازي، وجعل الأردن والكرك لأخيه الملك العادل (الأول) وجعل بعلبك لأخيه الملك المعظم توران شاه (الأول)، وجعل اليمن لأخيه سيف الإسلام طغتكين وجعل

حماة لابن أخيه الملك المظفر تقي الدين عمر بن نور الدين شاهنشاه، وجعل حمص لابن عمه ناصر الدين محمد بن أسد الدين شيركوه.

ب- ثم ما لبث هؤلاء أن تنازعوا واختصموا، فحاول الملك العزيز عثمان أن يستخلص دمشق من أخيه الأفضل علي، وتمكن من ذلك سنة 591هـ وتملك دمشق وولى عليها عمه الملك العادل وولى أخاه عليا على صرخد.

جـ- وفي عام 595هـ يتوفى الملك العزيز عثمان فيخلفه ابنه الملك المنصور محمد وله من العمر عشر سنين ويتولى عمه الملك الأفضل رعايته والنيابة عنه.

د- وفي عام 596هـ يجهز الملك الأفضل جيشا ويتوجه به إلى دمشق لانتزاعها من عمه الملك العادل سيف الدين فيهزمه الملك العادل ويتوجه إلى مصر فيدخلها ويخلع الملك القاصر المنصور محمدا ويستولي على مصر ويولي عليها ابنه الملك ناصر الدين محمدا ويلقبه بالملك الكامل (الأول) ويجعله ولي عهده ويولي ابنه الآخر الملك المعظم عيسى على دمشق وهكذا تتحول السلطنة في مصر والشام من أبناء صلاح الدين إلى أخيه الملك العادل وأبنائه.

هـ- وفي عام 615هـ يتوفى الملك العادل فيخلفه ابنه الملك الكامل (الأول). وفي عام، 624هـ أراد الملك الكامل أن ينتزع دمشق من عمه الملك المعظم عيسى، فكتب إلى الملك فردريك الثاني ملك الألمان، يستنجده على عمه ويعده إن هو تسلم دمشق أن يسلمه القدس. وكان الملك فردريك آنئذ في قبرص مع حملة صليبية جهزها للقدوم إلى بلاد الشام واسترداد بيت المقدس من المسلمين، وقد أصابه من تأخره في تجهيزها حرمان من البابا. واستجاب فردريك لطلب الملك الكامل وقدم إلى مدينة (عكا) سنة 626هـ وكان الملك المعظم عيسى قد توفي قبيل قدومه وخلفه في دمشق ابنه الملك الناصر داود

ووجد الملك داود أن لا قبل له بحرب عمه ومعه الصليبيون، فتنازل له عن دمشق وعوضه الملك الكامل عنها بالكرك و صرخد و الشوبك وولى الملك الكامل أخاه الملك الصالح إسماعيل على دمشق. وقد وفى الملك الكامل وعده بعد أن تسلم دمشق فسلم القدس إلى فردريك، فدخلها وتوج نفسه ملكا عليها في كنيسة القيامة وعاد إلى بلاده. وكان الملك الكامل قد عقد معه معاهدة صلح في (يافا) لمدة عشر سنوات، واشترط عليه بموجبها أن لا يعمر الصليبيون خرابها وأن لا يبنوا بها حصونا. وفي عام 637هـ تمكن الملك الناصر داود من الاستيلاء على القدس وإخراج الصليبيين منها لمخالفتهم شروط معاهدة (يافا) وكانت قد مضت عليها المدة المحددة فيها.

و- وفي عام 635هـ يتوفى الملك الكامل فيخلفه بعهد منه ابنه سيف الدين أبو بكر ويلقب بالملك العادل (الثاني) ويبلغ الخبر أخاه الملك الصالح نجم الدين أمير (آمد و الرها وحران) فيرفض الاعتراف بأخيه ويتوجه إلى مصر ويجمع مماليك أبيه ويخلع أخاه ثم يقتله. ويبلغ الخبر الملك

الصالح إسماعيل فينقم على ابـن أخيـه نجـم الـدين ويقـبض عـلى ابنـه عمـر - وكـان في دمشـق - ويعتقله بقلعة دمشق وفيها يموت.

ز- ويشتد النزاع بين الملك الصالح نجم الدين وبين عمه الملك الصـالح إسـماعيل ويتجهـز كـل منهما لقتال الآخر ويستنجد الصالح بالصليبيين، فيلبي الصليبيون طلـب الملـك الصـالح إسـماعيل في مقابل استلامهم القدس وينضم إليه كل من الملك الناصر داود والملك المنصور إبـراهيم بـن شـيركوه الثاني صاحب حمص. وفي المعركة الجارية قرب (غزة) حدث ما لم يكن بالحسبان. فقـد انضـم جنـد الملك الصالح إسماعيل إلى جند الملك الصالح نجم الدين وكـانوا مـن الخوارزميـة الـذين هربـوا مـن المغول وأنفوا أن يحاربوا مع الصليبيين، وانتهت المعركة بهزيمة منكرة للصليبيين وأسر الكثير منهم.

ح- وفي عام 643هـ تسلم الملك الصالح نجم الدين دمشق من عمـه الملـك الصـالح إسـماعيل وعوضه عنها ببعلبـك و بصرى و أعمالهـما. ويسـترد الجنـد الخوارزميـة - الـذين انضـموا إلى الملـك الصالح نجم الدين - القـدس في ذلـك العـام ويخرجـون الصـليبيين منهـا، وتعـود القـدس نهائيـا إلى المسلمين، بعد أن تكرر احتلالها من الصليبيين أربع مرات: سنة 493 627، 637، ، 643هـ.

ط- وفي سنة 647هـ يتوفى الملك الصالح نجم الدين أيوب أثناء الحملة الصليبية السابعة التـي قادها الملك لويس التاسع ملك فرنسا سنة 646هــ وفيهـا يهـزم الصـليبيون ويـؤسر الملـك الفرنسيـ ويخلف نجم الدين أيوب ابنه توران شاه، وكان شابا فيه رعونة الشباب، فـاختلف مـع زوجـة أبيـه شجرة الدر ومع مماليك أبيه، فائتمرت مع أربعة منهم على قتله فقتلوه. ويقول ابـن تغـري بـردي: (إن الذين قتلوا توران شاه هم أنفسهم الذين كلفهم نجم الدين أيوب من قبل بقتـل أخيـه سـيف الدين أبي بكر فكان موت ابنه مقدرا على أيديهم) وبقتل تـوران شـاه انقضىـ عهـد الدولـة الأيوبيـة وقامت من بعدها دولة المماليك (البحرية).

د- و في دولة المماليك البحرية:

أ- كان الملك نجم الدين أيوب قد تزوج جارية تركية تدعى شجرة الدر وأنجب منها ولدا سماه (خليلا) فكانت تدعى أم خليل وقد تسلطنت بعد مقتل ابن زوجها توران شاه ثم تزوجت القائد المملوكي عز الدين إيبك وتنازلت له عن السلطنة فكان أول سلطان مملوكي يتولى السلطنة سنة 648هـ.

ب- في سنة 655هـ أقدمت شجرة الدر على قتل زوجها عز الدين إيبك لأنه بلغها أنه ينوي خطبة ابنة الأمير بدر الدين لؤلؤ أمير الموصل واستعانت على قتله بمماليكها فقتلوه ضربا بالقباقيب، وبعد قتله عهد لابنه علي بخلافته فقبض عليها وأمر بقتلها ضربا بالقباقيب كما فعلت بأبيه.

جـ- وفي سنة 657هـ أقدم القائد المملوكي قطز على خلع علي بن عز الدين إيبك ونفيه من مصر مع أسرته، وولى القائد بيبرس البندقداري إمارة الجيوش. وكان المغول قد اجتاحوا بلاد الشام وتوجهوا يريدون مصر فتقدم قطز للقائهم بجيش يقوده بيبرس وجرى اللقاء في موضع يدعى (عين جالوت) وفيه كانت الموقعة الكبرى التي كتب فيها النصر لجيش المماليك بما أبدوا من شجاعة فائقة وما أبدى قائدهم بيبرس من مهارة في الحرب وقد تشتت جيش المغول وقتل قائده (كتبغانوين) وكان صهر هولاكو زعيم المغول.

د- في أعقاب تلك المعركة أقدم القائد بيبرس على اغتيال السلطان قطز، فقد كان وعده بأن يوليه على مملكة حلب بعد جلاء المغول عنها وأن يعهد له بالسلطنة من بعده فأخل السلطان بوعده فأقدم على اغتياله مع جماعة من القادة المماليك.

هـ- تولى بيبرس السلطنة وتلقب بالملك الظاهر ودامت سلطنته ثمانية عشر عاما قضى خلالها على الإمارات الأيوبية في بلاد الشام وضم بلاد الشام إلى مصر وأجلى الصليبيين عن مدن الساحل وحرر سنة 665هـ أنطاكية وغزا كليكيا الأرمنية وأخضعها لسلطانه، وفي سنة 676هـ غزا بلاد سلاجقة الروم، وكانت مشمولة بحماية المغول فحررها منهم بعد موقعة كبرى جرت في مكان يدعى (ألبستين) وفيها مزق جيشهم.

و- توفي الظاهر بيبرس سنة 676هـ في أعقاب معركة (ألبستين) فخلفه ابنه ناصر الدين محمد بركة وتلقب بالملك السعيد وعمره ثمانية عشر عاما، وبعد سنتين من سلطنته أقدم المماليك على خلعه لسوء تدبيره وولوا أخاه الأمير سلامش وعمره سبع سنين ولقبوه بالملك العادل بدر الدين وولوا القائد قلاوون نائبا عنه.

ز- لم يلبث قلاوون أن خلع بدر الدين سلامش سنة 678هـ وتولى السلطنة وتلقب بالملك المظفر سيف الدين وقد امتدت سلطنته أحد عشر عاما حرر خلالها ما تبقى في يد الصليبيين من

قلاع وحصون في بلاد الشام ومنها مدينتا اللاذقية وطرابلس. وفي عام 689هـ يتوفى قلاوون فيخلفه ابنه خليل و يتلقب بصلاح الدين ويسترد من الصليبيين قلعة صفد ومدينة طرطوس ثم يستولي على عكا بعد معركة شديدة مع الصليبيين.

ح- وفي عام 693هـ يقدم قائدان من قادة المماليك هما (بيدرا) و (لاجين) على اغتيال السلطان صلاح الدين خليل بن قلاوون وقيام (بيدرا) خلفا له، ولم يلبث هذا في السلطنة إلا يوما واحدا، إذ أقدم القائد (كتبغا) على قتله وقتل من اشترك في اغتيال السلطان صلاح الدين خليل واختار المماليك محمد بن قلاوون أخا خليل سلطانا فبايعوه ولقبوه بالناصر وله من العمر تسع سنين.

ط- لم يلبث (كتبغا) أن خلع محمد بن قلاوون متعللا بصغر سنه وتولى السلطنة. وقد حاول القائد (لاجين) اغتيال (كتبغا)، ولما علم بذلك هرب إلى دمشق وخلع نفسه سنة 696هـ فتولى السلطنة (لاجين) وتلقب بالمنصور حسام الدين وبعد سنتين أي في عام 698هـ اغتيل وأعيد إلى السلطنة محمد بن قلاوون وقد بلغ من العمر أربعة عشر عاما.

ي- وفي سنة 708هـ يخلع محمد بن قلاوون ويتولى السلطنة قائد مملوكي يدعى بيبرس الجاشنكيري، ثم يخلع بعد سنة (709هـ) ويعاد إلى السلطنة محمد ابن قلاوون للمرة الثالثة وهو في الخامسة عشرة من عمره ويتوفى سنة 741هـ وقد امتدت سلطنته (31) عاما، فكان أطول ملوك المماليك عهدا وأعظمهم مهابة وأغزرهم عقلا وأحسنهم سياسة وأكثرهم شجاعة وأحسنهم تدبيرا وقد بلغت دولة المماليك في عهده ذروة ارتقائها ثم توالى عليها أبناؤه وأخذت شمسها في الكسوف.

ك- تولى السلطنة من بعد محمد بن قلاوون ثمانية من أبنائه، كان أولهم أبو بكر سيف الدين الملقب بالمنصور ولم يلبث سوى سنة واحدة وخلع سنة 742هـ وتولى السلطنة من بعده أخوه (كجك) وتلقب بالملك الأشرف علاء الدين وعمره خمس سنين وخلع بعد أقل من سنة وتولى السلطنة من بعده أخوه أحمد وتلقب بالملك الناصر شهاب الدين وبعد شهرين من سلطنته يخلعه أخوه إسماعيل ويقتله و يتلقب بالملك الصالح عماد الدين ويستمر إسماعيل في السلطنة ثلاث سنين يقتل بعدها سنة 746هـ

ويتولى السلطنة أخوه شعبان (الأول) و يتلقب بالملك الكامل سيف الدين وبعد سنة من سلطنته يخلع ويسجن ويقتل في سجنه ويتولى السلطنة من بعده أخوه (حاجي الأول) و يتلقب بالملك المظفر سيف الدين وبعد أقل من سنة يخلع ويقتل ذبحا ويولى أخوه الحسن سنة 748هـ و يتلقب بالملك الناصر ناصر الدين ويخلفه من بعده سنة 752هـ أخوه صالح و يتلقب بالملك الصالح صلاح الدين. وتمتد سلطنة المماليك البحرية من بعده إلى سنة 784هـ ثم تنتقل إلى المماليك البرجية وهم كالبحرية من المماليك الأتراك و الجراكسة وتنتهي سلطنتهم بالفتح العثماني سنة 922هـ.

هـ- وفي دولة المرابطين :

بلغت دولة المرابطين منتهى علاها في عهد يوسف بن تاشفين وابنه علي (453 - 537 هـ) ثم أخذت مسيرة أحداثها في الانحدار. وقد تولى ملك المرابطين في آخر عهدهم ملكان لم يبلغا الحلم وهما: إبراهيم بن تاشفين بن علي بن يوسف بن تاشفين وابن عمه إسحاق بن علي بن يوسف بن تاشفين وقد بويع الأول سنة 540هـ بعد وفاة أبيه ولم يتمكن المرابطون في عهده من صد الموحدين في معركة انتهت بهزيمتهم والقبض على إبراهيم وقتله ومبايعة الثاني من بعده سنة 541هـ. فلما احتل الموحدون مراكش قتلوه وقتلوا معه من وجدوا من أمراء المرابطين وقضوا على دولتهم.

و- دولة الموحدين

بلغت هذه الدولة أوج قوتها في عهد ملكها أبي يوسف يعقوب (595 - 580هـ) وذلك بعد انتصاره على ألفونسو الثامن ملك قشتالة في وقعة (الأرك) سنة 591هـ. ثم أخذت في الانحدار في عهد ابنه محمد الناصر (595 - 611هـ) إثر هزيمة الموحدين أمام الأسبان في وقعة (العقاب) سنة 609هـ ثم هزيمتهم في وقعة (أبي دانس) سنة 614هـ في عهد ابنه يوسف المستنصر (611 - 620هـ).

وقد اشتد الوهن في الدولة بعد خلع عبد الواحد ابن يوسف الأول ابن يعقوب سنة 621هـ وتولية أبي محمد عبد الله ابن أخيه يعقوب المنصور وتلقيبه بالملك العادل ثم خلعه سنة 624هـ وقتله وتولية يحيى بن محمد الناصر وتلقيبه المعتصم بالله وازداد الوهن شدة حين رفض عمه أبو العلاء إدريس بن يعقوب المنصور الاعتراف ببيعته وبايعه أهل الأندلس وتلقب بالمأمون وانقسمت دولة الموحدين على نفسها: دولة في الأندلس ودولة في المغرب. وتوجه المأمون إلى المغرب لانتزاع الملك من ابن أخيه والانتقام ممن قتلوا أخاه الملك العادل واستعان بجيش من الأسبان وكانت أمه منهم وقد أمده به الملك الإسباني فرديناند الثالث ملك قشتالة لقاء شروط منها أن يعطيه عشرة حصون مما يلي إشبيلية وأن يبني لجنده الأسبان كنيسة في مراكش إذا دخلها وأن من أسلم من جنده لا يقبل إسلامه.

وقد تمكن المأمون من اقتحام مراكش فهزم ابن أخيه يحيى المعتصم بالله وقتل شيوخ الموحدين الذين بايعوه. ونفذ المأمون شروط الملك الإسباني فسلمه الحصون العشرة وبنى في مراكش كنيسة لجنده الأسبان. ولم يلبث أن ثار عليه أخوه أبو موسى عمران بن يعقوب أمير (سبتة) فتوجه لقتاله وحاصره، وفي غيابه بهذا الحصار عاد ابن أخيه يحيى ومعه جموع من العرب والبربر ودخلوا مراكش وعاد المأمون مسرعا ومات في الطريق سنة 630هـ وبويع من بعده عبد الواحد الرشيد واستمر النزاع بين الأعمام وأبنائهم إلى أن استولى على مراكش بنو مرين عام 668هـ في عهد آخر

ملوك الموحدين أبي العلاء إدريس الواثق بالله الملقب بأبي دبوس وبه انقضت دولة الموحدين وقامت على أنقاضها دولة بني مرين.

ز- وفي دول الشمال الإفريقي :

بعد القضاء على دولة الموحدين التي كانت تسيطر على الشمال الإفريقي من تونس إلى مراكش قامت دول ثلاث: دولة بني مرين في المغرب الأقصى وعاصمتها مراكش ودولة بني زيان من بني عبد الواد في المغرب الأوسط (الجزائر) وعاصمتها (تلمسان) ودولة بني حفص في المغرب الأدنى (تونس) وعاصمتها مدينة تونس.

وقد أنهكتهم الحروب والثورات والفتن التي ثارت بينهم وشغلتهم عن نصرة إخوانهم في الأندلس . فأسلموهم للأسبان وكانوا هم عرضة لغزو الأسبان و النورمان حتى فتح العثمانيون الجزائر سنة 962هـ ثم تونس سنة 982هـ وقامت في مراكش دولة بني الحسن العلويين سنة 916هـ.

3- الانصراف إلى اللهو والمجون :

إلى تلك الأسباب التي أدت إلى تشتت الدولة الإسلامية وانقسامها إلى دول ثم تسارع انهيارها وتعرضها لغزو أتاها من المشرق والمغرب، يضاف سبب آخر أتاها من سوء سلوك بعض الحاكمين وانصرافهم إلى اللهو والمجون، وغالبا ما يكون هؤلاء ممن تولوا الملك صبيانا يولى عليهم نواب يعملون على إشغالهم باللهو ويصرفونهم عن شئون الحكم ليستقلوا به من دونهم، فإذا بلغ الصبي سن الشباب تفتحت غرائزه، فأخذ يعب من شهواته، تاركا أمور الدولة لوزرائه ونوابه والأمثلة على ذلك كثيرة ونحن نورد طرفا منها.

فقد روي ابن تغري بردي في كتابه النجوم الزاهرة (أن المستنصر الفاطمي خلف أباه الظاهر وعمره سبع سنين ونشأ على حب اللهو والمجون. ولما شب كان أمره قد اضمحل لتشاغله باللهو والشراب والطرب وكان من عادته في كل سنة أن يركب على النجب (النفيس من الإبل) إلى مكان قريب من القاهرة يدعى (جب عميرة) وهو موضع نزهة فيخرج إليه بهيئة أنه خارج إلى الحج على سبيل الهزء و المجانة ومعه الخمر في الروايا (الأواني) عوضا عن الماء ويسقيه للناس كما يسقى الحاج في طريق مكة).

فماذا نقول في خليفة توالى القحط على بلاده سبع سنين حتى أكل الناس الموتى ولحوم الأطفال يفعل ما روي عنه ويهزأ بركن من أركان الدين، ونراه في مدة خلافته قد استكان لسلطان وزيره بدر الجمالي وليس له من الأمر شيء.

كذلك يروي ابن تغري بردي: (إن الملك المسعود يوسف صلاح الدين الثاني، المعروف باسم (أتسز) ابن الملك الكامل الأيوبي كان قد ولاه أبوه سنة 611 هـ فاستولى على مكة سنة 619هـ فكان ينام في دار المسعى سكران ويخرج أعوانه يمنعون الناس من الصياح والضجيج في المسعى) .

ثم إليك ما يرويه ابن الأثير عن جلال الدين منكبرتي آخر ملوك خوارزم (فقد كان هذا الملك يهوى خادما خصيا له يدعى (قليج) فاتفق أن مات الخادم، فأظهر الملك من الحزن والهلع والجزع عليه ما لم يسمع بمثله ولا لمجنون ليلى، وأمر الجند والأمراء أن يمشوا في جنازته رجالة وكان موته في موضع يبعد عن (تبريز) - عاصمة الدولة - عدة فراسخ، فمشى خلف جنازته راجلا فألزمه أمراؤه بالركوب، فلما وصل إلى (تبريز) أرسل إلى أهل البلد فأمرهم بالخروج لتلقي تابوت الخادم، ففعلوا، و أنكر عليهم أنهم لم يظهروا من الحزن والبكاء أكثر مما فعلوا وأراد معاقبتهم على ذلك فشفع فيهم أمراؤه فتركهم.

ثم إنه لم يدفن الخادم وإنما أخذ يستصحبه معه حيث سار وهو يلطم ويبكي، وامتنع من الأكل والشرب، فإذا قدم إليه طعام قال: احملوه إلى فلان، يعني الخادم ولا يتجاسر أحد أن يقول إنه مات، فإذا قيل إنه مات قتل القائل، فكانوا يحملون إليه الطعام ويقولون للملك: إنه يقبل الأرض ويقول الآن أنا أصلح مما كنت. ثم انفض عنه أمراؤه فبقي حيران لا يدري ما يصنع وراسل وزيره واستماله فلما حضر إليه قتله).

وهناك خبر عن الملك الناصر صلاح الدين الثاني ابن العزيز محمد ابن الملك الظاهر غازي صاحب حلب. فقد تولى الملك وعمره سبع سنين وشب على حب اللهو تاركا أمور الدولة إلى وزرائه. ولما اجتاح المغول حلب سنة 657هـ غادرها إلى دمشق.

ويروي صاحب نفح الطيب أن الأديب الأندلسي موسى العنسي (ت: 685هـ) لما رحل إلى المشرق، قدم إلى دمشق وفيها الناصر صلاح الدين المذكور هذا ، وكان المغول قد أمعنوا في حلب قتلا وسبيا وتخريبا، فدخل على الناصر صلاح الدين يعزيه على ما فعله المغول بمدينة حلب وما حل بها من المصائب والمحن، فأضرب الناصر عن سماع ذلك وأنشد أبياتا في مملوك له يهواه قتل في تلك الكارثة . فهو لا يبكي لفقد ملكه وإنما يبكي لفقد حبيبه. ثم نراه بعد ذلك هائما على وجهه حتى لجأ إلى هولاكو ملك المغول ومعه أخوه الملك الظاهر سيف الدين غازي (الثاني) وأمراء آخرون من البيت الأيوبي فأحسن هولاكو إليهم ولما بلغه هزيمة المغول في (عين جالوت) سنة 658هـ قتله وقتل من كان معه من الأمراء .

كذلك يروي ابن طباطبا في كتابه تاريخ الدول الإسلامية أن الخليفة المستعصم بالله آخر خلفاء بني العباس في بغداد كان شديد الكلف باللهو وسماع الأغاني، لا يكاد مجلسه يخلو من ذلك

ساعة واحدة، وكان ندماؤه وحاشيته جميعهم منهمكين معه على التنعم بالملذات، لا يراعون له صلاحا. وقد كتبت له الرقاع من العوام، وفيها أنواع التحذير وألقيت الأشعار في أبواب دار الخلافة .

كل ذلك وهو عاكف على سماع الأغاني وملكه قد أصبح واهي المباني. ومما اشتهر عنه أنه كتب إلى الأمير بدر الدين لؤلؤ صاحب الموصل يطلب منه جماعة من أهل الطرب، وفي تلك الحال وصل رسول هولاكو يطلب من بدر الدين منجنيقات وآلات حصار لحصار بغداد فقال بدر الدين: انظروا إلى المطلوبين وابكوا على الإسلام.

وإذا عرجنا على دولة المماليك نجد منهم من شغف بالجواري وتخلى عن أمور الدولة إلى نوابه.. كالملك الصالح إسماعيل بن الناصر محمد بن قلاوون. فقد شغفه حب الجواري فأسرن قلبه وكانت لهن الكلمة العليا في الدولة وأعرض عن تدبير الملك بإقباله على النساء والطرب، وكان يؤثر الجواري السود.

فحظيت بحبه جارية سوداء تدعى (اتفاق) تحسن الضرب على العود وتجيد الغناء فتزوجها وكان أخوه الملك شعبان يهواها، فلما مات الصالح إسماعيل سنة 746هـ خلفه عليها أخوه ودخل بها ليلة وفاته..!!

ولما خلع الملك الكامل شعبان ثم قتل سنة 747هـ خلفه أخوه الملك المظفر (حاجي) فتزوج بها ليلة خلع أخيه !! فغنته فأنعم عليها بأربعة فصوص وست لؤلؤات ثمنها أربعة آلاف دينار، وهذا ثالث سلطان من أبناء محمد بن قلاوون يتزوج بهذه الجارية السوداء وفي كل مرة كان يعقد العقد لها على أخ من الإخوة الثلاث قاض مع علمه بأن العقد باطل لتجاوز العدة المفروضة على زوجة المتوفى.

وقد نالت هذه الجارية السوداء عند الإخوة الثلاثة من الحظ والسعادة ما لا يعرف لامرأة في زمانها .!!!!!!!!!!!!

فلم لا وقد قال الشاعر مجنون ليلى في محبوبته السوداء :

يقولون عنك سوداء حبشية ولولا سواد المسك ما انباع غاليا

وحري بهذا الفاسق أن ينسج على منواله ..(فلولا سواد الزِّفت ...) ، ولله في خلقه شؤون .

أثر ما تقدم من الأسباب في حياة المجتمع الإسلامي:

كان من الطبيعي أن تنعكس هذه الأسباب في حياة المجتمع الإسلامي، السياسية والاقتصادية والاجتماعية.

1 - في الحياة السياسية : تفرقت الكلمة وطمع الأعداء :

فقدت الدولة الإسلامية وحدتها، وبدأت تتفكك منذ بداية العصر العباسي الأول، وازداد تفككها في العصر العباسي الثاني. ففي المشرق قامت دولة للبويهيين و السامانيين و الغزنويين و السلجوقيين. وفي إفريقية، قامت في المغرب الأقصى دولة الأدارسة وفي المغرب الأدنى ومصر والشام دولة الفاطميين وفي الأندلس قامت دولة للأمويين، وتوزعت الخلافة بين هذه الدول، فخليفة عباسي في بغداد وخليفة إدريسي في المغرب الأقصى وخليفة فاطمي في مصر، وخليفة أموي في قرطبة وأمراء غلبوا على بعض المناطق واستقلوا فيها، ولم يقم بين تلك الدولة والإمارات سلم دائم، بل كثيرا ما كانت تستعر بينهم الحروب، فضلا عن الثورات و الانتفاضات التي كانت تتخللها، وانتهت بذلك إلى حالة من الضعف والوهن فلم تقو على صد العدوان المسيحي الذي كان يترصدها، وقد طوقها من الشرق والغرب، وامتنع بافتراق المسلمين إلى دول متناحرة وتوزعهم في شيع متنافرة أن يجمعوا شملهم لمواجهة ذلك العدوان الذي انصب عليهم.

ففي الفترة الواقعة بين عامي 477 و 493هـ استولى ألفونسو السادس، ملك الأسبان على طليطلة واستولى (الكمبيادور) زعيم المرتزقة الأسبان على (بلنسية) سنة 487هـ، وهم ألفونسو السادس بالاستيلاء على إشبيلية، فأنقذها المرابطون وأسقطوا حكم أمراء الطوائف وأقاموا في الأندلس دولة لهم.

وفي الفترة الواقعة بين عامي 487 و 498هـ قامت دعوة البابا أوربان الثاني لأمراء الإقطاع في أوروبا للاستيلاء على بلاد الشام وإنقاذ بيت المقدس من يد المسلمين. وكان من أسبابها إقدام الخليفة الفاطمي الحاكم بأمر الله على هدم كنيسة القيامة في بيت المقدس.

وقد وحدت دعوة البابا صفوفهم وكانت قد فرقتها الحروب التي نشبت بينهم، فقادوا الحملة الصليبية الأولى، و أتاح لهم الصراع بين ملوك السلاجقة، كما نوهنا بذلك من قبل، أن يجتازوا بلاد الأناضول، وأن يحتلوا مدينة (نيقية) ثم مدينة (قونية)، وأن يجتاحوا بلاد الشام وفيها استولوا على معرة النعمان و أنطاكية، ثم اتبعوا الساحل فاستولوا على (طرابلس) ثم على (حيفا) و (يافا) و(قيسارية) و (الرملة)، ثم عرجوا على مدينة بيت المقدس فاستولوا عليها في 23 نيسان سنة 493هـ وهي السنة التي سقطت فيها مدينة (طليطلة) بيد الإسبان.

وفي بيت المقدس أباح قائد الحملة الصليبية (جود فروا دو بويـون) للصـليبين القتـل والنهـب وهتك الأعراض، فلم يقصروا فيما أبيح لهم، ونصبوا قائدهم ملكا على بيت المقدس ثـم توجهـوا إلى دمشق فحاصروها وتوجه وفد من أهالي المدينة برئاسة قاضي دمشق زين الـدين أبي سـعد الهـروي إلى بغداد يستعينون بالخليفة المستظهر بالله، فـأظهر الخليفـة عجـزه وبـكى و بـكى الوفـد لعجـزه، وتمكن أهل دمشق من صد الصليبين.

وتوجه الصليبيون بعد ذلك إلى عكـا و جبيـل فاسـتولوا علـيهما، واسـتمرت حمـلات الصـليبين واستولوا على كثير من المواقع في بلاد الشام وفيها بنوا القـلاع والحصـون، حتـى وحـد صـلاح الـدين الأيوبي جموع المسلمين بعد قضائه على الدولة الفاطمية، وتم على يده جلاء الصليبيين.

2 - في الحياة الاقتصادية :

تتوقف سلامة الاقتصاد على عامل أسـاسي هـو الأمـن، فبدونـه لا يمكـن دوام العمـل والإنتـاج والتبادل والاتجار وأكثر ما يعيق الأمن هو الثورات، وقد نشبت في العصر الأموي وفي العصر العباسي الأول ثورات كثيرة شغلت الدولتين، ولكنها لم تنتقص من نشاط الحياة الاقتصادية لتوفر القـوة عـلى قمعها، ولأن الناس كانوا ينعمون في بحبوحة من العيش من خيرات الفتوح، فلم تكن تلـك الثـورات ثورات فقراء أو مستضعفين وإنما كانت في جلها ثورات سياسية، يدور الصراع فيها حـول الخلافـة، أو فتن تثيرها العصبيات القبلية.

ومع ذلك فإن البلاد الإسلامية كانت تصـاب في بعـض مناطقهـا بجـوائح، منهـا القحـط وتلـف المحاصيل بكوارث طبيعية، كان ينشأ عنها مجاعات وينتشر الوباء، ولكن ذلك لم يكن ليطول. أمـا في العصر العباسي الثاني فقد ثار الفقراء والمستضعفون على ظلم الـولاة وعـمال الخـراج، فكانـت ثـورة الزنج التي استمرت خمس عشرة سنة، فتكت في خلالها بالكثير من الناس وخربت الكثير مـن المـدن وحرمت الأرض من أيدي العاملين، الذين انقلبوا إلى ثائرين ومخربين.

وقد أعقبت هذه الثورة ثورة القرامطة التي امتدت نحو سبعين سنة، وفي خلالها اختـل الأمـن وعاث اللصوص فسـادا في المـدن والقـرى، ينهبـون ويسـلبون ويقتلـون. ونشـط أعـراب البـوادي في الوثوب على قوافل التجار وفي الإغارة عـلى قوافـل الحجـاج، فتوقفـت التجـارة وامتنـع الحـج عـدة سنوات. وقد أدى ذلك كله إلى اضطراب الحياة الاقتصادية وزاد عليها توالي الكوارث الطبيعية ومنها الزلازل وفيضان الأنهار وطغيانها على الأراضي الزراعية، وما ينشأ عنها من قحـط ومجاعـات يتلوهـا أوبئة كانت تفتك بالناس فتكا وتحصدهم حصدا.

3 - في الحياة الاجتماعية :

انعكس في حياة المجتمع الإسلامي ما عاناه في حياته السياسية والاقتصادية من فوضى واضطراب. فقد استذلته الأحداث السياسية وأفقرته الأحداث الاقتصادية وتشتت شمله في دويلات، آلت معها حياة المجتمع الإسلامي إلى طبقة عليا مترفة، التفت حول ملوك وأمراء متغلبين، تزين لهم ظلمهم لتنعم بعطاياهم، وتسلك سلوكهم فيما ينكره الدين والأخلاق. وطبقة سفلى يشيع فيها الفقر والبؤس والحرمان ويحملها ذل الحاجة إلى سلوك ما لا يحله الدين أيضا.

وفي كلتا الطبقتين شاع عند السفلة منهم تعاطي الخمرة وما يتبعها من لهو وفجور، كان يجري في الطبقة العليا بمظاهر الترف، وكان يجري في الطبقة السفلى في مظاهر الحطة والبؤس. وبين الطبقتين، العليا والسفلى، كانت طبقة الخاصة، وهي الطبقة الوسطى، وفيها العلماء من فقهاء ومحدثين ومفسرين، وفيها الصلحاء من أهل الزهد والتقوى، ولم يكن لهؤلاء، كما كان لأسلافهم، مقام يدنيهم من الملوك والأمراء، ولا مسمع لقول عاذل ونصيح، وليس لهم سلطة تمكنهم من الردع بالقوة لما يجري من الفواحش، فقد جهر كثير من الناس بشرب الخمرة، يتعاطونها في حانات الخمارين وفي المتنزهات، ويلتمسون معتقها في الأديرة.

هذه هي السمات العامة التي كانت تطبع المجتمع الإسلامي في العصر العباسي الثاني وما تلاه، وقد مهد لها العصر العباسي الأول، بما ساد فيه من مظاهر الترف والانصراف إلى الملاذ والجهر بها مع كثير من اللهو والمجون والتحدي للدين والأخلاق، وهذا ما نراه مبسوطا في أشعار أبي نواس وأخباره مع مطيع بن إياس وحماد عجرد و والبة بن الحباب، وفي أشعار ابن هرمة ومسلم بن الوليد، وغيره من شعراء ذلك العصر من الماجنين .

وكما نراها مبسوطة في كتب الأدب والأخبار كالأغاني والعقد الفريد ونهاية الأرب والنجوم الزاهرة وعيون الأخبار، وغيرها من كتب الأدب، وكما نراها منثورة في كتب التاريخ والأخبار كالطبري وابن الأثير ومروج الذهب للمسعودي، وتاريخ بغداد وتاريخ ابن كثير وغيرها من كتب التاريخ. وكلها شاهد – وإن كان فيها كثير من الدس والتأليف - على التراخي في تنفيذ تعاليم الإسلام عند الطبقة الحاكمة ومن التف حولها.

وكان أول ما انحسر من تعاليم الإسلام العدل، وقد أخلت به الأهواء التي اشتد فيها الصراع على الملك وما يتبعه من الظلم والاستبداد، يمارسهما صاحب السلطة على هواه، خليفة أو ملكا أو سلطانا أو أميرا، ويأخذ الناس بالظنة، فيقتل ويصادر الأموال ولا معقب لما يشاء، وبرزت في هذا الجو المشبع بالظلم، ظاهرة الخوف ومعها ظاهرة النفاق.

وكلاهما من العوامل التي عطلت العقل عن النمو فجف عطاؤه وتراخت عزائمه، وأصبح الخائف في معزل عن الحياة العامة خوفا من وشاية واش، أو تعرضه لما يخشاه، وسلك مسلك الزهد

والتصوف طلبا للسلامة. وشاع النفاق في ضعاف النفوس، يزين به المنافقون صنع السلطان فيزيدونه طغيانا، لينالوا رفده، فهم فيما يفعلونه أعوانه في الظلم.

وقد دون رواة موثوقون ما شهدوا من ظاهرة الظلم والجور في العصر الذي عاشوا فيه، وإليك ما دونه الرحالة ابن حوقل المتوفى سنة 367هـ في مقدمة كتابه: (صورة الأرض)، وفيه يصف ما عاينه في بغداد قبل سفره: (... وأعانني على تأليف هذا الكتاب تواصل السفر وانزعاجي عن وطني مع ما سبق به القدر، لاسيما الرزق والأثر، والشهوة لبلوغ الوطر، بجور السلطان، وكلب الزمان، وتواصل الشدائد على أهل المشرق والعدوان، واستئناس سلاطينه بالجور والطغيان، وكثرة الجوائح والنوائب، وتعاقب الكلف والمصائب، واختلال النعم وقحط الديم).

وإليك ما دونه الفيلسوف المؤرخ مسكويه في كتابه (تجارب الأمم) وفيه يبين أسباب ضعف السلطة وانهيار الحكم في العصر العباسي:

(فليعتبر الناظر، هل أتي هؤلاء الملوك إلا من سوء تحفظهم واشتغالهم عن ضبط أمورهم وتفقدها بلذاتهم وشهواتهم، وإغفالهم أمر أصحاب الأخبار وتركهم تعرف نيات وزرائهم وقوادهم وأمور عساكرهم وتعويلهم على الاتفاقات والدول التي لا يوثق بها، وقلة تصفحهم أحوال الملوك قبلهم ممن استقامت أمورهم، كيف كانت سيرتهم، وكيف ضبطوا ممالكهم و نيات أصحابهم بضروب الضبط، أولا بالدين الذي يحفظ نظامهم ويملك سرائرهم، ثم بأصحاب الأخبار الثقات والعيون المذكاة علي مدبري أمورهم، والتفقد لهم يوما يوما وحالا فحالا وترك إيحاشهم ما أمكن ومداراة من تجب مداراته، والبطش بمن لا حيلة في استصلاحه ولا دواء لسيرته).

ثم إليك ما دونه الإمام السيوطي في تاريخه:

(في دولة بني العباس افترقت كلمة الإسلام وسقط اسم العرب من الديوان وأدخل الأتراك في الديوان واستولت الديلم ثم الأتراك، وصارت لهم دولة عظيمة، وانقسمت الممالك عدة أقسام وصار بكل قطر قائم يأخذ الناس بالعسف ويملكهم بالقوة).

ولم يكن أمراء وخلفاء الأندلس أفضل حالا من أهل المشرق، فقد جاروهم في الترف، فأغفلهم عن عدوهم، فسطا عليهم وأخرجهم من ديارهم. ففي سنة 456هـ جرت وقعة بين المسلمين و الأسبان في قرية (بطرنة) من أعمال (بلنسية) وفيها تغلب الإسبان على المسلمين، ومنها توجهوا لاحتلال (بلنسية).

ويصف لنا ابن بسام ما حل بأهل بلنسية حين داهمهم الإسبان فيقول:

(... ونزل الفرنج على بلنسية وأهلها جاهلون بالحرب، معرضون على أمر الطعن والضرب، مقبلون على اللذات من الأكل والشرب، وأظهر الفرنج الندم على منازلها والضعف عن مقاومة من فيها، وخدعوهم بذلك فانخدعوا وأطمعوهم فطمعوا، وكمن في عدة أماكن جماعة من الفرنج،

<u>وخرج أهل البلد بثياب زينتهم، وخرج معهم أميرهم عبد العزيز بن عامر، فاستدرجهم الفرنج ثم عطفوا عليهم فاستأصلوهم بالقتل والأسر وما نجا منهم إلا من حصنه أجله، وخلص الأمير نفسه</u>).

وهكذا جرى لأهل (طليطلة) - كما يقول ابن بسام - فإن ألفونسو السادس استظهر عليهم، وقتل جماهيرهم، وكان من جملة ما غنمه الفرنج من أهلها، لما خرجوا إليهم في ثياب الزينة، ألف غفارة خارجا عما سواها .

وليس أوجز ولا أبلغ في وصف حال الأندلس آنذاك ، وحال معظم ممالك وإمارات المسلمين التي دهمها الصليبيون و التتار كذلك بعد ذلك بقليل . مما وصف به الإمام الجليل (**ابن حزم الأندلسي**) أحوال الأندلس في القرن الخامس الهجري مما أحدثه ملوك الطوائف . فقال يرحمه الله كلمات تحس الأسى يشع من بين حروفها ، وأعجب ما فيها أنها تصلح لوصف أحوالنا هذه الأيام في ظل حكامنا وتعاونهم مع الصليبيين على بعضهم وعلى شعوبهم .

قال ابن حزم عن أمراء الأندلس في زمانه ، في كتاب(**التلخيص في وجوه التخليص**) :

[فهذا أمر امتحنا به نسأل الله السلامة . وهي فتنة سوء أهلكت الأديان إلا من وقى الله تعالى . لوجوه كثيرة يطول لها الخطاب . وعمدة ذلك ؛ أن كل مدبر مدينة أو حصن في شيء من أندلسنا هذه ، أولها عن آخرها محارب لله ورسوله صلى الله عليه وسلم ، ساع في الأرض بالفساد . للذي ترونه عيانا من شنهم الغارات على أموال المسلمين من الرعية التي تكون في ملك من ضادهم . وإباحتهم لجندهم قطع الطريق. ضاربون للجزية والمكوس والضرائب على رقاب المسلمين . مسلطون لليهود و النصارى على قوارع طرق المسلمين . معتذرون بضرورة لا تبيح ما حرم الله . غرضهم منها استدامة إنفاذ أمرهم ونهيهم .

فلا تغالطوا أنفسكم ، ولا يغرنكم الفساق والمنتسبون إلى الفقه ، اللابسون جلود الضأن على قلوب السباع. المزينون لأهل الشر شرهم . الناصرون لهم على فسقهم .

فالمخلص لنا منها ؛ الإمساك بالألسنة جملة وتفصيلا إلا عن أمر بالمعروف أو نهي عن المنكر وذم جميعهم . والله لو علموا أن في عبادة الصلبان تمشية لأمورهم لبادروا إليها .فنحن نراهم يستمدون النصارى، ويمكنون لهم من حرم المسلمين ، وربما أعطوهم المدن والقلاع طوعا، فأخلوها من الإسلام وعمروها بالنواقيس .

لعن الله جميعهم وسلط عليهم سيفا من سيوفه . فمن عجز عن ذلك رجوت أن تكون التقية تسعه . وأن ينكر بقلبه . هذا مع أنه لو اجتمع كل من ينكر بقلبه لما غلبوا على أمرهم)
أهـ .

ضعف الوازع الإيماني وأثره في انهيار الدولة الإسلامية :

لقد كان إيمان المسلمين الأولين ناصعا لا تفسده الأهواء، قوي الإحساس بالعدل وبكل مكارم الأخلاق، فقادهم إلى الفتح العظيم، ودخل الناس في دينهم أفواجا لما رأوا من صدق دعوتهم، وكانوا فيها مثلا يحتذى، فلما ترف أخلافهم بنعماء الدنيا وأسرفوا منها، تعلقوا بأذيالها، وأقبلوا عليها إقبال عاشق غاب رقيبه.

ويستفاد مما تقدم أن ضعف الوازع الإيماني في الراعي وغالبية الرعية ، قد حاد بالمسلمين عن خطة الإسلام، فالإسلام أقام الإيمان رقيبا على أعمال الإنسان وزوده بدقة الحس في التمييز بين الخير والشر، وبين الفضيلة والرذيلة، وبين العدل والظلم، وعندما تعصف الأهواء بالإيمان، يفقد الإحساس بالخير والعدل والفضيلة.

ولما تراخت رقابة الإيمان على أعمالهم حل الظلم محل العدل، فأخفت صوت الحق، وقضى سيف الظلم على صولته، وأضحت القوة هي الحاكم الذي لا يرد والحكم الذي لا ينقض، وبرز الباطل يختال في قصور الخلفاء والأمراء والوزراء والأثرياء، متشحا بكل مظاهر العبث والمجون، فألهاهم عن مصالح الأمة، فشاع الفساد في الحكم والقضاء والإدارة، وقفز إلى مناصب الدولة المنافقون ومنهم من اتخذ الدين سلما للوصول إليها، فساهموا في الإفساد وأعانوا على الظلم، وسادت الفوضى فكانت غنما للصوص والعيارين، وقامت لهم دولة في بغداد يحميها قادة من الجيش لقاء جزية يتقاضونها مما ينهبون.

وعاش عامة الشعب في فقر وخوف، وقهر ومذلة، فضمر ساعده وفقد قدرته على القتال، وخمدت همته، فأضحى في حالة رق فقد فيها قدرته على الإبداع، فأوقفه الزمن عن المسير، وأخذ ينظر إلى الشعوب تتقدمه وهو معقود اللسان ومغلول اليدين، فلا يستطيع حراكا. إلى هذه الحالة آل أمر المسلمين، في جميع الدول التي تشتت فيها دولتهم، لتساوي العلة فيها.

وقد كان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يعلم ما سيؤولون إليه حين قال لهم : (**يوشك أن تداعى عليكم الأمم كما تداعى الأكلة إلى قصعتها. قالوا: أمن قلة نحن يومئذ يا رسول الله؟. قال: لا، بل أنتم يومئذ كثير ولكنكم غثاء كغثاء السيل، ولينزعن الله من قلوب عدوكم المهابة منكم، وليقذفن في قلوبكم الوهن، قالوا وما الوهن يا رسول الله؟ قال: حب الدنيا وكراهية الموت**) .

تفشي ظاهرة علماء السلطان خلال المرحلة العباسية :

إن فساد الدين، وفساد الخلق أساسه فساد فئتين من الناس هم العلماء والحكام كما قال ابن المبارك رحمه الله:

وهل أفسد الدين إلا الملوك وأحبار سوء ورهبانها

وفساد الحكام سببه فساد العلماء ، وفساد العلماء سببه الإخلاد إلى الأرض وحب المال والجاه ، يقول حجة الإسلام الإمام **أبو حامد الغزالي** رحمه الله ، واصفاً حال علماء عصره بعد أن ذكر من مواقف علماء السلف وتضحيتهم في سبيل الحق وعدم اكتراثهم ببأس السلاطين . وكان قد عاش في القرن الخامس ، وعاصر الدولة السلجوقية ، وما عاصرها من الممالك المستقلة ، بعد أن وهنت عرى الخلافة العباسية :

(**وأما الآن فقد قيدت الأطماع ألسن العلماء فسكتوا . وإن تكلموا لم تساعد أقوالهم أحوالهم ، فلم ينجحوا ولو صدقوا وقصدوا حق العلم لأفلحوا ، ففساد الرعايا بفساد الملوك ، وفساد الملوك بفساد العلماء ، وفساد العلماء باستيلاء حب المال والجاه ، ومن استولى عليه حب الدنيا فلم يقدر على الحسبة على الأراذل ، فكيف على الملوك والأكابر ، والله المستعان على كل حال**) إحياء علوم الدين ج92/7.

وأما الإمام الجليل ابن تيمية فقد قضى عمره في صراع مع من فسد من علماء السلاطين ، وأئمة البدع ، وكان معاصرا للدولة المملوكية في القرن الثامن في عهد محمد بن قلاوون فيما كانت هجمات التتار تعصف ببلاد الشام . حتى بلغ به أن يقول مما يرى من نفاق علماء السلاطين وممالأتهم للأمراء على جورهم وفساد أحوالهم ، فقال :

(**ومتى ترك العالم ما علمه من كتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم ، واتبع حكم الحاكم المخالف لحكم الله ورسوله كان مرتدا كافرا يستحق العقوبة في الدنيا والآخرة !!**) الفتاوى ج35 ص372-373 .

وأما ابن حزم الذي عاش زمن ملوك الطوائف ، فقد مر قوله يعرض بفقهاء القصور ، وعلماء السلطان في زمانه :

(.. مسلطون لليهود و النصارى على قوارع طرق المسلمين . معتذرون بضرورة لا تبيح ما حرم الله. غرضهم منها استدامة إنفاذ أمرهم ونهيهم .

فلا تغالطوا أنفسكم ، **ولا يغرنكم الفساق والمنتسبون إلى الفقه ، اللابسون جلود الضأن على قلوب السباع. المزينون لأهل الشر شرهم . الناصرون لهم على فسقهم ...**) وقد طفحت كتب التاريخ بما سجله علماء الحق ، وأئمة الهدى الذين اعتزلوا قطار الظلم والضلال مما عانوه وشاهدوه من فساد طبقة علماء السلاطين ، وممالأتهم للأمراء.

وكان هذا من أسباب فساد الأحوال التي مهدت ، لتتابع العقاب السنني القدري ، باجتياح غارات الأعداء لعقر ديار المسلمين . قال تعالى :

﴿ وَإِذَا أَرَدْنَا أَنْ نُهْلِكَ قَرْيَةً أَمَرْنَا مُتْرَفِيهَا فَفَسَقُوا فِيهَا فَحَقَّ عَلَيْهَا الْقَوْلُ فَدَمَّرْنَاهَا تَدْمِيراً ﴾ (الإسراء:16)

وهكذا جرت السنن على تلك الممالك ومن عاش فيها من حكام ومحكومين ..

﴿ وَكَذَلِكَ أَخْذُ رَبِّكَ إِذَا أَخَذَ الْقُرَى وَهِيَ ظَالِمَةٌ إِنَّ أَخْذَهُ أَلِيمٌ شَدِيدٌ ﴾ (هود:102) .

وهكذا مضت الأمم وتفانت الدول ، وبقيت العبرة مريرة والسنن ماضية .. قال تعالى :

﴿ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا إِلَى أُمَمٍ مِنْ قَبْلِكَ فَأَخَذْنَاهُمْ بِالْبَأْسَاءِ وَالضَّرَّاءِ لَعَلَّهُمْ يَتَضَرَّعُونَ * فَلَمَّا نَسُوا مَا ذُكِّرُوا بِهِ فَتَحْنَا عَلَيْهِمْ أَبْوَابَ كُلِّ شَيْءٍ حَتَّى إِذَا فَرِحُوا بِمَا أُوتُوا أَخَذْنَاهُمْ بَغْتَةً فَإِذَا هُمْ مُبْلِسُونَ * فَقُطِعَ دَابِرُ الْقَوْمِ الَّذِينَ ظَلَمُوا وَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴾ (الأنعام:45 - 42) .

وهكذا هجم الروم والصليبيون على بلاد المسلمين من الغرب ، واجتاحهم المغول من الشرق ، وسقطت بلاد الإسلام والمسلمين تحت سنابك خيل العدو . ليسجل لنا التاريخ أهوالا يشيب لذكرها الولدان ، وتقشعر لها الأبدان . بما كسبت أيدي الناس حكاما ومحكومين ولله الأمر من قبل ومن بعد .

(إِنَّ فِي ذَلِكَ لَذِكْرَى لِمَنْ كَانَ لَهُ قَلْبٌ أَوْ أَلْقَى السَّمْعَ وَهُوَ شَهِيدٌ) (قّ:37) .

الغزو الخارجي للعالم الإسلامي

في خضم تلك الأحداث التي سادت العالم الإسلامي من انقسام دوله وتسارع انهيارها ، وتنازع ملوكها وسلاطينها وأمرائها وقادتها ، وإفناء بعضهم البعض بالحروب في التزاحم على السلطة والاستئثار بها.

في خضم تلك الأحداث كان العالم الإسلامي هدفا لعدوان انصب عليه من المغرب والمشرق.

* فمن المغرب شنت أوروبا المسيحية عليه خلال قرنين من الزمان سبع حملات صليبية على بلاد الشام ومصر.

وفي بلاد الأندلس تتابعت حملات الإسبان الصليبية، وكانت البابوية صاحبة الدعوة لهذه الحروب .

* ومن المشرق اقتحمت جيوش المغول (التتار) الدول الإسلامية في بلاد ما بين النهرين وتجاوزتها إلى إيران والعراق وآسيا الصغرى وأخيرا بلاد الشام متجهة إلى مصر.

وقد تمكنت دولة الأيوبيين ومن بعدها دولة المماليك من صد هذه الحملات في موقعتين شهيرتين هما (حطين) مع الصليبيين ، و (عين جالوت) مع التتار .

أما في بلاد الأندلس فكان الصراع على الملك بين الملوك والانشغال به عن أمور الدويلات المتصارعة القدر المحتوم للنهاية التي ختمت بها دولة الإسلام بعد حكم دام ثماني مئة عام.

<u>أولاً- النورمانديون يخرجون المسلمين من جنوب إيطاليا وصقلية:</u>

في عام 212هـ استولى العرب على جزيرة صقلية بقيادة قاضي القيروان أسد ابن الفرات في عهد زيادة الله الأول الأغلبي، أمير إفريقية (تونس) واكتمل فتحها سنة 248هـ وأقيمت مدينة (بالرمو) عاصمة لها، وضمت إلى دولة الأغالبة في تونس.

وفي عام 226هـ اجتاز العرب البحر من شمال صقلية إلى جنوب إيطاليا واستولوا على مدينة (باري) وألحقوها بدولتهم بصقلية.

وفي عام 297هـ انقضت دولة الأغالبة باستيلاء العبيديين عليها بزعامة عبيد الله المهدي وألحقوها بدولتهم التي أقاموها في تونس حتى سنة 336هـ إذ ثار الكلبيون في صقلية على حكم العبيديين واستقلوا بها بزعامة الحسن بن علي الكلبي.

وفي عام 432هـ استولى النورمانديون على جنوب إيطاليا بزعامة (تنكريد ده هوتفيل toncred de hauteville) وأقاموا فيها دولة نورماندية وأخرجوا العرب من مدينة (باري).

وفي عام 464هـ اجتاز النورمانديون البحر إلى صقلية بزعامة (روبير جيسكار الأول rober jescar i) وأخذوا بطرد العرب منها وأتموا الاستيلاء عليها سنة 480هـ ، وأزالوا الحكم العربي وانطوى علمه، الذي كان خفاقا مدة (270) عاما.

ثانياً - الحروب الصليبية: أسبابها وعواملها :

ترجع هذه الحروب في أسبابها إلى ثلاثة عوامل مجتمعة: دينية وسياسية واقتصادية.

ففي أعقاب خطاب ألقاه البابا (أوربان الثالث) في مدينة كليرمون فران clermont ferrand) بفرنسا في 26 نوفمبر - تشرين الثاني - سنة 488 / 1095م استجاب فيه لنداء من الإمبراطور البيزنطي ألكسيس كومنين يطلب منه العون ضد السلاجقة الأتراك وإعلان الحرب عليهم. لبس لباس النسك وعرف ببطرس الناسك، وفيها دعا إلى حرب المسلمين واسترداد بيت المقدس من أيديهم.

وقد استجاب لنداء البابا وصيحة الراهب فئات ثلاث: الفقراء و الأقنان (أرقاء الأرض)، وأمراء الإقطاع، وأصحاب التجارات. فأما الفقراء وهم الطبقة الكبرى فكانوا يعيشون في قلة وحرمان، تفتك فيهم الأوبئة التي كانت تجتاح أوربا ومثلهم الأقنان، وهم الأرقاء المرتبطون بأراضي السادة الإقطاعيين، يملكهم السيد الإقطاعي مع الأرض. فكان هؤلاء يحلمون ببلاد فيها كل النعيم ويطمعون بغفران الكنيسة لخطاياهم، وكانت هذه هي القوة الروحية الدافعة للحرب.

وأما أمراء الإقطاع فكانوا فئتين، فئة تملك اللقب والمال وفئة فقيرة تملك اللقب ولا تملك المال، وذلك أن شريعة الإرث في نظام الإقطاع كانت تقضي بتوريث الولد البكر اللقب والمال وتخص الآخرين من الأبناء باللقب دون المال، وكان يطلق عليهم اسم (المعدمين sans avoir) أي الذين لا يملكون شيئا أو يطلق عليهم اسم (بدون أرض sans terre) أي الذين لا يملكون أرضا.

وكان الأمراء المالكون للإقطاع في صراع فيما بينهم، وكانت الدعوة للحرب الصليبية سببا في عقد أيديهم بالصلح وتحويل الصراع إلى قتال المسلمين. أما الأمراء الذين لا يملكون فكانوا ينتزعون معيشتهم بالقتل والقتال، ينقمون على مجتمع خصهم بالحرمان، فكانت الدعوة لحرب المسلمين منفرجا لهم ومنعرجا في سلوكهم، فانضمت أفواجهم إليها طمعا في أرض يملكونها وغنائم ينعمون بها. وأما أصحاب التجارات فهم أصحاب المدن البحرية الذين يملكون السفن ويحلمون بالوصول إلى شواطئ بلاد الشام لإقامة علاقات تجارية مع مدنها، وقد حققت مدن جنوة و بيزا والبندقية الإيطالية أحلامها وجنت أرباحا كبيرة في نقل الحملات الصليبية والاتجار مع بلاد مصر والشام. وقد تعاقبت الحروب الصليبية في سبع حملات في مدى مائتي عام:

■ الحملة الصليبية الأولى (491هـ / 1097 م) :

وتقسم إلى قسمين :

الحملة الشعبية : وقد قادها بطرس الناسك ، والأسقف مونتي ، وتكونت مـن جمـوع غفـيرة غير منتظمة ولا مؤتلفة، وكان أكثرها من الفرنسيين، لأن الدعوة لحرب المسلمين جـاءت مـن (بابـا) فرنسي وصدرت من بلدة فرنسية ونادى بها راهب فرنسي. لذلك كان المسـلمون يسـمون الصـليبيين بالفرنجة وهو الاسم القديم للفرنسيين في ذلك الزمان من العوام والغوغـاء تحركـوا بغـير تجهيـز ولا ترتيب ، واعتمدوا في طريقهم النهب والسلب، فقاتلهم الناس عـلى طـول طـريقهم في بلـدان أوربـا الشرقية ، ثم مروا بالقسطنطينية ، وعبروا منها إلى أسيا الصـغرى ، وهنـاك تـولى السـلاجقة القضـاء عليهم بكل سهولة .

حملة الأمراء : وقد تحركت في إثرها وقد تألفت هذه الحملة من خليط من أمـراء أوربيـين . وقـد تـولى قيـادة تلـك الجمـوع أمـراء فرنسـيون توجهـوا بهـا بطريـق الـبر واجتـازوا بهـا مدينـة القسطنطينية، وتمكنت الحملة من شق طريقها إلى الحدود الفاصلة بين شرق الأناضول وبلاد الشـام فافترقت إلى ثلاث فرق، فرقة اتجهت شرقا واحتلت مدينة (الرها edesse) سنة 491هـ وأقامت بها إمارة صليبية بزعامة (بودوان الأول baudouin)

وفرقة اتجهت نحـو الجنـوب ودخلـت بـلاد الشـام باتجـاه سـاحل المتوسـط واحتلـت مدينـة أنطاكيـة سـنة 492هــ وأقامـت فيهـا إمـارة صـليبية أخـرى بزعامـة (بوهمنـد الثـاني النورمانـدي(bohemond II) ثم اتجهت نحو القدس فوصلتها سنة 493هـ /1099م وأطبقت عليها بحصـارها، ولم تتمكن الحامية الفاطمية من الدفاع عنها فاستسلمت ودخلها الصليبيون في يوم 15 تموز / يوليو / سنة 1099م وأثخنوا القتل في أهلها من مسلمين ويهود ومسيحيين أرثوذكس ، ويعـترف المؤرخـون الأوروبيـون بهـول مـا فعلـه الصـليبيون وفي ذلـك تقـول المؤرخـة الألمانيـة (زوي أولـدنبورغ zoe oldenburg) في كتابهـا عـن الحـروب الصـليبية: (إن المذبحـة التـي أقـدم عليهـا الصـليبيون في اجتياحهم القدس تعد في عداد أكبر جرائم التاريخ).

وقـد أقـام الصـليبيون في القـدس مملكـة صـليبية بزعامـة أمـير اللـورين (غـودفراده بويـون godefroy de bouillon) وفي عام 1100م توجه لحصار عكا فأصابه سهم فقتل وخلفـه أخـوه (بودوان baudouin).

الحملة الصليبية الثانية (539هـ / 1145 م):

في عام 539هـ / 1144م استرد أمير الموصل عماد الدين زنكي مدينة الرها من الصليبيين ، وأسقط إمارتها فتألفت بسببها حملة صليبية ثانية بزعامة كونراد الثالث (Conrad III) ملك ألمانيا ولويس التاسع (Louis ix) ملك فرانسا . ولكن عماد الدين زنكي دحرهم ، وبعد أن اغتال الحشاشون الباطنية عماد الدين زنكي ، حمل ابنه نور الدين زنكي لواء الجهاد ضد الصليبيين ، واستطاع استرداد مدينة انطاكية سنة (559هـ / 1163 م) ، وهكذا عادت الحملة الثالثة أدراجها بعد فشلها في حصار دمشق. ثم تابع نور الدين جهادهم طيلة حياته بلا كلل .

ولما ورث صلاح الدين الأيوبي مملكة نور الدين ، وأقام الدولة الأيوبية حمل الأمانة بهمة وتفاني ، وتتالت انتصاراته إلى أن توجها بمعركة حطين (583هـ / 1187م) حيث أسر فيها ملك بيت المقدس الصليبي(جان لوزجنان) وكبار أمراء الصليبيين ، و قتل أرناط الذي قطع طريق الحج وكان سبب انهيار الهدنة بينه وبينهم . ثم تابع صلاح الدين بعد حطين ، فاسترد طبريا ، وعكا ، و قيسارية ،وحيفا ، ويافا ، وصيدا ..مما سبب قدوم الحملة الثالثة .

الحملة الصليبية الثالثة (583هـ / 1187م) :

نتيجة انتصارات صلاح الدين ، تألفت حملة صليبية ثالثة بزعامة فردريك بارباروس الأول ملك ألمانيا (Fredric barbarous) و (فيليب أوغست Philippe Augusta) ملك فرنسا و (ريتشارد قلب الأسد Richard Coeur de lion) ملك إنكلترا.

وقد سلك فردريك طريق البر واجتاز القسطنطينية إلى بر الأناضول وغرق أثناء عبوره نهرا في (كليكيا) وتشتتت حملته ، وعاد فيليب أوغست إلى فرنسا بعد اختلافه مع ريتشارد قلب الأسد وزعموا أن ذلك كان لمرضه. أما ريتشارد قلب الأسد فقد تابع طريقه ،ولكن صلاح الدين تمكن من فتح بيت المقدس (583هـ /1187م) ثم عقد صلحا مع ريتشارد قلب الأسد دعي بصلح الرملة سنة (588هـ - 1192م). رجع ريتشارد على إثره إلى بلاده .

الحملة الصليبية الرابعة (595هـ / 1198 م) :

بعد استرداد بيت المقدس ، استصرخ البابا (أنوست الثالث) ملوك أوربا لاسترداد بيت المقدس ، وفي عام 598 هـ / 1202م تألفت حملة صليبية أعدها أمراء فرنسيون منهم (بودوان التاسع أمير فلاندر) و (تيبو الثالث أمير شامباني) و (لويس أمير بلوا) وآخرون، وكانت مصر هدفا لهم. وقد اتفقوا مع ملاحي البندقية على نقلهم إلى الإسكندرية. ولما علم الملك العادل الأيوبي بهذا الاتفاق، منح البنادقة امتيازات تجارية فتحول قادة الحملة إلى القسطنطينية فاجتاحوها وأقاموا فيها دولة

لاتينية سنة (600هـ/1204م) ولّوا عليها بـودوان التاسـع ملكا وأعلنـوا المـذهب الكـاثوليكي وقـد استمرت هذه الدولة قائمة حتى سنة 658 هـ /1260م . ولكن بعض جنود الحملـة تـابعوا طـريقهم وانضم إليهم بعض الصليبيين من سواحل الشام وهاجموا مدينة رشـيد في دلـت النيـل ، وفشـلوا في دخولها وعادوا خائبين لم تحقق هدفها كحملة صليبية.

<u> حملة الأطفال (608هـ / 1212 م) :</u>**

بعد شيوع أخبار سقوط بيت المقدس وفشل الحملة الرابعة عـم السـخط الأوسـط الأوربيـة ، وتعاظم الحماس الديني حتى بين الأطفال ، الذين زعـم أحـدهم أن العنايـة الإلهيـة كلفتـه بقيـادة الحملة وانضم بعض القساوسة للترويج لها ، حيث توجه بالأطفال مـن قـادهم إلى مـوانئ إيطاليـا ، حيث حملتهم السفن إلى موانئ الشام ، حيث يروى أن تجار الرقيق غدروا بهـم حيـث بـاعوهم في أسواق النخاسة في المشرق .

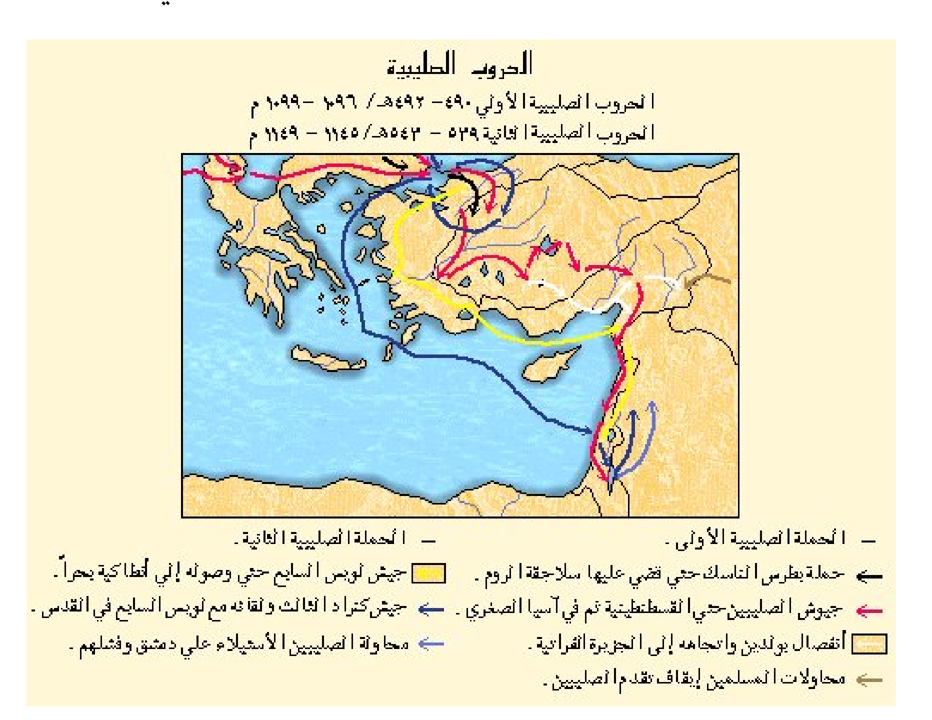
- **<u>الحملة الصليبية الخامسة (614هـ /1212 م) :</u>**

تألفت هذه الحملـة سـنة 615 هــ / 1219م بزعامـة (جـان ده بريـان Jean de brienne) ملك بيت المقدس الذي أراد حمايـة أملاكـه في الشـام ، واتجهـت الحملـة إلى مصرـ فاسـتولت عـلى مدينة دمياط نتيجة مرض الملك الكامل ، ثم اتجهوا إلى مدينة فارسكو ، وقت فيضان النيـل ، ففـتح الفلاحون عليهم سيول ماء النيل ، ثم هاجمتهم جيوش الكامل وغنمت معظم سـفنهم وسـلاحهم ، ثم استرد المصريون دمياط وأجلوا الحملة عن مصر.

الحملة الصليبية السادسة (625هـ / 1228 م) :

أعد هذه الحملة الملك (فردريك الثاني، ملك ألمانيا Frederic)بتحريض من البابوية . فقد توجه بحملته سنة 625 هـ / 1228م إلى بلاد الشام بطريق البحر، وكان الملك الكامل، صاحب مصر، قد استنجد به ليعينه على أخيه الملك المعظم عيسى لكي ينتزع منه دمشق وفق شروط تم الاتفاق عليها منها تسليمه القدس وقدم فردريك بحملته إلى عكا. وكان الملك المعظم عيسى قد توفي وخلفه ابنه الملك المنصور داود فتصالح مع عمه الملك الكامل وسلمه دمشق حيث أعطاه بدلا منها مدن صرخد و الشوبك والكرك.

وباستلام الملك الكامل لمدينة دمشق نفذ شروط الاتفاق وسلم فردريك مدينة القدس فدخلها وتوج نفسه ملكا عليها وعاد إلى بلاده وبذلك أنهى مهمة الحملة الصليبية التي قادها دون قتال.



تكوين الإمارات الصليبية بالشام
نتيجة للحملة الصليبية الأولى

سلطنة سلاجقة الروم
إمارة الرها
مملكة أرمينا
الدولة البيزنطية
نهر الخابور
الإسكندرونة
حلب
أنطاكية
الرقة
نهر الفرات
اللاذقية
قبرص
طرابلس
حمص
بيروت
دمشق
عكا
أرسوف
نهر الأردن
يافا
بيت المقدس
غزه
الكرك
الدولة الفاطمية



▪ <u>الحملة الصليبية السابعة (647هـ / 1249م) :</u>

جهز هذه الحملة الملك الفرنسي لويس التاسع الملقب – لتدينه - بالقديس لويس، ووجهها نحو مصر، فقد رأى أن استرداد بيت المقدس عن طريق مصر أيسر من استردادها عن طريق بلاد الشام . فتوجه بحملة بحرية إلى مصر سنة 646 هـ / 1249م واستولى على مدينة دمياط نتيجة مرض الملك الصالح نجم الدين أيوب . ثم توجه لحصار المنصورة . وخلال الموقعة التي جرت فيها بينه وبين المسلمين توفي الملك الصالح نجم الدين أيوب فأخفت زوجته شجرة الدر الخبر ، وقاد ابنها توران شاه ، وقائد أبيه ومملوكه (المعز إيبك) المعركة التي كتب فيها النصر ، وأسر الملك الفرنسي مع جملة من أمراء الحملة، وأودعوا السجن في دار ابن لقمان ثم أطلق لقاء فدية كبيرة.

<u>** محاولة صليبية لغزو مصر من إفريقية:</u>

لم يبرح الملك لويس التاسع التفكير بغزو مصر وعزم على تنفيذ فكرته بغزوها عن طريق إفريقية (تونس) فقاد إليها سنة 669 هـ / 1270م حملة، ولكن القدر كان أغلب منه ، فقد نبا به جواده وهلك ، وقيل أن هلاكه كان بسبب الوباء . وهكذا باءت خطته بالفشل والخسران .

وقد توقفت بعد هذه الحملة الحملات الصليبية على بلاد الشام ومصر وانصرف أمراء أوربا إلى حروبهم الداخلية هناك . غير أن احتلال الصليبيين لبعض مدنها وقلاعها ظل قائما إلى أن جاءت دولة المماليك البحرية فجرد عليهم الملك الظاهر بيبرس البندقداري ومن بعده الملك قلاوون جيوشه وأخرجهم من بلاد الشام فتحررت منهم بعد مائتي عام ونيف من السنين قضوها في بعض مناطقها ، و كانت سنة (648هـ / 1291م) سنة سقوط عكا ، آخر معاقل الصليبيين في بلادنا موعد تنظيف سواحل الشام من دنسهم .

ثالثاً- اجتياح التتار(المغول) للعالم الإسلامي :

قامت دولة المغول بزعامة مغولي يدعى (تيموجين) ، وقد تمكن من جمع أشتات قبيلته والاستيلاء على بلاد الصين وبلاد التيبت وقهر الشعوب المحيطة بدولته، فدعاه شيوخ قبيلته (جنكيزخان) أي الملك القاهر وأصبح معروفا بهذا اللقب.

وقد أراد أن يقيم علاقات حسن جوار مع دولة خوارزم وكانت أكبر دولة إسلامية في المشرق وملكها يومئذ علاء الدين محمد، لتأمين التبادل التجاري مع بلاده وحماية القوافل التجارية مع البلاد الإسلامية، فأرسل إليه رسلا يحملون كتابا منه يطلب فيه أن يتعهد له بتأمين التبادل التجاري وحماية القوافل التجارية، فلم يجد خوارزم شاه في عبارة الكتاب ما يليق بمقامه، فقد وجد أن جنكيزخان يخاطبه كما يخاطب ابنه، فوافق على طلبه على مضض ، وكتم غيظه حتى وقعت الواقعة.

فقد توجهت قافلة كبيرة. تحمل أموالا ثمينة، فلما اجتازت حدود خوارزم ودخلت مدينة (أترار) قبض عاملها على أفرادها فقتلهم وصادر أموال القافلة، وقيل إن ما فعله كان بأمر شاه خوارزم علاء الدين . فلما علم جنكيز خان بالأمر صمم على الانتقام ، وتوجه سنة 614هـ على رأس جيش جرار، فغزا خوارزم وأخرب مدنها ومنها سمرقند و بخارى وقتل من فيها من السكان، ولم يستطع علاء الدين خوارزم شاه مقاومة هذا الغزو، فهرب من وجه المغول، فتبعوه وأخذوا يطاردونه حتى بلغ بحر قزوين فلجأ إلى جزيرة فيه، وفيها توفي سنة 617هـ مطرودا منسيا.

فخلفه ابنه جلال الدين منكبرتي، فكان أسوأ حظا من أبيه، وأمضى مدة ملكه مع فلول جنده، هاربا من إقليم إلى إقليم، حتى انتهى به المطاف سنة 629هـ إلى ميافارقين بجزيرة عمر، فأوى إلى قرية قريبة منها، فدخل عليه من اغتاله فقضى شريدا، وبه انتهت دولة خوارزم.

وعاد جنكيزخان إلى بلاده، وتولى حفيده (هولاكو) قيادة جحافل المغول متجها نحو المشرق، يغير على مدنه ويمعن فيها القتل والسبي والنهب، حتى أحاطت جيوشه ببغداد في شهر صفر سنة 656هـ فاجتاحها وأخذ جنده في تخريبها وسفك دماء أهلها، ولم يسلم الخليفة المستعصم بالله من نقمة المغول فقتلوه مع أهله في اليوم الرابع من شهر صفر من ذلك العام وبقتله انقضت دولة بني العباس ببغداد.

خلاصة أحوال المسلمين إبان اجتياح التتار بحسب رواية ابن كثير رحمه الله :

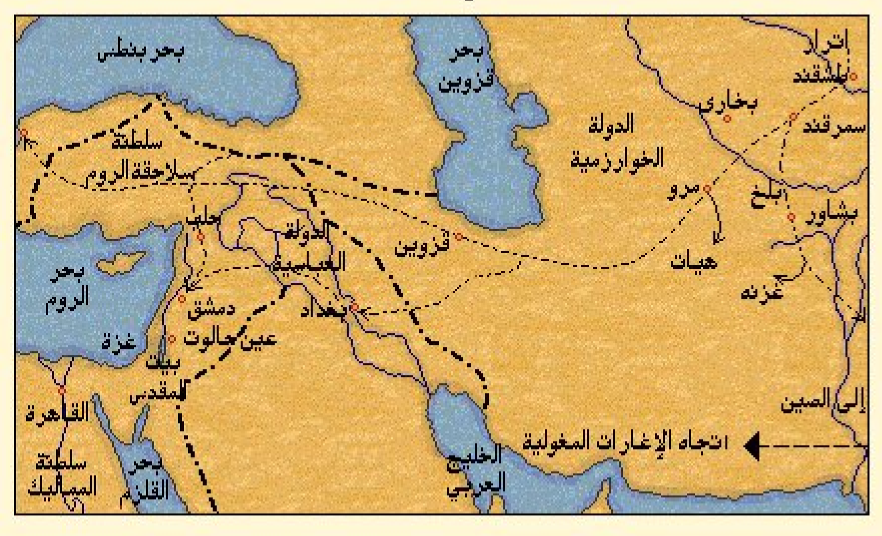
وسأورد مجملا عنها بشيء من الإسهاب لما فيها من الدروس والعبر والتشابه مع أحوالنا هذه الأيام . والله المستعان .

قال ابن كثير رحمه الله :

ففي سنة616 هـ :

عبر التتار نهر جيحون بصحبة ملكهم جنكيزخان من بلادهم وكانوا يسكنون جبال طمغاج من أرض الصين ، وسبب دخولهم نهر جيحون أن جنكيزخان بعث تجارا له ومعهم أموال كثيرة إلى بلاد خوارزم شاه يتبضعون له ثيابا للكسوة فكتب نائبها إلى خوارزم شاه يذكر له ما معهم من كثرة الأموال فأرسل إليه بأن يقتلهم ويأخذ ما معهم ففعل ذلك . فلما بلغ جنكيزخان خبرهم أرسل يتهدد خوارزم شاه . فلما تهدده أشار من أشار على خوارزم شاه بالمسير إليهم فسار إليهم وهم في شغل شاغل بقتال كشلى خان فنهب خوارزم شاه أموالهم وسبى ذراريهم وأطفالهم فأقبلوا إليه محروبين . فاقتتلوا معه أربعة أيام قتالا لم يسمع بمثله أولئك يقاتلون عن حريمهم والمسلمون عن أنفسهم يعلمون أنهم متى ولوا استأصلوهم، فقتل من الفريقين خلق كثير حتى إن الخيول كانت تزلق في الدماء.

وكان من جملة من قتل من المسلمين نحوا من عشرين ألفا ومن التتار أضعاف ذلك ثم تحاجز الفريقان وولى كل منهم إلى بلاده ولجأ خوارزم شاه وأصحابه إلى بخارى و سمرقند فحصنها وبالغ في كثرة من ترك فيها من المقاتلة ورجع إلى بلاده ليجهز



الجيوش الكثيرة فقصدت التتار بخارى وبها عشرون ألف مقاتل فحاصرها جنكيزخان ثلاثة أيام فطلب منه أهلها الأمان فأمنهم ودخلها فأحسن السيرة فيهم مكرا وخديعة وامتنعت القلعة عليه ففتحوها فقتل من كان بها، ثم عاد إلى البلد فاصطفى أموال تجارها وأحلها لجنده فقتلوا من أهلها خلقا لا يعلمهم إلا الله عز وجل وأسروا الذرية والنساء و فعلوا معهن الفواحش بحضرة أهليهن فمن الناس من قاتل دون حريمه حتى قتل ومنهم من أسر فعذب بأنواع العذاب وكثر البكاء والضجيج بالبلد من النساء والأطفال والرجال ثم ألقت التتار النار في دور بخارى ومدارسها ومساجدها فاحترقت حتى صارت بلاقع خاوية على عروشها ثم كروا راجعين عنها قاصدين .

وفي سنة 617 هـ:

عم البلاء بجنكيز خان المسمى بتموجين لعنه الله تعالى ومن معه من التتار قبحهم الله أجمعين واستفحل أمرهم واشتد إفسادهم من أقصى بلاد الصين إلى أن وصلوا بلاد العراق وما حولها حتى انتهوا إلى إربل وأعمالها . فملكوا في سنة واحدة وهي هذه السنة سائر الممالك إلا العراق والجزيرة والشام ومصر وقهروا جميع الطوائف التي بتلك النواحي الخوارزمية و القفجاق و الكرج و اللان و الخزر وغيرهم وقتلوا في هذه السنة من طوائف المسلمين وغيرهم في بلدان متعددة كبار مالا يحد ولا يوصف وبالجملة فلم يدخلوا بلدا إلا قتلوا جميع من فيه من المقاتلة والرجال وكثيرا

من النساء والأطفال، وأتلفوا ما فيه بالنهب إن احتاجوا إليه وبالحريق إن لم يحتاجوا إليه وأكثر ما يحرقون المساجد والجوامع.

وكانوا يأخذون الأسارى من المسلمين فيقاتلون بهم ويحاصرون بهم وإن لم ينصحوا في القتال قتلوهم، وقد بسط ابن الأثير في كامله خبرهم في هذه السنة بسطا حسنا مفصلا قال: فنقول هذا فصل يتضمن ذكر الحادثة العظمى والمصيبة الكبرى التي عقمت الليالي والأيام عن مثلها ،عمت الخلائق وخصت المسلمين فلو قال قائل إن العالم منذ خلق الله آدم وإلى الآن لم يبتلوا بمثلها لكان صادقا فإن التواريخ لم تتضمن ما يقاربها ولا يدانيها ومن أعظم ما يذكرون من الحوادث ما فعل بختنصر ببني إسرائيل من القتل وتخريب بيت المقدس وما البيت المقدس بالنسبة إلى ما خرب هؤلاء الملاعين من البلاد التي كل مدينة منها أضعاف البيت المقدس وما بنو إسرائيل بالنسبة لما قتلوا فإن أهل مدينة واحدة ممن قتلوا أكثر من بني إسرائيل ولعل الخلائق لا يرون مثل هذه الحادثة إلى أن ينقرض العالم وتفنى الدنيا إلا يأجوج و مأجوج.

وأما الدجال فإنه يبقي على من اتبعه ويهلك من خالفه وهؤلاء لم يبقوا على أحد بل قتلوا الرجال والنساء والأطفال وشقوا بطون الحوامل وقتلوا الأجنة . فإنا لله وإنا إليه راجعون ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم ، لهذه الحادثة التي استطار شررها وعم ضررها وسارت في البلاد كالسحاب استدبرته الريح فإن قوما خرجوا من أطراف الصين فقصدوا بلاد تركستان مثل كاشغر و بلاساغون ، ثم منها إلى بلاد ما رواء النهر مثل سمرقند و بخارى وغيرهما فيملكونها ويفعلون بأهلها ما نذكره، ثم تعبر طائفة منهم إلى خراسان فيفرغون منها ملكا وتخريبا وقتلا ونهبا، ثم يجاوزونها إلى الري و همذان وبلد الجبل وما فيه من البلاد إلى حد العراق ثم يقصدون بلاد اذربيجان و أران ويخربونه ويقتلون أكثر أهلها ولم ينج منهم إلا الشريد النادر في أقل من سنة هذا ما لم يسمع بمثله.

ثم ساروا إلى دربند شروان فملكوا مدنه ولم يسلم غير قلعته التي بها ملكهم وعبروا عندها إلى بلد اللان اللكز ومن في ذلك الصقع من الأمم المختلفة فأوسعوهم قتلا ونهبا وتخريبا، ثم قصدوا بلاد قفجاق وهم من أكثر الترك عددا فقتلوا كل من وقف لهم وهرب الباقون إلى الغياض وملكوا عليهم بلادهم وسارت طائفة أخرى إلى غزنة وأعمالها وما يجاورها من بلاد الهند و سجستان وكرمان ففعلوا فيها مثل أفعال هؤلاء وأشد.

هذا ما لم يطرق الأسماع مثله فإن الإسكندر الذي اتفق المؤرخون على أنه ملك الدنيا لم يملكها في سنة واحدة إنما ملكها في نحو عشر سنين ولم يقتل أحدا بل رضي من الناس بالطاعة وهؤلاء قد ملكوا أكثر المعمور من الأرض وأطيبه وأحسنه عمارة وأكثره أهلا وأعدلهم أخلاقا وسيرة في نحو سنة ولم يتفق لأحد من أهل البلاد التي لم يطرقوها بقاء إلا وهو خائف مترقب وصولهم وهم مع ذلك

يسجدون للشمس إذا طلعت ولا يحرمون شيئا ويأكلون ما وجدوه من الحيوانات والميتات لعنهم الله تعالى.

قال وإنما استقام لهم هذا الأمر لعدم المانع؛ لأن السلطان خوارزم شاه محمد كان قد قتل الملوك من سائر الممالك واستقر في الأمور فلما انهزم منهم في العام الماضي وضعف عنهم وساقوا وراءه فهرب فلا يدري أين ذهب وهلك في بعض جزائر البحر. خلت البلاد ولم يبق لها من يحميها : (لِيَقْضِيَ اللَّهُ أَمْرًا كَانَ مَفْعُولاً وَإِلَى اللَّهِ تُرْجَعُ الأُمُورُ).

ثم قصد التتار سمرقند فحاصروها في أول المحرم من هذه السنة وبها خمسون ألف مقاتل من الجند فنكلوا وبرز إليهم سبعون ألفا من العامة فقتل الجميع في ساعة واحدة وألقى إليه الخمسون ألف السلم فسلبهم سلاحهم وما يمتنعون به وقتلهم في ذلك اليوم واستباح البلد فقتل الجميع وأخذ الأموال وسبى الذرية وحرقه وتركه بلاقع فإنا لله وإنا إليه راجعون.

وأقام لعنه الله هنالك وأرسل السرايا إلى البلدان فأرسل سرية إلى بلاد خراسان وتسميها التتار المغربة وأرسل أخرى وراء خوارزم شاه وكانوا عشرين ألفا قال اطلبوه فأدركوه ولو تعلق بالسماء فساروا وراءه فأدركوه وبينهم وبينه نهر جيحون وهو آمن بسببه فلم يجدوا سفنا فعملوا لهم أحواضا يحملون عليها الأسلحة ويرسل أحدهم فرسه ويأخذ بذنبها فتجره الفرس بالماء وهو يجر الحوض الذي فيه سلاحه حتى صاروا كلهم في الجانب الآخر فلم يشعر بهم خوارزم شاه إلا وقد خالطوه فهرب منهم إلى نيسابور ثم منها إلى غيرها وهم في أثره لا يمهلونه يجمع لهم فصار كلما أتى بلدا ليجتمع فيه عساكره له يدركونه فيهرب منهم حتى ركب في بحر طبرستان وسار إلى قلعة في جزيرة فيه فكانت فيها وفاته.

وقيل إنه لا يعرف بعد ركوبه في البحر ما كان من أمره بل ذهب فلا يدرى أين ذهب ولا إلى أي مفر هرب وملكت التتار حواصله فوجدوا في خزانته عشرة آلاف ألف دينار (...) ثم ساروا إلى مازندران وقلاعها من أمنع القلاع بحيث إن المسلمين لم يفتحوها إلا في سنة تسعين من أيام سليمان بن عبد الملك ففتحها هؤلاء في أيسر مدة ونهبوا ما فيها وقتلوا أهاليها كلهم وسبوا وأحرقوا ثم ترحلوا عنها نحو الري فوجدوا في الطريق أم خوارزم شاه ومعها أموال عظيمة جدا فأخذوها وفيها كل غريب ونفيس مما لم يشاهد مثله من الجواهر وغيرها ثم قصدوا الري فدخلوها على حين غفلة من أهلها فقتلوهم وسبوا وأسروا.

ثم ساروا إلى همذان فملكوها، ثم إلى زنجان فقتلوا وسبوا ثم قصدوا قزوين فنهبوها وقتلوا من أهلها نحوا من أربعين ألفا ثم تيمموا بلاد أذربيجان فصالحهم ملكها أزبك بن البهلوان على مال حمله إليهم لشغله بما هو فيه من السكر وارتكاب السيئات والانهماك على الشهوات فتركوه وساروا إلى موقان فقاتلهم الكرج في عشرة آلاف مقاتل فلم يقفوا بين أيديهم طرفة عين حتى انهزمت

الكرج فأقبلوا إليهم بحدهم وحديدهم فكسرتهم التتار وقعة ثانية أقبح هزيمة وأشنعها، و ههنا قال ابن الأثير: ولقد جرى لهؤلاء التتار ما لم يسمع بمثله من قديم الزمان وحديثه طائفة تخرج من حدود الصين لا تنقضي عليهم سنة حتى يصل بعضهم إلى حدود بلاد أرمينية من هذه الناحية ويجاوزون العراق من ناحية همذان وتالله لا أشك أن من يجيء بعدنا إذا بعد العهد ويرى هذه الحادثة مسطورة ينكرها ويستبعدها والحق بيده فمتى استبعد ذلك فلينظر أننا سطرنا نحن وكل من جمع التاريخ في أزماننا هذه في وقت كل من فيه يعلم هذه الحادثة قد استوى في معرفتها العالم والجاهل لشهرتها يسر الله للمسلمين والإسلام من يحفظهم ويحوطهم فلقد دفعوا من العدو إلى أمر عظيم ومن الملوك المسلمين إلى من لا تتعدى همته بطنه وفرجه وقد عدم سلطان المسلمين خوارزم شاه .

قال وانقضت هذه السنة وهم في بلاد الكرج فلما رأوا منهم ممانعة و مقاتلة يطول عليهم بها المطال عدلوا إلى غيرهم وكذلك كانت عادتهم فساروا إلى تبريز فصالحهم أهلها بمال ثم ساروا إلى مراغة فحصروها ونصبوا عليها المجانيق و تترسوا بالأسارى من المسلمين وعلى البلد امرأة (ولن يفلح قوم ولوا أمرهم امرأة) ففتحوا البلد بعد أيام وقتلوا من أهله خلقا لا يعلم عدتهم إلا الله عز وجل وغنموا منه شيئا كثيرا وسبوا وأسروا على عادتهم لعنهم الله لعنة تدخلهم نار جهنم وقد كان الناس يخافون منهم خوفا عظيما جدا حتى إنه دخل رجل منهم إلى درب من هذه البلد وبه مئة رجل لم يستطع واحد منهم أن يتقدم إليه وما زال يقتلهم واحدا بعد واحد حتى قتل الجميع ولم يرفع منهم أحد يده إليه ونهب ذلك الدرب وحده ودخلت امرأة منهم في زي رجل بيتا فقتلت كل من في ذلك البيت وحدها ثم استشعر أسير معها أنها امرأة فقتلها لعنها الله.

ثم قصدوا مدينة إربل فضاق المسلمون لذلك ذرعا وقال أهل تلك النواحي هذا أمر عصيب وكتب الخليفة إلى أهل الموصل والملك الأشرف صاحب الجزيرة يقول إني قد جهزت عسكرا فكونوا معه لقتال هؤلاء التتار فأرسل الأشرف يعتذر إلى الخليفة بأنه متوجه نحو أخيه الكامل إلى الديار المصرية بسبب ما قد دهم المسلمين هناك من الفرنج وأخذهم دمياط التي قد أشرفوا بأخذهم لها على أخذ الديار المصرية قاطبة، وكان أخوه المعظم قد قدم عليه إلى حران يستنجده لأخيهما الكامل ليتحاجزوا الفرنج بدمياط وهو على أهبة المسير إلى الديار المصرية فكتب الخليفة إلى مظفر الدين صاحب إربل ليكون هو المقدم على العساكر التي يبعثها الخليفة وهي عشرة آلاف مقاتل فلم يقدم عليه منهم ثمانمائة فارس ثم تفرقوا قبل أن يجتمعوا فإنا لله وإنا إليه راجعون ولكن الله سلم بأن صرف همة التتار إلى ناحية همذان فصالحهم أهلها وترك التتر عندهم شحنة ثم اتفقوا على شحنتهم فرجعوا إليهم فحاصروهم حتى فتحوها قسرا وقتلوا أهلها عن آخرهم.

ثم ساروا إلى أذربيجان ففتحوا أردبيل ثم تبريز ثـم إلى بيلقـان فقتلـوا مـن أهلهـا خلقـا كثـيرا وجما غفيرا وحرقوها وكانوا يفجرون بالنساء ثم يقتلونهن ويشقون بطونهم عن الأجنة ثم عادوا إلى بلاد الكرج وقد استعدت لهم الكرج فاقتتلوا معهم فكسروهم أيضا كسرة فظيعة ثـم فتحـوا بلـدانا كثيرة يقتلون أهلها ويسبون نساءها ويأسرون من الرجال ما يقاتلون بهم الحصـون يجعلـونهم بـين أيديهم ترسا يتقون بهم الرمي وغيره ومن سلم منهم قتلوه بعد انقضاء الحرب.

ثم ساروا إلى بلاد اللان و القفجاق فاقتتلوا معهم قتالا عظيما فكسروهم وقصدوا أكـبر مـدائن القفجاق وهي مدينة سوداق وفيها من الأمتعة والثياب و التجائر من البرطاسي و القندز والسنجاب شيء كثير جدا ولجأت القفجاق إلى بلاد الروس وكانوا نصارى فاتفقوا معهم على قتال التتار فـالتقوا معهم فكسرتهم التتار كسرة فظيعة جدا ثم ساروا نحو بلغار في حـدود العشرـين وسـتمائة ففرغـوا من ذلك كله ورجعوا نحو ملكهم جنكيزخان لعنه الله وإياهم هذا ما فعلته هذه السرية المغربة.

وكان جنكيزخان قد أرسل سرية في هذه السنة إلى ترمذ فأخذتها وأخرى إلى فرغانة فملكوهـا وجهز جيشا آخر نحو خراسان فحاصروا بلخ فصالحهم أهلها وكذلك صالحوا مدنا كثيرة أخرى حتـى انتهوا إلى الطالقان فأعجزتهم قلعتها وكانت حصينة فحصروها ستة أشـهر حتـى عجـزوا فكتبـوا إلى جنكيزخان فقدم بنفسه فحاصرها أربعة أشهر أخرى حتى فتحها قهرا ثم قتل كل من فيها وكل من في البلد بكماله خاصة وعامة.

ثم قصدوا مدينة مرو مع جنكيزخان فقد عسكر بظاهرها نحو مـن مـائتي ألـف مقاتـل مـن العرب وغيرهم فاقتتلوا معه قتالا عظيما حتى انكسرـ المسـلمون! فإنـا للـه وإنـا إليـه راجعـون ثـم حصروا البلد خمسة أيام واستنزلوا نائبها خديعة ثم غـدروا بـه وبأهـل البلـد فقتلـوهم وغنمـوهم وسلبوهم وعاقبوهم بأنواع العذاب حتى إنهم قتلوا في يوم واحد سبعمائة ألف إنسان.

ثم ساروا إلى نيسابور ففعلوا فيها قريبا مما فعلـوا بأهـل مـرو ثـم إلى طـوس فقتلـوا وخربـوا مشهد على بن موسى والرشيد وتركوه خرابا ثم ساروا إلى هـراة فقتلـوا خلقـا واسـتنابوا عليهـا ، ثـم ساروا إلى غزنة فقاتلهم جلال الدين بن خوارزم شاه فكسرـهم، فعـادوا غـلى هـراة فـإذا أهلهـا قـد نقضوا فقتلوهم عن آخرهم ثم عادوا إلى ملكهم جنكزخان -لعنه الله وإياهم- ، وأرسـل جنكزخـان طائفة أخرى إلى مدينة خوارزم فحاصروهـا حتـى فتحـوا البلـد قهـرا فقتلـوا مـن فيهـا قـتلا ذريعـا ونهبوها وسبوا أهلها وأرسلوا الجسر الذي يمنع ماء جيحون عنها فغرقت دورها وهلك جميع أهلها.

ثم عادوا إلى ملكهم جنكزخان وهو مخيم على الطالقان فجهز منهم طائفـة إلى غزنـة فاقتتـل معهم جلال الدين بن خوارزم شاه فكسرهم جلال الدين كسرة عظيمـة واسـتنقذ مـنهم خلقـا مـن أسارى المسلمين ثم كتب إلى جنكزخان يطلب منه أن يبرز بنفسه لقتاله فقصده جنكزخان فتواجها -وقد تفرق على جلال الدين بعض جيشه- ولم يبق بد من القتال فاقتتلوا ثلاثة أيـام لم يعهـد قبلهـا

مثلها من قتالهم ثم ضعف أصحاب السلطان جلال الدين بن خوارزم شاه فذهبوا فركبوا في بحر الهند فسارت التتار إلى غزنة فأخذوها بلا كلفة ولا ممانعة كل هذا أو أكثره وقع في هذه السنة.

وفي سنة 618 :

استولت التتار على كثير من البلدان كمراغة و همذان و أردبيل و تبريز و كنجة وقتلوا أهاليها ونهبوا ما فيها و استأسروا ذراريها واقتربوا من بغداد فانزعج الخليفة لذلك وحصن بغداد واستخدم الأجناد وقنت الناس في الصلوات والأوراد.

وفيها قهروا الكرج و اللان ثم قاتلوا القفجاق فكسروهم وكذلك الروس، وينهبون ما قدروا عليه ثم قاتلوهم وسبوا نساءهم و ذراريهم.

وفي سنة 621 هـ :

وصلت سرية من جهة جنكزخان غير الأولتين إلى الري وكانت قد عمرت قليلا فقتلوا أهلها أيضا ثم ساروا إلى ساوة ثم إلى قم و قاشان ولم تكونا طرقتا إلا هذه المرة ففعلوا بها مثل ما تقدم من القتل والسبي ثم ساروا إلى همذان فقتلوا أيضا وسبوا ثم ساروا إلى خلف الخوارزمية إلى أذربيجان فكسروهم وقتلوا منهم خلقا كثيرا فهربوا منهم إلى تبريز فلحقوهم وكتبوا إلى ابن البهلوان إن كنت مصالحا لنا فابعث لنا بالخوارزمية و إلا فأنت مثلهم فقتل منهم خلقا وأرسل برؤوسهم إليهم مع تحف وهدايا كثيرة هذا كله وإنما كانت هذه السرية ثلاثة آلاف و الخوارمية وأصحاب البلهوان أضعاف أضعافهم ولكن الله تعالى ألقى عليهم الخذلان والفشل فإنا لله وإنا إليه راجعون .

وفي سنة 622:

عاثت الخوارزمية حين قدموا مع جلال الدين بن خوارزم شاه من بلاد غزنة مقهورين من التتار إلى بلاد خوزستان ونواحي العراق فأفسدوا فيه وحاصروا مدنه ونهبوا قراه.

وفيها استحوذ جلال الدين بن خوارزم شاه على بلاد أذربيجان وكثير من بلاد الكرج وكسر الكرج وهم في سبعين ألف مقاتل فقتل منهم عشرين ألفا من المقاتلة واستفحل أمره جدا وعظم شأنه وفتح تفليس فقتل منها ثلاثين ألفا وزعم أبو شامه أنه قتل من الكرج سبعين ألفا في المعركة وقتل من تفليس تمام المئة ألف وقد اشتغل بهذه الغزوة عن قصد بغداد وذلك أنه لما حاصر دقوقا سبه أهلها ففتحها قسرا وقتل من أهلها خلقا كثيرا وخرب سورها وعزم على قصد الخليفة ببغداد لأنه فيم زعم عمل على أبيه حتى هلك واستولت التتر على البلاد وكتب إلى المعظم بن العادل

يستدعيه لقتال الخليفة ويحرضه على ذلك فامتنع المعظم من ذلك ولما علم الخليفة بقصد جلال الدين بن خوارزم شاه بغداد انزعج لذلك وحصن بغداد واستخدم الجيوش والأجناد أنفق في الناس ألف ألف دينار وكان جلال الدين قد بعث جيشا إلى الكرج فكتبوا إليه: أن أدركنا قبل أن نهلك عن آخرنا وبغداد ما تفوت، فسار إليهم وكان من أمره ما ذكرنا.

وفي سنة 623:

التقى الملك جلال الدين بن خوارزم شاه الخوارزمي مع الكرج فكسرهم كسرة عظيمة وصمد إلى أكبر معاقلهم تفليس ففتحها عنوة وقتل من فيها من الكفرة وسبى ذراريهم ولم يتعرض لأحد من المسلمين الذين كانوا بها.

واستقر ملكه عليها وقد كان الكرج أخذوها من المسلمين في سنة خمس عشرة وخمسمائة وهي بأيديهم إلى الآن حتى استنقذها منهم جلال الدين هذا فكان فتحا عظيما ولله المنة.

وفيها سار إلى خلاط ليأخذها من نائب الملك الأشرف فلم يتمكن من أخذها وقاتله أهلها قتالا عظيما فرجع عنهم بسبب اشتغاله بعصيان نائبه بمدينة كرمان وخلافه له فسار إليهم وتركهم .

وفي سنة 624:

فيها كاتب عامة أهل تفليس الكرج فجاءوا إليهم فدخلوها فقتلوا العامة والخاصة ونهبوا وسبوا وخربوا وأحرقوا وخرجوا على حمية وبلغ ذلك جلال الدين فسار سريعا ليدركهم فلم يدركهم.

وفيها قتلت الإسماعيلية أميرا كبيرا من نواب جلال الدين بن خوارزم شاه فسار إلى بلادهم فقتل منهم خلقا كثيرا وخرب مدينتهم وسبى ذراريهم ونهب أموالهم وقد كانوا -قبحهم الله- من أكبر العون على المسلمين لما قدم التتار إلى الناس وكانوا أضر على الناس منهم.

وفيها تواقع جلال الدين وطائفة كبيرة من التتار فهزمهم وأوسعهم قتلا وأسرا وساق وراءهم أياما فقتلهم حتى وصل إلى الري فبلغه أن طائفة قد جاءوا لقصده فأقام ينتظرهم

وممن توفي في هذه السنة :

جنكيز خان :

السلطان الأعظم عند التتار، والد ملوكهم اليوم ينتسبون إليه يقولون: وهو الذي وضع لهم الياسق التي يتحاكمون إليها ويحكمون بها وأكثرها مخالف لشرائع الله تعالى وكتبه وهو شيء اقترحه من عند نفسه وتبعوه في ذلك وكانت أمه تزعم أنها حملته من شعاع الشمس فلهذا لا يعرف له أب فهو مجهول النسب.

وقد رأيت مجلدا جمعه الوزير ببغداد علاء الدين الجويني في ترجمته فذكر فيه سيرته وما كان يشتمل عليه من العقل السياسي والكرم والشجاعة والتدبير الجيد للملك والرعايا والحروب فذكر أنه كان في ابتداء أمره خصيصا عند الملك أزبك خان وكان إذ ذاك شابا حسنا وكان اسمه أولا تمرجي ثم لما عظم سمى نفسه جنكيزخان وكان هذا الملك قد قربه وأدناه فحسده عظماء الملك ووشوا به إليه حتى أخرجوه عليه ولم يقتله ولم يجد له طريقا في ذنب يتسلط عليه به فهو في ذلك إذ تغضب الملك على مملوكين صغيرين فهربا منه ولجآ إلى جنكيزخان فأكرمهما وأحسن إليهما فأخبراه بما يضمره الملك أزبك خان من قتله فأخذ حذره وتحيز بدولة واتبعه طوائب من التتار وصار كثير من أصحاب أزبك خان ينفرون إليه ويفدون عليه فيكرمهم ويعطيهم حتى قويت شوكته وكثرت جنوده ثم حارب بعد ذلك أزبك خان فظفر به وقتله و استحوز على مملكته وملكه و انضاف إليه عدده وعدده وعظم أمره وبعد صيته وخضعت له قبائل الترك ببلاد طمعاج كلها حتى صار يركب في نحو ثمانمائة ألف مقاتل وأكثر القبائل قبيلته التي هو منها يقال لهم قيان ثم أقرب القبائل إليه بعدهم قبيلتان كبيرتا العدد وهما أزان و قنقوران وكان يصطاد من السنة ثلاثة أشهر والباقي للحرب والحكم .

ثم نشبت الحرب بينه وبين الملك علاء الدين خوارزم شاه صاحب بلاد خراسان والعراق وأذربيجان وغير ذلك والأقاليم والملك فقهره جنكيزخان وكسره وغلبه وسلبه واستحوذ على سائر بلاده بنفسه وبأولاده في أيسر مدة كما ذكرنا ذلك في الحوادث.

وكان ابتداء ملك جنكزخان سنة تسع وتسعين وخمسمائة وكان قتاله لخوارزم شاه في حدود سنة ست عشرة وستمائة ومات خوارزم شاه في سنة سبع عشرة كما ذكرنا فاستحوذ حينئذ على الممالك بلا منازع ولا ممانع.

وكانت وفاته في سنة أربع وعشرين وستمائة فجعلوه في تابوت من حديد وربطوه بسلاسل وعلقوه بين جبلين هنالك وأما كتابه الياسق فإنه يكتب في مجلدين بخط غليظ ويحمل على بعير معظم عندهم.

وقد ذكر بعضهم أنه كان يصعد جبلا ثم ينزل ثم يصعد ثم ينزل مرارا حتى يعي ويقع مغشيا عليه ، ويأمر من عنده أن يكتب ما يلقى على لسانه حينئذ ، فإذا كان هذا هكذا فالظاهر أن الشيطان كان ينطق على لسانه بما فيها.

وذكر الجويني أن بعض عبادهم كان يصعد الجبال في البرد الشديد للعبادة فسمع قائلا يقول له : إنا قد ملكنا جنكيزخان وذريته وجه الأرض قال الجويني فمشايخ المغول يصدقون بهذا ويأخذونه مسلما.

ثم ذكر الجويني نتفا من الياسق من ذلك أنه من زنا قتل ! محصنا كان أو غير محصن وكذلك من لاط قتل ! ومن تعمد الكذب قتل ! ومن سحر قتل ! ومن تجسس قتل ! ومن دخل بين اثنين يختصمان فأعان أحدهما قتل ! ومن بال في الماء الواقف قتل ! ومن انغمس فيه قتل ! ومن أطعم أسيرا أو سقاه أو كساه بغير إذن أهله قتل ! ومن وجد هاربا ولم يرده قتل ! ومن أطعم أسيرا أو رمى إلى أحد شيئا من المأكول قتل ! بل يناوله من يده إلى يده ومن أطعم أحدا شيئا فليأكل منه أولا ولو كان المطعوم أميرا لا أسيرا ومن أكل ولم يطعم من عنده قتل! ومن ذبح حيوانا ذبح مثله ! بل يشق جوفه ويتناول قلبه بيده يستخرجه من جوفه أولا !!.

وفي ذلك كله مخالفة لشرائع الله المنزلة على عباده الأنبياء عليهم الصلاة والسلام، فمن ترك الشرع المحكم المنزل على محمد بن عبد الله خاتم الأنبياء وتحاكم إلى غيره من الشرائع المنسوخة كفر فكيف بمن تحاكم إلى الياسق وقدمها عليه من فعل ذلك كفر بإجماع المسلمين قال الله تعالى : (أَفَحُكْمَ الْجَاهِلِيَّةِ يَبْغُونَ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللَّهِ حُكْمًا لِقَوْمٍ يُوقِنُونَ) وقال تعالى : (فَلا وَرَبِّكَ لا يُؤْمِنُونَ حَتَّى يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لا يَجِدُوا فِي أَنْفُسِهِمْ حَرَجًا مِمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا)

ومن آدابهم الطاعة لسلطانهم غاية الاستطاعة وأن يعرضوا عليه أبكارهم الحسان ليختار لنفسه ومن شاء من حاشيته ما شاء منهن، ومن شأنهم أن يخاطبوا الملك باسمه ومن مر بقوم يأكلون فله أن يأكل معهم من غير استئذان ولا يتخطى موقد النار ولا طبق الطعام ولا يقف على أسكفه ، ولا يغسلون ثيابهم حتى يبدو وسخها ولا يكلفون العلماء من كل ما ذكر شيئا من الجنايات، ولا يتعرضون لمال ميت.

وقد ذكر علاء الدين الجويني طرفا كبيرا من أخبار جنكيزخان ومكارم كان يفعلها لسجيته وما أداه إليه عقله - وإن كان مشركا بالله كان يعبد معه غيره- وقد قتل من الخلائق ما لا يعلم عددهم إلا الذي خلقهم، ولكن كانت البداءة من خوارزم شاه ؛ فإنه لما أرسل جنكيزخان تجارا من جهته معهم بضائع كثيرة من بلاده فانتهوا إلى إيران فقتلهم نائبها من جهة خوارزم شاه وهو والد زوجته كشلى خان وأخذ جميع ما كان معهم، فأرسل جنكيزخان إلى خوارزم شاه يستعمله هل وقع هذا الأمر عن رضا منه أو أنه لا يعلم به فأنكره وقال له فيما أرسل إليه من المعهود من الملوك أن التجار لا يقتلون لأنهم عمارة الأقاليم وهم الذين يحملون إلى الملوك ما فيه التحف والأشياء النفيسة ثم إن هؤلاء التجار كانوا على دينك فقتلهم نائبك فإن كان أمرا أمرت به طلبنا بدمائهم . و إلا فأنت تنكره وتقتص من نائبك، فلما سمع خوارزم شاه ذلك من رسول جنكيزخان لم يكن له جواب سوى أنه أمر بضرب عنقه فأساء التدبير.

وقد كان خرف وكبرت سنه وقد ورد الحديث اتركوا الترك ما تركوكم فلما بلغ ذلك جنكيزخان تجهز لقتاله وأخذ بلاده فكان بقدر الله تعالى ما كان من الأمور التي لم يسمع بأغرب منها ولا أبشع .

قال ولما احتضر جنكيزخان أوصى أولاده بالاتفاق وعدم الافتراق وضرب لهم في ذلك الأمثال وأحضر بين يديه نشابا وأخذ سهما أعطاه لواحد منهم فكسره ثم أحضر حزمة ودفعها إليهم مجموعة فلم يطيقوا كسرها فقال هذا مثلكم إذا اجتمعتم واتفقتم وذلك مثلكم إذا انفردتم واختلفتم.

<u>وفي سنة 625 :</u>

كانت حروب كثيرة بين جلال الدين و التتار كسروه غير مرة ثم بعد ذلك كله كسرهم كسرة عظيمة وقتل منهم خلقا وأمما لا يحصون وكان هؤلاء التتار قد انفردوا وعصوا على جنكيزخان فكتب جنكيزخان إلى جلال الدين يقول له إن هؤلاء ليسوا منا ونحن أبعدناهم ولكن سترى منا ما لا قبل لك به.

<u>وفي سنة 628:</u>

استهلت هذه السنة والملك الأشرف موسى بن العادل مقيم بالجزيرة مشغول فيها بإصلاح ما كان جلال الدين الخوارزمي قد أفسده من بلاده وقد قدمت التتار في هذه السنة إلى الجزيرة وديار بكر فعاثوا بالفساد يمينا وشمالا فقتلوا ونهبوا وسبوا على عادتهم -خذلهم الله تعالى-.

<u>وفي سنة 629:</u>

وفيه أقبل طائفة من التتار فوصلوا إلى شهرزور فندب الخليفة صاحب إربل <u>مظفر الدين كوكبري</u> بن زين الدين وأضاف إليه عساكر من عنده فساورا نحوهم فهربت منهم التتار وأقاموا في مقابلتهم مدة شهور ثم تمرض مظفر الدين وعاد إلى بلده إربل وتراجعت العساكر إلى بلادها.

<u>وفي سنة 634:</u>

فيها حاصرت التتار إربل بالمجانيق ونقبوا الأسوار حتى فتحوها عنوة فقتلوا أهلها وسبوا ذراريهم.

وفي سنة 638 :

وفيها قدم رسول من ملك التتار تولى بـن جنكيزخـان إلى ملـوك الإسـلام يـدعوهم إلى طاعتـه ويأمرهم بتخريب أسوار بلدانهم وعنوان الكتاب :

من نائب رب السماء ماسح وجه الأرض ملك الشرق والغرب خاقان . وكان الكتـاب مـع رجـل مسلم من أهل أصبهان .

وفي سنة 642هـ:

{ وانظر لحالة ملوك المسلمين و التتار على أبواب بلادهم وعاصمتهم !!}:

فيها استوزر الخليفة المستعصم بالله مؤيد الدين أبـا طالـب محمـد بـن أحمـد بـن عـلي بـن محمد العلقمي المشئوم على نفسه وعلى أهل بغداد الـذي لم يعصـم المستعصـم في وزارتـه فإنـه لم يكن وزير صدق ولا مرضي الطريقة فإنه هو الذي أعان على المسلمين في قضـية هولاكـو وجنـوده - قبحه الله وإياهم –

وفيها كانت وقعة عظيمة بين الخوارزمية الذين كان الصالح أيـوب صـاحب مصرـ اسـتقدمهم ليستنجد بهم على الصالح إسماعيل أبي الحسن صاحب دمشق فنزلوا على غزة وأرسل إليهم الصالح أيوب الخلع والأموال والأقمشة والعسـاكر فـاتفق الصـالح إسـماعيل والنـاصر داود صـاحب الكـرك والمنصور صاحب حمص مع الفرنج واقتتلوا مع الخوارزمية قتالا شديدا فهزمتهم الخوارزميـة كسرـة منكرة فظيعة هزمت الفرنج بصلبانها وراياتها العالية على رؤوس أطـلاب المسـلمين وكانـت كـؤوس الخمر دائرة بين الجيوش فنابت كؤوس المنون عن كؤوس الزرجون فقتل مـن الفـرنج في يـوم واحـد زيادة عن ثلاثين ألف وأسروا جماعة من ملوكهم و قسوسهم وأساقفتهم وخلقا من أمـراء المسـلمين وبعثوا بالأسارى إلى الصالح أيوب بمصر وكان يومئذ يوما مشهودا وأمرا محمودا ولله الحمد.

وقد قال بعض أمراء المسلمين قد علمت أنا لما وقفنا تحت صلبان الفرنج أنا لا نفلـح وغنمـت الخوارزمية من الفرنج ومن كان معهم شيئا كثيرا وأرسل الصالح أيوب إلى دمشق ليحاصرها فحصنها الصالح إسماعيل وخرب من حولها رباعا كثيرة وكسر جسر باب توما فسار النهر فتراجـع المـاء حتـى صار بحيرة من باب توما وباب السلامة فغرق جميع ما كان بيـنهما مـن العمـران وافتقـر كثـير مـن الناس -فإنا لله وإنا إليه راجعون_.

وفي سنة 642هـ:

وهي سنة الخوارزمية وذلـك أن الصـالح أيـوب بـن الكامـل صـاحب مصرـ بعـث الخوارزميـة ومعهم ملكهم بركات خان في صحبة معـين الـدين ابـن الشـيخ فأحـاطوا بدمشـق يحـاصرون عمـه

الصالح أبا الجيش صاحب دمشق وحرق قصر حجاج وحكر السماق وجامع جراح خارج باب الصغير ومساجد كثيرة ونصب المنجنيق عند باب الصغير وعند باب الجابية ونصب من داخل البلد منجنيقان أيضا و تراءى الفريقان و أرسل الصالح إسماعيل إلى الأمير معين الدين بن الشيخ بسجادة وعكاز وإبريق و أرسل يقول اشتغالك بهذا أولى من اشتغالك بمحاصرة الملوك فأرسل إليه المعين بزمر وجنك وغلالة حرير أحمر وأصفر وأرسل يقول أما السجادة فإنها تصلح لي وأما أنت فهذا أولى بك ثم أصبح ابن الشيخ فاشتد الحصار بدمشق وأرسل الصالح إسماعيل فأحرق جوسق قصر والده العادل وامتد الحريق في زقاق الرمان إلى العقبية فأحرقت بأسرها وقطعت الأنهار وغلت الأسعار وأخيفت الطرق وجرى بدمشق أمور بشعة جدا لم يتم عليها قط وامتد الحصار شهورا من هذه السنة إلى جمادى الأولى ،

ثم اتفق الحال على أن يخرج الصالح إسماعيل إلى بعلبك ويسلم دمشق إلى الصالح أيوب فاستبشر الناس بذلك وأصبح الصالح إسماعيل خارجا إلى بعلبك .

وأما الخوارزمية فإنهم لم يكونوا حاضرين وقت الصلح فلما علموا بوقوع الصلح غضبوا وساروا نحو داريا فنهبوها وساقوا نحو بلاد الشرق وكاتبوا الصالح إسماعيل فحالفوه على الصالح أيوب ففرح بذلك ونقض الصلح الذي كان وقع منه وعادت الخوارزمية فحاصروا دمشق وجاء إليهم الصالح إسماعيل من بعلبك فضاق الحال على الدماشقة فعدمت الأموال وغلت الأسعار جدا حتى إنه بلغ ثمن الغرارة ألف وستمائة وقنطار الدقيق تسعمائة والخبز كل أوقيتين إلا ربع بدرهم ورطل اللحم بسبعة وبيعت الأملاك بالدقيق وأكلت القطاط والكلاب والميتات و الجيفات وتماوت الناس في الطرقات وعجزوا عن التغسيل والتكفين والإقبار فكانوا يلقون موتاهم في الآبار حتى أنتنت المدينة وضجر الناس - فإنا لله وإنا إليه راجعون-.

قال ابن السبط : ومع هذا كانت الخمور دائرة والفسق ظاهرا والمكوس بحالها وذكر الشيخ شهاب الدين أن الأسعار غلت في هذه السنة جدا وهلك الصعاليك بالطرقات كانوا يسألون لقمة ثم صاروا يسألون لبابة ثم تنازلوا إلى فلس يشترون به نخالة يبلونها ويأكلونها كالدجاج، قال وأنا شاهدت ذلك وذكر تفاصيل الأسعار وغلاءها في الأطعمة وغيرها.

ولما بلغ الصالح أيوب أن الخوارزمية قد مالئوا عليه وصالحوا عمه الصالح إسماعيل كاتب الملك المنصور إبراهيم بن أسد الدين شيركوه صاحب حمص فاستماله إليه وقوي جانب نائب دمشق معين الدين حسين ابن الشيخ ولكنه توفي في رمضان من هذه السنة ولما رجع المنصور صاحب حمص عن موالاة الصالح إسماعيل شرع في جمع الجيوش من الحلبيين و التركمان والأعراب لاستنقاذ دمشق من الخوارزمية وحصارهم إياها فبلغ ذلك الخوارزمية فخافوا من غائلة ذلك وقالوا دمشق ما تفوت والمصلحة قتاله عند بلده فساروا إلى بحيرة حمص وأرسل الناصر داود جيشه إلى

الصالح إسماعيل مع الخوارزمية وساق جيش دمشق فانضافوا إلى صاحب حمص والتقوا مع الخوارزمية عند بحيرة حمص وكان يوما مشهودا قتل فيه عامة الخوارزمية وقتل ملكهم بركات خان وجيء برأسه على رمح فتفرق شملهم وتمزقوا شذر مذر وساق المنصور صاحب حمص إلى بعلبك فتسلمها الصالح أيوب وجاء إلى دمشق فنزل ببستان سامة خدمة للصالح أيوب ثم حدثته نفسه بأخذها فاتفق مرضه فمات -رحمه الله- في السنة الآتية. وتسلم نواب الصالح أيوب بعلبك و بصرى ولم يبق بيد الصالح إسماعيل بلد يأوي إليه ولا أهل ولا ولد ولا مال بل أخذت جميع أمواله ونقلت عياله تحت الحوطة إلى الديار المصرية وسار هو فاستجار بالملك الناصر بن العزيز بن الظاهر غازي صاحب حلب فآواه وأكرمه واحترمه وقال الأتابك لؤلؤ الحلبي لابن أستاذه الناصر وكان شابا صغيرا انظر إلى عاقبة الظلم.

وفي هذه السنة كانت وقعة عظيمة بين جيش الخليفة وبين التتار لعنهم الله فكسرهم المسلمون كسرة عظيمة وفرقوا شملهم وهزموا من بين أيديهم فلم يلحقوهم ولم يتبعوهم خوفا من غائلة مكرهم وعملا بقوله صلى الله عليه وسلم (اتركوا الترك ما تركوكم)

ثم دخلت سنة ثمان وأربعين وستمائة .

وفي سنة 648هـ:

في ثالث المحرم يوم الأربعاء كان كسر المعظم تورانشاه للفرنج على ثغر دمياط فقتل منهم ثلاثين ألفا ، وقيل : مئة ألف وغنموا شيئا كثيرا ولله الحمد ثم قتل جماعة من الأمراء الذين أسروا وكان فيمن أسر ملك الفرنسيس وأخوه ، وأرسلت غفارة ملك الإفرنسيس إلى دمشق فلبسها نائبها في يوم الموكب وكانت من سقرلاط أحمر تحتها فرو سنجاب ، ثم لم يخرج شهر المحرم حتى قتل الأمراء ابن أستاذهم تورانشاه ودفنوه إلى جانب النيل من الناحية الاخرى رحمه الله تعالى ورحم أسلافه بمنه وكرمه .

الملك المعظم تورانشاه بن الصالح أيوب بن الكامل بن العادل

كان أولا صاحب حصن كيفا في حياة أبيه وكان أبوه يستدعيه إليه في أيامه فلا يجيبه فلما توفي أبوه كما ذكرنا استدعاه الأمراء فأجابهم وجاء إليهم فملكوه عليهم ثم قتلوه كما ذكرنا وذلك يوم الاثنين السابع والعشرين من المحرم وقد قيل : إنه كان متخلعا لا يصلح للملك .

وفي سنة 650هـ:

فيها وصلت التتار إلى الجزيرة وسروج ورأس العين وما والى هذه البلاد فقتلوا وسبوا ونهبوا وخربوا فإنا لله وإنا إليه راجعون ووقعوا بتجار يسيرون بين حران ورأس العين ، فأخذوا منهم

ستمائة حمل سكر ومعمول من الديار المصرية وستمائة ألف دينار وكان عدة من قتلوا في هذه السنة من أهل الجزيرة نحوا من عشرة آلاف قتيل وأسروا من الولدان والنساء ما يقارب ذلك فإنا لله وإنا إليه راجعون.

وفي سنة 651هـ :

فيها دخل الشيخ نجم الدين الباذرائي رسول الخليفة بين صاحب مصر وصاحب الشام وأصلح بين الجيشين وكانوا قد اشتدت الحرب بينهم ونشبت وقد مالأ الجيش المصري الفرنج ووعدهم أن يسلموا إليهم بيت المقدس إن نصروهم على الشاميين ، وجرت خطوب كثيرة ، فأصلح بينهم وخلص جماعة من بيوت الملوك من الديار المصرية منهم أولاد الصالح إسماعيل وبنت الأشرف وغيرهم من أولاد صاحب حمص وغيرهم فجزاه الله خيرا .

وفي سنة 655هـ :

فيها أصبح الملك المعظم صاحب مصر عز الدين أيبك التركماني بداره ميتا ، وقد ولي الملك بعد أستاذه الصالح نجم الدين أيوب بشهور كان فيها ملك تورانشاه المعظم بن الصالح ثم خلفته شجر الدر أم خليل مدة ثلاثة أشهر ثم أقيم هو في الملك ومعه الملك الأشرف موسى بن الناصر يوسف بن أقسيس بن الكامل مدة ثم استقل بالملك بلا منازعة وكسر الناصر لما أراد أخذ الديار المصرية وقتل الفارس أقطاي في سنة ثنتين وخمسين وخلع بعده الأشرف واستقل بالملك وحده ثم تزوج بشجر الدر أم خليل وكان كريما شجاعا حكيما دينا ثم كان موته في يوم الثلاثاء الثالث والعشرين من ربيع الأول وهو واقف المدرسة المعزية التي بمصر و مجازها من أحسن الأشياء وهي من داخل ليست بتلك الفائقة .

وقد قال بعضهم فيها : هذه مجاز لا حقيقة له ولما قتل رحمه الله اتهم مماليكه زوجته أم خليل المسماة بشجر الدر به ، وقد كان عزم على تزويج ابنة صاحب الموصل بدر الدين لؤلؤ فأمرت جواريها أن يمسكنه لها فما زالت تضربه بقباقيبها والجواري يعركن في معاريه حتى مات وهو كذلك ولما سمع مماليكه أقبلوا بصحبة مملوكه الأكبر سيف الدين قطز فقتلوها وألقوها على مزبلة غير مستورة العورة بعد الحجاب المنيع والمقام الرفيع وقد علمت على المناشير و التواقيع وخطب الخطباء باسمها وضربت السكة برسمها فذهبت فلا تعرف بعد ذلك بعينها ولا رسمها .

﴿ قُلِ اللَّهُمَّ مَالِكَ الْمُلْكِ تُؤْتِي الْمُلْكَ مَنْ تَشَاءُ وَتَنْزِعُ الْمُلْكَ مِمَّنْ تَشَاءُ وَتُعِزُّ مَنْ تَشَاءُ وَتُذِلُّ مَنْ تَشَاءُ بِيَدِكَ الْخَيْرُ إِنَّكَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴾

وفيها كانت فتنة عظيمة ببغداد بين الرافضة وأهل السنة فنهبت الكرخ ودور الرافضة حتى دور قرابات الوزير ابن العلقمي وكان ذلك من أقوى الاسباب في ممالأته التتار .

وفي ذي الحجة من هذه السنة بعد موت الباذرائي بأيام قلائل نزلت التتار على بغداد مقدمة لملكهم هولاكو بن تولى بن جنكزخان عليهم لعائن الرحمن وكان افتتاحهم لها وجنايتهم عليها في أول السنة الآتية .

وفي سنة 656 هـ:

فيها أخذت التتار بغداد وقتلوا أكثر أهلها حتى الخليفة وانقضت دولة بني العباس منها .

استهلت هذه السنة وجنود التتار قد نازلت بغداد صحبة الأميرين اللذين على مقدمة عساكر سلطان التتار هولاكو قان ، وجاءت إليهم أمداد صاحب الموصل يساعدونهم على البغاددة و ميرته وهداياه وتحفه وكل ذلك خوفا على نفسه من التتار ومصانعة لهم قبحهم الله تعالى وقد سترت بغداد ونصبت فيها المجانيق و العرادات وغيرها من آلات الممانعة التي لا ترد من قدر الله سبحانه وتعالى شيئا .

وتأمل !!! وإنا لله وإنا إليه راجعون :

وأحاطت التتار بدار الخلافة يرشقونها بالنشاب من كل جانب حتى أصيبت جارية كانت تلعب بين يدي الخليفة وتضحكه وكانت من جملة حظاياه وكانت مولدة تسمى عرفة جاءها سهم من بعض الشبابيك فقتلها وهي ترقص بين يدي الخليفة فانزعج الخليفة من ذلك ، وفزع فزعا شديدا وأحضر السهم الذي أصابها بين يديه فإذا عليه مكتوب : إذا أراد الله إنفاذ قضائه وقدره سلب ذوي العقول عقولهم . فأمر الخليفة عند ذلك بزيادة الاحتراز وكثرة الستائر على دار الخلافة .

وكان قدوم هولاكو قان بجنوده كلها - وكانوا نحو مائتي ألف مقاتل - إلى بغداد في ثاني عشر المحرم من هذه السنة ، وهو شديد الحنق على الخليفة بسبب ما كان تقدم من الأمر الذي قدره الله وقضاه وأنفذه وأمضاه وهو أن هولاكو قان لما كان أول بروزه من همذان متوجها إلى العراق أشار الوزير مؤيد الدين محمد بن العلقمي على الخليفة بأن يبعث إليه بهدايا سنية ليكون ذلك مداراة له عما يريده من قصد بلادهم فخذل الخليفة عن ذلك دويداره الصغير أيبك وغيره وقالوا : إن الوزير إنما يريد بهذا مصانعة ملك التتار بما يبعثه إليه من الأموال وأشاروا بأن يبعث بشيء يسير فأرسل شيئا من الهدايا فاحتقرها هولاكو قان وأرسل إلى الخليفة يطلب منه دويداره المذكور وسليمان شاه فلم يبعثهما إليه ولا بالى به حتى أزف قدومه ووصل بغداد بجنوده الكثيرة الكافرة الفاجرة الظالمة الغاشمة ممن لا يؤمن بالله ولا باليوم الآخر .

فأحاطوا ببغداد من ناحيتها الغربية والشرقية وجنود بغداد في غاية القلة ونهاية الذلة لا يبلغون عشرة آلاف فارس وهم في غاية الضعف ، وبقية الجيش كلهم قد صرفوا عن إقطاعاتهم حتى استعطى كثير منهم في الأسواق وأبواب المساجد وأنشد فيهم الشعراء القصائد يرثون لهم ويحزنون على الإسلام وأهله .

وذلك كله عن آراء الوزير ابن العلقمي الرافضي وذلك أنه لما كان في السنة الماضية كان بين أهل السنة والرافضة حرب شديدة نهبت فيها الكرخ ومحلة الرافضة حتى نهبت دور قرابات الوزير ، فاشتد حنقه على ذلك فكان هذا مما أهاجه على أن دبر على الإسلام وأهله ما وقع من الأمر الفظيع الذي لم يؤرخ أبشع منه منذ بنيت بغداد وإلى هذه الأوقات ولهذا كان أول من برز إلى التتار هو فخرج في أهله وأصحابه وخدمه وحشمه فاجتمع بالسلطان هولاكو قان لعنه الله ثم عاد فأشار على الخليفة بالخروج إليه والمثول بين يديه لتقع المصالحة على أن يكون نصف خراج العراق لهم ونصفه للخليفة ، فاحتاج الخليفة إلى أن خرج في سبعمائة راكب من القضاة والفقهاء والصوفية ورءوس الأمراء والدولة والأعيان ، فلما اقتربوا من منزل السلطان هولاكو قان حجبوا عن الخليفة إلا سبعة عشر نفسا ، فخلص الخليفة بهؤلاء المذكورين ، وأنزل الباقون عن مراكبهم ونهبت ، وقتلوا عن آخرهم وأحضر الخليفة بين يدي هولاكو فسأله عن أشياء كثيرة فيقال : إنه اضطرب كلام الخليفة من هول ما رأى من الإهانة والجبروت .

ثم عاد إلى بغداد وفي صحبته خواجا نصير الدين الطوسي لعنة الله عليه والوزير ابن العلقمي وغيرهما والخليفة تحت الحوطة والمصادرة فأحضر من دار الخلافة شيئا كثيرا من الذهب و الحلي والمصاغ والجواهر والأشياء النفيسة وقد أشار أولئك الملأ من الرافضة لعنة الله عليهم وغيرهم من المنافقين على هولاكو قان أن لا يصالح الخليفة وقال الوزير : متى وقع الصلح على المناصفة لا يستمر هذا إلا عاما أو عامين ثم يعود الأمر إلى ما كان عليه قبل ذلك وحسنوا له قتل الخليفة فلما عاد الخليفة إلى السلطان هولاكو أمر بقتله ويقال : إن الذي أشار بقتله الوزير ابن العلقمي والنصير الطوسي وكان النصير عند هولاكو قد استصحبه في خدمته لما فتح قلاع الألموت وانتزعها من أيدي الإسماعيلية وكان النصير وزيرا لشمس الشموس ، ولأبيه من قبله علاء الدين بن جلال الدين وكانوا ينتسبون إلى نزار بن المستنصر العبيدي وانتخب هولاكو قان النصير ليكون في خدمته كالوزير المشير فلما قدم هولاكو قان وتهيب من قتل الخليفة هون عليه الوزيران ذلك فقتلوه رفسا وهو في جوالق لئلا يقع على الأرض شيء من دمه خافوا أن يؤخذ بثأره فيما قيل لهم وقيل : بل خنق ويقال : غرق فالله أعلم . فباؤوا بإثمه وإثم من كان معه من سادات العلماء والقضاة والأكابر والرؤساء والأمراء وأولي الحل والعقد ببلاد بغداد .

وقد كان رحمه الله سنيا على طريقة السلف واعتقاد الجماعة كما كان أبوه وجده . ولكن كان فيه لين وعدم تيقظ ومحبة للمال وجمعه. ومن جملة ذلك أنه غل الوديعة التي استودعه إياها الناصر داود بن المعظم وكانت قيمتها نحوا من مئة ألف دينار ، فاستقبح هذا من مثل الخليفة وهو مستقبح ممن هو دونه بكثير . بل من أهل الكتاب من إن تأمنه بقنطار يؤده إليك كما قال الله تعالى:

﴿ وَمِنْهُمْ مَنْ إِنْ تَأْمَنْهُ بِدِينَارٍ لا يُؤَدِّهِ إِلَيْكَ إلاّ مَا دُمْتَ عَلَيْهِ قَائِمًا ﴾ .

{ أقول : ولا أدري الحقيقة كيف يكون على طريقة السلف ، من يغل الوديعة ، ويتلهى براقصة ودولة الإسلام تسقط !! أي سلف هؤلاء الذين كان مثل هذا الخليفة الساقط على طريقتهم ؟!}..

و يتابع ابن كثير رحمه الله :

قتلته التتار مظلوما مضطهدا في يوم الأربعاء رابع عشر صفر من هذه السنة وله من العمر ستة وأربعون سنة وأربعة أشهر وكانت مدة خلافته خمس عشرة سنة وثمانية أشهر وأياما فرحمه الله وأكرم مثواه وبل بالرحمة ثراه وقد قتل بعده ولداه وأسر الثالث مع بنات ثلاث من صلبه .

{ وما أدري من ظلم هذا المظلوم أيضا ؟ هل هم التتار ، أم هو الظالم لنفسه ورعيته ؟! ..وسبحان ربنا القائل : ﴿ فَكُلّاً أَخَذْنَا بِذَنْبِهِ فَمِنْهُمْ مَنْ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِ حَاصِباً وَمِنْهُمْ مَنْ أَخَذَتْهُ الصَّيْحَةُ وَمِنْهُمْ مَنْ خَسَفْنَا بِهِ الْأَرْضَ وَمِنْهُمْ مَنْ أَغْرَقْنَا وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيَظْلِمَهُمْ وَلَكِنْ كَانُوا أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴾ (العنكبوت:40) }.

ومالوا على البلد فقتلوا جميع من قدروا عليه من الرجال والنساء والولدان والمشايخ و الكهول والشبان .

ودخل كثير من الناس في الآبار وأماكن الحشوش وقني الوسخ وكمنوا كذلك أياما لا يظهرون ، وكان الجماعة من الناس يجتمعون إلى الخانات ، ويغلقون عليهم الأبواب فتفتحها التتار إما بالكسر وإما بالنار ثم يدخلون عليهم فيهربون منهم إلى أعالي الأمكنة فيقتلونهم في الأسطحة حتى تجري الميازيب من الدماء في الأزقة فإنا لله وإنا إليه راجعون وكذلك في المساجد والجوامع والربط ولم ينج منهم أحد سوى أهل الذمة من اليهود والنصارى ومن التجأ إليهم وإلى دار الوزير ابن العلقمي الرافضي وطائفة من التجار أخذوا لهم أمانا بذلوا عليه أموالا جزيلة حتى سلموا وسلمت أموالهم وعادت بغداد بعدما كانت آنس المدن كلها كأنها خراب ليس فيها إلا القليل من الناس وهم في خوف وجوع و ذلة وقلة .

وكان الوزير ابن العلقمي قبل هذه الحادثة يجتهد في صرف الجيوش وإسقاط أسهمهم من الديوان فكانت العساكر في آخر أيام المستنصر قريبا من مئة ألف مقاتل منهم من الأمراء من هو كالملوك الأكابر ، فلم يزل يجتهد في تقليلهم إلى أن لم يبق سوى عشرة آلاف . ثم كاتب التتار وأطمعهم في أخذ البلاد وسهل عليهم ذلك و جلى لهم حقيقة الحال وكشف لهم ضعف الرجال وذلك كله طمعا منه أن يزيل السنة بالكلية وأن يظهر البدعة الرافضية وأن يقيم خليفة من الفاطميين وأن يبيد العلماء والمفتين والله غالب على أمره وقد رد كيده في نحره وأذله بعد العزة القعساء وجعله حوشكاشا للتتار بعدما كان وزيرا للخلفاء واكتسب إثم من قتل بمدينة بغداد من الرجال والنساء والأطفال فالحكم لله العلي الكبير رب الأرض والسماء .

وقد اختلف الناس في كمية من قتل ببغداد من المسلمين فقيل : ثمانمائة ألف وقيل : ألف ألف وثمانمائة ألف وقيل : بلغت القتلى ألفي ألف نفس فإنا لله وإنا إليه راجعون ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم .

وكان دخولهم إلى بغداد في أواخر المحرم ، وما زال السيف يقتل أهلها أربعين صباحا وكان قتل الخليفة المستعصم بالله أمير المؤمنين يوم الأربعاء رابع عشر صفر وعفا قبره وكان عمره يومئذ ستا وأربعين سنة وأربعة أشهر ومدة خلافته خمس عشرة سنة وثمانية أشهر وأيام وقتل معه ولده الأكبر أبو العباس أحمد وله خمس وعشرون سنة ثم قتل ولده الأوسط أبو الفضل عبد الرحمن وله ثلاث وعشرون سنة وأسر ولده الأصغر مبارك وأسرت أخواته الثلاث فاطمة وخديجة و مريم وأسر من دار الخلافة من الأبكار ما يقارب ألف بكر فيما قيل ، والله أعلم ، فإنا لله وإنا إليه راجعون .

وقتل أستاذدار الخلافة الشيخ محيي الدين يوسف بن الشيخ أبي الفرج ابن الجوزي وكان عدو الوزير وقتل أولاده الثلاثة وعبد الرحمن وعبد الله وعبد الكريم وأكابر الدولة واحدا بعد واحد منهم الدويدار الصغير مجاهد الدين أيبك وشهاب الدين سليمان شاه وجماعة من أمراء السنة وأكابر البلد .

وكان الرجل يستدعى به من دار الخلافة من بني العباس فيخرج بأولاده ونسائه فيذهب به إلى مقبرة الخلال تجاه المنظرة فيذبح كما تذبح الشاة ويؤسر من يختارون من بناته وجواريه .

وقتل شيخ الشيوخ مؤدب الخليفة صدر الدين علي بن النيار وقتل الخطباء والأئمة وحملة القرآن وتعطلت المساجد والجماعات و الجمعات مدة شهور ببغداد وأراد الوزير ابن العلقمي قبحه الله ولعنه أن يعطل المساجد والمدارس والربط ببغداد ويستمر بالمشاهد ومحال الرفض وأن يبني للرافضة مدرسة هائلة ينشرون علمهم وعلمهم بها وعليها ، فلم يقدره الله تعالى على ذلك بل أزال نعمته عنه وقصف عمره بعد شهور يسيرة من هذه الحادثة وأتبعه بولده فاجتمعا - والله أعلم - بالدرك الأسفل من النار .

ولما انقضى أمد الأمر المقدر وانقضت الأربعون يوما بقيت بغداد خاوية على عروشها ليس بها أحد إلا الشاذ من الناس والقتلى في الطرقات كأنها التلول وقد سقط عليهم المطر فتغيرت صورهم وأنتنت من جيفهم البلد وتغير الهواء فحصل بسببه الوباء الشديد حتى تعدى وسرى في الهواء إلى بلاد الشام فمات خلق كثير من تغير الجو وفساد الريح فاجتمع على الناس الغلاء والوباء والفناء والطعن والطاعون فإنا لله وإنا إليه راجعون .

ولما نودي ببغداد بالأمان خرج من تحت الأرض من كان المطامير والقني والمغاير كأنهم الموتى إذا نبشوا من قبورهم وقد أنكر بعضهم بعضا ، فلا يعرف الوالد ولده ، ولا الأخ أخاه وأخذهم الوباء الشديد فتفانوا ولحقوا بمن سبقهم من القتلى واجتمعوا في البلى تحت الثرى بأمر الذي يعلم السر وأخفى الله لا إله إلا هو له الأسماء الحسنى .

وكان رحيل السلطان المسلط هولاكو قان عن بغداد في جمادى الأولى من هذه السنة إلى مقر ملكه وفوض أمر بغداد إلى الأمير علي بهادر فوض إليه الشحنكية بها وإلى الوزير مؤيد الدين بن العلقمي فلم يمهله الله ولا أهمله بل أخذه أخذ عزيز مقتدر في مستهل جمادى الآخرة عن ثلاث وستين سنة وكان عنده فضيلة في الإنشاء ولديه فضيلة في الأدب ولكنه كان شيعيا جلدا خبيثا رافضيا ، فمات كمدا وغما وحزنا وندما إلى حيث ألقت رحلها أم قشعم فولي بعده الوزارة ولده عز الدين أبو الفضل محمد فألحقه الله بأبيه في بقية هذا العام ولله الحمد والمنة .

وذكر أبو شامة وشيخنا أبو عبد الله الذهبي وقطب الدين اليونيني أنه أصاب الناس في هذه السنة بالشام وباء شديد ، وذكروا أن سبب ذلك من فساد الهواء والجو ، فسد من كثرة القتلى ببلاد العراق ، وانتشر حتى تعدى إلى بلاد الشام فالله أعلم .

{ وتأمل في حال جيران الكارثة من الأمراء ..!! }

وفي هذه السنة اقتتل المصريون مع صاحب الكرك الملك المغيث عمر بن العادل بن أبي بكر بن العادل الكبير ، وكان في جيشه جماعة من أمراء البحرية منهم ركن الدين بيبرس البندقداري فكسرهم المصريون ونهبوا ما كان معهم من الأثقال والأموال وأسروا جماعة من رءوس الأمراء فقتلوا صبرا وعادوا إلى الكرك في أسوأ حال وأشنعها وجعلوا يفسدون في الأرض ويعيثون في البلاد فأرسل الله الناصر صاحب دمشق فبعث جيشا ليكفهم عن ذلك فكسرهم البحرية واستنصروا فبرز إليهم الناصر بنفسه فلم يلتفتوا إليه وقطعوا أطناب خيمته التي هو فيها بإشارة ركن الدين بيبرس المذكور ، وجرت حروب وخطوب يطول بسطها ، وبالله المستعان .

وفي سنة 657هـ :

استهلت هذه السنة وليس للمسلمين خليفة . وسلطان دمشق وحلب الملك الناصر صلاح الدين يوسف بن العزيز محمد بن أبي الظاهر غازي بن الناصر فاتح بيت المقدس وهو واقع بينه وبين المصريين وقد ملكوا نور الدين علي بن المعز أيبك التركماني ولقبوه بالمنصور وقد أرسل الملك الغاشم هولاكو قان إلى الملك الناصر بدمشق يستدعيه إليه فأرسل إليه ولده العزيز وهو صغير ومعه هدايا كثيرة وتحف فلم يحتفل به هولاكو وغضب على أبيه إذ لم يقبل إليه وقال : أنا الذي أسير إلى بلاده بنفسي فانزعج الناصر لذلك وبعث بحريمه وأهله إلى الكرك ليحصنهم بها وخاف أهل دمشق خوفا شديدا حين بلغهم أن التتار قد قطعوا الفرات فصار كثير منهم إلى الديار المصرية في زمن الشتاء ومات كثير منهم ونهب آخرون فإنا لله وإنا إليه راجعون .

وأقبل هولاكو فقصد الشام بجنوده وعساكره وقد كانت ميافارقين قد امتنعت على التتار مدة سنة ونصف، فأرسل إليها ولده أشموط فافتتحها قسرا واستنزل ملكها الكامل بن الشهاب غازي بن العادل فأرسله إلى أبيه وهو محاصر حلب فقتله بين يديه ، واستناب عليها بعض مماليك الأشرف وطيف برأس الكامل في البلاد ودخلوا برأسه إلى دمشق فنصب على باب الفراديس .

و تأمل في فرج الله وأسبابه وفي النهضة وبداياتها وكيف تكون !

وفيها قدم القاضي الوزير كمال الدين عمر بن أبي جرادة المعروف بابن العديم إلى الديار المصرية رسولا من صاحب دمشق الناصر بن العزيز يستنجد المصريين على قتال التتار بأنهم قد اقترب قدومهم إلى الشام وقد استولوا على بلاد الجزيرة وحران وغيرها وقد جاز أشموط بن هولاكو الفرات وقرب من مدينة حلب فعقد عند ذلك مجلس بين يدي المنصور بن المعز التركماني وحضر قاضي مصر بدر الدين السنجاري والشيخ عز الدين بن عبد السلام . وأفاضوا الكلام فيما يتعلق بأخذ شيء من أموال العامة لمساعدة الجند وكانت العمدة على ما يقوله { سلطان العلماء} العز بن عبد السلام فكان حاصله :

<u>إذا لم يبق في بيت المال شيء و أنفقتم الحوائص الذهب وغيرها من الزينة وتساويتم أنتم والعامة في الملابس سوى آلات الحرب ، ولم يبق للجندي سوى فرسه التي يركبها ساغ أخذ شيء من أموال الناس في دفع الأعداء ، لأنه إذا دهم العدو وجب على الناس كافة أن يدفعون بأموالهم وأنفسهم .</u>

ولاية الملك المظفر قطز :

وفيها قبض الأمير سيف الدين قطز علي ابن أستاذه نور الدين علي الملقب بالمنصور وذلك في غيبة أكثر الأمراء من مماليك أبيه وغيرهم في الصيد فأمسكه وسيره مع أمه وابنيه وإخوته الى بلاد الأشكري وتسلطن هو ، وسمى نفسه بالملك المظفر وكان هذا من رحمة الله بالمسلمين . فإنه الذي يسر على يديه كسرة التتار كما سيأتي بيانه إن شاء الله تعالى وهذا الذي اعتذر به قال : لابد للناس من سلطان قاهر يقاتل التتار ، وهذا صبي صغير لا يعرف تدبير المملكة .

وفيها برز الملك الناصر صاحب دمشق إلى وطأة برزة في جحافل كثيرة من الجيش والمطوعة والأعراب وغيرهم ولما علم ضعفهم عن مقاومة المغول ، ارفض ذلك الجمع ولم يصبر لا هو ولا هم ، فإنا لله وإنا إليه راجعون .

وفي سنة 658 هـ :

استهلت هذه السنة بيوم الخميس وليس للناس خليفة، وملك العراقين وخراسان وغير ذلك من بلاد المشرق للسلطان هولاكو قان ملك التتار ابن تولي بن جنكيزخان ، وسلطان ديار مصر الملك المظفر سيف الدين قطز مملوك المعز أيبك التركماني، وسلطان دمشق وحلب الملك الناصر بن العزيز بن الظاهر غازي بن الناصر فاتح القدس وبلاد الكرك و الشوبك للملك المغيث بن العادل أبي بكر بن الكامل محمد بن العادل أبي بكر بن أيوب وهو حزب مع الناصر صاحب دمشق على المصريين، و معهما الأمير ركن الدين بيبرس البندقداري، وقد عزموا على قتال المصريين وأخذ البلد منهم !!

أخذ التتار حلب ودمشق :

وبينما الناس على هذه الحال، وقد تواترت الأخبار بقصد التتار بلاد الشام، إذ دخل جيش المغول صحبة ملكهم هولاكو، وجازوا الفرات على جسور عملوها ووصلوا إلى حلب في ثاني صفر من هذه السنة، فحاصروها سبعة أيام، ثم افتتحوها بالأمان ، وغدروا بهم ، فقتلوا منهم خلقا لا يعلمهم إلا الله عز وجل، ونهبوا الأموال وسبوا النساء والأطفال، وجرى عليهم قريب مما جرى على أهل بغداد فجاسوا خلال الديار، وجعلوا أعزة أهلها أذلة فإنا لله وإنا إليه راجعون.

وامتنعت عليهم قلعتها شهرا، ثم تسلموها بالأمان وخرب أسوار البلد وأسوار القلعة، وبقيت حلب كأنها حمار أجرب، وكان نائبها الملك المعظم توران شاه بن صلاح الدين ،وكان عاقلا حازما لكنه لم يوافقه الجيش على المصالحة ولكن تسرعوا وكان أمر الله قدرا مقدورا. وقد كان السلطان هولاكو أرسل إلى أهل البلد يقول لهم حين قدم بجحافله: نحن إنما جئنا لقتال الملك الناصر بدمشق، ونحن نريد منكم أن تجعلوا بالقلعة شحنة، فإن كانت النصرة لنا فالبلاد كلها في حكمنا،

وإن كانت علينا فإن شئتم قبلتم الشحنة وإن شئتم أطلقتموه. فأجابوه: مالك عندنا إلا السيف. فتعجب من ضعفهم وجوابهم بهذا فزحف حينئذ إليهم وأحاط بالبلد وكان ما كان بقضاء الله وقدره ، ولما فتحت حلب أرسل صاحب حماة بمفاتيحها إليه فاستناب عليها رجلا من العجم يدعى أنه من ذرية خالد بن الوليد يقال له: خسروشاه . فخرب أسوارها كما فعل بمدينة حلب.

وأرسل هولاكو وهو نازل على حلب جيشا مع أمير من كبار دولته يقال له كتبغانوين. فوردوا دمشق في آخر صفر، فأخذوها سريعا من غير ممانعة ولا مدافعة، بل تلقاهم كبارها بالرحب والسعة، وقد كتب معهم السلطان هولاكو فرمان أمان لأهل البلد، فقرئ بالميدان الأخضر ونودي به في البلد، فأمن الناس على وجل أن يغدروا كما فعل بأهل حلب هذا والقلعة ممتنعة مستورة، وفي أعاليها المجانيق منصوبة، ، فنصب المجانيق على القلعة من غربيها وخربوا حيطانا كثيرة ، فأجابهم متوليها في آخر ذلك النهار للمصالحة ففتحوها وخربوا كل بدنة فيها، ، وقتلوا المتولى بها وسلموها إلى أمير منهم يقال له: إيل سبان.

وكان لعنه الله معظما لدين النصارى فاجتمع به أساقفتهم و قسوسهم فعظمهم جدا وزار كنائسهم، فصارت لهم دولة و حولة وصولة بسببه لعنهم الله تعالى، وذهبت طائفة من النصارى إلى هولاكو بهدايا وتحف وقدموا من عنده ومعهم أمان؛ فرمان من جهته، ودخلوا البلد من باب توماء ومعهم صليب منصوب يحملونه على رؤس الناس، وهم ينادون بشعارهم ويقولون ظهر الدين الصحيح، دين المسيح.

ويذمون دين الإسلام وأهله ومعهم أواني فيها خمر لا يمرون على باب مسجد إلا رشوا عنده خمرا وقماقم ملآنة خمرا يرشون منها على وجوه الناس، ويأمرون كل من يجتازون به في والأسواق والطرقات أن يقوم لصليبهم، ودخلوا من درب الحجر فوقفوا عند رباط الشيخ أبي البيان، ورشوا عنده خمرا وكذلك على باب مسجد درب الحجر الصغير والكبير واجتازوا في السوق حتى وصلوا إلى درب الريحان أو قريب منه فتكاثر عليهم المسلمون، فردوهم إلى سوق كنيسة مريم، فوقف خطيبهم إلى دكة دكان في عطفه السوق هنالك، فذكر في خطبته مدح دين النصارى وذم دين الإسلام وأهله فإنا لله وإنا إليه راجعون. ثم ولجوا بعد ذلك إلى كنيسة مريم، وكانت بعد عامرة ولكن كان هذا سبب خرابها ولله الحمد.

قال: وذكر أنهم دخلوا إلى الجامع بخمر، وكان في نيتهم إن طالت مدة التتار أن يخربوا كثيرا من المساجد وغيرها، فكفى الله شرهم.ولما وقع هذا في البلد اجتمع قضاة المسلمين والشهود والفقهاء فدخلوا القلعة يشكون هذا الحال إلى متسلمها إيل سبان، فأهينوا وطردوا وقدم كلام رؤساء النصارى عليهم، فإنا لله وإنا إليه راجعون.

وقد كان في أول هذه السنة سلطان الشام الناصر بن العزيز، قد أقام في وطأة برزه ومعه خلق كثير من الجيوش و الأمراء وأبناء الملوك ليناجزوا التتار إن قدموا عليهم وكان ممن معه الأمير بيبرس البندقداري في جماعة من البحرية و الكلمة بين الجيوش مختلفة غير مؤتلفة، لما يريده الله عز وجل.

وقد عزمت طائفة من الأمراء على خلع الملك الناصر وسجنه ومبايعة أخيه شقيقه الملك الظاهر علي، فلما تنسم الناصر ذلك هرب إلى القلعة المنصورة وتفرقت العساكر شذر مذر وساق الأمير ركن الدين بيبرس البندقداري في أصحابه إلى ناحية غزة فاستدعاه الملك المظفر قطز إليه واستقدمه عليه، وأقطعه قليوب، وأنزله بدار الوزارة ، وعظم شأنه لديه وإنما كان حتفه على يديه.

وقعة عين جالوت 27 رمضان 658هـ :

واتفق وقوع هذا كله في العشر الأخير من رمضان من هذه السنة، فما مضت سوى ثلاثة أيام حتى جاءت البشارة بنصرة المسلمين على التتار بعين جالوت ولله الحمد، وذلك أن الملك المظفر قطز صاحب مصر لما بلغه أن التتار قد فعلوا بالشام ما ذكرنا، وقد نهبوا البلاد كلها حتى وصلوا إلى غزة وقد عزموا على الدخول إلى الديار المصرية وقد عزم الملك الناصر صاحب دمشق على الرحيل إلى مصر وليته فعل. وكان في صحبته الملك المنصور صاحب حماة، وخلق من الأمراء وأبناء الملوك، وقد وصل إلى قطية، وتهيأ الملك المظفر للقائه وأرسل إليه وإلى المنصور مستحثين ،وأرسل إليه يقول : تقدم حتى نكون كتفا واحدا على التتار .

فتخيل من ذلك وخاف أن ينتصر عليه ، فكر راجعا .. وما زال التتار وراء الناصر حتى أخذوه وأسروه عند بركة زيزاء وأرسلوه مع ولده العزيز وهو صغير وأخيه إلى ملكهم هولاكو وهو نازل على حلب فكانوا في أسره حتى قتلهم في السنة الآتية، كما سنذكره.

والمقصود أن المظفر لما بلغه ما كان من أمر التتار بالشام المحروسة وأنهم عازمون على الدخول إلى الديار المصرية بعد تمهيد مملكتهم بالشام بادرهم هو قبل أن يبادروه وبرز إليهم أيده الله تعالى وأقدم عليهم قبل أن يقدموا عليه فخرج بالعساكر المصرية وقد اجتمعت الكلمة عليه، حتى انتهى بمن معه من العساكر المنصورة إلى الشام واستيقظ له عسكر المغول وعليهم كتبغانوين وكان إذ ذاك في البقاع فاستشار الأشرف صاحب حمص والقاضي مجير الدين بن الزكي في لقاء المظفر فأشاروا بعضهم بأنه لا قبل له بالمظفر حتى يستمد هولاكو فأبى إلا أن يناجزه سريعا فصمدوا إليه فكان اجتماعهم على عين جالوت يوم الجمعة الخامس والعشرين من رمضان فاقتتلوا قتالا عظيما شديدا فكانت النصرة ولله الحمد للإسلام وأهله فهزمهم المسلمون هزيمة هائلة وقتل كتبغانوين وجماعة من بيته وقد قيل: إن الذي قتل كتبغانوين الأمير جمال الدين آقوش الشمسي واتبعهم

الجيش الإسلامي يقتلونهم في كل موضع وفي كل مأزق ، وقد قاتل الملك المنصور صاحب حماة مع الملك المظفر في هذه الوقعة قتالا عظيما وكذلك الأمير فارس الدين أقطاي المستعرب، وكان أتابك العسكر وقد أسر من جماعة كتبغانوين الملك السعيد بن العزيز بن العادل فأمر المظفر بضرب عنقه واستأمن الأشرف صاحب حمص وكان مع التتار، وقد جعله هولاكو نائبا على الشام كله فأمنه الملك المظفر ورد إليه حمص وكذلك رد حماة إلى المنصور وزاده المعرة وغيرها وأطلق سلمية للأمير شرف الدين عيسى بن مهنا بن مانع أمير العرب، واتبع الأمير ركن الدين بيبرس البندقداري وجماعة من الشجعان التتار يقتلونهم في كل مكان، إلى أن وصلوا خلفهم إلى حلب وهرب من بدمشق منهم وكان هروبهم منها يوم الأحد السابع والعشرين من رمضان صبيحة النصر الذي جاءت فيه البشارة بالنصرة على عين جالوت فتبعهم المسلمون من دمشق يقتلون ويأسرون وينهبون الأموال فيهم، و يستفكون الأسارى من أيديهم قهرا ولله الحمد والمنن على جبره الإسلام ومعاملته إياهم بلطفة الحسن.

وجاءت بذلك البشارة السارة فجاوبتها البشائر من القلعة المنصورة وفرح المؤمنون يومئذ بصر الله فرحا شديدا ، وأيد الله الإسلام وأهله تأييدا، وكبت أعداء الله النصارى واليهود والمنافقون وظهر دين الله وهم كارهون ونصر الله دينه ونبيه ولو كره الكافرون . فتبادر عند ذلك المسلمون إلى كنيسة النصارى التي خرج منها الصليب فانتهبوا ما فيها وأحرقوها وألقوا النار فيما حولها فاحترق دور كثيرة للنصارى وملأ الله بيوتهم و قبورهم نارا وأحرق بعض كنيسة اليعاقبة وهمت طائفة بنهب اليهود، فقيل لهم: إنهم لم يكن منهم فيما ظهر من الطغيان كما كان على عبدة الصلبان. وقتلت العامة في وسط الجامع شيخا رافضيا كان مصانعا للتتار على أموال الناس يقال له: الفخر محمد بن يوسف الكنجي. كان خبيث الطوية مشرقيا ممالئا لهم على أموال المسلمين قبحه الله تعالى ،وقتلوا جماعة مثله من المنافقين الممالئين على المسلمين .

﴿ فَقُطِعَ دَابِرُ الْقَوْمِ الَّذِينَ ظَلَمُوا وَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴾ الأنعام:45.

ولما كسر الملك المظفر قطز عساكر التتار بعين جالوت ساق وراءهم ودخل دمشق في أبهة عظيمة، وفرح الناس به فرحا شديدا ودعوا له دعاء كثيرا وأقر صاحب حمص الملك الأشرف على بلده وكذلك المنصور صاحب حماه واسترد حلب أيضا من أيدي التتار وعاد الحق إلى نصابه ومهد القواعد وكان قد أرسل بين يديه الأمير ركن الدين بيبرس البندقداري ليطرد التتار ويتسلم مدينة حلب ووعده بنيابتها فلما طردهم عنها وأخرجهم منها وتسلمها المسلمون استناب عليها غيره وهو علاء الدين ابن صاحب الموصل وكان ذلك سبب الوحشة التي وقعت بينهما واقتضت قتل الملك المظفر قطز سريعا، ولله الأمر.

ذكر سلطنة الملك الظاهر وهو الأسد الضاري بيبرس البندقداري:

وذلك أن السلطان الملك المظفر قطز لما عاد بالعساكر قاصدا الديار المصرية فوصل إلى ما بين الغرابي و الصالحية، عدا عليه الأمراء، فقتلوه هنالك وقد كان رجلا صالحا ، كثير الصلاة في الجماعة ولا يتعاطى الشراب ولا شيئا مما يتعاطاه الملوك، وكانت مدة ملكه من حين عزل ابن أستاذه المنصور علي بن المعز التركماني إلى هذه المدة، وهي أواخر ذي القعدة نحوا من سنة رحمه الله وجزاه عن الإسلام وأهله خيرا .

وكان الأمير ركن الدين بيبرس البندقداري قد اتفق مع جماعة من الأمراء على قتله وألقوه عن فرسه ورشقوه بالنشاب حتى أجهزوا عليه . فاتفقت كلمتهم على أن بايعوا الأمير ركن الدين بيبرس البندقداري ولم يكن من أكابر المقدمين فيهم ولكن أرادوا أن يجربوا فيه ولقبوه الملك الظاهر فجلس على سرير المملكة وجلس على كرسيها وحكم فعدل وقطع ووصل وكان شهما شجاعا أقامه الله للناس لشدة احتياجهم إليه في هذا الوقت الشديد والأمر العسير . ثم شرع في مسك من يرى في نفسه رئاسة من أكابر الأمراء حتى مهد الملك كما يريد والله على كل شيء شهيد .

وقد كان السلطان هولاكو قان لما بلغه ما جرى على جيشه بعين جالوت أرسل جماعة كثيرة من جيشه إلى بلاد الشام ليستعيدوه من أيدي جيش الإسلام فحيل بينهم وبين ما يشتهون ورجعوا إليه خائبين خاسرين وذلك أنه نهض إليهم الهزبر الكاسر والسيف الباتر السلطان الملك المؤيد الظاهر فقدم إلى دمشق وأرسل الجيوش من كل جانب لحفظ الثغور والمعاقل بالأسلحة التامة والجحافل فلم يقدر التتار على الدنو إليه، ولا القدوم عليه فعند ذلك نكصت شياطينهم على أعقابهم وكرت راجعة القهقرى على أذنابها والحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات وتكمل المسرات في هذه الحياة الدنيا وبعد الممات .

وفي سنة 660 هـ :

وفي ذي الحجة قدمت وفود كثيرة من التتار على الملك الظاهر مستأمنين فأكرمهم وأحسن إليهم وأقطعهم إقطاعات حسنة وكذلك فعل بأولاد صاحب الموصل ورتب لإخوانهم رواتب كافية.

وفي هذه السنة أرسل هولاكو طائفة من جنده نحو عشرة آلاف فحاصروا الموصل ونصبوا عليها أربعة وعشرين منجنيقا وضاقت بها الأقوات.

وفيها وقع الخلف بين هولاكو وبين السلطان بركة ابن عمه وأرسل إليه بركة يطلب منه نصيبا مما فتحه من البلاد على ما جرت به عادتهم ، فقتل رسله فاشتد غضب بركة وكاتب الظاهر ليتفقا على هولاكو.

وفي سنة 661هـ :

وفيها التقى بركة خان و هولاكو ومع كل واحد جيوش كثيرة، فاقتتلوا فهزم هولاكو هزيمة فظيعة وقتل أكثر أصحابه وغرق أكثر من بقي، وهرب هو في شرذمة قليلة من أصحابه، ولله الحمد. ولما نظر بركة خان إلى كثرة القتلى قال: يعز علي أن يقتل المغول بعضهم بعضا، ولكن كيف الحيلة فيمن غير سنة جنكزخان؟! ثم أغار بركه خان على بلاد القسطنطينية فصانعه صاحبها، وأرسل الظاهر هدايا عظيمة إلى بركة وتحفا كثيرة هائلة.

وفي سنة 662هـ:

وفيها قدمت رسل الملك بركة خان إلى الملك الظاهر، ومعهم الأشرف بن شهاب غازي بن العادل، ومعهم من الكتب والمشافهات ما فيه سرور للإسلام وأهله مما حل بهولاكو وأهله.

وفيها قدم نصير الدين الطوسي إلى بغداد من جهة السلطان هولاكو خان، فنظر في الأوقاف وأحوال البلد وأخذ كتبا كثيرة من سائر المدارس، وحولها إلى الرصد الذي بناه بمراغة، ثم انحدر إلى واسط والبصرة.

وفيها استحضر الملك هولاكو خان ملك التتار الزين الحافظي، وهو سليمان ابن المؤيد بن عامر العقرباني المعروف بالزين الحافظي وقال له: قد ثبت عندي خيانتك. وقد كان هذا المغتر لما قدم التتار مع هولاكو دمشق وغيرها مالأ على المسلمين وآذاهم، ودل على عوراتهم، حتى سلطهم الله عليه بأنواع العقوبات و المثلات ؛

﴿ وَكَذَلِكَ نُوَلِّي بَعْضَ الظَّالِمِينَ بَعْضًا ﴾ وفي الجملة من أعان ظالما سلط عليه، فإن الله ينتقم من الظالم بالظالم، ثم ينتقم من الظالمين جميعا، نسأل الله العافية من انتقامه وغضبه وعقابه وشر عباده.

وفي سنة 663هـ:

فيها جهز السلطان الملك الظاهر عسكرا جما كثيفا إلى ناحية الفرات لطرد التتار النازلين بالبيرة، فلما سمعوا بالعساكر الظاهرية قد أقبلت تولوا على أعقابهم منهزمين، والحمد لله رب العالمين، فطابت تلك الناحية وأمنت تلك المعاملة، وقد كانت قبل ذلك لا تسكن من كثرة الفساد بها والخوف، فعمرت وأمنت ولله الحمد.

وفي هذه السنة هلك هولاكو خان بن تولي خان بن جنكيزخان :

ملك التتار بن ملك التتار بن ملك التتار، وهو والد ملوكهم، وقد كان ملكا جبارا عنيدا قتل من المسلمين شرقا وغربا مالا يعلم عددهم إلا الذي خلقهم، وسيجازيه على ذلك شر الجزاء، كان

لعنه الله، لا يتقيد بدين من الأديان، وإنما كانت زوجته ظفر خاتون قد تنصرت، وكانت تفضل النصارى، وكان، لعنه الله، يترامى على محبة المعقولات، ولا يتصور منها شيئا، وكان أهلها من أفراخ الفلاسفة عنده لهم وجاهة ومكانة، وإنما كانت همته في تدبير مملكته وتملك البلاد شيئا فشيئا، حتى أباده الله في هذه السنة، وقيل: في سنة ثلاث وستين، ودفن في مدينة تلا، لا رحمه الله وهو حسبنا ونعم الوكيل.

وممن توفي فيها من الأعيان .

السلطان بركة خان بن تولي بن جنكزخان بن خاقان

وهو ابن عم هولاكو، وقد أسلم بركة خان هذا، وكان يحب العلماء والصالحين، ومن أكبر حسناته كسره لهولاكو وتفريقه جنوده، وكان يناصح الملك الظاهر ويعظمه ويكرم رسله إليه، ويطلق لهم شيئا كثيرا، وقد قام في الملك بعده بعض أهل بيته، وهو منكوتمر بن طغان بن باتو بن تولي بن جنكزخان، وكان على طريقته ومنواله، ولله الحمد. أهـ .

(انتهى النقل الملخص عن ابن كثير الدمشقي رحمه الله تعالى .)

ولم تنته تماما مصيبة التتار بذلك ، إذ تتابعت غاراتهم ، وعظم البلاء بهم في مشرق بلاد المسلمين ، وإلى بلاد الشام في زمن تيمورلنك ، ،أحفاده ، إلى أن انتصر المسلمون عليهم ، وارتدوا إلى بلادهم وقد فشا الإسلام فيهم ، وأقاموا ممالك تترية وسط آسيا وامتدت فتوحاتهم حتى شملت معظم شمال وشرق آسيا ، وهكذا فتحوا البلاد بالإسلام بعد أن فتحهم دين الله وغزا قلوبهم ، في ظاهرة تاريخية فريدة حيث اتبع الغالب دين المغلوبين .

تعليقات وملاحظات سريعة على مسار التاريخ الإسلامي منذ بني أمية وإلى قيام الدولة العثمانية

إن المتتبع لمسار تاريخ الدول والممالك الإسلامية وقد قدمنا نبذة مختصرة عنها ، يخرج بنتيجة واضحة ، وهي أن مثل هذا المسار ، ومثل هذا المسلك ، من الحكام أولا ، ومن علمائهم ثانيا ، ومن الرعية ثالثا .. ما كان له بموجب السنن الشرعية والقدرية ، وكذلك العقلية والمنطقية و بحكم سنن السياسة ، وصراع البقاء بين القوى ..، إلا أن يسفر ذلك الحال عن النتيجة التي أسفر عنها ..

ولكن ، يخشى على من يقرأ التاريخ ولاسيما الملخصات الموجزة له . وخاصة تلك المعاصرة التي كتبت بأيدي العلمانيين المعاصرين ، وتلاميذ المستشرقين . يخشى على القارئ أن يخرج بصورة شوهاء عن تاريخنا الإسلامي المجيد . فيظن أن كل ملوك وأمراء المسلمين ، كانوا ظلمة طاغين لا خير فيهم ، فساقا عابثين ، لاهين بالقيان والجواري ، منصرفين إلى المجون ، وإلى اللهو ما أحل الله منه وما حرم ..!

وأن كل أو جل علماء المسلمين كانوا مقصرين في أداء أمانتهم ، قاعدين عن الأمر والنهي والجهاد ، مصطفين على أبواب الأمراء ينتظرون المنح والعطايا ..!

ويظن أن معظم الرعايا كانوا منغمسين في التيه والانحلال ..فسقة على دين ملوكهم .. لا يعرفون معروفا ولا ينكرون منكرا ولا يدافعون في سبيل الله ..

ومثل هذا الاستنتاج مغاير لحقيقة تفاصيل الواقع ، وإن كان ما روينا ملخصا عن كتب التاريخ صحيح في مجمله ، وأكبر شاهد على صحة ذلك ، النتيجة السوداء التي آلت إليها أحوال الأمة في نهاية ذلك الانحلال .. وهي الجذور التاريخية لما نعاني منه اليوم من بلايا مخزية .

ومما يجب أن ينتبه إليه من يقرأ التاريخ الإسلامي في الكتب المعاصرة ، أو في كتب المناهج الدراسية المعتمدة في معظم أو كافة بلاد المسلمين . أن معظم هذه الكتابات قد خطتها أقلام علمانية من تلاميذ المستشرقين أو الذين تربوا ودرسوا على أيديهم . وقد نهجت هذه الكتب نهجا يعتمد التزوير والدس من أجل النيل من تاريخنا المجيد ولإضعاف صلتنا بتراثنا . ولتشويه تاريخ جهاد أجدادنا العظام ون مختلف مكونات النسيج العرقي لأمم الإسلام عربا وغير عرب . وللإلقاء بذور الفتنة بين تلك المكونات .

وأذكر مما درسنا في الراحل الدراسية المختلفة مما كتبه الكتاب القوميون العرب ، كميات هائلة من ذلك الدس والتزوير، مما يضيق المجال هنا عن نقل شواهده . كما أذكر على سبيل المثال على ذلك . أنني عندما درست في (كلية قسم التاريخ في جامعة بيروت العربية) درسنا في مناهجنا

غرائب كثيرة ، منها أن الذين وضعوا المناهج قد قسموا تاريخنا الإسلامي إلى ما أسموه (الدولة العربية- وتشمل الدولة النبوية ودولة بني أمية -) ثم (الدولة الفارسية- وتشمل صدر العصر العباسي -) ثم (الدولة التركية – وتشمل باقي العصر العباسي -) ثم تاريخ بعض الممالك المستقلة . كما صنفوا الدولة العثمانية على أنها (الإحتلال العثماني للبلاد العربية) . كما عرضوا الفتح الإسلامي منذ الدولة النبوية وما تلاها على أنه استدراج سياسي وليس كما حقيقته منهج دين وتكليف شرعي لنشر الدين العالمي وآخر الرسالات للعالمين . كما درسنا من تاريخ أوربا مثل أو أكثر مما درسونا عن تاريخنا .. ،هذا ناهيك عن إبراز تاريخ الزنادقة والمارقين من الملوك والثوار والفلاسفة والعلماء الضالين ومشاهير شعراء المجون والخمر والانحلال وإشهارهم كالقرامطة والزنج ورجالهم ، ومن الأعلام أمثال الفارابي وابن سينا وأبو العلاء المعري وبشار وأبو نواس (قبل توبته) .. و الأصفهاني الزنديق واضع كتاب الأغاني المليء بالأكاذيب والدس على سير الخلفاء وما حوى من قصص المجون الموضوعة .. وغير ذلك كثير . وأما التزوير المتعمد بسبب الهوية القومية للجامعة وعلمانيتها ..فحدث ولا حرج عن العبث الرخص بتاريخ المسلمين وحضارتهم وتقييم مناهجهم ورجالهم .في مخطط مدروس للغزو الفكري ليس هنا مجل تناوله .

وأما اليوم وفي ظلال حرب الأفكار التي تشنها علينا الحملات الصليبية الأمريكية بقيادة (بوش ، و رامسفيلد ، و كونديليسا رايس ..) وتنفيذ (منظمة اليونسكو والأمم المتحدة) فقد ذهبت الطامة في إعادة تزوير المزور من تاريخ المسلمين إلى مجالات تهدف إلى إخراج المسلمين من دينهم كليا وسلخهم من تاريخهم كليا..ولذلك يجب الانتباه إلى مصادر التاريخ والتمحيص في هوية كاتبيها ومن وراءهم .

ولكن وحتى تكون الصورة متكاملة وصحيحة وشاملة فيما لخصت آنفا من تاريخنا الإسلامي ، يجب أن نذكر أيضا الوجوه المشرقة للحضارة والتاريخ الإسلامي الذي تركت خيراته بصماتها على جبين البشرية .

وبذلك نفهم منطق السنن المختصر في قواعد وسنن ثابتة ، تفسر لنا أسباب القوة والانتصارات الكثيرة ، وأسباب الضعف وتسلط الأعداء والهزائم المنكرة التي مرت وما تزال علينا . من قبيل ما قال تعالى :

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنْ تَنْصُرُوا اللَّهَ يَنْصُرْكُمْ وَيُثَبِّتْ أَقْدَامَكُمْ ﴾ (محمد:7) .

وكما قال عز من قائل :

﴿ أَوَلَمَّا أَصَابَتْكُمْ مُصِيبَةٌ قَدْ أَصَبْتُمْ مِثْلَيْهَا قُلْتُمْ أَنَّى هَذَا قُلْ هُوَ مِنْ عِنْدِ أَنْفُسِكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴾ (آل عمران:165) .

وقوله تعالى : ﴿ وَمَنْ أَعْرَضَ عَنْ ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنْكاً وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْمَى* قَالَ رَبِّ لِمَ حَشَرْتَنِي أَعْمَى وَقَدْ كُنْتُ بَصِيراً* قَالَ كَذَلِكَ أَتَتْكَ آيَاتُنَا فَنَسِيتَهَا وَكَذَلِكَ الْيَوْمَ تُنْسَى ﴾ (طـه: 124-126).

وغير ذلك في كتاب الله من السنن والقوانين الربانية الكثيرة ..المبينة المفصلة في سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ومن ذلك قوله :

(يا معشر المهاجرين : خمس خصال أعوذ بالله أن تدركوهن :

- **ما ظهرت الفاحشة في قوم قط حتى أعلنوا بها إلا ابتلوا بالطواعين والأوجاع التي لم تكن في أسلافهم الذين مضوا .**
- **وما نقص قوم المكيال إلا ابتلو ا بالسنين وشدة المؤونة وجور السلطان.**
- **وما منع قوم زكاة أموالهم إلا منعوا القطر من السماء ولولا البهائم لم يمطروا.**
- **ولا خفر قوم العهد إلا سلط الله عليهم عدوا من غيرهم فأخذوا بعض ما في أيديهم.**
- **وما لم تعمل أئمتهم بما أنزل الله في كتابه إلا جعل بأسهم بينهم شديدا) .**

وليس هنا مجال استقصاء تلك الشواهد وما تزخر به من القواعد والسنن في فهم مسار التاريخ وقيام الممالك وزوالها .

فعلينا حتى نفهم هذه السنن من أن أجل أن نحترمها ونعمل بأحسنها . ونتحرك على بصيرة من هدي ربنا .

وفي النهاية على كل من نكص عن شريعة الله واتخذ أوامره ظهريا ، أن يفهم قوله تعالى لبني إسرائيل لما عصوا الله ورسله وأدركتهم العقوبة :

﴿ إِنْ أَحْسَنْتُمْ أَحْسَنْتُمْ لِأَنْفُسِكُمْ وَإِنْ أَسَأْتُمْ فَلَهَا ..﴾ إلى قوله تعالى : ﴿ عَسَى رَبُّكُمْ أَنْ يَرْحَمَكُمْ وَإِنْ عُدْتُمْ عُدْنَا وَجَعَلْنَا جَهَنَّمَ لِلْكَافِرِينَ حَصِيراً ﴾ (الإسراء:8) . فليس بين الله وأحد من خلقه نسب ولا صهر ، وصدق الله العظيم : ﴿ وَجَزَاءُ سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ مِثْلُهَا ﴾ (الشورى: 40).

وأهم الملاحظات التي يجب أن نذكر بها ونأخذها بعين الاعتبار ونحن ندرس تاريخنا المجيد النقاط التالية :

<u>أولا</u>: أن شريعة الله تبارك وتعالى ، كانت هي المرجع المحترم من كل طبقات الحاكمين والمحكومين . في كل تلك الممالك والمجتمعات . وكانت هي الحاكم عليهم جميعا . وكانت هي

دستور الدولة الأعلى . ومصدر جميع قوانينه التفصيلية . فإذا ما حاد عنها حاكم أو محكوم ، فمن باب الفسوق والعصيان والزلل والتقصير ، الذي كان أصحابه – حكاما ومحكومين - يعرفون أنهم مقصرون آثمون . ولم يدخل التبديل والتغيير على شرع الله على وجه التشريع والحكم بغير ما أنزل الله ، زهدا بشريعة الله أو تفضيلا لغيرها عليها ، أوجودا لأحكامها ، أو للشعور بإمكانية المفاضلة بينها وبين غيرها ، إلا متأخرا ، في الربع الأخير من الدولة العثمانية كما سنرى في استعراض تاريخها . أو ما حصل من بعض الممالك المستقلة التي قامت أصلا على المروق عن دين الله كما كان من الدولة العبيدية الفاطمية التي قامت في المغرب ومصر ثم الشام، وتأسست أساسا على الزندقة والسحر والفلسفة والشعوذة والمذاهب الباطلة ،ز وقد حكم علماؤنا من أئمة عصرها بكفرها ومروقها من الدين . وكذلك ما حصل من بعض ملوك التتار الذين ادعوا الإسلام ، وتحاكموا لشريعة رئيسهم جنكيزخان التي تركها لهم مدونة في ما عرف بـ (الياسا) أو (الياسق) ، وقد مر التعريف بهمثا تيمور لنك وأحفاده .. فهي ليست شاهدا على ما نحن بصدده من الممالك التي اعتورها الإنحراف ، ولكنها لم تخرج عن أصل الإحتكام لشرع الله ، فلم يجاوز الإنحراف الظلم والفسق ، إلى المروق والكفر كما حصل لاحقا . وإن كانت تلك الممالك والدول- بحكامها ومحكوميها - قد نالت عقابها القدري المحتوم بحكم السنن ، بقدر ظلمها وفسوقها وعصيانها .

ثانيا : أن الغالبية العظمى لأولئك الملوك والأمراء المنحرفين ، وحتى أشدهم فسادا ، وفسوقا وصراعا على الملك ..، كانوا مجاهدين لأعداء الإسلام من الكفار دفعا وطلبا . وخاصة في الدفع عن أراضي المسلمين وأنفسهم وحرماتهم ، وقد مر معنا في الاستعراض شواهد عديدة .. وقد رأينا هذا من الطغاة الفاسدين من بني أمية ، وكذلك من بني العباس ، وصولا إلى ملوك الممالك المستقلة . فالحمدانيون - رغم كونهم من الشيعة- ، ورغم ما ابتلوا به من البدع والمظالم ، كانوا ممن جاهد الروم وأبلوا بلاءا حسنا ..، والسلاجقة الأتراك رغم ظلمهم وبطشهم وعدوانهم على الخلفاء وعلى الرعية ، وقفوا سدا منيعا في وجه الروم ، وكان لهم المشاهد العظيمة ، والأتابكة الزنكيون وملكهم الصالح نور الدين رحمه الله ..ثم الأيوبيون ومؤسس دولتهم المجاهد الناصر صلاح الدين كذلك ..وغيرهم ، و حتى بيبرس المملوكي الذي قتل أمير المسلمين إثر النصر الأكبر في (عين جالوت) من أجل الملك والإمارة . و كان بعد ذلك ظلوما غشوما جبارا ..، إلا أنه لم ينزل عن صهوة جواده سبعا وعشرين عاما ، جاهد فيها الروم و التتار وهم بنو عمه ، وجاهد الصليبيين حتى أجلاهم من أكثر البلاد . ثم تولى المماليك ممن خلفه المهمة حتى أنجزوها ..، وقل مثل ذلك عن باقي الممالك من الغزنويين وملكم الصالح محمود سبكتكين ..و السلاجقة وسلطانهم المجاهد (ألب أرسلان).. و الغوريين والمغول المسلمين في آسيا والهند ..، وعن ممالك شمال أفريقيا من الأغالبة الفاتحين المجاهدين في تونس، إلى المرابطين والموحدين في المغرب ...إلى حيث قامت للإسلام مملكة ...

ولم يخرج إلى خندق القعود والخيانة ، والعمالة للعدو إلا أفراد من المتأخرين من تلك الممالك ، كما كان من الملك الطالح (الصالح إسماعيل الأيوبي) الذي حالف الصليبيين ، وبعض (ملوك الطوائف في الأندلس)..وغيرهم ، ممن سجل التاريخ لعناته عليهم ..وأكثرهم خلع من قبل أسرته أو ممن جاوره من الممالك . وعدت فعلتهم منكرة من الحكام والعلماء والرعايا في ذلك الزمان ..

ثالثا : أن معظم علماء المسلمين المرموقين المشاهير ، كانوا إما من أهل العزائم ، فاحتسبوا على الملوك والأمراء ، وأمروهم بالمعروف ونهوهم عن المنكر ..، وقد سجل التاريخ قصصا رائعة تكتب بماء الذهب ، وأحرف النور ، منذ ظهر الملك في بني أمية ، وحتى زمن قريب ..وقائمة أسماء هؤلاء السلف الصالح طويلة تزخر بالمآثر . وإما لم يكونوا من أهل العزائم ، فاعتزلوا القصور ومن فيها ، واعتزلوا مسائل الحكام وتفرغوا للعلم والزهد ..ولم يتمرغوا في أوحال النفاق للسلاطين ..، ولم يشذ عن ذلك من العلماء المرموقين ، إلا أوشاب من المتساقطين في أوحال الدنيا ، أو أوباش من المنسوبين لعالم العلم والعلماء ..، ولم نبتلى بفساد العلماء عامة إلا قليلا جدا ممن عصم الله ، كما في زماننا هذا إلا في أوقات متأخرة من تاريخنا الطويل . كما كان العلماء قدوة في الجهاد ، ولاسيما في الأزمات والنوازل الكبرى ، فكانوا يخرجون للغزو دفعا وطلبا مع أئمة المسلمين برهم و فاجرهم ضد أعداء المسلمين من الكفار . وذلك قبل أن يظلنا زمان الدشوش ، وتتدلى الكروش ، وتسعى كرام العمائم واللحى خلف القروش و الحشوش ..

رابعا : أن غالبية فساق الأمراء وطغاتهم وحتى الجبارين منهم ، ممن عرفوا بالبأس والقسوة ..، كانوا إذا وُعظوا من قبل العلماء وأهل الحسبة ، والآمرين بالمعروف الناهين عن المنكر ..، اتعظوا وخشعوا ، وربما تأثروا وبكوا، ورجعوا عن مظلمة أو زلة ، حتى وإن عادوا إلى قبيح أعمالهم . فقد كان للدين على أنفسهم سلطانا . وللعلماء الصادقين - حتى ممن وقفوا لهم بالمرصاد – احتراما وهيبة . وقد جمعوا إلى هذه المزية الخيرة ، رغم طغيانهم وفسوقهم ، وصراعهم على الملك ، ومظالهم ..، جمعوا لذلك حب الخير ، والصدقات والإحسان ، ومختلف وجوه البر والخير ..ليكفروا عن غيهم ، و لأصالة في معدنهم ..، فبنوا المساجد ، و التكايا ، وأوقفوا الأوقاف في مختلف وجوه الخير ...إضافة إلى جهادهم ، وحكمهم أساسا بشريعة الله .

خامسا : أن غالبية الرعايا من المسلمين كانوا على أصل الصلاح واحترام الدين ..، وكانوا تبعا للعلماء الصالحين . مآزرين لهم في مواقفهم . مما شجع العلماء على النهوض في كثير من الأحيان . وكانوا يخرجون للجهاد والنفير وثغور الرباط ..، وقد اختلط الخير والشر في تلك العصور كثيرا ..، ولكن لم تكن تصل الأمور إلى ما فشا في الأزمنة المتأخرة من وجوه مجاهرة العوام بألوان الكفر والفسوق والعصيان ..، ونسال الله السلامة .

<u>سادسا :</u> أن الخير لم يكن ينقطع عبر تاريخنا ذاك ، وأن راية الإسلام والصلاح والعزة ، لم تزل تتنقل بين الأيادي المختلفة ، والمكونات المتعددة لنسيج الأمة من عرب وعجم وترك وفرس وبربر ومغول وأفارقة وغير ذلك ..إلخ . وأنه كلما ضعف الإسلام في مكان ،كان ينهض في آخر ..وكان آخر الشواهد قيام الدولة العثمانية التي حفظت رمزية الخلافة الجامعة للمسلمين ..، بعد أن تولى من سبقهم ، فاستبدلهم الله بغيرهم .

<u>سابعا :</u> أن معجزة الرسول الخالدة في إخباره صلى الله عليه وسلم ، أن طائفة مجاهدة في سبيل الله لم تزل ولن تزال قائمة:

فعن جابر بن سمرة رضي الله عنه يرفعه إلى النبي صلى الله عليه وسلم ، أنه قال :

(**لن يبرح هذا الدين قائما يقاتل عليه عصابة من المسلمين حتى تقوم الساعة**) رواه مسلم . وعن معاوية يرفعه أيضا : (**من يرد الله به خيرا يفقهه في الدين و لا تزال عصابة من المسلمين يقاتلون على الحق ظاهرين على من ناوأهم إلى يوم القيامة**) رواه مسلم .

و في رواية عنه أيضا : (**لا تقوم الساعة إلا وطائفة من أمتي ظاهرون على الناس ، لا يبالون من خذلهم و لا من نصرهم**) **رواه** ابن ماجة .

وهكذا بقيت وما زالت الطائفة المنصورة ، طائفة الجهاد والدفع هذه قائمة تجاهد على مر العصور . وحتى إلى يومنا هذا ولله الحمد والمنة .

وشواهد ما أسلفت من الملاحظات في كتب التاريخ كثيرة جدا ، لعل الله يوفقنا لذكر طرف منها في كتاب منفصل عن تاريخنا المجيد ونوادره الرائعة ، وكنت أود أن أنقل أطرافا من ذلك هنا مما جمعته ، ثم عدلت عن ذلك خشية أن يطول بنا المقام عن المقصد من هذه النبذة التاريخية في سياق هذا الكتاب .

<u>وبالخلاصة :</u>

فقد أدت (**موروثات الصلاح الكامنة في الأمة**) في الحكام والعلماء والمحكومين على مر تلك العصور.. إلى استمرار الخير ينازع وجوه الشر والفساد في الأمة ..، مما مد في عمر حضارتها لأكثر من ثلاثة عشر قرنا .. ، ولقد تحطمت على صخور دول الإسلام الصامدة كل الهجمات العاتية التي تكسرت موجاتها عليها .. وبقي الإسلام شامخا ، وبقي المسلمون أعزاء ..، وكانت كل دولة ومملكة وأمة تلاقي مصيرها بموجب السنن القدرية بقدر مالديها من صلاح وفساد ..

إلى أن استهلت العقود الأخيرة منذ القرن العشرين ، وبدأت الغالبية من جموع الأمة حكاما ومحكومين..تنسلخ عن شريعة ربها .. ونجحت مؤامرات العدو في سلخهم عن دينهم ، اعتقادا وتطبيقا إلا في الأقلية ممن رحم الله .. فبدأ يحل بنا ما نشاهد اليوم من الانهيار الذي لم يشهد له

تاريخنا مثيلا ، حيث أصبح الغزاة يقاتلون الأمة بأبنائها والمنتسبين (إسما) إليها ..وهذا ما سنفصل أسبابه وشواهده في الفصول القادمة إن شاء الله . ونبحث عن الحلول له، عساها تنفع الطائفة المنصورة، وعسانا نكون منهم إن شاء الله.

عود على بدء...

ونستأنف من حيث وصلنا في استعراض موجز عن تاريخنا ، بعد أن استعرضنا أهم الغارات التي تعرض لها عالمنا الإسلامي في تاريخنا القديم وهي الحملات الصليبية وغارات المغول ...وكنا قد عرضنا للدول المستقلة، بعد ذكر نبذة عن تاريخ الدولة النبوية، وخلافة الراشدين ،والدولة الأموية والدولة العباسية ..

وفي بدايات القرن العاشر الهجري ، ومطلع السادس عشر الميلادي . كان (آل عثمان) أحفاد السلاجقة في هضبة الأناضول ، قد نهضوا وأسسوا مملكة ، اتسعت من غرب الأناضول شيئا فشيئا ، وتحولت إلى سلطنة قوية ، وتمكنت من فتح القسطنطينية عاصمة الروم البيزنطيين سنة (1453ميلادية) ، مما أحدث نقلة تاريخية عالمية ، حيث عدت تلك الواقعة عند المؤرخين الغربيين نهاية العصور الوسطى وبداية العصور الحديثة .

وبعد أن فتح العثمانيون القسطنطينية تحركوا شمالا وغربا في أوربا ، وفتحوا بلاد القرم ومحيط البحر السود وبلاد القفقاس و وأوربا الشرقية وبلاد البلقان، ووصلوا إلى وسط النمسا.وشمال إيطاليا.! كما تحركوا جنوبا ، وبسطوا سيطرتهم على بلاد الشام والعراق ومصر ، والحجاز واليمن ، ثم وسط شمال إفريقيا.. وأكثر جزر البحر المتوسط .. وبعد فتحهم مصر ، نقلوا إليهم الخلافة ، وتسلموها من آخر الخلفاء الرمزيين لبني العباس الذين كانوا في القاهرة في كنف دولة المماليك سنة (922هـ) . ومنذ ذلك الوقت قامت الخلافة العثمانية التي أعادت جمع شتات المسلمين تحت رايتها وسلطانها ، وحملت راية الجهاد دفعا وطلبا في مواجهة دول وممالك أوربا الذين ورثوا راية الروم بعد سقوط القسطنطينية .ومهما كان من آراء المؤرخين في تلك الخلافة والدولة العثمانية ، إلا أن مما لا شك فيه أنها كانت امتدادا لدولة الإسلام ورايته وحضارته . وامتدادا لمسمى الخلافة الإسلامية التي غابت عن الوجود بغياب دولت العثمانيين وسقوطها على أيدي الدول الأوربية سنة 1924م .

ولأهمية هذه الحقبة من تاريخ المسلمين الحديث ، بل وتاريخ الصراع حامي الوطيس بين المسلمين والروم المعاصرين (الدول الأوربية) نعرض أيضا لنبذة عن تاريخ الدولة العثمانية . حيث سنتوسع فيه بعض الشيء (80 صفحة تقريبا) اختصرت فيها مئات الصفحات من مصادرها

، لأنه يمثل المراحل الأولى للصراع الحديث بين المسلمين والدول الأوربية . كما يشكل بدايات لنشوء النظام الدولي الحديث القائم على نظام صراع المصالح والأحلاف الدولية .

حيث سيرى القارئ أن ما نعيشه اليوم من حبائل الدول الرومية الحديثة المتعددة : (أوربا وروسيا وأمريكا) ما هو إلا تكرارا لما جرى خلال القرنين الماضيين ، حيث يزخر ذلك التاريخ – الذي يعيد نفسه الآن - بدروس كثيرة بالغة الأهمية للطليعة القيادية التي ستقود جهادنا الحالي والقادم . بعون الله .

الدولة الإسلامية في عهد الخلافة العثمانية

مختصر تاريخ الدولة العثمانية [1]

(1300- 1924 م)

مؤسس هذه الدولة هو أرطغرل بن سليمان شاه التركماني قائد إحدى قبائل الترك النازحين من سهول آسيا الغربية إلى بلاد آسيا الصغرى .

فقد قام أرطغرل أواسط القرن السبع الهجري بنصرة الملك علاء الدين سلطان على خصومه في قونية ، وهي إحدى الإمارات السلجوقية التي تأسست عقب انحلال دولة آل سلجوق بموت السلطان ملك شاه في 15 شوال سنة 485هـ / 1092م .

فكافأه الملك علاء الدين على مساعدته له بإقطاعه عدة أقاليم ومدن. ثم لقب قبيلته بمقدمة السلطان لوجودها دائما في مقدمة الجيوش .

- **(1) - السلطان عثمان مؤسس الدولة العثمانية (1300- 1317م):**

ولما توفي أرطغرل سنة 687 هـ الموافقة سنة 1288 م ، عين الملك علاء الدين اكبر أولاده مكانه وهو عثمان مؤسس الدولة العثمانية .

وفي سنة 1300 م تقريبا الموافقة سنة 699 هـ ، أغارت جموع التتار على بلاد آسيا الصغرى وفيها كانت وفاة علاء الدين آخر السلجوقيين بقونية و انفتح المجال لعثمان فاستأثر بالأراضي المقطعة له ولقب نفسه باد شاه آل ثم اخذ في توسيع دائرة أملاكه.

---

[1] كما أسلفت في بداية فصل التاريخ فقد اعتمدت في كتابة مختصر تاريخ الدولة العثمانية على كتاب (تاريخ الدولة العثمانية) – باختصار وتصرف وإضافات – لكاتبه (فريد بك المحامي) . وهو فيما يبدو مصري من أصل تركي كتب كتابه سنة 1910. و يتضح فيه نفسه الماسوني ، وحقده على السلطان عبد الحميد رحمه الله ، ونفسه الشعوبي التركي ، وتأييده لجمعية الإتحاد والترقي اليهودية الماسونية . وكتابه منشور في برنامج الألفية المعروف . ولم يؤثر نفس الكاتب على موضوعيته كثيرا إلا في تأريخه لمرحلة السلطان عبد الحميد وصراعه مع الماسون . وتأريخه للمراحل الأخيرة منذ بدأ نشاط الماسون . وأما ما سبق من مراحل فنفس الكاتب فيها موضوعي نسبيا ومقبول وغزير المعلومات في تاريخ العثمانيين الذي أبدى الكاتب ولاء كبيرا لدولتهم .

وآسف لأني لم أجد الوقت لإصلاح اللكنة الأعجمية في أسلوب كتابة الكاتب المنقولة من القرص المدمج – إلا قليلا – ولعلي أفعل ذلك في نسخة تالية إن شاء الله .

ثم أرسل إلى جميع أمراء الروم ببلاد آسيا الصغرى يخيرهم بين ثلاثة أمور الإسلام او الجزية أو الحرب فاسلم بعضهم وانضم إليه وقبل البعض دفع الخراج واستعان الباقون على السلطان عثمان بالتتار. وبعد أن انتصر على التتار عاد مسرعا لمحاصرة مدينة بورصة سنة 717 هـ الموافقة سنة 1317 م. حيث اسلم حاكمها افرينوس وأعطى له لقب بك وصار من مشاهير قواد العثمانيين. وعقب ذلك بقليل مات عثمان بعد أن أوصى للملك بعده لأورخان ثاني أولاده.

- **(2) - السلطان الغازي أورخان الأول(1317 -1360م) :**

كان أول عمل أجراه هو نقل مقر الحكومة إلى مدينة بورصة.

أرسل إليه ملك الروم بالقسطنطينية سنة 1355 وفدا يطلب منه أن يمده بالمساعدة لصد غارات دوشان ملك الصرب ولما نزل العثمانيون بساحل أوروبا تحققوا ضعف مملكة الروم وما آلت إليه من الانحلال فأخذ السلطان أورخان في تجهيز الكتائب سرا لاجتياز البحر واحتلال بعض نقط على الشاطئ الأوروبي تكون مركزا لأعمال العثمانيين في أوروبا . وساعدتهم المقادير بسقوط جزء من أسوار جاليبولي عقب زلزال شديد فدخلها العثمانيون بدون كبير عناء واحتلوا عدة مدائن أخرى منها ابسالا و رودس وغيرهما.

تأسيس الجيش العثماني المحترف : (الإنكشارية) :

وقد عاون أورخان أخوه علاء الدين في الإدارة الداخلية ، وكان من أهم أعمال علاء الدين أن أمر بضرب العملة من الفضة والذهب ووضع نظاما للجيوش المظفرة وجعلها دائمة إذ كانت قبل ذلك لا تجمع إلا وقت الحرب وتصرف بعده ثم خشي من تحزب كل فريق من الجند إلى القبيلة التابع إليها وانفصام عرى الوحدة العثمانية التي كان كل سعيهم في إيجادها فأشار عليه احد فحول ذلك الوقت واسمه قرة خليل وهو الذي صار فيما بعد وزيرا أولا باسم خير الدين باشا بأخذ الشبان من أسرى الحرب وفصلهم عن كل ما يذكرهم بجنسهم وأصلهم وتربيتهم تربية إسلامية عثمانية بحيث لا يعرفون أبا إلا السلطان ولا حرفة إلا الجهاد في سبيل الله . ولعدم وجود أقارب لهم بين الأهالي لا يخشى من تحزبهم معهم فأعجب السلطان أورخان هذا الرأي و أمر بنفاذه ولما صار عنده منهم عدد ليس بقليل سار بهم إلى الحاج بكطاش شيخ طريقة البكطاشية بأماسية ليدعو لهم بخير فدعا لهم هذا الشيخ بالنصر على الأعداء وقال فليكن اسمهم (يني تشاري) ويرسم بالتركية هكذا (يكيجاري) أي (الجيش الجديد) ثم حرف في العربية فصار (إنكشاري) . ثم ارتقى هذا الجيش في النظام وزاد عدده حتى صار لا يعول إلا عليه في الحروب وكان هو من اكبر واهم عوامل امتداد سلطة الدولة العثمانية كما أنهم خرجوا فيما بعد عن حدودهم وتعدوا واستبدوا بما جعلهم

سببا في اضطرابات الدولة إلى أن ألغى السلطان محمود الثاني الإنكشارية بعد أن قتل اغلبهم 1241 م لمقاومتهم إجراءات السلاطين وعصيانهم عليهم وتعديهم على حقوقهم .

وفي سنة 761 هـ سنة 1360 انتقل توفي السلطان أورخان الغازي وسنه 81 سنة ومدة حكمه 35 سنة بعد أن أيد الدولة بفتوحاته الجديدة وتنظيماته العديدة ودفن في مدينة بورصة .

- **(3) - السلطان الغازي مراد خان الأول (1360-1389م) :**

ومدة حكمه 35 سنة . وكانت فاتحة أعماله احتلال مدينة أنقرة مقر سلطنة القرمان .أما في أوروبا ففتح مدينة أدرنه في سنة 1361 م واستمرت عاصمة للعثمانيين إلى أن فتحت مدينة القسطنطينية سنة 1453 م . وفتح أيضا مدينة فيلبه عاصمة الرومللي الشرقية وفتح افرينوس بك مدينتي وردار و كلجمينا باسم سلطان العثمانيين وبذلك صارت مدينة القسطنطينية محاطة من جهة أوروبا بأملاك آل عثمان وفصلت عن باقي الإمارات المسيحية الصغيرة التي كانت شبه جزيرة البلقان مجزأة بينها وصارت الدولة العلية متاخمة لإمارات الصرب والبلغار وألبانيا .

فاستغاث الروم بالبابا فلبى استغاثتهم وكتب لجميع الملوك بالتأهب لمحاربة المسلمين وحرضهم على محاربتهم محاربة دينية حفظا للدين المسيحي من الفتوحات الإسلامية .

لم ينتظر أوروك الخامس الذي عين عظيم فرسان المجر وسار بهم لمهاجمة مدينة أدرنة عاصمة الممالك ولم يلبثوا إلا قليلا حتى ولوا الأدبار وكان ذلك في سنة 866 هـ سنة 1363 م .

ولما عظم شأن الدولة خشيها مجاوروها خصوصا الضعفاء منهم فأرسلت جمهورية راجوزه في سنة 1365 إلى السلطان مراد رسلا امضوا معه معاهدة ودية وتجارية تعهدوا فيها بدفع جزية سنوية قدرها 500 دوكا ذهب وهذه أول معاهدة أمضيت بين العثمانيين والدول المسيحية.

وفي سنة 1379 م اتحد لازارجر بلينانوفتش الذي تربع على مملكة الصرب . مع سيسمان أمير البلغار على مقاتلة العثمانيين ثم تحققا عجزهما فابرما الصلح مع السلطان على أن يتزوج السلطان بنت أمير البلغار وعلى أن يدفع له الأميران خراجا سنويا معينا .وفي ابتداء سنة 1381 م ابتدأت الفتوحات ثانيا وأخذت سيرها الأول فألزم السلطان أمير إقليم الحميد بالتنازل له عن بلاده وفتح مدائن موناستر وبرلبه واستيب ووقعت مدينة صوفيا في قبضة العثمانيين بعد محاصرة استمرت ثلاث سنوات من سنة 1381 م إلى سنة 1383 م وعقب ذلك فتح الصدر الأعظم خير الدين باشا مدينة سلانيك الشهيرة .سنة 1389 م وانتشب القتال بين الصرب والعثمانيين وبهذه الواقعة المهمة كانت الغلبة للعثمانيين و زال استقلال الصرب كما فقدت البلغار و الرومللي و الأناضول استقلالها من قبل . وبينما كان السلطان مراد يمر من بين القتلى إذ قام من بينهم جندي صربي وطعن السلطان بخنجر طعنة كانت هي القاضية .

■ **(4) - السلطان الغازي بايزيد خان الأول (1389- 1402م) :**

اتفق أركان الدولة على توليته وكان له أخ اصغر منه بقليل يدعى يعقوب متصفا بالشجاعة والإقدام وعلو الهمة فخيف على المملكة منه من أن يدعي الملك ولذلك قتل باتفاق أمراء الدولة وقواد جيوشها . وادعى مؤرخو الإفرنج أن قتله كان بناء على فتوى شرعية أفتى بها علماء ذلك الزمان منعا لحصول الفتنة بناء على قوله تعالى : (والفتنة أشد من القتل !!). وكانت هذه الفعلة الشنيعة ، أول السنة التي سنها سلاطين العثمانيين لأنفسهم بقتل إخوة السلطان عند توليته ، درءا للفتن بحسب عقولهم السقيمة . – بحسب المؤرخين إن صح الزعم المتواتر عنهم -

وابتدأ السلطان بايزيد الأول أعماله بان ولى الأمير اسطفن بن لازار ملك الصرب حاكما عليها وتزوج أخته (اوليفيرا) وأجازه بان يحكم بلاده على حسب قوانينهم بشرط دفع جزية معينة وتقديم عدد معين من الجنود ينضمون إلى الجيوش الشاهانية وقت الحرب . ولما ساد الأمن في أوروبا قصد بلاد آسيا وفتح مدينة (آلا شهر) المعروفة عند الإفرنج باسم فيلادلفيا سنة 1391 م وهي آخر مدينة بقيت للروم في آسيا . وهكذا صار شرق بحر مرمرة خالصا للعثمانيين .

فلما علم سجسمون ملك المجر خبر ما حل ببلاد البلغار خشي علي مملكته إذ صار متاخما في عدة نقط للدولة العلية فاستنجد بأوروبا وساعده البابا وأعلن الحرب الدينية بين أقوام أوروبا الغربية فأجاب الدعوة (دوك بورغونيا) وأرسل ابنه الكونت (دي نيفر) ومعه ستة آلاف محارب اغلبهم من أشراف فرنسا وفيهم كثير من أقارب ملك فرنسا نفسه وانضم إليه حين مسيره إلى بلاد المجر أمراء (بافاريا ، و استيريا ، و شواليه) و القديس حنا الأورشليمي وكثير من الألمان ثم اجتاز هذا الجيش نهر الدانوب . فسار إليهم السلطان بايزيد ومعه مائتا ألف مقاتل بهم كثير من أهالي الصرب تحت قيادة أميرهم (اسطفن بن لازار) وغيرهم من الأمم المسيحية الخاضعة لسلطان العثمانيين وقاتلهم قتالا عنيفا . في يوم 23 ذي القعدة سنة 798 27 سبتمبر سنة 1396 كانت نتيجتها انتصار العثمانيين على الجيوش المتألبة عليهم وأسر كثير من أشراف فرنسا منهم الكونت دي نيفر نفسه وقتل اغلبهم وأطلق سراح الباقي و الكونت دي نيفر بعد دفع فداء اتفق على هذا.

وقد شدد الحصار بعد ذلك على مدينة القسطنطينية . ولولا إغارة المغول على بلاد آسيا الصغرى لربما كان تمكن من فتحها لكن الأمور مرهونة بأوقاتها . فاكتفى بإبرام الصلح مع ملكها هذه المرة بشرط دفع عشرة آلاف ذهب سنويا من عملة وقتها . وان يجيز للمسلمين أن يبنوا بها جامعا لإقامة شعائر الدين الحنيف وان تقام لهم محكمة شرعية للنظر في قضايا المستوطنين بها منهم.

- **إغارة تيمورلنك على آسيا الصغرى:**

أغار تيمور بجيوشه الجرارة على بلاد آسيا الصغرى وافتتح مدينة سيواس بأرمينيا ولذلك جمع السلطان بايزيد جيوشه وسار لمحاربة تيمور الأعرج فتقابل الجيشان في سهل انقره .فسقط أسـيرا في أيدي المغول هو وابنه موسى وكان ذلك في 19 ذي الحجة سنة 804 20 يوليو سـنة 1402 م . ومـات في الأسر.

وبعد موت السلطان بايزيد تجزأت الدولة إلى عدة إمارات صـغيرة كـما حصـل بعـد سـقوط دولة آل سلجوق ، لان تيمورلنـك أعـاد إلى أمـراء قسـطموني وصـاروخان وكرميـان وآيـدين ومنتشـا وقرمان ما فقدوه من البلاد . واستقل في هذه الفترة كل من البلغار والصرب و الفلاخ ولم يبق تابعـا للراية العثمانية إلا قليل من البلدان . ومما زاد الخطر على هذه الدولة عدم اتفاق أولاد بايزيد على تنصيب احدهم بل كان كل منهم يدعي الأحقية لنفسه فتحالف بعضهم مع الـروم ، وبعضـهم مـع تيمورلنك . إلى أن آل الأمر لأحدهم ويدعى محمد ، وبذلك انفرد بما بقي من بلاد آل .

(5) السلطان محمد جلبي الغازي (1410-1421) :

هذا وقد كانت مدة حكم السلطان محمد كلها حروبا داخلية لإرجاع الإمارات التـي اسـتقلت في مدة الفوضى التي أعقبت موت السلطان بايزيد في الأسر . فحافظ على محالفة ملك الـروم الـذي لولا مساعدته له لخيف على عرى الدولة العلية من الانفصام . ومـما يـؤثر عـن هـذا السـلطان انـه استعمل الحزم مع الحلم في معاملة من قهرهم . اشتغل بقمـع الفـتن وترتيـب أمـور الدولـة إلى أن فاجأه الموت في سنة 824 هـ سنة 1421 م في مدينة أدرنـه فاسـلم الـروح وعمـره 43 سـنة بعـد أن أوصى بالملك لابنه مراد . واشتهر السلطان محمد بحبه للعلوم والفنون وهو أول ملك عـثماني أرسـل الهدية السنوية إلى أمير مكة التي يطلق عليها اسم الصرة . وهي عبارة عن قـدر معـين مـن النقـود ترسل إلى الأمير لتوزيعه على فقراء مكة والمدينة.

- **(6)- السلطان مراد خان الثاني (1421 –1451م):**

تولى وعمره ثماني عشرة سنة وافتتح أعماله بإبرام الصلح مع أمير القرمـان والاتفـاق مـع ملـك المجر على هدنة خمس سنوات حتى يتفرغ لإرجاع من شـق عصـا الطاعـة مـن ولايـات آسـيا لكـن حدث ما شغله عن هذا بتحالف بعض أقربائه مع ملك الروم .

وفي سنة 1430 أعاد السلطان فتح مدينة سلانيك وبعد ذلك أراد السـلطان مـراد ان يفـتح مـا بقي من بلاد الصرب وبلاد ألبانيا الأرنؤود و الفلاخ قبل أن يعيد الكـرة عـلى القسـطنطينية حتـى لا يكون لها من هذه الولايات نصير . وقـد خـاض السـلطان مـراد حروبـا كثـيرة مـع الصرـب والبلغـار

والألبان . وتنازل عن السلطنة لابنه محمد ، ليتفرغ للعزلة . و توفي في 7 فبراير سنة 1451 وسنه 49 سنة ومدة حكمه 30 سنة وتولى بعده ابنه السلطان أبو الفتح محمد الثاني.

- **(7)- السلطان الغازي محمد الثاني فاتح القسطنطينية (1451- م) :**

وهو سابع السلاطين ولما تولى الملك بعد أبيه لم يكن بآسيا الصغرى خارجا عن سلطانه إلا جزء من بلاد القرمان ومدينة سينوب ومملكة طرابزون الرومية وصارت مملكة الروم الشرقية قاصرة على مدينة القسطنطينية وضواحيها . وكان إقليم موره مجزأ بين البنادقة وعدة إمارات صغيرة يحكمها بعض أعيان الروم أو الإفرنج الذين تخلفوا عن إخوانهم بعد انتهاء الحروب الصليبية ، وبلاد الأرنؤود(البوسنة) ، وقد زعم المؤرخون أنه أمر بقتل أخ له رضيع اسمه احمد ، وبإرجاع الأميرة مارا الصربية – محظية أبيه - إلى والدها . ثم اخذ يستعد لتتميم فتح ما بقي من بلاد البلقان ومدينة القسطنطينية حتى تكون جميع أملاكه متصلة.

فتح القسطنطينية (857 هـ - 1453م) :

حاصر السلطان المدينة في أوائل ابريل سنة 1453 من جهة البر بجيش يبلغ المائتين وخمسين ألف جندي ومن جهة البحر بأسطول مؤلف من مئة وثمانين سفينة وأقام حول المدينة أربع عشرة بطارية طوبجية مدفعية وضع بها مدافع جسيمة صنعها له صانع مجرى شهير اسمه أوربان . وكانت تقذف كرات من الحجر زنة كل واحدة منها اثنا عشر قنطارا إلى مسافة ميل . وفي إثناء الحصار اكتشف قبر أبي أيوب الأنصاري الذي استشهد حين حصار القسطنطينية في سنة 52 هـ في خلافة معاوية بن أبي سفيان رضي الله عنه . وبعد الفتح بنى له مسجدا جامعا وجرت العادة بعد ذلك أن كل سلطان يتولى يتقلد سيف عثمان الغازي الأول بهذا المسجد .

ولما شاهد قسطنطين آخر ملوك الروم هذه الاستعدادات استنجد بأوروبا فلبى طلبه أهالي جنوه وأرسلوا له أسطولا بحريا فأتى بمراكبه فعارضته السفن العثمانية وانتشرت بينهما حرب هائلة، انتهت بفوز أسطول جنوة ودخوله الميناء بعد أن رفع المحصورون السلاسل الحديدية التي وضعت لمنع المراكب العثمانية من الوصول إليها ثم أعيدت بعد مروره كما كانت ، فلم تستطع سفن العثمانيين مطاردتها ، فأوصلت المؤن للمدينة . وبعدها اخذ السلطان يفكر في طريقة لدخول مراكبه إلى الميناء لإتمام الحصار برا وبحرا . فخطر بباله فكرة عبقرية . وهي أن ينقل المراكب على البر ليجتازوا السلاسل الموضوعة لمنعه وتم هذا الأمر المستغرب بان مهد طريقا على البر بمسافة فرسخان أي ستة أميال (10كم) ورصت فوقه ألواح من الخشب صب عليها الزيت والدهن لسهولة زلق المراكب عليها وبهذه الكيفية أمكن نقل نحو سبعين سفينة بأحمالها ومدافعها .. إلى الطرف

الثاني من الخليج في ليلة واحدة !! حتى إذا أصبح النهار ونظرها المحصورون أيقنوا أن لا مناص من نصر العثمانيين عليهم . ثم أمر السلطان جيوشه بالاستعداد للهجوم في يوم /20 جماد أول سنة 857 هـ - 29 مايو سنة 1453 /. وفي الليلة السابقة لليوم المحدد أشعلت الجنود العثمانية الأنوار أمام خيامها للاحتفال بالنصر المحقق لديهم وظلوا طول ليلهم يهللون ويكبرون حتى إذا لاح الفجر صدرت إليهم الأوامر بالهجوم فهجم مئة وخمسون ألف جندي وتسلقوا الأسوار حتى دخلوا المدينة من كل فج واعملوا السيف فيمن عارضهم ودخلوا كنيسة القديسة صوفيا حيث كان يصلي فيها البطريق وحوله عدد عظيم من الأهالي . ويعتقد الروم حتى الآن أن حائط الكنيسة انشق ودخل فيه البطريق والصور المقدسة ، وفي اعتقادهم أن الحائط ينشق ثانية يوم يخرج الأتراك من القسطنطينية ويخرج البطريق منها ويتم صلاته التي قطعها عند دخول العثمانيين عليه عند الفتح !! .

وسميت المدينة **إسلام بول** أي **مدينة الإسلام** و جعلت عاصمة للدولة . ونذكر هنا أن المسلمين حاصروا القسطنطينية إحدى عشرة مرة قبل هذه المرة الأخيرة منها سبعة في القرنين الأولين للإسلام :

فقد حاصرها معاوية في خلافة سيدنا علي رضي الله عنه سنة 34 هـ 654 م

وحاصرها يزيد بن معاوية سنة 47 هـ 667 م في خلافة سيدنا علي أيضا.

وحاصرها سفيان بن أوس في خلافة معاوية سنة 52 هـ 672 م وفي 97 هـ 715 م

وحاصرها مسلمة بن عبد الملك في زمن الخليفة عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه .

وحوصرت أيضا في خلافة هشام بن عبد الملك سنة 121 هـ 739 م .

وفي المرة السابعة حاصرها الخليفة هارون الرشيد سنة 182 هـ 798 م .

هذا ثم دخل السلطان المدينة فوجد الجنود مشتغلين بالسلب والنهب .. فأصدر أوامره بمنع كل اعتداء ، فساد الأمن حالا ثم زار كنيسة أيا صوفيا وأمر بان يؤذن فيها بالصلاة إعلانا بجعلها مسجدا جامعا للمسلمين. وبعد تمام الفتح على هذه الصورة اعلن في كافة الجهات بأنه لا يعارض في إقامة شعائر ديانة المسيحيين بل انه يضمن لهم حرية دينهم وحفظ أملاكهم فرجع من هاجر من المسيحيين . وفرض عليهم دفع الخراج مستثنيا من ذلك أئمة الدين فقط .

وبعد إتمام هذه الترتيبات وإعادة ما هدم من أسوار المدينة وتحصينها سافر بجيوشه لفتح بلاد جديدة :

فقصد بلاد موره لكن لم ينتظر أميراها دمتريوس وتوماس أخوا قسطنطين قدومه بل أرسلا إليه يخبرانه بقبولهما دفع جزية سنوية قدرها اثنا عشر ألف دوكا فقبل ذلك السلطان .

وغير وجهته قاصدا بلاد الصرب فابرم أمير الصرب الصلح مع السلطان محمد الثاني على أن يدفع له سنويا ثمانين ألف دوكا وذلك في سنة 1454 .

وفي السنة التالية وصل مدينة بلغراد الواقعة على نهر الدانوب وحاصرها من جهة البر والنهر ثم أرسل الصدر الأعظم محمود باشا لإتمام فتح بلاد الصرب فأتم فتحها من سنة 1458 إلى سنة 1460.

وفي هذه الأثناء تم فتح بلاد موره ففي سنة 1458 فتح السلطان مدينة كورنته وما جاورها من بلاد اليونان حتى جرد توماس بالولوج أخا قسطنطين من جميع بلاده ولم يترك إقليم موره لأخيه دمتريوس إلا بشرط دفع الجزية .

وفي ذلك الوقت فتحت جزائر تاسوس والبروس وغيرها من جزائر بحر الروم .

ثم أغار السلطان م فوصل في اقرب وقت إلى مدينة بوخارست .

وفي سنة 1462 حارب السلطان بلاد البوسنة لامتناع أميرها عن دفع الخراج وأسره بعد محاربة عنيفة هو وولده وأمر بقتلهما فدانت له جميع بلاد البشناق وأهالي البوسنة .

وفي سنة 1463 استولوا على مدينة ارجوس وغيرها . ثم بعد هدنة استمرت سنة واحدة عادت الحروب بين العثمانيين و البنادقة وكانت نتيجتها أن افتتح العثمانيون جزيرة نجربونت وتسمى في كتب الترك اجر يبوس مركز مستعمرات البنادقة في جزائر الروم وتم فتحها في سنة 1470 وبعد أن ساد الأمن في أنحاء أوروبا حول السلطان أنظاره إلى بلاد القرمان بآسيا الصغرى.

ثم فضل البنادقة أن يبرموا صلحا جديدا مع السلطان ويتنازلوا عن اشقودره في مقابلة بعض امتيازات تجارية وتم الصلح بين الفريقين على ذلك وأمضيت به بينهما معاهدة في يناير سنة 1479. وكانت هذه أول خطوة خطتها الدولة العثمانية للتدخل في شؤون أوروبا إذ كانت جمهورية البنادقة حين ذاك أهم دول أوروبا في التجارة البحرية وما كان يعادلها في ذلك إلا جمهورية جنوا .

فتح جزائر اليونان ومدينة اوترانت :

وبعد أن تم الصلح مع البنادقة وجهت الجيوش إلى بلاد المجر . وفي سنة 1480 فتحت جزائر اليونان الواقعة بين بلاد اليونان وايطاليا وبعدها سار القائد كدك احمد باشا بمراكبه لفتح مدينة اوترانت بايطاليا التي كان عزم السلطان على فتحها جميعها ويقال انه اقسم بان يربط حصانه في كنيسة القديس بطرس بمدينة روما مقر البابا . ففتحت مدينة اوترانت عنوة في أغسطس سنة 1480 م.

وفي سنة 1481 م توفي أبو الفتح السلطان محمد الثاني الغازي عن ثلاث وخمسين سنة . ومدة حكم 31 سنة ، تمم في خلالها مقاصد أجداده ففتح القسطنطينية وزاد عليها فتح مملكة طرابزون الرومية والصرب و البشناق وألبانيا الأرنؤود وجميع أقاليم آسيا الصغرى ولم يبق في بلاد البلقان إلا مدينة بلغراد التابعة للمجر وبعض جزائر تابعة للبنادقة ودفن في المدفن المخصوص الذي أنشأه في احد الجوامع التي أسسها في الآستانة . فرحمه الله وجزاه عن الإسلام خيرا .

. ويروى أنه عمل تنظيمات إدارية كثيرة كان منها . وضع أول مبادئ القانون المدني وقانون العقوبات فأبدل العقوبات البدنية أي السن بالسن والعين بالعين وجعل عوضها الغرامات النقدية بكيفية واضحة أتمها السلطان سليمان القانوني الذي توسع في التشريعات الوضعية . . وعليه – إن صح الخبر - يكون هذا أول السير على طريق الكفر والبوار وأسباب هزيمة هذه الأمة . فقبح الله – من غير شرائعه - قال تعالى:

﴿ وَمَنْ لَمْ يَحْكُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ ﴾ (المائدة: 44) .

- **(8) - السلطان الغازي بايزيد خان الثاني(1481- 1512م):**

توفي السلطان أبو الفتح محمد الثاني عن ولدين أكبرهما بايزيد وكان حاكما باماسيا ، و ثانيهما جم المشهور في كتب الإفرنج باسم البرنس زيزيم وكان حاكما في القرمان .. وحصلت شواشر كثيرة بين الأخوين تدخل فيها البابا وملوك النصارى ، وانتهت بموت الأمير جم مسموما في كنف ملك فرنسا .

لم تحصل فتوحات ذات بال في عهد بايزيد الثاني ، ولكن توسعت العلاقات في عهده بين السلطنة وروسيا وممالك أوربا .

وكان للسلطان ثلاثة أولاد استعجلوا النزاع على السلطنة واستطاع الإنكشارية فرض السلطان سليم في حياة أبيه واتوا به إلى القسطنطينية باحتفال زائد وساروا به إلى سراي السلطان وطلبوا منه التنازل عن الملك لولده المذكور فقبل واستقال في يوم 8 صفر سنة 918 25 ابريل سنة 1512 .. ولم تزد أملاك الدولة العلية في زمن السلطان بايزيد الثاني إلا قليلا لحبه السلم وحقن الدماء . فكانت حروبه الخارجية اضطرارية للمدافعة عن الحدود حتى لا يستخف بها أعداؤها وكان سلمي الطباع كارها للقتل .

■ **(9) - السلطان سليم الأول الغازي (1512- 1520م) :**

عين سليم الأول الذي لقب بـ (ياوز) أي القاطع ابنه سليمان حاكما للقسطنطينية وسافر بجيوشه إلى بلاد آسيا لمحاربة إخوته وأولاد إخوته حتى لم يبق له منازع في الملك بعد أن قتل من عثر عليه من إخوته وأولادهم !

ثم عاد إلى مدينة أدرنه حيث كان بانتظار سفراء من قبل البندقية والمجر وموسكو وسلطنة مصر فابرم مع جميعهم هدنة لمدد طويلة بما أن مطامعه كانت متجهة إلى بلاد الفرس التي كانت أخذت في النمو والارتقاء في عصر ملكها شاه اسماعيل الصفوي الشيعي ، الذي بدأت دولته تنمو شرق السلطنة . فقد كان اسماعيل قد فتح ولاية شيروان وجعل عاصمته مدينة تبريز سنة 1501 . وبعدها فتح العراق وبلاد خراسان وديار بكر سنة 1508 . وأرسل احد قواده فاحتل مدينة بغداد . وفي سنة 1510 ضم إلى أملاكه بلاد فارستان و اذربيجان وبذلك امتدت مملكته من الخليج الفارسي إلى بحر الخزر ومن منابع الفرات إلى ما وراء النهر. وهكذا تاخمت دولة الصفويين الدولة العثمانية وأراد السلطان سليم إبعادها عنه .

فوقع القتال بين الجيشين في أغسطس سنة 1514 فانتصرت الجيوش العثمانية نصرا مبينا لتفوقها في سلاح المدفعية . وفر الشاه بما بقي من جيوشه ووقع كثير من قواده في الأسر وأسرت أيضا إحدى زوجاته ولم يقبل السلطان أن يردها لزوجها ، بل زوجها لأحد كتابه انتقاما من الشاه ! وفتحت المدينة أبوابها ودخلها السلطان منصورا في يوم 4 سبتمبر سنة 1514 . واستولى على خزائن الشاه وأرسلها إلى القسطنطينية . ثم فتحت الجيوش العثمانية مدائن ماردين وأورفه والرقة والموصل وبذل تم فتح إقليم ديار بكر وأطاعت كافة قبائل الكرد بدون كثير عناء بشرط بقائهم تحت حكم رؤساء قبائلهم.

فتح مصر انتقال الخلافة إلى العثمانيين :

لم ينته السلطان سليم من محاربة الشيعة وفتح بلاد ديار بكر والموصل حتى اخذ في الاستعداد لفتح سلطنة مصر، بما أن سلطانها قانصوه الغوري كان قد تحالف مع الشاه اسماعيل لمحاربة الدولة العثمانية . وسار بجيشه إلى بلاد الشام فتقابل الجيشان بقرب مدينة حلب الشهباء (حرسها الله وردنا إليها منصورين). فالتقوا في واد يقال له مرج دابق وقتل الغوري في أثناء انهزام الجيش المملوكي . وكان ذلك في أغسطس سنة 1516 . وبعد هذه الموقعة دخل السلطان حلب ، ويروى أنه قتل كل من كان فيها من الشيعة ، وقيل أنهم ثلاثين ألفا! ثم احتل السلطان سليم بكل سهولة مدائن حماه وحمص ودمشق وعين بها ولاة من طرفه . وقابل من بها من العلماء فأحسن وفادتهم وفرق الإنعامات على المساجد وأمر بترميم الجامع الأموي بدمشق. ولما صلى السلطان

الجمعة به أضاف الخطيب عندما دعا له صفة : (**خادم الحرمين الشريفين**) وبقيت نعتا للخلفاء العثمانيين. (ثم اغتصبها في زماننا المنحوس خادم اليهود والنصارى والمجوس ، ملك آل سعود فهد بن عبد العزيز) .

ثم احتل العثمانيون مدينة غزة ثم مدينة القاهرة رغما عن مقاومة المماليك الذين حاربوهم من شارع لآخر ومن منزل لآخر حتى قتل منهم ومن أهالي البلد ما يبلغ خمسين ألف نسمة ! أما طومان باي فلم يلبث أن وقع في أيدي العثمانيين بخيانة بعض من معه ، وشنق بأمر السلطان سليم في ابريل سنة 1517م بباب زويلة.

ومما جعل لفتح وادي النيل أهمية تاريخية عظمى أن محمد المتوكل على الله ،آخر ذرية الدولة العباسية الذي حضر أجداده لمصر بعد سقوط مدينة بغداد مقر خلافة بني العباس في قبضة هولاكو خان التتري سنة 656 هـ - 1091 م وكانت له الخلافة بمصر اسما تنازل عن حقه في الخلافة الإسلامية إلى السلطان سليم العثماني . وصدق الله العظيم :

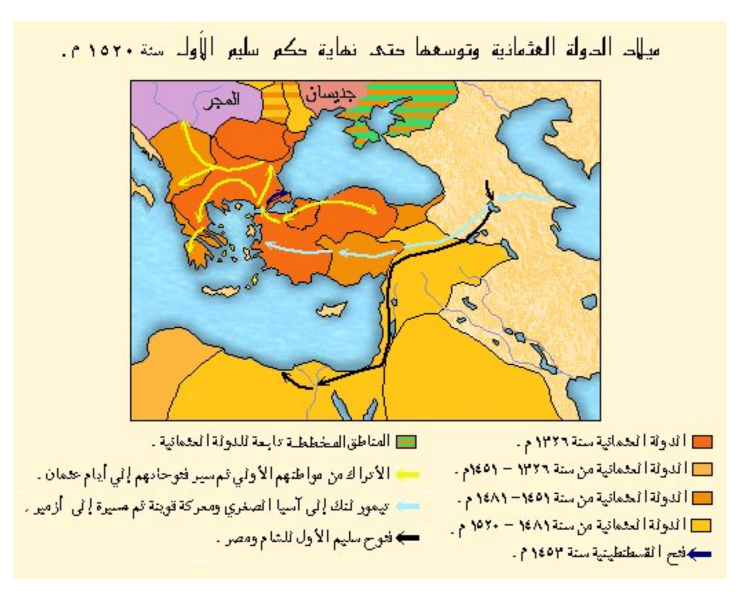
﴿ **وإن تتولوا يستبدل قوما غيركم** ﴾ . وسلمه الآثار النبوية الشريفة : وهي البيرق (العلم) والسيف والبردة ، وسلمه أيضا مفاتيح الحرمين الشريفين . ومن ذلك التاريخ صار كل سلطان عثماني أميرا للمؤمنين وخليفة للمسلمين .

وفي أوائل شهر سبتمبر سنة 1517 سافر السلطان سليم من القاهرة عائدا إلى القسطنطينية. وفي 20 رمضان سنة 923 وصل السلطان إلى مدينة دمشق ومكث بها إلى 22 صفر سنة 924 وحضر الاحتفال بإقامة الصلاة أول مرة في الجامع الذي أقامه بدمشق على قبر محيي الدين بن العربي . ثم سافر إلى مدينة حلب ومنها إلى أدرنه . وفي الطريق وصل إليه سفير من قبل مملكة أسبانيا ليخابره بشأن حرية زيارة المسيحيين للقدس الشريف الذي كان قبلا تابعا لسلطنة مصر وتبعها في دخولها تحت ظل الدولة العثمانية . في مقابلة دفع المبلغ الذي كان يدفع سنويا للمماليك فأحسن السلطان مقابلته وصرح بقبوله ذلك ، وأبرم الإسبان معاهدة مع الباب العالي. وكذلك أتى إليه ا سفير من قبل جمهورية البندقية ليدفع له خراج سنتين متأخر الخراج المقرر عليها نظير بقائها في جزيرة قبرص .

وسبحان من يعز من يشاء ويذل من يشاء . حيث صارت الدولة العثمانية منذ عهد الفاتح دولة عظمى يحسب لها ملوك أوربا ألف حساب .

وكان السلطان سليم في هذه المدة مشتغلا بتجهيز أسطول بحري لمعاودة الكرة على جزيرة رودس بحرا . وكان يستعد أيضا لمحاربة شاه العجم ثانيا و لكن لم يمهله المنون ريثما يتم مشروع فتح جزيرة رودس بل عاجله في رحلته من القسطنطينية إلى أدرنه فتوفي في سبتمبر سنة 1520 م .

و كان حضرته - كما سجل المؤرخون - سفاكا للدماء ، ولوعا بفك الرقاب . فقد قتل سبعة مـن وزرائه لأسباب واهية . وكان كل وزير مهددا بالقتل لأقل هفوة . حتى صـار يُـدعى عـلى مـن يـرام موته بان يصبح وزيرا لـه . وقـد بنـى السـلطان سـليم كثـيرا مـن الجوامـع ، وحـول أجمـل كنـائس القسطنطينية إلى مساجد مع سبق الوعد من السلطان محمد الثاني الفاتح لبطريق الروم بعدم مس نصف الكنائس الثاني الذي تركه لهم بعد فتح المدينة .



<u>(10) - السلطان الغازي سليمان خان الأول القانوني (1520- 1566) :</u>

وهو عاشر ملوك آل عثمان. وأوسعهم عزا ومجدا ، ويمثل عهده قمة بهاء دولتهم . وكان من عادته إرسال الخطابات إلى كافة الولاة وأشراف مكة والمدينـة بخطابـات مفعمـة بالنصـائح والآيـات القرآنية المبينة ، وذكر فضل العـدل والقسـط في الأحكـام ، و وخامـة عاقبـة الظلـم . وكـان يسـتهل خطاباتـــــــــــــــه بالآيـــــــــــــــــــة الشرـــــــــــــــــــيفة :

﴿ إنه من سليمان وإنه بسم الله الرحمن الرحيم ﴾ . وكان من أهم أحداث عهده :

<u>فتح مدينة بلغراد في سنة 1521م :</u> بعد أن ورد خبر قتـل السـفير الـذي أرسـله السـلطان إلى ملك المجر يطلب منه دفع الجزية أو الحرب . فاستشاط السلطان غضبا وسار هو بنفسه في مقدمة الجيش إلى بلغراد فدخلها وصلى الجمعـة في إحـدى كنائسـها التـي حولـت مسـجدا وصـارت هـذه المدينة التي كانت امنع حصن للمجريين اكبر مساعد لها على فتح ما وراء نهر الدانوب من الأقـاليم والبلدان .

فتح جزيرة رودس سنة 1523 م: وبعد ذلك اخذ السلطان في الاستعداد برا وبحرا لفتح جزيرة رودس التي لم يتمكن السلطان محمد الفاتح من فتحها لتكون حلقة اتصال بين القسطنطينية ومصر من جهة البحر. ولكي لا يكون للمسيحيين مركز حصين في وسط بلاده تلجأ إليه أساطيل الدول المعادية للدولة وقت الحرب .

فتح بلاد المجر وعاصمتها سنة 1526 م: كانت الحرب غير منقطعة بين المجر وبين العثمانيين على التخوم. وبعد أن افتتح الجيش عدة قلاع ذات أهمية حربية على نهر الطونة وصل بجيشه إلى وادي موهاكس في أغسطس سنة 1526 فقتل هناك اغلب الفرسان المجرية وقتل ملكهم ولم يعثر على جثته . فكانت هذه الواقعة سبب فتح بلاد المجر بأسرها . ولذلك أرسل أهالي مدينة (بود) عاصمة المجر مفاتيح المدينة إلى السلطان فاستلمها مشددا الأوامر على الجنود بعدم التعرض للأهالي والمحافظة على النظام لكن لم تجد تنبيهاته شيئا .

ابتداء الحروب مع النمسا وحصار عاصمتها (فيينا):

ثم قام السلطان بجيوشه قاصدا مدينة (فيينا) ووصل السلطان سليمان بجيوشه أمام عاصمة بلاد النمسا ووضع الحصار حولها وسلط مدافعه على أسوارها فهدم جزءا منها وفتح بها ثلما حتى صار يمكن الجيوش الهجوم منه ثم أمر الجنود بالهجوم ، ولكنه لم يتمكن من دخول في المدينة ، ولما نفدت الذخيرة و أقبل الشتاء أصدر أوامره بالرجوع عن فيينا ، تلك السنة وإعداد الجيوش لمعاودة الكرة فيما بعد . وفي 19 رمضان سنة 938 هـ 25 ابريل سنة 1532 سار السلطان سليمان قاصدا مدينة فيينا ثانية لفتحها . ولما وصل إلى مدينة نيش ببلاد الصرب وجد في انتظاره سفراء من قبل ارشيدوق النمسا ووجد بمدينة بلغراد سفيرا جديدا من قبل ملك فرنسا وبعد المقابلة وتبادل عبارات السلام بين السفير الفرنساوي و الخليفة عاد السفير لملكه حاملا خطابا يؤكد السلطان فيه اتحادهما على محاربة شارلكان (وكان ملكا للنمسا وهولندا و أسبانيا و إمبراطورا لألمانيا ويدخل معظم جنوب إيطاليا و جنوة وجزيرة مينوركا ، ووهران في ساحل الجزائر في ملكه) وبهذا كان يحيط بفرنسا من جميع الجهات . و وعد السلطان بإمداد فرنسا بالأسطول العثماني إذا مست الحاجة . ثم سار السلطان بجيوشه الذين كان يبلغ عددهم مائتي ألف مقاتل وانضم إليهم بعد مزاولتهم مدينة بلغراد خمسة عشر ألف فارس من تتر القرم وفي أثناء المسير نحو مدينة فيينا ، فتح الجيش عدة قلاع وحصون بدون مقاومة تذكر . ولعدم وجود مدافع حصار معه ولاقتراب فصل الشتاء بزمهريره عاد عنها أيضا .

ولما وصل السلطان في إيابه إلى مدينة فيليبه عين صاحب كراي التتري خانا لبلاد القرم بدل أخيه مكافأة له على خدماته أثناء مرور الجيش بأراضي النمسا . وفي أثناء انتشاب هذه الحروب من جهة البر . أتت مجموعة من سفن شارلكان الحربية ومعها عدة من سفن البابا بقصد محاربة

العثمانيين من جهة البحر، فاحتلت مينائي كورون وباتراس ببلاد موره بعد قتل من كان بها من الجنود الإنكشارية وتدمير القلعتين اللتين أقامهما السلطان بايزيد الثاني على ضفتي خليج ليبالت ببلاد اليونان. وفي أوائل سنة 1523 أرسل ارشيدوق النمسا سفيرا من قبله إلى الآستانة يعرض طلب الصلح على جلالة السلطان ، ولم يقبل السلطان الصلح بل قبل المهادنة مؤقتا حتى تسلم إليه مفاتيح مدينة جران . وبعدها تحول الهدنة إلى صلح فأرسل السفير إلى لعرض هذه الشروط على أكابر الدولة وأعيانها فقبلوها ، وبعد ذلك تحررت بين الطرفين معاهدة الصلح في يونيو سنة 1533 . واهم ما فيها أن يرد النمساويون مدينة كورون للدولة العثمانية ولا يردوا شيئا مما فتحوه من بلاد المجر. وان ما تتفق عليه النمسا مع زابولي صاحب بلاد المجر لا ينفذ ما لم يعتمده جلالة السلطان العثماني وهي أول معاهدة صلح بين النمسا والباب العالي .

الامتيازات القنصلية :

وفي أوائل شهر فبراير سنة 1536 تم الاتفاق بين سفير فرنسا والباب العالي وصدر به خط شريف يمنح بعض امتيازات لرعايا ملك فرنسا النازلين بأراضي الممالك الثمانية ، ويدل نص المعاهدة على عظيم ما وصلت إليه الدولة العثمانية آنذاك من العز والقوة والمهابة .. وبذلك صارت فرنسا الدولة الأوروبية الوحيدة الحائزة امتيازات لرعاياها ولكن يؤخذ عليها فتح الباب للإمتيازات القنصلية التي أعطت الأجانب الحق في التدخل في شؤون الدولة العثمانية الداخلية خصوصا في القرن التاسع عشر والعشرين بحجة الأقليات النصرانية ، والجاليات. كما سيجيء لاحقا .

خير الدين باشا البحري وفتح إقليمي الجزائر وتونس :

اشتهر القبطان خير الدين في كتب الإفرنج باسم (باربا روسا) أي ذي اللحية الشقراء . واصل خير الدين باشا من جزيرة مدللي إحدى جزائر الروم ، وكان هو وأخ له يدعى (اوروج) يشتغلان بالقراصنة في بحر الروم (البحر المتوسط) . ثم اسلما ودخلا في خدمة السلطان محمد الحفصي صاحب تونس . واستمرا في حرفتهما وهي أسر مراكب المسيحيين التجارية واخذ كافة ما بها من البضائع وبيع ركابها وملاحيها بصفة رقيق . وفي ذات يوم أرسلا إلى السلطان سليم الأول إحدى المراكب المأسورة إظهارا لخضوعهم لسلطانه فقبلها منهما . وأرسل لهما خلعا سنية وعشر سفن ليستعينوا بها على غزو مراكب الإفرنج . فقويت شوكتهما وتمكنا من فتح إقليم الجزائر باسم السلطان العثماني سنة 1533 ، وحاولا فتح تونس سنة 1535 . وقاموا بجهود جليلة في مساعدة المسلمين الفارين من بطش النصارى بعد سقوط غرناطة (1492م) ، وساعدوا في نقلهم بحرا إلى المغرب .

ثم جرى حلف بين فرنسا والدولة العثمانية على محاربة النمسا :

و كان من نتائج محالفة فرنسا مع الدولة العثمانية ، أن اتفاقهما كان قاضيا بان الدولة العلية تجعل وجهة حروبها بلاد نابولي وجزيرة صقلية وأسبانيا عوضا عن مهاجمة النمسا التي تتحد مع جميع إمارات وممالك ألمانيا للمدافعة عنها ، إذ هي مع استقلالها جزء من التحالف الألماني . وان جيوش فرنسا تدخل بلاد ايطاليا من جهة إقليم بيمونتي بشمال غرب ايطاليا حينما تدخلها الجيوش العثمانية من جهة مملكة نابولي . لكن عدم دخول جمهورية البندقية في هذا التحالف وإظهارها العدوان لهم كان سببا في عدم نجاح كل هذه التدابير . فأراد السلطان سليمان الانتقام من جمهورية البنادقة على عدم انحيازها لتحالفه مع انه راعى جوارها ولم يغز بلادهم فأرسل خير الدين باشا الذي ترقى إلى رتبة (قبطان باشا جميع الأساطيل العثمانية) ومعه نحو ألف سفينة لمحاصرة جزيرة كورفو ! فحاصرها في شهر سبتمبر سنة 1537 واتى السلطان بنفسه لمراقبة الحصار . لكنه أمر برفعه عنها لشدة دفاع أهلها وعدم ضياع وقته حول هذه الجزيرة . وعاد هو إلى القسطنطينية وأرسل خير الدين باشا لفتح ما بقي من جزائر الروم ، ففتح اغلبها وغزا جزيرة كريت، وفي عودته قابل أسطولا مؤلفا من مئة وسبعين سفينة تقريبا يقودها أندري روبا أميرال شارلكان فحاربها وانتصر عليها في 25 سبتمبر سنة 1538 . وفي مايو سنة 1538 جمع السلطان سليمان ببلاد الأرنؤود جيشا عظيما مؤلفا من مائة ألف مقاتل لشن الغارة على بلاد ايطاليا .

وفي الوقت نفسه نزل خير الدين باشا بميناء (اوترانته) بجنوب ايطاليا استعدادا لمهاجمتها من جهة الجنوب بينما يهاجمها السلطان سليمان من جهة الشرق وملك فرنسا من جهة الغرب . لكن إحجام فرنسا عن التقدم إطاعة للرأي العام كما ذكرنا كان السبب في عدم نجاح هذا المشروع الذي لو تم لكانت نتيجته دخول بلاد إيطاليا بأسرها تحت ظل الدولة العثمانية . وانتهى الأمر بان تهادن ملك فرنسا مع شارلكان وامضيا مهادنة نيس سنة 1538 أما من جهة البندقية فاستمرت الحرب بينها وبين الدولة العثمانية سجالا وانتهت بالصلح في أواخر سنة 1538 . بتنازل البندقية عن ملفوازي ونابولي دي رومانيا من بلاد موره . أما من جهة بلاد المجر فابتدأت الحروب ثانية سنة 1537 ، وانتهت بانهزام جيش ألماني مرسل من قبل شارلكان تحت رياسة اشهر قواده في ديسمبر سنة 1537. واستمرت المواجهات بين العثمانيين والنمسا بشأن النفوذ في المجر وتعيين حكامها إلى سنة 1541. **وتدل التفاصيل (المختصرة)السابقة على مدى قوة العثمانيين في عهد سليمان وسعي أكبر دول أوربا لطلب ودها والتحالف معها .**

سفر الأسطول العثماني إلى فرنسا وفتح مدينة نيس :

أرسل فرانسوا الأول إلى السلطان سليمان يطلب منه مساعدته على محاربة شارلكان بسفنه وقائدها خير الدين باشا ، فتردد السلطان أولا لعدم ثبات ملك فرنسا وضعف عزيمته . وقبل أخيرا

بناء على إلحاح السفير وتعضيد خير الدين باشا له ، لاسيما وقد وصل إليه خبر مهاجمة شارلكان بجيوشه لمدينة الجزائر وارتداده عنها خائبا في أكتوبر سنة 1541 . وفي ربيع سنة 1543 سافر السلطان بجيوشه إلى بلاد المجر لاستئناف المحاربات وفي الوقت نفسه اقلع خير الدين باشا من مياه الآستانة بمراكبه ومعه السفير الفرنساوي بولان قاصدا مرسيليا إحدى موانئ فرنسا الجنوبية فوصلها بعد أن غزا في طريقه سواحل جزيرة صقلية . وقوبل من الفرنساويين بكل تجلة وإكبار وانضمت سفنه إلى سفنهم ومنها اقلعوا إلى مدينة نيس ، فحاصروها من جهة البحر وفتحوها عنوة في أغسطس سنة 1543 . ولوقوع الشحناء بين العسكرين لم يتم احتلالها . ثم أذن لخير الدين باشا ومراكبه بتمضية فصل الشتاء في ميناء طولون بفرنسا ، وأعطى له ثمانمائة ألف ريال فرنساوي للصرف على جنوده . وفي ربيع السنة التالية سنة 1544 رفض فرانسوا الأول مساعدة الأسطول العثماني له لهياج جميع المسيحيين عليه ونسبتهم إياه للمروق عن دينه لاستعانته بالمسلمين . وابرم مع شارلكان في مارس سنة 1544 معاهدة كريسي القاضية بالصلح فعاد خير الدين باشا إلى القسطنطينية وتوفي سنة 1546 م ودفن على شاطئ البوسفور في إسلامبول .

إبرام الصلح مع النمسا :

أما من جهة النمسا فاستمر القتال بينها وبين العثمانيين مدة من الزمن كان النصر فيها غالبا في جانب العثمانيين . وأخيرا توصل الطرفان إلى عقد صلح مرضى لكل منهما رغم سعي سفير فرنسا في عدم الوصول إلى الوفاق طمعا منه في تجديد علائق الإلفة بين دولته والدولة العثمانية . وتم الصلح بينهما في سنة 1547 م .على هدنة خمس سنوات بشرط أن يدفع فردينان ملك النمسا جزية سنوية مقدارها ثلاثون ألف دوكا نظير ما بقي تحت يده من بلاد المجر. وان تبقى بلاد المجر تابعة لابن زابولي أميرها الأخير تحت وصاية أمه ايزابلا ورعاية الدولة العثمانية .

أما في جهات آسيا :

فقد حضر إلى دار الخلافة العظمى سنة 1537 سفير من قبل صاحب دهلي بالهند يستنجده ضد همايون بن ظاهر الدين محمد الشهير ببابر صاحب دهلي وآخر من قبل صاحب الجوزرات بالهند و يطلب منه أيضا المساعدة ضد البرتغاليين الذين أغاروا على بلاده واحتلوا أهم ثغورها.

فتح عدن: فأرسل السلطان أوامره إلى والي مصر إذ ذاك بتجهيز أسطول بحري بثغر السويس على البحر الأحمر لمحاربة البرتغاليين وفتح عدن وبلاد اليمن حتى لا تستولي عليها البرتغال أو أي دولة أوروبية أخرى فتصير حجر عثرة في سبيل تقدم الدولة العثمانية في جهات الشرق وقاعدة لأعمال الدولة التي تحتلها ضد مصر. فصدع بأمره وشيد أسطولا بحريا هائلا مؤلفا من سبعين سفينة على عجل ، وسلحها بالمدافع الضخمة وسار بها في يونيو سنة 1538 ومعه عشرون ألف جندي . وفتح مدائن عدن ومسقط ، وحاصر جزيرة هرمز عند مدخل بلاد العجم . ثم قصد

سواحل الجوزرات وفتح اغلب الحصون التي أقامها البرتغاليون هنـاك . ثـم قفـل راجعـا بالغنـائم . وفتح في أيامه معظم إقليم اليمن وجعله ولاية عثمانية .

وفي سنة 1547 أتى إلى الباب العالي أخ لشاه العجم يدعى القاصب مرزا وطلب مـن السـلطان إنجاده ضد أخيه الذي اهتضم له حقوقا ، فانتهز السلطان هذه الفرصة لتجديـد الإغـارة عـلى بـلاد العجم وانتظر ريثما يتم الصلح بأوروبا.

وفي أوائل سنة 1548 سار بجيوشه قاصدا مدينة تبريز، فدخلها وفـتح في طريقـه الجـزء التـابع للعجم من بلاد الكرد وقلعة وان الشهيرة .

ولم تدم السكينة في ربوع بلاد المجر. فأرسل جيشا مؤلفا من ثمانين ألف جندي إلى بلاد المجـر في شهر سبتمبر سنة 1551 . ولم يقابل هذا الجيش في طريقه مقاومـة تـذكر بـل فـتح بكـل سـهولة القلاع والحصون التي احتلتها جيوش النمسا لإخلاء النمساويين لهـا عنـد اقـتراب الجنـود العثمانيـة إليها ودنوها منها .

وفي سنة 1552 انتصر العثمانيون على النمساويين في عدة وقائع وفتح الوزير الثاني احمد باشا مدينة تمسفار وحاصرت الجيوش بعد ذلك مدينة ارلو الحصينة بـبلاد النمسـا. وفي أثنـاء ذلـك كـان القبطان طرغول الذي خلف خير الدين باشا في غزو مراكب الإفرنج وشواطئ بلادهم قد حاز شـهرة عظيمة في الحروب البحريـة ، وخافـت مـن اسـمه جميـع دول الإفـرنج المعاديـة للدولـة العثمانيـة وحفظ اسم البحرية العثمانية من السقوط بموت رئيسها و مؤسسها الأكبر خير الدين باشا .

معاهدة سنة 1553 بين الدولة العثمانية وفرنسا :

بعد موت السلطان فرانسوا الأول ملك فرنسا ، حذا ولده هنري الثاني حذوه ونسج على منواله في موالاة الدولة العثمانية والمحافظة عـلى محبتهـا وتوثيـق عـرى الإلفـة والاتحـاد معهـا للاسـتعانة ببحريتها عند الحاجة . فأبقى المسيو جبريل درامون سفيرا له في إسلامبول وأمره بمرافقة السلطان في حملته الأخيرة على بلاد العجم فرافقه . وفي عودته زار بيت المقدس ، فقابله الرهبان والقسس بكـل احتفال لتأييد المعاهـدات السـابقة القاضـية بجعـل جميـع الكاثوليـك المسـتوطنين بـأراضي الدولـة العثمانية تحت حماية فرنسا ثم عاد إلى فرنسا فوجد نـيران الحـرب قـد اشـتعلت ثانيـا بينهـا وبـين النمسا . فعاد إلى إسلامبول واتفق مع الباب العالي على أن يتحـد الأسـطول العـثماني مـع الأسـطول الفرنسي لفتح جزيرة كورسيكا ، مجـازاة لأهـالي جنـوه المحتلـين لهـا عـلى مسـاعدتهم لشـار لكـان . ولتكون مركزا لأعمال الأسطولين في غزو سواحل أسبانيا وايطاليا .

وأبرمت بذلك معاهدة بتاريخ 16 صفر سنة 960هـ. أول فبراير سنة 1553 . وننقل بعضا مـما جاء فيها لدلالتها على مجد الدولة العثمانية التي حملت لواء الإسلام في ذلك الزمان :

[ان جلالة السلطان سليمان وهنري دي فالوا الثاني ملك الفرانك قد ابرما اتحادا مشتملا على العبارة الآتية بخصوص الحرب البحري - جعله الله حميد العاقبة - !! والذي سيشرعان فيه ضد الإمبراطور شارلكان :

البند 1 : بما أن جلالة السلطان سليمان سلطان الترك بإرساله أسطولا بحريا في بحر التوسكان ضد الإمبراطور شارل الخامس ، قد أعان بذلك هنري دي فالوا مدة سنتين بناء على طلبه المتكرر في بادئ الأمر وبالخصوص بناء على ترجيعاته البالغة أقصى درجات الحض . فقد اتفق بأن الملك هنري يدفع ثلاثمائة ألف قطعة من الذهب بصفة متأخر مرتب الأسطول.

البند 4 : كل سفينة تابعة للإمبراطور أو للمتحالفين معه سواء أكانت معدة للنقل أو كانت من المراكب الخفيفة وسواء أكانت سفنا حربية صغيرة أو كبيرة فبمجرد وقوعها أسيرة لدى الأسطول العثماني تصير من تلك اللحظة ملكا للسلطان سليمان ملك الترك .

البند 5 : المدن والقصبات والقرى والكفور التي تتغلب عليها البحرية العثمانية تكون مباحة غنيمة للترك وجميع سكانها راشدين أو قاصرين رجالا كانوا أو نساء ولو أنهم معتنقون الديانة المسيحية ويكونون قد سلموا أنفسهم باختيارهم فانه لا بد من تركهم أسراء وعبيدا للترك ...

البند 6 : إذا أصدر الملك هنري أمره إلى أسطول جلالة السلطان سليمان بان تحارب شارل ملك النمسا غير متجهة نحو الغرب بل نحو الشرق والجنوب ويقصد بذلك مسيرها في الشواطئ من عند مصب نهر ترونتو لغاية كروتون بحيث أن هذه السفن تقوم بأعباء أوامر هنري بدون مقابل فقد اتفق على أن المواد الحربية ومؤونات المدن والقصبات التي تقع تحت يد الترك يتنازل عنها للملك هنري . ولكن المدن والقصبات والقرى والكفور فانها تترك غنيمة للترك كما تقرر ذلك بالبند السابق . وأما السكان والمزارعون والقاطنون البالغون والقاصرون الرجال منهم والنساء فإنهم يسلمون للأسر بدون معارضة حتى ولو كانوا ممن يعتنقون الديانة المسيحية بل ولو كانوا ممن اسلم نفسه بمحض إرادته .

البند 7 : يمكن لأميرال جلالة الملك سليمان أن يستولي ويأسر باسم مليكه الأفخم كل مكان تقدم عليه البحرية التركية المظفرة متى رأى ثمة من فائدة وذلك من ابتداء حدود نهر ترونتو لغاية اوترانت وكرتون ومن ثم لغاية صقلية ونابولي وعموما جميع الأقاليم المملوكة للإمبراطور شارل الخامس ملك النمسا . سواء أكان ذلك المكان داخل الأراضي أو سواء كان مدينة أو قصبة أو قرية أو كفرا أو ميناء أو خليجا وله الحق في الاستيلاء على أي سفينة يصادفها وله أن يغزو بل وان ينهب ويأسر الرجال والنساء البالغين أو القاصرين حتى انه يمكنه متى شاء أن يحافظ ويتملك جميع ما يغتنمه سواء أكان من بني الإنسان أو المدن أو البيوت الخلوية وان يعدها ويستعملها لاحتياجاته ولو ضد رغبة الفرنك وبالرغم عن مضاد تهم الشديدة في ذلك .

البند 9 : جلالة السلطان سليمان يسلم عدا عن ذلك الثلاثين سفينة حربية وبحارتها بدون أدنى فدية وكذا المدافع والمؤن وجميع المواد ويستثنى من ذلك رجال بحريته الخصوصيون وعساكره . كما وانه يدفع في أقرب وقت لبرنس سالرن الذي بذل نفسه وكل ما في وسعه للحصول عليها وكان نصيبه أن حرم من منصبه وطرد من وطنه وبيته مبلغ الثلاثين ألف قطعة من الذهب التي صرفها بكل ارتياح وكرم .] أهـ

ثم تتابعت المناوشات بين السلطنة والنمسا في المجر ولم تحصل أمور مهمة .

ثم افتتح أميرال العثمانيين طرغول طرابلس الغرب (ليبيا) في غضون سنة 1551م :

ووجه السلطان سليمان اهتمامه إلى تعزيز سفنه الحربية لحماية الجزائر وطرابلس الغرب لبعدها عن مقر الخلافة العظمى وطموح أنظار أسبانيا إلى إرجاعها . إذ أن وجود العثمانيين فيها يهدد سواحل أسبانيا ونابولي التي كانت تابعة لأسبانيا في ذلك الحين .

حصار جزيرة **مالطة:**

في أوائل سنة 1565 أرسلت قطع بحرية مؤلفة من نحو مائتي سفينة لفتح جزيرة مالطة مقر رهبنة القديس حنا الأورشليمي لأهمية هذه الجزيرة الواقعة بين إقليم تونس وجنوب ايطاليا وضرورة احتلالها لكل دولة تريد أن تكون لها اليد الطولى على البحر الأبيض المتوسط . فامتد حصارها سبتمبر 1565 وعادت السفن بجيوشها إلى إسلامبول.

الفتن داخل بيت السلطان سليمان :

حصلت حادثة شنيعة وهي قتل السلطان لولده الأكبر مصطفى بناء على دسيسة إحدى زوجاته المسماة في كتب الإفرنج (روكسلان الروسية) أما في كتب الترك فاسمها خورم أي (الباسمة) وذلك حتى يتولى بعده ابنها سليم بمساعدة الصدر الأعظم رستم باشا .. وكانت هذه الفعلة الشنعاء نقطة سوداء في تاريخ السلطان سليمان الذي اتسعت دائرة السلطنة في أيامه . . ولم تكن هذه الحادثة خاتمة الفظائع بل أعقبها فتن ودسائس أدت لقتل السلطان لأولاد آخرين له ولأحفاده منهم .

موت السلطان سليمان :

و اشتد مرض السلطان وتوفي في سبتمبر سنة 1566 . عن أربع وسبعين سنة قمرية . وكانت مدة ملكه ثمانية وأربعين سنة قضاها في توسيع نطاق الدولة وإعلاء شانها حتى بلغت في أيامه أعلى درجات الكمال .

وقد اشتهر السلطان سليمان بـ (القانوني) لما وضعه من النظم الداخلية في كافة فروع الحكومة فادخل بعض تغييرات في نظام العلماء والمدرسين الذي وضعه السلطان محمد الفاتح .

ويعتبر موت السلطان سليمان نهاية لعصر القوة في الدولة العثمانية وبداية السير نحو الانحطاط ثم الإنهيار فالنهاية .

أسباب بداية انحطاط الدولة العثمانية :

وكان ذلك لجملة أسباب منها :

العدوان على سلطان الله بالتشريع الوضعي ، والذي ابتدأ من قبل ولكنه توسع في عهد سليمان حتى لقب بالقانوني .

إعطاء الامتيازات القنصلية لسفراء الدول الأجنبية ، كما رأينا سفير فرنسا . والذي تحول لحق في التدخل في شؤون الدولة . ثم التآمر عليها .

بذخ السلاطين ، ودخولهم مرحلة الانصراف للدنيا والاستكثار من المحظيات اللواتي كان أكثرهن من الدول النصرانية المجاورة .

زيادة الثروة بسبب الفتوحات العديدة والغنائم الكثيرة . ولا يخفى أن الثروة تورث غالبا المفاخرة في المصرف والتغالي في الزهو والترف وكل امة سادت فيها هذه الخصال لا بد لها من الإنهيار .

كان الإنكشارية لا يخرجون إلى الحرب إلا إذا كان السلطان معهم . ولذا كانت أهم الحروب والغزوات تحت إمرة السلطان وقيادته . فغير السلطان سليمان هذه السنة الحميدة وأجاز للإنكشارية القتال تحت إمرة قائدهم الأكبر ولو لم يكن السلطان موجودا فكان هذا التغيير سببا في تقاعس اغلب من خلفه من السلاطين عن الخروج من قصورهم الباذخة وتفضيلهم البقاء بين غلمانهم وجواريهم المختلفات الأجناس على الخروج للقتال وتكبد مشاقه .

ومنها أن كافة أمور الدولة المهمة كانت تنظر في ديوان الوزراء تحت رئاسة السلطان فأبطل السلطان سليمان هذه العادة وصار الديوان ينعقد تحت رئاسة أكبر الوزراء وهو الصدر الأعظم والسلطان لاه عن ذلك معرض عن دسائس الوزراء ومن يستعينون بهم من جواريه وأزواجه وترتب على ذلك أن صارت الأمور بيد الوزراء المغايرين للجنس العثماني أصلا ونسبا إذ أن اغلبهم ممن اسلم أو تظاهر بالإسلام من النصارى أو من غلمان وخدم.

ومنها الإباحة للانكشارية بالتزوج والإقامة خارج ثكناتهم مع إعطائهم بعض امتيازات وقبول الأخلاط ضمن زمرتهم مما جعلهم من اكبر موجبات تأخر الدولة بعد أن كانت من أعظم عوامل تقدمها إلى غير ذلك من الاسباب التي سنوردها تباعا بحسب مقتضياتها .

■ **<u>(11) - السلطان الغازي سليم خان الثاني(1566-1577م) :</u>**

وهو <u>ابن روكسلان الروسية</u> سابقة الذكر وتولى الملك بعد موت أبيه. ولم يكن السلطان متصفا بما يؤهله للقيام بحفظ فتوحات أبيه فضلا عن إضافة شيء إليها ولولا وجود الوزير الطويل محمد باشا صقللي المدرب على الأعمال الحربية السياسية للحق الدولة الفشل . لكن حسن سياسة هذا الوزير وعظم اسم الدولة ومهابتها في قلوب أعدائها حفظتها من السقوط مرة واحدة . ومن أهم ما جرى في عهد هذا السلطان :

تم الصلح بينها وبين النمسا سنة 1568 بمعاهدة من شروطها حفظ النمسا أملاكها في بلاد المجر ودفعها الجزية السنوية المقررة بالعهود السابقة واعترافها بتبعية أمراء ترانسلفانيا و الفلاخ و البغدان إلى الدولة العثمانية . كما تجددت أيضا الهدنة مع ملك بولونيا باعتراف الباب العالي بالتحالف الذي حصل ما بين ملك بولونيا وأمير البغدان . وكذلك جددت مع شارل التاسع ملك فرنسا في سنة 1569 الاتفاقيات التي تمت بين الدولتين في عصر السلطان سليمان .

<u>وأيد السلطان سليم (ابن الروسية) **الامتيازات القنصلية** وزاد عليها امتيازات أخرى أهمها معافاة كل فرنساوي من دفع الخراج الشخصي وان يكون للقناصل الحق في البحث عمن يكون عند العثمانيين من الفرنساويين في حالة الرق وإطلاق سراحهم والبحث عمن أخذهم بصفة رقيق لمجازاته وان يرد السلطان كافة الأشياء التي تأخذها قراصنة البحر من المراكب الفرنساوية ومعاقبة الآخذ لها وان تكون المراكب العثمانية ملزمة بمساعدة ما يرتطم من السفن الفرنساوية على شواطئ الدولة وبحفظ ما بها من الرجال والمتاع وان يكون لفرنسا كل الامتيازات الممنوحة لجمهورية البنادقة .</u>

ولزيادة توثيق عرى الاتحاد بين الدولة وفرنسا وزيادة نفوذ اتحادهما اتفقت الدولتين على ترشيح هنري دي فالوا أخي ملك فرنسا لعرش بولونيا ليكون لهم ظهيرا ضد النمسا من جهة وضد روسيا من جهة أخرى وقد تم ذلك فعلا وصارت بولونيا تحت حماية الدولة العثمانية حماية فعلية وان لم تكن اسمية .

<u>وبذلك صارت فرنسا ملكة التجارة في البحر الأبيض المتوسط وجميع البلاد التابعة للدولة</u> **<u>وأرسلت تحت ظل هذه المعاهدات عدة إرساليات دينية كاثوليكية إلى كافة بلاد الدولة الموجودة بها مسيحيون خصوصا في بلاد الشام لتعليم أولادهم وتربيتهم على محبة فرنسا . وكانت هذه الامتيازات الموجبة لضعف الدولة بسبب تدخل القناصل في الإجراء آت الداخلية بدعوى رفع المظالم عن المسيحيين واتخاذها لها سبيلا لامتداد نفوذها بين رعايا الدولة المسيحيين واهم نتائج هذا التدخل وأضره مآلا وأوخمه عاقبة استعمال هذه الإرساليات الدينية في حفظ جنسية ولغة كل شعب مسيحي حتى إذا ضعفت الدولة أمكن هذه الشعوب الاستقلال بمساعدة الدول</u>**

المسيحية أو الانضمام إلى إحدى هذه الدول كما شوهد ذلك في هذا القرن الأخير من عمرها مما سيأتي مفصلا .

ومن أعمال الوزير محمد باشا صقللي أن أرسل جيشا عظيما إلى بلاد اليمن في سنة 976 سنة 1569 م تحت قيادة عثمان باشا الذي عين عاملا عليها لقمع ثورة أهاليها الذين خرجوا على الدولة العثمانية مع سلطانهم الشريف مطهر بن شرف الدين يحيى فانتصر عثمان باشا عليهم بمساعدة سنان باشا والي مصر ودخلت الجيوش المظفرة مدينة صنعاء.

فتح جزيرة **قبرص** :

ومن أعماله أيضا فتح جزيرة قبرص التي كانت تابعة للبندقية فأرسلت إليها المراكب الحربية. حيث فتحت في أغسطس1570م . وصارت من ذلك العهد تابعة للدولة العثمانية إلى أن احتلها الإنكليز سنة 1878.

وفي هذه الأثناء غزت المراكب العثمانية جزيرة **كريت** ، و ظنته ، وغيرها بدون أن تفتحها واحتلت مدائن دلنسنيو وانتيباري على البحر الأدرياتيكي ولما رأت البندقية تغلب العثمانيين عليها وفتح كثير من بلادها استعانت بأسبانيا والبابا وتم بينهم الاتفاق على محاربة الدولة بحرا خوفا من امتداد سلطتها على بلاد ايطاليا . فسارت سفن المسيحيين إلى شواطئ الدولة وكانت تلك الحملة المختلطة. وانتهى الأمر بانتصار الأسطول المسيحي فأخذت 130 سفينة عثمانية . وأحرقت وأغرقت 94 . وغنمت 300 مدفعا و 30 ألف أسير . وهذه أول واقعة حصلت بين الدولة من جهة وأكثر من دولتين مسيحيتين من جهة أخرى . وكان اشتراك البابا فيها يدل على أن المحرك لهذه التحالفات ضد الدولة الإسلامية آنذاك هو الدين كما أثبتت الحوادث والحروب فيما بعد وليس مسائل السياسة والمصالح كما يدعون . مما لا يجعل عند المطالع اقل ريبة أو شك في أن (المسالة الشرقية) كما دعيت فيما بعد مسالة دينية أساسا. .

أما من جهة أسبانيا فقد قصد دون جوان مدينة تونس في أواخر سنة 1572 .. لكن لم يلبث العثمانيون إلا نحو 8 اشهر حيث تم استرجاعها ثانية إلى أملاك الدولة بواسطة سنان باشا في أغسطس سنة 1575 .

وفي جهة بلاد البغدان انتصر العثمانيون بعد موقعة هائلة في 9 يونيو سنة 1574 على الأمير ايوونيا الذي تمرد على الدولة طلبا للاستقلال وصلب جزاء عصيانه .

وفي ديسمبر سنة 1574 . توفي السلطان سليم الثاني وعمره اثنين وخمسون سنة قمرية ومدة حكمه ثماني سنين و 5 اشهر و تولى بعده ابنه السلطان مراد الثالث .

■ **(12) - السلطان الغازي مراد خان الثالث (1574-1595م):**

وكانت فاتحة أعماله أن أصدر أمرا بعدم شرب الخمر الذي شاع استعماله أيام السلطان السابق (ابن الروسية) وأفرط فيه الجنود خصوصا الإنكشارية فثار الإنكشارية لذلك واضطروه لإباحته لهم بمقدار لا يترتب منه ذهول العقل وتكدير الراحة العمومية .

وأمر بقتل إخوته وكانوا خمسة ليأمن على الملك من المنازعة إذ صار قتل الإخوة عادة تقريبا .

وكانت علاقات هذا السلطان مع فرنسا حسنة جدا وكذلك مع جمهورية البندقية فجدد لهما الامتيازات القنصلية والتجارية مع زيادة بعض بنود في صالحهما أهمها أن يكون سفير فرنسا مقدما على كافة سفراء الدول الاخرى في المقابلات والاحتفالات الرسمية حيث كثر توارد السفراء على بابه العالي ، للسعي في إبرام معاهدات تجارية **تكون ذريعة في المستقبل للتدخل الفعلي** .

وفي أيامه تحصلت ايزابلا ملكة الإنكليز على امتياز خصوصي لتجار بلادها وهي أن تحمل مراكبها العلم الإنكليزي وكان لا يجوز لها ذلك قبلا بل كانت السفن على اختلاف أجناسها ما عدا سفن البندقية لا تدخل إلى موانئ الدولة العثمانية إلا تحت ظل العلم الفرنساوي !

وصول نفوذ العثمانيين إلى مراكش :

في سنة 1578 .حصلت فتنة داخلية في مملكة مراكش بالمغرب الأقصى ونازع زعيمها سلطان المغرب في الملك وحصلت بينهما عدة وقائع مهمة وأخيرا استنجد سلطانها بالعثمانيين واستعان مدعي الملك بالبرتغاليين فأوعزت الدولة لوالي طرابلس بإنجاد سلطانها الشرعي فأسرع بمساعدته والتقى الترك والبرتغال بالقرب من محل يقال له القصر الكبير وكان يوما مشهودا دارت فيه الدائرة على البرتغال وقتل فيه رئيس الثائرين المستنجد بهم . وبعد تمام النصر وإعادة الأمن و السكينة إلى ربوع مراكش ، عادت الجيوش العثمانية حاملة ما أغدق عليها من الهدايا وبذلك دخلت مملكة مراكش ضمن دائرة نفوذ الدولة وصار شمال أفريقيا بأجمعه تابعا لها تماما أو خاضعا لنفوذها .

وفي هذه السنة حصل الصلح بين الدولة وأسبانيا للوصول ، لكن لم يمنع ذلك القراصنة من الطرفين على نهب السفن التجارية وسبي واسترقاق من بها من النساء والرجال . حتى كان من يستعد للسفر في البحر الأبيض المتوسط في ذلك الزمان يتجهز كمن يستعد لرحلة حربية لعدم الأمن وكثرة القراصنة بما لم يسبق له مثيل . لان كلا من الطرفين كان يعتبر غزو سفن الطرف الآخر من الواجبات الدينية و القربات المشروعة .

سنة 1579 قتل الصدر الأعظم محمد باشا صقللي الذي حافظ على نفوذ الدولة بعد موت السلطان سليمان بدسائس حاشية السلطان قضت عليه بالموت غدرا تبعا لدسائس الأجانب الذين لا يروق في أعينهم وجود مثل هذا الوزير يدير دولاب الأعمال على محور الاستقامة فدسوا إليه من

قتله تخلصا من صادق خدمته للدولة فكان موته ضربـة شـديدة ومحنـة عظيمـة لاسـيما وقـد كـثر بعده تنصيب وعزل الصدور ودبت الفوضى في الجيش .

ثم أصيب السلطان بداء عياء وتوفي سنة 1595 وله من العمر خمسون سنة وكانت مدة ملكه إحدى وعشرين سنة تقريبا وقالوا أنه كان شاعرا مجيدا ، فطنا لبيبا ، إلا انه كان كثـير الميـل لاقتنـاء الجواري الحسان ..عاملا بمشورتهن في كل آن .. وكان من ضمن حظياته جاريـة بندقيـة الأصـل مـن عائلة شهيرة بها اسمها (بافو) سباها من البحر قرصان .. وبيعت في السراي السـلطانية وسـميت (صفية) حيث اصطفاها السلطان وتدخلت كثيرا في السياسـة الخارجيـة للدولـة .. وسـاعدت بلادهـا الأصلية كثيرا وهي والدة ولي عهد السلطان . ..(أمان يا ربي أمان ..على ما فات من ذلك الزمان) ..

- **(13) - السلطان الغازي محمد خان الثالث (1995- 1603م):**

تولى بعد موت أبيه مراد الثالث ابن صفية الإيطاليـة الأصـل وكـان لـه تسـعة عشرـ أخـا غـير الأخوات فزعم المؤرخون أنه أمر بخنقهم جميعا قبل دفن أبيه ودفنوا معا تجاه آيا صـوفيا !! . وفي أوائل حكمه سار على اثر سلفه في عدم الخروج إلى الحرب وتـرك الأمـور الداخليـة في أيـدي وزرائـه الذين منهم سنان باشا و جفالة زاده وهـو ابـن القائـد جفالـة باشـا الجنـوي الأصـل الـذي قتـل في محاربـة العجـم الأخـيرة . وآخـر يـدعى حسـن باشـا فأفسـدوا في الأرض وبـاعوا المناصـب الملكيـة والعسكرية وقللوا عيار العملة حتـى عـلا الضـجيج مـن جميـع الجهـات وتعاقـب انهـزام الجيـوش العثمانية أمام ميخائيل الفلاخي فضم لسلطانه بمساعدة الجيوش النمساوية وإقليم البغدان وجـزءا عظيما من ترنسلفانيا لعدم وجود القواد الأكفاء لصدهم .

ومما يخلد للسلطان الغازي محمد الثالـث الـذكر ويجعلـه رصـيفا لأجـداده الأوائـل، انـه لمـا تحقق أن هذا الانحلال ناشئ من تحجبه عن الأعمال وعـدم قيادتـه الجيـوش ، بـرز بنفسـه وتقلـد المركز الذي كان ترك مراد الثالث وسليم الثاني له من دواعي تقهقر الدولة أمام أعـدائها . فسـار إلى بلغـراد ومنهـا إلى ميـدان الحـرب والنـزال وبعـد قليـل دبـت في الجيـوش الحميـة الدينيـة والغـيرة لعسكرية ، ففتح قلعة ارلو الحصينة التي عجز السلطان سليمان عن فتحهـا في سـنة 1556 . ودمـر جيوش المجر والنمسا تدميرا في سهل كرزت بالقرب من هذه القلعة في 26 أكتوبر سـنة 1596 حتـى شبهت هذه الموقعة بواقعة (موها كز) التي انتصر فيها السلطان سليمان سنة 1526 .

وفي ابتداء القرن السابع عشر للمـيلاد حصـلت في بـلاد الأناضـول ثـورة داخليـة كـادت تكـون وخيمة العاقبة على الدولة خصوصا ونيران الحروب مستعر لهيبها على حدود المجر والنمسا ...

ومن ذلك الحين بدأ يظهر جليا اختلال النظام العسكري وعدم صلاحيته لحفظ اسم الدولة وشرفها بين أعدائها. ثم توفي السلطان وكانت وفاته س 1603 وعمره 37 سنة ومدة حكمه 9 سنين وخلفه ابنه احمد الأول .

- **(14) - السلطان الغازي احمد خان الأول (1603- 1617م) :**

فتولى الملك ولم يتجاوز سنه الرابعة عشر إلا بقليل ولم يأمر بقتل أخيه مصطفى بل اكتفى بحجزه بين الخدم والجواري . وكانت أركان الدولة غير ثابتة في كافة بلاد آسيا ونار الحرب مستعرة على حدود العجم شرقا والنمسا غربا وكانت الحرب مع العجم شديدة الوطأة في هذه المرة لتولي الشاه عباس الشهير قيادتها . ومما جعل لها أهمية أعظم من كافة الحروب السابقة ، اضطراب الأحوال في الولايات الشرقية عموما وسعي كل أمة من الأمم المختلفة النازلة بها للحصول على الاستقلال .. لكن قيض الله للدولة في هذه الشدة الوزير مراد باشا الملقب (بقوي وجي) الذي عين صدرا أعظم وكان قد تجاوز الثمانين ليكون عونا وعضدا للسلطان الفتى فتقلد مع كبر سنه ووهن قواه قيادة الجيوش وحارب الثائرين بهمة ونشاط زائدين فانتصر...

وقد حصلت ما بين سنة 1611 وسنة 1614 بعض مناوشات بحرية بين مراكب الدولة العثمانية وسفن رهبان مالطة وملك أسبانيا وولايات ايطاليا كان الفوز فيها غالبا لمراكب الأعداء ، فانتهز بعض أخلاط القوزاق انسحاب السفن الحربية من البحر الأسود ، وأغاروا على ثغر سينوب ونهبوا ما به ولما علم السلطان بذلك غضب على الصدر الأعظم وسعى به بعض مبغضيه طمعا في نوال منصبه وما فتئوا يوغرون صدر سيده عليه حتى أمر بقتله في 14 أكتوبر سنة 1614 فخنق في قصره .

<u>هذا وازدادت في أيام السلطان احمد الأول العلاقات السياسية مع دول الإفرنج وازداد بذلك تأثيرهم..</u>

وفي نوفمبر سنة 1617 م توفي السلطان أحمد الأول وعمره 28 سنة ومدة حكمه 14 سنة تقريبا ولصغر سن ولده عثمان الذي كان لم يتجاوز ثلاث عشرة سنة من عمره خالف العادة المتبعة من ابتداء الغازي السلطان عثمان الأول أي تنصيب أكبر الأولاد أو أحدهم مكان والده وأوصى بالملك بعده لأخيه.

- **(15) - السلطان مصطفى خان الأول (1617- 1618م) :**

وكان قد قضى عمره داخل محلات الحريم ولم يتعاطى أشغالا السياسة مطلقا . بل ولم يعلم من أمور المملكة شيئا . ولم يلبث هذا السلطان على سرير الملك إلا ثلاثة اشهر تقريبا ثم عزله

المفتي و آغا السراي. وساعدهم الإنكشارية على ذلك . فعزل في فبراير سنة 1618 م وأقـاموا مكانـه السلطان عثمان الثاني

- **(16) - السلطان عثمان خان الثاني (1618- 1622 م) :**

اشهر هذا السلطان الحرب عـلى مملكـة بولونيـا وحقيـق أمنيتـه وهـي فـتح هـذه المملكـة وجعلها فاصلا بين أملاك الدولة ومملكة روسيا التي ابتدأت في الظهـور . وقبـل الشروع في الحـرب أمر بقتل أخيه محمد تبعا للعادة المشروعة عندهم ! . ثم أصدر أمرا بتقليل اختصاصـات المفتـي ونزع ما كان له من السلطة في تعيين وعزل الموظفين وجعل وظيفته قاصرة على الإفتاء، حتى يـأمن شر أن يكون سببا في عزله كما كانت سبب عزل سلفه . لكن أتى الأمـر عـلى الضـد بمـا كـان يؤمـل . وبعد أن أتم هذه التمهيدات الداخلية سير الجيوش والكتائب لمحاربة مملكة بولونيـا ولكنـه عجـز عن ذلك لتلكؤ الإنكشارية . ثم تم الصلح في أكتوبر سنة 1620 فحنق السلطان على الإنكشارية من طلبهم الراحة وخلودهم إلى الكسل وإلزامه على الصلح مع بولونيا بدون تتميم قصـده وعـزم عـلى إبطالها ولتنفيذ هذا الأمر الخطير أمر بحشد جيوش جديدة في ولايات آسيا وتنظيمها وتدريبها عـلى القتال حتى إذا كملت عدة وعددا استعان بها عـلى إبـادة الإنكشـارية . وشرع فعـلا في إنفـاذ هـذا المشروع لكن أحس الإنكشارية بذلك فهاجوا واتفقوا على عزل السلطان وتم لهم ذلك في مـايو سـنة 1622. وأعادوا مكانه السلطان مصطفى الأول . ولم يكتفوا بعزله بل هجموا عليـه في سراي قصره . وانتهكوا حرمتها وقبضوا عليه بين جواريه وزوجاته وقادوه قهـرا إلى ثكنـاتهم موسـعيه سـبا وشـتما وإهانة . مما لم يسبق له مثيل في تاريخ الدولة العثمانية . وزيادة على ذلـك قـاموا بإعدامـه. وقـد قتل ولم يتجاوز الثامنة عشرة من عمره ومدة حكمه أربع سنين وأربعة اشهر.

وبعد ذلك صارت الحكومة ألعوبة في أيدي الإنكشارية ينصـبون الـوزراء ويعزلـونهم بحسـب أهوائهم فعزلوا داود باشا قاتل السلطان ، بعد بضع أيام وصاروا يمنحون المناصب لمن يجـزل إلـيهم العطايا فكانت الوظائف تباع جهـارا ، وارتكبـوا أنـواع المظـالم في الآسـتانة . واسـتمرت الإضـطرابات الداخلية في نفس كرسي الخلافة العظمى فلا امن ولا سكينة مدة ثمانية عشرـ شـهرا متواليـة . حتـى إذا شعر العموم بما وراء هذه الفوضى من الدمار والخراب عينوا كمانكش عـلى باشـا صـدرا أعظـما لتوسمهم فيه الخبرة والاستعداد فأشار عليهم بعزل السلطان مصطفى ثانيا لضـعف عزيمتـه ووهـن قواه العقلية فعزلوه في سبتمبر سنة 1623 وولوا مكانه السلطان مراد الرابع وبقـي في العـزل إلى أن توفي في سنة 1639 م .

- **(17) - السلطان الغازي مراد خان الرابع (1623- 1640م) :**

هو ابن السلطان احمد الأول ابن السلطان محمد الثالث وولاه الإنكشارية بعد عزل عمه السلطان مصطفى الأول ابن السلطان محمد الثالث مع حداثة سنة كي لا يكون معارضا لهم في أعمالهم الاستبدادية ولا مضعفا لنفوذهم الذي اكتسبوه بقتل سلطان وعزل غيره واستمروا مدة العشر سنين الأولى من حكمه على غيهم وطغيانهم .

وانتهز الشاه عباس ملك العجم هذا الاختلال فرصة لتوسيع أملاكه من جهة حدود الدولة العثمانية..فسار الشاه بجنوده لاحتلالها ..

ثم توفي الشاه عباس و استرد السلطان بغداد من العجم سنة 1638م .. وكان يؤمل في السلطان مراد الرابع أن يضارع السلطان الغازي سليمان الأول القانوني في الفتوحات وبعد الصيت إلا أنه توفي وهو في مقتبل الشباب عن غير عقب في فبراير سنة 1640 م وسنه 31 سنة ومدة حكمه 16 سنة و 11 شهرا وتولى بعده أخوه ابراهيم .

- **(18) - السلطان الغازي ابراهيم خان الأول (1640- 1648م):**

هو ابن السلطان احمد الأول وكان غير ميال لمحاربة النمسا فاطمأنت . وافتتح حروبه الخارجية بإرسال جيش جرار إلى بلاد القرم لمحاربة القوزاق الذين احتلوا مدينة آزاق فحاربهم العثمانيون وابلوا فيهم بلاء حسنا واستردوا المدينة منهم بعد أن احرقوها وذلك سنة 1642 .

ومن أعماله أيضا فتح جزيرة **كريت** وكانت تابعة لجمهورية البندقية .

ثم إن السلطان ابراهيم أراد أن يفتك برؤوس الإنكشارية في ليلة زفاف إحدى بناته على ابن الصدر الأعظم لتذمرهم وانتقادهم لأعماله ورغبتهم في التدخل في شؤون الدولة والخروج عن حدودهم . فعلموا بقصد السلطان وتآمروا على عزله وانضم إليهم بعض العلماء والمفتي عبد الرحيم أفندي واهاجوا عساكر الإنكشارية وقرر الجميع عزله وتولية ابنه محمد الرابع في سنة 1642 م و لم يتم السابعة من عمره . وتمت هذه الثورة في أغسطس سنة 1648 وبعد ذلك بعشرة أيام اظهر العسكر عدم ارتياحهم من الملك الفتي وطلبوا إعادة السلطان ابراهيم إلى عرش الخلافة فخشي رؤساء العصابة التي عزلته من تغلبهم بإرجاعه رغم انفهم وصمموا على قتله فساروا إلى السراي ومعهم الجلاد وقتلوه خنقا كما قتلوا السلطان عثمان الثاني من قبله فكانت مدة حكمه 8 سنين و 9 شهور وسنه 34 سنة .

■ **(19) - السلطان الغازي محمد خان الرابع (1648- 1687م) :**

ولصغر سنه وقعت المملكة في الفوضى وصارت الجنود لا ترحم صغيرا ولا توقر كبيرا وسعوا في الأرض فسادا . ورجعت الحالة إلى ما وصلت إليه قبل تولي السلطان مراد الرابع بل إلى أتعس منها . وسرى عدم النظام إلى الجنود المحاصرة كنديا واضطروا قائدهم السر عسكر حسين باشا لرفع الحصار عنها . وكذلك سرى هذا الداء العضال إلى الجنود البحرية . وسبب انهزام الأسطول العثماني أمام العدو أمام مدينة فوقيه سنة 1649. ثم ثار بآسيا الصغرى ثائرون وتتابعت الفوضى ...

إلى أن قيض سبحانه وتعالى الوالي الوزير محمد باشا الشهير بكوبريلي الذي تولى منصب الصدارة سنة 1067 هـ سنة 1656 فعامل الإنكشارية معاملة من يريد أن يطاع إطاعة عمياء وقتل منهم خلقا كثيرا. وأمر بعد تعيينه بقليل بشنق بطريرك الأروام (جمع روم بحسب المرجع !) لما ثبت له تدخله في الدسائس والفتن الداخلية...

ولم تثن الإشكالات عزيمة كوبريلي محمد باشا بل ما لبث يقاوم أعداء الدولة في الداخل والخارج حتى أعاد لها سالف مجدها وجعلها محترمة في أعين الدول . وه بعد وفاته سنة 1661 خلفه ابنه كوبريلي زاده احمد باشا .

وكان خير خلف لأبيه فانه كان متصفا بالشجاعة و الإقدام وحسن الرأي والتدبير. واستمر في محاربة أعداء الدولة بدون فتور أو ملل حتى يزيل من أذهانهم ما خامرها من تضعضع أحوال الدولة وقرب زوالها . وقاد الجيوش بنفسه وعبر نهر الطونة لمحاربة النمسا ووضع الحصار أمام قلعة نوهزل مع أن هذه القلعة كانت مشهورة في جميع أوروبا بالمناعة ، و اضطر كوبريلي احمد باشا حاميتها إلى التسليم بشرط خروج من بها من الجنود بدون أن يمسهم ضرر تاركين ما بها من الأسلحة والذخائر وأخلوها فعلا في سبتمبر سنة 1663 . ولذلك اضطربت أوروبا بأجمعها لهول هذا.. فسعى البابا جهده لدى ملك فرنسا حتى قبل بإرسال ستة آلاف جندي فرنساوي وأربعة وعشرين ألف من محالفيه الألمانيين تحت قيادة الكونت دي كوليني. ثم لم يمكن الإنكشارية من الثبات أمام جنود العدو الأكثر منهم عددا وسميت هذه الواقعة بواقعة سان جوتار نسبة لكنيسة قديمة حصلت الحرب بالقرب منها . ثم تم الصلح . وبعد عشرة أيام أبرمت بين الطرفين معاهدة أهم ما بها إخلاء الجيش لإقليم ترنسلفانيا تحت سيادة الدولة العثمانية وتقسيم بلاد المجر بين الدولتين بان يكون للنمسا ثلاث ولايات وللباب العالي أربعة مع بقاء حصني نوفيجراد ونوهزل تابعين للدولة العثمانية .

ثم تعكزت العلاقات مع فرنسا . و أرادت إعلان الحرب على الدولة العثمانية لولا نصائح الوزير كولبر بحكمته وسياسته ومعاملة الدولة العلية باللين والخضوع من تجديد المعاهدات

القديمة في سنة 1673 . وفوض ثانيا إلى فرنسا حق حماية بيت المقدس كما كان لها ذلك من أيام السلطان سليمان . وبذلك عادت العلاقات إلى سابق صفائها بين الدولتين .

ومما زاد حدود الدولة اتساعا ومنعة من جهة الشمال خضوع جميع القوزاق الساكنين بالجزء الجنوبي من بلاد روسيا إلى السلطان محمد الرابع بدون حرب بل حبا في الدخول في حمى حامي دولة الإسلام . ولذلك أغارت بولونيا على ولاية أوكرين فاستنجد حاكمها الأكبر بالعثمانيين فأنجده السلطان . واستمرت الحرب بين الدولتين سجالا إلى سنة 1167.

وكانت روسيا آخذة إذ ذاك في تنظيم داخليتها وتقدم وكانت تتوق للدخول ضمن المجتمع الأوروبي فاستمرت الحرب بين القوزاق والروس من جهة والعثمانيين من جهة أخرى بين اخذ ورد حتى سنة 1681 حيث تم الصلح بينهم .

حصار مدينة **فيينا** من جديد :

وبعد أن انتصرت جيوش العثمانيين في عدة مواقع على النمساويين قصد ت عاصمة النمسا فحاصرتها سنة 1683 مدة شهرين واستولى العثمانيون على كافة قلاعها الأمامية وهدم أسوارها بالمدافع ولما لم يبق عليه إلا المهاجمة المتممة للفتح ، أتى سوبيسكي ملك بولونيا ومنتخبي ساكس وبافييرا بجيوشهم بناء على إلحاح البابا عليهم واستنهاضه هممهم لمحاربة المسلمين حتى أضرم فيهم نار التعصب الديني . وفي سبتمبر سنة 1683 فاز المسيحيون بالنصر وانهزم جيش الصدر مصطفى باشا و أمر السلطان محمد الرابع بقتل الصدر قره مصطفى باشا وأرسل احد رجال حاشيته فقتله وأرسل برأسه إلى القسطنطينية !.

وبعد نجاة مدينة فيينا التي لم تحاصر بعد ذلك ، تألبت كل من النمسا وبولونيا والبندقية ورهبنة مالطة والبابا ومملكة روسيا على محاربة الدولة الإسلامية لمحوها من العالم السياسي . والذي يدل على أن هذا التحالف كان دينيا محضا أن أصحابه أسموه (التحالف المقدس). ومما زاد أحوال هذه الدولة القائمة بمفردها أمام جميع الدول المسيحية ارتباكا قطع العلاقات بينها وبين فرنسا بسبب المناوشات البحرية المستمرة بين مراكبها وقراصنة المغرب . . فان جيوش الملك سوبيسكي كانت تهدد بلاد البغدان وسفن البنادقة تهدد سواحل اليونان وبلاد موره ولعدم وجود المراكب الكافية لصد هجمات سفن البنادقة التي كانت تعززها مراكب البابا ورهبنة مالطة احتلت جيوش البنادقة في سنة 1686 اغلب مدن اليونان حتى كورنته وأثينا . أما النمسا فأغارت جيوشها على بلاد المجر واحتلوا مدينة يست الواقعة أمام مدينة بود. وفي سنة 1685 احتل النمساويون عدة حصون وقلاع شهيرة أهمها قلعة نوهزل . ووصلت الدولة إلى درجة من التقهقر أمام هذه القوى المتألبة عليها صار معها الخلاص صعبا .

وتتابعت النكسات على العثمانيين ، فهاجت الجيوش الموجودة في الآستانة وأرسلوا الجيوش الباقية مع الصدر سليمان باشا فاشهروا عليه العصيان ولولا فراره إلى بلغراد لأعدموه . ثم أرسل الإنكشارية والسباه(اسم فرق من الجيوش العثمانية) وفدا للآستانة يطلب من السلطان الأمر بقتل الصدر فلم ير بدا من ذلك وأمر بقتله تسكينا لثورة غضب الجند . ولما لم يفد شيئا ولم تعد السكينة بين الجيوش وخيف على المملكة العثمانية من الداخل . فقرر الوزير الثاني القائم مقام قره مصطفى باتحاده مع العلماء عزل السلطان محمد الرابع فعزلوه في سنة 1687 م . بعد إن حكم أربعين سنة وخمسة اشهر وبقي في العزلة إلى أن توفي في ديسمبر سنة 1692 م . وولوا بعد عزله أخاه.

- **(20) - السلطان الغازي سليمان خان الثاني (1687- 1691 م) :**

وهو ابن السلطان ابراهيم تولى وكانت الآستانة فوضى . وانتهز الأعداء هذه الإضطرابات المستمرة لفتح الحصون العثمانية فاحتل النمساويون قلاع ارلو ولبا وغيرها واحتل موروزيني البندقي مدينة ليبه من بلاد اليونان وكافة سواحل دلماسيا سنة 1687 وفي السنة التالية أي سنة 1688 سقطت مدائن سمندريه وقلومباز وبلغراد في أيدي النمساويين ثم فقدت الدولة العثمانية في سنة 1689 مدائن نيش وودين من بلاد الصرب.

ثم تمكن الصدر الأعظم كوبريلي مصطفى باشا من تحقيق انتظام الجيش وساد الأمن داخل البلاد و سار بنفسه لمحاربة الأعداء فاسترد في قليل من الزمن مدائن نيش وودين وسمندريه وبلغراد في سنة 1690 بينا كان سليم كراي خان القرم يخضع الثائرين الصرب وتيكلي المجري يرجع اقليم ترنسلفانيا إلى أملاك الدولة وبذلك أعاد كوبريلي مصطفى باشا بعض ما فقدته الدولة من المجد والسؤدد بسبب ضعف الوزراء وعدم إطاعة الإنكشارية . وفي يونيو سنة 1691 توفي السلطان سليمان الثاني عن غير عقب وعمره 50 سنة بعد أن حكم ثلاث سنوات وثمانية اشهر وتولى بعده أخوه .

- **(21) - السلطان الغازي احمد خان الثاني (1691- 1695م) :**

ولم تحصل أمور ذات بال في أيام هذا السلطان بل اقتصرت الحرب على بعض مناوشات ليس لها من الأهمية شان يذكر غير أن البنادقة احتلت في سنة 1694 جزيرة ساقز . ثم توفي في فبراير سنة 1695 وعمره 54 سنة قمرية تقريبا بعد أن حكم 4 سنين و 8 اشهر وتولى بعده السلطان الغازي مصطفى خان الثاني .

(22) - السلطان الغازي مصطفى خان الثاني (1695- 1703م):

ابن السلطان محمد الرابع . وكان متصفا بالشجاعة وثبات الجأش ولذلك أعلن بعد توليته بثلاثة أيام رغبته في قيادة الجيوش بنفسه . فسار إلى بلاد بولونيا مستعينا بفرسان القوزاق وانتصر على البولونيين عدة مرات ومن جهة أخرى حارب الروس سنة 1695 وبعد ذلك وفي سنة 1696 فاز السلطان فوزا مبينا على جيش ساكس في موقعة اولاش وبعد ذلك هُزم جيش السلطان أمام النمساويين. وكان ذلك في سبتمبر سنة 1697. وفي إثناء اشتغال السلطان ببلاد المجر. عاد الإمبراطور الروسي بطرس الأكبر لفتح ميناء ازاق لأهميتها لمملكته فدخلها في خلال سنة فكانت الدولة في خطر شديد من جهتي روسيا والنمسا . ثم ابتدأت الاتصالات للوصول إلى الصلح فتدخل ملك فرنسا لويس الرابع عشر . وبعد مباحثات طويلة أمضيت بين الدولة العثمانية والنمسا وروسيا والبندقية وبولونيا معاهدة كارلوفتس في يناير سنة 1699 . فتركت الدولة بلاد المجر باجمعها وإقليم ترنسلفانيا لدولة النمسا . وتنازلت عن مدينة ازاق وفرضتها لروسيا فصار لها بذلك يد على البحر الأسود وزادت أهمية جوارها للدولة العثمانية أضعاف ما كانت عليه من قبل وردت لمملكة بولونيا مدينة كمينك وإقليمي بود وليا وأوك روين وتنازلت للبندقية عن جزيرة مورا وإقليم دلماسيا على البحر الأدرياتيكي بأجمعه تقريبا واتفقت مع النمسا على مهادنة خمس وعشرين سنة وان لا تدفع هي أو غيرها شيئا للدولة العثمانية. لا على سبيل الجزية ولا على مجرد الهدية.

وبهذه المعاهدة فقدت الدولة جزأ ليس بقليل من أملاكها بأوروبا وزادت أطماع الدول في بلادها كما سيأتي.

ويمكننا القول بان الاتفاق قد تم من ذلك التاريخ بين جميع الدول الأوربية إن لم يكن صراحة فضمنا ، على الوقوف أمام تقدم الدولة العثمانية أولا، ثم تقسيم بلادها بينهم شيئا فشيئا . وهو ما يسمونه في عرف السياسة بـ (**المسالة الشرقية**) المبنية على الخوف من انتشار الدين الإسلامي وحلوله محل الدين المسيحي ليس إلا .

أما ما كانوا يسترون خلفه غاياتهم من الدفاع عن حقوق الأمم المسيحية الضعيفة الخاضعة للدولة فلم يكن إلا ذريعة .

ثم عين السلطان رامي محمد باشا . فسار في إبطال المفاسد ومعاقبة المرتشين ومنع المظالم فأهاج ضده أرباب الغايات وكثير عدادهم وأثاروا عليه الإنكشارية لميلهم بالطبع إلى الهياج للسلب والنهب وهتك الأعراض . فطلبوا عزله من السلطان فامتنع وأرسل لقمعهم فرقة من الجنود فانضمت إلى الثائرين وعزلوا السلطان مصطفى الثاني في أغسطس سنة 1703 بعد أن حكم 8 سنوات و 8 شهور وبقي معزولا إلى أن توفي وأقاموا مكانه بعد عزله أخاه .

(23)- السلطان الغازي احمد خان الثالث (1703 - 1730م) :

وهو ابن السلطان محمد الرابع . وفي تلك الآونة كان بطرس الأكبر ملك روسيا يعمل على إضعاف الأقوياء من مجاوريه أي السويد ، وبولونيا ، والدولة العثمانية . ولما تولى الصدارة (بلطه جي محمد باشا) مال لإثارة الحرب على روسيا فاشهر عليها الحرب وقاد الجيوش بنفسه وبعد مناورات مهمة حصرت الجيوش العثمانية البالغ قدرها مائتي ألف جندي قيصر روسيا وخليلته كاترينا . ولو استمر عليهم الحصار قليلا لربما كان اخذ أسيرا هو ومن معه وامّحت الدولة الروسية كلية من العالم السياسي . لكن كاترينا استمالت بلطه جي محمد باشا إليها ، وأعطته كافة ما كان معها من الجواهر الكريمة والمصوغات الثمينة ، فخان الدولة ورفع الحصار عن القيصر وجيشه مكتفيا بإمضاء القيصر لمعاهدة فلكزن في يوليه سنة 1711 والذي أخلى بمقتضاها مدينة ازاق وتعهد فيها بعدم التدخل في شؤون القوزاق مطلقا .

لكن لم تمض على هذه المعاهدة بضعة أشهر حتى قامت الحرب ثانية بين الدولتين بسبب عدم قيام بطرس الأكبر بأحد شروط معاهدة فلكزن فتدخلت إنكلترا وهولندا في منع الحرب لإضرارها بتجارتهما . وبعد مباحثات طويلة أمضيت بينهما معاهدة جديدة سميت بمعاهدة أدرنه في يونيو 1713 م . وتنازلت روسيا بمقتضاها عما لها من الأراضي على البحر الأسود حتى لم يبق لها عليه موانئ أو ثغور .

وتتابعت المناوشات بين الدولة العثمانية والبنادقة ، والنمسا وروسيا واضطرت الدولة العثمانية لقبول معاهدات جديدة كانت في صالح روسيا التي قوي حضورها في السياسة الأوربية . ثم حصل صراع بين روسيا والدولة العثمانية على النفوذ في بلاد القفقاس و أرمينيا وبلاد الكرج و سواحل بحر الخزر الغربية . فكادت الحرب تقوم بين الدولة والروس ولتحقق بطرس الأكبر من عدم اقتداره على مواجهة الجيوش العثمانية ، طلب من سفير فرنسا بالآستانة أن يتوسط بينهما فقبل ، ووفق بين الطرفين بان يمتلك كل منهما ما احتله من البلاد وقبلت الدولتان بذلك وأمضيتا بهذه الشروط معاهدة يونيو سنة 1724. أما الفرس فلم يقبلوا هذا التقسيم المزري بشرفهم والقاضي بضياع جزء ليس بقليل من بلادهم و قاموا لمحاربة الأجانب ، لكنهم لم يتمكنوا من صد هجمات العثمانيين الذين فتحوا في سنة 1725 عدة مدن وقلاع أهمها مدائن همذان و تبريز وساعد ذلك تسلط الفوضى في إيران وانتهت هذه الحرب بالصلح مع الشاه أشرف في أكتوبر سنة 1727م. ولكن لما مات الشاه اشرف وانفرد طهماسب بالملك طلب من الدولة العلية أن ترد إليه كل ما أخذته من بلاد أجداده فلم تجبه الدولة ولذا أغار على بلادها . ولعدم ميل السلطان إلى الحرب ورغبته في الصلح ثار الإنكشارية فأعلنوا إسقاطه سنة 1730 م ونادوا بابن أخيه السلطان محمود الأول خليفة

للمسلمين فأذعن السلطان احمد الثالث وتنازل عن الملك بدون معارضة . وكانت مدة حكمه 27 سنة و 11 شهرا .

(24) - السلطان الغازي محمود خان الأول (1730- 1754م) :

هو ابن السلطان مصطفى الثاني ولما تولى لم يكن له إلا الاسم فقط وكان النفوذ للصدر بطرونا خليل يولي من يشاء ويعزل من يشاء تبعا للأهواء والإغراض حتى عيل صبر السلطان من استبداده وتجمهر حوله رؤساء الإنكشارية لتعدي هذا الزعيم على حقوقهم واتفقوا على الغدر به تخلصا من شره فقتلوه. وبعد أن استتب الأمن استأنفت الدولة الحرب مع مملكة الفرس وتغلبت الجيوش العثمانية على جنود الشاه طهماسب في عدة وقائع .

وفي غضون كانت الحروب كثيرة بين الدول الأوربية نفسها . وكذلك قامت الحرب بين الدولة وروسيا بسبب مملكة بولونيا . فأعلنت روسيا والنمسا الحرب على بولونيا . ومن جهة أخرى أشهرت فرنسا الحرب على النمسا دفاعا عن بولونيا . وسعت لدى الباب العالي بواسطة المسيو دي بونفال الذي خدم الدولة بعد أن اسلم واشتهر فيها باسم احمد باشا قائد الطوبجية لاستمالته للدفاع عن استقلال بولونيا الحاجز الحصين بينها وبين روسيا . و تغلبت روسيا واحتلت جنودها مملكة بولونيا. ولما أحست النمسا أن فرنسا تسعى وراء التحالف مع الدولة ، خشيت من حصول هذا الاتفاق الذي يكون نتيجته عدم نجاح مسعاها مع روسيا في بولونيا ، أسرعت في إرضاء فرنسا فأبرمت معها معاهدة فيينا في سنة 1735. وأخذت في التأهب والاستعداد للاشتراك مع روسيا في محاربة الدولة . وأوعزت إلى روسيا بافتتاح القتال فاتخذت هذه الأخيرة مرور بعض قوزاق القرم من أراضيها في مارس سنة 1736 متجهين إلى بلاد الكرج لمساعدة الدولة ضد العجم حجة لإعلان الحرب . وأغارت بكل قواها على بلاد القرم واحتلت عددا من الثغور البحرية . وهو ما حدا بالدولة إلى إبرام الصلح مع نادر شاه لتتفرغ لصد هجمات الروس . ولحسن حظ الدولة كان قد تقلد منصب الصدارة رجل محنك اشتهر بحسن السياسة وهو الحاج محمد باشا . فلم يغفل طرفة عين عن جمع الجيوش وتجهيز المعدات حتى أمكنه في اقرب وقت إيقاف تقدم الروس الذين كانوا قد احتلوا إقليم البغدان ودخلوا عاصمة الإقليم . ومن جهة أخرى انتصرت الجيوش العثمانية على جيوش النمسا التي أغارت على بلاد البوسنة والصرب و الفلاخ فانتصر المسلمون في الصرب والجؤوا النمساويين إلى الجلاء عنها تاركين في كل موضع قدم جثث رجالهم وتقهقروا إلى ما وراء نهر الدانوب في سنة 1737 . واستمر الحال على هذا المنوال من النصر والفوز على الأعداء حتى طلبت النمسا الصلح بواسطة سفير فرنسا . فكان هذا الفوز الأخير اكبر مساعد للوصول إلى الصلح الذي تم بينهما وبين روسيا في سبتمبر سنة 1739 م . على أن تتنازل النمسا للدولة العثمانية عن مدينة

بلغراد وما أعطي لها من بلاد الصرب و الفلاخ بمقتضى معاهدة بساروفتس . أما روسيا فتعهدت قيصرتها (حنه) بهدم قلاع ميناء آزاق وعدم تجديدها في المستقبل . وبعدم إنشاء سفن حربية أو تجارية بالبحر الأسود أو ببحر آزاق . بل تكون تجارتها على مراكب أجنبية وبان ترد للدولة كل ما فتحته من الأقاليم والبلدان وسميت هذه المعاهدة معاهدة بلغراد . وبذلك انتهت هذه الحرب باسترداد جزء عظيم مما فقدته الدولة من ممالكها بمقتضى معاهدة كارلوفتس .

وبعد ذلك بذل سفير فرنسا جهده في إقناع الباب العالي بضرورة الاتحاد مع السويد لمحاربة روسيا لو تعدت على إحداهما خوفا من أن يلحق بهما تباعا ما أودى ببولونيا وجعلها خاضعة فعلا لأوامر روسيا فاقتنعت الدولة . وأبرمت مع السويد محالفة هجوم ودفاع ضد روسيا في سنة 1740 .

وفي هذه السنة تحصل سفير فرنسا على تجديد الامتيازات القنصلية وكافة المزايا الممنوحة للتجار الفرنساويين وأمضى الطرفان هذه المعاهد الجديدة في سبتمبر سنة 1740 وهي عبارة عن معاهدة سنة 1673 مع بعض تسهيلات جديدة لفرنسا وتجارتها . وأرسل السلطان سفيرا من طرفه اسمه سعيد ليقدم صورة المعاهدة إلى ملك فرنسا لويس الخامس عشر مع كثير من الهدايا الثمينة فقابله الملك بالاحتفاء والإكرام اللائق بمقام مرسله السامي .

وعند عودته شيعه بالتبجيل والإجلال و أرسل معه مركبين حربيين وجملة من المدفعية الفرنساويين هدية منه للخليفة الأعظم ليكونوا معلمين في الجيوش العثمانية فيمرنوا الجنود المظفرة على النظم الجديدة التي ادخلها لوفوا الشهير في الجيوش الفرنساوية . وكان هذا من بدايات البلاء الذي تتابع فيما بعد ، بتولي ضباط ألمان في نهايات الدولة تدريب الجيش ، مما مكن المدربين الأجانب من فرنسيين وألمان ..من دس أفكار الثورة والتمرد على الخلافة ، وزرع الأفكار القومية ، والتنظيمات الماسونية في الجيش العثماني فيما بعد ..

وبعد ذلك بقليل توفي شارل السادس إمبراطور النمسا في 20 من شهر أكتوبر سنة 1740 وتولت بعده ابنته ماريه تيريزه فاتحدت فرنسا مع بعض الدول على محاربة هذه الملكة واقتسام أملاكها لما بين فرنسا والعائلة الحاكمة في النمسا من الضغائن القديمة . وسعي فرنسا دائما في إذلال النمسا وهدم أركان سلطانها . وبسبب موت هذا الملك حصلت الحرب الشهيرة بين فرنسا والنمسا المعروفة في التاريخ بـ (حرب ارث ملك النمسا) . التي استمرت عدة سنين وانتهت بفوز ماريه تريزه على فرنسا . ولما ابتدأت هذه الحرب أظهرت فرنسا للدولة العلية بواسطة سفيرها لدى الباب العالي ما يعود عليها من الفوائد لو اتحدت معها على محاربة النمسا . وعرضت عليها احتلال بلاد المجر واسترجاعها إلى أملاكها بحيث ترجع الدولة إلى ما كانت عليه من الاتساع أيام سليمان الأول القانوني ويمكنها بعد ذلك مقاومة روسيا والوقوف في طريق تقدمها . وأبانت لها أنها إن لم تفعل ذلك تقدمت روسيا شيئا فشيئا وقويت شوكتها تدريجيا حتى يخشى منها على وجود الدولة . وقد

أثبتت الأحداث لاحقا أن هذه الملاحظات كانت صحيحة .. ولو أنها صادرة من فرنسا طمعا في نوال غايتها وهي إذلال النمسا ..

وفي ديسمبر سنة 1754 توفي السلطان محمود الأول بالغا من العمر ستين سنة . وكانت مدة حكمه 25 سنة وفي أيامه اتسع نطاق الدولة بآسيا وأوروبا .

(25) - السلطان الغازي عثمان خان الثاني (1754- 1757 م) :

وبعد أن تقلد السيف في جامع أبي أيوب الأنصاري على حسب العادة القديمة ، عين في منصب الصدارة العظمى نشانجي علي باشا بدل محمد سعيد باشا الذي سبق تعيينه صدرا بعد عودته من مأموريته في فرنسا . فسار في طريق غير حميد حتى أهاج ضده الأهالي اجمع . ولكون السلطان كان من عادته المرور ليلا في الشوارع والأزقة متنكرا لتفقد أحوال الرعية والوقوف على حقيقة أحوالهم . سمع إثناء تجواله بما يرتكبه وزيره من أنواع المظالم والمفارم وبعد أن تحقق ما نسب إليه بنفسه أمر بقتله جزاء له وبوضع رأسه في صحن من الفضة على باب السراي عبرة لغيره.

ثم توفي السلطان عثمان الثالث في أكتوبر سنة 1757 بدون أن يحصل في أيام حكمه القلائل ما يستحق الذكر وكانت مدة حكمه 3 سنين و 11 شهر وخلفه مصطفى الثالث .

(26) - السلطان الغازي مصطفى خان الثالث (1757- 1774م) :

وهو ابن السلطان احمد الثالث وكان ميالا للإصلاح محبا لتقدم بلاده خصوصا وزيره الأول راغب باشا الذي مر ذكره . فاخذ هذا الوزير في إصلاح بعض الشؤون بمساعدة السلطان وتعضيده له . وبعد موت هذا الوزير الجليل نشبت الحرب بين الدولة العثمانية وروسيا .وكانت روسيا قد تبنت توجها إمبراطوريا منذ عهد قيصرها بطرس الكبر، ووضعت برنامجا توسعيا طموحا نحو الشرق والغرب والجنوب .

- ومن المفيد في هذا المقام أن نأتي بنصوص من وصية قيصر روسيا . وهي منقولة بحروفها من الجزء الأول من تاريخ جودت باشا . وتعطينا فكرتين هامتين :

* الأولى عن الصراع بين القوى الأوربية في القرن السابع عشر والثامن عشر .

* والثانية عن الأطماع الروسية التي لم تتبدل بعد القياصرة . وما زالت إلى اليوم .



اتسعت الدولة العثمانية بعد انتصارات سليم الأول على الصفويين والمماليك حتى وصلت إلى أقصى اتساع لها .

<u>وصية قيصر روسيا بطرس الأكبر لخلفائه</u> :

[* **<u>البند الأول :</u>** يجب أن تقاد العساكر دائما إلى الحرب . وينبغي للأمة الروسية أن تكون متمادية على حالة الكفاح لتألف الحرب ... وعلى هذه الصورة ينبغي لروسيا أن تتخذ زمن الصلح والأمان وسيلة قوية للحرب . وكذلك زمن الحرب لأيام السلم . وذلك لأجل زيادة قوتها وتوسيع منافعها .

* **<u>البند الثاني :</u>** في وقت الحرب ينبغي اتخاذ جميع الوسائل الممكنة لاستجلاب ضباط للجنود من بين الملل والأقوام الذين هم أكثر تطورا في أوروبا . وكذلك في زمن الصلح يتعين استجلاب أرباب العلم والمعارف منهم أيضا . ويلزم الاعتناء بما يجعل الأمة الروسية تستفيد من منافع سائر الممالك ومحاسنها ...

* **<u>البند الثالث :</u>** عندما تسنح الفرصة ينبغي التدخل في جميع الأمور والمصالح الجارية في أوروبا وفي اختلافاتها ومنازعتها . وعلى الخصوص في نزاعات ممالك ألمانيا .. .

* **<u>البند الرابع :</u>** ينبغي استعمال الرشوة لأجل إلقاء الفساد والبغضاء والحسد دائما في داخلية ممالك بولونيا وتفريق كلمتهم . واستمالة أعيان الأمة ببذل المال واكتساب النفوذ في مجلس الحكومة . حتى نتمكن من التدخل في انتخاب الملك وبعد الحصول على انتخاب من هو من حزب روسيا من تلك الأمة ، ينبغي حينئذ دخول عساكر روسيا إلى داخل البلاد لأجل حمايتهم والتعصب لهم بإقامة العساكر المذكورة مدة طويلة هناك ، إلى أن تحصل الفرصة لاتخاذ وسيلة تمكننا من

الإقامة ، وعندما تظهر مخالفة في ذلك من طرف الدول المجاورة فلأجل إخماد نار الفتنة مؤقتا ينبغي أن نقاسم المخالفين في ممالك بولونيا ، ثم نترقب الفرص لاسترجاع الحصص التي تكون قد أعطيت لهم .

* **البند الخامس :** ينبغي الاستيلاء على بعض الجهات من ممالك اسوج بقدر الإمكان ثم نسعى في اغتنام وسيلة لاستكمال الباقي منها ، ولا نتوصل إلى ذلك إلا بوجه تضطر فيه تلك الدولة إلى أن تعلن الحرب على دولة روسيا وتهاجمها ، والذي يلزم أولا هو أن نصرف المساعي والهمة لإلقاء الفساد والنفرة دائما بين اسوج والدانمرك بحيث ان يكون الاختلاف والترقب بينهم دائمين باقيين .

* **البند السادس:** يجب على الأسرة الإمبراطورية الروسية أن يتزوجوا دائما من بنات العائلة الملكية الألمانية . وذلك لتكثير روابط الزوجية والاتحاد بينهم واشتراكهم في المنافع . إذ بهده الصورة يمكن إجراء نفوذهم في داخل ألمانيا وبهذا يربطون أيضا الممالك المذكورة لصالح منافعنا ومصالحنا .

* **البند السابع :** إن دولة إنكلترا هي الدولة الأكثر احتياجا إلينا في أمورها البحرية ولهذه الدولة فائدة عظيمة جدا لزيادة قوتنا البحرية . فلذلك من الواجب ترجيح الاتفاق معها في أمر التجارة على سائر الدول . وبيع محاصيل ممالكنا كالأخشاب وسائر الأشياء إلى إنكلترا وجلب الذهب من عندهم إلى ممالكنا . واستكمال أسباب الروابط والمناسبات بين تجار وملاحي الطرفين . فيتوسع بهذه الوسيلة أمر التجارة وسير السفن في ممالكنا .

* **البند الثامن :** على الروسيين أن ينتشروا يوما فيوما شمالا في سواحل بحر البلطيق وجنوبا في سواحل البحر الأسود .

* **البند التاسع :** ينبغي التقرب بقدر الإمكان من استانبول والهند ، وحيث انه من القضايا المسلمة أن من يحكم على استانبول يمكنه حقيقة أن يحكم على الدنيا بأسرها . فلذلك من اللازم إحداث الحروب المتتابعة تارة مع الدولة العثمانية وتارة مع الدولة الإيرانية . وينبغي ضبط البحر الأسود شيئا فشيئا وذلك لأجل إنشاء دار صناعات بحرية فيه . والاستيلاء على بحر البلطيق أيضا ، لأنه أهم موقع لحصول المقصود . وللتعجيل بضعف بل بزوال دولة إيران لنتمكن من الوصول إلى خليج البصرة ، وربما نتمكن من إعادة تجارة الممالك الشرقية القديمة إلى بلاد الشام ، والوصول منها إلى بلاد الهند ، التي هي بمثابة مخزن للدنيا . وبهذه الوسيلة نستغني عن ذهب إنكلترا .

* **البند العاشر:** ينبغي الاهتمام بالحصول على الاتفاق والاتحاد مع دولة اوستريا (النمسا) ، والمحافظة على ذلك ومن اللازم التظاهر بقبول أفكار الدولة المشار إليها من جهة ما تطمع إليه من النفوذ في المستقبل في بلاد ألمانيا . وإما باطنا فينبغي لنا أن نسعى في تحريك حسد وعداوة سائر

حكام ألمانيا لها . وتحريك كل منهم لطلب الاستعانة والاستمداد من دولة روسيا ضدها . ومن اللازم إجراء نوع حماية للدول المذكورة بصورة يتسنى لنا فيها الحكم على تلك الدول في المستقبل .

* **البند الحادي عشر:** ينبغي تحريض العائلة المالكة في اوستريا على طرد الأتراك وإبعادهم من قطعة الروملي (الأراضي العثمانية على سواحل غرب بحر مرمرة) وحينما نستولي على استانبول . علينا أن نسلط دول أوروبا القديمة على دولة اوستريا حربا ، أو نسكن حسدها ومراقبتها لنا بإعطائها حصة صغيرة من الأماكن التي نكون قد أخذناها من قبل . وبعده نسعى بنزع هذه الحصة من يدها .

* **البند الثاني عشر:** ينبغي أن نستميل لجهتنا جميع المسيحيين الذين هم من مذهب الروم المنكرين رياسة البابا الروحية والمنتشرين في بلاد المجر والممالك العثمانية في جنوبي ممالك بولونيا (**أتباع المذهب الأرثوذوكسي**) ونجعلهم يتخذون من دولة روسيا مرجعا ومعينا لهم . ومن اللازم قبل كل شيء إحداث رياسة مذهبية حتى نتمكن من إجراء نوع نفوذ وحكومة رهبانية عليهم . فنسعى بهذه الواسطة لاكتساب أصدقاء كثيرين ذوي غيرة نستعين بهم في ولاية كل من أعدائنا .

* **البند الثالث عشر :** حينما يصبح الاسوجيون متشتتين ، والإيرانيون مغلوبين ، والبولونيون محكومين والممالك العثمانية مضبوطة . أيضا حينئذ نجمع معسكراتنا في محل واحد مع المحافظة على البحر الأسود وبحر البلطيق بقوتنا البحرية . وعند ذلك نظهر أولا لدولة فرنسا كيفية مقاسمة حكومات الدنيا بأسرها بيننا ثم لدولة اوستريا . ويعرض ذلك على كل من الدولتين المشار إليهما كل منهما على حدة بصورة خفية جدا لقبول ذلك وحيث انه لا بد من أن تقبل إحداهما ، فعند ذلك ينبغي مداراة واحترام كل منهما . وأن نجعل من كان منهما قابلا بما عرضناه عليهما واسطة للتنكيل بالأخرى . و تكون روسيا حينئذ قد ضبطت جميع الممالك الشرقية . عند ذلك يسهل علينا أن نقهر وننكل فيما بعد أية دولة بقيت في الميدان من الدولتين المذكورتين .

* **البند الرابع عشر:** على فرض المحال أن كلا من الدولتين المشار إليهما لم تقبل بما عرضته عليهما روسيا . فينبغي حينئذ لروسيا أن تنصرف لمراقبة ما يحدث من النزاع والخلاف بينهما . فإذا وقع ذلك فلا بد أن يحصل تعب للطرفين . وفي ذلك الوقت يجب على روسيا أن تنتظر الفرصة العظيمة وتسوق حالا عسكرها المجتمعين أولا بأول على ألمانيا . فتهجم في تلك الجهات . ثم تخرج أسطولين من السفن أحدهما من بحر ازاق حيث يحتشد عساكرنا ، من أقوام الأناضول المتنوعة . والثاني من ليمان خليج ارخانكل الكائنة في البحر المتجمد الشمالي . فتسير هذه السفن وتمر في البحر الأبيض والبحر المحيط الشمالي مع الأسطول المرتب في البحر الأسود وبحر البلطيق . وتهجم على سواحل فرنسا . وأما ألمانيا فانها تكون إذ ذاك مشغولة بحالها.وبما ذكرناه تصبح المملكتان

المذكورتان مغلوبتين . فالقطعة التي تبقى من أوروبا تدخل تحت الانقياد بسهولة وبدون محاربة وتصير جميع قطعة أوروبا قابلة للفتح والتسخير.] **ا هـ .**

******

وبعد اشتعال المعارك بين الروس والعثمانيين. وفي يونيو سنة 1772 م تهادن الفريقان بناء على توسط النمسا ثم طلب مندوب كاترينه الاعتراف باستقلال تتار القرم وحرية الملاحة لسفن روسيا التجارية في البحر الأسود وجميع بحار الدولة العثمانية . ولما لم تقبل الدولة هذه الشروط انفض الجمع على غير جدوى ثم مدت المهادنة سبعة اشهر واجتمع المؤتمر ثانية و طلبت كاترينه بلسان مندوبها طلبات أكثر إجحافا بحقوق الدولة وأرسلت بها بلاغا نهائيا 15 نوفمبر سنة 1773 وكان من تلك الشروط :

(سابعا : أن يكون لروسيا حق حماية جميع المسيحيين الأرثوذكسيين في بلاد الدولة العثمانية ...)

ويظهر للمطلع على تلك الشروط أن كاترينه ما كانت تظن قبول الدولة لها بل جعلتها طريقة لاستمرار الحرب . ولذلك رفضتها الدولة العثمانية ، وأصدرت أوامرها للجيوش باستئناف القتال بكل شدة خصوصا في بلاد الطونه فانهزم الروس عدة هزائم .

ثم توفي السلطان مصطفى الثالث في يناير سنة 1774 وبلغت مدة حكمه ست عشرة سنة وثمانية شهور وذكر أنه كان عادلا محبا للخير وله عدة مآثر خيرية كالمدارس و التكايا .

- **<u>(27) - السلطان الغازي عبد الحميد خان الأول (1774- 1789 م) :</u>**

وهو ابن السلطان احمد الثالث . وكان قد قضى مدة حكم أخيه مصطفى الثالث محجوزا في سرايته كما جرت به العادة .

وفي أول عهده كانت روسيا تستعد استعدادا هائلا لرد ما فقدته من الاسم والشرف في أواخر أيام مصطفى الثالث . ولم يأت شهر يونيو سنة 1774 إلا و زحفت جيوشها إلى معسكر الصدر الأعظم . .. وبعد عدة انتصارات طلب الصدر من رومانزوف المهادنة وتوقيف القتال ، وأرسل إليه مندوبين للاتفاق على عقد الصلح وقبول الشروط التي رفضتها الدولة عند اجتماع مؤتمر بوخارست . وبعد محادثات طويلة بين الطرفين قبل الصدر **المعاهدة التي تم الاتفاق عليها في يوليو سنة 1774** وهي مكونة من ثمانية وعشرين بندا ، <u>وتعتبر بداية الدلائل على انهيار الدولة العثمانية :</u>

أهمها استقلال تتار القرم و بسارابيا و قوبان - مع حفظ سيادة الدولة العثمانية عليهم فيما يتعلق بالأمور الدينية - وتسليم كافة البلاد والأقاليم التي احتلتها روسيا إلى خان القرم ما عدا

قلعتي كريش ويكي قلعه . ورد ما اخذ من أملاك الدولة في الفلاخ و البغدان وبلاد الكرج و منكريل وجزائر الروم ما عدا بعض المناطق- وان يعطى إلى إمبراطور روسيا لقب بـادي شـاه في المعاهـدات والمحررات الرسمية – وان يكون للمراكب الروسية حرية الملاحة في البحر الأسود والبحر المتوسط .

وان تبني روسيا كنيسة بقسم بيرا بالآستانة ويكون لها حق حماية جميع المسيحيين التابعين للمذهب الأرثوذكسي من رعايا الدولة – وان تكون كافة المعاهدات السابقة لاغية - ... وغير ذلك.

ومن الغريب انه لم يذكر شيء فيها عن مملكة بولونيا وهي سبب هـذه الحـرب التـي عـادت على الدولة بأوخم العواقب .

وأضيف إلى هذه المعاهدة بندان سريـان جـاء في أحـدهما أن الدولـة تـدفع إلى روسـيا مبلـغ خمسة عشر ألف كيس بصفة غرامة حربية عـلى ثلاثـة أقسـاط متسـاوية في أول ينـاير سـنة 1775 وسنة 1776 وسنة 1777 . وفي الثاني أنها تقدم لروسيا المساعدات المقتضية للجلاء عـما احتلتـه مـن جزائر الروم وسحب أسطولها منها.

وكانت هذه أول مرة تدفع فيه الدولة العثمانية الجزية لدولة أخرى !!!.

ومن المفيد الإطلاع على بعض البنود من نص تلك المعاهدة التي دعيت (معاهدة قينا رجـه) نقلا عن ترجمة الجزء الأول من تاريخ جودت باشا:

* **المادة الأولى :** كل ما سبق وقوعه بين الدولة العثمانية ودولة روسيا من عـداوة ومخاصـمة قـد محـي وأزيـل مـن الآن وإلى الأبـد . وكـل الأضرار والتعـديات التـي صـار الشروع في اسـتعمالها وإجرائها من الطرفين بالآلات الحربية وبغيرها صارت نسيا منسيا إلى الأبد . ولا يجـري بعـد الآن ولا في وقت ما انتقام . بل صار الصلح برا وبحرا عوضا عن العدوان بوجه لا يعتريـه التغـير. بـل يراعـى ويصان من طرف الهمايوني ومن طرف خلفائي الاماجد . وكذلك يحفظ ويصان ما جرى تمهيـده مـع ملكة روسيا المشار إليهـا وحلفائهـا مـن الاتفـاق والمـوالاة الصـافية المؤبـدة والسـالمة مـن التغـير . وتستمر هذه المواد جارية ومعتبرة بكمال الدقة والاهتمام وتكون قضية الموالاة مرعية بهذه الصورة بين الدولتين وفي أملاكهما وبين رعايا الطرفين بحيث لا تقع فيما بعد ضـدية بـين الفـريقين لا سرا ولا جهرا ولا نوع من أنواع البغضاء والأضرار..

* **ومما جاء في المادة الثامنة :** تعطى الرخصـة التامـة لرهبـان دولـة روسـيا ولسـائر رعاياهـا بزيارة القدس الشريف وسائر الأماكن التـي تسـتحق الزيـارة ولا يتكلـف المسـافرون ولا السـائحون لدفع نوع من أنواع الجزية والخراج و(الويركو) أصـلا . ولا يطلـب ذلـك مـنهم إثنـاء الطريـق لا في القدس الشريف ولا في سائر ألاماكن . وتعطى لهم الفرمانات بالوجه اللائق مع أوامر الطريـق التـي تعطى إلى رعايا سائر الدول . والذين يقيمون منهم في أراضي دولتي العلية لا يمكن أن يحصـل لهـم تعرض ومداخلة بوجه من الوجوه . بل تصير حمايتهم وصيانتهم تماما بمقتضى قوة أحكام الشريعة .

* **وجاء في المادة الرابعة عشرة :** يجوز لدولة روسيا أن تبنى كنيسة على الطريق العام فى محلة بك أو غلي في جهة غلطة غير الكنيسة المخصوصة قياسا علي سائر الدول . هذه الكنيسة هي كنيسة العوام وتسمى كنيسة دوسوغرنه وتكون تحت صيانة سفير دولة روسيا إلى الأبد وتكون أمينة من كل تعرض.

* **وجاء في المادة السادسة عشرة :**

- ثانيا : الديانة المسيحية تكون من كل الوجوه حرة كالأول ولا يحصل ممانعة لإجرائها قط **ولا يمنع إحداث كنائس جديدة ولا ترميم الكنائس القديمة .**

- ثالثا : الأراضي والأملاك الموجودة ضمن دائرة ابرائل وخوتين وفي سائر المواضع المأخوذة بغير حق المتعلقة من القديم بالأديرة وبسائر الأشخاص فهذه جميعا ترد للمرسومين المعبر عنهم الآن بالرعايا .

- رابعا: **يكون لجماعة الرهبان الاعتبار بما يناسبهم من الامتياز** . ...

- ثامنا : بعد انقضاء هذه المهلة تتعهد دولتنا العلية بمعاملتهم بالمروءة الكلية في أمر تعيين الجزية وتحافظ على سخائها الجليل على قدر الإمكان ويصير تأدية جزيتهم بواسطة مبعوثيهم مرة في كل سنتين وبعد أداء هذه الجزية بتمامها فلا يتعرض لهم احد أصلا كائنا من كان من باشا أو حاكم ولا يطالبون بشيء ما من اقتراحات الضرائب بأي اسم كانت. بل يكونون متمتعين بالامتيازات التي تمتعوا بها في الزمن السعيد أيام سلطنة جدي الأمجد السلطان محمد خان الرابع .

- تاسعا يرخص لأمراء هذه الحكومات أن يقيم من طرفه وكيلا لدى دولتي العلية باسم مصلحتك دار ويكون هؤلاء الوكلاء نصارى من ملة الروم بدلا عن (القبوكتخدايات) الذين كانوا يتعاطون رؤية أمور الملك وتجري في حقهم من جانب دولتي العلية المعاملة بكمال المروءة وينالون ما يستحقونه بحسب قواعد الملل أي أنهم يكونون معتبرين ومن كل تعرض آمنين ومصانين .

- عاشرا : تعطى الرخصة وتحصل الموافقة من جانب لدولة العلية إلى سفراء إمبراطورية روسيا بان يتذاكروا عند الاقتضاء فيما يتعلق بصيانة ومساعدة الحكومتين المذكورتين وتتعهد الدولة العلية برعاية ما يعرضه سفراء روسيا من المواد بحسب اعتبار الصداقة اللائقة بالدولتين .

* **وجاء في المادة العشرون :**

بحسب مفهوم السندات التي عقدت بين الحاكم توليستوي وبين حسن باشا محافظ آجو بتاريخ سنة 1700 ميلادية وسنة 1100 هجرية خصصت قلعة آزاق بحدودها الأولى إلى دولة روسيا للأبد .

* **وجاء في المادة الثالثة والعشرون :**

... ودولتي العلية تتعهد أيضا بحسب مضمون المادة السابقة بان تشمل بالعفو جميع الـذين صدرت منهم حركات ضد دولتي العلية في أثناء امتداد المحاربة و أن تكف يدها إلي الأبد عـن اخـذ الويركو عن الصبيان و البنات و عن طلب أي نوع كان من الجزية وانه ما عدا الذين لهم تعلق بهـا من القديم لا تدعي علي فرد واحد من الطوائف المذكورة بكونه من رعاياها وأنها تترك مـرة أخـرى جميع الأراضي وسـائر الاسـتحكامات التـي ضـبطها الكرجيـون والمكريـون لحكـومتهم ولمحـافظتهم المطلقة وأنها لا تتعرض ولا تجري تضييقا على أديرة وكنائس الديانة بوجه ما ولا تمنع ترميم القديم ولا بناء الجديد منها وبأن تمنع باشا جلدر وجميع رؤساء الجيـوش والضـباط مـن التعـرض بـأي داع كان لأموال الأديرة والكنـائس المـذكورة وإضـاعتها ولا تتعـرض دولـة روسـيا للطوائـف المـذكورة ولا تتدخل في أمورهم لأنهم من رعايا دولتي العلية .

* **وجاء في المادة الخمسة والعشرون :** جميع أسرى الحرب مـن ذكـور و إنـاث مـن أي درجـة ورتبـة كـانوا يسرحـون و يـردون الى أوطـانهم ماعـدا المسـيحيين الـذين دخلـوا في الـدين المحمـدي بإرادتهم في دولتـي العليـة والمسـلمين الـذين تنصرـوا بـإرادتهم في أثنـاء وجـودهم في أراضي روسـيا وهكذا كله بعد مبادلة التصديق على صكوك هذه العهدة المباركة حالا بـلا عـذر أصـلا وبـلا عـوض وبغير فدية . وكذلك جميع المسيحيين الذين وقعوا في الاسترقاق من بولونيين و بغدانيين و افلاقيـين و من أهالي الموره والجزائر و الكرجيين كافة بلا استثناء يعتقون بلا ثمن وبغير عوض وكـذلك الـذين استرقوا من رعايا روسيا ووجدوا في ممالكي المحروسة يصير تسليمهم وردهم إلى مواطنهم وذلك بعد انعقاد المصالحة المباركة وكذلك تجري هذه الأمور أيضا بهـذه الصـورة عينهـا في حـق رعايـا دولتـي العلية .

* **وجاء في المادة الثامنة و العشرون :**

... وبما أن الصدر الأعظم و فلدمار شال دولة روسيا بتروقونت رومان جوف قد فـوض إلـيهما من طرفي الهمايوني ومن طرف إمبراطورية روسيا المشار إليها أمر تمهيد عقود وعهود عهـدة الصـلح المباركة المنعقدة فجميع مواد الصلح المؤبد المسطر في العهدة المذكورة يصـير إمضـاؤها مـن طـرف الصدر الأعظم و فلد مارشال وختمها بأختامها للتصـديق كـما لـو كانـت جـرت بحضـورهما والمـواد المنعقدة التي تمهدت وصار الوعد بها تراعى مراعاة قويـة بـدون تغيـير ولا تبـديل وتجـري بالدقـة بحسب منطوقها ولا يفعل شيء مخالف لها قطعيا ويحـرر في المـواد المـذكورة التـي تقـررت وجـرى التصديق عليها من طرف الصدر الأعظم و الفلد مارشال المشار إلـيهما سـندان ممضـيان بامضـائهما ومختومان بخاتميهما ....

* **وجاء في الخاتمة :**

إن ما جري تحديده و تمهيده بحسب المواد المذكورة من الصلح و الصلاح المبطل للحرب و الكفاح يكون مقررا و معتبرا من بعد الآن ... و كذلك شرط المادتين المحررتين ...

ذكر مادتان في خاتمة العهدة :

** إحداهما تتضمن المصاريف الحربية وذلك لان الدولة العثمانية كانت تعهدت بتأدية خمسة عشر ألف كيس لروسيا في مدة ثلاث سنين يدفع منها في كل سنة قسط وهو خمسة آلاف كيس .

** والمادة الثانية سرعة تخلية جزائر البحر الأبيض تأييدا لما هو مذكور في المادة السابعة عشرة من العهدة المذكورة وأسطول روسيا الموجود في البحر الأبيض وان كان مشترطا في المادة المذكورة انه يخرج في مدة ثلاثة اشهر فدولة روسيا قد تعهدت بإخراجه قبل المدة المذكورة إذا أمكن . انتهى . !!!

وبذلك انتهت هذه الحرب ونالت روسيا أقوى أمانيها بعد إذلال مملكة اسوج ومحوها من العالم السياسي تقريبا بحصرها ضمن حدودها الطبيعية . وهي طمس آثار مملكة بولونيا من الوجود كلية تقريبا وتجزئة معظمها بينها وبين النمسا وبروسيا بمقتضى معاهدة بين روسيا وبروسيا في 7 فبراير سنة 1772 وقبلتها النمسا في ابريل وأعلنت لملك بولونيا في 18 سبتمبر سنة 1772 وبذلك سقط الحاجزان الأولان من الحواجز الثلاثة الحائلة بين تقدم روسيا من جهة أوروبا وأمكنها أن توجه كل قواها لمكافحة الدولة العثمانية

<u>استيلاء روسيا على بلاد القرم :</u>

أما روسيا فأخذت تبث رجالها في بلاد القرم لإيجاد المشاغبات الداخلية بها و بالتالي لابتلاعها وضمها الى أملاكها. و ما زالت مستمرة في إلقاء الدسائس ونشر الفتن بين الأهالي حتى عزلوا أميرهم دولت كراي الذي انتخبه الأهالي بمقتضى نصوص معاهدة قينا رجه واحتلت روسيا تلك البلاد بسبعين ألف جندي كانوا منتظرين على الحدود لهذه الغاية فتم لها مقصدها الذي كانت تسعى وراءه من مدة وهو امتلاك كافة سواحل البحر الأسود الشمالية في غضون سنة 1773 فهاجت الدولة وأرادت إشهار الحرب على روسيا . لكن حولت أنظارها ثانيا عن الحرب بمساعي فرنسا لعدم استعداد الدولة وقدرتها في ذاك الوقت على مقاومة روسيا فبلت مشورة فرنسا والاعتراف بضم القرم لروسيا واعترفت بذلك في سنة 1774 م . لكن لم يكن قصد روسيا ومساعديها إلا انتشاب القتال ، وأرسلوا جواسيسهم إلى بلاد اليونان وولايتي الفلاخ من البغدان لتهييج المسيحيين على الدولة . وفي سنة 1787 م ساحت كاترينه في البلاد الجنوبية وبلاد القرم بأبهة واحتفال زائد وأقام

لها القائد بوتمكين أقواس نصر كتب عليها : (طريق بيزنطة) فعلمت الدولة من كل هـذه الأحـوال أنها تقصد محاربتها ثانيا . ولذلك أرادت هي المبادرة بإعلان الحرب قبـل تمـام اسـتعداد أعـدائها . . وفي هذه الأثناء كانت النمسـا أعلنـت الحـرب عـلى الدولـة مسـاعدة لروسـيا . وحـاول إمبراطورهـا يوسف الثاني الاستيلاء على مدينة بلغراد فعاد بالخيبة إلى مدينة تمسوا ر حيث اقتفى أثـره الجـيش العثماني وانتصر عليه نصرا مبينا. ثم بعد ذلك بقليل توفي السلطان عبد الحميـد الأول في 12 رجـب سنة 1203 هـ 8 ابريل سنة 1789 بالغا من العمر 66 سنة ومدة حكمه 15 سنة وثمانية شهور وتولى بعده سليم الثالث.

- **(28) - السلطان الغازي سليم خان الثالث (1789- 1807م) :**

وهو ابن السلطان مصطفى الثالث . تولى وجو السياسة مكفهر ، ورحـى الحـرب دائـرة فبـذل جهده في تقوية الجيوش وإرسال المؤن والذخائر . لكن اليأس كان قـد اسـتولى عـلى الجنـود وغـادر كثير منهم مراكزهم. وفي هذه السنة اتحد القائد الروسي مـع قائـد الجيـوش النمسـاوية في الأعـمال الحربية وضما جيوشهما لبعضهما فاستظهرا على العثمانيين في سبتمبر سـنة 1789 م اسـتولى الـروس على مدينة بندر الحصينة واحتلوا معظم بلاد الفلاخ و البغدان و بسارابيا ودخل النمساويون مدينة بلغراد وفتحوا بلاد الصرب . فكانت الدولـة في خطـر عظـيم . ولـو اسـتمر اتحـاد النمسـا وروسـيا لفقدت اغلب أملاكها لكن من حسن حظها توفي الإمبراطور يوسـف سـنة 1790 م وخلفـه ليوبولـد الثاني فشغلته الثورة الفرنسية التي قامت على الملك لويس السادس عشر خوفا مـن امتـداد لهبهـا . وسعت النمسا في مصالحة الدولة العثمانية وردت إليها النمسا بلاد الصرب ومدينة بلغـراد وجميـع فتوحاتها تقريبا .

إلا أن روسيا لم تتبع النمسا حليفتها في طريق الصلح بل استمرت على محاربة الدولة بمفردها. ثم توسطت إنكلترا وبروسيا وهولندا بين الدولة وروسيا وتم الصلح بين الطرفين في سـنة 1792 عـلى أن تمتلك روسيا بلاد القرم نهائيا وجزء من بلاد القوبان و بسارابيا و الأقاليم الواقعة بين نهـري بـوج و دينستر بحيث يكون هذا النهر الأخير فاصـلا بـين المملكتـين ، وتتنـازل لهـا الدولـة العثمانيـة عـن مدينة اوزي اوتشاكوف . وأمضيت بذلك معاهدة في مدينـة يـاش أطلـق عليهـا اسـم هـذه المدينـة نسبة إليها .

وبعد إتمام الصلح مع النمسا وروسيا أخذت الدولة في إصلاح داخليتهـا وخصوصـا العسـكرية والبحرية فعين احد المتقربين من السلطان واسمه كوشك حسين باشا قبطانا عاما وكان مـن الشـبان الذين درسوا في أوروبا . وزوجه السلطان إحدى أخواته فاستحضر عددا عظيما من مهرة المهندسـين من السويد وفرنسا لصب المدافع في معامل الطوبخانة ، وأصلح مدرسة البحرية ومدرسة الطوبجيـة

التي أسسها البارون دي توت المجري وترجم لتلامذتها مؤلفات المعلم فوبان الفرنساوي في فن الاستحكامات . وأضاف إلى مدرسة الطوبجية مكتبة جمع فيها أهم ما كتب في الفنون الحربية الحديثة والرياضيات لتكون التلامذة على إطلاع تام في العلوم العصرية .و وضع نظاما للجنود المشاة وشرع في تنسيق فرق جديدة وتدريبها على النظام الأوروبي ، فأنشأ أول فرقة منتظمة في سنة 1796 وجعل عددها 1600 جندي تحت قيادة ضابط إنكليزي دخل في الدين الإسلامي وسمي إنكليز مصطفى وكان القصد من ترتيب العساكر النظامية الاستغناء بهم عن جنود الإنكشارية .

وفي سنة 1798 أمرت الجمهورية الفرنساوية بونابرت القائد الشهير بالمسير إلى مصر لفتحها بغير إعلان حرب على الدولة العثمانية وأوصته بكتمان هذا الأمر حتى لا تعلم به إنكلترا فتسعى في إحباطه وكان القصد منه منع مرور تجارة الإنكليز من مصر إلى الهند . وحصلت بينه وبين أمراء المماليك واقعة الأهرام التي اظهر فيها المماليك من الشجاعة ما أدهش الفرنساويين . وبعد أن بذلوا وسعهم في الدفاع عن مصر . تقهقروا أمام المدافع الفرنساوية فدخل بونابرت وجيوشه مدينة القاهرة بعد أن أعلن بها انه لم يأت لفتح مصر بل انه حليف الباب العالي . وأنه أتى لتوطيد سلطته ومحاربة المماليك العاصين أوامره ، كما زعم الإنكليز بعد ذلك عند دخولهم مصر سنة 1882 .

و لكن لم يلبث ان وصله خبر واقعة أبي قير البحرية التي دمر فيها نلسن أمير البحر الإنكليزي الشهير جميع المراكب والسفن الحربية الفرنساوية في أغسطس سنة 1798 . وتسلطن الإنكليز على البحر المتوسط، وقطعوا المواصلات بينه وبين فرنسا . ولما علمت الدولة العثمانية باحتلال الفرنساويين القطر المصري أخذت في الاستعداد لمحاربتهم لاسيما وأنها كانت مطمئنة البال من جهة النمسا وروسيا اللتين كانتا مشتغلتين بمحاربة الجمهورية الفرنساوية خوفا من امتداد مبادئ الثورة الفرنسية إلى بلادهم فتفل عروشهم كما حصل للويس السادس عشر ملك فرنسا . ومن جهة أخرى عرضت عليها الدولة الإنكليزية مساعدتها على إخراج الفرنساويين من مصر لا رغبة في حفظ أملاك الدولة بل خوفا على طريق الهند من أن تكون في قبضة دولة قوية يمكنها معاكستها فقبلت الدولة العثمانية مساعدتها بكل ارتياح . وكذلك عرضت عليها روسيا إمدادها بمراكبها الحربية وانضمامها إلى السفن العثمانية والإنكليزية فقبلت أيضا . وأعلنت الحرب رسميا على فرنسا في سبتمبر سنة 1798 . وأخذت الدولة في جمع الجيوش بمدينة دمشق وبجزيرة رودس لإرسالها إلى مصر واتت السفن الروسية من البحر الأسود إلى بوغاز الآستانة وخرجت إلى البحر الأبيض مع السفن العثمانية وذلك بمقتضى معاهدة أبرمت بين هذه الدول الثلاث التي اتفقت لأول مرة على عمل حربي مع ما بين الدولة العلية وروسية من العداوة القديمة المستمرة . ولما شعر بونابرت باجتماع الجيوش لمحاربته تحقق أن من يحتل مصر لا يكون آمنا عليها إلا إذا احتل القطر السوري . فلهذه الدواعي عزم بونابرت على فتح بلاد الشام . و دخل الرملة ثم يافا . ثم حاصر مدينة عكا من جهة البر ولم

يدخلها لتيقظ احمد باشا الجزار قائد حاميتها . وفي أوائل ابريل بلغه تحرك جيش دمشق العثماني لإنجاد مدينة عكا فأرسل القائد كليبر لمحاربته ومنعه من الوصول إليها فالتقى بالعثمانيين عند جبل وأنجده بونابرت فتفرق الجيش المجتمع . وقطع نابليون بعدم النجاح وعاد بمن بقي من جيوشه إلى القاهرة. وفي أغسطس سافر بونابرت من الإسكندرية قاصدا فرنسا خفية مع بعض قواده حتى لا يضبطه الإنكليز القاطعون بمراكبهم سبل البحر الأبيض على الفرنساويين، وذلك أن الأميرال الإنكليزي أرسل إليه عدة نسخ من الجرائد الفرنساوية المذكور بها خبر تغلب النمساويين على فرنسا ووقوع الفوضى في داخليتها فأراد بونابرت الرجوع إليها لاستمالة الخواطر إليه .. فغادره تاركا القائد كليبر وكيلا عنه. فبقي الجيش الفرنساوي بمصر بدون مراكب تحميه من نزول الإنكليز والعثمانيين على الثغور أو تأتي إليه بالمدد أو مجرد الأخبار من فرنسا . ونقص عدده إلى خمسة عشر ألفا بعد من مات ببر الشام بالطاعون والحرب . وظهر أن هذا العدد غير كاف لحماية السواحل وحفظ الطريق والمحافظة على الأمن في الداخل . ولذلك يئس القائد كليبر من حفظ مصر واتفق مع الباب العالي والأميرال سدني سميث في 24 يناير سنة 1800 على أن تنسحب العساكر الفرنساوية بسلاحها ومدافعها وترجع فرنسا على مراكب إنكليزية . وسار بعدها لمحاربة الجيش التركي الذي أتى إلى مصر في مارس سنة 1800 ، وبعد محاربة عنيفة فاز كليبر بالنصر وعاد إلى القاهرة فوجدها في قبضة ابراهيم بيك احد أمراء المصريين. فأطلق القنابل عليها وخرب منها جزءا عظيما واستمر الحرب في شوارعها نحو عشرة أيام. وفي 14 يونيه سنة 1800 قتل مجاهد فدائي من مدينة (حلب حرسها الله) اسمه (سليمان الحلبي) القائد كليبر في بستان السراي وهرب . فضبطوه و قتلوه هو ورفاق له ثلاثة اتهموا معه في القتل ، منهم الشيخ الذي أفتاه بذلك في بيت المقدس رحمهم الله . ثم عين مكانه الجنرال مينو وكان قد زعم أنه اعتنق الدين الإسلامي وتسمى عبد الله مينو!!.

ولما علم الإنكليز والعثمانيون بموت كليبر وخروج بونابرت من مصر أيقنوا بالغلبة عليهم وانزلوا بأبي قير ثلاثين ألف مقاتل تحت قيادة الجنرال ابركرومبي في أوائل سنة 1801 فسار القائد مينو لمحاربتهم فانهزم أمامهم . ثم سار الإنكليز والأتراك إلى القاهرة وحصروا من بقي منها من الفرنساويين .. أما القائد مينو فبقي محصورا في الإسكندرية ولم يقبل التسليم إلا في سبتمبر سنة 1801 بعد أن وقعت بينه وبين العثمانيين والإنكليز موقعة عظيمة قتل فيها كثير من الطرفين فخرج منها مع من بقي معه وسافر إلى بلاده على مراكب الإنكليز وبذلك انتهت الحرب ورجعت البلاد إلى العثمانيين .

وبعد ذلك اتصل بونابرت الذي كان تعين رئيسا للجمهورية الفرنسية مع سفير الدولة العثمانية واظهر له ضرر اتحاد الدولة مع روسيا وإنكلترا خصوصا وان روسيا قد احتلت جزائر اليونان الواقعة ما بين جنوب ايطاليا وبحيث جزيرة موره وجنود إنكلترا باقية بمصر مماطلة في

إخلائها ، وما احتلته من ثغور الشام . وأخيرا أقنعه بوجوب تجديد العلاقات الودية مع فرنسا فكاتب السفير العثماني دولته بذلك . وبعد الحصول منها على الإذن أمضى مع بونابرت مشروع معاهدة سنة 1801 . أساسها إخلاء مصر وتأييد امتيازات فرنسا السابقة في الشرق .

وفي هذه الأثناء حصلت في داخلية الدولة بعض اضطرابات بسبب شروع السلطان سليم الثالث في تنظيم الجيوش على النظام الجديد فان الإنكشارية لم ينظروا لهذه الإصلاحات العسكرية بعين الارتياح . فلما مات الجنرال دو بايت الفرنساوي الذي كان استحضر لتدريب النظام في سنة 1797 سعى الإنكشارية مع بعض العلماء المتذمرين من توجهات السلطان الغربية . وكان السلطان قد أصدر أمرا ساميا بفصل المدفعية عن الإنكشارية وتنظيمها ويكون مقرهم في الآستانة وان يكون لكل منهم موسيقى عسكرية وإمام لتعليم الدين وإقامة الصلاة ...

الفتن الداخلية بسبب توجهات السلطان الغربية :

وقد انتشرت خلال انشغال الدولة العثمانية بحرب مصر ، وهاجت ثورات كثيرة من قبل سكان اليونان والبلقان والصرب وغيرها من باقي ولايات الدولة بأوروبا بدسائس الدول الأوربية ، وطموح السكان للاستقلال .. و لم يتمكن الإنكشارية من كبح جماحهم بل فاز المفسدون عليهم في عدة وقائع وصارت البلاد في كرب عظيم وبلاء شديد وهدد هؤلاء الثائرون مدينة أدرنه نفسها مع مناعتها . و يزعم مؤلف كتاب تاريخ الدولة العثمانية (فريد بيك) أن السلطان سليم أراد تجربة الفرق المنتظمة الجديدة التي أنشأها ودربها عسكريون أوربيون وأدخلوا عليها الأنظمة الأوربية . فقامت هذه الجنود بما عهد إليها خير قيام .. وعادت السكينة إلى ربوعها ورجعت الجنود المنتظمة إلى الآستانة مكللة بالظفر فانشرح السلطان من نجاح مشروع هذا النظام الجديد . وأغدق عليهم العطايا والهبات ثم أصدر في شهر مارس سنة 1805 أمرا ساميا خط شريف إلى جميع الولايات بتركية وأوروبا بجمع جميع الشبان من الإنكشارية و الأهالي البالغين سن الخمسة والعشرين وإدخالهم العسكرية وتربيتهم على النظام الجديد بإشراف الضباط والمدربين الأجانب . فلم يقبل الإنكشارية هذا الأمر واظهروا التمرد.

واتحد بعض العلماء والطلبة ضد النظام الجديد فأذعن السلطان لمطلب الإنكشارية وأرجع العساكر النظامية إلى ولايات آسيا وعزل الوزراء وعين رئيس الإنكشارية صدرا أعظما . ومع ذلك فلم تنته هذه المسألة بسلام بل جرَّت بعد قليل إلى عزل السلطان ، وكانت هذه بداية وقوف العلماء ، وقيادات الإنكشارية في وجه عملية التغريب ، والغزو الأوربي للجيش العثماني الذي تولى كبره السلطان سليم الثالث هذا .

وقد أدت قلاقل بلاد الصرب إلى قيام الحرب بين الدولة العلية وروسيا التي سيأتي بيان أسبابها.

علاقات الباب العالي مع فرنسا وروسيا وإنكلترا بعد خروج الفرنساويين من مصر:

أرسل بونابرت إلى بلاد الشرق الجنرال سبستياني لتجديد ربط الاتحاد والوداد مع الدولة العثمانية . وفي أثناء إقامته بالآستانة تمكن بمساعيه من عزل أميري الافلاق والبغدان المنحازين لروسيا . فساء ذلك روسيا وخشيت من امتداد نفوذ فرنسا في الشرق فأرسلت جيوشها لاحتلال هاتين الولايتين بدون إعلان حرب بدعوى أن تغيير أميريهما مضر بحقوق جوارها . فانتشبت نيران القتال بينها وبين الدولة واتحدت إنكلترا مع روسيا في هذه الحرب . فأرسلت إحدى فرقها البحرية أمام الدردنيل وأرسل سفيرها بلاغا إلى الباب العالي يطلب منه : تحالف الدولة العلية وإنكلترا وتسليم الأساطيل العثمانية وقلاع الدردنيل إلى إنكلترا والتنازل عن ولايتي الافلاق والبغدان إلى روسيا وطرد الجنرال سبستياني من الآستانة وإعلان الحرب على فرنسا و إلا فستكون إنكلترا مضطرة لاجتياز الدردنيل وإطلاق مدافعها على الآستانة .

وفي فبراير سنة 1807 قرن الإنكليز القول بالفعل واجتاز الأميرال الإنكليزي الدردنيل ودمر كافة السفن الحربية العثمانية الراسية بها ، ومكث خارج البوسفور ينتظر تنفيذ لائحته التي سبق ذكرها . وبورود الخبر إلى الدولة بذلك وقع الرعب في قلوب سكان الآستانة خشية من وصول السفن الإنكليزية إلى البوسفور وهناك تكون الطامة الكبرى لوجود اغلب السرايات الملكية ودواوين الحكومة على ضفتيه . وكادت الدولة تستسلم للشروط . ولكن الفرنسيين شجعوها على الصمود ووعدوا بالمساعدة . فاخذوا في تحصين العاصمة وبناء القلاع حولها وتسليحها بالمدافع الضخمة وشكل الفرنساويون النازلون بالآستانة فرقة من مائتي مقاتل !! أغلبهم من المدفعية وكذلك الأسبان لمضادة سفيرهم لسياسة إنكلترا في الشرق . واهتم كل من في الآستانة في هذا العمل حتى الشيوخ والأطفال والنساء وبذل الإنكشارية جهدا كبيرا رغم خلافهم مع السلطان .. فلم يمض بضعة أيام حتى صارت المدينة في مأمن . فلما رأى الأميرال الإنكليزي استحالة دخوله البوسفور وقرب انتهاء تحصينات الدردنيل خشي من حصر مراكبه بين البوغازين وقفل راجعا في مارس سنة 1807 فنجا بمراكبه بعد أن قتل من رجاله ستمائة وغرق من سفنه اثنتان من مقذوفات قلاع الدردنيل . واجتمع بمراكب روسيا عند مدخل البوغاز . ثم أراد الأميرال الإنكليزي أن يأتي عملا يمحو ما لحقه من العار بسبب فشله في هذه المأمورية فقصد ثغر الإسكندرية فاحتلها في مارس سنة 1807 ثم سير فرقة إلى ثغر رشيد لاحتلاله فانهزمت وحاصر المدينة في ابريل لكن لم يقو على فتحها لإرسال محمد باشا المدد إليها ، وأخيرا رحلوا عن الديار المصرية . بعد أن أجروا تجربة لاحتلالها .

عزل السلطان سليم الثالث : في هذه الأثناء التي كانت فيها رحى الحرب دائرة بين العثمانيين والروس دخل والي بوسنه بجيوشه إلى بلاد الصرب لمنع الثائرين من اللحاق بالجيش الروسي . وفي غضون ذلك توفي المفتي الذي كان معضدا للسلطان على إدخال الإصلاحات العسكرية وتولى مكانه قاضي عسكر الروملي وكان على الضد من سلفه ، فاتحد مع مصطفى باشا قائم مقام الصدر الأعظم المتغيب في محاربة الروس ولفيف من العلماء على السعي في إبطال النظام العسكري الجديد . معتبرين انه بدعة مخالفة للشرع . و اخذوا يقنعون العساكر الغير منتظمة التي كانت أضيفت إلى الفرق المنتظمة ببطلان إكراههم على لبس الملابس الغربية والتزيي بزي النصارى مع ما في ذلك من مخالفة القرآن الشريف والشرع المنيف .. وحصلت بينهم معركة سالت فيها الدماء ثم انتشرت هذه الفتنة وامتد لهيبها إلى جميع القلاع وحصلت عد معارك بين الفريقين كانت نتيجتها أن وصل الجمع الثائر على السلطان .. ولما بلغ السلطان خبر هذه الثورة أصدر على الفور أمرا بإلغاء النظام الجديد وصرف العساكر النظامية . لكن لم يكتف الثائرون بل قرروا عزل السلطان خوفا من أن يعود لتنفيذ مشروعه وساعدهم على ذلك المفتي الذي كان المحرك لهذه الثورة ، فأفتى بأن كل سلطان يدخل نظم الإفرنج وعوائدهم ويجبر الرعية على إتباعها لا يكون صالحا للملك .

واستمرت هذه الثورة يومين ثم نودي في يونيو سنة 1807 بخلع السلطان سليم الثالث فعزل وكانت مدة حكمه 19 سنة وأقيم بعده مصطفى الرابع.

- **(29) - السلطان الغازي مصطفى خان الرابع (1807- 1808م) :**

عقب ذلك حصل الصلح بين فرنسا وروسيا بمقتضى معاهدة تلسيت في يوليو سنة 1807 التي جاء البند الثاني والعشرين وما بعده منها أن روسيا تكف عن محاربة الدولة العثمانية حتى يتوسط نابليون بين الطرفين . وانه بمجرد ما أمضيت الهدنة الابتدائية تخلي جيوش روسيا ولايتي الافلاق والبغدان بدون أن تدخلها الجيوش العثمانية حتى يتم الصلح نهائيا وجاء في المعاهدة السرية التي اتفق عليها نابليون واسكندر الأول قيصر روسيا إن لم يقبل الباب العالي توسط فرنسا بسبب الحوادث الأخيرة التي حدثت بالآستانة أو إن لم يتم المقصود بكيفية مرضية بعد قبول هذا التوسط بخمسة وثلاثين يوما فتتحد فرنسا مع روسيا على سلخ جميع الولايات العثمانية بأوروبا ما عدا الآستانة وما حولها وتقسيمها فيما بينهما مع إرضاء النمسا بجزء يسير . **وهذا يظهر النوايا المبيتة لكافة الخصوم المتحالفين ، ويبين أنه لم يكن هناك أي دولة أوروبية تود خيرا أو تبغي صلاحا لدولة أو أمة إسلامية مطلقا .**

ولم يطل العهد بالسلطان مصطفى الرابع فتم حجزه في نفس السراي التي كان محجوزا بها السلطان سليم . وعزل بعد أن حكم ثلاثة عشر شهرا وقتل في سرايته بعد ذلك بقليل وأقيم بعده محمود الثاني .

- **(30) - السلطان الغازي محمود خان الثاني (1808 – 1839م) :**

وهو ابن السلطان عبد الحميد الأول .وقد افتتح أعماله بأن قلد مصطفى باشا البيرق دار منصب الصدارة العظمى ووكل إليه امر تنظيم الإنكشارية ، ولكنهم قاوموه وحصلت فتنة كبيرة أدت إلى قتل السلطان السابق المحجوز في السرايا (مصطفى الرابع) ...

ثم وجه السلطان الجديد اهتمامه لإصلاح الشؤون الداخلية والاستعداد لإهلاك طائفة الإنكشارية وللتفرغ لذلك عقد الصلح مع الإنكليز في يوليو سنة 1809 . وافتتح الإيصالات مع روسيا بدون أن يتوصل إلى اتفاق مرض للطرفين فاستؤنفت الحرب وكانت سجالا بين الجيشين . وفي هذه الأثناء فترت العلاقات بين روسيا ونابليون لعدم تنفيذ شروط معاهدة تلسيت وكانت الحرب بينهما قاب قوسين أو أدنى فسعت روسيا في مصالحة الدولة العثمانية ، وتوصل الطرفان إلى معاهدة بوخارست في مايو سنة 1812. ولقد اعتبرت فرنسا هذه المعاهدة خيانة من الدولة للروابط القديمة الموجودة بين الدولتين . إذ بإبرامها تمكنت روسيا من استعمال الجيوش التي كانت مشتغلة بمحاربة العثمانيين في صد غارات فرنسا عن بلادها وإلزام نابليون بالعودة القهقرى بعد حرق مدينة موسكو وهلاك اغلب جيوشه عند عبورهم نهر بيريزينا عائدين إلى بلادهم مكسورين مدحورين . ولما بلغ رؤساء ثورة الصرب خبر معاهدة بوخارست القاضية بإرجاعهم إلى سلطة الدولة العلية المطلقة بعد ما بذلوه من الأموال والأرواح لإعطائهم نوعا من الاستقلال الإداري . ووعد قيصر روسيا بمساعدتهم ، لم يقبلوا وآثروا الفناء في الدفاع عن استقلالهم فسيرت الدولة إليهم الجيوش فأخضعتهم إلى سلطانها قهرا. وأعطيت تعليمات شديدة تقضي بمعاملة الصربيين بالرفق واللين كي يحافظوا على ولاء الدولة . وصارت الصرب مستقلة تقريبا واستبد زعيمهم ميلوش كملك مطلق لا سلطة للوالي العثماني عليه .

ثم قامت الحركة الوهابية في نجد في الجزيرة العربية . وقمعتها الدولة العثمانية باستخدام محمد علي باشا والي مصر وابنه ابراهيم باشا ومستشاريه الفرنسيين .والقصة مشهورة بما يغني عن تفصيلها هنا .

وثارت اليونان وأيدتها الدول الأوربية وروسيا . واستخدم العثمانيون محمد علي باشا لقمع الثورة وفتح بلاد اليونان فنجح بذلك سنة 1826 . وفي يونيو من السنة التالية فتح العثمانيون مدينة أثينا وقلعتها الشهيرة اكروبول رغما عن دفاع عنها .

تدخل الدول الأوربية في شؤون الدولة العثمانية :

وبينما كان ابراهيم باشا يستعد لفتح ما بقي من بلاد اليونان في أيـدي الثـائرين . إذ تـدخلت الدول بين الباب العالي ومتبوعيه بحجة حماية اليونـانيين في الظـاهر ولفـتح مـا دعـوه بــ (**المسـألة الشرقية**) وتعني عمليا (الإعداد لتقسيم بلاد الدولة العثمانية بينهم) .

فقد عاتبت الدولة العثمانية روسيا أكثر من مرة على مساعدتها الثائرين وحماية مـن يلتجـئ منهم إلى بلادها و استمرت روسيا على مسـاعدتهم طمعـا في نـوال بغيتهـا الأصـلية وهـي احتلالهـا الآسـتانة وجعلهـا مركـزا للديانـة الأرثوذكسـية عـلى غـرار مدينـة رومـا التـي تعتـبر مركـزا للديانـة الكاثوليكية . ثم استمرت المحادثات بين الدولتين مدة بدون فائدة لرغبة روسيا وعدم قبـول البـاب العالي أي تدخل أجنبي في شؤونه الداخلية وفي سنة 1825 تولى نيقولا الأول فـاهتم بمسـألة اليونـان متبعا خطة سلفه السياسية . وباتحاده مع إنكلترا اضطر الباب العالي إلى التصديق على معاهدة آق كرمان سنة 1826 . وملخصها أن يكون لروسيا حق الملاحة في البحر الأسـود والمـرور مـن البوغـازين بدون أن يكون للدولة حق في تفتيش سفنها وأن تنتخب حكـام ولايتـي الافـلاق والبغـدان بمعرفـة الأعيان لمدة سبع سنوات مع عدم جواز عزلهما إلا بإقرار روسيا . وأن تكون ولايـة الصرـب مسـتقلة تقريبا . وأن لا تحتل العساكر التركية إلا قلعة بلغراد وثلاث قلاع أخـرى. ولم يـذكر بهـذه المعاهـدة شيء عن اليونان لإيجاد سبب للإشكال في المستقبل بل اتفقـت روسـيا وإنكلـترا عـلى اسـتعمال كـل نفوذهما لوضع حد للحروب المستمرة بها ولو كـره البـاب العـالي ووافقـتهما دول النمسـا وبروسـيا وفرنسا .

<u>واقعة ناورين :</u>

وفي 5 فبراير سنة 1827 عرضت إنكلترا رسميا على الدولـة العثمانيـة توسـط جميـع الـدول بينها وبين متبوعيها فلم تقبل ذلك بل أجابت سفير الانكليـز . بعـد الـتروي والتأمـل في عاقبـة هـذا التدخل ، أنها لم تسمح ولن تسمح به مطلقا . فاغتاظت الدول من هذا الجواب. واتفقـت كـل مـن فرنسا وإنكلترا وروسيا على إلزام الباب العالي بالقوة بمنح بـلاد اليونـان اسـتقلالها الإداري بشرـط أن يدفع اليونانيون جزية معينة يتفق على مقدارها فيما بعد ، كما يتفق على حـدود الفـريقين وأمهـل الباب العالي شهرا لإيقاف الحركات العدوانية ضد اليونان و إلا فتضطر الـدول لاتخـاذ طـرق أخـرى لنفاذ رغبتها . ولما بلغت صورة هذه المعاهدة إلى الباب العـالي لم يحفـل بهـا وبعـد انقضـاء الشـهر أصدرت الدولة الثلاث أوامرها إلى قواد أساطيلها التوجه لسـواحل اليونـان وطلبـت بعـد ذلـك مـن ابراهيم باشا الكف فورا عن القتال فقبل إيقاف الحرب مـدة عشرـين يومـا ريـثما تأتيـه تعلـيمات جديدة ، واجتمعت سفن الثلاث دول المتحالفة في ميناء ناورين لمنع الأسطول التركي والمصرـي مـن الخروج منها . وفي أكتوبر سنة 1827 تكامل اجتماع سفن الدول المتحدة ، ولم تلبث السفن المقابلـة

لبعضها حتى انتشبت نيران الحرب بين الفريقين لسبب واه ، وسلطت جميع السفن الأوروبية مدافعها على المراكب التركية والمصرية بعد أن استمر القتال عدة ساعات . و انتهت بانتصار الدول المتحدة . ولما وصل خبر هذه الحادثة التي حصلت بدون إعلان حرب كما هي العادة بين الدول إلى الباب العالي . أرسل بلاغا إلى سفراء هذه الدول الثلاثة يقيم فيه الحجة ضد هذا العمل المخالف للقوانين الدولية ويطلب به أن تمتنع الدول كلية عن التدخل في شؤون الممالك العثمانية وأن تدفع له تعويضا عن الخسائر التي نجمت من تدمير المراكب العثمانية . فلم يجاوب السفراء على هذا البلاغ بل قطعوا العلائق مع الباب العالي ونزلوا إلى مراكبهم مسرعين . و نشر السلطان في جميع الولايات منشورا عاما (خط شريف) يبين فيه سوء مقاصد الدول عموما وروسيا خصوصا نحو الدولة العلية الدولة الإسلامية الوحيدة . مثبتا للأهالي على أن الباعث على هذا العدوان هو الدين لا السياسة . وختمه بحض المسلمين على القتال دفاعا عن الدين والملة والوطن. فاغتاظت روسيا لذلك وأعلنت الحرب على الدولة في ابريل سنة 1828 .

ثم تلقى ابراهيم باشا أوامر والده واتفق مع الدولة المتحدة في أغسطس سنة 1828 بناء على الرجوع إلى مصر. على ما بقي من السفن المصرية . و ابتدأ انسحاب الجنود المصرية وكانت كلما أخلت محلا دخله الفرنسيون الذين نزلوا ببلاد اليونان. وفي نوفمبر سنة 1828 عقدت الدول الثلاث مؤتمرا في مدينة لندن لتقرير أحوال اليونان ودعت إليه الدولة العثمانية فأبت إرسال مندوب من طرفها. فاجتمع مندوبوها في اليوم المعين واتفقوا على استقلال موره وجزائر سكلاده واجتماعها على هيئة حكومة مستقلة يحكمها أمير مسيحي تنتخبه الدول ويكون تحت حمايتها على أن تدفع الحكومة اليونانية للباب العالي جزية سنوية قدرها خمسمائة ألف قرش فلم يقبل الباب العالي هذا القرار الصادر من دول غير مختصة فيما يقع بينه وبين متبوعيه واشتغل بمحاربة روسيا التي أعلنت الحرب عليه بعد أن دمر أسطوله . وأخيرا في 1830 أعلن الباب العالي بتصديقه على الشروط المدونة في الاتفاق الذي امضي بين الدولة في لندن في نوفمبر سنة 1828 القاضي باستقلال اليونان.

الغاء طائفة الإنكشارية : زعم المؤرخ أنه لما تحقق السلطان محمود أفضلية النظم العسكرية المستعملة في جيوش أوروبا . وسمع بما أتته الجنود المصرية المنتظمة من الأعمال الباهرة في محاربة موره . وعلم أن انتصارات ابراهيم باشا على اليونانيين لم تكن إلا نتيجة النظام العسكري. زاد تعلقه بإصلاح النظم العسكرية . وأراد إتمام المشروع الذي لم يمكن السلطان سليم الثالث إتمامه فجمع جميع ذوات واعيان المملكة وكبار ضباط الإنكشارية في بيت المفتي في أوائل سنة 1826. وتلا عليهم مشروعا محتويا على ستة وأربعين بندا ذكر بها بكل إيضاح كيفية التنظيمات المراد إدخالها وبعد إقرار الجمعية عليه حرر بذلك محضرا ختمه جميع الحاضرين حتى ضباط الإنكشارية وأفتى المفتي بجواز العمل بها شرعا ومعاقبة من يعارض في نفاذها . ثم تلا المشروع على

جميع ضباط الإنكشارية فأقروا عليه لكن لم تكن موافقتهم إلا ظاهرية فقط فانه لما ابتدئ في تعليم الضباط بمعرفة من تعين من ضباط الإفرنج بصفة معلمين تنبه الإنكشارية و اخذوا يستعدون للثورة والعصيان ليوقفوا تنفيذه كما فعلوا قبلا.. ولم يمض قليل حتى تم حل الإنكشارية ومطاردتهم و إبادة من عارض منهم .

ثم سار السلطان في خطة الإصلاحات الداخلية بناء على الفتوى الشرعية !! ، وقد ذكر (المؤرخ الذي اعتمدنا مصدره آنف الذكر) ممتدحا أعمال السلطان فقال : (... ومن جهة أخرى اخذ في تغير العوائد القديمة واتباع المستحسن من عوائد أوروبا . فاستبدل العمامة بالطربوش الروني ، وأمر بالزي الأوروبي ، وأمر بأن يكون هو الزي الرسمي في العسكرية والمدنية ، وأسس وساما دعاه وسام الافتخار، وأخيرا تجول بذاته في ممالك أوروبا ليستطلع أحوالها ويقف على حقائق الأمور ... وبالاختصار فانه سار سير من يردي مجاراة أوروبا في نظاماتها وعدم الوقوف حال تقدم الدول الاخرى بسرعة لعلمه أن الوقوف في مثل هذه الظروف هو عين التأخر..) كما زعم من لعب بعقله من الضباط الذين تفشت فيهم الماسونية والافتتان بالغرب . وزيادة على ذلك أحيا ما أقامه السلطان مصطفى الثالث من مدارس الطوبجية وانشأ مدرسة حربية لتخريج الضباط على مثال مدرسة سان سير الفرنساوية التي أسسها نابليون الأول بفرنسا لتربية أولاد الضباط والإشراف على النظم العسكرية الغربية.

احتلال فرنسا لجزائر الغرب : وفي أواسط سنة 1830 نفذت فرنسا ما كانت تنويه من مدة ضد ولاية الجزائر بدعوى منع تعدي قراصنة البحر المسلمين على مراكبها التجارية . وكانت الحقيقة رغبتها في أن يكون لها مركز حربي بشمال إفريقيا حتى لا تكون إنكلترا صاحبة السيادة بمفردها على البحر الأبيض المتوسط باحتلالها معاقل جبل طارق وجزيرة مالطة واتخذت لذلك سبيلا وقوع الخلاف بينها وبين عامل الدولة العلية عليها . وقررت فرنسا في مجلس الوزراء المنعقد تحت رئاسة الملك نفسه في 7 فبراير سنة 1830 وجوب الاستيلاء على هذا الإقليم . ثم أرسلت للجزائر جيشا مؤلفا من نحو ثمانية وعشرين ألف مقاتل وأسطولا بحريا مؤلفا من مائة سفينة وثلاثة سفن تحمل سبعة وعشرين ألف جندي بحري. ولما علمت إنكلترا بذلك خشيت على نفوذها من مشاركة فرنسا واحتجت ضد هذا المشروع ولما لم يفد احتجاجها شيئا .

وفي 20 ذي الحجة سنة 1245/ 12 يونيو 1830 نزلت عساكر فرنسا بالقرب من مدينة الجزائر و نشب القتال بين الفريقين في يونيو وبعد محاربة شديدة فاز الفرنساويون بالغلبة . ودخلت الجيوش مدينة الجزائر نفسها . وأعلنت فرنسا امتلاكها لها وبعد ذلك أخذت ترسل الجيوش تباعا إلى الجزائر لفتحها.

وخلال هذه الفترة تمرد محمد علي باشا في مصر وزحف على الشام وأدت وساطات ومداولات إلى تدخل الدول الأجنبية وإعطائه ولاية مصر وراثية في أبنائه بدعم من فرنسا في القصة المشهورة تاريخيا ..

ثم توفي السلطان محمود الثاني في يوليو سنة 1839 وكانت مدة خلافته إحدى وثلاثين سنة وعشرة شهور وتولى بعده ابنه عبد المجيد .

- (31) - السلطان الغازي عبد المجيد خان (1839- 1861م) :

تولى الخلافة ولم يبلغ الثامنة عشرة من عمره . وكانت الحكومة في غاية الاضطراب بسبب انتصار جيوش محمد علي باشا والي مصر على جيوش العثمانيين ، واحتلال جيوشه لمدائن عين تاب وقيصرية وملطية . ومما زاد أحوال الدولة ارتباكا أن احمد باشا القبطان العام للأسطول التركي خرج بجميع مراكبه الحربية واتى بها إلى ثغر الإسكندرية وسلمها إلى محمد علي باشا. و لما علم قناصل الدول بالآستانة بتسليم الأسطول إلى محمد علي باشا خشوا زحف ابراهيم باشا على القسطنطينية أرسلوا إلى الباب العالي لائحة سنة 1839 ممضاة من سفراء فرنسا وإنكلترا وروسيا والنمسا وبروسيا يطلبون منه أن لا يقر شيئا في أمر المسألة المصرية إلا بإطلاعهم. وأنهم مستعدون للتوسط بينه وبين محمد علي باشا لحل هذه المسألة المهمة . فقبل الباب العالي هذه اللائحة واجتمع السفراء عند الصدر الأعظم وتداولوا فيما يجب إعطاؤه لمحمد علي باشا .وحصلت مداولات كثيرة ، ولم تقبل روسيا تخويل مؤتمر دولي حق تحديد علاقاتها مع الباب العالي بل أعلنت أنها مصرة على التمسك بنصوص معاهدة (خونكار اسكله سي) وهي حماية الدولة بعساكرها ومراكبها وبالتالي احتلال معظم أملاكها بدون حرب لو تعدى ابراهيم باشا حدود الشام . فعند ذلك طلبت كل من فرنسا وإنكلترا من الباب العالي التصريح لمراكبها بالمرور من بوغاز الدردنيل لحمايته عند الضرورة من روسيا ومن العساكر المصرية ، ولما علم باقي السفراء بهذا الطلب اضطربوا وخشوا حصول شقاق بين الدول المتوسطة وأعلن سفير روسيا بأنه إذا دخلت المراكب الفرنسية والإنكليزية البوغاز فسيقطع علاقاته السياسية مع الباب العالي ويسافر في الحال وكانت حكومته قد أرسلت له مركبا حربيا ليسافر عليه إذا اقتضى الحال ذلك . وكتبت النمسا إلى لندن وباريس بأن طلبهما هذا مخل بسلم أوروبا وأنهما لو أصرا عليه فستخرج من التحالف وتحفظ لنفسها حرية العمل . فلما علم الباب العالي بذلك خاف من تفاقم الخطب ورفض طلب حكومتي فرنسا وإنكلترا وطلب منهما إبعاد مراكبهم عن مدخل البوغاز . فلهذه الأسباب ولعدم الإتفاق بين وزراء الدول توقفت المحادثات إلى سبتمبر سنة 1839 . حتى عرض سفير إنكلترا على الباب العالي أن دولته مستعدة لإكراه محمد علي باشا على رد السفن التركية بشرط أن يكون لها حق إدخال مراكبها في خليج

إسلامبول لصد روسيا عند الضرورة . فلما علمت بذلك حكومة فرنسا أرسلت إلى قائد أسطولها في مياه تركيا أمرا في ديسمبر سنة 1839 أنه لا يشترك مع مراكب إنكلترا في أي حركة عدوانية ضد حكومة محمد علي باشا (وهناك أدلة تاريخية كثيرة على عمالة محمد علي لفرنسا ضد العثمانيين ، وتولي كثير من النصارى والمفتونين بفرنسا مناصب عنده) . فعلم الكل أنه لا بد من حصول خلاف بين فرنسا وإنكلترا بخصوص المسألة المصرية . وأخذت الدول حذرها مما عساه يحصل من الأمور التي تنشأ بسبب هذا الخلاف . فأعلنت النمسا بأنها لا ترغب التداخل لعدم نجاح طلبها المختص بانعقاد مؤتمر دولي في فيينا أو برلين وأعلنت بروسيا وروسيا بأنهما يقبلان كل ما تقرره الدول في هذا الشأن بشرط أن يكون موافقا لرغبة الباب العالي وان يكون قبوله لهذا القرار صادرا عن كمال الحرية . فكأن الدول قبلت ما اتفقت عليه فرنسا وإنكلترا بالاتحاد مع الباب العالي ولكن لم يتم الاتفاق بين هاتين الدولتين لسعي إنكلترا في إرجاع المصريين إلى حدودهم الأصلية وعدم قبول فرنسا ذلك ورغبتها في مساعدة محمد علي باشا . وذلك أن فرنسا كانت تود أن تكون ولايتا مصر والشام له ولذريته وإقليما أدنه و طرسوس له مدة حياته وأما إنكلترا فكانت لا تريد أن يعطى إلا ولاية مصر لكن رغبة في إرضاء فرنسا قبلت أن يعطى مدة حياته نصف بلاد الشام الجنوبي بشرط أن لا تكون مدينة عكا من هذا النصف فرفضت فرنسا هذا الاقتراح دعما لعميلها محمد علي باشا .

وفي تاريخ 15 يوليو سنة 1840 اتفقت الدول على معاهدة صدق عليها مندوب الدولة العلية مقتضاها :

* **أولا** :أن يلزم محمد علي باشا بإرجاع ما فتحه للدولة العلية ويحفظ لنفسه الجزء الجنوبي من الشام مع عدم دخول مدينة عكا في هذا القسم .

* **ثانيا** :أن يكون لإنكلترا الحق بالاتفاق مع النمسا في محاصرة الشام ومساعدة كل من أراد من سكان بلاد الشام خلع طاعة المصريين والرجوع إلى الدولة العثمانية.

* **ثالثا** :أن يكون لمراكب روسيا والنمسا وإنكلترا معا حق الدخول في البوسفور لوقاية القسطنطينية لو تقدمت الجيوش المصرية نحوها.

* **رابعا** : أن لا يكون لأحد الحق في الدخول في مياه البوسفور ما دامت القسطنطينية غير مهددة .

* **خامسا** : يجب على الدول التي وقع مندوبوها على هذا الاتفاق أن تصدق عليه في مدة لا تزيد عن شهرين بحيث يكون التصديق في مدينة لندن.

وشفعت هذه المعاهدة بملحق مصدق عليه من مندوب الدولة العلية مبين فيه الحقوق و الامتيازات التي يمكن منحها لمحمد علي باشا .

وقبل إمضاء هذه المعاهـدة ابتـدأت إنكلـترا في تحـريض سـكان لبنـان مـن دروز ومارونيـة و نصيرية على شق عصا الطاعة .

ثم عادت الدول للاختلاف وكادت تقوم الحرب مع محمد علي باشا . ثم أرسل قناصـل الـدول الأربع المتحدة لمحمد علي (خلافا لفرنسا الداعمة له) ، وعرضوا عليه باسم دولهـم أن تكـون ولايـة مصر له ولورثته وولاية عكا له مدة حياته وأمهلوه عشرـة أيـام لإعطـاء جوابـه فطلـب مـنهم كتابـة بذلك فلبوا طلبه ثم في اليوم التالي افهموه أن فرنسا لا يمكنها مساعدته قط وان الدول مصممة على تنفيذ ما اتفقت عليه ولو أدى ذلك إلى حرب أوروبية لكنه أصر على عدم القبول والدفاع عن حقه . وفي 24 أغسطس 1840 حضر إليه القناصل ومعهم مندوب الدولة واخبروه بأنـه لا حـق لـه الآن في ولاية عكا . وأن الدول لا تسمح له إلا بولاية مصر فقط له ولذريتـه فغضـب وطـردهم مـن عنـده . فانصرفوا وأعطوه عشرة أيام أخر لإبداء جوابه بحيث إن لم يجاوب تكون الـدول غـير مسـؤولة عـما يحصل له من الضرر. وبعد انقضاء هذه المدة بدون أن يبدي لهم جوابـه كتـب القناصـل بـذلك إلى سفراء الدول باستانبول فاجتمعوا مع الصدر الأعظم وقرروا باتحادهم اخذ مصر والشام من محمـد علي باشا . وفي أثناء هذه المدة عجزت فرنسا عن مسـاعدة محمـد عـلي باشـا ، وأرسـلت أوامرهـا لسفنها أولا بالانسحاب إلى مياه اليونان ثم بالعودة إلى فرنسا وتركت مصر والشـام لمراكـب إنكلـترا تحرق موانئها بمقذوفاتها.

وفي 11 سبتمبر أنزلت العساكر إلى البر في نقطة تبعد نحـو سـتة أميـال في شـمال بـيروت ولم يتمكن ابراهيم باشا من منعهم لوجود هذه النقطـة تحـت حمايـة المـدافع الإنكليزيـة . ثـم جـاء سليمان باشا بلاغ من الأميرالين الإنكليزي والنمساوي بان يخـلي مدينـة بـيروت حـالا فطلـب مـنهم مسافة أربع وعشرين ساعة كي يتداول مع ابراهيم باشا فلم يقبل طلبه ، و ابتدؤوا في إطلاق المدافع على المدينة لمدة يومين، حتى هدم أو حرق اغلب المدينة ، كما أحرقت كذلك الثغور الشامية قصد استخلاصها من محمد علي باشا وإرجاعها إلى الدولة العثمانية...

وفي أثناء هذه المدة عرض الكومـودور نـابير عـلى محمـد عـلي باشـا أن الحكومـة الإنكليزيـة تسعى لدى الباب العالي في إعطاء مصر له ولورثته لو تنازل عن الشام ورد السفن التركية إلى الدولة العلية فامتثل لهذا الأمر وقبل هذه الشروط لحفظ مصر لذريته وتم بينهما الاتفاق في نوفمبر سـنة 1840 . ولم يقبل الباب العالي هذا الاتفاق إلا بعد تردد وإحجام .

مسألة لبنان : و بمجرد إخلاء الجيوش المصرية لبلاد الشام وجبـال لبنـان تحركـت في سـكانها الدوافع الدينية القديمة الكامنة ، وزادت الدسائس الأجنبية لإضرام نار الشقاق وبذر الفتن الداخليـة توصلا لغاياتهم . وكانت فرنسـا مسـاعدة للمارونيـة الكاثوليـك، وإنكلـترا معضـدة للـدروز ضـدهم لتلجئهم لترك المذهب الكـاثوليكي واعتنـاق المـذهب البروتسـتانتي ، فيـدخلوا بـذل تحـت حمايتهـا

الفعلية . ولا يعود لفرنسا حجة حمايتهم لسبب مذهبي . وظن كل فريق من هؤلاء التعساء أن الدولة التي تغرره تود صلاح حاله وترقيه ، ولم ينتبهوا لدخائل هذه السياسة الخبيثة التي لا يتأخر أصحابها عن إهراق دماء الأبرياء توصلا لمآربهم . وبهذه الدسائس ساد الهياج في جميع أنحاء لبنان وظهر ما تكنه صدور سكانه من الأحقاد القومية والدينية ، حتى تعدى الدروز على المارونية في سنة 1841 ، ودخلوا دير القمر وارتكبوا فيه ما تقشعر منه الأبدان من النهب والسلب.. ثم قام الدروز ثانية في سنة 1845، وقتلوا المسيحيين وحرقوا جثثهم ثم أضرموا النار في الدير بعد أن نهبوا كل ما به من المنقولات والأمتعة. بدون أن يحصل أقل أذى **للمبشرين البروتستانت من الأمريكان والإنكليز** !! الأمر الذي يدل دلالة واضحة على أن هذه المذابح لم تخل من تأثيرهم .

وبسبب هذه الإضطرابات المتعاقبة لم ير الباب العالي بدا من التدخل في إدارة الجبل لمنع هذه الفتن . فعزل الأمير بشير الشهابي بعد خروج العساكر المصرية من الشام . وعين مكانه واليا عثمانيا ، وأبطل بذلك جميع امتيازات سكان الجبل الممنوحة لهم قديما . فلم تقبل الدول الأجنبية التي صار تدخلها مألوفا ..وجربت الدولة العثمانية حلولا عدة كانت في كل مرة ترضي هذا فتغضب ذاك ، وزاد تدخل الدول الأزمة تعقيدا .. وحصلت مذبحة سنة 1845 بين الطوائف ، فأرسلت الدولة جيوشها واحتلت البلاد سهلا وجبلا بصفة عسكرية وأجرت فيها الأحكام العرفية ثم دارت المحادثات بين الدول العظمى والباب العالي لتقرير ما يضمن السلام في الحال والاستقبال فاجتمعت آراؤهم أخيرا بعد مداولات طويلة واخذ ورد واتفق على حل وسط . وبذا انتهت مسألة لبنان مؤقتا .وبما أن الدروز لم يقبلوا هذه التسوية إلا مؤملين نوال زيادة عما فيها طبقا لوساوس مندوب إنكلترا لهم بأنها ستمنحهم مع الوقت السيادة على جميع الشعوب الساكنة بلبنان . واستمرت الفتن جارية مجراها حتى حصلت مذبحة سنة 1860 وتدخلت فرنسا عسكريا لحماية المارونية . وانسحبت ثانيا بعد توطيد الأمن وحفظ حقوق الموارنة .

حرب القرم و أسبابها :

كانت المنافسات دائمة بين قساوسة الأرثوذكس والكاثوليك بشأن التملك أو إقامة شعائر دينهم في الكنائس المعتبرة عندهم في مدينة القدس . وكانت فرنسا الحائزة بمقتضى عدة معاهدات قديمة تدعم الكاثوليك . وكانت روسيا تسعى من جهة أخرى لتجريد الكاثوليك من هذا الامتيازات لإعطائها للأرثوذكس لتتمكن بواسطتهم من بث سياستها ونشر نفوذها بين رعايا الدولة العثمانية المتمسكين بهذا المذهب، والبالغ عددهم زيادة عن عشرة ملايين نسمة . ثم لما عين نابليون الثالث رئيسا للجمهورية الفرنسية الثانية باسم البرنس لويس نابليون ، فاتَح الدولة العثمانية في هذه المسألة ، فعين الباب العالي لجنة مشكلة من عدة أعضاء مختلفي المذهب لفصلها بمقتضى

المعاهدات القديمة . فقررت اللجنة بعد عدة اجتماعات متوالية الأولوية للكاثوليك في امتلاك عدة كنائس وأديرة ، فعارضت روسيا في نفاذ هذه الاتفاقية ، وهددت الباب العالي بالحرب لو أمر بنفاذها .

وفي أثناء ذلك عمل القيصر نيقولا على سبر أفكار السير هاملتون سيمور سفير إنكلترا لدى حكومته مظهرا له ضرورة اتحاد دولتي روسيا وإنكلترا معا على إضعاف نفوذ فرنسا في الشرق وأخذ الاحتياطيات ، لتجزئة بلاد الدولة العثمانية حيث صار من المستحيل شفاء هذا (الرجل المريض) كما صارت تدعى الدولة العثمانية في المحافل الدولية آنذاك على حد زعمهم. وعرضت روسيا أن تتساهل مع إنكلترا لو ساعدتها على نفاذ مشروعها في إعطائها القطر المصري وجزيرة كريت . فلم يجبه السفير الإنكليزي جوابا شافيا ، بل أجاب القيصر أن الأولى معالجة هذا المريض وتعهده بالعناية حتى ينقه من مرضه ، لأنه لو مات فستحصل حروب أوربية تهدر فيها الدماء انهارا عند تقسيم تركته . ولم يكن ذلك من الدولة الإنكليزية حبا بتقوية الدولة العثمانية أو شغفا ببقائها ، بل خوفا من امتداد روسيا في الشرق واحتلالها الآستانة فتشارك عندها إنكلترا في ملك البحر الذي انفردت هي به .

. ولما رأى إمبراطور روسيا عدم إصغاء إنكلترا لطلباته فاتح سفير فرنسا في أمر التساهل معها على تقرير الأمور في بلاد فلسطين طبق مرادها ، وعرض عليه أن تتساهل روسيا أيضا مع فرنسا في مقابلة ذلك بل وتساعدها على امتلاك القطر التونسي لتقوية نفوذها في بلاد الغرب ! ومراقبة إجراءات إنكلترا في جزيرة مالطة . لكنه لم يجد من السفير الفرنساوي أيضا أذنا صاغية .

فتحقق للعموم من ذلك أن قصد روسيا الوحيد هو إعلان الحرب على الدولة العثمانية . وتقسيم ممالكها ولذلك أرسلت فرنسا سفنها البحرية إلى مياه اليونان سنة 1853 واستعدادا للحوادث التي لم تكن في الحسبان . أما إنكلترا فأذنت لمراكبها بالتربص في مالطة لحين صدور أوامر جديدة لها . وفي أثناء ذلك كان البرنس منشيكوف يبذل جهده لدى الباب العالي للحصول على تجديد شروط معاهدة (خونكاراسكله سي) القاضية بان يكون لروسيا حماية جميع المسيحيين الموجودين ببلاد الدولة . وكان الباب العالي يماطله في الإجابة . ثم أرسل للباب العالي بلاغا نهائيا و قطع السفير الروسي العلاقات مع الباب العالي وبارح الآستانة على إحدى مراكب روسيا .

ولما أبلغت الدولة صورة هذا البلاغ إلى إنكلترا تحققت من سوء نية روسيا نحو الدولة العثمانية ، فانضمت إلى فرنسا وأرسلت إلى سفنها بمالطة أن تنضم إلى السفن الفرنسية وتتحد معها في كافة أعمالها . ومن ثم ظهر لجميع أوروبا أن فرنسا وإنكلترا متحدتان على حماية الممالك العثمانية ضد أطماع روسيا . ثم أصدرت هاتان الدولتان أوامرها إلى مراكبها سنة 1853بالاقتراب من بوغاز الدردنيل لمد يد المساعدة للدولة العثمانية إذا اقتضى الحال .

واجتازت عساكر روسيا نهر البروث الفاصل بين أملاك الدولتين في يوليو سنة 1853 واحتلت الولايتين فعلا إذ لم يخطر ببال روسيا أن الدول الغربية تتألب مع الدولة العثمانية على محاربتها لحماية الدولة .

واهتم مندوبو بروسيا والنمسا بالاتحاد مع مندوبي فرنسا وإنكلترا في التوفيق بين الخصمين وإصلاح ذات بينهما منعا لسفك الدماء واشتعال نيران الحرب التي ربما عمت أوروبا بأسرها . و انفض المؤتمر بدون جدوى. ثم اجتاز عمر باشا النهر في 3 نوفمبر 1853 . وبعد موقعة عظيمة هائلة انتصرت الجيوش العثمانية على الجيوش الروسية وأخرجتها من معاقلها الكائنة على ضفة النهر اليسرى قهرا . وفاز عمر باشا وجيوشه فوزا مبينا أدهش جميع العالم لعدم توقع انهزام روسيا . وعندما شاهد الإمبراطور نيقولا هذا الحال اجتمع مع فرنسوا جوزيف إمبراطور النمسا وفاوضه في خوفه من نجدة الدول الغربية فرنسا وإنكلترا للدولة العثمانية وسأله المساعدة والتحالف فلم يقبل الإمبراطور ذلك واظهر له شديد أسفه .

وفي هذه الأثناء تقدمت السفن الفرنسية والإنكليزية إلى بوغاز البوسفور برضا الباب العالي لتكون اقرب إلى البحر الأسود وإلى حماية الآستانة لو حاول الروس الهجوم عليها بحرا .

وفي نوفمبر سنة 1853 فاجأت السفن الروسية السفن التركية الموجودة في ميناء سينوب على البحر الأسود ودمرتها عن آخرها تقريبا مع أنها كانت تعهدت لدولتي فرنسا وإنكلترا بعدم إتيان أي أمر عدواني في البحر الأسود. ومن ذلك الحين صارت الحرب بين هذه الدول وروسيا أمرا واقعا لا محالة ، لحماية الدولة العثمانية من عدوان روسيا وأطماعها. لا حبا في الدولة العثمانية ، بل خوفا من امتداد نفوذ روسيا وبسط يدها على الآستانة كما أسلفنا .

وفي مارس سنة 1854 أمضي بين فرنسا وإنكلترا والدولة العلية في مدينة الآستانة اتفاق على محاربة روسيا وحماية الدولة العثمانية . و أرسل نابليون الثالث رسالة إلى مجلس النواب يخبره بإعلان الحرب على روسيا بالاتحاد مع إنكلترا .

وبعد ذلك أخذت الدولتان المتحالفتان في جمع الجيوش وما يلزم لها من المؤن والذخائر والسفن اللازمة لنقلها . وقبل وصول الجيوش البرية كان القتال قد ابتدأ فعلا في البحر الأسود. وفي أثناء ذلك أعلن الإمبراطور نقولا الحرب على الدول المعادية له ثم زحف الحلفاء بجيوشهم . ولما انسحب الجيش الروسي عن ولايتي الأفلاق والبغدان .احتلها الجيش النمساوي !

ولم تعترض روسيا ضد هذا الاحتلال خوفا من إغضاب النمسا ودخولها في التحالف المنعقد ضدها لتفضيلها وجود جيوش النمسا فيهما على وجود الأتراك أو الفرنسيين لعدم ميل النمسا للحرب . ثم أرسلت فرنسا وإنكلترا سفنها إلى بحر البلطيق والبحر الأبيض الشمالي. والمحيط الهادي لضرب الثغور الروسية . وفي أواخر هذه السنة دارت الاتصالات ثانيا في مدينة فيينا للوصول إلى

الصلح وإيقاف أضرار الحرب قبل اشتدادها . وذلك أن فرنسا وإنكلترا عرضتا على النمسا أن تتحد معهما ضد روسيا إن لم تقبل روسيا الصلح قبل ختام السنة وتتعهد للدول الأربع بطلباتها وهي:

أولا : عدم استئثار روسيا بحماية مسيحي الدولة العثمانية وحماية ولايتي الافلاق والبغدان .

ثانيا :حرية الملاحة لجميع الدول في نهر الطونه .

ثالثا : تعديل المعاهدات المختصة بالمرور في ضائق الآستانة وخصوصا معاهدة سنة 1841 .

رابعا : وضع قاعدة جديدة لتوازن القوى في البحر الأسود فتكون هذه المعاهدة الثلاثية الجديدة نافذة المفعول .

ثم في 28 ديسمبر اجتمع سفراء إنكلترا وفرنسا وروسيا والنمسا عند وزير خارجية فيينا وقرروا إعطاءه المهلة المطلوبة وبذلك انتهت هذه السنة والآمال متجهة نحو الوصول إلى صلح . ثم هاجم الروس العثمانيين ومن كان معهم من الجنود المصرية . في مدينة اوباثويا ، فردهم عمر باشا القائد العثماني على أعقابهم و كان النصر بمجرد فضل الجيوش الإسلامية. و في مارس توفي إمبراطور روسيا وخلفه ابنه اسكندر الثاني.

وفي يناير سنة 1855 أمضى فكتور عمانويل ملك البيمونتي بايطاليا معاهدة هجومية ودفاعية ضد روسيا . وأرسل إلى بلاد القرم جيشا مؤلفا من ثمانية عشر ألف مقاتل . وفي 26 أغسطس انتصر المتحدون في واقعة تراكيتو وأخلى الروس مدينة سباستوبول بعد أن احرقوها عن آخرها . واحتلتها الجيوش المتحدة . أو بالأحرى احتلوا أطلالها . وبعد ذلك سارت الجيوش المتحدة نحو مدينة قلبرون فاحتلوها .وفي اليوم التالي هدم الروس قلاع مدينة اوتشاكوف وأخلوها قاصدين داخلية البلاد . ولولا ابتداء فصل الشتاء الذي يأتي مبكرا بتلك البلاد ، لما وجدت روسيا من الجيوش ما يكفي لإيقاف أعدائها عن المدينة كيف المقدسة لديهم . وفي أثناء سنة 1855 أطلقت سفن فرنسا وإنكلترا قنابلها على عدة ثغور في بحر بلطيق وعطلت التجارة الروسية بالمرة . وكذلك حاصرت مدخل البحر الأبيض الشمالي ومنعت المراكب التجارية من الدخول فيه بالكلية. وبعد ذلك لم تحصل وقائع حربية مهمة بل دخلت المسألة في دور سياسي لتحقق اسكندر الثاني عدم الفوز خصوصا وان النمسا قد أظهرت له العداوة جهارا بعد سقوط سباستوبول وانضمت مملكة السويد إلى التحالف الأوروبي ضدها . وانعقد مؤتمر جديد في فيينا في شهر فبراير سنة 1855 . و تظاهرت باقي الدول ضدها خصوصا مملكة السويد التي كانت تستعمل معها روسيا طرق التهديد والوعيد للحصول على بعض امتيازات تختص بالصيد على شواطئ النرويج ، فأبرمت مع فرنسا وإنكلترا معاهدة هجومية ودفاعية ضد روسيا في 20 نوفمبر سنة .1852 وأعلنتها رسميا لجميع الدول . وبذلك تحققت روسيا انه صار من المستحيل عليها الانتصار على جميع هذه القوى المتألبة ضدها ومالت إلى السلم قلبا وقالبا منتظرة اقل مفاتحة من الدول الغربية فتلبيها بالقبول . وفي أواخر

سنة 1855 . عرضت النمسا أن يرسل إلى روسيا بلاغا نهائيا بطلبات الدول الأصلية مع ما سبق عرضه من الاقتراحات أثناء المؤتمر الذي انعقد أخيرا بمدينة فيينا في ابريل سنة 1855. وان لم تجب روسيا جميع هذه الاقتراحات يستأنف القتال في ربيع سنة 1856 بكل شدة وصرامة وتنضم إلى الجيوش المحاربة جيوش النمسا ومملكة السويد والنرويج . فأقرت الدول على ذلك وقبلت روسيا هذه الإقتراحات الأكثر تأثيرا على نفوذها مما رفضته في السابق . وبعد محادثات طويلة تم الاتفاق على أن ينعقد مؤتمر سلام جديد في مدينة باريس لتقرير السلم نهائيا سنة 1856 واختار لرئاسته وزير خارجية فرنسا وفيه أمضيت جميع بنود معاهدة باريس الشهيرة التي أوصلت نابليون الثالث إلى أوج فخاره وأعادت لفرنسا سابق مجدها. إذ أنها لم تشترك في مثل هذه الحرب من عهد نابليون الأول وحفظت للدولة العثمانية أملاكها من غوائل روسيا . وتبين فيما بعد أن الدول الأوروبية دافعت عن الكعكة والغنيمة التي ستتقاسمها فيما بعد !! .

ومما زاد في أحوال الدولة العثمانية ارتباكا ، تدخل الدول في الشؤون الداخلية ومنعها الدولة العثمانية من محاربة الثائرين ، بتهديدها بقطع العلائق السياسية ونزول سفرائهم إلى مراكبهم بل وإرسال بعض السفن الحربية لتقرير مطالب الثائرين . كما أرسلت فرنسا وروسيا مراكبها في سنة 1858 إلى سواحل الجبل الأسود لمنع الجيوش العثمانية من الدخول بهذا القطر ومعاقبة أميره على مساعدة الثائرين في البوسنة والهرسك ... ومن هذا يتضح جليا أن الدولة كانت في أحرج المواقف لعدم وجود مخلص لها أو صديق بين جميع الدول المسيحية المتألبة عليها سياسيا لإضعافها وعرقلة جميع مساعيها الإصلاحية في داخل بلادها . وتدخل تلك الدول في أمورها الداخلية المحضة . حتى خيل للمتأمل أن سفراء الدول بالآستانة صاروا شركاء لوزراء الدولة في جميع الأعمال في تلك الفترة .

وفي أوائل سنة 1858 توفي الصدر الأعظم رشيد باشا . وخلفه في هذا المنصب الخطير خصوصا في هذه الظروف السياسي الشهير عالي باشا وولى فؤاد باشا وزيرا للأشغال الخارجية وكان كل منهما على جانب عظيم من الحذق في الأعمال السياسية و عالما بمقاصد أوروبا السيئة نحو الدولة الإسلامية الوحيدة فعملا على تسوية جميع المسائل الداخلية بحكمة وسداد رأي . حتى لم يدعا لسفراء الدول حقا في التدخل . إذ لم يمض طويل زمن حتى عادت السكينة إلى بلاد البوسنة والهرسك ، لوعد أهاليها بإصلاح أحوالهم . وكذلك انهيا مسألة الجبل الأسود بتحديد الحدود بمعرفة لجنة مشكلة من أربعة أعضاء (فرنسي وروسي وعثماني وجبلي) وقبلا قرار هذه اللجنة مع إجحافه بحقوق السلطنة ، لكن لما كان السكون وانتظام الأحوال .

ثم حصلت الحرب بين الموارنة والدروز 1860 وأدت إلى تدخل الجيش الفرنسي في لبنان ... وبعد خروج الجيوش الفرنسية من بيروت بعشرين يوما توفي السلطان عبد المجيد خان في يونيو سنة 1861 . و كانت مدة حكمه 22 سنة ونصف وفي يوم موته بويع بالخلافة لأخيه .

- **(32) السلطان الغازي عبد العزيز خان (1861- 1886م) :**

وقد جرت في عهده جملة من الإصلاحات الداخلية منها:

** وضع مجلة الأحكام العدلية والقوانين التي أجازت للأجانب امتلاك العقارات وكافة الحقوق العينية والتصرف فيها بجميع الممالك العثمانية بعد أن كانت ممنوعة عنهم كلية وذلك في سنة 1285 الموافقة سنة 1869 .

** ومنها وضع مجلة الأحكام الشرعية ليعمل بها في المحاكم النظامية التي أنشئت وكان جاريا إصلاحها . وكان وضع هذه المجلة بمعرفة لجنة من أشهر متشرعي ذلك العصر من العلماء والقانونيين والإداريين في الدولة العثمانية .

وبعد الحوادث التي مر ذكرها اقتنع السلطان أن تحالف الدول الأوربية مع الدولة في حرب القرم وما بعدها لم تكن نتيجة إلا إضعافها بالتدخل في شؤونها الداخلية ومساعدة الطوائف المسيحية الخاضعة لها على الانشقاق عنها وبث روح الفتن والفساد في ممالكها تحت غطاء الحرية ونشر العلوم . وأن كل ذلك يعود بالنفع على روسيا جارتها القوية و عدوتها القديمة ، لاسيما وقد عدَّل الدول بعد الحرب الفرنسية الألمانية أهم بنود معاهدة باريس التي أبرمت بعد حرب القرم لحفظ التوازن في البحر الأسود وعدم مراعاتها عقب إبرامها في حق ولايتي الأفلاق و البغدان . فلهذه الاسباب اعتقد السلطان أن الأولى و الأنجح لسياسة الدولة هو التباعد عن الدول الغربية والتحالف مع روسيا . وعضده في هذا الفكر الصدر الأعظم محمود نديم باشا . فأكثر السلطان من الاجتماع مع سفير روسيا بالآستانة . والمتواتر وان لم تثبته أوراق رسمية أنهما كانا يسعيان لوضع أساس معاهدة هجومية ودفاعية يكون من أهم بنودها الاختصاص بجميع بلاد الشرق وأن تتبع الولايات الإسلامية التي يغلب فيها العنصر الإسلامي للدولة العلية الإسلامية . وضم جميع الأقاليم المسيحية أو التي يسود فيها هذا العنصر للدولة الروسية ولما شاع هذا المشروع ، لم يرق للدول الأوروبية التي لها مصالح في الشرق ، وخصوصا إنكلترا . فاخذ عمالهم وسفراؤهم الظاهرون و السريون يعملون حتى اقنعوا الوزراء بوجوب عزله وصادفت مساعيهم أذنا صاغية عند بعض العلماء لما خالج صدورهم من عدم الميل للسلطان بسبب فسوقه العلني وزيارته معرض باريس وحضوره المسارح والمراقص ...فقد كان خليفة (عكروتا) كما يدعو أمثاله أهل الشام ..

و أصدر شيخ الإسلام فتوى بوجوب خلعه هذا نصها : (إذا كان زيد الذي هو أمير المؤمنين مختل الشعور وليس له إلمام في الأمور السياسية وما برح ينفق الأموال الميرية في مصارفه النفسانية ، في درجة لا طاقة للملك والملة على تحملها . وقد اخل بالأمور الدينية والدنيوية وشوشها وخرب الملك والملة . وكان بقاؤه مضرا بها فهل يصح خلعه ؟ : الجواب : يصح . كتبه الفقير حسن خير الله عفى عنه) .

وخلع في 31 مايو 1876 م. ثم حصلت المبايعة للسلطان الجديد مراد خان الخامس من جميع الحاضرين على الأسلوب المتبع .

- **(33) - السلطان مراد الخامس (مايو1886- أغسطس 1886 م) :**

هو ابن السلطان عبد المجيد خان ارتقى منصب الخلافة في 31 مايو 1876 وقيل أنه كان متعلما متثقفا بالثقافات الغربية ، مقتنعا بالمساواة بين جميع أصناف رعيته ، ولكنه زُعم أنه ظهرت عليه علامات الاضطراب العصبي عقب توليته بنحو أسبوع ثم ازدادت شيئا فشيئا . وكان الصدر الأعظم يخفي هذا الأمر عن العموم . لكن ذاع خبره لعدم إجراء الاحتفال بتسليمه السيف السلطاني في جامع أبي أيوب الأنصاري ، حسب العادة . ولعدم مقابلته قناصل الدول ليقدموا إليه أوراق تجديد تعيينهم لدى حكومته . وأخيرا لما اشتد عليه الحال استدعى الوزراء الطبيب ليدز ورف النمساوي الشهير بمداواة الأمراض العقلية . فحضر وبعد أن فحصه ولازمه عدة أيام متفرسا كل ما يبدو منه من الأقوال والإشارات ، واستعلم عن عاداته وكيفية معيشته قال بتعسر برئه من هذا المرض . فتشاور الوزراء في الأمر ثم عرضوا على أخيه عبد الحميد أفندي أن تسلم إليه مقاليد الأحكام حيث حكم الأطباء بعدم لياقة أخيه السلطان مراد لإدارة مهامها. واجتمعوا في يوم الأربعاء 10 شعبان سنة 1293 31 أغسطس سنة 1876 وقرروا بوجوب المبايعة لمولانا السلطان عبد الحميد خان الثاني . واستفتوا مولانا شيخ الإسلام في الأمر فأفتى بوجوب عزله وهذه نص الفتوى : (إذا جنَّ إمام المسلمين جنونا مطبقا ففات المقصود من الإمامة ، فهل يصح حل الإمامة من عهدته ؟ الجواب : يصح والله اعلم . كتبه الفقير حسن خير الله عفى عنه) .

أقول : ويجب النظر بعين الشك إلى ما يرويه المؤرخون عن تلك المرحلة التي سيطر فيها الماسون على أمور الدولة العثمانية الداخلية والخارجية ،بدءا من مرحلة ما بعد السلطان عبد المجيد والله أعلم بتفاصيل هذه الواقعة ، وشهودها من الطبيب النمساوي ، إلى آخر من تولاها .

- **(34) - السلطان الغازي عبد الحميد خان الثاني (1886- 1909 م) :**

تزايدت ضغوط المفسدين على السلطان من أجل إلزامه بالدستور الذي كان أهم أهدافه مساواة المسلمين بالرعايا من اليهود والنصارى ، وتمكن الفساد باستلام مدحت باشا الصدارة سنة 1876وكان من أشد المنادين بهذه الإصلاحات .

والحقيقة – كما أشرت آنفا - فإنه يجب النظر بعين الريبة والتدقيق لمعظم ما كتب عن تاريخ الدولة العثمانية خلال القرن الأخير من حياتها . لأن الماسون واليهود كانوا قد تغلغلوا في الجيش وعموم دوائر الدولة ، ولم يتيسر لي الإطلاع على مصادر تفصيلية عن تاريخ تلك المرحلة ، و يُستنتج

مما بلغنا عن مؤامراتهم على السلطان عبد الحميد الذي انقلبوا عليه ، أن تلك الدسائس كانت قد بدأت قبل عهده بعدة عقود ، منذ زاد نفوذ القناصل الأوربيين ، وازداد تعلق الطبقة الجديدة من السياسيين والضباط ، وحتى بعض السلاطين بالنموذج الأوربي للحضارة والسياسة ، ونهش الماسون واليهود في بنية الدولة ، إلى أن آلت لإسقاطها على يد ربيب يهود الدونمة المدعو (أتاتورك) !

- **ولنتأمل فيما كتب فريد بك المحامي (صاحب مصدرنا الأساسي (كتاب تاريخ الدولة العثمانية) ، ويبدو أنه مصري من أصل تركي ، وقد نشر كتابه سنة 1909 فيما يبدو والله اعلم . وكتابه يؤيد(جمعية الإتحاد والترقي) الماسونية ، التي أشرفت على خلع السلطان عبد الحميد . فقد كتب يقول**

الدستور العثماني و النهضة الوطنية والإصلاحات في الدولة العثمانية :

(توفي السلطان سليمان القانوني سنة 1566 م والدولة العلية في إبان مجدها وأوج عظمتها وكانت ممالكها تحد شرقا بالحدود الهندية وغربا بالمحيط الأطلنطي وكانت أوروبا ترهب سطوته وتخشى قوته . فخلفه من بعده ملوك لم يتعقبوا خطواته ولم ينهجوا منهجه لاسيما وقد تألبت عليها الدول الأوروبية واختلفت عليها الفتن الداخلية . فبدأت في الانحطاط وانسلخت منها أجزاء كثيرة . وكانت أحيانا تنحط إلى أن تولى الخلافة السلطان سليم الثالث سنة 1789، والبلاد في اختلال والأحكام في ضعف و الإنكشارية قابضون على زمام الأمور يولون من شاؤوا من السلاطين ، ويخلعون من شاؤوا ويقتلون من لم يسر وفق أهوائهم وأغراضهم ، والبلاد في فوضى كادت تمزق شملها . فهاجه حب الإصلاح وصرح بميله إلى تنظيم الجند على النمط الحديث وتسليحهم بالأسلحة الحديثة الاختراع فلم يوافق ذلك الإنكشارية فبطشوا به فمات والإصلاح في مهده .{ وانتبه لمديح الكاتب فإن السلطان سليم هو أول من جاهر بالفسوق و بعملية التغريب وخلع بفتوى من المفتي . }

على أن الفكرة رسخت في أذهان العثمانيين فتلقاها السلطان محمود وعمد إلى الإصلاح من الوجهة الإدارية والعسكرية فبدد جند الإنكشارية واحل محلهم جيشا منظما واخذ يبعث بمنشورات الإصلاح إلى الولاة والحكام ولكنه توفي ولم يتمم من فروع الإصلاح إلا تنظيم الجند تنظيما غير تام . وكانت فكرة الإصلاح قد سرت بين فئة من رجال الدولة فقاموا يبثونها على عهد السلطان عبد المجيد والسلطان عبد العزيز وأعظمهم شأنا وأعلاهم يدا مصطفى رشيد باشا وعالي باشا وفؤاد باشا ، فلما توفي السلطان محمود وخلفه السلطان عبد المجيد . نشر خط الكلخانة المشهور سنة 1839 م أي في 26 شعبان سنة 1255 هجرية . فكانت له ضجة اهتزت لها أوروبا واخذ رجال الدولة منذ إصدار ذلك الخط الهمايوني ينظمون القوانين الخاصة لكل فرع من فروع القضاء . ثم تألفت لجنة جمعت أعاظم الأساتذة العثمانيين فألفوا المجلة الشرعية التي صدرت الإرادة الشاهانية من

السلطان عبد العزيز عام 1289 هجرية بالسير حسب نصوصها وسن قانون الأراضي سنة 1274 هجرية وقانون الطابُو سنة 1275 هجرية وقانون الجزاء سنة 1274 هـ **وكل هذه القوانين مقتبسة من القوانين الفرنسية مع مراعاة نصوص الشريعة الإسلامية (!!)** ثم وضع قانون التابعية (الجنسية) العثمانية وتنظيم المحاكم الشرعية !والمحاكم النظامية والمحاكم التجارية{ وهي قوانين وضعية } ونظامات الإدارة الملكية ، ونظام إدارة الولايات ، ونظام شورى الدولة . ووضعوا نظاما للمعارف ، ونظاما للمطبوعات ، ونظامات أخرى للمطابع والطبع وحقوق التأليف والترجمة . ونظامات للرسومات وآخر للمعادن وغيره للطرق والمعابر وغير ذلك مما يقتضيه سير الحضارة ويلائم حالة الأمة . وبالجملة فإنهم لم يتركوا شيئا من لوازم إدارة الدولة حتى دونوا له قانونا . فمجموع هذه القوانين و النظامات كان معروفا في بلاد الدولة العلية **بالدستور** .

{وبالطبع فقد كانت مبارزة الله تعالى بالحرب بالتشريع من دونه أول بوادر البوار والخسران وتألب الأعداء ، فإنه :

(مَنْ عَمِلَ صَالِحاً فَلِنَفْسِهِ وَمَنْ أَسَاءَ فَعَلَيْهَا وَمَا رَبُّكَ بِظَلَّامٍ لِلْعَبِيدِ) (فصلت:46) }

ومع ذلك فكان الحكم مطلقا وإرادة السلطان فوق كل قانون . وفي المدة الوجيزة التي جلس فيها السلطان مراد على سرير الملك كان مدحت باشا وحزبه الحر قد انتهى من إعداد القانون الأساسي وترتيب نظام مجلس المبعوثين .{ومدحت باشا هذا هو رأس الأفعى الماسونية كما سيأتي تعريفه وبيانه }

القانون الأساسي والسلطان عبد الحميد :

خلع السلطان مراد سنة 1293 هجرية الموافق 1876 م وجلس السلطان عبد الحميد على عرش الخلافة وكان قد وعد رئيس الأحرار مدحت باشا قبل جلوسه على العرش بمنح القانون الأساسي وإمتاع الأمة العثمانية بالحرية. إلا أن عبد الحميد اظهر حين جلوسه علامات دلت على إخلافه وعده . فمن ذلك انه جمع أعداء الأحرار وأضداد القانون الأساسي وعينهم في السراي لتقوية مركزه . مع انه وعد مدحت باشا بتعيين الشاعر العثماني الكبير نامق كمال بك زعيم الانقلاب . وضياء باشا الأديب السياسي الشهير، مشيرا فاخلف وعده . كما انه كان يسعى جهده لاستمالة الرأي العام إليه فكان يخدع الأهالي . إلا أن الأحرار لم ينخدعوا واستعدوا للمناضلة في سبيل القانون الأساسي . وكانت الدولة في ذلك الوقت تحارب الصرب فهزمتها واستولى العثمانيون على قلعة اكسناج ووضعت شروطا قاسية عليهم . ولكن هذه الدول رفضت هذه الشروط وطلبت من الباب العالي إبقاء الصرب على ما كانت عليه قبل الحرب ومنح البوسنة والهرسك التي كانت ثائرة أيضا

إدارة مستقلة مع منح البلغار مثلها . فكان ذلك سببا لطمع الصربيين فقرروا محاربة الدولة ونظم جيوشهم المهندسون الروس .

ولكن كان الانهزام نصيبهم فاستولى العثمانيون على الكسناج وبلغراد وساروا نحو العاصمة بلغراد فاستنجد أمير الصرب بروسيا فأمر قيصرها سفيره في الآستانة بتقديم بلاغ شديد اللهجة إلى الباب العالي . وقرر بعد ذلك عقد مؤتمر في الآستانة للنظر في أمر البلقان . وبالجملة فقد كان مركز الدولة العلية حرجا للغالية لأن أوروبا كلها تألبت عليها وكان يشتم من بلاغ سفير روسيا رائحة الحرب . فقرر الوكلاء إذ ذاك منح القانون الأساسي للتخلص من هذه الغوائل . واقتنع السلطان عبد الحميد بوجوب تنفيذه لأنه كان من المستحيل قبول طلبات أوروبا . ولاتقاء الأخطار التي تنجم من رفض تلك الطلبات كان الواجب إجراء بعض الإصلاح الذي لا تتمكن أوروبا من انتقاده هو تنفيذ القانون الأساسي ..

{ وانتبه لضغوط أوربا لفرض الماسون ، والدستور الوضعي على الدولة العثمانية ، إذ يتابع فريد المحامي فيقول :}

وفي ذلك الوقت تعين مدحت باشا صدرا أعظما ، وذلك لان الدول الأوروبية كلها تثق به، لعلمها انه رئيس الأحرار وواضع القانون الأساسي ، وقرر السلطان عبد الحميد تعيين مدحت باشا كي ينظر في مسألة (المؤتمر الأوروبي) الذي قررت الدول عقده في الآستانة. فكان أول ما قام به مدحت باشا هو إنهاء المنازعات بين الدولة وبين الصرب والجبل الأسود وبلغاريا . وفي 24 ديسمبر 1877 اجتمع الوكلاء والعلماء والأمراء وغيرهم في الباب العالي ثم اقبل مدحت باشا وقرأ الإرادة الشاهانية التي منحت الأمة العثمانية الدستور والحرية . .

على انه لم يكد ينتظم مجلس المبعوثين وينظر في شؤون الدولة حتى صدرت الإرادة الشاهانية بفضه فتقوضت كل أركان ذلك البناء وابتليت الأمة بطور استبداد جديد لم تعهد نظيره حتى في عصور الظلمات . هدم السلطان عبد الحميد ما بناه الأحرار ولكن رغما من ذلك لم تمت الفكرة في رؤوس العثمانيين فان هذا الجسم على قوته الكامنة بل على ضعفه الظاهر لم يقو على تحمل أذى الحكومة الحميدية بما انتابته من ضروب الظلم لاسيما وألوية الحكومات الدستورية قد انتشرت من أقصى المغرب إلى أقصى المشرق وكواكب الحرية قد سطعت في كل مكان .

فبدأ الأحرار يعملون ليل نهار حتى انتصروا ذلك الانتصار الباهر عام 1908 فنالت الأمة العثمانية الدستور بجهاد جيشها الباسل و انتشرت الفكرة الوطنية من عهد **مدحت باشا** وساعد على انتشارها قصائد الشاعر العظيم **نامق كمال بك** الذي أدركه الموت في سجن ماغوسه . وألف **نيازي بك** أول عصابة في رسنة ، وسار على إثره **أنور بك** و**رائف بك** ، و**حسن بك**، و**صلاح الدين بك** .

أما **إدارة الحركة فكانت في سلانيك** و**الجمعية العمومية للاتحاد والترقي** في باريس وكان الجميع يجتهدون لنشر الأفكار الحرة والمبادئ الدستورية . ومما ساعدهم على نشر أفكارهم انه لم يكن بينهم خائن فقويت حركتهم واتسعت حتى أصبح لا يمكن بقاؤها تحت طي الخفاء . وكانت لجنة الاتحاد والترقي وقفت مقدما على القوى التي يمكنها أن ترتكن عليها فوجدتها كافية وهذه القوى مؤلفة من الفيلقين الثاني والثالث المعسكرين في مناستر واسكوب وأدرنه وأزمير. ومن الفيلق الرابع المعسكر في أرض روم . فكان من المستحيل على الحكومة الحميدية إرسال الفيلق الأول المعسكر في الآستانة لمحاربة الدستوريين لأنه لا يمكن تجريد العاصمة من الجند . ومع ذلك فكان أغلب الضباط منضمين إلى الدستوريين . وكان جنود الفيلق الثاني والثالث أكثر من غيرهما فبدأ الدستوريون يؤلفون عصابات وطنية لمقاومة الحكومة إذا حاولت عرقلة مساعيهم فقامت عصابة نيازي بك ثم ظهرت عصابة أنور بك ورائف بك وحسن بك وغيرهم .

وانتهى الدستوريون من وضع الخطة في أواخر شهر يونيو سنة 1908 فأرسلت الحكومة الحميدية شمسي باشا لاقتفاء أثر عصابة نيازي بك ، ولكنه قتل قبل أن يبدأ في مهمته ، وأرسلت أيضا من أزمير ثلاثين فرقة من فرق الرديف فانضمت إلى الدستوريين وقوت صفوفهم وفي يوم 21 و 22 و 23 يوليو أرسل الدستوريون التلغرافات إلى الصدر الأعظم من سالونيك ومناستر واسكوب وسيريس ، هددوا فيها الآستانة بالزحف عليها إذا لم يعلن الدستور ، فلما وصلت هذه التلغرافات إلى السلطان عبد الحميد أصدر الإرادة الشاهانية بمنح الدستور والقانون الأساسي .

الحادثة الإرتجاعية وخلع عبد الحميد :

تفرق شمل المستبدين منذ إعلان الدستور وازداد النفور بينهم وبين لجنة الاتحاد والترقي فأخذوا يفكرون في اجتثاث أصول الفساد .

فشجعوا أولا الجرائد على الكتابة ضد الجمعية ثم قامت حامية الآستانة بإيعاز من أركان السراي ولخصوا مطالبهم في شكل ديني كي ينضم إليهم أهالي الآستانة وها هي مطالبهم :

-1 - إحياء الشريعة.

-2- عزل الصدر الأعظم وناظري الحربية والبحرية .

- 3 - طرد احمد رضا بك وحسين جاهد بك وجاويد بك ورحمي بك وطلعت وإسماعيل حقي بك ...الخ من المجلس.

-4- عزل محمود مختار باشا لأنه لم يشترك معهم .

-5- العفو عنهم .

فعقد مجلس المبعوثين اجتماعا فوق العادة ومع أن عدد الأعضاء لم يتجاوز الخمسين فإنهم قرروا إجابة مطالب الثوار وانتخبوا وفدا منهم ليبلغ السلطان قرارهم فتعين إذ ذاك توفيق باشا صدرا أعظم وادهم باشا ناظرا للحربية وقرر العفو عن الجنود فبدأ أولئك يطلقون البنادق احتفالا وكان يبلغ عدد أولئك ثلاثين ألفا واجتمع المجلس مرة أخرى بعدها فقرر قبول استقالة الرئيس احمد رضا بك وانقلبت لهجة الجرائد انقلابا إجباريا فباتت تتكلم عن السلطان عبد الحميد كما كانت تتكلم عنه أيام الاستبداد وكانت الحالة كذلك في الآستانة . فوردت الأنباء بمجيء الجنود من (الروم ايلي) لحماية الدستور ومجلس المبعوثين . ثم حاصر جيش الحرية الآستانة فأوفد المبعوثون وفدا لمقابلته . ودخل الجيش تحت قيادة محمود شوكت باشا الآستانة وحاصر يلديز وحدثت هناك موقعة كبيرة انتهت بتسليم حامية يلديز ولكن السلطان عبد الحميد استمر على المقاومة فقرر جيش الحرية أن يحمل الحملة الأخيرة فأطلقت القنابل على حامية الباب العالي والنادي العسكري واستولت عليهما ثم قبضت على الكثيرين من أنصار الحكم القديم الذين أثاروا الفتن ومن بينهم مراد بك الداغستاني . واعدم الجواسيس رميا بالرصاص . ويقدر عدد القتلى 1200 قتيل وحاصرت الجنود الدستورية بعدها قشلاقات(معسكرات) اسكودار فاستولت عليها ولم يبق إذ ذاك أي خطر على القانون الأساسي فعاد أعضاء البرلمان إلى الآستانة واجتمعت الجمعية العمومية لتتداول في أمر السلطان عبد الحميد . وكانت النتيجة عزل السلطان عبد الحميد وتولية السلطان رشاد مكانه.

وتم يوم 27 ابريل سنة 1909 تتويج السلطان رشاد باسم السلطان محمد الخامس وبالجملة فان أنصار الاستبداد أثاروا فتنتهم الأخيرة فوقع الدستور في أزمة شديدة وتشتت شمل عشاقه وحماته . وترقب الملأ أن يعيد السلطان عبد الحميد ما فعله مع الدستور الأول . ولكن كانت الروح الدستورية قد قويت في قلوب العثمانيين وارتكزت على قوة الجند فاحتمل أنصار الدستور تلك الضربة بالصبر والثبات وتجدد النزاع الطبيعي بين الاستبداد والحرية وانتهى بخلع السلطان عبد الحميد .

(...)إلا أن عبد الحميد الذي طبع على الاستبداد لم يرقه أن يرى أمته متمتعة بالحرية راقية أوج الكمالات منظمة أمورها بنفسها مقيمة العدل فسولت له نفسه إحداث تلك الفتنة الارتجاعية لتقويض صروح الإدارة الدستورية ولولا أن أدرك الآستانة في ذلك الوقت بطل الحرية وقائد جيش الفدائيين محمود شوكت باشا . وبطلا الحرية نيازي بك وأنور بك لتم له ما أراده و لذهبت أتعاب حزب الاتحاد والترقي الذي جاهد في سبيل الحرية ثلاثين عاما أدراج الرياح .

واجتمع المجلس العمومي اجتماعا سريا وخلع عبد الحميد بموجب فتوى من شيخ الإسلام هذا نصها : (إذا اعتاد زيد الذي هو إمام المسلمين أن يرفع من الكتب الشرعية بعض المسائل

المهمة الشرعية وان يمنع بعض هذه الكتب ويمزق بعضها ويحرق بعضها وان يبذر ويسرف في بيت المال ويتصرف فيه بغير مسوغ شرعي وان يقتل الرعية ويحبسهم وينفيهم و يغربهم بغير سبب شرعي . وسائر أنواع المظالم ثم ادعى انه تاب وعاهد الله وحلف انه يصلح حاله ثم حنث وأحدث فتنة عظيمة جعلت أمور المسلمين كلها مختلة . وأصر على المقاتلة وتمكن منعة المسلمين من إزالة تغلب زيد المذكور ووردت أخبار متوالية من جوانب بلاد المسلمين أنهم يعتبرونه مخلوعا وأصبح بقاؤه محقق الضرر وزواله محتمل الصلاح فهل يجب احد الأمرين خلعه أو تكليفه بالتنازل عن الإمامة والسلطنة على حسب ما يختاره أهل الحل والعقد وأولي الأمر من هذين الوجهين . الجواب : يجب . كتبه الفقير السيد محمد ضياء الدين عفي عنه) .

فلما قرئت هذه الفتوى الجليلة على الأعيان والمبعوثين سألهم سعيد باشا رئيس الأعيان الذي كان يرأس الجلسة أتختارون خلعه أم تكليفه بالتنازل .فأجابوا بصوت واحد الخلع ..الخلع .

وهذه ترجمة قرار هذا المجلس العمومي المؤلف من الأعيان والمبعوثين : يوم الثلاثاء سابع ربيع الآخر سنة 1327 و 14 نيسان سنة 1325 / 27 ابريل 1909 م. (قرئت الفتوى الشرعية الموقع عليها بتوقيع شيخ الإسلام محمد ضياء الدين أفندي في المجلس العمومي المؤلف من المبعوثين والأعيان . ورجح بالاتفاق وجه الخلع الذي هو أحد الوجهين المخير بينهما . فاسقط السلطان عبد الحميد خان من الخلافة الإسلامية والسلطنة العثمانية . واصعد ولي العهد محمد رشاد أفندي باسم السلطان محمد خان الخامس إلى مقام الخلافة والسلطنة .

[**انتهى كلام فريد بك . وينتهي هنا التلخيص من كتابه بتصرف كبير** .]

ولكن الحقيقة كانت غير ذلك الذي زعمه محامي الإتحاد والترقي هذا ، فقد كانت باختصار .. أن :

اليهود ومسألة فلسطين وتناهب الدول الاستعمارية للعالم الإسلامي كانت السبب الأساسي وراء خلع السلطان عبد الحميد :

فقد كتب الشيخ عبد الله عزام يقول في كتابه الهام جدا : (**خط التحول التاريخي**) :

إن معظم الأحداث الكبرى التي جرت في المنطقة الإسلامية – العربية خاصة – كانت ترمي إلى الهدف الكبير الذي وضعه هرتزل ومن ورائه اليهود نصب أعينهم وهو الوصول إلى أرض الميعاد كان أمام اليهود عقبة كأداء لا يمكن تجاوزها وهي الدولة العثمانية وعلى رأسها السلطان عبد الحميد الثاني الذي حكم بين (1876-1909)

حاول اليهود أولا إغراء السلطان الصالح عبد الحميد ، فالسلطان عبد الحميد وصل إلى الخلافة في وقت كادت الماسونية تأخذ بخناق الدولة حيث تمكن مدحت باشا – أبو الأحرار كما يسمونه – وبعبارة أدق في نظرنا " أبو الماسونية آنذاك " أقول تمكن أن يخلع خليفتين ويقتل السلطان عبد العزيز عم السلطان عبد الحميد، واشترط على السلطان عبد الحميد قبل أن يأتي إلى الحكم أن يعلن الدستور "أي الدستور العلماني الغربي الذي يتساوى فيه اليهود والنصارى مع المسلمين – وكان السلطان عبد الحميد شخصية داهية ذكية معتزة بربها فقبل . وبعد أن وصل إلى الحكم ألقى القبض على مدحت باشا وأودعه السجن في الطائف وأخيرا قتل مدحت في السجن بطريقة ذكية مما أثار سخط العالم الذي تحركه الماسونية على السلطان عبد الحميد ، إلا أن تلاميذ مدحت واصلوا التخطيط للانتقام من السلطان عبد الحميد.

ولنرجع إلى هرتزل الذي توجه إثر انتهاء مؤتمر بال سنة (1897) لمقابلة السلطان عبد الحميد وأخذ معه حاخام القسطنطينية (موسى ليفي) وعرضوا على السلطان عروضا منها:

1- إنشاء أسطول عثماني.
2- دعم سياسة العثمانيين في العالم الخارجي.
3- مساعدة اليهود للسلطان في تحسين أوضاعه المالية.
4- إنشاء جامعة عثمانية في القدس.

قال هرتزل " مثلا لو رضي مولانا وباع لنا الأراضي التي ليس لها مالكون في فلسطين بالثمن الذي يقدره" فغضب السلطان وقال: (إن أراضي الوطن لا تباع ، إن البلاد التي امتلكت بالدماء لا تباع إلا بالثمن نفسه)

ولم ييأس هرتزل وقابل السلطان مرة ثانية (1901) وفي هذه المرة عرضوا على السلطان نفسه (150) مائة وخمسين مليونا من الجنيهات الذهبية الإنجليزية فقال (إنكم لو دفعتم ملء الأرض ذهبا – فلن أقبل بتكليفكم هذا بوجه قطعي ، لقد خدمت الملة الإسلامية والأمة المحمدية ما يزيد على ثلاثين سنة ، فلن أسود صحائف المسلمين آبائي وأجدادي من السلاطين والخلفاء العثمانيين).

ولقد كانت المقابلة هذه المرة مع (قرة صو) المحامي اليهودي الماسوني الذي أشرف على محفل سالونيك.

ولقد نقلت بعض المصادر أن السلطان صاح في وجه هرتزل (أخرج من وجهي يا سافل) وصاح بالحاجب الذي أدخله قائلا (أما كنت تعلم ما يريده هذا الخنزير مني)

فطار هرتزل مع قرة صو إلى إيطاليا وأرسل (قرة صو) برقية إلى السلطان.

(ستدفع الثمن هذه المقابلة من نفسك وعرشك).

يقول هرتزل في مذكراته : (ونصحني السلطان عبد الحميد بأن لا أتخذ أية خطوة أخرى في هذا السبيل لأنه لا يستطيع أن يتخلى عن أي شبر واحد من أرض فلسطين إذ هي ليست ملكا له ، بل هي لأمته الإسلامية التي قاتلت من أجلها وروت التربة بدماء أبنائها .... وقال عبد الحميد: إن عمل المبضع في بدني لا أهون علي من أن أرى فلسطين تقتطع من أمبرطوريتي. ثم قال: وفر نقودك يا هرتزل فعندما يذهب عبد الحميد ستأخذون فلسطين مجانا).

وبعد هذا صمم اليهود على الإطاحة بعبد الحميد : وفي سنة (1904) فجروا عربة أمام المسجد الذي يصلي فيه السلطان صلاة الجمعة ونجاه الله من الموت وقتل كثير من الناس .

وتكالب الماسون على إقصائه ، ودفعت الماسونية بعملائها إلى أن تصدروا المناصب العليا في الدولة أمثال طلعت باشا ، أنور باشا – وزير الحربية – أرستيدي باشا – رومي أصبح وزيرا للنافعة ، جمال باشا – حاكم الشام – مصطفى كما باشا قائد جبهة الشرق العربي في الحرب العالمية الأولى جاويد باشا (دافيد باشا) – وزير المالية.

حسين جاهد يالشين أحد أعضاء لجنة التوفيق الثلاثة (أمريكي وفرنسي- وتركي) بين العرب واليهود وأصبح السلطان يجد نفسه يوما بعد يوم محاطا برجال اشترتهم الماسونية من خلال جمعية (الإتحاد والترقي) وأصبحت قبضته تخف تدريجيا حتى استطاعوا أن يجبروه على إعلان الدستور . فأنشأ مجلس المبعوثان (مجلس النواب) الذي دخله اليهودي والنصراني والمسلم وجاء (قرة صو) إلى مجلس المبعوثان.

وكان إعلان الدستور نصرا للنصارى واليهود في كل الأرض حتى أهدى جو رجي زيدان النصراني – دار الهلال – كتابه الإنقلاب العثماني إلى الأبطال !!؟ الذين أعلنوا الدستور سنة (1908) . ثم استطاع الماسون أن يحركوا الجيش بقيادة محمود شوكت – العربي – وللأسف - واجتمع مجلس النواب لينتزعوا قرارا بالإطاحة بالسلطان . ولقد كانت أصابع ناحوم حاييم (حاخام القسطنطينية) بارزة في الأمر ، وقدم كتاب الخلع إلى السلطان عبد الحميد ثلاثة.

1- قره صو . 2-أستيدي باشا. 3- عارف حكمت الذي كانت أمه خادمة في قصر السلطان فأخذ السلطان ابنها هذا – عارف – وأدخله في البحرية حتى أصبح ياورا في البحرية .

كان إقصاء السلطان عبد الحميد عن الخلافة في نيسان سنة (1909) وكانت هذه أكبر طعنة وجهت للإسلام ، وفي تلك الليلة التي نزل فيها السلطان عبد الحميد عن سدة الحكم نستطيع القول بأن: لإسلام الفعلي أزيل من الوجود والشهود وسقطت فلسطين – حقيقية – في يد اليهود.

يقول أنور باشا – أحد أقطاب الماسونية و الإنقلاب على السلطان عبد الحميد مخاطبا جمال باشا أتعرف يا جمال ما هو ذنبنا؟

نحن لم نعرف السلطان عبد الحميد فأصبحنا آله في يد الصهيونية واشترتنا الماسونية العالميـة ، نحن بذلنا جهودنا للصهيونية فهذا ذنبنا الحقيقي.

ويقول برنارد لويس: (لقد تعاون الإخوة الماسون واليهود سرا على إزالة السلطان عبد الحميـد لأنه كان معارضا قويا لليهود. إذا رفض بشدة إعطاء أي شبر أرض لليهود في فلسطين.

(الذخائر العظام / ص : 921)

تركيا بعد السلطان عبد الحميد:

سقط السلطان المظلوم عبد الحميد بفعل الماسونية اليهودية ، وأصبحت تركيا تسير مـن قبـل (جمعية تركيا الفتاة ، وجمعية الاتحاد والترقـي) التـي أضـحت لعبـة بيـد الماسـونية ، فقـد كانـت القومية التركية التي يدعو إليها حزب الإتحاد والترقي بيد اليهود

وهكذا توالت النكبات على تركيا ، الخلافة ضعيفة تلعب بها جمعية الاتحاد والترقي – الدعاة القوميـون – وهـم علمانيـون لا متـدينون ، و المحافـل الماسـونية تنتشرـ انتشـار النـار في الهشـيم ، والديون تتراكم ، ومن وراء ذلك كله الأصابع اليهودية التي صممت الإطاحـة بتركيـا لتصـل إلى أرض الميعاد .

- **<u>(35) - السلطان محمد رشاد خان الخامس (1909- 1924م) :</u>**

تمت تولية السلطان رشاد وتم يوم 27 ابريل سنة 1909 و توج السلطان رشاد باسم السلطان محمد الخامس .

وكان قد قضى اغلب عمره في قصر زنجيرلي كوي . إلى حين حدوث الانقلاب العثماني على السلطان عبد الحميد .

وقد بقي السلطان رشاد حبيسا في قصره فيما كان العسكريون والسياسيون من جمعية الإتحاد والترقي يلعبون بمصير الخلافة .

وقد ورط هؤلاء المجرمون الخلافة العثمانية في عهده بدخول الحرب العالمية الأولى إلى جانب ألمانيا ضد الحلفاء . وكان ولي عهده الأمير وحيد الدين . وقد توفي السلطان محمد الخامس قبل نهاية الحرب سنة 1918.



- **<u>(36) – السلطان محمد السادس (وحيد الدين) (1918-1924) :</u>**

وقد خلف السلطان محمد الخامس ، وبقي كذلك حبيس قصره ، فيما كان الحلفاء يسيطرون على مقدرات الخلافة ويقطعون أوصالها إربا بإشراف الإنكليز ، ومؤامرات اليهود ، وتنفيذ الماسون . حيث أبرزت المؤامرات كما سنرى ، **<u>مصطفى كمال أتاتورك</u>** . وخرجت تركيا محطمة من

الحرب العالمية الأولى و تقاسمت الدول الكبرى ورثة الرجل المريض! كما كانوا يطلقون على تركيا ، واستراحت أوروبا من هذا الغول الرهيب الذي كان يقض مضاجعها لقرون طويلة.

وجاء مصطفى كمال بعد هزيمته في جبهته في الشرق العربي وبرزت شخصيته كقائد عسكري من خلال بعض الإشتباكات العسكرية المسرحية مع اليونان . وانطلقت الأقلام لتبرزه.

وفعلا رتبت لدول الكبرى (ولاسيما بريطانيا) مع مصطفى كمال واشترطت عليه شروطا في معاهدة لوان (1922) حيث كان يمثله فيها عصمت إينونو. فاشترط عليه كرز ون – وزير الخارجية بريطانيا – آنذاك – شروطا أربعة وهي:

إسقاط الخلافة في تركيا.

سحق أية محاولة لإعادة الخلافة .

محاربة الشعائر الإسلامية.

اتخاذ قانون غربي للحياة في تركيا بدل الشريعة الإسلامية . وقبل مصطفى كما بهذه الشروط وانسحبت دول الحلفاء من تركيا وعندما وقف مجلس العموم البريطاني في وجه كرزون الذي وافق على سحب جيوش الحلفاء من تركيا ، قائلين ستعود تركيا مرة أخرى لاحتلال أوروبا فقال: اطمئنوا.

(لن تقوم لتركيا قائمة بعد أن جردناها من الإسلام والخلافة).

وتمسح مصطفى كمال أولا بمسوح الرهبان، وتظهر صورة مصطفى كمال وهو يلبس ثياب العلماء في عيد الأضحى ويحمل السبحة الطويلة ويحث الناس على الشعائر الإسلام ومرت الأيام وجمع مصطفى كمال العلماء واستشارهم بفصل الدين عن الدولة (كالكنيسة) واستنكر العلماء هذه الخطة فطبق مسحا بالنواصي والأعناق وقتل من العلماء مقتلة كبيرة. وأعلن إسقاط الخلافة سنة (1924) وناح الناس عليها، وتداعى الناس لينصبوا لهم خليفة ولو كان الخليفة هو ملك مصر – ومع هذا رفضت بريطانيا – أن يعود هذا الإسم المجرد صورة نظرية مصطنعة. وبذلك كان السلطان (محمد السادس) آخر الخلفاء العثمانيين وآخر من سمي خليفة في تاريخ الإسلام والمسلمين حتى الآن . . حيث لم تقم وإلى يومنا هذا خلافة إسلامية . وهكذا وصلت جمعية الإتحاد والترقي إلى الحكم واستراحت من الغول الرهيب الذي طالما أقض مضجعها وأرق أجفانها (عبد الحميد) وأصبحت تركيا الإسلامية دمية في يد اليهودية تحركها كيف شاءت وأنى أرادت. وأصبحت مقاطعاتها حمى مستباحا للذئاب الغربية من أعداء الإسلام ، وأصبح هذه المارد الجبار (الدولة العثمانية) يؤكل شلوا شلوا .

فابتلع الغرب أولا دول البلقان النمسا والمجر والبوسنة والهرسك في تشرين الأول سنة (1908) (أي بعد تسلم الإتحاد والترقي زمام الأمور) . وبعد إعلان الدستور بشهرين فقط . وانفصلت بلغاريا ، واعتدت إيطاليا على ليبيا في خريف سنة (1911) ثم نشبت الحرب البلقانية سنة (1912) . وفي

هذه السنوات القليلة فقدت الدولة العثمانية جميع ولاياتها في أوربا (ماعدا تراقيا الشرقية) . وفقدت ذلك الجزء من ليبيا الذي يتألف من ولايتي طرابلس الغرب وبني غازي – وقد انسحبت تركيا من ليبيا بمؤامرة خيانة مكشوفة لا تخفي على كل ذي عينين ، ولا يفوتنا أن نذكر أن اليهود الإيطاليين هم المحافل الماسونية في سالونيك ، وفي بيوت هؤلاء اليهود الإيطاليين كانت نعقد اجتماعات جمعية الإتحاد والترقي . فليس كبيرا أن تعطي جمعية الإتحاد والترقي ليبيا هدية متواضعة إلى إيطاليا كرد جميل على صنيعهم السابق الكبير.

{ولا أنسى أن أضيف على سرد الشيخ الشهيد خبر دعوة حكومة القذافي لرئيس الكنيست وهو يهودي ليبي لزيارة ليبيا بدعوة رسمية في – نوفمبر 2004- بعد أن فتح أتاتورك ليبيا (القذافي) أبوابها مشرعة للأمريكان والأوربيين واليهود ، وسلمهم سلاحها الثقيل طواعية على ظهر السفن إلى المعارض الأمريكية قبل ذلك بعدة أشهر !!}.

وفضلا عن هذه الخسارة فقدت كريت ، وكانت ميزانية تركيا قد ناءت بأعباء النفقات العسكرية.

وبدأت محاربة الشعائر في تركيا ، فمنع الأذان باللغة العربية ، ومنع اللباس الشرعي ، ومزق رجال الأمن لدى مصطفى كمال ثياب النساء في الشوارع ، وحرم غطاء الرأس بالنسبة للنساء ، ومنعت الكوفية والعقال (لأن العرب يلبسونها) بالنسبة للرجال ، وفرض لبس القبعة بالنسبة للرجال ومنع قراءة القرآن بالعربية . وأمر بترجمته إلى التركية. وحول كمال مسجد أيا صوفيا إلى متحف ، وأقفرت المساجد وخلت المحاريب ، و صوحت المآذن ، وافتقد الناس الشباب من طريق الإسلام ، وأصبح اللقاء على كتاب الله في المسجد جريمة يحاكم عليها القانون ، واختلف من المساجد حلقات العلم و دروس الفقه ، وتوارى العلماء أمامه تحت التراب قتلا أو في بيوتهم . وتقدم السفهاء ، وتكلمت الرويبضات كما جاء في الحديث :

* **(إن بين يدي الدجال سنين خداعة ، يخون فيها الأمين ويؤتمن فيها الخائن ، ويصدق فيها الكاذب، ويكذب فيها الصادق وتفنى الوعول ، وتظهر التحوت ، قيل يا رسول الله ما الوعول وما التحوت؟ قال: الوعول: أشراف الناس والتحوت: الذين كانوا تحت الأقدام لا يؤبه لهم).**

* وعن أبي هريرة مرفوعا: **(لا تقوم الساعة حتى يظهر الفحش والبخل ، ويخون الأمين ، ويؤمن الخائن ، وتهلك الوعول وتظهر التحوت ، قالوا يا رسول الله وما التحوت والوعول؟ قال: الوعول وجوه الناس وأشرافهم والتحوت الذين كانوا تحت أقدام الناس ليس يعلم بهم).**

* وفي الحديث الآخر الصحيح الذي رواه الطبراني عن عوف بن مالك مرفوعا:

(أخاف عليكم ستا: إمارة السفهاء ، وسفك الدماء ، وبيع الحكم . وقطيعة الرحم ، ونشوا يتخذون القرآن مزامير ، وكثرة الشرط).

وبقى مصطفى كمال يواصل الحرب على الإسلام حتى نهاية حياته وتركيا تتحطم في جميع الميادين وتتراجع في كل مضمار .

أهم الأسباب الداخلية المباشرة التي أدت إلى سقوط الخلافة

أولا : انتشار الدعوات القومية :

وخاصة (دعوة القومية التركية (الطورانية) ، والقومية العربية ، وأشراف الماسون واليهود على إحيائها وإذكاء نار التعصب والفرقة بين أتباع القوميتين الرئيسيتين المكونتين للدولة العثمانية .

القومية التركية (الطورانية):

لقد بذرت البذور الأولى للقومية التركية في داخل الأكاديمية العسكرية في إسطنبول مع الأساتذة العسكريين الألمان الذين وفدوا إلى الكلية ليدربوا الأتراك الذين كانوا بحاجة إلى جيش قوي مدرب على وسائل القوة الحديثة وأساليب القتال العسكرية ، خاصة وأن تركيا تقاتل العالم بأسره يرميها عن قوس واحدة، فقد وصلت بعثة عسكرية ألمانية سنة (1883) يرأسها الكولونيل (فون درجولسن) وبقي يعمل قرابة ثلاث عشرة سنة تمت خلالها بذرة القومية.

وأما العامل الثاني لنشوء القومية الطورانية هو: هجرة اللاجئين المجريين والبولنديين إلى تركيا بعد فشل ثورتهم سنة (1848) ، واعتنق هؤلاء الإسلام وأصبحوا من الطبقة المتنفذة في الدولة ، ومن هؤلاء (قسطنطين بورزيكي) ، وقد سمى نفسه بعد ذلك مصطفى جلال الدين باشا ، فلقد كان هذا الرجل هو رأس الأفعى القومية التي نقلت سمها إلى عقول ونفوس الأتراك ، يقول برنارد لويس:

(ولقد عمل يورزيسكي على نقل القومية البولونية ووضعها في قالب تركي ، وساعده على هذا العمل ما عرضه من أعمال المستشرقين الغربيين الباحثين في الشئون التركية ، وكان لها تأثيرا هام في تقدير التاريخ التركي القديم ، والاعتقاد بالهوية المميزة).

ولا يفوتنا أن نعود فنذكر بأن جمعية الإتحاد والترقي كلهم ماسون (يهودية عالمية) ، وأن يهود سالونيك هم اليد المحركة لهذه الجمعية وهم داخلون فيها . ونعود مرة أخرى فنذكر بكلام ستون وتسون: (إن الحقيقة البارزة في تكوين جمعية الإتحاد والترقي أنها غير تركية وغير إسلامية) فأطاحت بعبد الحميد وبتركيا وبالإسلام.

ولقد كان لهذه الدعوة إلى القومية التركية أثر سيء انعكس في نفوس الشعوب الإسلامية التي تخضع للسيادة العثمانية ،و بدؤوا يطالبون بالاستقلال ويشكلون الجمعيات السرية لمحاربة تركيا ، خاصة بعد السلوك المشين الغريب الذي سارت عليه جمعية الإتحاد والترقي ، وعلى رأس هذه الشعوب العرب الذين اتخذوا من هذا السلوك مبررا للوقوف بجانب بريطانية ضد الأتراك في الثورة العربية الكبرى بقيادة الشريف حسين ، وكان لها من النتائج الوخيمة على العالم الإسلامي.

فقد كتب ستون وستون يقول:

(إن الحقيقة البارزة في تكوين جمعية الإتحاد والترقي أنها غير تركية وغير إسلامية ، فمنذ تأسيسها لم يظهر بين زعمائها وقادتها عضوا واحد من اصل تركي صاف ، فأنور باشا هو ابن رجل بولندي مرتد وكان جاويد من الطائفة اليهودية المعروفة (دونمة) ، وكراسو من اليهود الأسبان القاطنين في مدينة سالونيك ، وكان طلعت باشا من أصل غجري اعتنق الإسلام دينا ، وأما أحمد رضا أحد زعمائهم في تلك الفترة فكان نصفه غجريا إلى جانب كونه من أتباع مدرسة كونت الفلسفية).

ويضيف ستون وتسون قائلا إن أصحاب العقول المحركة وراء الحركة كانوا يهودا أو مسلمين من أصل يهودي ، وأما العون المالي فكان يجيئهم عن طريق (الدونمة) ويهود سالونيك الأثرياء .... كما أنه كانت تأتيهم معونات مالية من الرأسمالية الدولية - أو الشبيهة بالدولية - من فينا وبودبست وبرلين من باريس ولندن).

ويقول هربرت أبري:

(كان يهود سالونيكا يهوديا ويعرفون (بالدونمة) - أي المرتدون - شركاء الثورة التركية الحقيقيين ، وهؤلاء هم من العرق اليهودي ، ولكن معتقدهم قد لا يكون يهوديا أصلا ، والاعتقاد الشائع بين الناس هو: أنهم مسلمون بالاسم ، وأما بالفعل فإنهم من أتباع توراة موسى ... وفي تلك الفترة التي نحن بصددها لم يعرف أحد من الناس شيئا عنهم ، سوى قلة من العلماء المختصين بدراسة الشرق الأدنى ، ولم يكن أحد من الناس يجرؤ أن يتنبأ أن هذه اليهودية المعروفة (بالدونمة) ستلعب دورا رئيسيا في ثورة كان لها نتائج خطيرة في سيرة التاريخ).

يقول توينبي:

(إن الضباط في تركيا الحميدية هي الطبقة الوحيدة التي استطاعت أن تفتح نافذة فكرية دائمة تنفذ عن طريقها التأثيرات الغربية في سنة (1908) وبعد ثلاثين عاما من حكم استبدادي مظلم كان الجيل التركي الجديد من العسكريين هو رأس الحربة لهجوم الليبرالية الغربية على تركيا).

وثيقة السفير البريطاني في استانبول (لاروز) سنة 1910 حول العلاقة بين جمعية الإتحاد والترقي وبين اليهود و الماسونية :

هذه الوثيقة السرية هي أصلا رسالة سرية جدا أرسلها السفير البريطاني في القسطنطينية (السير جيرار ولاوزر) بتاريخ (1910/5/29م) إلى وزير الخارجية بريطانيا (السير ش. هارونج) وتحوي معلومات دقيقة حول العلاقة بين (جمعية الإتحاد والترقي) واليهود و الماسونية.

وهذه الوثيقة السرية كُشف عنها النقاب في بريطانيا حديثا ، وقد نشرتها مجلة (المجتمع الكويتية) ابتداء من (1978/12/25م) في الأعداد (425.429) نقلا عن مجلة آفاق العراقية . ونقتطف منها الأجزاء الأهم:

[- في مدينة (سالونيك) { مدينة يونانية كانت آنذاك تحت الحكم العثماني } مائة وأربعون ألف نسمة ، منهم ثمانون ألف نسمة يهودي من أصل أسباني (أي هربوا من أسبانيا) (20.000) يهودي من سبط (لآوي) أو من اليهود المتظاهرين بالإسلام والذين يدعون (يهود الدونمة).

- ومعظم اليهود الإسبان يتمتعون بالجنسية الإيطالية ، وهم ماسونية ينتمون إلى المحافل الإيطالية . فهم لذلك يتمتعون بالحصانة الممنوحة للأجانب في الدولة العثمانية ضد الملاحقة والتفتيش.

- أسس اليهودي (قره صو) قبل بضعة أعوام في سالونيك – بالتعاون مع الماسونية الإيطالية – محفل (ماسيدونيا روزيتا) ، وأقنع رجال تركيا الفتاة ضباطا ومدنيين بالإنتماء إلى الماسونية ، وهدفه فرض النفوذ اليهودي على الأوضاع الجديدة في تركيا.

يظهر أن المخططين لحركة تركيا الفتاة في سالونيك كانوا بالدرجة الأولى من اليهود.

بعد ثورة (1908م) بقليل أصبح من المعروف بأن عددا كبيرا من قاداتها كانوا من الماسونية .

جميع اليهود على الإطلاق كانوا مؤيدين متحمسين للعهد الجديد.

أصبح كل اليهودي جاسوسا لجمعية الإتحاد والترقي .

بدأ الناس يقولون: إن الحركة اليهودية أكثر منها تركية .

عينت إيطاليا اليهودي (بريموليفي) قنصلا عاما في سالونيك وعينت الولايات المتحدة (أوسكار شتراوس) سفيرا لها في القسطنطينية ، وكان شتراوس يهودي .

العقيد اليهودي الدونمه (رمزي بيك) كان قائد الأفواج الأربعة التي أرسلت خصيصا من سالونيك إلى القسطنطينية وقد عين رئيسا لأركان حرب السلطان (محمد الخامس)، وعندما خلع السلطان (عبد الحميد) واعتقل في سالونيك عين أخ لرمزي بيك مشرفا على السلطان في سجنه.

أعلن المؤتمر الصهيوني التاسع المنعقد في هاسبورج في شهر كانون الأول سنة (1909م) أن إنقسام اليهود إلى صهيونيين ، ودعاة للهجرة إلى مناطق أخرى غير فلسطين ، قد انتهى بفضل (معجزة الثورة التركية) بمعنى أن فلسطين أصبحت مضمونة بلا شك .

بعد خلع عبد الحميد أُعلنت الأحكام العرفية لمدة سنتين ، وكان معظم الضباط في المحاكم العرفية ماسونيين .

مدير المطبوعات في الدولة يهودي من سالونيك وله سلطة إيقاف أي جريدة.

وكالة الأنباء التلغرافية – التي تقدم رأي الاتحاديين في الأحداث الداخلية والخارجية – مديرها يهودي من بغداد.

رئيس الفرع الرئيسي لجمعية الإتحاد والترقي في القسطنطينية يهودي من سالونيك.

مديرية الأمن العام في الدولة بيد ماسوني من سلانيك.

في مقدونيا والقسطنطينية ظهر خلال العام الماضي (1909م) إثنتا عشر محفلا ماسونيا جديدا.

أُفهم الموظفون وغيرهم – من ذوي المناصب المهمة – أن مناصبهم ومواردهم رزقهم تتوقف على دخولهم في المحافل الماسونية .

لكي تشدد الجمعية قبضتها على الجيش أدخل عدد كبير من الضباط – وخاصة من ذوي الرتب الصغيرة – في محفل ماسوني يسمى (ريسنا) بلد (نيازي بيك) ، ويرأس المحفل أخوه النقيب (عثمان فهمي بك).

دخل في الماسونية معظم نواب الجمعية في مجلس المبعوثان والأعيان في المحفل الذي يسمى (الدستور) وكان من كبار رؤسائه (طلعت بيك).

نواب المعارضة وخاصة العرب بدؤوا ينشئون لهم محافل خاصة بهم مثل (محفل التآخي العثماني) (أصدقاء الحرية) أو ينضمون إلى المحفل القائمة.

طائفة البكطاشية تفشت بينهم الماسونية .

في المدة التي بين (1909م- 1910م) أنشئت المحافل الماسونية التالية: (الوفاء الشرقي ، نهضة بيزنيطة ، الأصدقاء الحميمون للإتحاد والترقي ، الحقيقة ، الوطن النهضة ، وفرع من محفل (نهضة مقدونيا) ، الفجر) . ويبدوا أن جميع هذه المحافل الماسونية – مثل شبكة المحافل الماسونية في سالونيك ومقدونيا – كان يقودها أو يخطط لها اليهود.

الأمير المصري سعيد حليم وأخوه الأمير عباس حليم والأمير عزيز حسن ماسونييون.

إدريس بيك راغب – رئيس المحفل المصري الأعظم – هو المؤسس والمهيمن على عدد من المحافل الماسونية في مصر وسوريا وفلسطين ولبنان.

عدد كبير من الروم الكاثوليك في لبنان ماسونييون.

محمد أورفي باشا أسس عددا من المحافل الماسونية في مصر والقدس وجنوب سوريا

يوسف بيك السكاكيني من زعماء الماسون.

الزعيم الوطني المصري (محمد فريد) ماسوني كبير عين ممثلا في مصر لمحفل الشرق العثماني الأعظم واقيمت حفلة التنصيب في محافل ماسوني في (طنطا).

(حاييم ناحوم) حاخام الطائفة اليهودية الأكبر الجديد في تركيا كان زميل دراسة لعدد من أعضاء جمعية أعضاء الإتحاد والترقي البارزين.

(طلعت وجاويد) يمثلان قمة الماسونية في تركيا ، وطبعا جاويد يهودي.

ومنذ أن أصبح طلعت وزيرا للداخلية - قبل حوالي سنة – عمل على نشر شبكة الماسونية في جميع مناطق الدولة ، وأخذ يسند إلى الماسونيين الوظائف الكبرى في الأقاليم.

و قال (لاوزر) : يتبين من هذا أن الحكومة الخفية لتركيا إنما هي محفل الشرق الأعظم الماسوني وعلى رأسه الأستاذ الأعظم (طلعت بيك).

الماسونية تمد نشاطها من تركيا إلى إيران . وجمعية الإتحاد والترقي الماسونية وراء الإنقلاب الذي وقع في إيران ويدور الحديث الآن حول بدء بإنشاء محفل الشرق الماسوني في إيران ، و (فرح الله خان) القائم بأعمال السفارة الإيرانية الجديدة في القسطنطينية انضم إلى الماسونية حديثا .

يهتم اليهود أعظم الاهتمام بالاحتفاظ بنفوذهم المطلق في مجلس وزراء تركيا الجديدة.

يهتم اليهود أعظم الاهتمام بإيقاد شعلة الفرقة والخصام بين الأتراك وبين خصوم اليهود المحتلين.

الممولون اليهود يرحبون بتقديم القروض للعهد الجديد في تركيا مقابل مكاسب إقتصادية.

لليهود نفوذ هائل في الصحافة الأوربية.

اليهود يسعون إلى تحقيق أهداف إسرائيل العليا في المستقبل.

قد أحكم اليهود سيطرتهم على هؤلاء الأتراك الشبان.

اليهود يمولون جريدة (تركيا الفتاة) وعددا أخر من الجرائد في القسطنطينية .

الممولون الأوروبيون – ومعظمهم من اليهود – يزودون تركيا الآن بالمبالغ المطلوبة.

جمعية الإتحاد والترقي الماسونية تشجع الثوريين اليهود والأرمن على تفجير القلاقل والإضطرابات والتوازن في روسيا القيصرية .

أعضاء جمعية الإتحاد والترقي يقلدون الثورة الفرنسية في أساليبها بتوجيه من اليهود .

اليهود يزينون للأتراك الإلتقاء مع الهنغاريين (المجر) بدافع القومية الطورانية ، لأن المجريين من أصل طوراني. وجميع هذه المعلومات حصلنا عليها من ماسونيين محليين في سرية تامة.] أهـ .انتهت وثيقة السفير البريطاني (لاوزر) التي كتبها سنة (1910م)

(نقلا عن كتاب (الذخائر/ 738- 740) . للشيخ عبد الله عزام رحمه الله).

ثانياً : الثورة العربية الكبرى :

ووقوف الشريف حين إلى جانب بريطانيا في الحرب العالمية الأولى ضد الخلافة العثمانية ، بعد أن خدعه الإنكليز وأوهموه بأنهم سيساعدونه على إقامة خلافة عربية في جزيرة العرب والشام والعراق .

وقد كان الشريف حسين يتلمس المناسبة للتخلص من الحكم التركي ، خاصة وأنه أحس أن الاتحاديين سنة (1914) يريدون التخلص منه . وكان عبد الله بن الشريف حسين {جد (الملك حسين)الهالك ، والد (الملك عبد الله) الحالي سلسل عمالة الإنكليز والخيانات المتتالية } .

وكان عبد الله بن حسين آنذاك نائبا في البرلمان التركي ، وقد اتصل بكتشنر (المعتمد البريطاني في مصر) و رونالد ستورز المستشار الشرقي في دار الاعتماد البريطاني . وأطلعه على النفور الشديد بين أبيه وبين الأتراك . وسأله عن إمكانية وقوف بريطانيا بجانب الشريف فيما إذا أعلن الشريف الحرب على تركيا ، إلا أنه لم يلق أي تشجيع منهما ، وقال كتشنر: ليس من المحتمل أن تقف بريطانيا بجانب أبيك.

(وكان الأمير عبد الله نفسه عضوا في إحدى الجمعيات السرية ، وكان مؤمنا بفوائد التفاهم الإنجليزي العربي متحمسا له) ونشبت الحرب الكبرى في آب سنة (1914) ، وكان عبد الله متحمسا لإعلان الحرب على تركيا، بينما كان أخوه الأمير فيصل يرى الوقوف معها .

وفي سنة (1915) زار فيصل دمشق واستانبول ، وفي دمشق انضم إلى جمعية (العربية الفتاة) وأقسم على نصرتها .

<u>وأعلن الشريف الحرب على تركيا يوم الإثنين (5) حزيران سنة (1916). (وسبحان ربي! كانت هزيمة العرب في (5) حزيران يوم الإثنين سنة 1967 !!!.</u>

ومن جانب قبر حمزة بن عبد المطلب - رضي الله عنه - بالمدينة أعلن الحرب بعد أو وعدته بريطانيا باستقلال بلاد العرب وبتتويجه ملكا عليها ، وكان كتشنر قد أصبح وزيرا للحربية البريطانية ، واستلم مكماهون معتمدا بريطانيا في مصر ، وحدثت الكاتبات المعروفة بينه وبين مكماهون (مراسلات حسين - مكماهون)، ووعدوه بملك البلاد العربية بعد استقلالها.

واندفع الشريف حسين بكل طاقته يؤجج نار الحمية العربية ضد الأتراك ، وهُزم الأتراك ، وحصلت اتفاقية (سايكس بيكو) لتقسيم البلاد العربية بين بريطانيا وفرنسا ، وأعطيت فسلطين لليهود بوعد بلفور1917، وكان الجزء الجميل للشريف حسين أن نفته بريطانيا ست سنوات وسلبت ملكه !! ولقد كانت الصدمة عنيفة لأعصاب الشريف حتى داهمه الفالج وذاب جسده حسرة وألما ، وكان يصب جام غضبه طيلة بقية حياته على مكماهون و لويد جورج – الوزير البريطاني المعروف.

يقول جورج أنطونيوس:

(لقد زرته قبل موته بأشهر سنة (1931م) ، وقد قلصه الفالج وابيض وجهه الوسيم من شحوب الموت ... فقال لي: الإنجليز يا ولدي قوم شرفاء في أقوالهم وأفعالهم ، في سراء والضراء: شرفاء !، ماعادا صاحب السعادة الموقر الهمام لويد جورج فهو أشبه بالبهلوان وبالثعلب . أقول: ثعلب ، حاشا مقامك رحم الله صاحب السعادة كتشنر !!).

كانت هذه النتيجة الأسيفة الأليمة للتعاون مع الإنجليز . وصدق الله العظيم :

(يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنْ تُطِيعُوا الَّذِينَ كَفَرُوا يَرُدُّوكُمْ عَلَى أَعْقَابِكُمْ فَتَنْقَلِبُوا خَاسِرِينَ) (آل عمران:149)

ولقد حذر بعض الصادقين العقلاء الشريف حسين من مغبة غدر الإنجليز ومن هذه الفاجعة المتوقعة ، فد كتب (الأمير أرسلان) إلى الشريف عندما بلغه عزم لغزو سوريا مع جيوش الحلفاء قائلا : (أتقاتل العرب بالعرب أيها الأمير؟! حتى تكون ثمرة دماء قاتلهم و مقتولهم استيلاء إنجلترا على الجزيرة العرب وفرنسا على سوريا واليهود على فلسطين ؟!).

يقول لورنس في كتابه (أعمدة الحكمة السبعة) : (لقد كنت أعلم أننا إذا كسبنا الحرب إن عهودنا للعرب ستصبح أوراقا ميتة ، ولو كانت ناصحا شريفا للعرب لنصحتهم بالعودة إلى بيوتهم ، لقد كان قادة الحركة العربية يفهمون السياسة الخارجية فهما عشائريا بدويا ، وكانت بريطانيا والفرنسيون يقومون بمناورات جريئة اعتمادا على سذاجة العرب وضعفهم وبساطة قلوبهم وتفكيرهم ، ولهم ثقة بالعدو ... إنني أكثر فخرا أن الدم الإنجليزي لم يسفك في المعارك الثلاثين التي خضتها ، لأن جميع الأقطار الخاضعة لنا لم تكن تساوي في نظري موت إنجليزي واحد).!!

ويقول وايزمان : (لقد قدم لنا لورنس خدمات جليلة) .

وهذا هو لجاسوس لورنس المشهور الذي كانوا يسمونه – (لورنس العرب) ويلقبونه : (ملك العرب غير المتوج) !!.

مقارنة بين القومية الطورانية والقومية العربية:

لقد التفت القومية الطورانية (التركية) والعربية على أشياء أهمها:

أن الغرض من كل منهما هو القضاء على تركيا المسلمة ، وعلى السلطان عبد الحميد بالذات.

لقد بدأت القوميتان في وقت واحد تقريبا وإن كانت القومية العربية تقدمت قليلا على الطورانية.

القوميتان علمانيتان اتفقا على استبعاد الإسلام عن الحياة .

إن كلا من القوميتين نشأتا في محاضن أجنبية فالقومية العربي نشأت في المحاضن الأمريكية وفي الجامعة الأمريكية، بينما الطورانية نشأت في المحافل الماسونية اليهودية التي يشرف عليها اليهود الأسبان والبولنديون الإيطاليون.

إن الرواد الأوائل لكل من الدعوتين لم يكونوا مسلمين أصلا ولا من الجنس الذي يدعون إلى قوميته ! فمثلا (بورزيكي) الذي سمى نفسه مصطفى جلال الدين – بولندي الأصل – عمل على نقل القومية البولندية وصبها في قالب تركي ، ومنذ تأسيس جمعية الإتحاد والترقي ، لم يظهر بين زعمائها وقادتها واحد من أصل تركي صاف ! فأنور باشا بولندي مرتد ، و جاويد من الطائفة اليهودية (دونمة) ، و كراسو (من اليهود الأسبان) في سالونيك ، وطلعت باشا من أصل غجري ، وأما أحمد رضا فنصفه شركسي ونصفه مجري ومتأثر بالفيلسوف (كونت) !.

و الرواد الأوائل للقومية العربية كانوا جمعيا من غير المسلمين ! من بطرس البستاني ، و ناصيف وابنه إبراهيم اليازجي ، والشدياق ، وأديب إسحق ، ونقاش ، و شميل ، و تقلا و صروف ، و زيدان ، ونمر ، و مشاقة ... ، كل هؤلاء على الإطلاق من النصارى !! ثم جاء القرن العشرون وكان من قادتهم : زكي الأرسوزي (نصيري تركماني)، وميشيل عفلق (نصراني) زوجته يهودية ! وهما قائدا حزب البعث. و أنطون سعادة وجورج عبد المسيح ، من قادة الحزب القومي السوري ، نصرانييان !وجورج حبش – من قادة القوميين العرب كذلك !!.

يقول الكاردينال بريتولي للبابا : (إن المسيحية في الشرق هي التي زرعت الحركات الثورية وحركات التغيير ، وإن أسماء مثل ميشيل عفلق، وأنطوان سعادة، وجورج حبش قد تفسر لك ما أعنيه).!!

إن الأصابع الماسونية- اليهودية – كانت تحرك طلائع الحركتين، فالخمسة الأوائل الذين أنشأوا (جمعية بيروت السرية) كلهم من الماسون. وكذلك الذين نادوا بالقومية الطورانية هم من الماسون .

تأثرت القومية العربية بالنظريات الأمريكية، وتأثرت الطورانية بالثورة الفرنسية. يقول فيليب حتى – أحد مؤرخي وفلاسفة القومية العربية ! -: (كان من نتاج الاحتكاك بين العقلية السورية والنتاج الفكري الغربي أن تولدت مبادئ القومية العربية الشاملة ، واستمدت وحيها بالأكثر من النظريات الأمريكية ، بخلاف القومية التركية التي جاءت متأخرة عن العربية والتي استمدت إلهامها من مبادئ الثورة الفرنسية).

كانت الأصابع اليهودية بارزة في القومية التركية، لا يزال اليهود يحرصون على ربط العرب بقوميتهم.

يقول (أبا إيبان) - الذي كان وزير خارجية إسرائيل – في محاضرة له في جامعة برنستون الأمريكية : (يحاول بعض الزعماء العرب أن يتعرف على نسبة المد الإسلامي بعد الهزيمة الأخيرة (1967) ، وفي ذلك الخطر الحقيقي على إسرائيل، ولذا كان من أولى واجباتنا أن نبقي العرب على يقين راسخ بنسبهم القومي لا الإسلامي). (الذخائر ج1/ 893- 895).

مصطفى كمال يحطم تركيا ويلغي الخلافة

ولد (أتاتورك) سنة (1880) في مدينة سالونيك وهي – كما مر معنا - (مدينة يونانية - يهودية) حيث يقطنها (140) ألف منهم (80) ألفا من اليهود الإسبان و (20) ألفا من يهود الدونمة (أي المتظاهرين الإسلام).

ينسب مصطفى كمال رسميا إلى (علي رضا) وأمه (زبيدة) وتحيط شكوك كثيفة حول نسبه ، فمصطفى لا يعترف بأبيه (علي رضا) ويقال: إن أصل أبويه من ألبانيا.

ولقد راجع مصطفى كمال دائرة النفوس في (سالونيك) وأسقط قيد الأبوة عنه.

ويقال أن زبيدة حملت به سفاحا من شخص اسمه (أبدو مسن آغا) لأنها كانت تعمل في أحد مواخير سالونيك ، فولد أتاتورك لا يعلم اسم جده لأمه ولا لأبيه.

التحق بمدرسة دينية ، ثم ألحقته أمه بمدرسة عصرية ثم دخل المدرسة الحربية في سالونيك سنة (1893م) وبعد أربع سنوات تخرج من المدرسة الابتدائية العسكرية الثانوية في (موناستر) بالبلقان حيث كانت الفتنة متأججة على الخلافة.

وبمعونة أصحابه نقل إلى سالونيك في صيف سنة (1907م) وعين في دائرة أركان الجيش الثالث . وهناك دخل في جمعية الإتحاد والترقي فوجد فيها منافسين أقوى منه مثل أنور باشا ، وطلعت بيك فحصل بينه وبينهم نزاع . وفي سنة (1908م) قام الإنقلاب العثماني على السلطان عبد الحميد من أجل إعلان الدستور (للتسوية بين اليهود والنصارى والمسلمين) ونجحت الحركة ولم يشترك مصطفى كمال فيها .

وفي هذا العام نفسه سنة (1908م) أرسل إلى (طرابلس الغرب في ليبيا) لإبعاده ، ثم رجع واشترك مع حركة (محمود شوكت) سنة (1909م) لإسقاط السلطان عبد الحميد ، وكان آنذاك أحد ضباط الأركان وليس رئيسا للأركان.

وفي سنة (1910م) أُرسل إلى فرنسا لحضور مناورات عسكرية ، وبعد أن رجع من فرنسا عين مشرفا على مدرسة الضباط فامتلأ حقدا على الإتحاد يين لتجاهلهم إياه فنقلوه قائدا لفرقة المشاة الثامنة والثلاثين في سالونيك.

ثم أغارت إيطاليا على ليبيا فأُرسل مصطفى ورقي إلى درجة بكباش

ثم أرسلوه إلى الشام سنة (1917م) وكان قد وصل إلى رتبة لواء أي باشا وصار مساعدا لقائد الجيش الثاني . **ثم عين قائدا لجبهة فلسطين:**

وفي فلسطين تمت الصفقة مع (اللنبي) القائد الإنجليزي الذي احتل فلسطين ، واتفق الإنجليز مع مصطفى كمال على الانسحاب . ليدخل اللنبي بردا وسلاما ، وليضرب الجيوش التركية الأربعة ضربة قاصمة بعد أن ارتد اللنبي خائبا من أبواب السلط بعد أن هزمه جمال باشا قائد الجيش الرابع.

وكانت نتيجة هذه الخيانة تحطيم تركيا إلى الأبد ، وأما نتيجة المعركة فكانت كارثة :

كان عدد الأسرى يقرب من مائة ألف جندي عدا القتلى برصاص الدروز والأرمن .

وبعد انتصار اللنبي حضر إلى اسطنبول فطلب من الدولة التركية المهزومة أن تعين مصطفى كمال قائدا للجيش السادس قرب الموصل حيث النفوذ الإنجليزي ومنطقة البترول لحماية مصالح الإنجليز وأمنهم هناك.

وكان مصطفى كمال بعد الهزيمة الكبرى التي كبدها تركيا ، وبعد رجوعه كان على صلة بالقس المشهور (FRID) فرد الذي كان رئيسا للاستخبارات الإنجليزية في تركيا.

و كان مصطفى كمال على صلة وثيقة بالسلطان وحيد الدين (محمد السادس) ، وذلك لأنه عين في ربيع سنة (1918م) مرافقا عسكريا له ، وكان آنذاك وليا للعهد ، وأظهر مصطفى كمال آنذاك لوحيد الدين كراهيته للإتحاد والترقي ، وأبدى صلاحا وحرصا على مصلحة تركيا ، وسرعان ما أصبح الاثنان صديقين حميمين ، وغدا مصطفى جنديا للأمير وأمينا لسره.

وفي أثناء الحرب مات السلطان محمد رشاد (الخامس) وتولى وحيد الدين الخلافة ، فقرب مصطفى كمال ورفع من مكانته.

ثم جرت مسرحيات انتصارات مصطفى كمال الساحقة في الأناضول وخاصة في سقاريا أفيون . أزمير التي جعلت من مصطفى كمال خارقة من الخوارق تغني بمدحها الشعراء حتى قال أحمد شوقي:

الله أكبر كم في الفتح من عجبِ يا خالد الترك جدد خالد العربِ

لقد تمت المسرحية بهذا الإخراج الساحر الذي يأخذ بالألباب . و لقد شدد الإنجليز في فرض الشروط على الخليفة ليبدو عاجزا ضعيفا وتساهلت مع مصطفى كمال ليظهر بطلا فريدا.

ثم تظاهر الحلفاء بالعطف على الخليفة والسخط على مصطفى كمال ، فقد احتل الإنجليز القسطنطينية في (16) مارس سنة (1920م) وطلب الحلفاء من الأهليين إطاعة الأوامر التي تصدر إليهم من الخليفة مما أدى إلى ازدياد النقمة عليه ، وفي المقابل تم الجلاء عن (أسكى شهر) والمحاصرة من قبل مصطفى كمال وعن (قونية) بدون حصول أدنى اشتباكات وتنظف الأناضول من القوات الحليفة والناس مبهورون بهذه الانتصارات.

وفي نفس المدة تخرج فتوى من شيخ الإسلام تصف مصطفى كمال وجماعته بالكفر فيزداد سخط الناس على السطان والمفتي.

وبمعاهدات سرية واتفاقات خفية مع أتاتورك يقرر الحلفاء الجلاء عن استانبول

المخطط التدميري:

إن هذه المخطط يكشف الصلة الوثيقة المبكرة بين مصطفى كمال وبين الإنجليز والحلفاء ، ويبين لك بوضوح سر إبراز مصطفى كمال وانسحاب جيوش الحلفاء.

وقد كشف عن هذه الوثيقة صديقه الحميم وأمين سره (مظهر مفيد قنصوه) في مذكراته فيقول: وفي (1919/7/7) قرب الفجر وفي أرضروم بالأناضول أسر إلي مصطفى كمال وأكد كثيرا في وجوب كتمان السر وقال: هذا الدفتر سيبقي سرا حتى النهاية بيني وبينك وبين ثريا (شوكة ثريا ايدمير).

وبعد أن أكدنا له حفظ السر قال: إذن فسجل التاريخ أولا ... قال فسجلت التاريخ (8/7) تموز سنة (1919م) قرب الفجر بعد أن رأى أنني سجلت التاريخ على الصفحة قال: حسنا أكتب ثم تابع

أولا: ستكون الجمهورية هي شكل الحكومة بعد الانتصار . هذه واحدة.

ثانيا: سيؤخذ التدبير اللازم بحق السلطان والعائلة المالكية عندما يحين الوقت المناسب.

ثالثا: سيرفع الستر عن النساء .

رابعا: سيلغي الطربوش وسنلبس القبعة مثل سائر الأمم المتمدنة.

قال مظهر مفيد: هنا سقط القلم من يدي بدون إرادة ، تطلعت إليه كان يتطلع إلي قال لي: لماذا توقفت. قلت له: أرجو أن لا تؤاخذني يا باشا إذا قلت لك بأن لك جانبا خياليا . قال لي ضاحكا: سيكون الزمن هو الحكم في هذا . أما أنت فاكتب ، استمررت في الكتابة .

خامسا: سنأخذ الأحرف اللاتينية ... يكفي يا باشا يكفي.

ثم نفذ البرنامج التدميري، وبعد أن نفذ بعضه ، لمح مظهر مفيد فقال له: يا عزيزي السيد مظهر مفيد ما هو رقم الفقرة التي وصلنا إليها ؟ هل تلقي نظرة على دفترة ملاحظاتك؟ .

وفي (3) مارس سنة (1924م) ألغيت الخلافة:

إذ تقدم أتاتورك بمرسوم يقضي:

** إلغاء الخلافة وفصل الدين عن الدولة ، وبإلغاء المحاكم العتيقة وقوانينها ، حيث يجب أن تستبدل بها محاكم وقوانين عصرية .

** مدراس رجال الدين يجب أن تخلي مكانها لمدارس حكومية غير دينية .

وأقرت الجمعية الوطنية القانون بلا مناقشة . وبعد يومين حشد مصطفى كمال أمراء العهد القديم وأميراته ورحلوا إلى خارج البلاد ، وكان قبلها بيوم أصدر قرارا بطرد الخليفة .

لقد اقتلع مصطفى كمال هذا الصرح الشامخ من الجذور ، هذا الصرح الذي بقي منارا للمسلمين في أرض تركيا لمدة خمسة قرون . وفرق الراية الإسلامية التي يأوي إليها المسلمين منذ أربعة عشر قرنا ، وتشتت الناس متفرقين عي سبل شتى كالغنم في الليلة الشاتية ، وأصبحت الذئاب تنهش من هذه الفئام المتفرقة ، كل يسن سلاحه ويمتشق حسامه ليذبح من شاء وكيف شاء.

وبقى أتاتورك وفيا للإنكليز حتى الموت إذ أنه صمم وهو على فراش الموت أن يوصي برئاسة الجمهورية إلى السفير البريطاني (بيرس لورين).

<u>وثيقة يوصي بها مصطفى كمال لسفير بريطانيا لورين برئاسة تركيا:</u>

وقد نقلتها ننقلها بنصها الحرفي جريدة الأهرام التي قامت بنقلها من جريدة صندي تايمز في يوم الخميس (16) ذي القعدة (1387هـ) المصادف (15) فبراير(1968) تحت عنوان (كمال أتاتورك يستدعي سفير بريطانيا ليخلفه في رئاسة الجمهورية التركية).

نشرت (صندي تايمز) أغرب صفحات التاريخ الدبلوماسي بعنوان : (كيف يرفض رجلنا أن يحكم تركيا ؟) قالت الصحيفة:

أنه في نوفمبر (1938) كان (كمال أتاتورك) رئيس تركيا يرقد على فراش الموت وعلى امتداد (15) سنة حاول أتاتورك بدكتاتورية صارمة أن يجرجر تركيا رغم أنفها ويدخلها إلى القرن العشرين ، ومنع لبس الطربوش والحجاب وحطم سلطان الدين وأدخل نظام اللغة التركية بالحروف اللاتينية .

وعندما رقد أتاتورك على فراش الموت ، كان يخشى ألا يجد شخصا يخلفه يكون قادرا على استمرار هذا العمل الذي بدأه ، فاستدعى السفير (بيرسي لورين) السفير البريطاني إلى قصر الرياسة في استانبول ، أما ما دار بينهما فقد ظل سرا أكثر من ثلاثين عاما وها هو اليوم يكشف النقاب عه على يد (بيرز ديكسون) عن حياة والده (بيرسون ديسكون) فقد كان بين أوراق (ديسكون) برقية بعث بها (بيرسي لورين) إلى اللورد هاليفاكس) وزير الخارجية وربما كانت هذه البرقية أغرب وثيقة في التاريخ البريطاني المعاصر على الإطلاق ، ففيها يروي (لورين) تفاصيل مقابلته غير المألوفة مع الديكتاتور المحتضر. وها هي الوثيقة :

[عندما وصلت وجدت صاحب الفخامة يجلس على فراشه تسنده بعض الوسائد ويحط به طبيب وممرضات ، وما أن دخلت حتى صرف الطبيب والممرضتين قائلا إنه سيضرب الجرس إذا احتاج لهم . وعندئذ بدأ فخامته يتحدث ببطء ولكن بعناية شديدة ، وقال لي: إنه أرسل في طلبي لأنه يريد أن يطلب مني طلبا عاجلا راجيا أن أعطيه جوابي عليه بطريقة قاطعة.

ثم قال السفير : لقد كانت صداقتي ونصيحتي إليه هي الوحيدة التي كان يحفل بها ويقدرها أكثر من أية نصيحة أخرى . لأنها كانت ثابتة لا تتغير ، وكان هذا هو السبب الذي جعله يستشرني في مناسبات متعددة .. بحرية تامة كما لو كنت وزيرا في مجلس الوزراء التركي ، ثم قال: وقد كان من سلطاته (كرئيس للجمهورية) أن يختار خليفة له قبل وفاته ، وقد كان أخلص رغبة له أن أخلفه في منصب الرئيس . ومن ثم فقد كان يريد أن يعرف رد فعلي على الاقتراح] ،

ثم بعد التفكير العميق اعتذر السفير وشكر العميل الذي ظهر عليه التـأثر ، ومـال بظهـره إلى الوسائد.

تقييم موجز لدولة الخلافة العثمانية

يمكن تقسيم مرحلة الدولة العثمانية إلى ثلاثة أطوار :

1- طـور القـوة : ويمتـد مـن تأسيسـها إلى نهايـة عهـد السـلطان الغـازي مصـطفى خـان الثالث(1774م) . وقد كان أوج الدولة العثمانية في عهد السلطان سليم الأول وابنه سليمان القانوني (1512-1566م) .

2- طور الضعف والتراجع : وابتدأ منذ عهد السلطان عبد الحميد خان الأول (1774م) حيـث دفعت السلطنة الجزية للمرة الأولى في حياتها ، لروسـيا (1777م) ، وأقـرت بجملـة مـن الإمتيـازات لنصارى الدولة العثمانية وصلاحيات تدخل الأجانـب في شـؤونها إلى نهايـة عهـد عبـد المجيـد خـان (1861م) .

3- طور الإنهيار ومـؤامرات اليهـود والماسـون وسـقوط الدولـة العثمانيـة : ويبـدأ منـذ عهـد السلطان عبد العزيز خان (1861م) الذي عزله المفتي لفسوقه ، وينتهي بخلع السلطان عبد الحميد (1909م)، ثـم اسـتلام الماسـون، ثـم إسـقاط أتـاتورك للخلافـة العثمانيـة وإلغائهـا حيـث ختمـت بالسلطان محمد السادس سنة 1924.

أسماء الخلفاء العثمانيين ومدة حكمهم :

أولا - طور القوة :

- **(1) - السلطان عثمان مؤسس الدولة العثمانية (1300 -1317م)**
- **(2) - السلطان الغازي أورخان الأول(1317- 1360م)**
- **(3) - السلطان الغازي مراد خان الأول (1360-1389م).....قتل في حرب الصرب**
- **(4) - السلطان الغازي بايزيد خان الأول(1389 -1402م) ..قتل أسيرا بيد تيمورلنك.**
- **(5) - السلطان محمد جلبي الغازي (1410-1421)**
- **(6) - السلطان مراد خان الثاني (1421 –1451م)**
- **(7) - السلطان الغازي محمد الثاني فاتح القسطنطينية (1451- م)**

- (8) - السلطان الغازي بايزيد خان الثاني(1481- 1512م)........خلعه الإنكشارية .
- (9) - السلطان سليم الأول الغازي (1512- 1520م)
- (10) - السلطان الغازي سليمان خان الأول القانوني (1520- 1566)
- (11) - السلطان الغازي سليم خان الثاني(1566-1577م)
- (12) - السلطان الغازي مراد خان الثالث (1574-1595م)
- (13) - السلطان الغازي محمد خان الثالث (1995- 1603م)
- (14) - السلطان الغازي احمد خان الأول (1603- 1617م)
- (15) - السلطان مصطفى خان الأول (1617- 1618م)...عزله المفتي والإنكشارية .
- (16) - السلطان عثمان خان الثاني (1618- 1622 م) ....عزله الإنكشارية وقتلوه.
- (17) - السلطان الغازي مراد خان الرابع (1623- 1640م) :
- (18) - السلطان الغازي ابراهيم خان الأول (1640- 1648م):خلع وقتل.
- (19) - السلطان الغازي محمد خان الرابع (1648- 1687م) : عزله المفتي .
- (20) - السلطان الغازي سليمان خان الثاني (1687- 1691 م)
- (21) - السلطان الغازي احمد خان الثاني (1691- 1695م)
- (22) - السلطان الغازي مصطفى خان الثاني (1695- 1703م):عزله الإنكشارية.
- (23)- السلطان الغازي احمد خان الثالث (1703 - 1730م) :..عزله الإنكشارية.
- (24) - السلطان الغازي محمود خان الأول (1730- 1754م)
- (25) - السلطان الغازي عثمان خان الثاني (1754- 1757 م)
- (26) - السلطان الغازي مصطفى خان الثالث (1757- 1774م).

ثانيا - طور الضعف :

- (27) - السلطان الغازي عبد الحميد خان الأول (1774- 1789 م)
- (28) - السلطان الغازي سليم خان الثالث (1789- 1807م) : عزله المفتي .

- **(29) - السلطان الغازي مصطفى خان الرابع (1807- 1808م).....خلع وحجز.**
- **(30) - السلطان الغازي محمود خان الثاني (1808 – 1839م)**
- **(31) - السلطان الغازي عبد المجيد خان (1839- 1861م).**

ثالثا – طور الإنهيار والموت :

- **(32) السلطان الغازي عبد العزيز خان (1861- 1886م) عزله المفتي .**
- **(33) - السلطان مراد الخامس (مايو1886- أغسطس 1886 م) :عزله المتآمرون.**
- **(34) - السلطان الغازي عبد الحميد خان الثاني (1886- 1909 م) : عزله المتآمرون بدسائس اليهود.**
- **(35) - السلطان محمد رشاد خان الخامس (1909- 1924م) .**
- **(36) – السلطان محمد السادس (وحيد الدين) (1918-1924) : أسقطه الماسون بتخطيط اليهود والإنكليز والأوربيين ، وتنفيذ أتاتورك . وهو آخر الخلفاء العثمانيين .**

وبه انتهى مسمى الخلافة الذي استمر زهاء ثلاثة عشر قرنا ونصف القرن .

أولا : المناحي الإيجابية في دولة الخلافة العثمانية :

إبتداءا يجب أن نلفت النظر إلى أن معظم المراجع التاريخية المعاصرة التي أرخت للعثمانيين ، قد ظلمت هذه الدولة المجيدة ، وزورت تاريخها وتاريخ المسلمين في أيامها . وذلك لأن معظم كتاب التاريخ بعدها من المستشرقين ، وتلاميذهم من ذراري المسلمين بما فيهم الأتراك والعرب كانوا حاقدين عليها . حيث ينتمي معظم كتاب السياسة والتاريخ المعاصرين من المنسوبين للمسلمين هم من العلمانيين ، والقوميين . وقد تولى أتاتورك وأتباعه إلى اليوم الحجر على وثائق كثيرة هامة من أرشيف الدولة العثمانية ، وخاصة عن المرحلة الأخيرة من تاريخها والتي تولى فيها الماسون إسقاط الدولة .

وأذكر أننا درسنا في بلادنا العربية منذ الطفولة في المدارس الابتدائية ثم ما تلا ذلك من مراحل الدراسة شيئا من تاريخ تلك المرحلة تحت عنوان (الإحتلال العثماني) !! .

ولما درست في قسم التاريخ من جامعة بيروت دراستنا المناهج - التي وضعها التربويون والكتاب بحسب أهواء فراعنة بلادنا من عملاء اليهود والنصارى –درسونا تاريخ الذين تآمروا لإسقاطها وتعاونوا مع الكفار من الإنكليز وحلفائهم ، من القوميين والماسون العرب ، ومعظمهم

من نصارى الشام ، على أنهم أبطال القومية العربية ..، وشهداء الإستقلال !! كما قدمت لنا الذين قادهم لورنس الجاسوس الإنكليزي على أنهم قادة الثورة العربية الكبرى على الإحتلال العثماني !

ومن هنا نقول أنه يجب أن تقرأ تلك التأريخات بعين الإتهام ، ومنهج التمحيص. لتميز حقيقة ما كان في تلك الدولة من سلبيات – سأذكر لاحقا أهمها – عما هو افتراءات وتزوير من وضع المستشرقين وعملائهم من المرتدين العلمانيين .

فإذا ما جئنا إلى إيجابيات دولة الخلافة العثمانية ..

فيأتي في طليعتها الحفاظ على مسمى الخلافة الإسلامية ، وحمل مشعل حماية المسلمين ضد هجمات أعدائهم ، وتوحيد معظم ممالكهم الرئيسية في دولة واحدة قوية ، بعد أن كانت الخلافة قد تحولت لمسمي رمزي في مصر حيث كان الخليفة لا يسيطر حتى على قصره في ظل سلطان دولة المماليك منذ سقوط بغداد، بل حتى قبل ذلك عندما كان القادة الأتراك يسيطرون على مقدرات ما بقي من الخلافة في بغداد فيما كانت عشرات الممالك والإمارات المستقلة تتقاسم رقعة العالم العربي والإسلامي .

وأما الفضيلة الثانية لها ، فهي إنهاء دولة الروم البيزنطيين ، وتردد أصداء الأذان في عاصمة ملكهم (القسطنطينية) ، التي صار اسمها مدينة الإسلام (إسلام بول) ، والتي انبعثت منها رايات الفتح والجهاد لتُدخل الإسلام إلى ربوع أوربا الشرقية بكاملها (اليونان وبلغاريا ، ورومانيا والمجر، وبلاد الصرب والبوسنة والهرسك ...، فمدت دولة الإسلام إلى بلاد البلقان بكاملها ، ووصلت كما رأينا تفصيلا إلى وسط النمسا ، وشمال إيطاليا ، وملكت جزر المتوسط بكاملها ، وأخذت الجزية والضرائب من معظم عظماء ملوك أوربا في حينها . .

أما ثالث فضائلهم فلقد اعتبر العثمانيون أنفسهم حماة المسلمين ، واعتبر الخليفة العثماني واجب حمايتهم مسؤولية في عنقه ، فدافع عن شواطئ شمال إفريقيا من ليبيا وحتى مراكش ، وأرسل الجيش والمدد ، برئاسة وزير حربيته حتى إلى بلاد ما وراء النهر ليدافع عن بخارى و ترمذ و طشقند !!، وردت هجمات الصفويين عن العراق وشرق الأناضول ، وبلاد القفقاس . وطردت البرتغاليين من شواطئ البحر الأحمر وبحر العرب وبحر الهند ..

لقد وصلت الدولة العثمانية إلى أوج من الحضارة والسيطرة والقوة إلى مستوى لم تصل له دولة إسلامية في تاريخها ..، لقد تمكن العثمانيون من دك أسوار القسطنطينية بقنابل تزن أكثر من 2000(كيلو غرام) وترميها من الشاطئ الآسيوي لمسافة 2 كيلو متر !! وذلك أواسط القرن الخامس عشر ! وجابت أساطيل العثمانيين البحر المتوسط وما حوله من البحار ، و كانت تهاجم أساطيل الأوربيين و موانئهم أحيانا بأكثر من ألف سفينة محملة بالمدافع الثقيلة ! حتى استطاع خليفتها العثماني (السلطان عبد المجيد) في القرن الثامن عشر أن يسمي البحر الأبيض المتوسط : (بحيرة

عثمانية) . فلما سأله أحد الصحفيين الإنجليز مستغربا ذلك الاسم قائلا : (إذا كنت تعتبر المتوسط بحيرة عثمانية ! إذن ماذا تدعون البحر الأسود الذي تحيط مملكتكم وجيوشكم به ؟ فأجابه مبتسما : ذاك مسبح قصري على شوطئ إسلام بول!)

أما البحر الأحمر فقد اعتبره الأتراك العثمانيون حملة مشعل الإسلام (بحر الحرم)، وجعلوه محرما على السفن الصليبية حتى التجارية المدنية، كي لا يمر صليب من أمام مدينة جدة ، فيدنس الماء الذي يلمس شواطئها وهي في الحرم!! الله أكبر .. جدة هذه ..التي أطلقت البوارج الأمريكية تحت رعاية آل سعود اليوم صواريخ كروز منها على أفغانستان وبغداد من .. (بحر الحرم) أي البحر الأحمر.من شواطئها التي عمرها آل سعود بالملاهي ومرافق الفسوق .. وسبحان مقلب الأحوال .

ولقد كانت الهوية الإسلامية لراية العثمانيين ظاهرة ، رغم ما اعتراهم من البدع و الإنحرافات كما سنذكر لاحقا . وكانوا معظمين لشعائر الله ، مهتمين بحماية الحرمين ، والإنفاق على خدمتهما ، وحراسة سبيل الحجيج ،.. كما نشروا المساجد في كل الأصقاع التي وصلها سلطانهم ، وأوقفوا الأوقاف ، وبنوا التكايا ومنشآت الخدمات المختلفة ، و ما تزال آثارهم بطابعها المعماري التركي بارزة شاهدة في مشارق بلاد المسلمين ومغاربها .

وفي الوقت الذي كانت أوربا الشرقية مسرح معظم مواجهاتهم مع أوربا كما رأينا .. ازدهرت الحياة الإقتصادية والتجارية والصناعية تبعا لقوتهم وما فرضوه من الأمن والاستقرار..و صارت استانبول عاصمة الدنيا تليها في ذلك عواصم مصر والشام والحجاز ، وموانئ جزيرة العرب وشمال إفريقيا . وتحركت قوافل التجارة على الطرق التجارية القديمة (طريق التوابل ، وطريق الحرير) ، ونقلت البضائع من وإلى تلك العواصم ، لتنقلها سفن المسلمين إلى شواطئ المتوسط ، وحتى إلى موانئ أوربا .

ثانيا: المناحي السلبية في دولة الخلافة العثمانية :

إن أول سلبية تذكر لسلاطين بني عثمان الأتراك هي أن تسلل التشريع الوضعي إلى نظام الحكم ، على وجه التشريع والتقنين والحكم بغير ما أنزل الله ، قد حصلت في زمانهم ولأول مرة في تاريخ الإسلام والمسلمين . في حين كان ذلك قبلا من بعض فساق ملوك وأمراء المسلمين وبعض خلفائهم ، على وجه الاحتيال والتهرب والمراوغة . ولم يتجرأ أحد أن ينتقل للتشريع والتقنين ، إلى زمان العثمانيين . وقد بدأ هذا كما رأينا زمن سليمان القانوني ،بل منذ أيام الفاتح بشيء قليل إن صح ما روي في ذلك . وتطور بعد ذلك مع تسلل الضعف والإعجاب و الافتتان بأوربا لكثرة احتكاكهم بها . مما فتح باب التغريب وضياع الهوية ، وإفساد النخبة التي تولت في النهاية إسقاط الدولة .

ويشترك سلاطين بني عثمان مع من سبقهم من خلفاء وملوك وأمراء الدول والممالك الإسلامية السابقة بمعظم السلبيات التي طبعت قصور الحكم منذ تحول نظام الحكم من الخلافة إلى الملك عضوض ثم الملك جبري . ومن ذلك :

الصراع على الملك بين الأبناء والإخوة . وكثرة القتل والخلع بين الإخوة ومن التف حمل كل واحد منهم من حاشية السوء . إلا أن سلاطين العثمانيين زادوا على ذلك رذيلة لم يسبقهم إليها أحد من المتصارعين على الملك في تاريخ المسلمين ؛ إلا وهي بدعة قتل إخوة السلطان عند توليه ، و اجتثاثهم جميعا حتى الرضع !! وذلك بدعوى تلافي فتنة منافسة الخليفة على الملك مما يفسد الدولة ويضعفها أمام أعدائها ! وقد وجد السلاطين بحسب ما ذكر بعض المؤرخين من بعض شياطين الإنس من يفتيهم أن لهذا حجة في قوله تعالى (والفتنة أشد من القتل) ! فهم يرتكبون قتل الإخوة خوف فتنة الخلاف والفرقة !!

تدخل الأمهات الأجنبيات في صراعات القصر ، وزاد الطين بلة أن العديدات منهن كن من بنات ملوك الكفار أو من صفيات السبايا بين روسية وصربية وإيطالية ...، اللواتي عملن لصالح بلادهن وزاحمن إخوة أولادهن على ولاية العهد .

البذخ والترف والاستكثار من القصور والفرش والرياش ، والمطابخ والحمامات الملكية ، ولقد تيسر لي أن أزور بعض تلك الآثار في استانبول حيث يرى الناظر العجب العجاب من بقايا آثارهم التي سرق أنفسها في العهد الأتاتوركي .

الأثرة وظلم الرعايا وكثرة المكوس والضرائب التي فرضها الضامنون لمهمات جمع الضرائب والمتصدرون لشؤون العامة ، وقد زاد هذا في أواخر الدولة بتحولها إلى النظام الإقطاعي ، حيث أقطع السلطان (الباشاوات) و(البيكاوات) الأراضي ، فملكوها بمن عليها من الزراع والفلاحين وساموا الناس خسفا وظلما سارت بأخباره الركبان ،

وصار مادة للمسلسلات والأفلام فيما تتالى من أيام حتى وصلت إلى (غوار الطوشة!) .

ولقد كان للمرحلة العثمانية سلبيات خاصة بها فوق ما اشتركوا به مع غيرهم ، من السلبيات آنفة الذكر. ومن ذلك :

أن اتجاههم الحضاري كان أحاديا وتجلى بالمنحى العسكري ..، ولم يولوا المناحي الأخرى للتقدم الحضاري في مجال العلوم الإسلامية والتطبيقية ، ومجالات الفكر والأدب .. أهمية ، فطبع العالم الإسلامي بالجهل والتخلف فمنذ القرن السبع عشر ' فيما كانت أوربا تشهد التحول الكبير في ثوراتها الفكرية والسياسية والاجتماعية ، والصناعية . مما أوجد هوة حضارية بين الشرق والغرب ساهمت في انتقال راية الحضارة البشرية من شرقنا إلى غربهم .

التخلف الديني ، والتقوقع والتعصب المذهبي (إذ حكم الأتراك وتعصبوا لمذهب الإمام أبي حنيفة رحمه الله) ، في حين أنهم حكموا رقعة إسلامية تتعدد مذاهبها الأصيلة في المسلمين . كما شهدت مرحلتهم ، تشجيعا للتصوف ومدارس الدراويش ..فقد كان سلاطين العثمانيين ، وشيوخ السلاطين من الصوفية ..، وقد ساعدت أجواء التخلف والفقر والظلم التي طبعت تلك الفترة الناس على الاندفاع وراء الطرقية الصوفية فرارا من واقعهم المرير، وزادت الصوفية الأمة جهلا على تخلف ولاسيما في ثلثها الأخير .

العنصرية التركية ، والتي وجدت منذ البداية ، حيث تولى الأتراك معظم المناصب الهامة ، والغريب أن الإهمال للعنصر العربي ، والعناصر العرقية المشرقية الأخرى كان ملحوظا في حين تمكن بعض المسلمين من البلاد الغربية المفتوحة أن يجدوا فسحة في المناصب . وقد أوجد هذا هوة بين العثمانيين والمكون الأساسي للأمة الإسلامية عددا وأهمية وهم العرب . وقد زادت حدة هذه الظاهرة في الطور الأخير من الخلافة العثمانية عندما وجدت الفكرة القومية – بعد الثورة الفرنسية – طريقها إلى المفتونين من الترك والعرب على حد سواء،،وبرزت القومية الطورانية (التركية) بحدة ، وتسلم جبابرتها من الماسون واليهود مقاليد الأمور ، فأوجدوا المبرر للمتآمرين من ماسون العرب ، ومن المغرر بهم من المثقفين ، ومن الطامعين بالملك ، أن يرفعوا نعرتهم القومية العربية أيضا . وكان هذا أكبر المعاول التي هدمت صرح الخلافة .

وهكذا تجمعت السلبيات رغم ما أسلفنا من الإيجابيات العظيمة لترسم النتيجة المحتومة بقدر الله . ويمكن تلخيص مجمل أسباب السقوط بالنقاط التالية باختصار .

ثالثاً : الأسباب العامة لانهيار الدولة العثمانية :

دخول التشريع الوضعي على الشريعة الإسلامية بدعوى التقين والتنظيم وهبوب رياح التغريب جراء الإعجاب ببهارج الحضارة الغربية ، وهذا من أهم أسباب ضياع المسلمين قديما وحديثا .

الترف والبذخ في حياة السلاطين ، ولقصور الحاشية .ورجال الأجهزة الحكومية وكبار طبقات المجتمع وهو ثاني أهم أسباب انهيار الممالك والدول .

الظلم والطغيان والنظام الاستبدادي الفردي الفئوي القومي . وكثرة المكوس على الرعية .وتفشي النظام الإقطاعي بأسوأ صوره وسيئاته . وتفشي الطبقية في المجتمع. وهو ثالث أهم أسباب الزوال والبوار .

الجمود الفكري والفقهي والديني، والتقوقع المذهبي، والاتجاه الأحادي العسكري للحضارة العثمانية على حساب المناحي الحضارية الأخرى.

تدخل قناصل وسفارات الدول الأجنبية في شؤون البيت العالي (ديوان الخلافة) ودعم الأقليات لاسيما النصرانية للعبث بوحدة الدولة.

طغيان الشعور القومي لدى الأتراك . واعتماد سياسة التتريك والتميز العنصري وقمع القوميات ولاسيما في البلاد العربية.

سيطرة يهود الدونمة والماسون على إدارة الدولة في الثلث الأخير من حياة الدول العثمانية ولاسيما القرن الأخير.

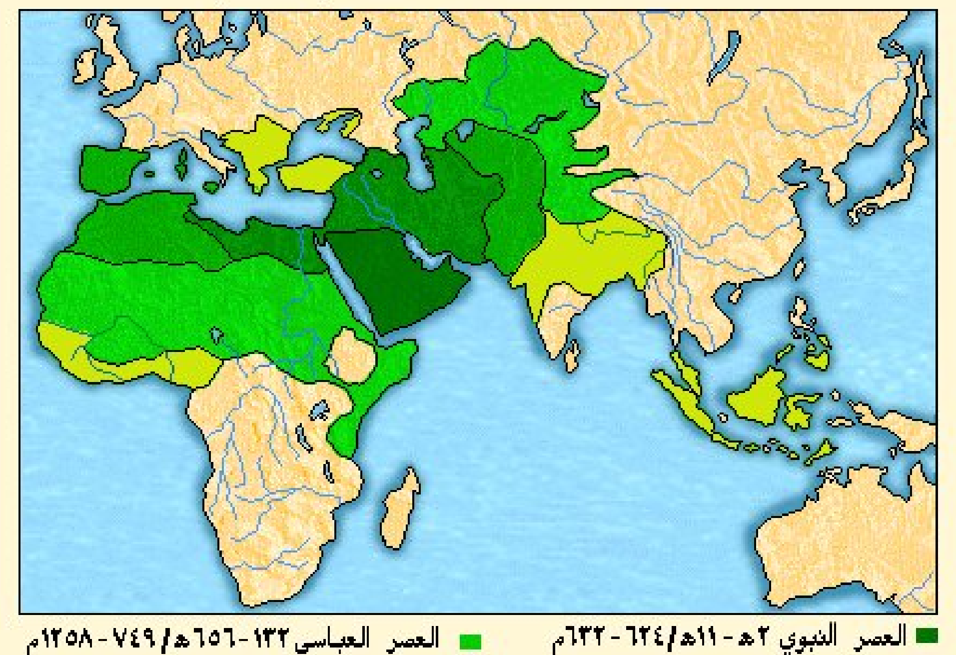
تفشي روح الشعوبية والقومية لدى العرب وغيرهم كرد فعل على سياسة التمييز التركي. والاتجاه لمقاومة الخلافة العثمانية ، ومحاربتها ومعاونة الإنكليز عليها !.

افتتان نخبة الطبقة السياسية ، والعسكرية ، والثقافية والفكرية في الدولة العثمانية عامة بالحضارة الغربية ، وسعيهم لتقليدها ، وفقدان روح العزة الإسلامية

وأخيراً السبب الخارجي :

وهو تآمر الدول الأوربية وخاصة **الإنكليز والروس والفرنسيين** والطليان وغيرهم . وتعاونهم مع اليهود وإصرارهم على إسقاط الدولة العثمانية وتحالفهم ضدها. من أجل إيصال اليهود إلى فلسطين ، وتقاسم الأوربيين ولاسيما تلك الدول الثلاثة لإرثها . وتقطيع أوصال العالم الإسلامي والعربي وابتلاعه .

مراحل انتشار الإسلام في العالم



استعراض لأحوال دول وممالك العالم العربي والإسلامي
منذ انهيار الخلافة العثمانية

(منذ 1214هـ - 1800م وإلى 1425هـ - 2004 م)

أعتقد أنه حتى تكتمل الفائدة ويتحقق الغرض المقصود ، من سرد خلاصة التاريخ الإسلامي في مقدمة بحث غرضه التأسيس لدعوة مقاومة إسلامية عالمية ، يقودها طلائع واعية مستوعبة لعقيدتها الجهادية ، فاهمة لمعطيات واقعها ، مدركة لدروس تاريخها . أن من المفيد أن نختم هذا الفصل التاريخي بخلاصة تاريخ ما حل ببلدان العالم العربي والإسلامي بعد انفراط عقد الخلافة . وهو ما يصطلح عليه بالتاريخ الحديث

للعرب والمسلمين . ورغم أن أكثر تلك الأحداث المأسوية قد حل بالمسلمين بعد انفراط عقد الخلافة العثمانية وتناهب الغرب الأوربي وروسيا لتركتها وذلك بعد سقوطها الرسمي بعد الحرب العالمية الثانية وخسارتها إلى جانب ألمانيا لتلك الحرب .

إلا أن تلك الأحداث التي تعتبر الجولة الثانية من الحملات الصليبية ، كانت قد بدأ ت قبل ذلك حيث قضمت البلاد الأوربية الاستعمارية ما استطاعت من بلدان المسلمين في الأطراف البعيدة للعالم الإسلامي وقد بدأ ذلك منذ القرن السادس عشر ، إلا أنه يمكن التأريخ لبدايته الجدية منذ حملة نابليون على مصر سنة 1798ميلادية ، وهو التاريخ الذي يوافق بدايات الضعف والتقهقر في الخلافة العثمانية كما رأينا آنفا .

ونظرا لعدم تمكني من المراجع المعاصرة و أنا أخط هذا البحث في مرحلة المخابئ ، حيث لا تتوفر لي الكتب اللازمة .. و نظرا لعدم توفر المراجع التي كنت أتمناها ولاسيما كتاب (موسوعة التاريخ الإسلامي) للأستاذ المؤرخ العبقري محمود شاكر- رحمه الله – حيث أرخ لسائر بلاد المسلمين منذ انطلاق دولة الإسلام وإلى مطلع الثمانينات من القرن العشرين . وغيره من الكتب التاريخية المتخصصة في التاريخ السياسي المعاصر.. فلذلك ستكون هذه الفقرة موجزة أعتمد في جلها على ما علق في ذاكرتي مما قرأت أو درست. أو مما عشته وشهدته من تاريخنا خلال هذا الربع الأخير من القرن العشرين . وهي صفحات ربما يكون من الأفضل أن نصفها بأنها قاسية مريرة حتى نفر من وصفها بأنها سوداء.، ولو قلنا ذلك لما عدونا الواقع .

وإن كنت أعتقد أنه سواد ليل أذن بالرحيل إنشاء الله ، حيث ألمح انبعاث طلائع من الشباب المجاهد الظاهرين على الحق ، ينسجون بأشلائهم خيوط الفجر ليشرق صباحه المنير قريبا- إن شاء الله – في سماء عالمنا العربي والإسلامي الكبير ..

وما هذا السهر الدؤوب الذي أستعين الله عليه في كتابة هذا البحث الكبير منذ ثلاثة سنين ،ونحن في مرحلة الخوف والتنقل والاختفاء هذه .. إلا مساهمة متواضعة في حياكة حصة متواضعة في نسيج ذلك الفجر العظيم المنشود ، القادم لا محالة بإذن الله .

وأسأل الله الإخلاص والقبول ، وخاتمة بالشهادة في سبيل الله . بعد أن نشهد إطلال إشراقاته الأولى لننعم بدفئ وضياء ذلك النور ، بعد أن تطاولت علينا عقود ذلك الليل البهيم شديد الظلمة قاسي الصقيع .

وسأسرد خلاصة ذلك التاريخ الحديث على قسمين ، بلاد العالم العربي ، ثم أهم بلاد العالم الإسلامي . وسأبدأ بالعالم العربي مسلسلا الدول من المشرق إلى المغرب . ومن آسيا إلى إفريقيا .فقد تفتت العالم العربي إلى اثنتين وعشرين دولة ! قابلة للزيادة هذه الأيام بحسب برامج جورج بوش ! وتجاوز عدد الدول الإسلامية خمسا وخمسين دولة !! . وليس هذا لدخول مزيد من الدول في الإسلام بالطبع ، وإنما لتقسيم قصعته على مائدة المستعمرين شذر مذرا!

أولا : العالم العربي :

- العراق :

كان العراق ولاية عثمانية منذ عام (922هـ - 1516م) وحتى (1335هـ - 1917م) ، وتنافست على احتلاله ألمانيا وفرنسا وإنجلترا ، فبعد تحقيق الوحدة الألمانية ، اتجهت ألمانيا إلى سياسة التوسع شرقا على حساب الدولة العثمانية المنهارة ، و يتضح ذلك في مشروعها الخاص بمد سكة حديد برلين – بغداد.

وقد أدركت بريطانيا خطورة النفوذ الألماني فتصدت لمواجهته نظرا لتهديده الوجود البريطاني في الخليج.

ولما اندلعت الحرب العالمية الأولى سنة (1332هـ - 1914م) بدأت القوات البريطانية تتحرك من الهند لاحتلال العراق منتهزة فرصة انضمام الدولة العثمانية إلى ألمانيا ، ونجحت هذه الجيوش في الاستيلاء على الفاو والبصرة وسيطرت تدريجيا على جنوب العراق سنة (1333هـ 1915م) . وفي سنة (1335هـ - 1917) احتلت بغداد والموصل وأعلنت بريطانيا نهاية تبعية العراق للدولة العثمانية.

وفي مؤتمر (سان ريمو) سنة (1338هـ - 1920م) تقرر وضع العراق تحت الحماية البريطانية .

أما عن تطور الحركة الوطنية العراقية ، فقد بدأت من قبل أعضاء (جمعية العهد) الذين عقدوا اجتماعا بدمشق أعلنوا فيه استقلال العراق واتحاده مع سوريا سياسيا واقتصاديا كما قاموا بتحركات عسكرية على الحدود السورية العراقية.

ولبى العراقيون في الداخل نداء المقاومة وقاموا بثورة سنة (1337هـ - 1920م) التي امتدت من الموصل إلى البصرة وشارك فيها سائر القبائل والطوائف ولم يبق في أيدي الإنجليز سوى البصرة وبغداد والموصل.

وكانت بريطانيا قد توجت الأمير فيصل بن الشريف حسين ملكا على العراق وذلك في عام (1339هـ - 1930م) فعمل على تحقيق الاستقلال عن طريق المفاوضات وعقدت معاهدة (1350هـ -1932م) فحصلت العراق بمقتضاها على بعض المكاسب منها قبول العراق عضوا في عصبة الأمم سنة (1350هـ - 1932م).

وعندما قامت الحرب العالمية الثانية سنة (1375هـ - 1939م) رأت بريطانيا الفرصة سانحة لتستفيد من امتيازات معاهدة (1348هـ - 1930م) وذلك باستعمال قواعد المواصلات العراقية وبعض القواعد العسكرية مما جعل الوضع بالعراق يزداد توترا إلى أن انفجر بثورة رشيد عالي الكيلاني سنة (1359هـ - 1941م) بالعراق.

وتفجر الصراع العسكري بين الإنجليز والعراقيين الذي انتهى بهرب رشيد عالي الكيلاني خارج العراق كما نجحت بريطانيا في استمالة الأمير عبد الإله ونوري السعيد لتنفيذ مخططاتها في دعم نفوذها بالعراق.

وفي سنة (1364هـ - 1944م) جرى تشكيل خمسة أحزاب عراقية تبنى بعضها معارضة السياسة البريطانية في العراق لكن استطاعت بريطانيا حلها.

وفي (1374/5/8هـ - 5إبريل سنة 1955م) أعلن قيام (حلف بغداد) بين العراق وتركيا ثم انضمت إليه بريطانيا وإيران وباكستان والولايات المتحدة الأمريكية ، فكان ذلك نوعا من عزل العراق وبعض البلدان العربية عن التيار العربي التحرري الذي راج آنذاك.

ولمواجهة الحلف تشكلت لجنة وطنية من القوى القومية والشيوعية تصدت لقيادة الحركة الوطنية ، وانتهت جهودها إلى تفجير ثورة (1377/7/10هـ - 14يوليو سنة 1958م) التي أطاحت بالنظام الملكي وأعلنت الجمهورية .

سنة (1965) استولى (حزب البعث العربي الاشتراكي) على السلطة عبر الإنقلاب في العراق . ونصب (أحمد حسن البكر) رئيسا للعراق . وبعد ثلاث سنوات تمكن رجل حزب البعث النافذ (صدام حسين) نائب الرئيس البكر من إزاحته بهدوء وتولى رئاسة العراق . وابتدأ عهده بتصفية كافة مراكز القوى في الحزب والدولة بالبطش والإعدامات الدموية ، حتى سيطر بمفرده على الحكم كواحد من أقوى رؤساء الأنظمة العربية الديكتاتورية وأكثرهم بطشا وجبروتا . وقد تميزت فترة حزب البعث في العراق – كما في سوريا – بتصفية كافة الاتجاهات السياسية الأخرى . واتبعت نهجا علمانيا إلحاديا يساريا مواليا لموسكو . و قد حارب صدام البعث الإسلام والإسلاميين وبطش بهم

وسار بالعراق على طريق الكفر والظلم والطغيان ، ولكن الذي يحسب لصدام أنه سعى لبناء دولة قوية متطورة علميا وتكنولوجيا ، وأسس جيشا قويا كثير العدد موفور العتاد ، وطور الصناعات العسكرية ولاسيما الصاروخية ، بل طمح لأن يمتلك القدرات النووية . وشهد العراق في عهده الديكتاتوري الدموي نهضة عمرانية وازدهارا اقتصاديا مستفيدا من الموارد النفطية الهائلة للعراق .

وبعد الثورة الشيعية الخمينية التي أطاحت بشاه إيران ، تبنت إيران مبدأ تصدير الثورة للدول العربية والإسلامية ، وحركت القوى الشيعية التي كان صدام قد اضطهدها كغيرها بقسوة . فبطش صدام بالشيعة ونكل بهم بوحشية . واستغلت أمريكا الحال بين الجارتين القويتين ونجحت في إشعال حرب ضروس بينهما اتهمت كل دولة فيها الأخرى بالتسبب في بدء الحرب التي استمرت من (1979) وإلى (1987) ودمرت موارد البلدين . ولكن العراق خرج بتجربة عسكرية كبيرة وطور جيشه . واستغلت أمريكا النزعة التوسعية لدى صدام ، واستدرجته السفيرة الأمريكية وزينت له احتلال الكويت . فتورط في حرب الخليج الثانية واحتل الكويت بسهولة سنة 1990، وبذلك بلع صدام الطعم الذي وضعته له أمريكا ليكون عذرها الواهي للتواجد الاستعماري في المنطقة . وهكذا زحفت أمريكا مع جيوش حلفائها بنحو مليون جندي لتحرير الكويت وإنقاذ أصدقائها من حكام الخليج كما ادعت وادعى أولئك الحكام الخونة . وأسفرت الحرب سنة 1991 عن تدمير الجيش العراقي ، و تركيع حكام الخليج وابتزاز مخزونهم المالي في بنوك أمريكا ، ووضع الأمريكان قدمهم في المنطقة . وفرضت أمريكا حصارا ظالما على الشعب العراقي بحجة احتواء نظام صدام ، وعبر 13 سنة من الحصار الوحشي قتل أكثر من مليون ونصف من الأطفال لانعدام الغذاء والدواء عدا ما هلك من الرجال والنساء ، فضلا عن الحرب التي قتل فيها أكثر من 300 ألف عسكري ومدني تحت القصف الأمريكي الوحشي ! وبعد أن تأكدت أمريكا من انهيار العراق ونظامه ، نفذت الحلقة الثانية من البرنامج اليهودي الصليبي واحتلت العراق كاملا بشكل مكشوف في حرب الخليج الثالثة التي أسمتها حرب تحرير العراق وذلك بعد أن سهل لها ذلك لفيف من المعارضين العراقيين الذين ربتهم أمريكا وبريطانيا عبر سنوات الحصار وكان في طليعتهم القوى الشيعية التي تمركزت في إيران بالإضافة لقوى أخرى ، حيث أوصل صدام الشيعة والقوى الأخرى ببطشه إلى الاستعداد للتعاون مع الشيطان للإطاحة به ، وتداخلت المسائل السياسية المتشابكة – وليس هنا محل استقصائها – لتكون بداية البرنامج الإستعماري الكبير الذي تجتاح به أمريكا وحليفتها بريطانيا الشرق الأوسط برمته من بوابة العراق ، بعد أن احتلت أفغانستان وفرضت نفسها كقوة استعمارية إمبراطورية جديدة على العالم بأسره . وهكذا سقط نظام صدام وحكم البعث الذي استمر زهاء 35 سنة . لتتولى هذه الأيام حكومة عميلة معينة من قبل أمريكا حكم العراق الذي يعيث فيه فسادا أكثر من 150 ألف جندي أمريكي ، ونحو 50 ألف جندي بريطاني عدى جيوش بقية الحلفاء الصليبيين .

سوريا :

بقيت سوريا خاضعة للحكم العثماني نحو 400 سنة . ومع تهلهل أحوال الدولة العثمانية بدأت بذور العمل التحرك القومي العربي في سوريا من جراء دسائس تلاميذ المستشرقين الصليبيين ، ومعظمهم من النصارى ، حيث لاقت أفكارهم رواجا نتيجة سياسة (التتريك) التي اتبعها الماسون الذين استولوا على الدولة العثمانية في أواخر عهدها . وقد بدأ النشاط القومي في صور جمعيات ثقافية الطابع داخل سوريا وخارجها نذكر منها جمعية النهضة العربية التي أسست في دمشق سنة (1324هـ -1906م) وجمعية العربية الفتاة التي أسست سنة (1329هـ - 1911م) في باريس وانتقلت لدمشق وبقيت بها حتى سنة (1337هـ - 1920م) . ثم عقد في باريس المؤتمر العربي الأول سنة (1331هـ -1913م) والذي مثل اتحادا عربيا ضمن إطار القومية العربية .

أعقب هذا المؤتمر محاولة الأتراك للتقرب من العرب ، واستجاب لهم العرب في محاولة لصد أخطار المطامع الأوروبية . لكن حركتي (التتريك) و (القومية العربية) كانتا تمضيان قدما ، ولم يكن من المستطاع التوفيق بين قوميتين في نطاق دولة واحدة . ومنذ ذلك الوقت حدث انفصام بين الأمتين وساد سوء الظن . وعندما قامت الحرب العالمية الأولى سنة (1332هـ/1914م) دخلت تركيا الحرب إلى جانب ألمانيا؛ وهنا قامت ما يعرف بالثورة العربية الكبرى على تركيا ، حيث قادها الأمير حسين بن علي والي الحجاز ضد الأتراك ، حيث خدعه البريطانيون فتحالف معهم . واشترك معه أهل الشام . وانتهت الحرب العالمية بهزيمة ألمانيا وحلفائها ، وانتصار بريطانيا وفرنسا اللتان قسمتا المنطقة فيما بينهما بموجب اتفاقية سيكس – بيكو ، ووعد بلفور الذي منح فلسطين لليهود .

وفي عام (1338هـ/ 1920م) عين المؤتمر السوري العام فيصل بن الحسين ملكا على سوريا. وفي نفس السنة صدرت قرارات مؤتمر سان ريمو الذي كان من بين قراراته أن توضع سوريا تحت الانتداب الفرنسي ، ووجهت فرنسا إنذارا للملك فيصل تطلب منه قبول الانتداب الفرنسي وتسريح الجيش السوري خلال 48 ساعة.

وقبل انتهاء الإنذار زحفت القوات الفرنسية إلى دمشق ؛ فأعلن الملك فيصل الجهاد ؛ و هاج الشعب والتف حول حكومته والتقى الجيش الفرنسي بالجيش السوري والمتطوعين بقيادة وزير الدفاع يوسف العظمة في معركة ميسلون البطولية في يونيو (1338هـ -1920م) ولكنها انتهت بانتصار الجيش الفرنسي ليحتل دمشق ومن ثم سائر المدن السورية.

وعلى إثر ذلك غادر الملك فيصل دمشق وسيطر الفرنسيون على البلاد سيطرة كاملة ، واتبعت فرنسا سياسة طائفة فقسمت سوريا إلى أربع دويلات هي: دمشق ، وحلب ، ودولة العلويين ، ودولة الدروز.

ولم يستسلم السوريون لهذه التدابير ؛ فقامت بعض حركات المقاومة . وفي سنة (1343هـ /1925م) ثار الدروز على الفرنسيين ثم امتدت الثورة إلى حماة ودمشق ، وانتصر الثوار في عدة معارك لكن الفرنسيين قمعوها بوحشية .

وأمام ضغوط الثوار وافقت فرنسا على تشكيل حكومة وطنية بدمشق حاولت عن طريق المفاوضات عقد معاهدة تنص على تكوين جيش وطني وإصدار دستور للبلاد ، لكن المقيم الفرنسي عمل على حل الحكومة سنة (1348هـ /1930م).

شكلت فرنسا حكومة عقدت معها معاهدة سنة (1354هـ /1936م) . ثم اعترفت فرنسا بمنح سوريا استقلال مشروطا.

ولما قامت الحرب العالمية الثانية سنة (1357هـ /1939م) أعادت فرنسا الحكم العسكري في سوريا ، وأدى استمرار المقاومة الوطنية والتنافس البريطاني الفرنسي إلى إجبار فرنسا على منح سوريا الاستقلال سنة (1359هـ /1941م). مع بقاء قواتها فيها .

وفي سنة (1361هـ /1943م) تم انتخاب (شكري القوتلي) رئيسا للجمهورية السورية المستقلة ثم اضطرت فرنسا إلى سحب قوتها من سوريا سنة (1365هـ/1946م) ليكتمل تحريرها واستقلالها.

بعد الإستقلال قامت في سوريا سلسلة من الانقلابات العسكرية بمؤامرات وتخطيط ودعم من السفارة الأمريكية في دمشق . وفي سنة 1958 قامت الوحدة بين مصر وسوريا في عهد جمال عبد الناصر ، ثم انفصلت سوريا عن مصر ، بانقلاب عسكري بعد ثلاث سنوات على الوحدة ! ثم جاء الدور على (حزب البعث العربي الاشتراكي) ليقوم بانقلاب 8 آذار 1963 . وكان جل قيادات الحزب من الطوائف غير الإسلامية ، فكانوا من النصارى والدروز والإسماعيلية و النصيرية ..، وقد أعلن البعثيون الكفر والإلحاد وحرب الإسلام بلا خفاء ولا مواربة ، كما انفردوا بالسلطة وبطشوا بالقوى السياسية الإسلامية والقومية واليسارية الأخرى . ثم انقسموا على بعضهم ، وأعدم بعضهم بعضا ، وقام انقلاب سنة 1965 على الرئيس (أمين الحافظ) ذي الأصل السني ، ليزداد نفوذ النصيرية والدروز في الحكم . وفي 5 حزيران من سنة 1967 خسرت سوريا ومصر الحرب مع إسرائيل وهزمتا هزيمة منكرة ، واحتلت إسرائيل مرتفعات الجولان من غير قتال ، حيث تولى وزير دفاع سوريا آنذاك (حافظ الأسد) بيع الجولان لإسرائيل واشتهرت قصة الفضيحة دوليا وإقليميا . ومن ثم كوفئ حافظ الأسد و النصيرية بتسليمهم مقاليد الحكم في سوريا بدعم من القوى العالمية والصهيونية . وكان ذلك بعد آخر الانقلابات في سوريا ، وهو ما سمي بالحركة التصحيحية ، يقصدون تصحيح مسار حزب البعث !

ومنذ ذلك الوقت تحكم الطائفة النصيرية سوريا حكما طائفيا استبداديا .

حكم حافظ أسد سوريا خلال (1970- 1998) . حكما عسكريا استخباراتيا بقبضة من حديد ، وبطش بكل همسة معارضة لحكمه من أي هوية سياسية كانت ، وضعف نفوذ البعثيين المرتدين المنحدرين من أصول الطائفة السنية التي تشكل 80% من سكان سوريا . وسارت البلاد في دروب الكفر والإلحاد والعلمنة بوتيرة متسارعة ، كما دب الفساد والرشوة في كافة مفاصل الحياة السياسي والإدارية والقضائية والاقتصادية، وذاق الشعب فيها ألوان العذاب !

قامت في سوريا ثورة إسلامية مسلحة على نظام حافظ أسد بقيادة الشيخ مروان حديد ، وامتدت أحداثها من (1973) إلى (1983) . ولاقت انتشارا في صفوف المسلمين السنة ، ولكن النظام بطش بالشعب بقسوة وبكافة ألوان الإسلاميين ولاسيما بالجهاديين ، وبالإخوان المسلمين ، وامتد عدوانه لكل ما يمت للإسلام بصلة، حتى دوهمت المساجد ومزقت المصاحف ، وقتل المصلون ... وفي فبراير 1982 بلغت الثورة أوجها وتركزت في مدينة حماة ، فقام النظام النصيري البعثي بدك المدينة بالمدافع والطائرات وقتل أكثر من (50 ألف مسلم) خلال 14 يوما ! وسط صمت إعلامي دولي مريب عجيب . و تابعت الحكومة الاعتقالات التي كانت قد اشتدت منذ 1979 وأعدم في السجون أكثر من 25 ألف مسلم في حملات إعدام ومجازر منظمة ! دفن أصحابها في مقابر جماعية . وانتهت الثورة (راجع كتاب الثورة الإسلامية الجهادية في سوريا، وكتاب المسلمون و النصيرية في بلاد الشام – للمؤلف).

أراد حافظ الأسد تولية ابنه باسل لخلافته في رئاسة الجمهورية ، ورتب ذلك مع أمريكا والقوى الإقليمية، وفي طليعتها إسرائيل ، ولكن باسل هلك فجأة في حادثة سيارة كما قيل ، فرتب استخلاف ابنه بشار على عجل مع نفس القوى ، وحضرت وزيرة خارجية أمريكا ، اليهودية الشمطاء (أولبريت) إلى دمشق وأشرفت على تصويت البرلمان السوري على تعديل الدستور بالإجماع خلال 40 دقيقة . وعلى نقل ولاية العهد لبشار الذي مازال يحكم سوريا عبر أجهزة الإستخبارات التي أسسها أبوه إلى اليوم .

لبنان :

كانت لبنان جزءا من بلاد الشام التي كانت ولاية عثمانية ، ولما تقاسمت بريطانيا وفرنسا الشرق الأوسط ، خرجت لبنان في حصة فرنسا باعتبارها جزءا من سوريا ، ولكن فرنسا أعطت لبنان وضعا خاصا لوجود طائفة مسيحية كبيرة فيه ، أرادت فرنسا الاعتماد عليها في نفوذها في المنطقة . ولما قسمت فرنسا سوريا إلى عدة دويلات ، كانت لبنان إحدى لك الدويلات ، فوضعت لبنان تحت الانتداب الفرنسي تطبيقا لمعاهدة (سان ريمو) وبدأ الجنرال غورو إعادة تقسيم سوريا ولبنان ، وفي أغسطس سنة (1338هـ/1920) صدر قرار بإعلان قيام دولة لبنان ، كما أعلن استقلالها عن سوريا ، ثم اقتطعت فرنسا أجزاء من الأقاليم المجاورة لإقليم لبنان وألحقتها به وأسمته (دولة لبنان

الكبير!!).علما أن هذا (الُبنان الكبير)!! بلغت مساحته بعد ما ألحق به (10 آلف كم مربع فقـط) !

ثم قام الفرنسيون باستغلال لبنان ، وعمدوا إلى تمزيق شمل المواطنين والـدس بيـنهم لتمكـين أقدامهم في البلاد ، لكن بعض اللبنانيين لم يستكينوا لفرنسا فقامت بعض الثورات مـن حـين لآخـر ؛ ومن أشهرها ما حصل في سنة (1338هـ/1920م) ثورة جبل عامل التي أخمـدها الفرنسـيون. ولكـن الفرنسيين اعتمدوا على ولاء النصارى الموارنة لبسط نفوذهم .

ثم توالت الثورات وتلاقت مع ثورات سوريا خاصة في ثـورة عـام (1343هــ/1925م) في جبـل الدروز. ثم حكم الفرنسيون بعد ذلك لبنان حكما مباشرا وإن أوجدوا مجلسـا تمثيليـا – حتـى عـام (1344هـ/1926م) حيث أعطوا البلاد دستورا. وتم انتخـاب رئـيس للجمهوريـة اللبنانيـة هـو شـارل دبَّاس الذي بقى حتى وفاته سنة (1350هـ/1932م).

وفي سنة (1351هـ/1933م) تم تعيين حبيب باشا السعد رئيسا جديدا ثم تبعه عـام (1936م) إميـل أده. وفي سـنة (1355هــ/1937م) تـم الاتفـاق بـين فرنسـا واللبنـانيين عـلى أن يكـون رئـيس الجمهورية ، مارونيا ورئيس الوزراء مسلما سنيا.

وعندما قامت الحرب العالمية الثانية عبثت السلطات الفرنسية بالنظـام السـياسي والإداري في لبنان ، وعملت على انتشار الفساد في البلاد.

وفي سنة (1354هـ/1936م) تقـدم الشـيخ محمـد توفيـق خالـد مفتـي المسـلمين إلى المفـوض السامي بعدة مطالب لتحقيق الإستقلال الشامل والاعتراف بسيادة لبنان ووحدته مع سوريا ، بيـنما تقدم بطرس عويضة زعيم الطائفة المارونية بمطالب تهدف إلى تحقيق الاستقلال والسيادة ، وتوطيد العلاقات مع سوريا ، ووضع دستور للبلاد.

وفي سنة (1361هـ/1943م) تشكلت حكومة تمثل الطوائف الرئيسية في لبنان وهي: (الموارنـة ، والسنة ، والشيعة ، والروم الأرثوذكس ، والروم الكاثوليك ، والدروز) معبرة في ذلك عن شكل مـن الوحدة الوطنية وكان رئيس الجمهورية (بشارة الخوري). ثـم أعطـت فرنسـا لبنـان الاسـتقلال سـنة (1364هـ/1945م) وتم جلاء القوات الفرنسية عن لبنان سنة (1365هـ/1946م).

استمر الاضطراب الطائفي في دويلة لبنان الإصطناعية !، وانفجرت الحرب الأهلية بين الموارنـة والطوائف الإسلامية والملحقة بالإسلامية والقومية سنة 1958 . وسكنت الأحداث لتنفجر ثانية سـنة 1975 بـين تحـالف النصـارى الموارنـة المدعومـة مـن إسرائيـل علنيـا ، والقـوى القوميـة والإسـلامية والفلسطينيين المقيمين في لبنان ، ودخل النظام النصيري بإجـازة أمريكيـة في الحـرب بـين الأطـراف ، ونفذ الجيش السوري بالتعاون مع الطيران الإسرائيلي مذبحـة مخـيم تـل الـزعتر الفلسـطيني وقتـل زهاء 50 ألف نسمة في تلك المذبحة ! ثم أحدث النصيرية مذبحـة أخـرى في المسـلمين في طـرابلس

شمال لبنان ، ونمت قوة الطائفة الشيعية و النصيرية اللبنانية خلال تلك الحرب بدعم من سوريا وإيران ... ودمرت الحرب الأهلية لبنان وهلك زهاء مأتي ألف من مختلف الطوائف ، . ثم تدخلت إسرائيل علنيا و زحفت جيوشها برئاسة شارون آنذاك واحتلت بيروت ! ونفذت مجازر مهولة فى الفلسطينيين في سنة 1982 وخاصة فيما عرف بمذابح صبرا و شاتيلا . وأجبرت المنظمات الفلسطينية على الرحيل من لبنان .

ثم عقد مؤتمر القمة العربية في الطائف وأرسى دعائم اتفاق هش ، أطلق فيه يد سوريا في لبنان بإجازة أمريكية إسرائيلية .،، والآن وبعد احتلال العراق ، تغير البرنامج الأمريكي الصهيوني حيث تعيد أمريكا ترتيب خريطة المنطقة ، لتطالب سوريا برفع يدها عن لبنان ، حيث يبدوا أن الطوائف وعلى رأسها الموارنة سيلعبون دورا جديدا في برنامج بوش لإعادة تقسيم ما قسمته سيكس بيكو ورسمها من جديد وإعادة تقسيمها وتركيبها تحت المجهر .

فلسطين :

لفلسطين منزلة كبرى عند المسلمين نظرا لوجود بيت المقدس ثاني الحرمين وأولى القبلتين ، وقد اتفق الشريف حسين بن علي مع بريطانيا على أن تكون فلسطين ضمن الدولة العربية الكبرى التي وعدوه بها قبل الحرب العالمية الأولى ، لكن بريطانيا كانت تريد ضمها إلى إمبراطوريتها لإعطائها لليهود بموجب وعد بلفور سنة الصادر سنة (1335هـ/1917م) والذي تعهدت فيه بريطانيا بتبني قرار المؤتمر الصهيوني الأول سنة (1314هـ/1897م) بأن تكون فلسطين وطنا قوميا لليهود.

انتهت الحرب العالمية الأولى بانتصار الحلفاء – ومنهم بريطانيا – وتم وضع فلسطين تحت الانتداب البريطاني سنة (1338هـ/1920م) . في مؤتمر سان ريمو . وتنكرت بريطانيا لوعودها للعرب بالاستقلال بينما التزمت بوعدها للصهاينة بالوطن لليهود في فلسطين . وخلال فترة الانتداب من (1338هـ/1920م) – (1367هـ/1948م) مكنت بريطانيا الصهاينة من امتلاك الأراضي ، وفتحت أبواب فلسطين لاستقبال يهود العالم ، فرفعت عدد اليهود الأصليين الذي كان 15 ألف نسمة من السكان اليهود الأصليين ،إلى مئات الآلاف قبل سنة 1948 .وجعلت اللغة العبرية لغة رسمية ، وسمحت لهم بتكوين فرق عسكرية ، بينما اتبعت خطة من شأنها التضييق على العرب.

خلال تلك الفترة قامت ثورات شعبية فلسطينية وأبرزها ثورات (1338هـ/1920) (1347هـ/1929م) (1354هـ/1936م) فكان الحاج أمين الحسيني مفتي القدس أبرز القادة في تلك الفترة ، وكنوع من التهدئة طرحت بريطانيا مشروع تقسيم فلسطين لثلاث مناطق: يهودية ، وعربية ، وبريطانية . رفض الفلسطينيون هذا التقسيم واندلعت الثورات من جديد.

وكانت ثورة (1355هـ/1937م) التي قادها الشهيد عز الدين القسام أشدها ولكن بريطانيا أجهضتها بتوسط من بعض زعماء العرب ولاسيما الأمير فيصل بن عبد العزيز ملك السعودية !. واضطرت بريطانيا عام (1356هـ/1937م) للتخلي عن الفكرة . وبعد الحرب العالمية الثانية تراجعت بريطانيا إلى دولة من الدرجة الثانية ، وبرزت الولايات المتحدة الأمريكية لتصبح إحدى القوتين الأعظم في العالم ؛ و ركز اليهود جهودهم لاستمالة الولايات المتحدة . وأثبت الرئيس الأمريكي ترومان للصهيونية أن الولايات المتحدة حليف أفضل حين مارس ضغطا على بريطانيا كانت نتيجته السماح بدخول 100 ألف يهودي إلى فلسطين وهي العملية التي جعلت بريطانيا تعجل بتدويل القضية و بتحويلها إلى الأمم المتحدة عام (1947م).

وأوصت اللجنة الخاصة للأمم المتحدة بشأن فلسطين بقسيمها إلى دولتين إحداهما عربية والأخرى يهودية مع تدويل القدس وجرى التصويت على ذلك وقامت بذلك دولة إسرائيل عام (1948م) وانسحبت بريطانيا من فلسطين بعد أن سلمت الصهاينة كل مقومات الدولة إداريا وعسكريا ، وبعد أن مكنتهم من السيطرة على مساحات من أرض تزيد على المساحات التي حددها تقسيم الأمم المتحدة ، وفي (1367/7/7هـ) (15مايو سنة 1948م) جرى إعلان قيام دولة إسرائيل وواصلت المنظمات الصهيونية غاراتها للتوسع على حساب المناطق التي يسكنها العرب.

أدى إلى ذلك القيام الحرب الأولى بين العرب وإسرائيل سنة (1367هـ/1948م) التي انتهت بهزيمة الجيوش العربية بفعل خيانات الرؤساء والملوك العرب ولاسيما في الدول المجاورة والسعودية .وتأكد قيام دولة إسرائيل . واستولى اليهود على مزيد من الأراضي بحيث لم يبق من فلسطين سوى الضفة الغربية التي وضعت تحت الحكم الأردني وقطاع غزة الذي وضع تحت الحكم المصري. وفي سنة (1375هـ/1956م) كان اعتداء إسرائيل على غزة وسيناء بالتواطؤ مع إنجلترا وفرنسا الذي انتهى بتوسيع دولة إسرائيل وضم أراضٍ جديدة إليها بعد مذابح شنيعة ضد عرب فلسطين.

وفي عام (1382هـ/1963م) كان إعلان قيام (منظمة التحرير الفلسطينية) التي أسست جيشا فلسطينيا نجح في إلحاق بعض الخسائر بإسرائيل في الداخل وفي خارج حدودها مع لبنان والأردن . وفي عام (1386هـ/1967م) اندلعت الحرب بين العرب وإسرائيل للمرة الثانية وخسر على أثرها العرب الجولان والضفة الغربية وقطاع غزة وشبه جزيرة سيناء التي احتلتها إسرائيل. نتيجة خيانة النظام السوري ، واختراق الإستخبارات الإسرائيلية لقيادات جيش عبد الناصر من الزناة الماجنين ..!

وفي عام (1392هـ/1973م) قامت حرب أكتوبر حيث انتصرت الجيوش العربية على إسرائيل ، لكنها لم تستطيع تحرير تلك المناطق المحتلة نظرا لتدخل الولايات المتحدة ووقوفها إلى جانب إسرائيل ولخيانة الرئيس السادات الذي أوقف الهجوم ، وتكرار النظام السوري لخياناته المألوفة ..

وبعد أن تحصلت منظمة التحرير الفلسطينية ، على كونها المثل الشرعي والوحيد للقضية الفلسطينية ، بدأت بسلسلة مفاوضات سرية وعلنية مع إسرائيل برعاية من الأنظمة العربية الخائنة ، وإشراف دولي . من أجل إنهاء الصراع العربي الإسرائيلي. وقد بدأ ذلك من اتفاقيات كامب ديفد بين مصر وإسرائيل والفلسطينيين برعاية أمريكية سنة 1980 ،ثم حصلت قفزة استسلامية في مؤتمر مدريد للسلام (1991) والذي تبعه اتفاقيات أوسلو بين المنظمة ولإسرائيل ، ثم تتابعت المؤتمرات والمؤامرات ..بإشراف أمريكي وتعاون من الأنظمة العربية ، ومنظمة المؤتمر الإسلامي التي تضم الدول (ذات الشعوب الإسلامية). إلى أن تولى بوش وضع ما سمي بـ (خارطة الطريق) لتسوية القضية الفلسطينية سنة 2002 ، ولإقامة دولة شكلية للفلسطينيين في غضون سنة 2005ولكن إسرائيل مازالت تتملص وتتابع مسلسل القتل والمجازر في الفلسطينيين ، وأمريكا مازالت تزداد علنية في انحيازها . فيما يبدو مخططا مكشوفا لتهجير ما تبقى من الفلسطينيين ، وهدم المسجد الأقصى وإقامة الهيكل المزعوم على أنقاضه .

وقد انفجرت الإنتفاضة الفلسطينية ضد اليهود في سنة 2000 وانتقلت للعمل المسلح وبرزت المنظمات الجهادية الإسلامية لتملأ فراغ الساحة بعد انكشاف إفلاس الخط اليساري القومي العلماني وخيانته لقضية المسلمين ، وعجزه . وتشهد هذه الأيام صدامات عنيفة بين قوى الجهاد الفلسطينية واليهود ، فيما تتابع السلطة الفلسطينية بعد هلاك عرفات تعفنها و تفسخاتها بقيادة الخونة من أمثال محمود عباس (أبو مازن) المرشح لإطلاق رصاصة الرحمة على قضية فلسطين هذه الأيام .

الأردن :

كانت الأردن جزءا من ولاية الشام عبر التاريخ الإسلامي . ولكنها بدأت تاريخها كدولة مستقلة منذ عام (1339هـ/1921م) بموجب اتفاقية سيكس بيكو التي جعلتها في حصة الإنكليز . فرسمت حدوده على الرقعة الجغرافية الممتدة شرق نهر الأردن ما بين السعودية والعراق وسوريا . وقد كانت الأردن متصرفية تتبع سوريا في العصر العثماني، ووفق اتفاقية سان ريمو وضع شرق الأردن وفلسطين تحت الانتداب البريطاني ، ثم قررت بريطانيا فصل شرق الأردن عن فلسطين ، وعينوا عليها الأمير عبد الله بن الشريف حسين على أن يكون حكمه مستقلا إداريا و(مستنيرا) ! برأي مندوب بريطاني يقيم في عمان.

وفي سنة (1346هـ /1927م) عقدت معاهدة أردنية – بريطانية اعترفت بريطانيا فيها باستقلال شرق الأردن شكليا ، وتكون حكم فيها ملكي مطلق ، ثم عدلت سنة (1352هـ /1933م) بحيث حصلت المملكة على قدر من السيادة والاستقلال . وخلال الحرب العالمية الثانية وقف الأردن إلى جانب الحلفاء ، وشاركت القوات الحربية الأردنية في المجهود الحربي ثم أعلنت بريطانيا

إنهاء انتدابها للأردن . في (1365هـ/1946م) و تم إعلان قيام (المملكة الأردنية الهاشمية) ، وبويع الأمير عبد الله ملكا دستوريا على البلاد.

في عام (1368هـ/1948م) انفجرت الحرب بين العرب واليهود وكان الملك عبد الله هو القائد الأعلى للجيوش العربية ! ولكن الضابط الإنكليزي (غلوب باشا) كان القائد الفعلي !!! ...! وهكذا انتهت الحرب بالنكبة واستيلا ء اليهود على قسم من الأراضي ، وقيام إسرائيل . وفي عام (1369هـ/1950م) أعلن الملك عبد الله ضم الضفة الغربية من فلسطين إلى الأردن وذلك بعد قيام دولة إسرائيل.

وفي عام (1370هـ/1951م) قتل الملك عبد الله وتبعه ابنه الملك طلال الذي قام في سنة (1371هـ/1952م) بوضع دستور يساير الواقع الجديد. ولكنهم أعلنوا اختلاله العقلي ، وخلفه في سنة (1372هـ/1953م) ابنه الملك حسين بن طلال .

استمر حسين في الحكم لأكثر من 46سنة ! وكان داهية محنكا ، وعميلا خائنا ماهرا ، أجاد اللعب على متناقضات المنطقة وعرف بممالأته للإنكليز الذين صنعوا العرش الأردني ثم للأمريكان الذين ورثوا النفوذ في المنطقة . كما أن اتصالاته القديمة جدا باليهود الصهاينة كانت شبه معلنة . وقد تولى كشفها بنفسه وأعلن قدمها وأنها تعود لأيام صداقته مع بنغوريون مؤسس إسرائيل !

تتمتع الأردن باقتصاد ضحل جدا ، فهي بلد صحراوي قليل الموارد وتعتمد في استمراريتها على المساعدات الإقليمية والدولية . ويتكون ثلثي السكان من الفلسطينيين المهجرين إبان الحروب المتتالية في فلسطين . ولذلك فالتوازن السياسي الداخلي فيها حرج ، وقد فقد توازنه سنة 1970 حيث وقع القتال بين الفلسطينيين والنظام الأردني وراح ضحيته أكثر من عشرين ألف فلسطيني ! وأخرجت المنظمات الفلسطينية من الأردن ليستقر معظمها في لبنان ، حيث أخرجت كما رأينا بعد الحرب الأهلية المجازر سنة 1982 .

وقع الحسين معاهدة صلح مع إسرائيل أقام علاقات دبلوماسية معها ورفرف العلم الإسرائيلي في سماء عمان جهارا نهارا فوق رؤوس شعبها ذي الأغلبية الفلسطينية !

هلك الحسين إثر إصابته بالسرطان سنة 1998-على ما أذكر – وتولت أمريكا تغيير ولاية العهد ، فأبعدت أخاه وولي عهده لعشرات السنين ، وولت ابنه (الملك عبد الله الحالي) الذي قضى معظم حياته في بريطانيا . ليتابع سياسة أبيه . فتوطدت علاقاته وزياراته لإسرائيل . وعندما غزت أمريكا العراق واحتلته ، قدمت حكومة الأردن لأمريكا خدمات لوجيستية هامة ، وتحركت القوات الأمريكية من الأراضي والأجواء الأردنية . بعد مناورات مشتركة مع الجيش الأردني . وترتكز البرامج الأمريكية الإسرائيلية اليوم في انطلاقتها الشاملة في المنطقة اليوم إقتصاديا وثقافيا وسياسيا.. على ما يقدمه النظام الأردني من خدمات خيانية جليلة للأعداء .

وفيما كنت أضع اللمسات الأخيرة على الكتاب . أوردت الأنباء خبرا طريفا يذكرنا بأيام المماليك ودول الطوائف ! حيث أعلن الملك عبد الله عزل أخيه حمزة عن ولاية العهد ، وتولية ابنه البالغ من العمر 9 سنوات ، وتهافتت الشخصيات الأردنية لإعلان إشادتها بهذا الإنجاز الشرعي ! والعظيم . وحسبنا الله ونعم الوكيل على زمان المهازل الذي نعيشه !!.

بلاد الحرمين . المسماة بـ (السعودية !!) :

خلال المرحلة العثمانية كانت البلاد المعروفة باسم (السعودية) اليوم مكونة من أجزاء شبه مستقلة . أهمها نجد ، ولم تخضع عمليا للحكم العثماني ، والحجاز التي حكمها الأشراف وتبعوا فيها العثمانيين وكانوا تحت حمايتهم ورعايتهم . والشمال المتاخم للشام والعراق ، وكان يخضع لحكم آل الرشيد بتوكيل من العثمانيين أيضا .

وقد مر قيام الدولة السعودية الحالية منذ القرن الثامن عشر الميلادي بثلاثة أدوار:

الدور الأول: الدولة السعودية الأولى:

ويبدأ من سنة (1157 هـ - 1744م) وهي السنة التي هاجر فيها الداعية الشيخ (محمد بن عبد الوهاب) إلى بلدة الدرعية وعقد الاتفاق بينه وبين أميرها الإمام (محمد بن سعود على النصرة والتعاون على نشر الدعوة . ويعتبر الأمير الإمام سعود بن محمد بن مقرن (1725م-1765م) مؤسس الدولة السعودية الأولى . ثم انتشر صدى الدعوة الوهابية في أنحاء الجزيرة.

توفي الأمير محمد بن سعود سنة (1178هـ/1765م) فبويع على الإمامة ابنه الأمير عبد العزيز ابن محمد، فوسع دولتهم ووصل في الجنوب إلى وادي الدواسر وفي الشمال إلى السماوة في شرق العراق ، وقد اغتيل الإمام عبد العزيز بن محمد سنة (1228هـ /1813م) وكان قد عين ابنه سعودا خلفا له فبايع الناس سعود على الإمامة ، فتمكن سنة (1228هـ/1813م) من فتح مكة والقضاء على نفوذ الأشراف في الحجاز.

ولم ترض الدولة العثمانية عن ضياع سلطانها على الحجاز ، ثم إن النشاط المتزايد للحركة السلفية في نواحي العراق زاد من مخاوف العثمانيين ، وبعد أن استنجد الشريف غالب بالعثمانيين كلف السلطان محمود الثاني وإليه على مصر(محمد على باشا) باستعادة الحجاز فاستولى على مكة والطائف.

الحملة المصرية الثانية:

ثم خرج محمد على بنفسه إلى الحجاز سنة (1228هـ/1813م) واستطاع تمكين سلطانه في مكة والمدينة والطائف ودخل تهامة وعسير . وفي تلك الأثناء توفي الإمام سعود بن عبد العزيز وخلفه ابنه عبد الله سنة (1230هـ/1814م) ثم أعد محمد علي حملة قوية جديدة جعل عليها

ابنه إبراهيم باشا فتقدم إبراهيم باشا نحو واستولى على الدرعية عاصمة السعوديين بعد حصار طويل وقتال مرير ، ووقع الصلح بينهما وذهب الإمام عبد الله إلى مصر مع من بقي من أنصاره لتوقيع الصلح مع محمد علي واستطاعت قوات محمد على أن تمد نفوذها إلى منطقة القطيف.

وينتهي الدور الأول أو الدولة السعودية الأولى باستسلام الإمام عبد الله سنة (1818م).

الدور الثاني أو الدولة السعودية الثانية:

يبدأ عندما استطاع الأمير مشاري بن سعود الكبير الهرب من مصر، ثم بويع إماما سنة (1235هـ/1236هـ) (1819م/1820م) ، وأقام تركي بن عبد الله بن محمد بن سعود والذي كان قد لاذ بالفرار عند تسليم الدرعية – أميرا على الرياض ثم خلف الأمير تركي ابنه الأمير فيصل بن تركي سنة (1250هـ/1834م) واستمر في كفاحه مع منافسي بيته من ناحية ، ومع المصريين من ناحية أخرى.

وكان الإمام فيصل بن تركي قد أعطى إمارة حائل لأحد رجاله الذين ساعدوه في القضاء على قاتل والده تركي ، وهو عبد الله بن الرشيد الذي سيكون مؤسسا لإمارة بيت الرشيد. ويقسم عهد فيصل بن تركي إلى دورين: الأول يبدأ بتوليه الإمارة بعد مقتل والده (1250هـ/1834م) وهو دور الفتن و الاضطرابات ، وينتهي بتسليم فيصل لخورشيد باشا والي مصر على نجد والحجاز بعد تسع سنين من المقاومة – حيث أخذه إلى مصر وولى مكانه عمه خالد ابن سعود جاء يحكم نجدا حكما عصريا . فنفر منه أهل نجد ، وعدوه أجنبيا، ثم أجمعوا على خلعه فخلعوه بعد أن قاوموا سنتين، ثم تولى الإمارة بعده عبد الله بن ثنيان بن إبراهيم بن ثنيان بن سعود سنة (1257هـ/1842م) ولكن حكمه لم يدم فقد كان محمد علي قد أطلق سراح الإمام فيصل بن تركي فبايعه أهل نجد سنة (1259هـ/1843م) و استمر في الدور الثاني أربعا وعشرون سنة فبسط سيادته على الشطر الأكبر في شبه الجزيرة فدانت له الأحساء و القطيف ووادي الدواسر وعسير و الجبيل و القصيم . وبوفاته سنة (1282هـ/1865م) ينتهي الدور السعودي الثاني أو الدولة السعودية الثانية حيث تنازع أبناء فيصل بن تركي الملك ، وكانت الدولة العثمانية قد أنهكت أهل نجد بحملاتها المتعددة . و استمر الخلاف بين سعود وعبد الله ومحمد أبناء فيصل ، ولكن في سنة (1291هـ/1874م) توفي الإمام بن فيصل وتولى الإمامة بعده أخوه عبد الرحمن ، واستطاع أن يعيد أخاه الكبير عبد الله ويصالحه ، وبايع أخاه عبد الله ولكن أبناء سعود انشقوا عن العائلة . وكان آل رشيد إلى ذالك الحين في طاعة آل سعود.

ولكن في سنة (1299هـ/1881م) حدثت وقعة الحمادة والتي أدت إلى استيلاء ابن رشيد على نجد وأخذه للإمام عبد الله وأخيه عبد الرحمن سجينين إلى حائل مع عشرة آخرين من آل سعود ،

وأقام سالم بن السبهان أميرا على الرياض والذي قام بقتل أبناء سعود محمد وسعدا وعبد الله وأجلى أهلهم إلى حائل .

وفي سنة (1308هـ/1889م) مرض الإمام عبد الله ؛ فأذن له وأخيه عبد الرحمن بأن يعودا إلى الرياض ؛ ولكن الإمام عبد الله مات في نفس السنة ، وبويع أخوه عبد الرحمن بالإمامة .ثم استولى ابن الرشيد على نجد ، فأخرج عبد الرحمن حريمه وأولاده فارتحلوا منها إلى الأحساء ثم إلى قطر وأخيرا إلى الكويت حيث بقوا فيها إلى أن فتح ابنه عبد العزيز الرياض وأقام الدولة السعودية الثالثة.

الدور الثالث- الدولة السعودية الثالثة:

كانت بريطانيا قد بسطت سلطانها في الكويت كما سيأتي ، وكانت أطماعها تمتد للسيطرة على جزيرة العرب وبلاد الحرمين ، ولكنها بمعرفتها الواقعية لمكانة بلاد الحرمين في نفوس المسلمين ، ونفرتهم من وجود قوات أجنبية فيها ، عمدت إلى احتلالها بصورة غير مباشرة ، وذلك بتولية أسرة مالكة تابعة لها فيها . وهذا ما فعلته بعد دراسة في تاريخ المنطقة والقوى القبلية فيها .

وقد نصح حاكم الكويت التابع للإنكليز (مبارك الصباح) البريطانيين باعتماد عبد الرحمن بن فيصل آل سعود - الذي كان لاجئا عنده – لهذه المهمة . وبعد اجتماع المندوب البريطاني بعبد الرحمن آل سعود ، أقنعه عبد الرحمن بأن كبر سنه لا يناسب المهمة ، وقدم له ولده (عبد العزيز) ليقوم بالبرنامج البريطاني . وأعجب المندوب بعبد العزيز الذي كان في العشرين من عمره ، وتوسم فيه القدرة والنجابة . ومن تلك النقطة يبدأ تاريخ الدولة السعودية الثالثة والتي مازالت مستمرة إلى يومنا هذا . أخزاهم الله وأهلكهم .

زودت بريطانيا عبد العزيز بالذهب اللازم وبالمستشارين وبخبير عسكري يساعده في إعداد قواته . وقام بحلته الأولى سنة 1901م تحت دعوى استعادة ملك آبائه ، ولكنه مُنيَ بفشل ذريع . وعاد للكويت .

وبعد تدارس الأمر قرر عبد العزيز أن يعاود الكرة ولكن تحت دعوى إحياء دعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب وأن يتستر تحت هذه الدعوة الدينية المحبوبة من أهل نجد . وفعلا لاقت دعواه التأييد من الناس و تمكن عبد العزيز سنة (1319هـ/1902م) من العودة إلى نجد والاستيلاء على الرياض وإعلان نفسه أميرا. وبدأ بإزالة كل أثر لسلطان بني رشيد في حائل.

ثم بدأ عبد العزيز بجمع أنصار الدعوة الوهابية وكون منهم ما عرف باسم (**إخوان من طاع الله**) ، وكانت أشبه بميليشيا مسلحة من المجاهدين العقائديين الذين عرفوا بالبأس وشدة الأيمان . وتوسعت قوات عبد العزيز فتحرك بهمة ونشاط وأثبت كفاءته ودهاءه .

ثم فتح القصيم سنة (1321هـ/1903م) بعد انتصارين حاسمين في(البكرية و الشنانة) وتم الانتصار النهائي على ابن رشيد في موقعة (روضة مهنا) بالقرب من مدينة بريدة في سنة (1334هـ/1913م) وبذلك انتهى حكم الأتراك للأحساء والذي دام 42سنة .

وبعد الحرب العالمية الأولى ...لقب عبد العزيز بسلطان نجد وملحقاتها .

وكان لبريطانيا في تلك الأوقات عميل آخر يعمل في منطقة الحجاز مع الأشراف هو العميل الشهير (لورنس العرب) ، وكان قد خدع الشريف حسين – كما مر معنا – بأنهم سيساعدوه على قيام خلافة عربية في الجزيرة العربية والشام والعراق إن هو حارب الخلافة العثمانية إلى جانبهم ، وهو ما فعله تحت اسم الثورة العربية الكبرى . ثم خدعته بريطانيا وقسمت مملكة أحلامه بينها وبين فرنسا . وأصبح على البريطانيين أن يختاروا لجزيرة العرب أحد العميلين (عبد العزيز) و (الشريف حسين) ، وبعد مداولات ومشاورات ، وقع خيار وزارة المستعمرات البريطانية على أتعس التعيسين ، فاختاروا عبد العزيز ، ونفوا المخدوع الآخر ليقضي بقية حياته ويموت منفيا في قبرص !

وبعد ذلك أرسل حملتين إلى الحجاز واستولى عليها وصار لقبه (ملك الحجاز وسلطان النجد وملحقاتها. وكان عزم الإنكليز معقودا على تمليك السلطان عبد العزيز جميع أجزاء الجزيرة العربية فاستطاع أن يدخل عسيرا ونجران في حدود مملكته. وفي عام (1350هـ/1932م) أصدر الملك عبد العزيز مرسوما وحد به أجزاء المملكة الحجازية والسلطنة النجدية والإمارات الأخرى وأسماها البريطانيون هذا الإسم المنكر العجيب باسم أسرة عميلهم فولدت الدولة التي سميت (**المملكة العربية السعودية) !**

كان إخوان من طاع الله قد صدقوا دعاوى ابن سعود الدينية ، وهموا بالاستمرار بنشر دعوة التوحيد في الجوار نحو العراق والكويت واليمن والشام ..، ولكن البرنامج البريطاني كان غير ذلك ، ولم يرد الإنكليز من دعوة التوحيد إلا ستارا لبرنامجهم في تمليك آل عبد العزيز أل سعود المنطقة التي رسموا حدودها . فبدأت النفرة بين عبد العزيز و(إخوان من طاع الله) الذين كانوا وقود قيام ملكه ! كما أنكر الإخوان على عبد العزيز عدو أشياء منها تسميه بالسلطان صاحب الجلالة ، ومنها كثرة مستشاريه الإنكليز والتزامه مشورتهم ، ومنها ما لاحظوه من بدء تسلل النكهة العصرية لنظامه ، وآل الأمر للحرب بين عبد العزيز والإخوان ، فساعده الإنكليز بضرب تجمعاتهم بالطائرات ، وزحف بمن والاه من القبائل والأعوان فقضى عليهم في الموقعة الشهيرة باسم **(موقعة السْبِيْلَهْ)** فذبح دعاة التوحيد وقتل أكثرهم ، وتفرق من بقي حيا في القرى والقفار ..، وبعد السبيلة طار المستشارون الإنكليز فرحا ورموا (كوفياتهم العربية في الهواء استعلنوا بملابسهم وهويتهم .

بعد ذلك أبرم عبد العزيز مع الإنكليز معاهدة تلتزم بموجبها حكومة جلالة الملكة اليزبيت بحصر ملك السعودية في عبد العزيز وذريته من بعده ، على أن لا يبرم أمرا ولا قرارا سياسيا إلا

بمشورتهم ، ووقع المندوب البريطاني والملك عبد العزيز بذلك وثيقة نشرت من قريب فيما نشلا من وثائق وزارة الخارجية البريطانية ، وتناولتها الكتب ووسائل الإعلام ! ، كما اشتهرت وثيقة أخرى اعترف فيها عبد العزيز بحق اليهود في فلسطين ، حيث ساعدهم ولده ووزير خارجيته (فيصل) على إجهاض الثورة الكبرى ضد المهاجرين اليهود سنة (1936) كما مر ذكر ذلك في الفصل الأول . ثم ظهر النفط وتناهبته الشركات البريطانية ، ثم الأمريكية .

وبعد الحرب العالمية الثانية ، وبروز أمريكا كقوة عظمى ، وتراجع حجم ودور بريطانيا نسبيا . ورثت أمريكا السيطرة على معظم المستعمرات البريطانية بعد أن غابت عنها الشمس وحتى القمر وصارت ذيلا لأمريكا !

وبدهائه أدرك عبد العزيز التحولات الدولية ، واجتمع بالرئيس (اليهودي) روزفلت على ظهر بارجة حربية أمريكية ، وتعهدت له أمريكا ولورثته بما تعهدت به بريطانيا ، كما تعهد لهم وذريته بما كان قد تعهد للإنكليز من قبل من الولاء والطاعة والعمالة ، وهو ما حصل وما يزال يحصل مما شهدنا في هذه الأيام النحسات الأخيرة ! . وفي عام (1373هـ/1953م) توفي الملك عبد العزيز .

ثم خلف الملك سعود أباه سنة (1953) وبايعته الأسرة والعلماء ، ولكن سعود اقتنع بالأفكار القومية التي ازدهرت في بلاد العرب آنذاك ، كما استعلن بأفكاره العصرية وسلوكياته الفاسقة المجاهرة ، فاجتمعت الأسباب على خلعه ، و ما قامت به الأسرة والعلماء . فخلع سنة (1964م) . وخرج أبناؤه ليقيموا في الغرب، ولتصبح بناته وأحفاده مادة لمجلات أخبار الجنس والخلاعة والبذخ الفاجر مما نهبوه من حصتهم من أموال المسلمين . حتى نشرت بعض المجلات صورة لبعض أولاد بناته من السفاح و الزنا .

ثم تولى الحكم الملك (فيصل بن عبد العزيز) الذي استمر حكمه إلى عام (1975م) .

ويعد الملك فيصل مؤسس السعودية الحديثة ، ومؤسس العلمانية فيها ، فقد شهدت المملكة في عصره طفرة النفط ، وتدفقت الأموال الطائلة على خزينته . ولكونه قد عمل وزير خارجية لأبيه أكثر عمره ، فقد كان محنكا متمرسا بالسياسات الدولية ، وقد شهدت البلاد في عهده ثراء وعمرانا ، وتطويرا في التعليم ، وأنشأ الإذاعة والتلفزيون السعودي على الأسس العصرية وما فيها من الفسوق والعصيان والموسيقى وتكشف النساء والفتن .،. ولما ثار على ذلك بعض الأمراء من أولاد إخوته ممن فيهم بعض النخوة والصلاح قمعهم وقتل زعيمهم . ولكي يكبح جماح العلماء الوهابيين ورئيسهم العالم الصالح- كما نحسبه - (محمد بن ابراهيم آل الشيخ) ، تفتقت عبقرية فيصل عن تقنين المؤسسة الدينية فنشأت في عهده فروع المؤسسة الدينية الرسمية ، وعلى رأسها هيئة كبار العلماء ، ولجان الفتوى والدعوة والإرشاد ، وهيئة القضاء الأعلى ، وهيئة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ...إلى آخر تلك الهيئات . ومن أجل الدور العالمي الذي ستلعبه السعودية لمكانة الحرمين فيها

ولقدراتها المالية ، ولكي ينافس عبد الناصر الذي سعى لتزعم العرب ، وأنشأ لذلك المؤسسات والإذاعات ...تفتقت عبقرية السعوديين بمشورة أسيادهم عن إنشاء مؤسسات دينية عالمية لزرع مشروع الهيمنة الروحية على العالم الإسلامي ، فأنشئت : (رابطة العالم الإسلامي) و (الندوة العالمية للشباب الإسلامي) و (الهلال الأحمر السعودي) و (هيئة الإغاثة العالمية) ...

وبنيت المؤسسات الدينية في الداخل على طريقة هيكل الـ (فاتيكان) وجعل على رأسها ما يشبه الـ (بابا) ، فاستحدث منصب مفتي الديار ، ورئيس هيئة كبار العلماء .. وصرفت المليارات في هذه المؤسسات داخليا وخارجيا لفرض حضورها الإعلامي وإثبات هيبتها في الداخل والخارج ونجحوا في ذلك لأسباب كثيرة ، منها أن أكثر العاملين في تلك المؤسسات كان من الصادقين المخلصين الصالحين ، الذين رأوا الآثار القريبة المنظورة لأعمال البر والخير، ولم يدركوا أهداف ون أوجدها وأهداف أسيادهم .

وفي أخر عهد هـ شهد فيصل - كما يقول بعض الناس - تحولا نحو النخوة والصلاح ، وصار يأمل في استرداد القدس ، وحاولت المملكة في عهده لعب دور أساسي في السياسات العربية والإقليمية والدولية.. دخل الملك فيصل في حرب مع التيار القومي واليساري في العالم العربي ، ومثلت السعودية طليعة ما سمي بـ (الرجعية العربية)، أو التيار(اليميني العربي) الموالي لأمريكا والغرب ، في مواجهة قوى اليسار الاشتراكي والقومي والشيوعي العربي ، الذي تزعمه عبد الناصر ، و البعثيون في سوريا والعراق وأمثالهم ..، ودخل فيصل مع مصر عبد الناصر في حرب بالوكالة على أرض اليمن حيث دعمت السعودية الإماميين ودعم عبد الناصر الجمهوريين .

وفي حرب 1973بين العرب وإسرائيل ، قرر العرب استعمال سلاح النفط ضد إسرائيل وأعوانها في الغرب ، فنفذ الملك فيصل قرار حظر النفط عن الغرب ، فارتبك الاقتصاد العالمي ، وظهر أثر هذا السلاح الاقتصادي الخطير ، وقررت أمريكا قتل الملك فيصل . كما وضعت سياسات بعيدة المدى لإحتلال الخليج والسيطرة على منابع النفط عسكريا وهو ما ينفذ منذ 1990. وفعلا استطاعت أمريكا تجنيد أحد أولاد أخوة فيصل ، وكان من أحد الأمراء المتسكعين في مواخير أربا وأمريكا من الزناة الخمارين ، وما أكثرهم في آل سعود وأشباههم . في الأسر الحاكمة في عالمنا الإسلامي المنكوب .. فتسلل لقصر عمه واغتاله ، وهكذا قُتل فيصل وانتهى عهده . والله أعلم بحاله وعلى أي حال ونية لاقى ربه .

ثم تولى الحكم بعد وفاة الملك فيصل أخوه خالد بن عبد العزيز . وبويع لأخيه فهد بولاية العهد من بعده. واستمرت المملكة في عهده على النهج التبعي لأمريكا والغرب ، وبلغت النهضة العمرانية والتحديث في عهده ذروتها في مختلف المجالات .

وخلال حكم خالد كان الحاكم الفعلي هو فهد ولي العهد ، ثم توفي خالد فجأة ، وقيل أنه مات مسموما ، ليحل الأعور الدجال مكانه ويتولى كبر الكفر والعمالة على أرض الحرمين .

وبعد وفاة الملك خالد ، تولى الحكم الملك فهد بن عبد العزيز الذي كان مشهورا بمجونه وفسقه ولياليه الحمراء في منتجعات أوربا وأمريكا الراقية المعدة لأمثاله من أغنياء الداعرين . كما اشتهر كواحد من أكبر المقامرين في صالات القمار في أوربا وأمريكا ، حتى كتبت عنه إحدى الصحف البريطانية تحت عنوان : (الأمير الذي خسر ستة ملايين باوند وخرج يضحك !!) وذلك عندما خسر في إحدى صالات لندن ما يعادل عشرة ملايين دولار ! وصورته الصحافة مبتسما ، لم تهزه تلك النازلة ، لا بارك الله فيه .

تولى فهد والصحوة الإسلامية في المملكة تعيش عصرها الذهبي ، بعد أن صارت المملكة ملجأ للإسلاميين الفارين من الحكومات العسكرية المجرمة في مختلف بلاد العالم العربي والإسلامي ، ولاسيما من مصر ثم سوريا حيث خاض الإخوان المسلمون وما انشق عنهم من التنظيمات الجهادية مواجهات مسلحة . وأدى لجوء كبار الإسلاميين إلى السعودية إلى تمازج صحوتها السلفية الوهابية بالأفكار الحركية السياسية و الجهادية الإسلامية الوافدة من مصر والشام وغيرها ، وكانت سياسة السعودية استيعاب تلك الظاهرة باعتبار الهوية التي ترفعها ولظروفها الخاصة .

ثم تبنت المملكة بإيعاز من أمريكا دعم الجهاد الأفغاني ، وفتحت الباب على مصراعيه لمن أراد النفير بماله وبنفسه ، وأدى هذا لارتياد عشرات الآلف من السعوديين لأفغانستان وتأثرهم بالأفكار الجهادية المعاصرة التي بنيت على مسائل الحاكمية ، وأدى كل هذا إلى تطور الصحوة الإسلامية في المملكة في تلك الفترة ، في نفس الوقت الذي فتح فيه فهد الباب على مصراعيه لتيار الحداثة والعلمنة ، وأدى هذا إلى حالة من الفرز في المجتمع السعودي بين هذه التيارات ، بالإضافة للتيار الديني الرسمي المتحالف مع الملكية الديكتاتورية المطلقة . وما يزال هذا الصراع على أشده إلى اليوم بين هذه التيارات الثلاثة .

وبعد غزو العراق للكويت وتهديده السعودية ، كما برمجت أمريكا مع صدام واستدرجته لذلك ، حضرت القوات الأمريكية والمتحالفة معها وضربت بجرانها في السعودية وما حولها من إمارات النفط ، وأدى هذا لحالة غليان في السعودية بعد عودة الجهاديين من أفغانستان إلى قواعدهم سالمين . مما أدى لطرح فكرة جهاد الحكومة السعودية والخروج عليها لعمالتها للأمريكان ولتفشى التشريعات الوضعية في قوانينها . ونتيجة تراكم مختلف مظاهر الفساد نشأت دعوات إصلاحية سياسية سلمية عديدة بين إسلامية وعلمانية ، وبدأت الأوضاع السياسية في مملكة فهد تضطرب منذ مطلع التسعينات ، ليصل الأمر إلى ذروته بخروج الشيخ أسامة بن لادن على الحكومة ودعوته لجهادها بعد أن أطلق شعار إخراج المشركين من جزيرة العرب.

وبعد أحداث سبتمبر 2001التي نفذها استشهاد يون سعوديون في معظمهم . وبعد احتلال أمريكا للعراق، وتواجدها الكثيف في المنطقة ، كشرت أمريكا عن أنيابها وكشفت عن برامجها التي من ضمنها إحداث تغييرات في الأوضاع في السعودية ، مما وضع مستقبل الأسرة السعودية منذ سنة 2003 على كف العفريت الأمريكي . وصدق رسول الله صلى الله عليه وسلم ، **فمن أعان ظالما على ظلمه سلطه الله عليه** .

وفي مطلع سنة 2004 تفجرت أحداث ثورة جهادية مسلحة تستهدف الأمريكان والتواجد الغربي في السعودية ، كما تستهدف الأسرة الحاكمة وأجهزتها الأمنية على حد سواء ، لتصبح السعودية ميدانا جديدا للمواجهة المكشوفة بين المسلمين وطليعتهم الجهادية وصحوتهم الإسلامية وبين أمريكا وحلفائها وطليعتهم من قوى الردة والنفاق من حكام العالم العربي والإسلامي ، حيث تأتي الأسرة الحاكمة في السعودية ومؤسستها الدينية الرسمية في طليعة هذه الجبهة من المرتدين والمنافقين .

ويحتاج التأريخ للدولة السعودية المعاصرة وعلماءها المنافقون ، في عهد عبد العزيز وذريته إلى مجلدات كبيرة متخصصة تسجل تاريخهم الأسود وما ألحقوه من المصائب بأمة محمد صلى الله عليه وسلم ، محليا ، وعلى الصعيد العربي والإسلامي والدولي . فقد قام ملوك هذه الأسرة الذين بلغوا خلال القرن العشرين (1901- 2004) زهاء (7000) أمير، وكونوا قبيلة (يأجوج و مأجوج) مصغرة محلية في جزيرة العرب وبلاد الحرمين . فأذلوا العباد وأظهروا في الأرض الفساد ، وإذا كان يأجوج ومأجوج سيشربون الفرات وبحيرة طبريا كما في الآثار ، فقد شرب يأجوج ومأجوج آل سعود ، بحيرة نفط الجزيرة ، وضخوها في شرايين اليهود والنصارى ، وقاموا بكل أشكال حرب الله ورسوله والمؤمنين .

فعلى صعيد المملكة التي أسموها باسم من خلّفهم ، دسوا التشريعات الوضعية في ثنايا قوانينهم ، وضربوا بعرض الحائط بكل ما راجعهم فيه بعض علمائهم الصالحين من أمثال محمد بن ابراهيم الذي كتب فيهم وفي أمثالهم (رسالة تحكيم القوانين) وأفتى وحكم كما كثير ممن عاصره من علماء الجزيرة بكفر من حكم القوانين الوضعية . أو خلطها بالشريعة الإسلامية . كما شهدت سياساتهم الداخلية والخارجية موالاة مطلقة للغرب ولاسيما لأمريكا ، إلى أن ظهر هذا منهم جليا في معاونتهم والقتال معهم وتقديم الخدمات العسكرية وغيرها لهم في الحروب الأمريكية الأخيرة في المنطقة . وأما على صعيد قتل وسجن الذين يأمرون بالقسط من الناس فحدث ولا حرج عن جرائمهم ، وأما فسادهم وفسوقهم وهدرهم لأموال المسلمين في مغامراتهم الفاسقة على موائد الخمور والقمار ، ومواخير المترفين ، فقد صاروا مادة للإعلام . ويكفي أن نورد خبرا نشرته إحدى الصحف التي تعنى بأخبار الأغنياء في العالم ، حيث قالت أن مصروف الأمير سلطان اليومي ، (و

انتبه : اليومي !) هو 3 مليون دولار ! ، وأما فهد فهو الأمير الذي خسر 10 مليون دولار وخرج يضحك ، قبحهم الله ! ، وما زال يدفع – بحسب ما تواتر من أخباره في وسائل الإعلام والكتب - شيكات الابتزاز للعديد من المومسات ومضيفات الطيران ، والغانيات من عميلات أجهزة الاستخبارات اللواتي قضى في أحضانهن أيام شبابه ، فأخذت له الصور التذكارية سرا ، ليدفع ثمنها ابتزازا في المواقف والسياسات الداخلية والخارجية للمملكة ، وليسدد للمومسات حقوق التقاعد والشيخوخة !

كما دعم ملوك السعودية المتوالين على الحكم ، بمئات ملايين الدولارات كل طاغوت من طواغيت بلاد العرب والمسلمين اهتز عرشه في مواجهة المجاهدين له ، فساندوا النصيرية إبان الجهاد في سوريا ، وساندوا حكومة الجزائر في مواجهة المسلمين ، وساندوا الشيوعيين في اليمن في حربهم مع الشماليين ، وساندوا النصارى الموارنة ضد المسلمين والفلسطينيين في الحرب الأهلية في لبنان ، وساندوا حتى (الديكتاتور ماركوس) في الفلبين ضد المسلمين ، وساندوا (بوتين) ضد المجاهدين الشيشان ، ودعموا حكومة الهند وهي تذبح المسلمين في كشمير و آسام ، ومولوا حرب أمريكا ضد الطالبان ، ....وقائمة جرائمهم العلنية فضلا عن السرية تطول .

وأما جريمتهم الكبرى في تبديد مليارات المليارات من أموال النفط ، فمن يتأملها يتملكه الجزع والقهر ، فالسعوديون أكبر بلد منتج للنفط في التاريخ ، إذ تصدر المملكة أكثر من 10 مليون برميل يوميا ، عدا الصادرات الأخرى وموارد الترانزيت ، أي ما يربو على نصف مليار دولار يوميا كلما أشرقت الشمس وغربت .. ومعظم هذه الموارد تصب في بنوك اليهود والصليبيين ، وتدفع منها السعودية فواتير طائلة في تنفيذ السياسات الأمريكية . وهذا بحث يطول ، والمنشور منه في الكتب والمؤلفات كثير جدا لمن أراد استقصاءه ، ويكفي أن نذكر أن من آخر ما تسرب للإعلام خبر دفعهم رشوة مالية كبيرة للحكومة الأسبانية في عهد (أثنار) لكي تتحالف مع بوش في غزوه لإحتلال العراق سنة 2004، والله أعلم بكمية المبالغ ! فتأمل . فقاتلهم الله . وحسبنا الله ونعم الوكيل .

الكويت :

كانت منطقة الكويت تعرف باسم " القرين" ، أما " الكويت" فهو تصغير لكلمة "كوت" وهي منطقة مجاورة لها . وهي ميناء صغير بناه (محمد بن عريعر) زعيم قبيلة بني خالد التي كانت تسيطر على المنطقة.

بدأ تاريخ الكويت الحديث بهجرة " **آل الصباح**" من نجد. حيث اتفقوا مع بني خالد على إدارة شئون البلاد إدارة مشتركة . لكن آل الصباح استقلوا بحكم الكويت سنة (1170هـ/1756م) ، وترأسهم الأمير (صباح الجابر) الذي لقب بصباح الأول.

وحصل خلفه (الشيخ عبد الله المبارك)عام (1292هـ 1876م) على لقب قائم مقام في المنطقة من الأتراك العثمانيين ، ثم تولى بعد ذلك الشيخ (مبارك بن صباح الثاني) الحكم خلال (1313هـ -1896/1334م-1917م) .

وقد رأى الشيخ مبارك كي يحفظ الملك في أسرته بدعم من بريطانيا ، أن يوقع معاهدة حماية مع بريطانيا عام (1316هـ/1899م). وأصبحت بريطانيا بعد هذه المعاهدة مسؤولة عن علاقات الكويت الخارجية. !

وفي سنة (1915م) توفي الشيخ (مبارك الصباح) الذي يلقبه المبشرون و المنصرون الأوربيون في كتبهم بلقب (مبارك العظيم) ، ويثنون على خدماته في تسهيل دخول النشاط التنصيري إلى جزيرة العرب ومنطقة الخليج العربي !. كما يثني عليه الإنكليز كواحد من أخلص أعوانهم ومستشاريهم ، وقد أسلفنا أنه كان وراء اقتراح آل سعود و جبارهم عبد العزيز لمهمة السيطرة على بلاد الحرمين ونجد وتوابعها ضمن البرنامج الإنكليزي للسيطرة على جزيرة الإسلام والمسلمين . وتكفيه هذه مفخرة موبقة بالإضافة لخدماته الجليلة بوضع الكويت تحت الحماية البريطانية ليحافظ على حكمه ، وتسليمهم قرارات البلاد الخارجية وسياستها الداخلية ، ودعمه للمنصرين .

وفي سنة (1921م) تولى (الشيخ أحمد الجابر) الحكم و شهدت فترة حكمه التنقيب عن البترول وتصدير أول شحنة من النفط الكويتي سنة (1946م) . وكذلك نظمت في زمنه الإدارات الحكومية المختلفة ، وتم استقدام البعثات التعليمية . ودخل النفوذ الأمريكي إلى جانب النفوذ البريطاني .

ثم خلف (الشيخ أحمد الجابر) ابن عمه (عبد الله السالم الصباح) عام (1950م) وقد أحدث في الكويت انتفاضة اجتماعية وثقافية وسياسية . وفي عهده أعلن استقلال الكويت في (يونيو 1961م) لتنضم للجامعة العربية والأمم المتحدة سنة (1382هـ/1963م).

ثم خلفه الأمير الحالي (جابر الصباح) ، وفي عهده صارت الكويت أفسد دول الخليج العربي في مجالات الدين والأخلاق والسياسات العلمانية ، حتى صار الدين والشريعة مادة للهزء والسخرية في صحفها الرسمية . حتى أعلن فيها عن تولى كويت متنصر مرتد رتبة في الكنيسة ، وحتى حكمت محكمة على كاتبة كويتية تنقصت من الذات الإلهية ، بغرامة 100 دينار كويتي والسجن شهرا مع وقف التنفيذ !! – تعالى الله عن جحود الجاحدين .

وأما تحول الكويت لقاعدة أمريكية حقيقية ، وممرا ومرتكزا لعبور القوات الأمريكية لإحتلال المنطقة . فأشهر من أن نضيع الصفحات في شرحه هنا . فقد منحت الكويت القوات الأمريكية والبريطانية 60% من أراضيها كقاعدة عسكرية للمناورات للهجوم لاحتلال العراق سنة 2003 . والتفاصيل مشهورة . وأما دعم حكومتها كما حكومة السعودية وكافة دول الخليج بالأموال الطائلة

لحرب الإسلام والمسلمين ، فمشهور ، ويكفي أن نورد مثالا على ذلك مما يحضرني من الذاكرة ما اشتهر من دعم الكويت لحكومة موسكو الشيوعية بـ (4 مليار دولار) فيما كان المجاهدون الأفغان يدقون أبواب كابل قبيل سقوطها سنة 1992 وكان الإفلاس يهدد الجيش الأحمر بالإنحلال ..

قطر:

تقع شبه جزيرة قطر داخل الخليج العربي ، وعاصمتها "الدوحة" وهي منطقة غنية بالبترول والغاز . وكانت قطر جزءا من ساحل الخليج العربي الذي كان يسمى البحرين . وفي عام (1360هـ/1842م) عين الشيخ محمد خليفة (أحد رؤساء القبائل) واليا على قطر فحاول أن يستقل عن آل خليفة ، واشتبك معهم في قتال هزم فيه ، وعاد آل خليفة لحكم قطر.

تنازع السعوديون مع آل خليفة على حكم قطر ، واشتبكوا معهم في قتال عنيف انتهى لصالح السعوديين الذي أصبحوا يحكمون قطر . و كان أول المبايعين محمد بن ثاني الذي تولى زعامة قبيلته ؛ ومنذ ذلك الحين ظهر آل ثاني في قطر . و حاول الشيخ محمد بعد ذلك الانفصال عن حكم آل خليفة والانفراد بالحكم فجرت معارك بين الطرفين . انتهت عام (1299هـ/1882م).

على أن محاولة الشيخ محمد أثمرت في عهد ابنه قاسم الذي اعتبر مؤسس إمارة آل ثاني المستقلة تحت سيادة الخلافة العثمانية في قطر ؛ إذ إنه وحد قطر واستقل عن البحرين .

ثم تولى بعده ابنه الشيخ عبد الله من (1331هـ/1913م) إلى (1368هـ/1949م).

و في عهد الشيخ عبد الله فقدت قطر سيادتها واستقلالها وأصبحت تحت الحماية البريطانية . كجاراتها . وعقدت معاهدة حماية سنة (1334هـ 1916م) وفي فترة حكمه تم اكتشاف البترول في قطر . ثم توفي الشيخ عبد الله ، وخلفه ابنه الشيخ علي من (1368هـ/1949م) إلى 1379هـ/1960م) و انسحبت بعد ذلك بريطانيا من الخليج لتعلن قطر استقلالها عام (1390هـ/1971م). حيث دخلت كليا في النفوذ الأمريكي كما حصل لجيرانها .

وفي سنة (1391هـ/1972م) قام الشيخ خليفة بن حمد آل ثاني بالاستيلاء على السلطة في البلاد ،. وأعطتها بريطانيا الاستقلال عن الحماية البريطانية . وتحسنت أحولها الإقتصادية والاجتماعية مستفيدة من ثروة النفط الذي بدأ إنتاجه وتصديره منذ عام (1949م).

ثم ظهر الغاز في قطر وصارت من أولى الدول المصدرة له في العالم . ثم عزل أمير قطر الحالي أباه أواخر التسعينيات وتولى السلطة ، وبدأت قطر في عهده تحاول لعب دور إقليمي في المنطقة ، وتناوئ السياسات السعودية . وتشهد تحولات سياسية تطويرية جريئة مقارنة بنظم الحكم الشمولية في الخليج العربي. وكان من أنجح سياساتها تلك ، إنشاء قناة الجزيرة الفضائية الجريئة المشهورة ذائعة الصيت .

وفي حرب احتلال العراق سنة 2003 ، نقلت أمريكا كما هو معروف قيادة جيوشها قواتها التي تتحرك فيما تسميه منطقة العمليات الوسطى إلى الدوحة في قطر ، وهي القيادة المسؤولة عن زهاء مليون جندي في المنطقة الممتدة من وسط آسيا إلى المغرب الأقصى . وقد أدارت أمريكا من قاعدة (السيلية) قرب الدوحة عمليات القصف الجوي والصاروخي والحرب الإلكترونية ، ثم الإحتلال البري للعراق والذي زحف من خلال أراضي الكويت . كما كان فيها المركز الإعلامي للقوات الأمريكية أثناء الحرب . وإنا لله وإنا إليه راجعون .

البحرين :

هي مجموعة جزر تقع في الخليج العربي بين شبه جزيرة قطر وساحل الأحساء ، وتحتوي على إحدى عشرة جزيرة أكبرها جزيرة البحرين ، وكانت من قبل تعرف باسم جزيرة "أوال" حكمها آل خليفة من قبيلة العتوب ، وقد وطدوا علاقتهم بآل سعود ضد العثمانيين .

ثم توطد مركز بريطانيا في البحرين بعد الحرب العالمية الثانية ، ففي سنة (1365هـ / 1946م) أصبحت البحرين قاعدة للاستعمار البريطاني في الخليج.

ثم أعلنت بريطانيا سنة (1390هـ/1971م) استقلال البحرين و صدر قرار بتسميتها " دولة البحرين " في عهد عيسى بن سلمان أمير البحرين ، ثم توفي أمير البحرين وخلفه ولده حمد بن عيسى ، وفي سنة 2002 قرر هذا (الحمد) تحويل البحرين إلى مملكة ! وسن دستورا وأعطى بعض الحريات ، ولقب نفسه بصاحب العظمة ملك مملكة البحرين ! (العظَمة بفتح الظاء دفعا للحرج ! مع استحقاقه للسكون على ظائه بجدارة) علما أن مملكة عظمته لا تزيد مساحتها عن 600 كم مربع . أي ما يزيد قليلا عن مساحة ملعب كولف متوسط ، ولله في خلقه شؤون .

وقد حول الأمريكان البحرين إلى ماخور لاستجمام واستراحة عساكرهم المحاربين في المنطقة حيث ، نقلوا إلى هناك فرق من العاهرات من دول أوربا الشرقية ومختلف الدول الحليفة ومنها بعض العربية ! إبان حرب تحرير الكويت ، وحرب تحرير العراق ، وما ننتظره من تحريرات تالية. والله أعلم . ببركات أصحاب العَظْمة و الجلْلالة والسيادة و المعالي .. وعلمائهم المنفوخين من أصحاب السماحة .. قبحهم الله .

الإمارات العربية المتحدة :

تقع هذه الدولة على طرف الجزيرة العربية الشرقي محاذية للخليج العربي وخليج عمان لتشمل سبع إمارات هي:- أبو ظبي ، ودبي ، والشارقة ، وأم القوين ، وعجمان ، ورأس الخيمة ، والفجيرة . وقد سادت قبيلة القواسم هذه المناطق ، وقامت بنشاط بحري ضخم ؛ إذا سيطرت على الملاحة في الخليج في عهد زعيمها رحمة بن مطر القاسمي عام (1159هـ/1747م) . وقد نجحت في هزيمة البرتغاليين ، وامتد نفوذها ، في المنطقة .

ثم تمكنت بريطانيا بعد حملات من القضاء على القواسم . وعقدت معاهدة مع شيوخ الإمارات . وبموجب ذلك صار المقيم السياسي البريطاني يدير شئون (الإمارات المتصالحة) كما أسموها ، من مركزه في إيران منذ عام (1823م) و حتى عام (1934م). ثم انتقل المقيم السياسي للبحرين عام (1948م) وعين أول ضابط سياسي بريطاني مقيما سياسيا في الشارقة.

ثم أنشئت هناك عام (1953م) دار الاعتماد البريطاني ، وانتقلت لدبي عام (1954م) . وفي عام (1968م) أعلنت الحكومة البريطانية انسحابها من منطقة الخليج في مواعد لا يتجاوز (1971م) . وبدأت مساعي توحيد الإمارات في دولة واحدة . و في نفس العام (1968م) اتفق الشيخ زايد بن سلطان آل نهيان حاكم أبو ظبي مع الشيخ راشد بن سعيد المكتوم حاكم دبي ، وبحث معه اتحاد الإمارتين . تم دعوة الإمارات السبع الأخرى والبحرين وقطر للاجتماع في دبي . وانبثقت من هذا الاجتماع الاتفاقية المعروفة باتفاقية دبي . و تم اختيار الشيخ زايد رئيسا للمجلس الأعلى للاتحاد.

لكن الخلاف دب بين الأمراء حول وضع الدستور . وفي سنة (1971م) تم التوصل إلى صيغة اتحاد سباعي يضم إمارات الساحل العماني ، وأعلن مولد " **دولة الإمارات العربية المتحدة** " سنة (1971م) التي ضمت ست إمارات هي : أبو ظبي ، ودبي ، والشارقة ، وعجمان ، وأم القوين ، والفجيرة ، ثم انضمت بعد ذلك إمارة رأس الخيمة (1972م) إلى الدولة الجديدة التي كونتها بريطانيا واعترفت بها ، كما وافقت الجمعية العمومية للأمم المتحدة على قبولها عضوا فيها . فيما نأت البحرين وقطر بنفسها عن الاتحاد الوليد .

يبلغ عدد سكان الإمارات رغم كبر مساحتها النسبية زهاء 250 ألف مواطن فقط ، ويقيم فيها منذ عشرات السنين زهاء مليون هندي معظمهم من الهندوس ، بالإضافة لمليون آخر من الأجانب فيهم جالية فلبينية نصرانية كبيرة ، وعدد كبير من الأوربيين ولاسيما البريطانيين . وتعتبر الإمارات مركزا لنشاط المنظمات التنصيرية في المنطقة بأسرها . كما أصبحت بعد دخول النفوذ الأمريكي قاعدة جوية وبحرية رئيسية للقوات الأمريكية والبريطانية المحالفة لها . وصارت دبي إحدى أكبر العواصم التجارية العالمية ، ووكرا للفساد والمجون والدعارة على المستوى العالمي ، كما صارت مقرا رئيسيا لإدارة مكافحة الإرهاب ، وفيها مكاتب أمنية أمريكية رئيسية يديرها الأمريكان والبريطانيون

بالتعاون مع بعض الإستخبارات العربية ولاسيما المصرية ذات الخبرات الواسعة في حرب الإسلاميين . كما أن القيادة العليا لجيش الإمارات الصغير هم من البريطانيين ، والرتب المتوسطة من المرتزقة الباكستانيين ، والدنيا من متطوعين شتى ! ويرأسهم بعض الجنرالات الفخريين من أبناء الأسرة الأميرية !

عُمان :

تقع عمان في الزاوية الجنوبية الشرقية من شبه جزيرة العرب . وتعد معقلا للخوارج الإباضية الذي أسسوا بها دولة منذ أواخر العصر الأموي.

وقد تعرضت عمان للخطر البرتغالي ، فتصدى العثمانيون لمواجهتهم ، كما تعرضت لتنافس تركي فارسي نظرا لأهمية موقعها الإستراتيجي. لكن ضعف العثمانيين والبرتغاليين فتح الباب للنفوذ البريطاني والفرنسي . وفي عهد السلطان سعيد بن تيمور ، تمكن من إقرار وحدة عمان بضم واحدة " البوريمي" بمساعدة بريطانيا سنة (1954م) ثم تولى الحكم السلطان قابوس بن سعيد عام (1970م) بعد أن قتل أباه واستولى على السلطة . وقد شهدت البلاد في عهده نهضة سياسية واقتصادية. وفي عهده دخلت سلطنة عمان الجامعة العربية وهيئة الأمم المتحدة بعد استقلالها. وتعتبر عمان أحد أهم القواعد العسكرية البريطانية والأمريكية في المنطقة .

اليمن :

لم يخضع اليمن خضوعا كليا لحكم الدولة العثمانية ، وفشلت كل الحملات التي نفذت من أجل تحويله إلى إدارة عثمانية ، نظرا لحصانة الطبيعة والتفاف أهله على الأئمة الزيدية في صنعاء.

وقد قامت الأسر الزيدية بالحكم في اليمن من سنة (1506م) في العاصمة صنعاء. وخلال تلك الفترة حدث صراع طويل بين الأتراك والأسرة الزيدية ، وفي القرن التاسع عشر الميلادي اقتصر نفوذ العثمانيين على تهامة وجنوبي اليمن وصنعاء وما حولها.

واستمر الحال إلى أن حصلت هدنة بين العثمانيين واليمنيين ، وعرفت باتفاقية (الدعان) وأثناء ذلك كان الإنجليز يحاولون تثبيت قدمهم في عدن وتوسيع رقعة نفوذهم ؛ وبعد الحرب العالمية الأولى وخسارة تركيا تعهد العثمانيون بالجلاء عن بلاد العرب – ومنها اليمن – فاستولى الإمام يحيى حميد الدين على الملك واستقل بالبلاد سنة (1923م) واعترف العثمانيون باستقلال اليمن . وظل الصراع في اليمن ضد بريطانيا إلى أن أبرمت معاهدة سنة (1934م) التي اعترفت فيها بريطانيا باستقلال اليمن.

ولكنها أبقت مشكلة الحدود في الجنوب . وهكذا بقى النزاع قائما ، وبقيت بريطانيا موجودة في الجنوب العربي في عدن . وكررت بريطانيا هجومها على اليمن سنة (1956م) . وفي (1957م) ثار عبد الله بن الزير على الإمام يحيي وتمكن من اغتياله واستولى على الحكم في صنعاء . ولكن الإمام أحمد بن يحي نجح في هزيمته واسترداد الحكم.

وفي مارس سنة (1955م) قام انقلاب ضد الإمام أحمد ، لكنه فشل.

وفي سبتمبر سنة (1962م) تفجرت الثورة التي قادها عبد الله السلال باليمن بمساعدة من مصر ، ونجحت في إعلان نظام الجمهورية في اليمن الشمالي .

وكانت بريطانيا قد انسحبت من عدن وسلمت الحكم فيها للشيوعيين ، فاستقلوا في اليمن الجنوبي ، وحاربوا الإسلام والمسلمين .و استعلنوا بالإلحاد وهدموا المساجد و قتلوا العلماء. ثم سلطهم الله على بعضهم فأفنوا بعضهم في حرب ضروس خلال مدة قصيرة .

وكان قد تولى الحكم في اليمن الشمالي (الجاويش) علي عبد الله صالح ، وما زال في السلطة إلى الآن، وقد تمكن بدهائه من الإمساك بزمام الأمور . ثم استغل ضعف الجنوبيين ، وسن حرب الوحدة بالتعاون مع الإسلاميين وقبائل الشمال . وتوحدت اليمن بعامته سنة 1993 .

ثم بدأ عبد الله صالح سياسة التقرب من أمريكا ، و تحجيم الإسلاميين وقمع كل أشكال مناوئيه . وبعد أحداث سبتمبر تحالف صالح علانية مع أمريكا في حملاتها لمكافحة الإرهاب . وشن حملات تصفية على الجهاديين ، وخاض الجيش اليمني عددا من المعارك الطاحنة لإخراجهم من حصونهم القبلية – نيابة عن أمريكا - حيث ألحق بالجهاديين خسائر كبيرة ، وما تزال الأحداث متكررة جارية في اليمن إلى الآن .

لتذكرنا بكل مرارة بما قاله شاعرها البردوني وكأنه يصف البلاد ورئيسها ومن امتطى من كبار شيوخها وعلمائها عندما قال يعارض بائية أبي تمام :

ماذا أُحدثُ عن صنعاءَ يا وطني مليحةٌ عاشقاها السلُّ و الجربُ
ماذا تَرى يا أبا تمامْ ؟.. هلْ كذبتْ أحسابنا ؟ أمْ تناسى عرقهُ الذهبُ
تَأبى الرُؤوسُ العَوالي نارَ نخوتها إذا امتطاها إِلى أسيادهِ الذنبُ

وما زال الأمل بالله أن يبعث من اليمن ببركة دعاء حبيبه المصطفى صلى الله عليه وسلم ، من يشبهون جند المعتصم الذين وصفهم البردوني في نفس قصيدته فقال :

سُتونَ ألفاً كآسادِ الشَّرى انطلقتْ و للمنجمِ قالتْ : إننَّا الشهبُ

ولا يحتاج الأمرُ ستون ألفا .. وأسأل الله أي يسلط على (الجاويش) من شباب الإسلام من يشفي بهم صدور قوم مؤمنين ... وما ذلك على الله بعزيز ..

مصر:

تنافست إنجلترا وفرنسا لاحتلال مصر أواخر القرن الثامن عشر ، نظرا لموقعها الإستراتيجي واهتمت بها بريطانيا خاصة ، لوقوعها في طريق مستعمراتها في آسيا.

ولذلك أرسلت بريطانيا أسطولا تمكن من هزيمة الفرنسيين – بعد احتلالهم مصر بحملة نابليون سنة (1212هـ - 1798م) – في معركة أبي قير البحرية سنة (1212هـ - 1798)، وبعد جلاء الفرنسيين عن مصر سنة (1801م) ، أرسلت بريطانيا أسطولا لغزو مصر عن طريق رشيد سنة (1212هـ - 1807م)، لكن مقاومة أهلها أدت إلى فشل هذا الغزو.

كان (محمد علي) قد نجح بذكائه في التسلق على أكتاف الحركة الشعبية . واستطاع أن يقنع الناس به فاتخذ العثمانيون قرار بتعيينه واليا على مصر . ونجح في الاستقلال بمصر سنة (1219هـ - 1805م) ثم أذعن السلطان سليم الثالث وأصدر فرمانا بتعيينه سنة (1806م)، وكون جيشا حديثا ، وأنفذ البعثات إلى فرنسا لتي أيدته ودست العملاء في مستشاريه في شتى الميادين ولاسيما في مجال التعليم والغزو الفكري الإستشراقي ، فتأسست العلمانية ومدارس الضلال العربية المعاصرة في عهده ، وكانت بوابة البلاء على مصر والعالم العربي كله ، كما سنرى في الفصل التالي .

وقد قام محمد علي بحملات عسكرية ناجحة في السودان وشبه الجزيرة العربية والشام وبلاد اليونان ، لكن تحالف الدول الأوروبية خاف من طموحاته ، فوضعوا له حدا ، أدى إلى فقدانه أحلامه الإمبراطورية بعد هزيمته في معركة نوارين البحرية سنة (1827/1242م) مع البريطانيين ، وإرغامه على الانسحاب من كل الأقاليم التي استولى عليها ما عدا مصر وفق مؤتمر لندن سنة (1255هـ /1840م) .

ومع ذلك نجح محمد علي في تأسيس أسرة حاكمة في مصر إذ تولاها بعد وفاته عباس الأول ، ثم سعيد باشا ، ثم الخديوي إسماعيل ، ثم الخديوي عباس ... وصولا إلى الملك فاروق أخر حكام الأسرة ، التي انتهت بقيام ثورة يوليو سنة (1271هـ /1952م) التي تزعمها الرئيس جمال عبد الناصر ورفاقه الذين عرفوا بالضباط الأحرار ، وانتهى الأمر بالملك الفاروق منفيا في إيطاليا حيث عملت أسرته في الدعارة !.

وتجدر الإشارة إلى أنه في عهد الخديوي إسماعيل تعاظم النفوذ الفرنسي في مصر، و الذي كان من مظاهره حصول (فرديناند ديليسبس) على امتياز حفر قناة السويس لتوصيل البحر الأحمر بالبحر المتوسط، وكلف حفر القناة وافتتاحها مصر أرواحا كثير من المصريين وأموالا طائلة ، فوقعت الدولة تحت طائلة الديون ، الأمر الذي أدى إلى تدخل إنجلترا وفرنسا و نجاحهما في الإشراف على الشؤون المالية في مصر عن طريق (صندوق الدين) ، وتشكيل لجنة ثنائية فرنسية إنجليزية لضمان تحصيل الديون.

وكانت فرنسا وبريطانيا قد عقدتا اتفاقا وديا سنة (1801م) جلت بمقتضاه فرنسا عن مصر وتخلت عن أطماعها الاستعمارية في إخضاع مصر لسيطرتها.

وانتهزت بريطانيا فرصة قيام الثورة العرابية بقيادة أحمد عرابي ضد الخديوي توفيق لتحقيق هدفها في احتلال مصر.

فأرسلت بريطانيا حملة على مصر سنة (1299هـ - 1882م) . ونجحت في الاستيلاء على الإسكندرية ، ثم هزمت العرابيين عند التل الكبير ، ثم احتلت القاهرة وقضت نهائيا على الثورة العرابية . ولكن حركة المقاومة السياسية ضد الإنجليز استمرت بعد ذلك بزعامة مصطفى كمال الذي حاول استغلال عداء فرنسا لبريطانيا وندد بالإنجليز في المحافل الدولية خصوصا بعد أن اقترفوا جريمة مذبحة دنشواي سنة (1323هـ - 1906م) كما أسس الحزب الوطني سنة (1324هـ /1907) . وكان قد أصدر صحيفة اللواء سنة (1318هـ/1901م) التي فجرت الحركة الوطنية في مصر ضد الإنجليز .

وفي سنة (1337هـ/1919م) قامت ثورة كبرى ضد الإنجليز بزعامة سعد زغلول مطالبة بالاستقلال وإلغاء الحماية البريطانية على مصر التي فرضها الإنجليز سنة (1332هـ/1914م).

وبعد فشل الثورة لجأ المصريون إلى أسلوب المفاوضات لتحقيق الاستقلال ، ثم عقد مصطفى النحاس معاهدة مع بريطانيا سنة (1354هـ/ 1936م) فحققت لمصر استقلالا غير تام.

وظلت إنجلترا تتعاون مع القصر والملك فاروق وأحزاب الأقلية التي شكلت حكومات ضعيفة نجم عن سياستها مزيدا من الفساد ، ثم قامت حركة الضباط الأحرار بزعامة جمال عبد الناصر بثورة (23يوليو سنة 1952م) .

وكانت قد نشأت في مصر أواخر العشرينات حركة إسلامية كان لها بالغ الأثر على مسار الأحداث في مصر والعالم العربي عموما. وهي حركة الإخوان المسلمين التي أسسها الشيخ حسن البنا ، الذي وضع أسس حركته التي كانت تهدف إلى إعادة الخلافة الإسلامية وتصحيح أوضاع المسلمين والدعوة إلى العود إلى تحكيم الشريعة الإسلامية والدفاع عن قضايا المسلمين ، وما لبثت الحركة أن دخلت في صراع مع القصر ، والنفوذ البريطاني . وقد انتشرت الحركة مابين (1928) ونهاية الأربعينات انتشارا واسعا في مصر، وامتدت إلى بلاد الشام وغيرها، و توجف الإنكليز منها شرا ، ولاسيما بعد مساهمات مجاهدي الإخوان في مصر وسوريا في حرب اليهود سنة (1948) . ثم تآمر الإنكليز والملك فاروق على الحركة ، فأودع المجاهدون العائدون من فلسطين في السجون ، واغتيل الإمام حسن البنا رحمه الله تعالى وغفر له . ثم كان للتنظيم الخاص (السري) الذي أنشأه دور في مقاومة الإنكليز في منطقة قناة السويس . ثم اتفق الإخوان مع الضباط الأحرار على إسقاط الملك فاروق ، ونجح انقلاب الضباط الأحرار في سنة 1958، وتولى اللواء نجيب رئاسة الدولة ، ثم انتقلت

الرئاسة لجمال عبد الناصر الذي تنكر للإخوان وانقلب عليهم وأودع قياداتهم في السجون سنة 1954، وأعدم بعضهم من أبطال مقاومة الإنكليز . ثم أعلن عبد الناصر تأميم قناة السويس وحصلت الحرب التي دعيت بالعدوان الثلاثي على مصر سنة 1956 .واشتركت فيها بريطانيا وفرنسا وإسرائيل ، ووفرت هذه الحرب لعبد الناصر الدعاية الكافية لدعوته الحماسية للقومية العربية ، والوحدة العربية ، والأفكار الإشتراكية ، و الدعوات التحررية التي نادى بها ، وكانت كثير من بلاد العالم العربي تشهد حركات تحررية تحمل تلك الأفكار ، كما كان لعبد الناصر تحركا دوليا ، مع بعض الزعماء العالميين ، ولاسيما دعوة تجمع دول عدم الانحياز إلى جانب الزعيم اليوغوسلافي الشيوعي (تيتو)، والزعيم الهندي (نهرو) ، و الإندونيسي (سوكارنو) حيث عقد في بلاده مؤتمر باندونغ (1954) ، وكانت تلك الأفكار ميالة للإتحاد السوفييتي فيما عرف بسياسة الحياد الإيجابي في الصراع الأمريكي السوفيتي ...وقصة عبد الناصر تطول وهي مرحلة مهمة في تاريخ مصر والعالم العربي، وليس هنا محل استقصائها .. وسرت أفكار عبد الناصر ودعاياته في العالم العربي الذي كانت تروج فيه دعوة القومية العربية وتنشأ الأحزاب السياسية المختلفة على أساسها . وفي سنة 1958 توصل القوميون العرب في سوريا وعبد الناصر إلى إعلان الوحدة التي طبلت لها الجماهير وزمرت ، ثم انفصمت الوحدة خلال 3 سنوات . وقد حكم عبد الناصر مصر حكما استبداديا فرعونيا ، وأنشأ لذلك أجهزة أمنية و استخباراتية استباحت دماء العباد وأعراضهم وحرماتهم . وقد نشرت عشرات الكتب والدراسات عن تلك الحقبة السوداء بما يغني عن الشواهد هنا ..

وقد بطش (الزعيم الملهم) كما أسموه بكل معارض له ، وكان للحركة الإسلامية وخاصة الإخوان المسلمون النصيب الأوفر من ذاك البطش الذي بلغ ذروته سنة 1965 ، إذ أعلن عبد الناصر الحرب عليهم خلال زيارة له لموسكو ، وافتخر بأنه أدخل السجن (17 ألف) رجل منهم في ليلة واحدة ! ، ثم أعدم كوكبة من خيرة أبناء مصر كان على رأسهم الشهيد المعلم الأستاذ سيد قطب ، رحمه الله وجمعنا به في عليين . ودخل عشرات الألوف من الإخوان سجون عبد الناصر منذ 1954 على مراحل ، ولم يخرج أكثرهم إلا في عهد خلفه السادات أواسط السبعينيات !

وخلال حكم عبد الناصر ، عم الفساد أجهزة الدولة وانتشرت الخلاعة والمجون ولاسيما في قيادات الجيش وأجهزة الإستخبارات ، وتمكن الموساد الإسرائيلي من زرع العملاء في قيادات الجيش الذي غرق قادته وقادة الأمن في الدعارة و الانحلال . وفي صبيحة الخامس من حزيران (يونيو) سنة 1967 ، كانت مصر على موعد مع نتائج تلك الحقبة التي عبد فيها أكثرهم الرجل الوثن ، وخلال أقل من نصف ساعة وفيما كان كبار قادة وضباط الجيش المصري يغطون في نومهم بعد ليلة حمراء قضوها زناة مخمورين ، كان الطيران الإسرائيلي يدمر سلاح الطيران المصري وهو في مطاراته على الأرض . وهكذا تُركت القوات البرية المصرية تحت رحمة الطيران الإسرائيلي الذي نفذ فيها مجازر

مروعة . لتنجلي معركة الأيام الستة عن احتلال اليهود لصحراء سيناء وصولا إلى ضفة قناة السويس . فيما تكفل البعثيون و النصيريون في الجبهة السورية ببيع مرتفعات الجولان لإسرائيل ، وتولى حافظ الأسد – كما مر معنا إعلان سقوط الجبهات والانسحاب الكيفي منها قبل وصول اليهود إليها بأربع وعشرين ساعة . ثم مرر عبد الناصر وعباده مسرحية استقالته بعد الهزيمة ، وخرج الغوغاء إلى الشوارع هاتفين بحياته وبقائه في السلطة . وبعد سنتين من الهزيمة توفي عبد الناصر سنة 1969 . وبعد وفاته نشرت الكثير من الكتب عنه بين من ذهب به مذهب التقديس . إذ انتشر ما عرف بالأحزاب الناصرية في مصر والعالم العربي ، وذهب البعض إلى الاعتقاد بما نشره بعض المتقاعدين من الإستخبارات الأمريكية وغيرها ، حيث أثبتوا أنه كان عميلا للاستخبارات الأمريكية وأنه نفذ برنامجا معدا معهم منذ البداية وإلى النهاية ، ومن أشهر تلك الكتب كتاب (لعبة الأمم) لمؤلفه (كوبلاند) الذي فصَّل في تلك الفرضية التي رفضها محبوه واعتبروها دعاية صهيونية ! ومهما يكن من أمر التكهنات ، فالوقائع التي لا مجال للمماراة فيها أنه كان طاغوتا جبارا ملحدا في دين الله ، ذاقت مصر وأبناؤها في عهده الويلات . وتركها بعده قاعا صفصفا من الفقر والفساد ، وانتشار الفسوق والعصيان والأفكار الضالة المارقة .

ثم خلفه في السلطة (أنور السادات) ، وسرعان ما اتجه اتجاها معاكسا ، فنهج نهجا أمريكيا وأسمى سياسته (سياسة الانفتاح) ، فنمت الرأسمالية في عهده وتقلصت العلاقات مع الإتحاد السوفييتي . ولمواجهة المد اليساري الذي نمى نموا سرطانيا في عهد سلفه الهالك ، اتبع السادات سياسات كان منها إطلاق المجال للحركات الإسلامية ، فأفرج عن الإخوان المسلمين وسمح للدعوة الإسلامية بالنمو في الجامعات ، وسرعان ما ملأ الإسلاميون الجامعات والنقابات المهنية والعلمية ، واكتسحوا الشارع المصري ، فبدأ بكبح جماحهم .

وفي سنة 1980 فاجأ السادات العالم بطرحه فكرة الصلح مع إسرائيل وتطبيع العلاقات تحت ذريعة بناء مصر وتنميتها في جو السلم ، وأتبع ذلك بزيارته الشهيرة لإسرائيل والقدس ، وعاد ليجد المارد المسلم الذي أطلقه من (قمقم) عبد الناصر بانتظاره في القاهرة . ثم أتبع خطواته السريعة باتفاقيات كامب ديفيد الشهيرة ، وعرضته وسائل الإعلام يصافح مناحيم بيغن جزار مذابح (دير ياسين الشهيرة) ، وبموجب تلك الاتفاقيات ، ردت إسرائيل صحراء سيناء لمصر بحيث تبقى تحت سيطرتها عمليا ، ورفرف العلم الإسرائيلي في سماء القاهرة على ضفاف النيل فوق أول سفارة لدولة إسرائيل في العالم العربي . فحمل عليه العلماء والخطباء الشرفاء ، فألقاهم في السجون . وأعلن الحرب على الإسلاميين سنة (1981) ، وزج قادتهم في السجون ، وتحدى الخلق معلنا أنه ألقاهم في السجون كالكلاب !

وبعيد ذلك قيض الله له من أسود الإسلام من ألقاه تحت الكراسي صريعا كالكلب حقيقة لا مجازا ، إذ قتله المجاهدون من تنظيمي الجماعة الإسلامية والجهاد في حادثة المنصة الشهير ، وهو في يوم عزه واستعراض قواته ، إذ أنه كان قد خرج على قومه في زينته في استعراض عسكري كبير ، فخسف الله به ، وأرسله جند الله ليلحق بسلفه الفرعون ويكون لمن خلفه آية .

ثم خلفه الفرعون الحالي نائبه (حسني مبارك) لا بارك الله فيه ، فأكمل المشوار الذي رسمته أمريكا وسار في سياسات التطبيع مع اليهود قدما ، ومازال يحكم مصر بالحديد والنار وقبضة الأجهزة الأمنية . وقوانين الطوارئ العرفية منذ 1981وإلى اليوم حيث يرتب مع الأمريكان توريث عرش الفرعونية لولده جمال مبارك !

وقد شهد عهد مبارك حربا ضروسا من النظام المصري على الإسلاميين ، وتصدت له الجماعات الجهادية ودخلت في صراع مرير لم يضع أوزاره إلا من قريب بعد أن نجحت أجهزة الأمن بفضل سياسات التصفية والبطش ، وبتعاون علماء السلاطين أخزاهم الله معه ، فأجهض الجهاد ، وخلا الجو لمبارك ورهطه يبيضون ويصفرون في أنحاء أرض الكنانة .

واليوم تعتبر مصر أحد أعمدة السياسات الأمريكية الصهيونية في المنطقة ، ومستند الأنظمة العربية والإسلامية في كفاح الإسلاميين أمنيا وفكريا .

ورغم ذلك مازالت أمريكا تلوح ببرامجها التي تستهدف مصر بالتقسيم والتهديد بعد أن تغلغل عملاؤها في مختلف مناحي حياة المصريين .

السودان:

نجح محمد علي باشا حاكم مصر في إرسال عدة حملات إلى السودان بقيادة أصغر أبنائه إسماعيل كامل سنة (1819م/1821م) وتمكنت هذه الحملات من ضم السودان إلى مصر وتحقيق وحدة وادي النيل . فلما استولت بريطانيا على مصر سنة (1299هـ /1882م) خططت لفصل السودان عن مصر والوصول إلى منابع النيل .

وعندما قامت الثورة المهدية في السودان بزعامة السيد محمد أحمد المهدي، طلبت بريطانيا من مصر سحب قواتها من السودان وأرسلت حملة بقيادة (غوردون) لكن الثوار هزموه وقتلوه بالخرطوم سنة (1302هـ -1885م) وفي سنة (1313هـ -1896م) أرسلت بريطانيا حملة (كتشنر) إلى السودان واستعانت بجهود عساكر مصريين ! ونجحت الحملة في هزيمة الثوار المهديين سنة (1315هـ - 1898م) بعد الاستيلاء على أم درمان وبذلك تحقق لبريطانيا ضم السودان إلى إمبراطوريتها.

واتفقت بريطانيا والحكومة العميلة لها في مصر سنة (1316هـ - 1899م) على حكم السودان حكما ثنائيا رغم احتجاجات الوطنيين المصريين وأخذت بريطانيا في إثارة الصراع بين المصريين والسودانيين لكنها لم تنجح . إذ بعد قيام ثورة سنة (1337هـ - 1919م) في مصر قامت ثورة في السودان بزعامة (عبد القادر ود حبوبة) تطالب بجلاء بريطانيا عن وادي النيل.

وبرغم قضاء بريطانيا على الثورة تصاعدت الحركة الوطنية في السودان . ففي عام (1340هـ - 1922) تشكلت جمعية الإتحاد السوداني وجمعية اللواء الأبيض ، وأخذتا تعملان سرا لطرد بريطانيا وتحقيق وحدة مصر والسودان.

لكن الحركة الوطنية السودانية ظلت تقاوم الوجود البريطاني ، وتشكل حزب الأمة بزعامة المهدي ، والحزب الوطني الاتحادي بزعامة الأزهري ليقودا النضال ضد بريطانيا . وبعد قيام ثورة يوليو في مصر سنة (1371هـ - 1952م) وعقد اتفاقية الجلاء سنة (1375هـ - 1956م) اتفقت مصر وبريطانيا على ترك الخيار للسودانيين لتقرير مصيرهم ؛ فاختاروا الإستقلال الذي تم عام (1956م) وقامت دولة وفق النظام الجمهوري اعترفت بها جامعة الدول العربية وهيئة الأمم المتحدة.

وتتالت الحكومات المدنية والعسكرية على السودان ، إلى أن تسلم الحكم جعفر النميري بانقلاب عسكري . وفي عهده نمت الحركة الإسلامية التي كان أبرزها حركة (الجبهة القومية الإسلامية السودانية) التي تزعمها حسن الترابي ، وقامت على أسس الإخوان المسلمين ثم فصلها الترابي مستقلا لها بفكر جديد يرتكز إلى أفكاره واجتهاداته الحركية والفقهية الخاصة . ثم تحالف الترابي و النميري على أساس تحكيم الشريعة في السودان ، ثم رتب الترابي انقلابا عسكريا أطاح بالنميري وجاء بحكم ما عرف بثورة الإنقاذ من الضباط المنتمين للترابي بزعامة الرئيس (عمر البشير) . ثم وقع الطلاق بين الترابي وتلاميذه الضباط فاعتقلوا شيخهم مرات ، حيث تحول للمعارضة !

وقد حاول البشير ورفاقه النهوض بالسودان ، وتطبيق الشريعة ، ولكن المؤامرات الأمريكية أنهكتهم بدعم حركات التمرد المسلحة جنوب السودان وشرقه ثم في غربه مؤخرا . وآل الأمر بزمرة البشير لاختيار سياسة الرضوخ لأمريكا وطلباتها التي لم تنتهي . فطردوا الجهاديين ، ثم طردوا بن لادن ، ثم وقعوا اتفاقيات مهينة مع النصارى الجنوبيين ، ثم افتتحوا مكاتب معلنة للـ (FBI) وعقدوا الاتفاقيات الأمنية لمكافحة الإرهاب ، وبلغ بهم الأمر أن يسلموا بض المجاهدين المطاردين من قبل نظام ليبيا لحكومة القذافي وهم يعلمون أنهم يسلمونهم للإعدام ، كما سلموا عددا من الإخوة السعوديين لأجهزة أمن بلدهم سنة 2004..ورغم التنازلات اللامتناهية ، مازالت الحكومة الأمريكية تطارد حكومة السودان بالتهديد والوعيد ، إلى أن بلغ الأمر هذه الأيام بإعلان أمريكا والدول الغربية ومنها بريطانيا وفرنسا وغيرها التدخل المباشر السياسي والعسكري في غرب السودان ، بدعوى المنازعات القبلية في إقليم دارفور ، في مخطط مكشوف لتقسيم السودان ، لتثبت سياسة

المداهنة و التنازلات أنها لا تسفر إلا عن افتراس الوحش للثور الأسود بعد أن أكل الثور الأبيض فيما كان ينظر إليه ويخذله . وسبحان الديان فكما تدين تدان . وإن في ذلك لعبرة لأولي الألباب . إن كان ثم هناك بقية منهم .

ليبيا :

بعد تحقيق الوحدة الإيطالية سنة (1285هـ/1870م) تطلعت إيطاليا إلى المشاركة في حركة الاستعمار الأوروبي . ونظرا لقربها من ليبيا فقد اعتبرتها مجالا حيويا ، لذلك هاجر الكثيرون من الإيطاليين إلى ليبيا ، وشكلوا جالية أخذت تنشر الثقافة واللغة الإيطالية في البلاد وتمهد للنفوذ السياسي والاقتصادي الإيطالي.

ثم مهدت إيطاليا لاحتلال ليبيا بعد موافقة القوى الدولية مثل إنجلترا وفرنسا وروسيا وألمانيا على طموحاتها ، فأرسلت حملة احتلت طرابلس وبنغازي بعد إخفاق الحامية العثمانية في القتال سنة (1329هـ/1911م) ، وقدر للأقاليم الأخرى السقوط في يد الغزاة سنة (1912م) . أما مدينة أجدابية فسقطت سنة (1923م) ، كما سقطت فزان سنة (1928م).

وفي سنة (1929م) أصدر موسوليني مرسوما بتوحيد برقة وطرابلس في ولاية واحدة ، كما احتلت قواته واحة الكفرة سنة (1930م).

ولما قامت حركة الجهاد ضد إيطاليا ، قمعتها بوحشية وقوة . فاستنفرت المسلمين في الدولة العثمانية والعالم العربي ، وأخذ المتطوعون يتدفقون على ليبيا بقيادة عزيز المصري وأنور باشا . كما قام السنوسيون (وهم حركة دينية صوفية جهادية) في إقليم برقة بدور هام في الجهاد وضيق الثوار الخناق على الإيطاليين ، وشدوا من أزر الحاميات العثمانية في ليبيا.

وبعد إخفاق الدولة العثمانية في حربها مع إيطاليا في البلقان ، خضعت لمطالب إيطاليا بسحب قواتها نهائيا من برقة وطرابلس.

فتصدى السنوسيون لمقاومة الاحتلال ، واتبعوا أسلوب الغارات الخاطفة (حرب العصابات) وكادوا ينتصرون على الإيطاليين لولا دعم بريطانيا عسكريا واستمالتها أحمد السنوسي الذي غادر ليبيا إلى الآستانة سنة (1918م).

وفي سنة (1920م) عقدت إيطاليا معاهدة مع محمد إدريس السنوسي ، اتفق فيها الطرفان على إنهاء الحرب واعترف السنوسي بسيادة إيطاليا على برقة ، كما اعترفت له إيطاليا بالسيادة على الأراضي التي كانت تحت نفوذه.

ومع ذلك واصلت الحركة الوطنية النضال خصوصا بعد وصول موسوليني إلى الحكم في إيطاليا سنة (1922م) . فقد أعلن أن ليبيا إيطالية وألغى جميع الاتفاقات السابقة.

ثم قاد المجاهد الشيخ الشهيد عمر المختار رحمه الله حركة النضال متبعا أسلوب الحرب الخاطفة ، مما أنهك الجيوش الإيطالية . لكن إيطاليا أرسلت قوات جديدة إلى ليبيا ونجحت بعد عناء وخسائر كبيرة في الإيقاع بالثوار ، وقبض على عمر المختار وشنق شهيدا – كما نحسبه - رحمه الله سنة (1350هـ/1931م).

ولما قامت الحرب العالمية الثانية وانضمت إيطاليا إلى ألمانيا ، عاد محمد إدريس السنوسي إلى ليبيا بصحبة قوات بريطانية تمكنت من تحرير ليبيا سنة (1943م) بعد هزيمة قوات المحور ، وأصبح الوضع ممهدا لاستقلال ليبيا ، والذي أعلن في عام (1951م). وقام بذلك النظام الملكي في ليبيا .

وفي سنة (1968) قام العقيد القذافي بانقلاب عسكري (يعتقد أنه رتبه مع المخابرات البريطانية) ، واستولى على السلطة في ليبيا وما زال فيها حتى الآن وأطلق على ليبيا اسم الجمهورية الشعبية العربية الليبية العظمى ...

وقد اشتهر العقيد بمزاجه المتقلب ، وحكمه الديكتاتوري الدموي القمعي ، كما اشتهر بمغامراته العسكرية والسياسية في الجوار ، وفي القضايا الإقليمية ، مما أنهك اقتصاد ليبيا وكبد جيشها الصغير العدد نظرا لقلة عدد سكانها خسائر فادحة . ثم سولت للقذافي شياطينه ن يخرج على العالم بنظريات سياسية عجيبة ، فأظهر كتابا نسب تأليه لنفسه ودعاه الكتاب الأخضر . وزعم أنه النظرية الثالثة للحكم بين النهج الاشتراكي والديمقراطي . والكتاب مزيج من الغرائب والتفا هات والكفر والضلال والسماجة التي تثير الغثيان ..وقد قرأت أكثره بالجهد والعناء وكثير من الصبر رغم صغره . وعجبت من قدرة كاتبه على جمع ذاك القدر من السخافة والبلادة والحقارة ..

ثم استعلن القذافي بالكفر والآراء الدينية الشاذة ، فأنكر السنة ، وحذف بعض الكلمات من القرآن ، وشرع وفنن وافترى على الله الكذب ..واتخذ من بعض الغانيات حرسا شخصيا له . وله غرائب و تفاهات يطول لها الخطاب تذكر بصرعات الحاكم بأمر الله الفاطمي العبيدي الزنديق الأحمق صاحب العجائب .

وقد قامت على القذافي انقلابات عديدة كادت تطيح به لولا تدخل الإستخبارات الأمريكية والبريطانية لإنقاذه رغم دعاويه الثورية . كما قامت في ليبيا حركة جهادية ضده سنة 1989 فقمعها بقسوة ودموية ، ثم قامت حركة جهادية أواسط التسعينيات تمكن من القضاء عليها أيضا. وملأ سجون ليبيا بخيرة الشباب المسلم وأطلق عليهم لقب الزنادقة !

- قاتله الله - وقد زاود القذافي طوال سني حكمه العجاف على الدنيا بشعارات العروبة و الإشتراكية والوحدوية . إلا أنه طلع على الأمة مؤخرا بدعاويه الإفريقية وعزمه على الانسلاخ عن العالم العربي والانسحاب من الجامعة العربية .

ثم لبس قميصا عجيبا مزينا بصور بعض الرؤساء الأفارقة ، و صور رؤوس تشبه الغوريلات .. ثـم أعلـن مـؤخرا انبطاحـا كـاملا للسياسـات الأمريكيـة والغربيـة ، فسـلم جميـع مخـزون بـلاده الإستراتيجي من الصواريخ وبدايات مشروع الأبحاث النووية و زعـم أنـه مخـزون ليبيـا مـن أسـلحة الدمار الشامل . وصار بوش يضرب به المثل كنموذج يحتذى يريد من رؤساء العرب والعالم الإسلامي وغيره اقتفاء أثره .

وتقوم ليبيا هذه الأيام بدفع التعويضات الهائلة لكل دولة أوربية تزعم أنها تعرضـت لعمـل إرهابي كان مدعوما من ليبيا ، حيث يعلن الساسة الأوربيون عودة العلاقات مـع ليبيـا . كـما أعلـن بوش أنه راض عن ليبيا ، وأعلن موافقته على أن تستأنف شركـات النهـب الاسـتعماري نهـب بـترول ليبيا كمكافأة للقذافي على استخذائه المهين قبحه الله .

تونس :

دخلت تونس سنة (980هـ/1573م) تحت حكم العثمانيين كغيرهـا مـن الـبلاد العربيـة التـي سبقتها . وبقى فيها الأتراك زهاء 300 سنة . ونظرا لضعف الدولة العثمانية ، فقد تنافست كـل مـن فرنسا وإيطاليا لاحتلال تونس . لكن فرنسا نجحت في مد نفوذها من خلال عقد معاهدة ودية مـع باي تونسٍ سنة (1245هـ/1830م) حصلت بمقتضاها على امتيازات تجارية داخل تونس.

كما استطاعت فرنسا أن تحول دون تدخل بريطانيا في أمور تونس بأن اتفقـت معهـا عـلى أن تطلق إنجلترا يدها في قبرص مقابل عدم منافسة إنجلترا لفرنسا في تونس.

وانتهزت فرنسا فرصة عبور قبيلة تونسية إلى الجزائـر ، وأرسـلت جيشـا إلى تـونس تمكـن مـن هزيمة الباي محمد الصادق سـنة (1298هــ/1881م) وأرغمتـه عـلى توقيـع معاهـدة يعـترف فيهـا بتحويل تونس إلى محمية فرنسية.

ثم اندلعت حركة الجهاد والمقاومة الإسلامية والوطنية التونسية سنة (1881م) بتكوين حركـة " الجامعة الإسلامية " التـي لجـأت إلى التنديـد بـالاحتلال وإثـارة المشـاعر الوطنيـة مـن منطلقـات إسلامية وتحرك بعض العلماء من علماء مسجد الزيتونة للدعوة للجهاد . وبالفعل تحرك الثـوار مـن مراكز التجمعات القبلية في الجنوب ، وامتدت الثورة إلى مدن القيروان وسوسة و قابس و زغـوان و صفاقس ، وتمكن الثوار من السيطرة التامة على جنوب البلاد لكن فرنسا اتبعت أسـلوب وحشـيا في قمع الثورة والتنكيل بالثوار . وفي سنة (1908م) " تأسس حزب تونس الفتاة " الذي طالب بالدستور والتحم رجاله في معارك مع الفرنسيين سنة (1911م) لكن فرنسا قمعتهم بوحشية.

وفي مارس سنة (1920م) تأسس " الحزب الحر الدستوري التونسي" الذي تمكـن مـن الاسـتيلاء على قيادة النضال ضد الاسـتعمار الفرنسيـ دعائيـا وسياسـيا واجتماعيـا ، واسـتطاع تجنيـد المثقفـين

والعمال ، حيث أبرمت فرنسا عه اتفاقية استقلال تونس سنة (1956م). وبذلك سلمت تونس لعميلها الماكر (الحبيب بورقيبة) الذي استطاع خداع العلماء ، بهوية إسلامية مزيفة ، ثم استعلن بهويته العلمانية المارقة لما تمكن من الأمر، وجاهر بمحاربة التشريع الإسلامي والسير بتونس بسرعة في طريق التغريب ونشر الفسوق ومسح الهوية الدينية .

وفي مطلع الثمانينات هبت رياح الصحوة الإسلامية على تونس من المشرق ، وأسس عدد من الدعاة (حركة الإتجاه الإسلامي) بزعامة الشيخ راشد الغنوشي ، ودخلت الحركة معترك المنافسة السياسية السلمية ، ولكن بورقيبة قمع الحركة وسجن شيوخها واستطاع تقسيم قيادتها واستمالة بعضهم . ثم دخلت الحركة الإنتخابات العامة أواسط الثمانينيات ، وفازت بأكثرية أدهشت الأوساط المختلفة وضربت لها أجهزة الإنذار في أوربا ولاسيما فرنسا . فقعت الحركة ، تابعت عملها السياسي ، وكانت تعد لانقلاب عسكري مفاجئ . ولكن البرنامج كشف .

ثم رتب وزير داخليتها آنذاك (زين العابدين بن علي) انقلابا أبيضا على عجل بالترتيب مع الأمريكان تفاديا لنجاح انقلاب الإسلاميين . واستولى بذلك على السلطة . وخسف بالإسلاميين وغيرهم وحكم تونس حكما ديكتاتوريا متابعا مسار تغريب هذا البلد الإسلامي العريق . وتشردت الحركة الإسلامية وقياداتها في البلاد الأوربية ، وطورد مؤيدوهم شر مطاردة . وصارت تونس إحدى ركائز السياسة الأمريكية الاستعمارية في العالم العربي . ثم أجرى فرعون تونس في أوكتوبر 2004 انتخابات هزلية لتجديد ولايته ففاز بـ 95.96% في مشهد ديمقراطي يثير الغثيان .

الجزائر:

حكمت الدولة العثمانية الجزائر مثل باقي الدول العربية الأخرى . واستمر حكمهم زهاء 300سنة . وقد مر الحكم العثماني للجزائر بعدة بمراحل بدءا من عصر (البالارباي) من عام (1546م) إلى (الدايان)عام (1081هـ/1671م) والذي انتهي عام (1930) . و في نفس الوقت كانت فرنسا تطمع في احتلال الجزائر الاستراتيجي ، خصوصا وأنها كانت تتمتع بامتيازات تجارية فيها منذ القرن السادس عشر.

وفي سنة (1315هـ1801م) وقعت فرنسا مع الجزائر معاهدة تنص على حرية التجارة بين الطرفين . وعجلت باحتلال الجزائر لتحول دون تغلغل النفوذ البريطاني فيها ، و من أجل ذلك عقدت معاهدة سرية مع روسيا سنة (1223هـ /1808م) حظيت فيها فرنسا بموافقة روسيا على احتلال الجزائر.

لكن انشغالها بمشكلاتها الأوروبية أجل الغزو حتى سنة (1830/1245م) . ثم تذرعت فرنسا بمسألة تافهة مؤداها إهانة الداي حسين لقنصلها حين صفعه بمنشته على وجهه لتتخذ من الحادثة ذريعة للغزو و الإحتلال .

و بالفعل أرسلت فرنسا أسطولها الذي حاصر سواحل الجزائر مدة ثلاثة أعوام .

وفي عام (1245هـ/1830م) انتهزت فرنسا ضعف الدولة العثمانية وأرسلت حملة عسكرية نجحت في الاستيلاء على الجزائر سنة (1245هـ/1830م) بعد طرد الحامية العثمانية منها . ثم تطورت حركة المقاومة الجزائرية المناهضة للاحتلال بزعامة الأمير عبد القادر الجزائري الذي التفت حوله القبائل وبايعته في وهران سنة (1832م) . كما أيده رجال الصوفية واتفق الجميع على الجهاد.

ومن مدينة " المعسكر " في غرب الجزائر أخذ الأمير عبد القادر ، يغير على الأراضي الواقعة تحت الاحتلال الفرنسي بعد أن فرض نفوذه على الأقاليم الغربية من البلاد . وقد انتصر الثوار على جيوش فرنسا في " معركة المقطع " سنة (1250هـ/1835م) . ثم لجأ إلى حرب العصابات ، وتمكن من إنزال هزائم متوالية بالفرنسيين . وفي مايو سنة (1252هـ/1837م) عقد الفرنسيون معاهدة مع الأمير عبد القادر هي " معاهدة تافنا " وفيها اعترفت فرنسا بسيادة الأمير عبد القادر على غربي الجزائر ، كما اعترف هو بسلطة فرنسا على الأراضي التي احتلتها.واستفاد الأمير من المعاهدة التي أتاحت له تنظيم قواته وتحصين المدن والثغور ، كما اهتم بتنظيم شؤون دولته . ولما أخلت فرنسا بشروط المعاهدة وهاجمت الثوار ، تمكن الأمير عبد القادر من الاستيلاء على المناطق المحيطة بمدينة الجزائر سنة (1255هـ/1840م).

فكان رد الفعل الفرنسي في الإغارة على مدن غربي الجزائر ، فاستولت على تلمسان و مستغانم وغيرها من المدن في إقليم وهران ، فاضطر الأمير عبد القادر إلى الهرب إلى الصحراء. وانتهى مصيره بالقبض عليه وسجنه في الجزائر سنة (1268هـ/1852م) ثم سمح له الفرنسيون بالخروج من الجزائر ، فتوجه إلى دمشق لتكون منفى له ، وظل بها حتى وفاته (1300هـ/1883م).

ثم اتبعت فرنسا سياسة توطين الفرنسيين في الجزائر بعد نزع أملاك الأهالي وأراضيهم ، وعمدت إلى إثارة الفرقة بين العرب والبربر في محاولة لطبع البلاد بالطابع الفرنسي و إلغاء هويتها العربية الإسلامية .

ثم قيض الله للجزائر رجلا فذا هو الشيخ (عبد الحميد بن باديس)، الذي أسس (جمعية العلماء المسلمين) ، التي حفظت بأعمالها التربوية والعلمية هوية الجزائر الإسلامية وعروبتها ، وكونت الجيل الذي حمل لواء الثورة الكبرى التي انطلقت سنة (1954) . والتي استمرت إلى أن

تحقق الإستقلال سنة (1963) ، بعد أن دفعت الجزائر أكثر من مليون نسمة من الضحايا والشهداء.

ولكن الذي حصل أن فرنسا بدهائها ، بعد أن أيقنت أن استقرارها في الجزائر مستحيل ، وأن الإستقلال لابد حاصل ، اختارت العمل على أن يكون الأمر من بعدها لثلة من التنظيمات والأحزاب التي كان روادها قد تربوا على الأفكار الوافدة من أوربا ولاسيما من التيارات القومية والاشتراكية والليبرالية الغربية ، والتي كانت قد كونت بمجموعها ما عرف باسم (جبهة التحرير الوطني) التي بدأ نفوذ الإسلاميين فيها يتضاءل مع الوقت . وهكذا حددت فرنسا من سيخلفها على الجزائر ، وقيدتهم ببنود اتفاقية (إيفيان) . وقال الرئيس الفرنسي ديغول أيامها:

(يريدون استقلال الجزائر؟ حسنا ! سنعطيهم إياها ونستردها بعد ثلاثين سنة !).

واستقلت الجزائر ، وآلت رآستها إلى (هواري بومدين)، وكان قوميا عربيا ، ويساريا قريبا من الفكر الشيوعي..، وسارت الجزائر في عهده الطاغوتي البوليسي إلى الإفلاس والهاوية . وازداد نفوذ العسكر من أعضاء (حزب جبهة التحرير الوطني) الذين كان العديد منهم يحمل الجنسية الفرنسية ، وأصبح هذا الحزب منذ ذلك الوقت حزب السلطة الحاكمة الأوحد . وتولى هذا التيار الذي عرف (بالتيار الفرانكفوني) مهمة حرب الإسلام وتصفية الإسلاميين في الجزائر.

وبعد هلاك بومدين خلفه الرئيس (الشاذلي بن جديد) ، واستمر (حزب جبهة التحرير) في سياسة الحزب الواحد ، وزاد الشاذلي على سيئات سلفه سياسة العودة إلى أحضان فرنسا ،حيث كان بومدين عربيا ويساريا قوميا معاديا لفرنسا . وهكذا ازداد نفوذ التيار الفرانكفوني وكبار العسكر المتنفذين .

وازدادت أحوال الجزائر سوءا وإفلاسا رغم أنها واحدة من كبريات الدول المصدرة للنفط والغاز في العالم..

وفي مطلع السبعينيات ، نهض الشيخ (مصطفى بويعلي) ، يطالب حكومة الشاذلي بوقف زحف الفساد ، وبالعودة بالبلاد إلى أصالتها الإسلامية ويذكرهم بمبادئ ثورة 1954التي رفعت شعار الإسلام والجهاد ، حيث كان الشيخ أحد المجاهدين الذين شاركوا فيها . ثم ما لبث الشيخ (بويعلي) أن أعلن الجهاد وأسس (حركة الدولة الإسلامية). وحمل السلاح وصعد الجبال في ثلة من أنصاره يجاهدون النظام الجزائري. ثم تمكنت الحكومة في سنة 1976 من قتله رحمه الله ، واعتقلت العديد من أنصاره وساقتهم إلى السجون .

وفي أواخر الثمانينات بلغت الأزمة الإقتصادية في الجزائر مداها ، وانفجر الشعب الجزائري في ثورة تظاهرات عامة عرفت بـ (مظاهرات الخبز)..، وأدرك النظام الجزائري ورئيسه الشاذلي أنه لابد من إحداث تغير جذري في الأوضاع ، فأعلن الشاذلي سنة (1988) سلسلة من الإصلاحات الشاملة

كان من أهمها ، إنهاء سياسة الحزب الواحد ، وإطلاق المسار الديمقراطي وحرية تشكيل الأحزاب السياسية.

وهكذا أقبل الجزائريون بحماس على تشكيل الأحزاب وإنشاء الصحف ، وازدهرت الحركة السياسية . وكان في طليعة الذين تحركوا بحماس في هذه الفسحة من الحرية ، مختلف مكونات الصحوة الإسلامية في الجزائر والتي كانت تشهد ازدهارا مكبوتا منذ أواسط السبعينيات ، شأنها في ذلك شأن باقي البلاد العربية والإسلامية التي كانت تشهد صحوة إسلامية عارمة، بعد أن بدأ يتبدى إفلاس سراب الأفكار القومية واليسارية التي ازدهرت خلال الخمسينيات والستينيات .

وهكذا أعلن الشاذلي عن إجراء انتخابات بلدية (1988) ، تتبعها انتخابات برلمانية سنة (1989) من أجل بدء المسار الديمقراطي في الجزائر . وبدأت الأحزاب المتنوعة استعدادها لخوض تلك التجربة .

تكونت الساحة السياسية في الجزائر إبان الإنتخابات سنة (1989) من ثلاث محور ، هي:

1- حزب السلطة وهو حزب (جبهة التحرير الوطني)، الذي حكم الجزائر منذ الإستقلال بطريقة بوليسية وانفرد بالسلطة ربع قرن من الزمن .
2- قوى الصحوة الإسلامية .
3- الأحزاب العلمانية التي شكلت آنذاك.

وكانت الجبهة الإسلامية للإنقاذ أقوى التكتلات الإسلامية وتزعمها الشيخ (عباسي مدني) ، وبرز إلى جانبه الشيخ (علي بلحاج) ، أحد دعاة التيار السلفي . وتكونت الجبهة من خليط من مدارس الصحوة و قياداتها والتنظيمات الإسلامية والدعاة المستقلين .. بالإضافة لقواعد عريضة من عوام المسلمين الذين آمنوا بعموميات مشروع الإسلام السياسي . وأما القوى العلمانية الناشئة بعد حرية الأحزاب:

فقد تعددت تلك القوى والأحزاب ، بعد أن أطلقت الحريات ، ولكن أبرز تلك القوى بحسب ما أثبتته الإنتخابات التالية كانت :

- أولا: حزب جبهة القوى الإشتراكية : وهو حزب ينتشر في منطقة القبائل ويحمل فكرا غربيا ليبراليا ، وقد تزعمه) آيت أحمد) . وقد سير المظاهرات بعد فوز الإنقاذ يبدد بها ويخوف الحكومة والغرب من زحف الأصولية .

- ثانيا:حزب التجمع من أجل الثقافة والديمقراطية : وهو حزب شديد العداء للإسلاميين ينادي بالحل الإستئصالي لهم . وقد وتزعمه (سعيد سعدي) .

- ثالثا: الحزب الشيوعي : وتزعمته (لويزا حنون) .تبنت الطرح الديمقراطي.

ومع انصرام الإنتخابات البلدية ، تبين أن الجهة الإسلامية للإنقاذ ، قد سحقت أقوى الأحزاب السياسية العلمانية في الجزائر ، وهو حزب السلطة ! (حزب جبهة التحرير الوطني) ، وأن الأحزاب العلمانية حديثة التشكيل لم تحصل إلا على الفتات .

وتولت بذلك جبهة الإنقاذ معظم بلديات الجزائر ، وبدأ عناصرها في خدمة الناس بروح طيبة وإخلاص افتقدتها الجزائر منذ عهود طويلة ، مما رفع في أسهم الجبهة شعبيا وأهلها للنصر التالي . وهو الإنتخابات التشريعية (البرلمانية). وتمخض الدور الأول فيها عن فوز الجبهة بأغلبية ساحقة من دورها الأول ، وبدا أن ذلك سيمكنها خلال الشوط الثاني من الدورة الإكمالية من الأغلبية الساحقة ،التي تأهلها لتشكيل الحكومة منفردة ، و الترشح بذلك لرئاسة الدولة !!

وضربت نواقيس الخطر في مشارق الأرض ومغاربها .. وأعلنت الدول الصليبية الكبرى عن استعدادها للتدخل لقطع الطريق على الإسلاميين من الوصول للسلطة. بل صرح (فرانسوا ميتران)، الرئيس الفرنسي في حينها ، أن فرنسا على استعداد للتدخل العسكري للحيلولة دون وصول الإسلاميين للسلطة . وكان الحل الوحيد أمامهم هو إحداث إنقلاب عسكري مدعوم من قبل الغرب ولاسيما فرنسا لقطع الطريق على الإسلاميين من أن يصلوا لحكم الجزائر .

وحصل الإنقلاب . وجاء العسكر بجنرال سابق هو (محمد بوضياف) ليتولى رآسة الدولة . واعتقلت قيادات الجبهة الإسلامية للإنقاذ وأودعت السجون ، وقمعت المظاهرات بالعنف ، وفتح النظام العسكري الذي استولى على السلطة وسحق الديمقراطية بدعم من الغرب المنافق ، فتح العديد من السجون الصحراوية لعشرات آلاف المعتقلين من الإسلاميين .. وكان هذا سبب بداية الإنتفاضة الجهادية المعاصرة في الجزائر، وبداية لفصل دموي فيها لم تنته ذيوله إلى الآن . فصل كبد ذلك البلد الحبيب إلى الآن زهاء ربع مليون ضحية من المسلمين الأبرياء . ورحبت فرنسا والغرب بالانقلابيين الذين خططوا لهم ودعموهم ، لينقضوا معهم على نتائج هذه الكذبة الكبرى التي يسمونها (ديمقراطية). [وقد كتبت في تفاصيل هذه الأحداث كتابا فيه تفصيل عنها بعنوان (شهادتي في أحداث الجهاد في الجزائر 1989- 1996) لمن أراد استزادة في التفاصيل].

ويرأس الجزائر حاليا الرئيس (عبد العزيز بوتفليقة) ، وقد فاز بتأييد شعبي كاسح في الإنتخابات الرئاسية ، معتمدا على مشروع مصالحة وطنية تبناه لإنهاء إرهاصات تلك الأحداث . وقد بناه على مشروع قانون (الوئام المدني) الذي طرحه سلفه والذي يقضي بالعفو عن المسلحين الذين يسلمون أنفسهم للسلطات .

وتشهد الجزائر التي عرفت بروابطها المتينة مع فرنسا ، في عهد بوتفليقة ، تزايدا في روابطها مع أمريكا . التي اعتبرتها من الحلفاء المفضلين لديها في مكافحة الإرهاب ، حيث يعلن بوش رضاه بين الحين والآخر عن سياسات بوتفليقة في تصفية التيارات الأصولية وحصارها . وما تزال أحداث

الجزائر مستمرة وإن كانت حدتها قد خفت بعد القضاء على الجماعات المسلحة التي انحـرف كثـير منها عن جادة الصواب بفعـل اخـتراق المخـابرات لهـا ووقعـت في اسـتهداف الأبريـاء مـما أفقـدها شعبيتها وأوردها دروب الهزيمة و التشرذم .وأسأل الله أن يقيض لهذا البلد الحبيـب أمـر رشـد يعـز فيه أهل طاعته ويذل فيه أهل معصيته .إنه على ذلك قدير .

المغرب :

ظلت مراكش مستقلة عن العثمانيين وإن قامت بينهما علاقـات التعـاون وتبـادل المنـافع بـين حين وآخر . وكذلك بقيت مناهضة لأطماع أسـبانيا والبرتغـال حتـى أوائـل القـرن العشرـين . وبعـد احتلال فرنسا الجزائر سنة (1830م) وتونس (1881م) توجهت بأنظارها نحو المغـرب الأقصىـ الـذي كانت تحكمه دولة الأشراف العلويين . وفي نفس الوقت كانت أسبانيا تطمع في احتلال الـبلاد . وأمـا فرنسا فقد عقدت مع إنجلترا " الاتفاق الودي" سنة (1904م) الذي أتاح لها موافقـة بريطانيـا عـلى احتلال المغرب الأقصى.

وفي مؤتمر الجزيرة سنة (1906م) تقرر إقامة نظام دولي خاص في طنجة ، كما تقرر إطلاق يـد أسبانيا وفرنسا لبث نفوذها في المغرب . وبينما نجحت أسبانيا في الاستيلاء على منطقـة "الريـف" في الشمال ، وجهت فرنسا حملة على المغرب الأقصى سـنة (1907م) مقابـل إطـلاق فرنسـا يـد إنجلـترا للعمل في مصر . فاحتلت مدينتي الـدار البيضـاء و"وجـدة" ، ثـم اسـتولت عـلى مدينـة فـاس سـنة (1329هـ/1911م).

وفي سنة (1912م) أرغمت فرنسا السلطان عبد الحفـيظ عـلى توقيـع معاهـدة الحمايـة عـلى البلاد . ولما احتجت أسبانيا على ذلك جرت مفاوضات بينها وبـين فرنسـا ، انتهـت بتوقيـع معاهـدة تقسيم المغرب إلى منطقتـين منفصـلين: إحـداهما لفرنسـا ، والأخـرى لأسـبانيا ، بيـنما تظـل طنجـة منطقة دولية.

ثم عملت فرنسا على محو شخصية المغرب العربية الإسلامية بفضل جهود ممثلهـا في المغـرب "الجنرال ليوتي" المقيم العام الذي جمع في يده السلطان السياسـية والعسـكرية والإداريـة والماليـة ، والذي سمح للمهاجرين الفرنسيين بالاستيطان في المغرب الأقصى. واندلعت حركت الجهاد والمقاومة الوطنية على إثر ذلك فقامت ثورة في فاس سنة (1912م) ما لبثت أن انتشرت في المناطق المجاورة ، فقمعتها فرنسا بوحشية وقسوة.

ثم قامت ثورة أخرى من قبل قبائل البربر وسكان الشاوية وضرب الثوار الحصار حـول فـاس ، لكن " ليوتي" استخدم المدفعية في ضرب الثوار وإفشال الحصار.

ثم تركزت المقاومة في منطقة الأطلس المتوسط ونجح الثوار في الاستيلاء على مراكش وأغادير سنة (1912م) ، لكن الفرنسيين قمعوا الثورة واستولوا على المدينتين وأمنوا المواصلات بين فاس ومكناس والرباط

عندئذ اعتصم الثوار بالجبال وحققوا الاستقلال بها حتى عام (1934م).

أما عن المقاومة الوطنية في منطقة الريف فقد قادها عبد الكريم الخطابي سنة (1921م) وظلت مستقلة حتى سنة (1926م).

وقد انتصر الثوار في عدة معارك مثر "أبران" و "إغرين" على الأسبان وتمكنوا من هزيمتهم وقتل قائدهم في معركة "أنوال" الشهيرة التي هزم فيها الخطابي جيوش خمس دول أوربية من الفرنسيين والأسبان ومن عاونهم ، وقتل الآلاف منهم وأسر عشرة آلاف من الجنود فيهم زهاء 100جنرال و5 ماريشالات .

وبويع الخطابي من قبل الثوار ليكون "أمير الريف" فحكم الشريعة الإسلامية وأرسل الشرطة والقضاة والفقهاء يعلمون الناس دينهم في قراهم المتناثرة وسط الجبال . وأدركت فرنسا خطر انتصارات الخطابي فتدخلت بمساعدة الأسبان ، ونجحت القوات الفرنسية بمساعدة البحرية الأسبانية في هزيمة الثوار ، وضرب الطيران الإسباني القرى والسكان بالغازات السامة !! وهُزم الخطابي ونفي إلى فرنسا ، ولكن أعوانه هربوا به في الطريق ، ولجأ إلى مصر حيث ظل فيها هذا الشيخ البطل إلى حين وفاته سنة (1963م). رحمه الله رحمة واسعة . ومع ذلك استمرت المقاومة ضد الفرنسيين والأسبان . ففي عام (1934م) تشكل أول تنظيم سياسي في المغرب باسم " كتلة العمل الوطني المغربية " من أجل تحرير البلاد.ثم تأسس " الحزب الوطني " وازدادت الحركة الوطنية اشتعالا بتولي محمد بن يوسف الحكم وتأييده للثوار ومساعدتهم . كما تأسس " حزب الاستقلال " سنة (1358هـ/1940م) واندلعت حركة المقاومة في كل أرجاء المغرب ، وفي سنة (1947م) خطب السلطان محمد بن يوسف في طنجة خطبة حماسية طالب فيها بالحرية والسيادة ووحدة البلاد. الأمر الذي ألهب حماس الثوار الذين ظلوا يتعاونون مع السلطان حتى نال المغرب استقلاله ووحدته سنة (1956م) .

ثم حكم المغرب بعد ذلك الملك الحسن الثاني بن محمد الخامس ، مدة طويلة ، وكان فرعونا ظالما وديكتاتورا طاغية ، فقتل كل من ناوأه من كل اتجاه ومشرب من الإسلاميين وحتى الشيوعيين وما بينهما من الأفكار . وملأ سجونه الشهيرة المرعبة بالسجناء الذين قضى الكثيرون منهم تحت سياط الجلادين وأجهزة التعذيب المستوردة من أوربا ! كما أحاط الملك نفسه بأجهزة أمنية كثيرة ومجرمة ، و سيَّج ملكه بطبقة كثيفة من علماء السلطان وفقهاء القصر من المغاربة الذين يركعون ويسجدون له بدعوى سجود الملائكة لآدم عليه السلام ! بل استورد الملك علماء السلطان من أصقاع

الدنيا مـن بـلاد العـرب والعجـم . واشـتهرت المغـرب في عهـده بـالفقر والبطالـة والفسـاد وانتشـار المخدرات والدعارة والمجون والانحلال الاجتماعي في كثير من طبقات الناس ، وكان الملـك في طليعـة الزناة المشاهير والفاسدين المعـروفين حتـى قيـل أن الممثلـة الفرنسـية الشـهيرة (بريجيـت بـاردو) ذكرت خبر لياليها الحمراء معه في مذكراتها ! كما حاز الملك (الخنفوس) - كما كان يسميه (الشـيخ عبد الحميد كشك) رحمه الله - على عدة جوائز من دور الأزياء العالمية كملك للأناقة !! فيما يموت أكثر شعبه من الفاقة والعوز ، ويرمي شبابه بأنفسهم في براثن الموت في مراكب الهجرة غير الشرعية بحثا عن العمل في شواطئ أوربا ! . ولكن صحوة إسلامية متعددة المشارب من الصوفية إلى السلفية إلى الجهادية ، إلى السياسـية وقفـت لـذلك الفسـاد بالمرصـاد ، ولاقـت مـن الملـك العنـت والـبطش والتضييق بحسب جدية مواجهتها له .

ثم هلك الملك سنة 2002 ، ليخلفه الملك الحالي (محمد السادس) نسـخة عفنـة عـن أبيـه . حيث دخلت المغرب في فلك أمريكا أيضا كغيرها وصارت أجهزة أمنهـا كتيبـة في الهجمـة الأمريكيـة لحرب المسلمين فيما عرف بمكافحة الإرهاب . أسأل الله له ولأمثاله من فراعنة بلاد المسلمين دعـوة سيدنا نوح عليه السلام :

﴿ وَقَالَ نُوحٌ رَبِّ لا تَذَرْ عَلَى الْأَرْضِ مِنَ الْكَافِرِينَ دَيَّاراً * إِنَّكَ إِنْ تَذَرْهُمْ يُضِلُّوا عِبَادَكَ وَلا يَلِدُوا إِلَّا فَاجِراً كَفَّاراً ﴾ (نوح: 27 / 26) .

موريتانيا:

تقع جنوب المملكة المغربية الحالية وقد دخلها الإسلام بعد فـتح العـرب بـلاد المغـرب أواخـر القرن الأول الهجري ، وأطلقوا على المنطقة اسم (شنقيط) وكانت هذه المنطقة تتبع الدول المغربيـة مثل دولة الموحدين ودولة الحفصيين ودولة السعديين والدولة العلوية.

تعرضت المنطقة لغارات البرتغاليين الذين أسسوا بها مراكز لتجارة الصمغ والذهب والرقيـق ، ثم تلاهم الأسبان بعد قرنين ثم تلاهم الفرنسيون فالهولنديون.

وفي سنة (1901م) أرسلت فرنسا حملة لاحـتلال الـبلاد أقنـع قائـدها الأمـراء المحليـين بطلـب الحماية الفرنسية ، ولما احتلت فرنسا مراكش – المملكة المغربيـة حاليـا – خضـعت الـبلاد جميعهـا للاحتلال الفرنسي الذي أطلق عليها اسم (موريتانيا).

واتبع الفرنسيون سياسة التفرقة بين المسلمين البيض والزنوج وحاربوا اللغـة العربيـة وحـاولوا نشر الثقافة الفرنسية . لكن حركة الجهاد المقاومة للاحتلال تفجرت عام (1908م)، واستمرت حتـى عام (1934م) مطالبة بالاستقلال.

ثم تشكل حزبان أساسيان تصديا للاستعمار الفرنسي هما ، (حزب الاتحاد الـوطني) و (حـزب منظمة الشباب) ثم اندمجا في حزب واحد سنة (1948م) هو (حزب التفاهم الموريتاني) ثـم انشـق على نفسه ، وأخيرا ثم الاتحاد سنة (1958م) تحت اسم (حزب التجمع الموريتاني) الذي تبنى قضية التحرير والاستقلال.

وفي عهد (ديجول) أصدر لهم دستورا قبلته موريتانيا مرغمة وأصبحت بمقتضاه عضوا في الجامعة الفرنسية . وفي سنة (1959م) فاز حزب التجمع الموريتاني في الانتخابات وشكل رئيسه المختار ولد داده الوزارة وأصبح الحزب الحاكم في البلاد.

ثم نشأ حزب جديد يدعو إلى الاستقلال التام و الانضمام إلى المغرب هو (حزب النهضة) .وفي سنة (1960م) أحرزت موريتانيا استقلالها وأصبحت عضوا في الأمم المتحدة كما قبلت عضوا في الجامعة العربية سنة (1973م) .

وفي سنة (1978م) ، قام انقلاب في موريتانيا بزعامة محمد السالك ولكنه لم يستمر في الحكم طويلا فقد أطاح انقلاب آخر به ، ثم لحقته عدة انقلابات أدت إلى عدم استقرار أحوال البلاد خصوصا بعد تعرضها لمشكلات اقتصادية وسياسية مع جارتها (السنغال).

وآل الأمر أخيرا عبر انقلاب عسكري منذ نحو عشرين سنة إلى الرئيس الحالي (معاوية ولد سيدي أحمد الطايع) . فحكم البلاد حكما عسكريا استخباراتيا ، و أوصلها لقعر الأزمات والفقر والفساد . ولكن القفزة الجديدة التي أحدثها هذا الطاغوت هي الانفتاح على أمريكا وإسرائيل ، حتى وصل الأمر به لإقامة علاقات دبلوماسية كاملة مع تل أبيب ، وافتتح سفارة للعدو الصهيوني في نواكشوط العاصمة !

وقد قامت عليه عدة انتفاضات شعبية وانقلابات عسكرية قمعها كلها بالحديد والنار ، ومازال يجثم على صدور المسلمين في موريتانيا قبحه الله وأهلكه وأمثاله من فراعنة بلاد المسلمين .

اريتريا :

ليس تحت يدي الآن ما يكفيني من المعلومات لكتابة ملخص واف عن هذا الإقليم المسلم ، ولكن الذي أذكره من معلوماتي العامة ، أنها كانت تخضع للاحتلال الإثيوبي (الحبشة)، منذ زمن بعيد ، وقد ذاق المسلمون في عهد إمبراطورها (هيلا سي لاسي) صنوف العذاب ، وقامت فيها منذ عشرات السنين ثورات جهادية للتخلص من حكم الأحباش وتحصيل الاستقلال عنهم . ثم حصل انقلاب شيوعي في إثيوبيا ، ولكن اريتريا بقيت تعاني نفس البلاء تحت حكمهم واستمرت الثورات الجهادية المسلحة .

ثم تسللت المنظمات التنصيرية إلى إثيوبيا وأنشأت أجهزة الإستخبارات المختلفة كيانات ثورية وسياسية تقوم على عقائد علمانية ويسارية ونصرانية ، تطالب أيضا باستقلال إثيوبيا ، وتقاتل الأحباش . وقد لاقى الثوار الإرتريون مختلف أشكال الدعم من البلاد والأنظمة العربية ، إلى أن تحقق استقلالها . ولكن الحكم آل فيها إلى المدعو (أسياسي أفورقي) فقلب ظهر المجن للعرب وتنكر لعروبة إريتريا بل و لإسلاميتها ، واتبع سياسة انفتاح على الغرب وعلى إسرائيل التي كثفت حضورها في البحر الأحمر مقابل سواحل الحرم المكي ، و تحكمه بمضيق باب المندب ! ،وتابع المجاهدون المسلمون قتالهم ولكن ضد حكومة بلادهم هذه المرة ، وفي إريتريا اليوم عدد من المنظمات الإسلامية المسلحة العاملة في ظروف صعبة من العزلة والعوز، حتى صارت قضية شبه منسية من العرب والمسلمين فيما تعيث المنظمات التنصيرية والموساد الإسرائيلي فيها فسادا ، وحسبنا الله ونعم الوكيل .

الصومال وجيبوتي :

وتحتل موقعا استراتيجيا يعرف بالقرن الإفريقي في مقابلة سواحل اليمن وجزيرة العرب .وقد هاجرت إليها منذ أزمنة سحيقة قبائل العرب واختلطت بالأفارقة . وكانت على علاقة تجارية بالعرب منذ عصور ما قبل الإسلام . وبعد ظهور الإسلام ، واستمرت هذه العلاقات ، ثم وهاجرت قبائل عربية في القرن الرابع الهجري إلى شرقي إفريقية وأسست مدنا تجارية مثل مقديشو و براوة ونقلت معها الإسلام والحضارة العربية، واختلط العرب بسكان السواحل من قبائل البانتو فامتزجت الدماء وتكون الشعب السواحلي الذي يتكلم اللغة الساحلية ، ثم خضعت المنطقة للاستعمار البرتغالي بعد اكتشاف طريق رأس الرجاء الصالح سنة (1498م). ولما استقر العثمانيون في عدن أغاروا على البرتغاليين بمساعدة العناصر العربية ، ففي سنة (1586م) تمكنوا من إلحاق مقديشو بالدولة العثمانية.

ولما قامت (دولة اليعاربة) في عُمان أرسلت أسطولا بحريا إلى ساحل إفريقية الشرقي سنة (1698م) تمكن من بسط سيادة العمانيين على البلاد باستثناء مستعمرة موزنبيق.

وفي عهد دولة بوسعيد العمانية سقطت (ملبسة) في يد السلطان سعيد بن سلطان سنة (1837م) ، بل إنه نقل عاصمته من مسقط إلى زنجبار.

ونظرا لقيام الصراع بين أفراد أسرة البوسعيديين تدخلت بريطانيا في شؤون الصومال ، كما تدخلت فرنسا ، وبريطانيا و إثيوبيا وكينيا لدعم نفوذهم في البلاد.

ثم تمكنت فرنسا من وضع يدها على منطقة قريبة من مضيق باب المندب عرفت بالصومال الفرنسي ، وكذلك إنجلترا على منطقة أخرى عرفت بالصومال البريطاني وإيطاليا على ثالثة عرفت بالصومال الإيطالي .

ثم اندلعت الحركة الوطنية الصومالية أواخر القرن التاسع عشر وأرغمت بريطانيا على إخلاء المناطق الداخلية من الصومال البريطاني.

ثم تعاظمت حركة المقاومة ضد الفرنسيين والبريطانيين والإيطاليين مطالبة باستقلال الصومال وتحقيق وحدته.

وقد تحقق تحرير الصومال الإيطالي سنة (1960م) بعد صدور قرار هيئة الأمم المتحدة سنة (1959م) كما تحقق تحرير الصومال البريطاني في نفس العام ثم اتحد الإقليمان في جمهورية واحدة عرفت باسم (جمهورية الصومال) سنة (1960م) أما الصومال الفرنسي فلم يحرز الاستقلال إلا في عام (1977م) ، وتسمى باسم (جهورية جيبوتي).

والتحقت الدولتان بالجامعة العربية .

قد حكم الصومال لفترة طويلة طاغوت عنيد هو (محمد سياد بري) ، ولكنه لما هلك أواخر الثمانينيات، تفتت الصومال في صراع قبلي نظرا لتجذر الصراع القبلي فيها وتعقده وتشابكه . مما أتاح المجال مطلع التسعينيات للتدخل الأمريكي ، فرست البوارج الأمريكية على شواطئ الصومال ، ولكنها سرعان ما غاصت في رمالها وأوحالها ، وتصدت لها القبائل والمجاهدون ، وبدأت نذر فيتنام صومالية تلوح أمام الأمريكان ، ففروا على عجل لا يلوون على شيء ومل زال الصومال متفتتا في حالة استقرار حرج يندلع فيه القتال بين الفينة والأخرى .

ثانيا : أحوال بعض دول العالم الإسلامي:

تركيا :

حكم مصطفى كمال أتاتورك لتركيا (1924- 1938) :

يكاد المتتابع لتاريخ مصطفى كمال ، يجزم أن هذه الرجل حكم تركيا وحده حكما مطلقا لا ينازعه فيه أحد ، حكما دكتاتوريا يقوم على السحق و الإبادة والدماء والأشلاء.

فقد أعلن الجمهورية بعد مؤامرة حاكها مع أصحابه وكان يرى وجوب اقتلاع سيطرة الدين من تركيا ، ثم ألغى الخلافة وأقر قانونا يقضي اعتبار كل معارضة للجمهورية وكل ميل إلى السلطان المخلوع خيانة يعاقب عليها بالموت.

وفي (3) مارس سنة (1924م) تقدم بمشروع إلغاء الخلافة وطرد الخليفة ، وفصل الدين عن الدولة وإلغاء المحاكم الدينية العتيقة وقوانينها ليحل محلها محاكم وقوانين عصرية ، وإلغاء المدارس الدينية ليحل مكانها مدارس حكومية علمانية.

وفي اليوم الثاني أصدر أمرا بطرد الخليفة وجميع الأمراء والأميرات من تركيا ورحِّلوا خارج البلاد.

بعد أن تخلص من خصومه واصل تدميره للإسلام والبلاد . ففرض القبعة – التي كانت رمز الكفر في نظر الأتراك – فعارضها الأتراك ، فنصب لهم المشانق في ميادين المدن.

ثم استورد القوانين الوضعية الأوروبية ، فاستدعى الخبراء ليضعوا القوانين الجنائية والمدنية والتجارية المأخوذة من القوانين الإيطالية والسويسرية والألمانية .

ثم ألغى الحروف العربية التي يكتب بها الأتراك والتي كتب بها التراث الإسلامي كله من فقه وحديث وتفسير وتاريخ .وأرغمهم على الكتابة بالأحرف اللاتينية حتى يفصلهم نهائيا عن دينهم وتراثهم .وحددوا يوما ليعاقب بعده كل من لم يتقن الحروف اللاتينية من حرمان وظيفة ، وتجريد جنسية وطرد من البلاد وسجن .

ثم منع تعدد الزوجات ، وقرر المساواة بين الرجال والنساء في جميع الحقوق والواجبات والمواريث ،.. وأنشأ مدارس الفنون للشباب والشابات ، ومدارس لتعليم الرقص الشرقي والغربي ، ومنع الحجاب وأخرج المرأة من بيتها وأدخلها في مناصب الدولة ، وأنشأ المسارح المختلطة ، وشجع الحفلات الراقصة...

حول المسجدين العظيمين – أيا صوفيا ، ومسجد الفاتح – إلى متحفين . ونصب تماثيله في كل مكان.

ألزم الناس الأذان باللغة التركية ، وألـزمهم تـلاوة القـرآن الكـريم باللغـة التركيـة لا بالعربيـة ، وسمع مرة أذان الفجر من مسجد مجاور فأمر بهدم المئذنة.

أدخل التقويم الجريجوري الغربي محل التقويم الهجري. وألغى عيد الفطر والأضحى. وجعـل يوم الأحد العطلة الأسبوعية بدل الجمعة. منع الحج ، ومن الحجاب.

وخلاصة القول لقد كان يحكم وكأنه ليس في تركيا أحد.

كان يقول: أنا تركيا وتركيا هي أنا ، أنا رئتهـا التـي تتـنفس بهـا ، فكـل محاولـة لتـدميري هـي محاولة لتدمير تركيا.

وهكذا استمر يدمر تركيا ويمسح عن وجهها هذا الدين – الذي رفعها – لتحكم خمسة قـرون متتالية أراض لا تغيب عنها الشمس ، وواصل تـدميره لكـل الأعمـدة التـي أقـيم عليهـا صرح هـذه الدولة المسلمة الشامخ إلى أن أصبحت تركيا في ذيل قافلة الرقيق في كل مناحي الحياة.

وقد قامت ضد أتاتورك عدة ثورات أههـما ثـورة الصـوفية النقشـبندية سـنة 1924. ثـم سـنة 1930 ولكنه قمعهم بقسوة . كما قاومه الصوفيون من الطريقة التيجانية ، وحركة سـعيد النـور سي بالطرق السلمية والدعوة، فقمعهم أيضا . ثم تفرد في الحكم .

ثم أصيب أتاتورك بمرض الكبد بسبب الخمر وضعفت ذاكرته وأصيب بالأمراض الجنسية المختلفة .

وفي أثناء مرض الموت استدعى أتاتورك السفير البريطاني (لورين) ليوصي له برئاسة الجمهورية التركية كما سبق !!!.

ويحدث الأتراك عن العذاب الذي كان يعاني منه أثناء مرضه العجب. وكان يصيح صياحا يخترق شرفات القصر الذي يقيم فيه (دولة باغجة) في القسطنطينية.

وأصبح جلدا على عظم ، وسقطت أسنانه ، وأوصى أن لا يصلى عليه صلاة الجنازة ، وفي نوفمبر سنة (1938م) رحل أتاتورك من الدنيا ملعونا في السماء والأرض .

بعد أن دمر تركيا الإسلام ، ومزق الأسرة ، وحطم الأخلاق ، وداس القيم ، وانتهك الشعائر وحول المساجد إلى مخازن للحبوب..

يقول عرفان أوركا: (إن أتاتورك قد اقتنع بأن كفاحه يجب أن يوجه إلى الدين وكان يعتقد من صغره أن لا حاجة إلى الله ، وكان يقول: إن قوة العقل والإرادة تتغلبان على قوة الإله ، وكان في آخر عهده يرفع قبضته ويشير إلى السماء ساخرا مهددا)

عن كتاب الذخائر (ص740-744) .

تركيا بعد أتاتورك (1938- 2004م)

1. مات أتاتورك بعد أن خلف تركيا فقرا بلقعا ، وكانت أعماله محط أنظار الغرب . فعض على إنجازاته التدميرية بالنواجذ وجيء بنائبه عصمت إينونو ليصبح رئيسا للجمهورية . فاعترف بإسرائيل سنة (1948م) ، وبدأت أمريكا بزرع القواعد العسكرية فيها .
2. ثم أراد الغرب أن يسبر غور التجربة الكمالية في الشعب التركي . فأجبروا عصمت إينونو على إنشاء الأحزاب السياسية ، فاختار إينونو (جلال بايار) وكلفه بتشكيل الحزب المعارض والحزب الديمقراطي ، وكان يساعد جلال بيار عدنان مندريس فأصبح عدنان قطب الرحى في الحزب.
3. ثم دخلت تركيا حلف شمال الأطلسي سنة 1950وانتشرت فيها القواعد الأمريكية ، وصارت تحت النفوذ الأمريكي واليهودي
4. ويشاء الله أن تحصل في هذه الفترة حادثة عجيبة لعدنان مندريس فبينما كان ذات مرة يركب طائرة توقف أحد محركاتها وأعلن الربان حالة الخطر ، فعاهد مندريس ربه لإن أنجيتني لأعيدن الإسلام إلى تركيا . واحترقت الطائرة وكان الشخص الوحيد الذي نجا منها هو مندريس.
5. دخل الحزب الديمقراطي سنة (1950م) الإنتخابات ببرنامج عجيب توقعت له كل الدراسات الأمريكية الفشل المطلق.

كان البرنامج لا يتضمن أكثر من عودة الأذان باللغة العربية ، والسماح للأتراك بالحج ، وإعادة إنشاء وتدريس الدين بالمدارس ، وإلغاء تدخل الدولة في لباس المرأة .

وقد بنى دعايته الانتخابية على أساس العودة التدريجية إلى الإسلام كمصدر أساسي لقوة الشعب التركي المتدين.

كانت النتيجة مذهلة ، سقط حزب أتاتورك إلى اثنين وثلاثين نائبا ، وفاز الحزب الديمقراطي بثلاثمائة وثمانية عشر مقعدا ، وكانت دهشة اليهودية العالمية الماسونية عظيمة حين اكتسح مندريس خليفة أتاتورك ، ويومها صاح إينونو قائلا: لقد انتصر عدنان مندريس بدعايته الدينية.

وتسلم عدنان مندريس مقاليد الحكم رئيسا للوزراء . وجلال بايار رئيسا للجمهورية ، وشرع لتوه ينفذ وعوده التي بذلها للشعب أثناء عملية الإنتخابات.

واستجاب مندريس لمطالب الشعب فعقد أول جلسة بمجلس الوزراء في غرة رمضان ، وقدم للشعب هدية الشهر الكريم: (الأذان بالعربية وحرية اللبس وحرية التدريس الدين و بدأ بتعمير المساجد).

وجاءت انتخابات عام (1954م) وهبط نـواب حـزب أتـاتورك إلى (24) نائبـا ، وسـمح بتعلـيم اللغة العربية ، وقراءة القرآن وتدريسه في جميع المدارس حتى الثانوية وإنشاء عشرة آلاف مسجد ، وأنشأ اثنين وعشرين معهدا في الأناضول لتخريج الوعاظ والخطباء وأساتذة الدين ، وسـمح بإصـدار مجلات وكتب تدعو إلى التمسك بالإسلام والسير على هديه ، وأخلى المساجد التـي كانـت الحكومـة السابقة تستعملها مخازن للحبوب وأعادها أماكن للعبادة.

وتقارب مندريس مع العرب ضد إسرائيل ، وفرض الرقابة على الأدوية والبضائع التي تصـنع في إسرائيل وطرد السفير الإسرائيلي سنة (1956م) ، وفتح (25) ألف مدرسة لتحفيظ القرآن .

تحركت اليهودية العالمية ضد مندريس ، وحركت أمريكا والدول الغربية الماسونية في الجيش ، فقام الجنرال الماسوني (جمال جو رسل) سـنة (1960م) بـانقلاب وشـنق عـدنان منـدريس وفطـين زورلو ، وحسن بلكثاني .

وكتب الصحفي اليهودي سامي كوهين: لقد كان السبب المباشر الذي قـاد منـدريس إلى حبـل المشنقة سياسته القاضية بالتقارب مع العـالم الإسـلامي والجفـاء والفتـور التـدريجي في علاقتنـا مـع إسرائيل ، ثم ضرب حزب العدالة .

1- في سنة (1965م) أجريت انتخابات مرة أخرى ربـح فيهـا حـزب العدالـة بأغلبيـة سـاحقة ، وكان رئيسه سليمان ديميريل ، وقال إينونو: أنا لم يهزمنـي ديميريـل ... بـل هزمتنـي جماعـة النور الإسلامية الصوفية . أتباع الشيخ سعيد نورسي .

وحصل حزب العدالة على (263) مقعدا من (450) مقعدا وضاعف ديميريل مدارس الأئمـة إلى (72) ومدارس تحفيظ القرآن إلى اثنتي عشر ألف مدرسة وتقرب للعرب وفترت علاقاتـه مع إسرائيل. واشترك بالمظاهرة الإسلامية ضد إسرائيل في الرباط فتحركت أمريكا ومن ورائها اليهودية العالمية وحركت الجيش وجاء الإنقـلاب العسـكري الـذي نحـي فيـه ديميريـل عـن الحكم ، ولكن لم يعدم بسبب أنه ماسوني.

2- و تزداد الديون على تركيا يوما بعد يوم ، بالأضـعاف إلى أن نسـبة التضـخم بلغـت (42% - 60%) سنة (1970م9 والبطالة (20%) والـديون كانـت سـنة (1970م) (21) مليـار دولار ، وفي سنة (1979م) أصبحت (17) مليار).

واستسلمت الحكومة للبنك الدولي وخفضـت قيمـة الليـرة التركيـة إلى (8) مـرات وفي سـنة (1980م) ارتفعت نسبة الربا إلى (30%) أعلى نسبه في العالم .

3- ظهر حزب السلامة الوطني الإسلامي سنة (1972م) الذي كان يقوده الدكتور (نجـم الـدين أربكان) الحاصل على دكتوراه من جامعة ألمانية ، والتف كثير من الشباب التركي حول هـذا الحزب ، ووقف الحزب ضد الغرب الصليبي بزعامة أمريكـا ، فطالـب بـالخروج مـن حلـف

الأطلسي وتحرير تركيا من القواعد الأمريكية ، ووقف ضد إسرائيل ، واليهود وعارض انضمام تركيا إلى السوق الأوروبية المشتركة ، وطالب بإرسال كتائب من الجيش التركي لمساعدة المجاهدين الأفغان ، كما أرسلت الحكومة جيشا يحارب مع أمريكا في كوريا .

4- وفي سنة (1972م) دخل المعركة الإنتخابية وفاز باثنين وأربعين مقعدا ، وشارك في الحكم مع حزب الشعب الذي يرأسه أجاويد ، وشرط أربكان أن يكون هو النائب لرئيس الوزراء وأن يكون له ثمانية من الوزراء في الحكومة التركية.

5- وفي هذه السنة غزت تركيا قبرص لحماية المسلمين الأتراك من فتك القبارصة اليونانيين النصارى ، ولعب أربكان دورا مهما في قرار التدخل .

6- وبدأ الحزب يحاول إعادة تربية الأتراك على الإسلام ، ففتح أبوب الحج للشعب فبلغ عدد الحجاج (150) ألف سنويا ، وهذا رقم خيالي بالنسبة لما سبق. رغم أن عدد السكان كان زهاء خمسين مليون نسمة ! وافتتح الحزب (3000) مركز للتعليم في القرى و (3000) مدرسة لإعداد الأئمة والخطباء ، ووضع خطة لإنشاء جامعة إسلامية ، والتحق بمدارس الأئمة والخطباء ما يقرب من مائتي ألف طالب، وطالب الحزب بجعل العطلة الرسمية يوم الجمعة بدل الأحد ، وإجراء عقود الزواج حسب الشريعة وبتعليم القرآن واللغة العربية في المدارس . وسيطر الحزب على الإتحاد العام لطلبة تركيا .

وفي (1980/9/7م) عمل الحزب مظاهرة تحت شعار يوم إنقاذ القدس ، وحرق العلم الإسرائيلي وطالب بإقامة دولة إسلامية وحكم الشريعة الإسلامية . وهنا حركت أمريكا الجيش التركي وأقام كنعان إيفرين بالإنقلاب الأمريكي في (1980/9/12) .

كما صرح بعض المسؤولين الأمريكيين ، أن هناك مخاوف متزايدة من حكم إسلامي وبصورة تتعارض مع خط الزعيم التركي (أتاتورك) الذي أرسى دعائم الدولة العلمانية في تركيا ، فالانقلاب التركي أنقذ تركيا من أن تتحول من دولة علمانية إلى دولة تحكمها التقاليد الدينية الإسلامية ، ومدح و اينبرغر إفرين وزمرته وأعطوا تركيا سبعمائة وثلاثة مليون دولار. واعتقل إفرين أربكان ورجال حزب السلامة وافتتح عهده بوضع إكليل من الزهور على قبر أتاتورك، واعتبر إيفرين وحكومته عام (1981) هو عام أتاتورك.

منع إفرين الملتحين من البقاء في الجامعات خاصة أكاديمية (سكا ريا) ومنع الحجاب.

7- في (24) إبريل سنة (1981م) مثل نجم الدين أربكان زعيم حزب السلامة الوطني هو وثلاثون من أعضاء الحزب أمام محكمة عرفية عسكرية ، وقد قرأ المدعي العام العسكري لائحة الإتهام ، أما الجرائم التي جاءت في لائحة الإتهام فهي:

أ. العمل على استبدال مبادئ الدولة القانونية والاجتماعية و الإقتصادية والسياسية بمبادئ تقوم على أساس الإسلام .

ب. قيام عدد من المنظمات الشبابية والطلابية والعمالية والمهنية والمرخصة والمرتبطة سرا بالحزب والتي تعمل على تطبيق الشريعة الإسلامية في تركيا.

ج. اجتماعات الحزب وهتافات تكشف أهدافه ، ومن هذه الهتافات (محمد قائدنا)، (سنحطم الأصنام ونقيم دولة الإسلامية) ، ومن لافتاته. (وَمَنْ لَمْ يَحْكُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ) (المائدة:44) .

د. ترديدهم لذكر الله في اجتماعاتهم وتذكيرهم الأمة بأنها حاربت خلال تاريخها من أجل الإسلام لا من أجل أشخاص أو أبطال .

هـ . إصرار أربكان على افتتاح مدارس تعليم القرآن في كل قرية وإصراره على فتح مسجد أيا صوفيا.

و. هاجم معاهدة لوزان وتغيير الحروف العربية واستبدال القوانين ، وختم حديثه بأن تركيا اليوم جمهورية ملحدة .

ز. طالب الحزب بأن تكون الجمعة يوم العطلة الرسمية وأن يكون الزواج شرعيا . وقد طلبت النيابة العامة بسجن أربكان وإخوانه (14- 36) عاما.

تركيا بعد حكم الإنقلاب العسكري :

في مطلع التسعينات قبل العسكر بإعادة الديمقراطية وانتخب تورغوت أوزال لرئاسة الوزراء . ثم نجح في انتخابات رئاسة الجمهورية وحقق إصلاحات إقتصادية مشهودة .

وفي 1996 خاض حزب السلامة الإنتخابات تحت اسم (حزب الرفاه) ، وحاز على أعلى الأصوات إذ حصل لوحده نسبة 22% من الأصوات ، فقامت الدنيا ، واستلم أربكان رئاسة الوزراء . وتعرض لضغوط دولية اضطر تحتها لتوقيع عدد من المعاهدات مع إسرائيل ، ولم يرض العسكر والعلمانيون عنه مع ذلك ، وحكمت عليه المحكمة الدستورية بحل الحزب ومنعه وكبار وعاونيه من مزاولة السياسة وحل حزب الرفاه .

وفي سنة 2003 عاد بعض الإسلاميين من بقايا الرفاه وغيرهم لتشكيل حزب يتبنى خطا علمانيا إسلاميا معتدلا جدا جدا في نظر الغرب بقيادة ، (رجب طيب أردوغان) الذي كان من تلاميذ أربكان وكان واليا لبلدية استانبول ، وكان رجلا ذائع الصيت مشتهرا بنزاهته وخدماته. وفاز الحزب الذي حمل اسم (حزب العدالة والتنمية) بـ (36%) من الأصوات بالانتخابات !! ، فرضخ العلمانيون للنتيجة واعترفت أوربا بنزاهتها . وشكلوا حكومة ما تزال تتعرض للضغط والابتزاز من أمريكا والغرب ، وتقوم بتنازلات شرعية ومبدئية كثيرة . ولكن يشهد لها أنها استعصت على الأمريكان ولم تقدم كل الخدمات العسكرية المطلوبة منها ، ولم تسمح للأمريكان بالمرور برا إلى شمال العراق من

تركيا ، وكان موقفا مشرفا (نسبيا) قياسا بما فعله خونة الحكام العرب أثناء وبعد احتلال العراق . وتشهد تركيا تجاذبا اجتماعيا وسياسيا كبيرا بين الإسلامية المتأصلة والعلمانية المتفشية . و يجب أن نذكر هنا أن الحكومة الحالية تقدم لأمريكا خدمات كبيرة في مجالات مكافحة الإرهاب ومطاردة الجهاديين من أتراك وغيرهم مما جعل تركيا هدفا لعمليات بعض التنظيمات الجهادية .

باكستان :

تقع باكستان في شبه القارة الهندية ويبلغ تعداد سكانها اليوم زهاء 140مليون نسمة . وقد دخل الإسلام في الهند إبان عصر الخلافة الأموية ، واستطاع العباسيون استرداد النفوذ الإسلامي بالهند خلال العصر العباسي الأول بعد ثورة الهندوس ضد المسلمين. كما شهدت الهند قيام دول إسلامية متتالية مثل الدولة الغزنوية التي استطاع مؤسسها محمود الغزنوي أن يتوسع في شبه القارة الهندية على حساب الهندوس، وبذل جهودا جبارة تابعتها بعد ذلك الدولة الغورية من أجل نشر الإسلام ، كما تلتها دول أخرى مثل دولة المغول التي أحرزت شهرة كبيرة في الفن والعمارة الإسلامية والتجارة . وعم الإسلام وحكم ثلثي القارة الهندية .

وفي أواخر عهد الدولة المغولية تعرضت البلاد للغزو الأجنبي من قبل البرتغاليين والفرنسيين والإنجليز.

وأسس الإنجليز شركة الهند الشرقية البريطانية منذ مطلع القرن السادس عشر الميلادي سنة (1009هـ) . فناهضت النفوذ البرتغالي في الهند وفتحت المجال أمام احتلال الإنجليز لبعض أقاليم الهند .

اتبع الإنجليز سياسة إثارة الهندوس ضد المسلمين ، وتمثل رد الفعل في ظهور حركات إسلامية تناهض بريطانيا ، لكن الإنجليز قمعوا الثوار بوحشية وقسوة ، وأعلنوا أن (الهند مستعمرة بريطانية) على إثر ذلك اندلعت حركات الجهاد الإسلامية والمقاومة الوطنية . ثم بدأ التيار الإسلامي ينشط على يد بعض العلماء والمفكرين من أمثال محمد إقبال ومن السياسيين مثل محمد على جناح اللذين وطالبوا بتحرير المسلمين في الهند ، وفي سنة (1324هـ) تأسس (حزب الرابطة الإسلامية) الذي أنشأ جامعة إسلامية في (دكا) .

وخلال الحرب العالمية الأولى قام (غاندي) بمناهضة الاحتلال البريطاني سلميا ، كما قام محمد علي جناح بدعوة إسلامية تدعو إلى العنف من أجل تحرير البلاد بدلا من سياسة غاندي المسالمة.

وفي سنة (1347هـ) قرر زعماء المسلمين بقيادة محمد علي جناح المطالبة بنظام اتحادي يمنح المسلمين في الهند حكما ذاتيا ، فرفضه حزب المؤتمر الهندي بزعامة غاندي.

وفي سنة (1349هـ) طالبت (الرابطة إسلامية) بقيادة محمد إقبال بتأسيس دولة إسلامية في الهند برئاسة محمد علي جناح.

وفي سنة (1356هـ) أعلن محمد علي جناح تمسكه بتأسيس دولة إسلامية منفصلة في الهند أطلق عليها لأول مرة اسم (باكستان).

تلت ذلك فترة صراعات دموية بين المسلمين والهندوس ، صمد المسلمون خلالها وظلوا متمسكين بمطالبهم حتى وافقت بريطانيا على استقلال الهند سنة (1366هـ)(1947) واعترفت بدولة باكستان في نفس العام.

ويعتقد أن جناح كان عميلا لبريطانيا . وهو من أصل إسماعيلي باطني ، وما لبثت زوجته وأسرته أن تنصرت وقد أقام الباكستان على أصول إنكليزية دستوريا وسياسيا .

انضمت باكستان إلى هيئة الأمم المتحدة في منتصف شوال سنة (1366هـ) وكان محمد علي جناح أول رئيس لها . وبعد وفاته سنة (1367هـ) خلفه (الخوجا) نظام الدين الذي أعلن تطبيق الشريعة الإسلامية ، ولكن ذلك لم يطبق .

وفي سنة (1376هـ) وضع أول دستور لباكستان على أسس التشريعات الإنكليزية المتناقضة جملة وتفصيلا مع الشريعة الإسلامية . وبمقتضاه أصبحت (جمهورية دستورية) ، وكانت عاصمتها مدينة (كراتشي) ، وتولى (إسكندر ميرزا) رئاسة الجمهورية ثم تنازل عنها للقائد العسكري (محمد أيوب خان).

وفي سنة (1385هـ) وقعت الحرب بين الهند وباكستان حول إقليم كشمير ذي الغالبية المسلمة .وهزمت الأخيرة فتنازل أيوب خان عن رئاسة الجمهورية لقائد الجيش (الجنرال يحي خان) سنة (1389هـ).

وفي سنة (1390هـ 1971م) أجريت الانتخابات وفاز فيها (حزب عوامي) برئاسة (مجيب الرحمن) الذي عارض (حزب الشعب) بقيادة (ذو الفقار علي بوتو) وعبر هذا الصراع عن صراع أعنف بين (باكستان الشرقية) و (باكستان الغربية) وفي سنة (1391هـ 1972) أعلنت باكستان الشرقية استقلالها فقامت الحرب الأهلية التي انتهت بإعلان رئيس حزب الشعب ذو الفقار علي بوتو رئيسا لجمهورية باكستان الغربية ، بعد انفصال باكستان الشرقية التي تكونت بها دولة (بنغلاديش).

وفي سنة (1397هـ) قام انقلاب عسكري بقيادة (الجنرال ضياء الحق) على حكم ذو الفقار علي بوتو الذي أعدم فيما بعد .

وعمل ضياء الحق على تحكيم الشريعة تدريجيا، وقدم خدمات كبيرة للمجاهدين الأفغان ، وخضعت باكستان في عهده للنفوذ الأمريكي ، ولكن المطالب الأمريكية وتدخلها في شؤون الباكستان

والأفغان كانت كبيرة ، ولم ينفذها ضياء الحق كليا ، فقد كـان الرجـل تحـت تـأثير قناعاتـه القوميـة وعاطفته الإسلامية . فاغتالته أمريكا وتولت أسرة بوتو (ابنته بنظير بوتو ، وابنه مرتضى بوتو) تنفيذ العملية . بإشراف السفارة الأمريكية ثم عاد الحكم إلى حـزب الشـعب الـذي تترأسـه (بنظـير بوتـو) رئيسة وزراء باكستان. ثم خسرت الانتخابات أمـام حـزب جديـد نشـأ باسـم (الرابطـة الإسـلامية) وتزعمه (نواز شريـف) . ورغـم أن الباكسـتان خضـعت كليـا للسياسـات الأمريكيـة في عهـد بنظـير وشريف ، إلا أن أمريكـا كانـت تحتـاج لحـاكم عسـكري عميـل وقـوي ينفـذ سياسـاتها في باكسـتان وأفغانستان بشكل ديكتاتوري . فرتبت لانقلاب عسكري على نواز شريف ، أوصـل الجـنرال (برويـز مشرف) للسلطة سنة 1997. ومنذ ذلك الوقت تحكم أمريكا باكستان حكما شبه مباشر .

وفي سنة 2001 قام مشرف بالمهمة الرئيسية التـي جـاء مـن أجلهـا ، واعتمـدت أمريكـا عليـه بشكل كلي في إسقاط نظام طالبان . وتصفية المجاهدين العرب ، والباكسـتانيين ، ومجاهـدي وسـط آسيا في مذبحة مروعة (راجع التفاصيل في كتاب – باكسـتان مشرـف –المشـكلة والحـل والفريضـة المتعينة) .

ثم أجرى مشرف انتخابات صورية مزورة عين بها نفسه رئيسا دستوريا ! ، ثم أجـرى مسرـحية أخرى جاء بها ببعض الأحزاب للبرلمان ، واشترك الإسلاميون في هذه المسرحية !!

يتابع مشرف اليوم خدماته الجليلة لأمريكا في اجتثـاث الإسـلام مـن باكسـتان ، وسـط ذهـول وعجز من تيارات العلماء والإسلاميين الذين ضرب غـالبيتهم فـالج القعـود أو عمـى البصـيرة ، رغـم قوتهم وكثرتهم . فقد أعلن مشرف يوم توليه السلطة أن قدوته هو أتاتورك محطم الخلافة في تركيـا وماسح الإسلام منها . وما تزال باكستان تعيش تبعات هذا المخطط ، والله المستعان .

إيران :

إيران كلمة مشتقة من اسم الشـعوب الآريـة التـي هـاجرت إلى الإقلـيم الواقـع شرق العـراق وحتى الحدود الغربية لبلاد التركستان في العصور القديمة.

وقد أطلقت كلمة " بلاد فارس" على هذا الإقليم في العصر الإسلامي. وقد أقام المغـول " دولـة الإيليخانين" في إيران التي ظلت تحكم معظم أقاليمهـا حتـى قيـام الدولـة الصـفوية الشـيعية سـنة (906هـ) التي يعد قيامها بداية لتاريخ إيران الحديث.

وكان مؤسس هذه الدولة هو الشاه إسماعيل الصفوي الذي اسـتطاع أن يوحـد الـبلاد ويقـيم دولة على المذهب الشيعي الاثني عشري.

وقد دخلت الدولـة الصـفوية في صراع مـع الدولـة العثمانيـة السـنية ، وانتهـى الأمـر بهزيمـة الصفويين في معركة "جالديران" سنة (930هـ).

ومن أشهر حكام الدولة الصفوية طهماسب ابن الشاه إسماعيل الذي رفض الاعتراف بالتبعية للعثمانيين . فحاربوه ودخلوا بغداد ثم تبريز عاصمة الصفويين سنة (941هـ).

وبعد موته خلفه ابنه الشاه عباس الكبير الذي شهد حكمه تدخل بريطانيا في شؤون إيران ونجح في استرداد بغداد و تبريز من العثمانيين . كما أسس مدينة عرفت باسمه هي " بندر عباس" صارت قاعدة تجارية هامة.

ولما ضعفت الدولة الصفوية ارتقى عرش إيران قائد من قوادهم هو " نادر شاه" سنة (1149هـ) الذي انتصر على العثمانيين ، وطرد الروس من بعض المدن إيران التي استولوا عليها من قبل . كما توسع شرقا حتى بخارى وأفغانستان وهاجم دولة المغول في الهند وخرب عاصمتهم "دهلي".

وبعد مقتله سنة (1163هـ) استقلت الكثير من الأقاليم عن إيران كبلاد الأفغان وجورجيا وسيطرت روسيا على تركستان وحلت الفوضى والقلاقل بإيران . وظل الحال كذلك حتى قيام الدولة القاجارية سنة (1193هـ). ومؤسس هذه الدولة في إيران هو " أقا محمد خان" الذي استطاع القضاء على الفتن وأعاد وحدة إيران.

وفي عهد خلفه " فتح شاه" صارت إيران ميدانا للصراع الدولي بين فرنسا وروسيا وبريطانيا ، إذا استولى الروس على بعض الأقاليم الشمالية من إيران ، كما حصلت بريطانيا على امتيازات تجارية ، كما استولت على بعض الأراضي في شرق إيران وضمتها إلى الهند.

وفي عهد "ناصر شاه" جرى اقتباس بعض مظاهر الحضارة الأوروبية ،و اتبع خلفه الشاه مظهر الدين الذي تولى سنة (1314هـ) سياسة الأخذ بالحضارة الأوروبية . وبفعل ضغط المعارضة الوطنية أصدر دستورا للبلاد سنة (1324هـ).

ولما قامت الحرب العالمية الأولى أصبحت إيران ميدانا للصراع الدولي بين ألمانيا وتركيا من جهة وروسيا وإنجلترا من جهة ثانية . وبعد انتهاء الحرب عقدت معاهدة بين إيران وبريطانيا اعترفت فيها الأخيرة باستقلال إيران .

وفي سنة (1340هـ / 1922) قام أحد الضباط وهو " رضا بهلوي " بانقلاب عسكري ، و تحررت إيران من الروس والبريطانيين .

و سار رضا بهلوي على نهج كما أتاتورك في تركيا ، فاتجه إلى سياسة " التغريب " فأدخل النظم الغربية الحديثة كما ألغى الامتيازات الأجنبية ، وأسس جامعة طهران سنة (1354هـ).

ولما قامت الحرب العالمية الثانية التزم رضا بهلوي موقف الحياد . لكن تآمر الحلفاء أدى إلى هجوم روسي إنجليزي تؤيده الولايات المتحدة على إيران ، وتم خلع رضا بهلوي سنة (1363هـ / 1945) وخلفه محمد رضا بهلوي.

أعلن محمد رضا بهلوي الحرب على دول المحور ، وقدم الحلفاء مقابل ذلك مساعدات اقتصادية وعسكرية إلى إيران. ثم دخلت إيران في النفوذ الأمريكي والبريطاني تماما . وصار الشاه شرطيهم في منطقة الخليج .

وبعد الحرب تعاون الروس مع "حزب توده" الشيوعي لإحداث المتاعب في وجه الشاه . لكن في سنة (1365هـ) تحسنت العلاقات مع روسيا وتم توقيع معاهدة سنة (1365هـ) انسحب الروس بمقتضاها من شمال إيران .

أما بريطانيا فقد حصلت على امتيازات التنقيب عن البترول في إيران ، كما حصلت على امتيازات تجارية للإيرانيين وفق اتفاقية عقدت سنة (1367هـ). ورفع (محمد مصدق) لواء المعارضة ضد الشاه والإنجليز ، وأقر المجلس النيابي تأميم صناعة النفط . واستعان الشاه بالجنرال زاهدي وأسند إليه رئاسة الوزراء ، ونجح في إخماد الحركة الوطنية ، وقبض على محمد مصدق وحكم عليه بالإعدام.

حمل " حزب توده " الشيوعي لواء المعارضة ، ونجح الشاه في قمعه ، كما قمع حركة فدائيان إسلام" ذات التوجه السياسي الإسلامي الشيعي ، وولدت أحزاب معارضة عديدة . وفي سنة (1375هـ) انضمت إيران إلى " حلف بغداد" الموالي للغرب وخصوصا الولايات المتحدة ، فأثار ذلك الاتحاد السوفيتي.

حاول الشاه تحت هذه الظروف القيام بالإصلاحات السياسية والاجتماعية والاقتصادية ، فألغى الإقطاع ، وأصدر قانون الإنتخابات ، وعمل على استرضاء العمال عن طريق مشاركتهم في الأرباح ، ونشر الثقافة الغربية في البلاد.

ومع ذلك ازدادت المعارضة الوطنية والإسلامية التي استطاع (الخميني) أحد رجال الدين الشيعة تزعمها وهكذا أطاحت الثورة الإسلامية الشيعية سنة (1398هـ / 1979) بزعامة "الخميني" بالنظام الملكي وأعلنت قيام الجمهورية الإسلامية في إيران. وما تزال تحكم إيران إلى اليوم .

أفغانستان :

وتقع في قلب وسط آسيا ، وعاصمتها "كابول" وتحيط بها باكستان شرقا وجنوبا ، و تحدها إيران غربا وبلاد تركستان الغربية شمالا.

وكان لهذا الإقليم الذي اعتنق سكانه الإسلام في العصر الأموي ، دور هام في التاريخ والحضارة الإسلامية . وقد عرب بتعدد عناصر سكانه من عرب وترك وفرس ومغول ، كما تعددت لغاته من عربية وتركية وفارسية فضلا عن "لغة البشتو" الأفغانية.

وقد تأسس بها عدة دول إسلامية في العصر العباسي منها الدولة السامانية و الطاهرية و الصفارية . كما قامت الدولة الغزنوية بهذا الإقليم ونجحت في نشر الإسلام في كثير من أقاليم بلاد الهند.

ثم تعرضت أفغانستان للغزو المغولي ، ووقعت تحت حكم " التيموريين" وقد شهدت في عهدهم ازدهارا حضاريا وعمرانيا وفكريا . ثم اجتاحتها الدولة الصفوية ، لكن أحد القادة الأفغان وهو "أحمد خان" استطاع أن ينفصل عنها ويؤسس حكما مستقلا سنة (1153هـ) . وقد عرفت هذه الدولة لأول مرة في التاريخ باسم "الدولة الأفغانية" التي كانت "قندهار" عاصمة لها.

وفي عهد ابنه "تيمور شاه" نقلت العاصمة إلى "كابول" وامتد نفوذ دولته إلى الهند بعد الانتصار على " المهراتا " في معركة " باني بت ".

بوفاة تيمور شاه ضعفت الدولة الأفغانية ، ونجح السيخ في الهند في انتزاع الكثير من ولاياتها الهندية.

وفي عهد " زمان شاه " الذي خلف والده تيمور شاه سنة (1207هـ) شب الصراع بين أفراد الأسرة الحاكمة ، وحاول استرداد أمجاد دولته بعد أن صفا الجو له ، فاصطدم بالإنجليز في الهند لذلك تآمروا عليه وأيدوا أخاه محمود شاه الذي تولى الحكم بدلا منه . وفي عهده شب الصراع بين أفراد الأسرة الحاكم حتى ظفر" دوست محمد " بالحكم ولقب نفسه بلقب " أمير كابول " دون أن يلقب بالشاه أو الملك لا هو ولا أحد من خلفائه.

ثم تنافست بريطانيا وروسيا للاستيلاء على أفغانستان ونجحت بريطانيا في احتلالها سنة (1255هـ). لكن عودة " دوست محمد " إلى الحكم أتاحت له طرد الإنجليز سنة (1257هـ) وأرغمهم على الاعتراف بسيادته على بلاده.

وفي سنة (1280هـ) توفي دوست محمد وخلفه ابنه " شير علي " وفي عهده حاولت بريطانيا بسط نفوذها على بلاد الأفغان " فاستعان بالروس ، وقامت الحرب الأفغانية الثانية سنة (1295هـ) بين شير علي وبريطانيا التي انتهت بهزيمته ووقوع بلاده فريسة الاحتلال البريطاني .

لكن حركات الجهاد ومقاومة القبائل الأفغانية اندلعت ضد الإنجليز في عهد عبد الرحمن حفيد دوست محمد ، وتدخلت روسيا في الصراع الذي انتهى بعقد معاهدة بطرسبورج سنة (1325هـ) التي كان من أهم شروطها الاعتراف باستقلال أفغانستان واحترام سيادتها.

وفي عهد خلفه " أمان الله خان " عاد النفوذ البريطاني إلى أفغانستان مرة أخرى ، فاندلعت الحرب الأفغانية الثالثة بين الطرفين سنة (1339هـ - 1921) وتمكن الأفغان من هزيمة الإنجليز هزيمة منكرة واضطروهم إلى الاعتراف باستقلالهم مرة أخرى.

وفي عهد أمان الله خان . جرت محاولـة الاتجـاه نحـو العلمنـة والأخـذ بـالنظم الغربيـة عـلى طريقة مصطفى كما أتاتورك . فاندلعت الثورة الشعبية الإسلامية بقيادة العلماء . وتنازل أمـان اللـه خان عن الحكم لأخيه عناية الله عام (1348هـ) ، ونجح أحد قطاع الطرق ويسمى " باجـه السـقا " في الاستيلاء على كابول وأعلن نفسه ملكا على بلاد الأفغان باسم " حبيب الله غازي".

وعاد القائد (محمد نادر شاه) ابن عم الملك المخلوع إلى البلاد واستولى عـلى السـلطة وأعلـن نفسـه ملكـا عـلى أفغانسـتان . وفي عهـده تأسـس الحـزب الـديمقراطي ذي الميـول الشـيوعية سـنة (1351هـ).

وبعد وفاته تولى ابنـه الملـك " محمـد ظـاهر شـاه " فـنهض بـالجيش ، و حـاول إنشـاء نظـام دستوري ونشر التعليم ، ووثق علاقاته بالدول الإسلامية واتبع سياسات الانفتـاح عـلى الغـرب وكـان كثير التردد على إيطاليا ودول أوربا .

وبدأ التنافس الروسي الأمريكي في أفغانستان ، وتعاظم الخطـر الـروسي ، وحـاول الشـيوعيون قلب نظام الحكم متعاونين مع السردار (محمد داوود) ابن عـم الملـك ونجحـوا في القيـام بـانقلاب سنة (1393هـ) ألغى الملكية وأعلن قيام الجمهورية. وحكـم الـبلاد بطريقـة دمويـة بالغـة القسـوة فقتل آلاف الناس!.

ثم نجح الشيوعيون في إحداث انقلاب عسـكري جديـد سـنة (1398هــ / 1980م) بزعامـة " محمد نور تراقي". فقتل آلاف الناس خلال أيام ! وأعدم 29 ولدا من أبناء داوود أمـام عينيـه ، ثـم ختم به وأعدمه رميا بالرصاص !!! فذاق داوود ما أذاق الناس من القهـر والقتـل ! ثـم نهـج تراقـي نهج الشيوعية الحمراء .

فانـدلعت المقاومـة وحركـات الجهـاد التـي اتخـذت طـابع الجهـاد الإسـلامي ضـد الحكومـة الشيوعية ، وتدخل الاتحاد السوفييتي والولايات المتحدة في " المسألة الأفغانية " ، فقـام السـوفيت بإعداد انقلاب آخر بزعامة " بابراك كارمـل" المـؤزر بـالقوات السـوفييتية التـي تـدخلت مبـاشرة في عملية غزو مكشوفة سنة 1979 م.

وانطلقت أحزاب المجاهدين تواجـه روسـيا وتلقـت دعـما إسـلاميا وعالميـا . مـما أدى لهزيمـة الروس هزيمة منكرة فانسحب الـروس سـنة 1989. وكانـت هـزيمتهم في أفغانسـتان إيـذانا بانهيـار الإتحاد السوفييتي وتفككه وتفكك حلف وارسو العالمي .

ثم تمكن المجاهدون من إسقاط الحكم الشيوعي خصوصـا بعـد انهيـار الإتحـاد السـوفييتي سنة 1990 وسقوط الشيوعية العالمية وزوالها .

لكن فتنة الصراع بين الفصائل المختلفة مـن المجاهـدين أوقـع الـبلاد في حـروب أهليـة مـابين (1992-1996) ، بتـدبير مـن أمريكـا وبعـض الـدول الأوربيـة ، والإسـلامية وعـلى رأسـها باكسـتان والسعودية . وراح ضحية هذه الحرب زهاء 40 ألف مسلم فيهم خيرة المجاهدين .

ثم ولدت حركة طالبان في قندهار أواخر سنة 1993. بزعامة الملا محمد عمـر ، وتمكنـت مـن إقامة إمارة إسلامية أعلنت الحكم بالشريـعة الإسـلامية بعـد دخولهـا كابـل سـنة 1996. وصـارت أفغانستان ملجأ للحركات الجهادية العربية والإسلامية . ودخـل طالبـان في صراع مريـر مـع تحـالف أحزاب الشمال من الأوزبك و الفرسوان و الهزارة الشيعة ، وتدخلت القوى الدولية والإقليميـة مـرة أخرى ..

إلى أن غزت أمريكـا أفغانسـتان بمعاونـة باكسـتان والسـعودية ودول الخلـيج وبعـض الـدول الأوربية وإيران ! بعد أحداث سبتمبر الشهيرة ، وأسقطت إمارة طالبان في ديسـمبر 2001 ومـا تـزال القوى الإسلامية المتعددة ، والطالبـان يخوضـون غـمار الجهـاد مـن جديـد ضـد القـوات الأمريكيـة وحلفائها إلى الآن .

(راجع كتاب (طالبان وأفغانسـتان ومعركـة الإسـلام اليـوم - 1) للمؤلـف ، وسـتأتي تفاصـيل لاحقة متعلقة بهذا الموضوع في الفصول القادمة إن شاء الله .

دول وسط آسيا (تركستان) :

تقع تركستان (بلاد الأتراك) في أسيا الوسطى وتحدها من الشرق الصين ومنغوليا، ومن الغرب قزوين ونهر أورال، ومن الجنوب التبت وكشمير وباكستان وأفغانستان وإيران، ومن الشمال منغوليا وسيبيريا. وكان يتقاسمها بالاحتلال كل مـن الاتحـاد السـوفيتي السـابق والصـين الشـعبية، بموجـب معاهـدات عديـدة بـدأت بمعاهـدة " برشـينك" في أغسـطس 1689 م. وانتهـت بمعاهـدة " سـانت بتروسبورغ" في فبراير 1981م.

ويعرف الجزء الغربي الذي كان يحتله الاتحاد السوفييتي بتركستان الغربية ويتألف من خمس دول تبلغ مساحتها مجتمعة زهـاء 5 مليـون كـم مربـع !.أمـا الجـزء الشرـقي الـذي احتلتـه الصـين الشعبية فيعرف بتركستان الشرقية (سيانغ يانغ) كما أسماه الصينيون بعد احتلاله . وتبلغ مساحته زهاء (750 734 .1) كم مربع .

الغزو الروسي لبلاد آسيا الوسطى الإسلامية ومراحله :

- كان الروس أمة وثنية ثم دخلوا النصرانية سنة 378هـ أي 988م.
- بعد فتح القسطنطينية من قبل العثمانيين سنة (857 هـ / 1452م) فر قساوستها إلى روسيا وصار الروس يمثلون الكنيسة الشرقية و يحملون لواء الصليبية في آسيا .
- ظهر إيفان الثالث سنة 885هـ / 1480ميلادية . وبدأ حروبه ضد التتار المسلمين وأبعدهم عن موسكو.
- خلفه حفيده (إيفان الرهيب) الذي اكتسح بلاد التتار المسلمين واستولى على حوض نهر الفولغا وفرض النصرانية على التتار فيها أو الهجرة .
- فرض إيفان النصرانية على بلاد المسلمين البشكير . فاستخفى أهلها بالإسلام نحو 300سنة وأعلن أحفادهم الإسلام عام 1905 على عهد القيصر الذي أعطى الحريات الدينية .
- انتزع إيفان سيبيريا من المسلمين عام 988هـ /1580م . ثم احتل بلاد القفقاس التي كانت تابعة للعثمانيين مستفيداً من نزاعهم مع الشيعة الصفويين في إيران .
- اعترف شاه إيران (نادر شاه) للروس بالسيطرة على بلاد القفقاس عام 1813م وأعلن أهل القفقاس الجهاد ضد الروس بقيادة شعب الداغستان وذلك 1722- 1859 م . فحاربوا الروس 137 سنة حتى خضعت القفقاس . ثم انطلق الروس إلى وسط آسيا بعد أن رأوا صعوبة الانتشار في أوربا . فقرر اسكندر الثاني قيصر روسيا عام 1273هـ/1856م أن وسط آسيا هو مجال التوسع الروسي واتجهت القوات القيصرية إلى وسط آسيا اعتباراً من 1276هـ / 1859م.
- احتل الروس **طشقند عام 1282هـ/1865م**، وتوالى بعد ذلك سقوط المدن و الخانيات وهي (الإمارات الصغيرة).
- فسقطت **سمرقند 1868م .** ثم **بخارى 1873**م. ثم **خوارزم 1874م** . وواجه الروس مقاومة شديدة في **خوقند** ، فدكوا المدينة وأحدثوا بها مذبحة رهيبة سنة **1876م** . ثم سقطت **مرو وبلاد التركمان** بعد مقاومة عنيفة من **1873 م إلى 1874 م . وأتم الروس السيطرة على بلاد التركستان سنة 1900م** وأصبحت حاضنة للإدارة العسكرية الروسية التي اتبعت فيها سياسة الستار الحديدي وحاولوا تنصير المسلمين .
- كان تحرك الروس وسقوط المسلمين سريعاً ، وذلك رغم المقاومة الباسلة نتيجة عوامل عديدة أهمها النزاع القومي والفرقة العرقية بين أكثر من مئة عرق وجنس قومي يكونون نسيج المنطقة الإثني !. وكذلك التخلف وتدني مستوى التعليم والتسليح بين المسلمين . وكذلك ضعف

الدولة العثمانية في استنبول وترهلها وعدم قدرتها على نجدة للمسلمين كما مر في تاريخها تلك الفترة .

- فرض الروس القياصرة سياسة البطش وفرضوا التخلف والجهل على البلاد ليسهل احتلالها .
- دبت الفوضى في دولة القياصرة مدة ربع قرن من (1905- 1928) واتسعت حركات التمرد السياسية التي أسفرت عن الثورة البلشفية بعد هزيمة القياصرة أمام اليابان وانهيار هيبتهم سنة 1904م ونتيجة كثرة الفساد الإداري والاقتصادي وسوء الإدارة في الأقاليم .
- بدأت الثورة البلشفية بحركة عمالية في مدينة بتروغراد في آذار سنة 1917م وعاد لينين (اليهودي) من سويسرا يحمل مبادئ الشيوعية التي نادى بها ماركس (اليهودي) أيضا . وتسلم السلطة ونادى الأقليات في الاتحاد السوفيتي لمساعدته مقابل إنصاف الأعراق والأديان بوعود كاذبة جذابة خص المسلمين بقدر كبير منها واستحثهم حتى انضم كثير من المسلمين إلى ثورة البلشفيك سعياً منهم للثأر من طغيان القياصرة .
- ورغم بوادر خيانة الروس البلشفيك للمسلمين سيطرت حالة التشرذم والتفكك عليهم وسعى كثير من رجال الدين المسلمين والعلماء في الوقوف مع البلشفيك والسلطات الروسية وجروا وراءهم عوام المسلمين إلى الكفر والضلال والاحتلال !.
- استمر لينين في سياسة الخداع ووجه نداءات استعطاف وتعاضد مع المسلمين وانزل وثائق وبيانات استحثت المسلمين العثمانيين والإيرانيين ضد القياصرة وأرفق ذلك ببعض السياسات المنفتحة مع المسلمين مثل تسليم بعض الأوقاف والآثار الإسلامية لإدارتهم الدينية .
- مع ذلك لم يكن انخداع المسلمين بلينين كاملاً . فقد لاقت قواته مقاومة شرسة ولاسيما في بلاد التركستان وأوزبكستان ووادي فرغانة .
- حصلت ثورة أهلية إسلامية عارمة في منطقة الأورال وسيبيريا فهزموا الجيش الأحمر واستقرت تلك الثورة في وادي فرغانة وحاول العثمانيون مساعدتهم واستمرت تلك المقاومة من 1918-1928م .
- بعد انهيار المقاومة دبت الفرقة والفساد في أوساط كثير من المسلمين التركستان و الأوزبك وانضم كثير منهم للأحزاب والجمعيات والمؤسسة الشيوعية والاشتراكية وحاول كثير من رجال الدين المسلمين التوفيق بين الشيوعية والإسلام والماركسية ولم يحل هذا دون حصول سياسة تصفية المسلمين على عهد لينين ثم ستالين حتى قضوا على من ناصرهم من المسلمين .
- خلف ستالين لينين واستمرت سياسة البطش الذي صار معلناً لاسيما بعد انتهاء الحرب العالمية الثانية التي أبلى بها المسلمون الرازحون تحت احتلال الاتحاد السوفيتي بلاءً عظيماً. ووقفت

كثير من قيادات المسلمين الدينية بصلابة مع الاتحاد السوفيتي وموسكو وستالين ضد الألمان في الحرب الثانية !!.

- استطاع ستالين أن يخدع كثير من القيادات الدينية الإسلامية المنافقة من أعلى ممثلي الإفتاء ووصولا إلى كثير من عوام المسلمين . وبعد انتهاء الحرب العالمية شن ستالين حرب إبادة على المسلمين في القفقاس وجهوريات وسط آسيا وبلغ ضحاياه أكثر من 20 مليون مسلم .نقل الملايين منهم ليموتوا في صحراء سيبيريا الجليدية حتى أكلوا جثث موتاهم ! ثم استمرت هذه السياسة بعده في عهود خروتشوف ثم خلفه بريجينيف ومن تلاهم ، حتى تفكك الاتحاد السوفيتي بفضل الله ثم بفضل الجهاد الأفغاني ووقوف الأمة الإسلامية وطليعتها المجاهدة وقفة الدين والشرف في أفغانستان وذلك بهزيمتهم وانتهاء دولتهم سنة 1990 م .ولله الحمد .
- وصل غورباتشوف إلى الحكم بعد حركة الإصلاح (البروستريكا) . وتفكك الاتحاد السوفيتي وزالت الشيوعية واستقلت شكلياً جمهوريات وسط آسيا . وربطتها روسيا معها بإدارة عسكرية وتواجد عسكري فعلي لاسيما على الحدود وخصوصاً في طاجيكستان وأوزبكستان و تركمانستان .
- ثم أنشئ بإشراف أمريكي رابطة دول وسط آسيا لمقاومة الإسلام الزاحف من أفغانستان .
- وعلى جبهة القفقاس ذاق الروس هزيمة منكرة على يد الشيشان ما بين 1994 و 1997 . وأعقب ذلك استقلال الشيشان ثم احتلالها مرة أخرى وتهجير أكثر أهلها ، وما يزال الجهاد فيها جاريا إلى الآن . وتلوح بوادر انتقال الثورة إلى الداغستان ثم سائر القفقاس لتلتقي مع أوار النار المضطرمة تحت الرماد أيضاً في منطقة ما وراء النهر ووسط آسيا قريبا إن شاء الله .

واقع جمهوريات آسيا الوسطى والمسلمون بعد تفكك الاتحاد السوفيتي :

تكون الاتحاد السوفيتي البائد قبل تفككه من خمسة عشر جمهورية اتحادية رئيسية وبلغ عدد سكانه مجتمعاً نحو 286 مليون نسمة ، وشغل مساحة إجمالية قدرها 22 مليون كم2 ، وكانت نسبة عدد السكان المسلمين فيه نحو 75 مليون نسمة .

والمطلع على نسبة المسلمين في تلك الجمهوريات في أسيا الوسطى يندهش من الاكتشاف أن أكثر من نصف مساحته قائمة أصلاً على الجمهوريات الإسلامية الأصل ، وأن معظم عواصمه الرئيسية كانت حواضر إسلامية قبل مائة سنة فقط ، وأن ذلك امتد لأكثر من ألف سنة ، فسبحان الله، ولعل الإحصائيات الرسمية التالية تبرز هذا وهي إحصائيات ذات دلالات سياسية وعسكرية مستقبلية بعيدة المدى .

فجمهوريات الاتحاد السوفيتي البائد حسب أهميتها ونسبة المسلمين فيها هي على الشكل التالي [1]:

أولاً : **جمهورية روسيا الاتحادية** : عاصمتها موسكو . مساحتها نحو 10 مليون كم2. عدد سكانها نحو 143مليون نسمة ونسبة المسلمين فيها تتراوح ما بين 10- 25 % من السكان .

ويتبع جمهورية روسيا الاتحادية عدة جمهوريات تقع في حوض الفولغا وهي :

1- **جمهورية بشكيريا** : عاصمتها (أوفا) ، عدد سكانها 4.5 مليون نسمة ، نسبة المسلمين فيها 56% .
2- " **تتارستان**" عاصمتها (قازان) سكانها 4.5 مليون نسمة .نسبه المسلمين فيها 50% .
3- "**مورد يفيا:** " (شار نسك) 1.15 مليون . نسبة المسلمين 55% .
4- "**ماري:**" (يوشكارا اولا) 1,15 مليون نسبة المسلمين 52%
5- "**أورنبرغ:** " (ألوينبرغ شكالوف) 250 ألف نسمة نسبة المسلمين 50%.
6- "**أدمورت:**" (أجنسيك) 1.850 مليون نسمة نسبة المسلمين 52%.

ويبتع جمهورية روسيا الاتحادية خمس جمهوريات ذات حكم ذاتي تقع شمال القفقاس وهي :

1- داغستان : عاصمتها (محج قلعة) وعدد سكانها 2.35 مليون . نسبة المسلمين 60%.
2- كبا رداي بلكار : عاصمتها(نالجيك 760 ألف نسمة . نسبة المسلمين 55%.
3- جمهورية قار شاي شركس : عاصمتها شركس . 450 ألف نسمة . المسلمين 60%.
4- أو ستينيا الشمالية : عاصمتها (اردجونيكرزي) مليون نسمة . المسلمين 55%.
5- الشيشان أنجوش : عاصمتها (جروزني) سكانها 1.73 مليون المسلمين 66%.
6- جمهورية الأديجا : عاصمتها (ماي كوب) 540 ألف نسمة . المسلمين 50%.
7- جمهورية سيبيريا : عاصمتها (أو مسك) 25 مليون نسمة نسبة المسلمين 25%.

هذا عن جمهورية روسيا الاتحادية ذاتها، ثم نأتي إلى الجمهوريات التي استقلت :

ثانياً : جمهورية روسيا البيضاء : عاصمتها (مسنك) مليون نسمة نسبة المسلمين غير محددة .

ثالثاً : جمهورية أوكرانيا : عاصمتها (كييف) وعدد سكانها 51 مليون نسمة بما في ذلك سكان ولاية القرم (وعددهم 7 مليون) ونسبة المسلمين فيها 71% !!!

[1] (أخذت الإحصائيات من رسالة ماجستير مقدمة للجامعة الإسلامية المنورة عن أحوال المسلمين في وسط آسيا) .

رابعاً : جهورية لا تفيا : عاصمتها (ميلنوس) وسكانها 2.5مليون نسبة المسلمين غير معروفة .

خامساً : جمهورية استونيا : عاصمتها (نازلين) سكانها 1.15 مليون نسمة . نسبة المسلمين غير معروفة.

سادساً : جمهورية مولدا فيا : عاصمتها (كشينوف) عدد سكانها 4 مليون نسمة نسبة المسلمين 5% .

سابعاً : جمهورية ليتوانيا : عاصمتها (ريجا) سكانها 3.5 مليون نسمة وفيها 18000 مسلم .

ثامناً : جمهورية أرمينيا : عاصمتها (باريفان) وسكانها 3.3 مليون نسمة نسبة المسلمين فيها 17%.

ويتبعها جمهورية نخجيفان بحكم ذاتي وسكانها 300 ألف نسمة عاصمتها ناجوان ونسبة المسلمين 95%.

تاسعاً : جمهورية جورجيا : وعاصمتها (تفليس) وسكانها 3.5 مليون نسمة نسبة المسلمين فيها 19% وتتبع جورجيا كل من :

جمهورية أبجازيا : عاصمتها (سوقوم) وسكانها 750 ألف نسمة نسبة المسلمين فيها 19% .

جمهورية أجاريا : عاصمتها (باطوم) وسكانها 450 ألف نسمة نسبة المسلمين فيها 40% .

عاشراً : جمهورية أذربيجان : عاصمتها باكو وعدد سكانها 7.27 مليون نسمة ، نسبة المسلمين فيها 82% أكثرهم من الشيعة .

ثم جمهوريات آسيا الوسطى الإسلامية وهي :

أحد عشر : جمهورية أوزبكستان : مساحتها 447.400 كم2 . عاصمتها (طشقند) عدد سكانها 25 مليون نسمة ، نسبة المسلمين فيها 88% من السكان .

إثني عشر : جمهورية طاجيكستان : عاصمتها (دوشنبيه) . وسكانها 5.5مليون نسمة نسبة المسلمين فيها 80% .

ثلاث عشر : جمهورية قيرغيزستان : وعاصمتها (بتشكيك) وسكانها 5 مليون نسمة . نسبة المسلمين 73%.

أربعة عشر : جمهورية تركمانستان : عاصمتها عشق أباد ، سكانها 4 مليون . نسبة الإسلام فيهم 86%.

خمسة عشر : جمهورية كازاخستان : وعاصمتها(المآتا) ، وسكانها 17 مليون نسبة المسلمين 52%.

وقد استقلت الجمهوريات الأربعة عشر عن الاتحاد السوفيتي الذي لم يبقى منه إلا روسيا الاتحادية .

وخلاصة أحوال المسلمين في آسيا الوسطى بعد رحيل السيطرة الروسية :

1- استمرار العلاقات الأمنية والعسكرية مع الجيش والأمن الروسي لاسيما على الحدود مع أفغانستان .
2- ارتباط الدول الخمسة بإشراف روسي أمريكي في حلف دول وسط آسيا وهو حلف أمني عسكري لمواجهة مد الجهاد والإسلام القادم من أفغانستان .
3- حلول الاحتلال والنفوذ الأمريكي اليهودي الغربي وما يتبع ذلك من سيطرة اقتصادية وثقافية وحركات تبشير وتنصير مكان النفوذ الروسي الشيوعي السابق .
4- تحول الكوادر والأحزاب والشخصيات الشيوعية الأساسية إلى العمالة للأمريكان تحت مسميات جديدة قومية ووطنية وديمقراطية .
5- استمرار سياسة العداء للإسلام وبشكل سافر على يد المرتدين والشيوعيين من أبناء المسلمين في البلد بعد أن كانت هذه المهمة موكلة للاستعمار الصليبي الروسي . وبذلك شنت هذه الحكومات حرباً مكشوفة على الحركات والدعوة والنشاطات الإسلامية المختلفة كالمدارس ودور التحفيظ ومظاهر الالتزام . فطاردت بشكل خاص التوجهات الجهادية كما في عموم بلاد الإسلام تحت مسمى مكافحة الإرهاب
6- في طاجيكستان وصلت المواجهة مع الإسلاميين لحد الصدام المسلح وتمكنت الحكومة من تدجين الحركة الإسلامية الأساسية فيها وهي حركة النهضة فيما تستمر أجزاء من الحركة ذات التوجه الجهادي مسيطرة على مناطق وأجزاء من طاجيكستان.
7- في أوزبكستان ومع ميلاد بوادر جهادية وصلت لحد التخطيط لقتل رئيس الدولة وتنفيذ بعض الأعمال الجهادية العسكرية حصلت موجة من الاعتقالات تلتها محاكم صدرت فيها أحكام ظالمة بالإعدام على بعض المجاهدين وبالسجن على عشرات آخرين . وأثبتت هذه المواجهة الدعم والتعاون الأمني الإقليمي على مستوى الدول الخمسة والدولي بإشراف أمريكي حيث اعتقل العديد من هؤلاء المتهمين من دول متعددة وسلموا لحكومة أوزبكستان فوراً وذلك بفعل التعاون المباشر بين دول المنطقة وروسيا والأمريكان والنظام الدولي ، خوفا من قفزة يحققها جهاد المسلمين إلى آسيا الوسطى بعد الانتصار الزاهر الذي حققوه في أفغانستان وأدى لقيام نواه حقيقية لدولة الإسلام المرتقبة ونهضة المسلمين العائدة المنشودة إن شاء الله .
8- قيرغيزستان : جرت المناورات العسكرية ضد الإرهاب والخوف من الهجوم المفترض لطالبان !رغم تشتت طالبان واختفائها وذلك أواسط سنة 2004 م.

9- تركمانستان : منعت بناء المساجد الجديدة وطباعة القرآن . ومنعت اللحى والحجاب ، وأمرت الحكومة بكتابة هلوسات رئيس تركمانستان - في كتاب كتبه -على جدران المساجد إلى جانب القرآن أو عوضا عنه !

تركستان الشرقية المحتلة من قبل الصين [1]:

فتحت تركستان الشرقية أول مرة على يد القائد المجاهد قتيبة بن مسلم حيث دخل إلى " كاشغر " وذلك في عهد الخليفة الأموي الوليد بن عبد الملك عام (96 هـ / 715 م)

وفي نهاية العصر الأموي وبداية العصر العباسي الأول في القرن الثالث للهجرة أسلم الخاقان سلطان الترك " ستوق بوغراخان " وسمى نفسه عبد الكريم ، وتبعه في الإسلام أبناؤه وكبار رجال دولته، ومنذ ذلك اليوم أصبح الإسلام دينا رسميا للدولة، وبقيت تركستان دولة إسلامية مستقلة حوالي تسعة قرون، ومنذ ذلك الحين جميع أهلها مسلمون.

الاحتلال الصيني لتركستان الشرقية:

في القرون الثامن عشر الميلادي وقعت أجزاء كثيرة من العالم الإسلامي فريسة للاستعمار الأوروبي والآسيوي. ففي أسيا اتفق المستعمران الروسي والصيني على تقسيم أرض المسلمين الأتراك من خلال عدة معاهدات. وسقط هذا الجزء المسلم في يد الصين بعد أن لقي (000. 200. 1) تركستاني مسلم حتفهم ، ونفي (22000) عائلة تركية إلى داخل الصين ليذوبوا في شعوب الصين !.

الاستقلال التركستاني:

ثار المسلمون في تركستان الشرقية ضد الاستعمار الصيني والاضطهاد البوذي سبعة ثورة كبيرة عارمة. أثمر آخرها عام 1863 م عن تحرير تركستان الشرقية من الحكم الصيني وتكوين مملكة مستقلة في القرن التاسع عشر الميلادي، تشكلت حكومات محلية في خمس مناطق، وانضوت جميعها تحت حكم " أتاليق غازي يعقوب بك " الذي منحه السلطان العثماني لقب أمير المسلمين ، وكان أتاليق رجلا جيدا أنشأ المساجد والمدارس الإسلامية، ومازال عدد منها موجودا حتى الآن، ولكن الأطماع الاستعمارية لروسيا والصين تجددت . وبالفعل استولت القوات الصينية على تركستان الشرقية في عام 1878 م. وصدر مرسوم في 18 نوفمبر 1884 م بجعل تركستان الشرقية مقاطعة. وتسميتها " سنكيانج " أي المستعمرة الجديدة وجعل " أورومتشي " عاصمة لها.

---

[1] (هذه التفصيلات كتبها الشهيد الأمير حسن أبو محمد التركستاني في كابل سنة 2000 لتلحق برسالة – **المسلمون في آسيا الوسطى ومعركة الإسلام القادمة** – للمؤلف) .

<u>الاستقلال الثاني لتركستان الشرقية:</u>

استمرت ثورات التركستانيين ضد الاستعمار الصيني، وقتل الكثير من المسلمين في سبيل خلاصهم وخلاص بلادهم من الحكم الصيني البوذي، وكانت الحكومة الصينية تقمع تلك الانتفاضات بكل وحشية وقسوة. وكلما زادت في اضطهادهم وعنفها تجد في أهلها الإصرار، حتى تمكن أحد أصحاب الاتجاهات الدينية وهو " ثابت داموللا " من تحرير البلاد وتشكيل جمهورية تركستان الشرقية في كاشغر في نوفمبر 1933 م.

ولكن الوالي الصيني (شنغ شي تساي) قضى على الثوار وجمهوريتهم في شهر يوليو 1934 م بمساعدة روسيا الخائفة من وجود هذه الدولة الفتية المسلمة في جوارها .

<u>الحكم الصيني الشيوعي في تركستان الشرقية:</u>

في عام 1949 م أعلن قائد الجيش الصيني في تركستان الشرقية استسلام البلاد وخضوعها لرأس الكفر و الإلحاد في الصين " ماوتسي تونغ " زعيم الحزب الشيوعي الصيني، ودخلت القوات الصينية الشيوعية تركستان الشرقية في أكتوبر 1949 م. وبذلك بدأ عهد جديد من الإرهاب والظلم في تاريخ تركستان الشرقية المسلمة.

<u>مرحلة ما بعد ماوتسي تونغ :</u>

تتميز هذه الفترة بتحول الشيوعيين من تطبيق سياسة الإرهاب المكشوف إلى ممارسة سياسة تطبيق الشيوعية العلمية و (التصيين) الثقافي. ومن أبرز هذه الممارسات:

أولا: التضييق في ممارسة الشعائر الدينية والحيلولة دون انتشار تعاليم الإسلام وذلك لقطع صلة الأجيال الجديدة بهويتهم الإسلامية.

ثانيا: منع أفراد الشعب التركستاني من ممارسة حقوقهم الإنسانية المشروعة كالتعليم وحرية التعبير إلى جانب الاعتداء بالمطاردة والاعتقال بل والقتل.

ثالثا: مصادرة ثروات تركستان الشرقية وحرمان أهلها الأصليين من خيرات بلادهم، وفرض حياة الفقر والعوز عليهم وإهمال التنمية الاقتصادية في البلاد.

رابعا: خداع العالم بإقامة حكم ذاتي صوري لتركستان الشرقية يديره الصينيون من وراء الستار، وينفذه الموظفون التركستانيون العملاء التابعون لهم.

خامسا: إغراق تركستان الشرقية بالمهاجرين الصينيين وإحلالهم في أماكن سكن وعمل أهل البلد الأصليين.

سادسا: القيام بتنفيذ التفجيرات النووية في الأراضي التركستانية مما نتج عنه إفساد البيئة بالسموم ونشر الأمراض بين أفراد الشعب التركساني.

سابعا: إجبار أفراد الشعب التركستاني المسلم على تنفيذ سياسة تحديد النسل، وممارسة أقصى العقوبات مع المخالفين لهذه السياسة.

ثامنا: تشجيع الزواج بين التركستانيين والصينيين.

وما يزال المسلمون إلى اليوم يرزحون تحت هذا الحيف والجور والظلم ، مما جعل بعضهم يحملون السلاح ضد الحكومة الصينية التي تطاردهم بضراوة ، وقد لجأ بعضهم سنة 1997 إلى طالبان ، وأعادوا إنشاء الحزب الإسلامي التركستاني . وقد قتل الكثير منهم إبان الغزو الأمريكي لأفغانستان مدافعين عن الإمارة الإسلامية سنة 2001 . ثم قتل الجيش الباكستاني في مناطق سرحد الحدودية أميرهم (حسن أبو محمد التركستاني)مع رهط من رفاقه في شهر 11/ 2003. رحمهم الله تعالى وتقبلهم في الغرباء الفرارين بدينهم ، وجمعنا بهم في عليين .

إندونيسيا :

وهى أكبر الدول الإسلامية في تعداد السكان ، إذ يبلغ عدد سكانها ما يزيد على 200 مليون نسمة ، ويعتنق الإسلام منهم حوالي (92%) من عدد السكان ، وقد انتشر الإسلام فيها عن طريق التجارة وحل محل الوثنية والبوذية . وتضم إندونيسيا مجموعة من الجزر الواقعية في جنوب شرق آسيا وأكبرها سومطرة ، وجاوة ، وبورنيو، وسيليبس ، وتيمور، وجزائر الملوك ، وغينيا الجديدة ، وشبه جزيرة الملايو.

ونظرا لأهمية موقعها الإستراتيجي تعرضت للتنافس الاستعماري البرتغالي والهولندي والإنجليزي والأسباني والأمريكي ، وكانت البرتغال سباقة إلى احتلال اندونيسيا ، وقد اتبع البرتغاليون سياسة التبشير التي حولت بعض إلى المسيحية ، ثم آلت إندونيسيا لحكم الأسبان الذين ورثو إمبراطورية البرتغال.

ثم استولى الهولنديون على البلاد سنة (1005هـ) وأقاموا شركة الهند الشرقية الهولندية سنة (1011هـ) التي اتخذت من (جاكرتا) مقرا لها.

وفي سنة (1226هـ) ، استولت بريطانيا على البلاد ثم تقاسمت حكمها مع هولندا بموجب اتفاق بينهما عقد سنة (1229هـ).

اندلعت مقاومة سكان إندونيسيا ضد الاستعمار بزعامة الأمير عبد الفتاح الذي شكل جيشا من الفدائيين وبنى أسطولا قويا أثار المتاعب في وجه الهولنديين.

وفي القرن الثالث عشر لم تتوقف المقاومة فاندلعت حرب طويلة كبدت الهولنديين خسائر فادحة.

تأسست عدة أحزاب إندونيسية بعد الحرب العالمية الأولى مثل (الجمعية المحمدية) وحزب (شركت إسلام) و (الجمعية العائشية) الخاصة بالسيدات، و(حزب جاوة الفتاة) و(جمعية اتحاد علماء المسلمين) وغيرها ومعظمها ذات طابع إسلامي جهادي ، ثم تبلورت هذه الجمعيات والأحزاب في حزبين رئيسين هما (حزب القمصان الخضراء) وحزب (القمصان الحمراء) ، كان الحزب الأول يلجأ إلى أسلوب المفاوضات لتحقيق الاستقلال أما الحزب الآخر فقد اتخذ أسلوب الجهاد المسلح وتحول إلى (حزب شيوعي) وخلال الفترة ما بين الحربين تأسس (حزب إندونيسيا العظمى) و (الحزب الوطني) بزعامة سوكارنو اللذان نجحا في إرغام هولندا على تخفيف سياسة العنف والابتزاز الاقتصادي.

ولما قامت الحرب العالمية الثانية استولت اليابان على إندونيسيا سنة (1361هـ) فاندلعت حركة المقاومة الوطنية برئاسة أحمد سوكارنو ومحمد حتا ، كما تأسس حزب إسلامي يسمى (حزب الله) واشترك الجميع في مواجهة الاحتلال الياباني.

ولما انتهت الحرب أعلنت اليابان استقلال إندونيسيا سنة (1364هـ) وبعد انسحاب اليابان اشتركت إنجلترا وهولندا في حملة على إندونيسيا تمكنت من الاستيلاء على بعض الجهات والمدن الهامة في سومطرة وجاوة، ومع استمرار النضال أرغمتها على الاعتراف باستقلال إندونيسيا وفق اتفاقية عقدت سنة (1366هـ) لكن هولندا لجأت مرة أخرى إلى غزو البلاد سنة (1368هـ) وألغت اتفاقية سنة (1366هـ) ، ونتيجة للضغط الدولي جرى عقد مؤتمر لاهاي سنة (1369هـ) الذي أسفرت عن إنهاء الاستعمار الهولندي.

ثم حدث صراع بين الأحزاب ذات الميول الشيوعية والأخرى الإسلامية وأسفر الصراع عن انقسام إندونيسيا إلى حكومتين إحداهما سوفيتية ومركزها (ماديون) والأخرى وطنية ومركزها (جاكرتا) ، ثم اتحدت الدولتان سنة (1369هـ) تحت اسم (جمهورية إندونيسيا) برئاسة أحمد سوكارنو.

قام انقلاب شيوعي سنة (1385هـ) ، لكن وزير الدفاع كلف الجنرال (سوهارتو) بمواجهة الانقلاب الذي أيده أحمد سوكارنو.

وتحت ضغط القوى الوطنية الإسلامية أرغم سوكارنو على التنازل عن الحكم سنة (1386هـ - 1968) وتولى الجنرال سوهارتو رئاسة الجمهورية.

ثم تدهورت أحوال البلاد بسبب فساد سوهارتو وأسرته ..وحصلت اضطرابات كثيرة . وأدت إلى اعتماد الإصلاحات السياسية والانتخابات التي تنازعنها أحزاب علمانية وشخصيات مدنية

وعسكرية ، وما تزال هذه أحوالها إلى اليوم .حيث آلت رئاسة الجمهورية في الإنتخابات الأخيرة 2004 إلى جنرال عسكري تعهد في خطاب فوزه بمكافحة الإرهاب بالتعاون مع أمريكا وأستراليا .!!

تعرضت البلاد وما تزال لحركة تنصير قوية منذ مئات السنين ، وقد اشتدت خلال القرن الأخير ، وقد قرأت في بعض التقارير الإحصائية لبعض المؤسسات الإسلامية السعودية سنة 1992أن عدد الذين تنصروا في أند ونسيا يبلغ زهاء 30 مليون نسمة ! .

ونظرا لكبر البلاد وتطورها الصناعي وانتشار الصحوة الإسلامية القوية فيها ، تتعرض إندونيسيا لمؤامرات لتقسيمها ، وقد نجحت الدول الأوربية بدعم حركات النصارى الذين نصروهم عبر سنين الإحتلال ثم الإستقلال ، بفصل تيمور الشرقية عن إندونيسيا ، وتشهد جزر الملوك أعمال قتال بين المسلمين والنصارى الذين قاموا بأعمال وحشية ، فأحرقوا البيوت ، وصوروا بعضهم وهم يأكلون لحوم القتلى من المسلمين نيئة ومشوية ! وقد انتعشت مؤخرا في إندونيسيا وماليزيا وتايلاند وما جاورها من دول شرق آسيا صحوة إسلامية قوية تحولت للجهاد والمواجهة للمصالح الأمريكية والغربية والأسترالية ، مما جعل تلك البلاد هدفا للحملات الأمريكية المسعورة تحت دعاوى مكافحة الإرهاب .أن الله إخواننا ونصرهم .

ماليزيا :

مملكة إسلامية معاصرة تضم شبه جزيرة من الملا يو وشمال جزيرة بورنيو وتتألف من ثلاثة عشرة ولاية . وقد انتشر الإسلام في ماليزيا عن طريق التجارة ، ففي عام (675هـ) أسلم ملكها باسم (سلطان محمد شاه) وتبعه رعاياه وكانت البلاد من قبل قد تعرضت للاستعمار البرتغالي عام (918هـ) ثم حل محله الاستعمار الهولندي سنة (1051هـ).

وفي سنة (1201هـ) وقعت البلاد تحت الحكم البريطاني وفي سنة (1360هـ -1940) اجتاحت اليابان البلاد ، ثم انسحبت منها بعد الحرب العالمية الأولى وعاد الاستعمار البريطاني الذي أقام اتحادا بين المحميات البريطانية في الملايو.

وفي سنة (1375هـ) صدر الدستور وتألفت جبهة ائتلاف برئاسة (تنكو عبد الرحمن) استطاعت أن تحصل على الاستقلال سنة (1376هـ).

وفي عام (1383هـ) تأسس اتحاد يضم الملايو وسنغافورة وشمال بورنيو عرف باسم (اتحاد ماليزيا) وفي عام (1385هـ) خرجت سنغافورة عن دولة الاتحاد.

قامت نهضة معاصرة في ماليزيا متأثرة بالنموذج الياباني ، فتحولت إلى دولة صناعية مزدهرة. وتشهد ماليزيا صحوة إسلامية و جهادية واعدة هذه الأيام فتح الله عليهم .

ونكتفي بهذه النماذج من الدول العربية والإسلامية ، فالقصة متكررة ، وبسيطة ، وخلاصتها :

احتلال الدول الأوربية وغيرها لبلاد المسلمين بالتدريج منذ القرن السابع عشر ..وتصاعد ذلك بعد انهيار الدولة العثمانية . ثم قيام حركات مقاومة وجهاد لذلك الإحتلال ، ثم نشوء أحزاب علمانية وقوميو ويسارية ..استولت على جهود الجهاد ، ورتب المستعمرون لهم استلام الحكم بعد الإستقلال ، فحاربوا الإسلام ونهبوا البلاد وأذلوا العباد لصالح أسيادهم . ثم ورث الروس والأمريكان النفوذ الإستعمار ، واستمرت المأساة وازدادت ضراوة .

ثم لما انفردت أمريكا بالسيطرة على العالم منذ 1990 ، سيطرت على أولئك الحكام وأخضعتهم ، وبعد إحداث سبتمبر 2001 ، ازدادت الكارثة ، وتحولت لكابوس على المسلمين جراء تحالف أولئك الحكام المرتدين مع أمريكا ضد شعوبهم عامة والمسلمين الملتزمين خاصة ، تحت دعوى مكافحة الإرهاب . حيث أعلنت أمريكا بقيادة جورج بوش الحملات الصليبية اليهودية الجديدة مفتتحة ذلك باحتلال أفغانستان ثم العراق . حيث تستعد للمراحل التالية فيما يجاورها.

وبعد ما مر من الاستعراض السريع لأهم محطات التاريخ الإسلامي ، وأهم الممالك والدول التي قامت عبر ذلك التاريخ ، وقبل أن نزدلف إلي الفصل التالي الذي سندرس فيه دراسة تحليلية محطات الصراع مع الروم ، وملامح ذلك الصراع ، ومعادلات القوى فيه ، وذلك من أجل البحث عن مسببات النصر والهزيمة في مراحل ذلك الصراع . نرى من المفيد بل الضروري أن نعرض قبل ذلك لفكرة سريعة عن تاريخ هؤلاء الروم ، والمحطات الرئيسية للدول والممالك التي حملت رايتهم عبر التاريخ ، وإلى أيامنا هذه . وكذلك عن خلاصة مسار صراع المسلمين مع الروم منذ البعثة النبوية وإلى أيامنا هذه .

لأن أهم المعلومات اللازمة لنا بعد معرفتنا بأنفسنا وتاريخنا ومحطات نصرنا وهزائمنا وأسباب ذلك.., أن نعرف ما يمكن من مثل ذلك عن عدونا . لنعرف نقاط ضعفه وقوته وندرس تاريخ صراعنا معه ، ومعطيات وأسباب النصر عليه بإذن الله .

نبذة سريعة وموجزة عن تاريخ الروم[1]

(600 قبل الميلاد – 2004 ميلادية)

بدأ تجمع قبائل الرومان القدماء في السهول الشرقية لشبه الجزيرة الإيطالية. وهناك بنوا النواة القديمة لمدينة روما، خلال القرن السادس قبل الميلاد.

ونتيجة لضيق السهول الزراعية من حولها، خاضت تلك القبائل داخل شبه الجزيرة صراعا داميا على موارد الرزق، مما أكسبها مراسا في القتال ودفعها للانتشار خارج الجزيرة والتمدد برا في أوروبا وبحرا على طول سواحل البحر المتوسط.

ورث الرومان عن اليونان حضارتهم التي انهارت، وورثوا معظم مكوناتها. فورثوا دينها وآلهتها، كما ورثوا فلسفة اليونان ونظامهم السياسي والاجتماعي الذي يقوم على نظام الطبقات (الأشراف ـ العبيد ـ العامة). كما طوروا نظامهم الديمقراطي واخذوا عنه أسس حضارتهم التي تعتبر امتدادا لحضارات اليونان من حيث الخصائص العامة.

ولكونهم نشؤوا على سواحل البحر، بنى الرومان الأوائل أسطولا تجاريا جابوا به موانئ المتوسط شرقا وغربا. وسرعان ما أغرت القوة والأطماع ملوك الرومان الأوائل لبناء أسطول عسكري قوي يسيطرون به شيئا فشيئا على سواحل ذلك البحر الذي عرف لاحقا ببحر الروم . حيث غزت جيوشهم برا وبحرا كامل البلاد التي حوله، لينشئوا مع الوقت إمبراطورية استعمارية عتيدة ضمت كامل أوروبا وبلاد اليونان وغرب بلاد الأناضول وبلاد الشام ومصر وشمال أفريقيا. ووصل سلطانهم إلى القرن الإفريقي وبلاد الحبشة.

بهذا التمدد أصبح الرومان على تماس وصراع مع الإمبراطورية القوية الأخرى في الشرق وهي (فارس) . حيث كانت الأناضول (تركيا) وحدود الشام على العراق مسرح صراع طويل ومرير بين الإمبراطوريتين استمر إلى قيام الحضارة الإسلامية التي أزالتهما معا عن المشرق.

كما ذكرنا فقد بقي الروم على دينهم الوثني إلى أن جاء المسيح عليه السلام بدين النصرانية، وتولى أحبار اليهود تحريض الحاكم الروماني في فلسطين عليه وعلى أتباعه، وسعوا في قتله وغدروا به ، فرفعه الله تعالى :

---

[1] لا تتوفر لي الآن – في عزلتي الحالية – أية مصادر لإعطاء هذا العنوان الكبير حقه علميا . وما كتبته هو حصيلة ما تبقى في ذاكرتي مما درسته في منهج قسم التاريخ في جامعة بيروت العربية ، وما تراكم عندي من المعلومات والثقافة العامة . ولعلي أوفي الفقرة حقها في طبعة تالية إن يسر الله وأعان وكان في العمر والعزم بقية والله المستعان.

﴿ وَقَوْلِهِمْ إِنَّا قَتَلْنَا الْمَسِيحَ عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ رَسُولَ اللَّهِ وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ وَلَكِنْ شُبِّهَ لَهُمْ وَإِنَّ الَّذِينَ اخْتَلَفُوا فِيهِ لَفِي شَكٍّ مِنْهُ مَا لَهُمْ بِهِ مِنْ عِلْمٍ إِلَّا اتِّبَاعَ الظَّنِّ وَمَا قَتَلُوهُ يَقِيناً ﴾ (النساء:157).

فطاردوا أتباعه على مدى أكثر من قرنين من الزمن، تولى أحبار اليهود خلالها تحريف الدين الجديد. وساح أتباع المسيح عليه السلام وحواريوه وتلاميذهم في الأرض مطاردين ، وأقام لهم الرومان المذابح في كل مكان فروا إليه ، كما جاء ذكر بعض ذلك في القرآن الكريم في قصة أصحاب الأخدود وأصحاب الكهف. واستمر ذلك إلى أن بلغ أوجه في عصر الإمبراطور(دقليديانوس) الذي بطش بالنصارى بطشا شديدا حتى، سمي عصره في التاريخ المسيحي بعصر الشهداء. وهو الإمبراطور الذي خرج في عهده أصحاب الكهف أواخر القرن الثالث الميلادي والله أعلم.

وشيئا فشيئا ازداد أتباع النصرانية في أنحاء الإمبراطورية الرومانية . وخلف الإمبراطور (قسطنطين) سلفه (دقليديانوس). وكانت زوجة قسطنطين نصرانية، فاعترف بالديانة النصرانية ديانة رسمية ثانية إلى جانب الوثنية، وهدأت مطاردة النصارى. ثم ما لبث قسطنطين أن تنصر وزالت الوثنية لتصبح النصرانية دين الرومان منذ مطلع القرن الرابع الميلادي وإلى اليوم .

لما تبنى قسطنطين النصرانية، وجدها مشتتة على مذاهب كثيرة ، نتيجة انتشار الحواريين وسرية أتباعهم وخلط الأحبار، فطلب إليهم أن يجمعوا الأناجيل الكثيرة ويختصروها في كتاب واحد تعتمده الإمبراطورية. فانعقد المجمع النصراني الأول حيث وجد الأحبار والرهبان أمامهم زهاء أربعمائة إنجيل مختلفة الروايات يعود أقربها تاريخيا إلى المسيح إلى نحو مأتي سنة بعد رفعه عليه السلام واعتقادهم بصلبه، وذلك نتيجة البطش وتناقل أحبار النصارى روايات الإنجيل مشافهة خوفا من كتابتها خشية الرومان. فلما كتبت بعد قرنين من رفع المسيح أو أكثر،حوت كثيرا من الخلط نتيجة دس الرواة وتقادم العهد وهذا هو السبب الأساسي في تحريف الإنجيل ، الذي تتابعت عملية تحريفه من قبل رجال الكنيسة زمن الرومان وبعده. وهكذا خرج المجمع الكنسي الأول بأربعة أناجيل معتمدة هي أناجيل (لوقا، ويوحنا، ومتى، مرقص).

كان (بطرس) أحد كبار أحبار اليهود المعادين لدين المسيح وأتباعه حيث تولى تعذيب من قدر عليه بالتعاون مع الحاكم الروماني في فلسطين، ثم زعم أنه تنصر وأن لديه تكليفا ببناء الكنيسة الكبرى على صخرة روما فذهب إلى هناك وأقام الكنيسة التي تطورت لتكون الفاتيكان وتصبح مقر باباوات النصارى إلى اليوم .وإلى بطرس هذا يعود تشويه وتحريف كثير من عقائد النصارى (وخاصة في المذهب الكاثوليكي) وهكذا أصبحت مذاهب النصرانية خليطا من تعاليم المسيح والأصول اليهودية وما بقي من أثار الوثنية الرومانية الإغريقية الأصل. حيث سادة عقيدة التثليث،

و الأقانيم الثلاثة (الأب والابن والروح القدس) كما يـدجل النصـارى ويفـترون عـلى اللـه الكـذب ، سبحانه وتعالى عما يشركون .

وتبنى النصارى عقيدة صلب المسيح، وأقاموا ديـنهم عـلى هـذه الفريـة الكـبرى. ثـم سـيطر المذهب الكاثوليكي الذي تولى أصحابه برئاسة بابا روما ودعـم إمبراطورهـا مطـاردة بـاقي المـذاهب النصرانية التي لم تؤمن بألوهية المسـيح وغـير ذلـك مـن الأباطيـل، وبطشـت بهـم بأقسىـ أسـاليب البطش وأنهت وجودهم.

الأمر المهم الثاني الذي فعله قسطنطين بعد إدخال النصرانية وتوحيد الأناجيل، أنه بنى مدينـة القسطنطينية ، في مكان اختاره في إحدى رحلاته في منطقـة القـرن الـذهبي عـلى مضـيق البوسـفور الذي يصل البحر الأسود ببحر مرمرة، وهي مدينة إسلام بول (اسطنبول) اليوم. واتخذها قسـطنطين عاصمة ثانية للامبراطورية بعـد رومـا وكـان ذلـك بدايـة انقسـام الـروم إلى شرقيـين وغـربيين وكـان انقساما سياسيا وحتى مذهبيا.

بعد موت قسطنطين خلفه إمبراطور آخر رأى اتساع الإمبراطورية الرومانية التي شملت كامـل أوروبا وضفاف البحر الأسود ومعظم الأناضول وبلاد الشام ووادي النيل والحبشة وشـمال إفريقيـا . فرأى تقسيمها إداريا إلى أربعة أقسام لكل قسم منها حاكم مستقل الإدارة. وبعد مـوت الإمبراطـور تحول هذا التقسيم إلى ولايتين شرقيتين عاصمتهما القسطنطينية تضمان شرق أوروبا وشرق وجنوب المتوسط وغربيتان تشملان معظم أوروبا الغربية وعاصمتهما روما.

أواخر القرن الرابع الميلادي حصلت هجـرات بشريـة واسـعة مـن وسـط آسـيا باتجـاه غربهـا، فتدافعت القبائل وأجلى بعضها بعضا عن أراضيها، مما دفع بكثـير منهـا إلى العبـور إلى شـمال شرق أوروبا، وعرف ذلك بغزوات البرابرة الذين نزلوا إلى شمال أووربا من جهة الدول الإسكندنافية. وكان من أبرز تلك القبائل، قبائل الجرمان والألمان والتشيك و السلاف و الغال و القوط و الآلان و الهـون و الوندال.... وامتازت تلك القبائل بالبأس والوحشـية في هجماتهـا ذات الطـابع البربـري. ولم تعـرف تلك الشعوب الوثنية الرعوية من أوجه الحضارة إلا القتال والتدمير.

أتعبت تلك الغزوات وأعمال السلب والنهب التي مارسها البرابرة على شمال شرق الإمبراطورية الرومانية الأباطرة واستنزفت كثيرا من قوتهم فيما كانوا منهمكين في صراعهم التاريخي مع الفرس في المشرق. واضطر إمبراطور الروم إلى أن يعـرض عـلى تلـك القبائـل أن تسـتوطن شـمال شرق أوروبـا، ويكون لها حقوق السـكن والزراعـة والصـيد شـمال نهـر الـدانوب ، لعلـه يسـتريح مـن هجماتهـم. فاستقروا فترة ثم ما لبثوا أن اتخذوا من هذه المنطقة منطلقا للهجوم على غرب أوروبا.

وبرز (أتيلا) زعيم قبائل الهون الشرس، الذي قاد جيوشا جرارة بلغ أن يهجم في بعض معاركة بربع مليون فارس ! وكان شعار رايته خنجرا مغروسا في الأرض كتب تحته : (الأرض التي تطؤها خيلي لا ينبت فيها العشب) !.

وأسفرت هجماته في النهاية عن سقوط روما أواسط القرن الخامس الميلادي وبالتالي اندفعت قبائل البرابرة لتستوطن غرب أوروبا ولتستقر كل منها في ناحية من نواحيها مكونة الأساس القديم للدول الأوروبية القومية الحالية. فسكن **الغال** فرنسا وسموا بالفرنجة. وسكن **الجرمان والألمان** حوض الراين (ألمانيا). وسكن **الآلان** (إيطاليا). وسكن **القوط** (أسبانيا). وسكن **الوندال** جنوبها وإليهم نسبت أرضهم باسم (وندالوس) يعني أرض الوندال ، والتي صارت مع الوقت (الأندلس).

ومع الوقت اختلطت هذه الشعوب بالرومان وشعوب تلك البلاد الأصلية، وتزاوجت معها ثم تنصرت. وقام لتلك الدول ملوك وحضارات مستقلة، وتبع الجميع روما وبابا الفاتيكان كمركز للإشعاع الديني لكل أوروبا. فيما بقي شرق أوروبا موحدا حيث يقوم قيصر الروم بحكمها ويسيطر على قسم من الأناضول وبلاد الشام ومصر والحبشة وأجزاء من شمال أفريقيا حيث صار للروم الشرقيين الذين سموا (البيزنطيين)، صار لهم مذهبهم المستقل وكنيستهم الـ(أرثوذوكسية). وتحولت بعض الممالك في أوروبا إلى الحجم الإمبراطوري كألمانيا وفرنسا وأسبانيا. فيما قامت ممالك أخرى في إيطاليا والبرتغال وإنجلترا على النظام الإقطاعي حيث تحالف الملك والنبلاء والكنيسة خلال تلك العصور الوسطى.

وهكذا بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم سنة 610 ميلادية، وكانت هذه أحوال النظام الدولي آنذاك. الفرس في العراق وإيران وحوض قزوين وأجزاء من أفغانستان والسند، والروم البيزنطيين وملوك أوروبا يتقاسمون الغرب وحوض المتوسط. وقامت دولت الإسلام وتحققت نبوءته صلى الله عليه وسلم حيث أخبر فيما روي عنه :

(ثم فارس نطحة أو نطحتان ثم لا فارس بعدها أبدا، والروم ذات القرون كلما هلك قرن خلف مكانه قرن أهل صخر وأهل بحر هيهات لآخر الدهر،هم أصحابكم ما كان في العيش خير).

فزحفت جيوش المسلمين لتدخل فارس بمكوناتها في حضارة الإسلام، ولتنتزع من ملك الروم كامل مستعمراتهم شرق وجنوب المتوسط. وليؤول النظام الدولي كما بينا في الفصل السابق، صراعا بين المسلمين والروم.

خلال القرن الحادي عشر والثاني عشر الميلادي أغرى ضعف المسلمين الروم. وبتشجيع من بابا الفاتيكان الذي التقت نداءاته مع مصالح ملوك أوربا الإقتصادية ومشاكلهم الداخلية وفيما بينهم، انطلقت الحملات الصليبية الأولى من أوربا الغربية، وساهم فيها ملوك أوربا وعلى رأسهم ملوك إنجلترا وفرنسا وألمانيا ، وعاونهم قيصر القسطنطينية بالعتاد وبالأسطول البحري.

استمرت الحروب الصليبية نحو قرنيين ونيف، ولم تنقطع خلالها الحروب الداخلية بين الممالك الأوربية، وكذلك الصراعات الدامية بين نبلاء أوربا وأمراء الإقطاعيات وبين ملوكها، وكذلك بين الملوك والباباوات المتعاقبين. وكذلك بين الروم الشرقيين ومن جاورهم من ممالك أوربا الشرقية. وباندحار الحملات الصليبية كما سنبين في الفقرات اللاحقة من هذا الفصل. عادت جيوش أوربا من المشرق تحمل معها روح الحضارة الإسلامية وعلومها الإنسانية والعلمية، وخلاصة ما حفظته من حضارات الشرق التي صهرتها حضارت الإسلام ونقلت خلاصتها، كحضارات الهند وفارس و التركستان وتخوم الصين.

وخلال تلك العصور الوسطى (من القرن الخامس ، وإلى القرن الخامس عشر الميلادية) كانت أوربا تغط في حال من التخلف والجهل ، وظلمات صراع الملوك وأمراء الإقطاع وهيمنة الكنيسة المتحالفة معهم ، والتي تولت إغراق الناس في ظلمات الجهل والجاهلية . وكانت ممالك أوربا على تماس حضاري مع ممالك المسلمين في الأندلس. وكان أبناء الملوك و كبار النبلاء يقصدون عاصمتها قرطبة وجامعاتها ومكتباتها للدراسة وطلب العلم.

وبقي الحال هكذا إلى أن استطاع الأتراك العثمانيون إسقاط القسطنطينية عام 1453 ميلادية. لتنتهي العصور الوسطى ويبدأ العصر الحديث في أوربا. وبعد ذلك بقليل تمكن ملوك أسبانيا النصارى مدعومين من ملوك أوربا من إسقاط آخر ممالك المسلمين في الأندلس(غرناطة) سنة 1492م. وكذلك ورثوا خلاصة حضارتها. وأدت هذه العوامل إلى نهضة الممالك الأوروبية ودولها القومية.

وفي نفس الوقت مطلع القرن الخامس عشر أيضا، ابتدأ انطلاق روسيا القيصرية شرقا لتسيطر على النصف الشمالي لقارة آسيا(خلال القرون الثلاثة التالية) . وتنضم إلى نادي الدول الأوربية الصليبية الكبرى، ولتدخل في حروب صليبية طاحنة مع الدولة العثمانية فيما بعد كما رأينا .

خلال القرون الخامس عشر والسادس عشر والسابع عشر وإلى منتصف الثامن عشر، سيطرت الدولة العثمانية على البحر المتوسط وعلى الشرق ، وتوغلت في شرق أوربا واستولت على ممالكها وعلى مخلفات الإمبراطورية الرومانية البيزنطية وتوغلت غربا في بلاد البلقان. لتقف منذ القرن السابع عشر وإلى أواسط القرن الثامن عشر على أسوار فينا عاصمة النمسا. وهناك اتحدت جهود ملوك أوربا والفاتيكان لوقف هذا الزحف الإسلامي، حيث بدأ العد التنازلي للإمبراطورية العثمانية خلال النصف الثاني من القرن الثامن عشر، ولينطلق نجم الحضارة الأوربية الحديثة (الروم المعاصرون) ، بعد أن أفل نجم المسلمين .

وخلال القرن الخامس عشر ونتيجة لما عانت شعوب أوربا من سيطرة بابا الفاتيكان والمذهب الكاثوليكي. قامت حركات إصلاحية ولدت في ألمانيا وانتشرت في أوربا وأدت إلى ظهور مذهب

نصراني جديد هو المذهب (البروتستانتي) الذي حمل كثيرا من المؤثرات اليهودية التوراتية. ثم ما لبث أن لاقى رواجا في بريطانيا وانتقل منها ليستقر في الولايات المتحدة بعد ذلك . وبذلك انقسمت أوربا على ثلاثة مذاهب رئيسية توزعت الأغلبية جغرافيا فيها بحيث ساد المذهب (الأرثوذوكسي) في روسيا وشرق أوربا. وساد المذهب (الكاثوليكي) وسط أوربا وغربها وانتشر المذهب (البروتستانتي) في بريطانيا والولايات المتحدة.

أدت الثورة الصناعية والعلمية لنهضة أوربا. وأدت الثورة الفرنسية أواخر القرن الثامن عشر إلى يقظة شعوب أوربا ونهضتها. وكانت حركة الكشوف الاستعمارية التي انطلقت من أوربا منذ أواخر القرن الخامس عشر الميلادي بمباركة البابا قد أسفرت عن قيام إمبراطوريات بحرية استعمارية كبرى على رأسها: البرتغال – أسبانيا- بريطانيا- فرنسا- هولندا....

وخلال القرن الثامن عشر شهدت أوربا ثورات عديدة. وانهار النظام الإقطاعي، وتكونت (البرجوازية). لينهض النظام الصناعي الرأسمالي مكان الإقطاع. وقامت معارك كبرى بين الملوك والنبلاء أسفرت عن توحيد إمارات مبعثرة وتكوين دول اتحادية ، مثل حروب توحيد إيطاليا وألمانيا خلال القرن التاسع عشر. وبدأت ترتسم معالم خارطة أوربا ودولها القومية بالشكل القريب من شكلها الحالي.

وخلال القرن الثامن عشر والتاسع عشر دخلت الإمبراطوريات الكبرى الأوربية حروبا استعمارية عديدة فيما بينها في داخل أوربا وفي المستعمرات البعيدة وراء البحار، من أمريكا الشمالية والجنوبية إلى إفريقيا إلى جنوب وجنوب غرب آسيا وفي الجزر النائية في المحيطات. وأسفرت تلك المعارك عن اندحار أسبانيا والبرتغال. واستيلاء البريطانيين والفرنسيين على معظم مستعمراتها لتصبح الدولتان الأقوى في أوربا التي صارت حضارتها الغربية الوريثة الطبيعية لحضارة الروم.

وبوصول الإمبراطورية العثمانية لما أسلفنا من أسباب الضعف، دخلت في حالة الاحتضار ودعيت في عرف السياسة الدولية آنذاك بـ(الرجل المريض). وبدأت أوربا الاستعمارية ، تتآمر على تقاسمها، وتسن سكاكينها لتقسيم و ابتلاع أشلائها. ودخل اليهود على خط المؤامرة في هذه المرحلة ليتولوا الدسائس ، ويستولوا على الجملة العصبية للروم الجدد (أوربا وأمريكا) ، وذلك بسيطرتهم على عالم السياسة والمال والفكر الإعلام والدعارة والجاسوسية !.

أهم أسباب نهضة أوربا واسترجاعها لواء الحضارة وقيام الحضارة الغربية وانطلاقتها الاستعمارية منذ مطلع القرن السادس عشر- باختصار-

الحملات الصليبية على المشرق ونقل خلاصة التراث الحضاري الإسلامي وما حفظته من حضارات المشرق في فارس والهند ووسط آسيا والإفادة من كل ذلك. و نشاط حركة الترجمة العلمية ودراسة أسباب الهزيمة في الحروب الصليبية.(منذ القرن الثالث عشر).

سقوط القسطنطينية وهجرة العلماء والمكتبات وإرث الحضارة الرومانية إلى أوربا. (خلال القرن الخامس عشر) .

سقوط الأندلس ونهب مكتباتها الزاهرة وإكمال ما حصلوه من الحملات الصليبية من وراثة مكونات الحضارة العربية الإسلامية.(منذ القرن السادس عشر) .

الكشوف الجغرافية وتطور الأساطيل الأوربية وعودة فوائد ذلك من أرباح التجارة ولاسيما بعد اكتشاف رأس الرجاء الصالح وتحويل طريق التجارة عن بلاد المسلمين. وما جنوه من كنوز البلاد المفتوحة لاسيما العالم الجديد (القارة الأمريكية) منذ القرن السادس عشر).

اكتشاف البخار وتطوير السفن والقاطرات واكتشاف البارود والمتفجرات وتطوير الأسلحة (منذ القرن السابع عشر) .

الثورة الفرنسية نهايات القرن 18 على الملكية وحلفها المقدس مع الكنيسة وانطلاق الأفكار السياسية والنهضة القومية التي أدت إلى سقوط النظام الإقطاعي وتوحد الدول القومية الكبرى كألمانيا وإيطاليا وفرنسا على حساب الإمارات الصغيرة.

الثورة على الكنيسة والتفلت من تحجرها وانطلاق العالم التجريبي والحرية الفكرية بعد الثورة الفرنسية على الملوك والكنيسة .

الثورة الصناعية في القرنين الـ (18) والـ (19) وثورة المخترعات العلمية وتطوير الآلة الصناعية المدنية والعسكرية.

الروح العسكرية والتوجه الإستعمار للغزو والفتوح والتضحية وبذل الجهود في مختلف أقطار الأرض تحت قيادة ملوك مغامرين تواقين للمجد والثراء والتوسع.

وهكذا ولّدت هذه العوامل دولا استعمارية قوية كان في طليعتها روسيا القيصرية التي اجتاحت جيوشها وسيطرت أكثر من نصف قارة آسيا . وبريطانيا التي شكلت إمبراطورية احتوت الصين والهند ومعظم أمريكا الشمالية ودول كثيرة أخرى في آسيا وأفريقيا حتى أطلقوا عليها اسم (الإمبراطورية التي لا تغيب عنها الشمس). وفرنسا التي تليها في الانتشار و الاتساع وكذلك أسبانيا الإمبراطورية والبرتغال اللتان كانتا سباقتان للانتشار الاستعماري ودول أخرى كهولندا وبلجيكا وإيطاليا..

خلال القرن التاسع عشر بدأت حروب الإستقلال في أمريكا الشمالية وأسفرت الثورة التي قادها (جورج واشنطن) عن قيام الولايات المتحدة الأمريكية التي تكونت بعد الحروب الأهلية التالية لتنضم إلى جانب روسيا القيصرية ودول أوربا الغربية إلى نادي الدول الكبرى.

أدى الصراع الأوربي – الأوربي على السياسات الأوربية وعلى الغنائم الاستعمارية إلى اشتعال الحرب العالمية الأولى (1914-1918). التي ذهب ضحيتها زهاء ستة ملايين إنسان ! التي كان من نتائجها انهيار الإمبراطورية العثمانية. حيث رسمت بريطانيا وفرنسا خطة تقاسم تركتها. وامتدت لتصبح أكبر دولتين استعماريتين. في التاريخ ولاسيما بريطانيا التي صارت إمبراطورية لا تغيب عنها الشمس.

وهكذا انطلقت أوربا بعد الحرب العالمية الأولى في الموجة الرئيسية من الحملات الصليبية الثانية على العالم الإسلامي، والتي يمكن التأريخ لها عمليا منذ حملة نابليون على مصر عام 1798 . رغم أن زحف الصليبيين على أطراف العالم الإسلامي كان قد بدأ منذ مطلع القرن السادس عشر حيث احتلت البرتغال وأسبانيا وفرنسا وبريطانيا وهولندا كثيرا من المستعمرات في أطراف العالم الإسلامي. ولكن ذروة الحملات كانت بعد اتفاقية سيكس – بيكو سنة 1917 م . بين فرنسا وبريطانيا .

أدى الصراع الاستعماري بين الدول الأوربية ذاتها وظهور ألمانيا النازية وتكوينها محورا مناوئا للدول الأوربية بالتعاون مع إيطاليا واليابان إلى نشوب الحرب العالمية الثانية (1939-1945). وأدت هذه الحرب التي حصدت زهاء من 82 مليون إنسان إلى تحطيم البنى الإقتصادية والاجتماعية للدول الاستعمارية الأوربية وأعادت رسم خارطة أوربا بشكلها الحالي تقريبا. كما أدت إلى ضمور الدول الأوربية وبروز الإتحاد السوفييتي الذي ورث روسيا القيصرية وأقام دولة شيوعية تحكم إرثها من موسكو.بعد الثورة البلشفية الشيوعية سنة 1917 م . وكذلك بروز الولايات المتحدة الأمريكية كأكبر دولتين من دول الروم تسيطران على مقدرات العالم. وورثت هاتان الدولتان معظم الإرث الاستعماري الهام للدول الأوربية. وورثتا بذلك راية الروم المعاصرين بصورة رئيسية .

كما أسلفنا قام النظام الدولي الجديد بعيد الحرب العالمية الثانية و تقاسم الإتحاد السوفيتي بشكل رئيسي و الولايات المتحدة وما تبقى من دول أوربا القوية ؛ فرنسا وبريطانيا سيادة العالم مدة نصف قرن.

إنهار الإتحاد السوفيتي بعد ورطته في أفغانستان وانفردت الولايات المتحدة الأمريكية التي نضجت قوتها العسكرية لتصبح أقوى من مجموع أقوى 9 دول عظمى عسكريا تليها في قائمة الدول القوية كما تقول الدراسات الإستراتيجية. ولينضم اقتصادها ليكون أعلى اقتصاد قوي في

الأرض. لتصبح بقدراتها العلمية و التكنولوجية وتعدادها الذي ناهز 300 مليون نسمة، وريثة حضارة الرومان كما أعلن قادتها. وهذه حقيقة.

وهرعت بريطانيا (الدولة الاستعمارية العجوز المنحلة) لتدخل في فلكها بحكم وحدة اللغة والمذهب (البروتستنتي)، والتاريخ المشترك. وصارت بقية الدول الأوربية تابعة لها عبر حلف الناتو. الذي بدأ يلحق به معظم مكونات حلف وارسو من دول أوربا الشرقية وحتى روسيا ذاتها ... لتتحد جهود الروم في الحملات الصليبية الثالثة على العالم الإسلامي بقيادة أمريكا التي انطلقت منذ إعلان قيام النظام العالمي الجديد عام 1990 و بلغت مداها منذ نهاية القرن العشرين ومطلع الألفية الميلادية الثالثة ، وهي أيامنا هذه ، حيث تولت أمريكا وحلفاؤها وذيولها المنافقون أن يملؤوا الأرض جورا وظلما .

السيطرة اليهودية على الروم المعاصرين (الإتحاد السوفييتي البائد - أوربا- أمريكا):

(1) - تسلط اليهود على الإتحاد السوفييتي البائد وروسيا الحالية :

- الثورة البلشفية واليهود:

الثورة البلشفية يهودية التفكير والتخطيط والتمويل والتنفيذ ، ففيلسوفها ومفكرها هو ماركس ، حفيد حاخام اليهودي (مردخاي ماركس). وكذلك لينين ، الذي حول كلمات ماركس إلى واقع ثورة ، وأمد الحركة الشيوعية بمؤلفاته هو يهودي كذلك.

جاء في قرار بني بيرث (أبناء العهد اليهودية) سنة (1939) مايلي: (لقد نشرنا روح الثورية التحريرية الكاذبة بين شعوب الغير ، لإقناعهم بالتخطي عن أديانهم بل بالشعوب بالخجل من الإعلان عن تعاليم هذه الأديان ، ونجحنا في إقناع كثيرين بالإعلان جهارا عن إلحادهم الكلي وعدم الإيمان بخالق البتة ، وأغويناهم بالتفاخر بكونهم أحفاد القرود - نظرية داروين - ، ثم قدمنا لهم عقائد يستحيل عليهم سبر أغوارها الحقيقية: الشيوعية والفوضوية التي تخدم مصالحنا وأهدافنا.

وأما التمويل فهو يهودي كما مر.

وكان (يح بروكلن) الحي الشرقي من نيويورك مسرحا لتخطيط للثورة ، يتولاه (تروتسكي) ولا زال هذا الحي هو مركز التخطيط اليهودي العالمي لتدمير البشرية..

وقد صدر في الأسبوع الأول للثورة قرار ذو شقين بحق اليهود:

- يعتبر عداء اليهود عداء للجنس السامي يعاقب عليه قانونيا.
- الاعتراف بحق اليهود في أنشاء وطن قومي في فلسطين.

- **الكتب السياسي الأول للثورة البلشفية:**

مكون من سبعة أشخاص خمسة من اليهود لأبوين وهم:

لينين: يهودي ، وزوجته (تربسكايا) يهودية.

تروتسكي: يهودي.

كامينيف: يهودي.

سوكولنكوف: يهودي.

زينونيف: يهودي.

أما ستالين فزوجته يهودية اسمها (روزاكاجا نوفتش).

يبنوف: روسي وليس يهوديا ، وهو الوحيد.

- **الدولة التي شكلها لينين سنة (1918م).**

وهذه أول حكومة بعد الثورة:

الجهة	العدد الكلي	اليهود
الوزراء	22	17
إدارة الحرب	43	34
لجنة الشئون الداخلية	64	45
لجنة الشئون الخارجية	17	13
لجنة الصحافة	42	41
مجموع كبار الموظفين	532	425

أي أن نسبة الموظفين (80%) من اليهود.

ولعل القارئ الكريم يحسب أن هذا كان في بداية الثورة ، إلا أن الأمر استمر حتى يومنا هذا ففي سنة (1965م) كتبت الكاتبة السوفيتية (نينا اليكسيفا): (عدد اليهود في الإتحاد السوفيتي لا يزيد عن واحد في المئة، وكلنهم يمثلون ستين في المائة من هيئة التدريس في المعاهد العليا والجامعات ، وثمانين في المائة من مسؤولية التوجيه العقائدي في الحزب السياسة الخارجية ، وإن نائب رئيس الوزراء ورئيس المجلس الاقتصادي في الوسفيات يهودي).

(الذخائر ج971/1-973)

(2) - مؤتمر يالطة سنة (1945م) وتسلط اليهود على الدول العظمى:

إثر الحرب الثانية اجتمع الأقطاب الثلاثة (روزفلت ، ستالين ، تشرشل) وقرروا: محـو النازيـة و تقسيم ألمانيا إلى مناطق احتلال بين الحلفاء . وتصـفية الإمبراطوريـة اليابانيـة ، وتشـكيل حكومـات ديمقراطية في أوروبا الشرقية ، ودرسوا المذكرة الصهيونية التي تتضمن:

- أن يفـرض عـلى ألمانيـا تعويضـات قـدرها (5 مليـارات) دولار تـوزع عـلى اليهـود المتضررين في أوربا والذين نزحوا إلى أمريكا وفلسطين.
- رفع جميع القيود عن الهجرة اليهودية إلى فلسطين.
- منح اليهود المساعدات لإنشاء كيانهم السياسي.

أما الأقطاب الثلاثة فيهم يهود إما نسبا وإما ميولا وعاطفة.

فروزفلت: يهودي منحدر مـن أسرة يهودية اسـمها (روزنـبرغ) ، ثـم تحولـت إلى روزفلـت . و هاجرت من أسبانيا إلى أمريكا ، وكان جده (كلينتون روزفلت) أحد ثلاثة كونوا لجنة لجمـع الأمـوال لماركس وإنجليز لإخراج البيان الشيوعي. وقد قـدم اليهـود إلى الـرئيس الأمـريكي روزفلـت ميدالية ذهبية مكتوب عليه:

(الرفاهية والحكمة لفرنكلين روزفلت نبينا الجديد الذي سيعيدنا إلى الأرض الميعاد).

أما ستالين: فهو يهودي نسبا ، وزوجته يهودية اسمها (روزاكاجان فتش). وقـد بقيـت هـذه الحسناء اليهودية مع أسرتها تدير الإتحاد السوفيتي قرابة ثلاثة عقود حكم فيها سـتالين ، وقـد كـان (لازاركاجانوفتش) شقيق روزا مسيطرا على ستالين ومولو توف].

{ **وأما تشرشل** فهو من أخلص المتحمسين للفكرة الصهيونية }.

(الذخائر ج981/1)

(3) -تسلط اليهود على أوربا :

كنت أمتلك في أرشيفي بعض المعلومات الإحصائية والدراسات حـول هـذا الموضـوع ، ولكنـي فقدتها في لندن بسبب هجرتي السريعة منها إلى أفغانستان ، ثم فقدت القسم الآخـر في أفغانسـتان إبان سقوطها .

ولكن خلاصة ما أتذكره من ذلك هو السيطرة الهائلة للوبيات اليهودية والصهيونية عـلى عـالم السياسة والصحافة والإعلام والبنوك والمؤسسات الإقتصادية في أوربا عموما .

فمما أذكر على سبيل المثال :

- نشرت مجلة (المشاهد السياسي) وتصدرها الـ (BBC) في أحد أعدادها سنة 1996 ، دراسة عن قوة اللوبي اليهودي في الحزبين البريطانيين الرئيسيين (حزب المحافظين) و (حزب العمال) . وخلصت إلى نتيجة ، أن اليهود يسيطرون على الحزبين بدرجة متقاربة ومدهشة . وتحيرت في السؤال : من سيدعم اليهود في الإنتخابات بين الحزبين ؟! وكنت أمتلك المجلة في أرشيفي .وفيها تقرير إحصائي مهم .

- ولما كنت أدرس في فرنسا سنة (1985) عقدت المنظمات والجمعيات اليهودية مؤتمرا تحت شعار (سنة 2000- فرنسا يهودية !) وكان بالفرنسية : **L an 2000 La France est juif**) !!) .

ونشرت الصحف دراسات عن انتشار اليهود في مختلف مؤسسات الدولة فكانت إحصائية مدهشة ! وقد قام حزب الجبهة الوطنية اليميني القومي الفرنسي- المتطرف ضد اليهود والعرب والأجانب بنشر معلومات خطيرة عن هذا التغلغل اليهودي ..

وقل مثل ذلك عن كل بلد آخر ويمكن تحصيل هذه المعلومات لمن أراد استزادة من الإنترنيت ..ويكفي أن نرى مواقف الإتحاد الأوربي ومنها إعلانه المنظمات الفلسطينية ومنها حماس منظمات إرهابية ، رغم اعتراف أوربا بحق مقاومة الإحتلال ، والشواهد كثيرة . رغم أن الشعوب الأوربية بدأت تعلن تبرمها بهذا الوضع . حتى أعلنت إحصائية رسمية للاتحاد الأوربي أن زهاء 60% من الشعب الأوربي يرى إسرائيل هي الخطر الأول على السلام العالمي ، مما أثار ردة فعل عنيفة في أوساط اليهود الأوربيين وإسرائيل .

(4) - تسلط اليهود على أمريكا المعاصرة . و ظاهرة المسيحيين المتهودين (الكنيسة الإنجيلية) و(المحافظون الجدد) :

اكتشفت أمريكا سنة 1492ميلادية . ولما بدأت أخبار خيرات العالم الجديد تصل إلى مسامع الناس في أوربا ، صارت على مر ثلاث عقود تلت مهوى أفئدة المغامرين ، والمنشقين والمطاردين في أوربا ، كما أصبحت منفى للمجرمين والمنفيين .

وأدرك اليهود الذين كانوا يعانون في أوربا من الظلم والاحتقار من النصارى ، أهمية هذا العالم الجديد بل اعتقد بعضهم أنها أرض الميعاد التي بشروا بها في كتبهم القديمة .

ولما ظهرت مناجم الذهب والثروات الطائلة تحركت حاسة الشم والنهم لدى اليهود وبدؤوا بهجرة كثيفة نحو العالم الجديد . وسرعان ما شكلوا جالية كبيرة وعملوا في مجالهم التاريخي ، المال والربا .

ولما استقلت أمريكا وبدأت تتكون الولايات المتحدة الأمريكية كان بعضهم قد حاز نفوذا في مجالات البنوك ورؤوس الأموال ، والأعمال المصرفية . حتى تخوف وتنبأ أحد أوائل الرؤساء

الأمريكان وهو (؟؟) ، من نفوذ هذه الشرذمة وحذر منهم ، وقال في وثيقة ما تزال محفوظة في مكتبة الكونغرس محذرا قومه منهم ، بأنه يتوقع إلاّ يكبح جماح هذه الفئة ويحال بينها وبين طموحاتها وجشعها فإنه يتوقع إن يأتي على أمته الأمريكية زمان يتحكم فيهم هؤلاء ويملكون أقواتهم ..وكنت أحتفظ بصورة عن مقولته تلك وهي شهيرة .

وفعلا آل الأمر إلى ماحذر منه ، فقد لعب اليهود دورا ماليا بارزا في تمويل الدول في الحرب العالمية الأولى، ثم الثانية ، ودخلوا في تمويل نهضة التصنيع في أوربا وأمريكا ، ولم ينصرم القرن التاسع عشر إلا واليهود يحتكرون تجارة المال والأعمال ولأعمال المصرفية في أوربا وأمريكا ، وصار لهم لوبي يتحكم بحملات الإنتخابات الأمريكية ، والأوربية .. وسيطروا على قطاع الإعلام والصحافة في أمريكا كما أوربا، وسيطروا على صناعة السينما وعالم هوليود ، ودسوا حسناواتهم ليكونوا عشيقات أو زوجات لكبار الشخصيات السياسية والاقتصادية ! وقامت لهم الجمعيات والمنظمات ، وبلغ تعداد الجالية اليهودية في أمريكا أكثر من ثمانية مليون نسمة يقطن أكثرهم قلب الولايات المتحدة الاقتصادي (مدينة نيويورك) التي تعتبر من عواصم اليهود في العالم . ثم دخل اليهود وأبناء اليهوديات مجال السياسة بأنفسهم وصار منهم النواب في الكونغرس ومجلس الشيوخ والوزراء وحتى الرؤساء!

ونظرا لاعتناق الغالبية من نصارى أمريكا المذهب البروتستانتي ، الذي يرتكز على تفسيرات العهد القديم (التوراة) والكتب والأدبيات اليهودية ، ولدت مدارس مذهبية جديدة تعتبر حب اليهود والعمل على إعادة مجدهم لإسرائيل من أقرب القربات الدينية .

وتطورت هذه المذاهب والجمعيات وصار لها وسائلها الإعلامية الكثيرة من مئات محطات الراديو والقنوات التلفزيونية والجرائد والمجلات ، والكتاب ومراكز الدراسات والدعوة ...إلخ ،

ثم ظهرت الكنيسة (الإنجيلية) وكان من أبرز معتقدات وجوب دعم إسرائيل كواجب ديني ، والاعتقاد بأن معركة عالمية ستقوم في سهل (هرمجدون) شمال فلسطين بين اليهود المدعومين من ملوك النصارى ، وبين المسلمين ، وأنها ستكون معارك يفنى فيها ملايين البشر ، وهي مقدمة لعودة المسيح نزوله من السماء لإنقاذ المؤمنين به . واعتقد هؤلاء أن نهايات القرن العشرين أو أوائل القرن الحالي هي موعد لهذا الحدث . وكان الكثيرون من الساسة الأمريكان من اعتقد بهذه الطلاسم منهم الرئيس ريغان نفسه ! وقد كتبت كتب عدة حول هذا الموضوع وترجم بعضها للعربية . (وللشيخ سفر الحوالي دراسات وكتب قيمة في هذا الموضوع لمن أراد استزادة).

ولذلك تلقت إسرائيل دعما لا متناهيا من أمريكا خلال الربع الأخير من القرن الماضي وما زالت . ثم ظهرت نهايات القرن الماضي في أمريكا مدرسة دينية سياسية ألعن في معتقداتها ، أطلقوا

على أنفسهم (المحافظون الجدد) ، وكان منهم إدارة الرئيس بـوش الأب ، و إدارة الحاليـة والـرئيس الحالي جورج بوش الابن نفسه .

ويقيم هؤلاء مذهبهم كذلك عـلى الأسـاطير التوراتيـة ووجـوب إعـادة بنـاء الهيكـل ومملكـة إسرائيل وأن الله يبارك أمريكا لقيامها بهذه المهمة ، بالإضافة للأحلام الإمبراطورية في توسع أمريكا ، وسيطرتهم على الشرق الأوسط متحالفين مع اليهود ، وعلى سيادة حضارة العرق الأبـيض ، و ضرورة إفناء الأعراق الأخرى ، وتبنوا نظريات (**صراع الحضارات**) وأن الأرض لا تتسع لحضـارتين ..وأن عـلى **حضارة العرق الأبيض: النصرانية الـدين ، الديمقراطيـة السياسـة ، الرأسـمالية الاقتصـاد ، الإباحيـة الأخلاق والثقافة** .. أن تسحق الحضارات الأخرى وتخضعها وتفرض عليها دينها وثقافتهـا ونظامهـا . بل إن المحافظين الجدد هؤلاء والذين يمكن تسميتهم بالصليبيين المتهـودين ، أعلنـوا اتخـاذهم مـن الإسلام والمسلمين عدوهم الأول ، وأعلنوا الصدام مع حضارتهم كقدر محتوم ، بل قال أحد كبرائهم : (نحن ورثة حضارة الروم ، وأعـداؤها في التـاريخ أعـداؤنا في الحـاضر) ، وصرح جـورج بـوش بـأن حربه الحالية في الشرق الأوسط حرب صليبية ، ثم اعتذر وقال أنها زلة لسان ، ثم زلّها الخبيث عدة مرات متتالية ! ، وقام أحد كبراء جنرالاته من القساوسة العاملين في التوجيه بالنيل من الإسلام ومـن رسول الإسلام صلى الله عليه وسلم بأسلوب يتماشى مـع حقـارة ذلـك الجـنرال الملعـون ، والشـواهد تحتاج كتابا مفردا ، وهي مشتهرة ..

وهكذا سيطر اليهود على الإدارة الحالية سيطرة تامة ، وصار اليهود وأبناء وأزواج اليهوديات وتلاميذهم أغلبية في مجلس الشيوخ ، والكونغرس ، والحكومة ، والمؤسسات ...، وصارت حربنا مع إسرائيل هي عمليا حرب مع أمريكا ، أهلكهم الله .

هذا بإيجاز مختصر تاريخ الروم منذ نشأتهم وإلى يومنا هذا والذي استمر زهـاء 2500 سـنة حتى الآن وسيستمر إلى أن تقوم الساعة على شرار الخلق . ويكون الروم حينها أكثر النـاس ، كـما أخبر الصادق المصدوق عليه الصلاة والسلام .

****

تطور النظام الدولي وخلاصة الصراع بين المسلمين والروم

(8هـ - 1425هـ)(629 م – 2004 م)

عن ثوبان أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال :(**ثم يوشك الأمم أن تداعى عليكم كما تداعى الأكلة إلى قصعتها فقال قائل ومن قلة نحن يومئذ قال بل أنتم يومئذ كثير ولكنكم غثاء كغثاء السيل ولينزعن الله من صدور عدوكم المهابة منكم وليقذفن الله في قلوبكم الوهن فقال قائل يا رسول الله وما الوهن قال حب الدنيا وكراهية الموت**). (رواه أبو داود)

وعن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال:(**ثم فارس نطحة أو نطحتان ثم لا فارس بعدها أبدا والروم ذات القرون كلما هلك قرن خلف مكانه قرن أهل صخر وأهل بحر هيهات لآخر الدهر هم أصحابكم ما كان في العيش خير**) (مسند الحارث، زوائد الهيثمي ج2/ ص 713 /.)

و عنه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم: (**أَشَدُّ النَّاسِ عَلَيْكُمْ الرُّومُ وَإِنَّمَا هَلَكَتُهُمْ مَعَ السَّاعَةِ**) (مسند أحمد 17335).

لو أردنا أن نلخص صراعات الحضارة الإسلامية وحروبها مع أعدائها عبر التاريخ منذ قامت وإلى يومنا هذا، نجدها تثبت ما جاء في إخباره صلى الله عليه وسلم بكل جلاء. فقد كانت مراحل الصراع على الشكل التالي:

الدولة النبوية والصراع مع الروم:

الصراع مع الروم خلال الدولة النبوية :

كان توجيه الرسول صلى الله عليه وسلم للمسلمين لجهاد الروم (بني الأصفر) ، هو الأساس لما تم بعد ذلك ، من استمرار لهذا الصراع الأزلي .ـوقد كان فاتحة ذلك كما رأينا في مؤتة (8هـ - 629م) بعد غدرهم برسول رسول الله ، صلى الله عليه وسلم ، ثم تبوك . ثم تجهيز رسول الله صلى الله عليه وسلم ، لجيش إسامة لغزو الروم ، وإشرافه بنفسه الشريفة عليه ، إلى آخر رمق في حياته . حيث كان من آخر كلامه الشريف كما جاء في الآثار الشريفة : أنفذوا بعث أسامة .. لعن الله من تخلف عنه ..ومنذ ذلك الحين ما تزال رحى هذه المواجهة الأزلية دائرة .

الصراع مع الروم في دولة الخلفاء الراشدين :

يتبين مما سبق ، أن الصراع مع الروم ، كان احد شقي الجهد الأساسي للمواجهة في زمن الراشدين . وبعد زوال فارس ودخولها في الحضارة الإسلامية خلال عهد عمر وعهد عثمان رضي الله عنهما ، صارت المواجهة مع الروم هي المحور الأساسي . حيث تميزت المواجهة الإسلامية بالطابع

الهجومي ، وكما رأينا ذلك تفصيلا في فصل التاريخ ، فقد انتـزع المسـلمون خـلال مـدة وجيـزة مـن الروم ؛ بلاد الشام ومصر ، ومعظم ممتلكات الروم البيزنطيين في شـمال إفريقيـا ، وهـددوا عاصـمة الروم (القسطنطينية) ذاتها في ولاية عثمان رضي الله عنه ، بل دخلوا الأندلس على الروم الغربيين ، وإن لم يمكثوا فيها .

الصراع مع الروم في العصر الأموي :

وكما فصلنا في (ص ؟ وما بعدها) فأن الصراع مع الـروم كـان هـو المحـور الأسـاسي لحـروب الدولة الإسلامية إلى جنب حركتهم شرقا في بلاد السند (باكستان) وكرمان (بلوشستان) ، سجسـتان (إيران) ، وخراسان (أفغانستان) ، وبلاد ما وراء النهر (وسط آسيا) ، وتميز الصراع آنـذاك بأنـه طور هجومي ، واستطاع فيه المسلمون انتزاع كامل شمال إفريقيـا مـن الدولـة البيزنطيـة . وانتـزاع الأندلس من ملوك (القوط). ودخلوا بلاد الفرنجـة (الغـال) وهـي فرنسـا فـدخلوا مـدنها تولـوز وليون وبوردو . حيث توقف الزحف عند مدينة (تور) شمال غرب فرنسا.!!

وهكذا شمل الصراع الروم الشرقيين (البيزنطيــين) و الغـربيين (ممالـك غـرب أوربـا).. كـما استولى المسلمون خلالها على بعض جزر المتوسط. وحـاصروا القسـطنطينية عـدة مـرات . ولم يكـن للروم مبادرات هجومية مهمة خلال المرحلة الأموية . وكان أهم ذلك :

- **غارات الجراجمة (المردة) :**

أغار الجراجمة على الثغور الإسلامية في عهد عبد الملك بـن مـروان سـنة 70هــ بتحـريض مـن الروم، مهتبلين انشغاله بحرب ابن الزبير وقمع الفتن التي ثارت في عهده، وقـد عـالجهم عبـد الملـك بالمال، فقد فاوض الإمبراطور البيزنطي جوستنيان الثاني على أن يدفع له ألف دينار كل أسبوع ، على أن يتخلى عن مساعدتهم في غاراتهم.

- **غارات الروم البحرية :**

أغار الأسطول البيزنطي على الأسطول العربي سنة 129هـ وهزمه . وتمكن الأسـطول البيزنطـي من الاستيلاء على قبرص.

وخلال هذه الفترة دخل المسلمون في صراع مع الترك الـوثنيين في وسـط آسـيا، وواصـل القائـد الفاتح (قتيبة بن مسلم) حتى فـتح أفغانسـتان وبـلاد مـا وراء النهـر وتركسـتان الغربيـة والشرقية ووصل إلى تخوم الصين مضيفا إلى رقعة الدولة الإسلامية نحو (5 مليون) كيلـومتر مربـع. فـيما كـان نظراؤه يتقدمون في فتح بلاد السند وشمال الهنـد، لتصـل الدولـة الإسـلامية خـلال الخلافـة الأمويـة لأقصى اتساعها عبر الفتوح.

الدولة العباسية والصراع مع الروم:

أولا : الصراع مع الروم خلال المرحلة العباسية الأولى (مرحلة القوة) :

كما رأينا تفصيلا ، فقد كان الصراع مع الروم هو المحور الأساسي ، وشبه الوحيد خلال تلك الفترة . وقد كان في بدايته هجوميا عبر نظام الصوائف و الشواتي . ثم تحول دفاعيا بشكل شبه كامل تقريبا ، وكثرت غارات الروم على خط الدفاع الطويل معهم ، والممتد من تخوم الجزيرة شرق الأناضول وإلى شمال الشام وصولا إلى أنطاكية والبحر المتوسط شمال غرب الشام.

وكان من أهم الغارات التي تعرضت لها الدولة خلال تلك الفترة :

* غارات الخزر مع جموع من الترك على أرمينية سنة 147هـ وسبيهم المسلمين وأهل الذمة وتخريبهم مدينة تفليس (عاصمة جورجيا اليوم) ، ثم غارتهم ثانية سنة 183هـ.

* غارات قراصنة البحر (الميذ) على البصرة سنة 148هـ وسنة 149هـ وسنة 153هـ وسنة 178هـ وسنة 179هـ وسنة 225هـ وسنة 227هـ وسنة 231هـ.

* وغارتهم على جدة سنة 151هـ .

* غارات الروم بمراكبهم على دمياط (مصر) سنة 238هـ .

أما الروم الغربيون (ممالك أوربا الغربية) فقد كانت الهدنة هي طبيعة العلاقة معهم . وقد تحولت لعلاقات حسنة أحيانا كما كان بين الرشيد وشارلمان مللك بلاد الغال (فرنسا الحالية) حتى تبادلوا الهدايا .

ثانيا : صراع العباسيين والدول الإسلامية المستقلة مع الروم منذ العصر العباسي الثاني ، وإلى قيام الدولة العثمانية (247هـ - 922هـ) :

لم يتوقف الصراع مع الروم بشقيهم ، الشرقي (الروم البيزنطيين) ، والغربي (ممالك أوربا المسيحية). وكما أسلفنا فقد غلب عليه منذ انصرام العصر الذهبي للدولة العباسية ، الطابع الدفاعي ، إلا في حالات قليلة. والحقيقة أنه مع ضعف الخلافة المركزية لبني العباس في بغداد . تصدت الدول المستقلة ، كما مر معنا في ثنايا مختصر تاريخها لشرف مهمة الجهاد ، دفعا وطلبا ، وحماية الحوزة والدفاع عن ديار المسلمين وأنفسهم وأعراضهم ..

فوجدنا السلاجقة في بلاد الري والأناضول ، يجاهدون الروم البيزنطيين بضراوة ، وكذلك فعل الحمدانيون ، في شمال غرب بلاد الشام . ولما قامت الدولة الأتابكية ، قام الزنكيون بجهاد الصليبيين الذين قدموا من ممالك أوربا ، ولم يأل قيصر القسطنطينية في دعمهم على مدى قرنين من الزمان . فلما قامت دولة الأيوبيين ورثوا من أولاد عمومتهم

الزنكيين مهمة الشرف تلك ،، فلما ورث المماليك حكم مصر والشام ، ورثوا معها إتمام المهمة الشريفة ، ونظفوا بلاد الشام من دنس الصليبيين نهائيا . فيما كان السلاجقة مستمرين بجهاد الروم في آسيا الصغرى ، حتى قام العثمانيون من أحفادهم وحملوا شرف الراية التي كانت ما تزال خفاقة يحملها الملوك والأمراء المختلفون رغم ما اعتورهم من فسوق وصراع على الملك ، وقد مر معنا ذكر طرف منها ..

أما في مغرب بلاد المسلمين ، فما زال الأمر كذلك كما رأينا . فقد قام الأغالبة ، والموحدون ، والمرابطون .. وغيرهم مت ملوك وأمراء ممالك المغرب الأقصى بالدفاع عن الإسلام والمسلمين ، كلما سولت للروم - بشقيهم – أنفسهم أن يهاجموا ديار الإسلام . وأما في دولة الأندلس ، فما فتئت غبار الحرب معقودة بين المسلمين ، ونصارى أسبانيا المدعومين من ملوك أوربا .. إلى أن استطاعوا في النهاية أن يديلوا دولة الإسلام هناك بعد أن دبت الفرقة والضلال ، والتعاون مع النصارى في ملوك الطوائف . عندما استباحوا أن يستنصروا بهم على بعضهم ..فسلطهم الله عليهم وادالوا دولتهم . ..

وهذا استمرت السنة مضطردة ..إلى أن تسلم راية جهاد الروم ..الدولة العثمانية الإسلامية الناشئة التي كانت تدك حصون القسطنطينية في مشرق المسلمين ..فيما كان الروم الغربيون يدكون حصون غرناطة في مغربها على شواطئ الأطلسي..لتبتدئ حقبة جديدة من هذا الصراع الأزلي بيننا وبين الروم .

الدولة العثمانية والصراع مع الروم:

ثم ولدت الدولة العثمانية من أحفاد السلاجقة الأتراك، في الأناضول، وتمكن السلطان محمد الفاتح من دك أسوار القسطنطينية بمدافع زنة قذائفها يصل إلى (3 طن) سنه (1452) م!. بعد أن نهضت الدولة العثمانية نهضة وازت وفاقت نهضة الروم البيزنطيين ودول أوربا المتطورة آنذاك..

وشكل سقوط القسطنطينية زلزالا على مستوى التاريخ، حتى اعتبره المؤرخون نهاية العصور الوسطى وبداية العصور الحديثة، وحق لهم.. فقد كان هذا سببا في انسياح العثمانيين في الفتوح شمالا وجنوبا وغربا، ونهضتهم حتى وصلت دولة الإسلام تحت راياتهم إلى الحجم الإمبراطوري وأعادت توحيد أجزاءها تحت خليفة واحد، بعد أن نقل العثمانيون الخلافة إليهم وجعلوا مركزها القسطنطينية التي غدا اسمها (إسلام بول) أي مدينة الإسلام تلك التي صار اسمها فيما بعد (إسطنبول).

كما كان بداية نهضة الدول الأوربية وما تلا ذلك من الثورة الصناعية والثورات الإقتصادية والاجتماعية. وبذلك ولدت دول أوربية حديثة ذات بأس. حيث تولت الصراع مع دولة الإسلام آنذاك وهي الخلافة العثمانية.

وقد انساحت جيوش العثمانيين تفتح بلاد اليونان وسواحل البحر الأسود والبلقان ودول شرق أوربا، حتى وصلت إلى أسوار (فيينا) عاصمة النمسا، أواخر القرن السابع عشر حيث توقفت. وبدأت أوربا هجومها الصليبي المعاكس الثاني..

وفيما كان الأتراك ينساحون في أوربا وآسيا بعد فتح القسطنطينية عام 1452، كانت جيوش النصارى تحاصر آخر ممالك المسلمين في الأندلس. لتسقط آخر معاقل الإسلام في أوربا الغربية (غرناطة) سنة 1493. وليتأجج الصراع بين العثمانيين ودول أوربا الاستعمارية، التي حملت مشعل حضارة الرومان الصليبيين بعد الإمبراطورية البيزنطية الرومانية من القسطنطينية. وهكذا استمر الصراع بين الإسلام والروم طيلة فترة الخلافة العثمانية، إلى أن تمكنت الدول الأوربية من إسقاطها وإعلان ذلك عام 1924، حيث تقاسمت الدول الاستعمارية إرثها، وهو مجموع بلاد العالم العربي والإسلامي. فيما تقاسمت من دول العالم..

العالم الإسلامي بعد سقوط الخلافة العثمانية والصراع مع الروم :

لم يتوقف صراع المسلمين مع الروم بغياب المسلمين كقوة سياسية عن المسرح الدولي بسقوط العثمانيين. لقد استمر صراع الإسلام ممثلا بالشعوب الإسلامية وحركاته الجهادية والتحررية ضد قوى دول أوربا الاستعمارية في كافة بلدانه.. ففي أقصى مشرق المسلمين، انساحت جيوش الروس لتسقط العواصم الإسلامية في آسيا.. فاستولت قواتهم على بلاد البشكير و تتارستان و القرم وشرق البحر الأسود وسيبيريا و القفقاس. ثم زحفوا على جمهوريات وسط آسيا وأسقطوا عواصمها الكبرى بعد مقاومة ضارية وخسائر مليونية، وسقطت تركمانستان و أوزبكستان وكازاخستان و قيرغيزستان و طاجيكستان، وعواصم الإسلام الشهيرة مرو / بخارى / ترمذ / طشقند.. ما بين مطلع القرن 16 وعام 1904 حيث استقرت جيوش روسيا القيصرية على ضفاف نهر جيحون الذي يشكل حدودها مع أفغانستان.. التي كانت في مجال النفوذ الإنكليزي..

وبعد أن استولت دول أوربا على بلاد العالم العربي والإسلامي في آسيا وأفريقيا استمر المسلمون في صراعهم مع الروم الجدد متمثلين بالدول الاستعمارية الكبرى وعلى رأسها بريطانيا وفرنسا وإيطاليا وأسبانيا وهولندا والبرتغال وبلجيكا.. وغيرها . حيث تقاسمت هذه الدول احتلال العالم، وكان نصيب الأسد فيها لبريطانيا ثم فرنسا.. حيث قسمت وزارتا المستعمرات في (باريس / لندن) إرث الدولة العثمانية، وخاصة بلاد العالم العربي، فيما عرف بمؤامرة أو اتفاقية (سيكس ـ بيكو) التي أبرمت سنة 1919.. ولتُدخل بريطانيا في الصراع مع المسلمين عاملا جديدا هم اليهود. بإطلاق الوزير البريطاني (بلفور) وعده المشؤوم، بجعل فلسطين وطنا قوميا لليهود. وهكذا رزحت بلاد الهند والسند (باكستان) وأفغانستان وإيران وجنوب شرق آسيا وكثير من الدول الإسلامية، وفيها

الجزيرة العربية والسودان ومصر والعراق والأردن وفلسطين، تحت الإحتلال الإنجليزي. ورزحت كل من سوريا وفيها لبنان وتونس والجزائر وأجزاء من المغرب وقسم من القرن الأفريقي تحت الإحتلال الفرنسي.. وأخذت أسبانيا أجزاء من المغرب وموريتانيا وبعض البلاد الأفريقية كما أخذت إيطاليا ليبيا وأجزاء من القرن الأفريقي ..

وكانت أغلب بلاد وسط أفريقيا الإسلامية قد سقطت تحت احتلال تلك الدول الأوربية قبل ذلك. وكانت حصة الأسد فيها لفرنسا كما سقطت جزائر المحيط الهندي والهادي من الفلبين إلى إندونيسيا إلى سنغافورة إلى تيلاند وماليزيا وبورما وبنجلادش.. تحت احتلالها أيضا قبل ذلك. وقد شكلت المرحلة الاستعمارية تلك ميدانا للصراع بين الشعوب الإسلامية والروم ممثلين بدول أوربا الاستعمارية. ولم تخف الدول الاستعمارية اليهودية الرومانية الروح الصليبية في حركتها الاستعمارية تلك وقد ظهرت في كثير من تصريحاتهم. ومن ذلك: أن القائد البريطاني (اللورد اللنبي) لما ركز علمه ذي الصليبين فوق جبل الزيتون في بيت المقدس صرخ قائلا: (الآن انتهت الحروب الصليبية).. بروح الثأر لهزيمة أجداده على يد صلاح الدين الأيوبي. أما (غورو) الجنرال الفرنسي فقد كان من باكورة أعماله أن زار قبر صلاح الدين وضربه بالسيف وكسر قطعة حجر منه ما تزال محفوظة في المتحف الحربي بدمشق، ليقول له:(ها قد عدنا يا صلاح الدين). أما الإيطاليون فقد كان نشيدهم العسكري أيام احتلال ليبيا.. ينضح بالأحقاد الصليبية ويفتخر بذهاب الجند لقتل المسلمين...والأمثلة كثيرة على الروح الصليبية لحركة الإستعمار الحديث .

الصراع بين الروم أنفسهم بعد غياب المسلمين عن مسرح القوى الدولية وتحولهم إلى غنائم استعمارية :

وهكذا تغير شكل النظام الدولي ليصبح مجال الصراع فيه بين الروم أنفسهم على الغنائم الاستعمارية و السياسات الأوربية، مما أشعل حربين عالمتين مدمرتين، استمرت الأولى مابين (1914 ـ 1918) وأزهقت فيها أوربا زهاء 9 ملايين نفس، وتمكنت ألمانيا فيها من جر الدولة العثمانية التي تولى زمام أمورها (الماسون) ويهود الدونمة فجرتها إلى دخول الحرب إلى جانبها، مما برر تقاسم أشلائها بخسارة ألمانيا الحرب وكذلك حليفتها الدولة العثمانية المتماوتة.

ثم اشتعلت الحرب العالمية الثانية ما بين (1939 ـ 1945) لتزهق أوربا بالإضافة إلى روسيا وأمريكا زهاء 82 مليون نفس بشرية ولتسفر تلك الحرب عن تدمير بنية أوربا التحتية، اقتصاديا واجتماعيا، لتسمح بميلاد قوتين عظيمتين استعماريتين جديدتين على وجه الأرض هما (روسيا / أمريكا) حيث تسابقت دول أوربا لتنتمي إلى حلف إحدى هاتين الدولتين فدخلت دول شرق أوربا مع الإتحاد السوفيتي مكونة حلف وارسو بزعامة موسكو. ولتدخل معظم دول أوربا الغربية في

حلف أمريكا مكونة حلف الناتو بزعامة واشنطن ولتبدأ مرحلة جديدة من مراحل النظام الدولي يقوم فيها الصراع بين هذين القطبين حيث لم يعد للمسلمين وجود على المسرح الدولي كقوة تمثل طرفا، لأنهم صاروا في قصعة الغنائم، تتناهبهم تلك الدول وتديرهم في فلكها على دأب أجدادهم من الغساسنة و المناذرة..

النظام العالمي الحديث وقيام الإمبراطوريتان السوفييتية والأمريكية و صراعهما على النفوذ:

كما أسلفنا أدت الحرب العالمية الثانية إلى دمار أوربا وتقهقر دولها الاستعمارية عن مرتبة الصدارة، وبروز قوتين عظيمتين هما الإتحاد السوفييتي والولايات المتحدة الأمريكية. ومن ثم دخلت دول أوربا الشرقية كشبه مستعمرات للإتحاد السوفييتي لتشكيل حلف وارسو وما يسمى بالمعسكر الشرقي. ولتدخل أوربا الغربية وعلى رأسها بريطانيا وفرنسا في حلف أمريكا وتكون حلف الناتو أو المعسكر الغربي. وقد أسفرت الحرب العالمية الثانية عام 1945 عن إعادة رسم ميزان القوى في العالم على هذا الأساس. وأُنشأت عصبة الأمم المتحدة من الدول الكبرى لوضع أساس لنظام دولي عالمي جديد في حينها.. ثم تعدلت لتقوم هيئة الأمم المتحدة. ونهضت الصين كقوة اقتصادية ونووية وبشرية وفرضت نفسها في مصاف الدول العظمى. لتكوّن مع أمريكا والإتحاد السوفيتي وفرنسا وبريطانيا الأعضاء الدائمين في مجلس الأمن. المؤسسة الأهم المنبثقة عن هيئة الأمم المتحدة.

وبدأت الحرب الباردة بين القطبين في مجالات التجسس وسباق التسلح وصراع النفوذ في إلحاق أكبر قدر ممكن من دول العالم الثالث تلك في فلك هذا الحلف أو ذاك.

وكانت الثورة البلشفية الشيوعية قد قامت في روسيا سنة 1917 وحل الإتحاد السوفييتي بفلسفته اللينينية الماركسية محل روسيا القيصرية. ودعم الإتحاد السوفييتي بعيد الحرب العالمية الثانية حركات التحرر في البلدان التي لم تكن قد استقلت عن الدول المستعمرة خلال الثورات التي قامت عليها في مرحلة ما بين الحربين. كما انتشر الفكر الإشتراكي والشيوعي في كثير من الدول وحمل مبدأ الثورة على الدكتاتوريات المدعومة من قبل الدول الاستعمارية لاسيما أمريكا ودول أوربا الغربية. ودعم الإتحاد السوفييتي تلك الحركات وأدى الصراع على النفوذ بين أمريكا والإتحاد السوفيتي إلى قيام نظام الحروب بالوكالة بدعم الروس السوفييت لتلك الحركات .

وقد أدت حروب الوكالة و صراعات النفوذ إلى اكتساح السوفييت لمعظم دول العالم الثالث ولاسيما في كثير من دول إفريقيا وآسيا وأمريكا اللاتينية، وقد رسخ السوفييت أقدامهم في بلاد عربية مهمة مثل العراق وسوريا ومصر واليمن الجنوبي وليبيا والجزائر والقرن الأفريقي.

وقد قامت تبعا لذلك عدة حروب بالوكالة تقاتلت فيها دول متعـددة أو حتـى شـعوب دولـة واحدة في صراع النفوذ هذا، كتـلك التي قامت في كوريا و الفيتنام والقرن الأفريقي واليمن الشـمالي والجنوبي ولبنان وكذلك العديد من دول آسيا وأفريقيا وأمريكا اللاتينية.

كما لعبت الدولتان على حبل الصراع العربي الإسرائيلي بالدعم السافر من قبل أمريكا لإسرائيل وتمثيل السوفييت دور دعم الجانب العربي. والملاحظ أن كثيرا من تلك الحروب والثورات قد ضيقت مجالات النفوذ الأمريكي حتى يمكن القول أن حصيلة جولات الملاكمة تلك بين أمريكـا والسوفيـيت الروس قد أبرزت تفوق الروس بالنقـاط في معظـم تلـك الجـولات.. إلى أن ارتكـب الـروس في نشـوة الظفر والتقدم تلك غلطتهم التاريخية القاتلة فأقدموا عـلى احـتلال أفغانسـتان عـام 1979 بصـورة شبه مكشوفة إثر سلسلة انقلابات شيوعية مدعومة من قبلهم على الملكيـة فيهـا منـذ عـام 1965.. وهكذا حققوا في قفزة استراتيجية نصف الطريق إلى الحلم القيصري بوصولهم إلى الميـاه الدافئـة في الخليج العربي إذا لم يبق بينهم وبينه من فاصل إلا مثلث بلوشـستان الباكسـتاني الإيـراني بمسـافة لا تزيد عن 500 كيلومتر.

وبدا وكأن أمريكا قد قبلت الأمر الواقع وسلمت ولم تبـد حراكـا يـذكر رغـم صـفارات الإنـذار باقتراب الخصم اللدود إلى منابع النفط التي يتحكم من يسيطر عليها باقتصاديات العـالم الرئيسـية. ولم يتوقع أحد المفاجأة التي حصلت وقلبت وجه العالم بل ذهبت بـه إلى مرحلـة تاريخيـة جديـدة عصفت بكل ثوابته القديمة..

هزيمة روسيا في أفغانستان وانهيار الإتحاد السوفييتي. وقيام النظام العالمي الجديد بزعامة أمريكا كقطب أوحد ينفرد بمقدرات السياسة والاقتصاد في العالم:

لم يدر في خلد أحد من صناع السياسة وعباقرة العسكرية و أفذاذ المفكرين أنه يمكـن لشـعب يشغل المرتبة الرابعة في قائمة أفقر شعوب العالم، يمكن له أن يصمد لأقوى قـوة عسـكرية في الأرض ومتاخمة له بحدود يزيد طولها على 1000 كيلومتر تـوفر لـه إمـدادا لوجيسـتيا نموذجيـا ومبـاشرا.. ولكن شاء الله أن تتحقق المعجزة.. فقد صمد الأفغان لعملاء الروس من حكـامهم منـذ عـام 1965 إلى 1979 مما سبب الإطاحة بالانقلابات الواحـد تلـو لآخـر. ثـم صـمدوا للغـزو المبـاشر والمواجهـة العسكرية الشرسة مع الآلة العسكرية الساحقة للجيش الأحمر ثلاث سنوات (1979 ـ 1982) حتـى اقتنعت الإدارة الأمريكية وحلفاءها في النـاتو بـأن هنـاك فرصـة تاريخيـة لتحطـيم الجـيش الأحمـر السوفييتي على قمم وسفوح الهندوكوش بصورة أسوأ كثيرا مما فُعل بـالجيش الأمـريكي في فيتــنام. فقرر الكونغرس سنة 1982 تبني الجهاد الأفغاني وركوب موجته..

وأدي الإذن الأمـريكي بدعمـه والأمـر بـذلك لحلفـائهم الأوربيــن وأذيـالهم مـن دول العـالم الإسلامي، ولاسيما دولا رئيسية مثل الباكستان التي تزيد حدودها مع أفغانستان عن 2200 كيلـومتر والسعودية التي تتمتع بنفوذ المرجعية والحرمين على المسلمين، ومصر ذات الـوزن الإسـتراتيجي في العالم العربي والإسلامي، وسواها مـن الـدول إلى فتحـت أبـواب كافـة أنـواع الـدعم بالمـال والسـلاح للجهاد الأفغاني.. فقد ساهمت أمريكا وحلفاؤها الأوربيون بحصص مالية كبيرة وألزمت دول الخليج ولاسيما السعودية بدفع حصص كبيرة من الدعم، وانفتح الباب أمام كل من أراد من المسلمين دعـم الجهاد الأفغاني، وفتحت الباكستان سـفاراتها أمـام مـن يريـد الـذهاب إلى هنـاك، وخفضـت بعـض شركات الطيران العربية قيمة تذاكر السفر أمام من يريد الجهاد! فقد كـان ثمـة إجـازة مـن أمريكـا. واستفادت الحركات الإسلامية ولاسيما الجهادية من الفرصة فتواجدت في السـاحة وخاضـت معركـة نصرة المسلمين.. بالمختصر؛ لقد قدر الله أن تتوفر كل الظروف للانتصار المذهل.. ولـيس هنـا مقـام التاريخ لهذه التجربة الفريدة في تاريخ المسلمين بل والعالم في حيثياتها وما نتج عنها، وهو موضـوع مهم جدا يحتاج أسفارا خاصة به. ولكن المتعلق بموضوعنا هنا أن نقول أن النزاع بين الجيش الأحمر السوفييتي وحلف وارسو برمته وبين المسلمين على أرض أفغانسـتان، أسـفر عـن نصر مـذهل أجـبر الروس على جر أذيال الخيبة والهزيمة والانسحاب من أفغانستان بعد عشر سـنوات، أي عـام 1989 متكبدين عشرات آلاف القتلى والجرحى وتاركين وراءهم أشلاء أكثر من 50.000 آلية عسكرية فضلا عن حطام مئات الطائرات..

وهكذا ربحت أمريكا آخر جولة في الحرب بالوكالة مع السوفييت بالضربة القاضية حيث قـام المسلمون بلكم الإتحاد السوفييتي تلـك اللكمـة! وكانـت الحصـيلة لصـالح أمريكـا.. وكانـت نقطـة البداية لانهيار المعسكر الشرقي وانفـراد أمريكـا بالسـيطرة عـلى العـالم وتمكنهـا مـن إعـلان النظـام العالمي الجديد.

وتدحرجت الكرة بسرعة إذ أُجبر الروس على إعلان تفكـك الإتحـاد السوفيــيتي، وحـل حلـف وارسو وإزالة جدار برلين بين الألمانيـتيـن.. وسرعان ما استقلت الجمهوريـات المتعـددة عـن روسـيا وسقطت الأنظمة الشـيوعية في دول أوربـا الشرقية تباعـا كأحجـار الـدومينو، وقـام محلهـا أنظمـة سارعت للارتماء على أعتاب القوة العظمى الوحيدة في العالم أمريكا..

وهكذا تغيرت معطيات النظام الدولي ليقوم على أنقاضه مرحلة جديدة يمكن التاريخ لبدايتها بـ 1990 موعدا لانطلاق ما سمي بـ (النظام العالمي الجديد).

واجتمع (غورباتشوف) الذي أَشرف على حل الإتحاد السوفييتي بــ (مرغريـت تاتشر) رئيسـة وزراء بريطانيا آنذاك بالرئيس الأمريكي (ريغان) . ليعلنوا أن الإسلام وحضارته وشـعوبه هـم العـدو المقبل للحضارة الغربية.. وطرحت فكرة توسيع حلف الناتو ليشمل روسيا ودول أوربا الشرقية، أي

دمج (وارسو) في (الناتو) عمليا ولما سُئل عن جدوى ومعنى بقاء حلف الناتو بعد زوال المعسكر الشرقي، ولم لا يحول لحلف اقتصادي وثقافي؟ أجاب القائمون عليه بأن هناك ضرورة لتقويته وتوسيعه لمواجهة الخطر القادم والمتمثل بالإسلام والأصولية الإسلامية.. ثم خلف (كلينتون)(ريغان) ليعلن انطلاق حملات مكافحة الإرهاب الإسلامي.. وبدأت أمريكا رسم سياسات العالم والتدخل في مصائر شعوبه ودوله. ومن أبرز الآثار التي نتجت عن قيام النظام العالمي الجديد على العالم العربي والإسلامي ما يلي:

استدراج أمريكا للعراق لغزو الكويت وتزعم أمريكا وبريطانيا ودول الناتو لحلف دولي من 31 دولة، حيث أُلزمت بعض الدول العربية والإسلامية بالدخول في غزو العراق والخليج. حتى وصل الحشد إلى ما يقارب المليون جندي! كان نصفهم من الأمريكان وشكل الإنجليز 20 % منهم فيما شارك الناتو فيه بكامل الأعباء والمسؤوليات.. وأسفرت الغزوة التي كانت باكورة الحملات الصليبية الجديدة على العالم الإسلامي ـ كما صرح بذلك أكثر من مسؤول أمريكي ـ أسفرت عن تثبيت أمريكا لأقدامها في الخليج واحتلاله عمليا.

وكشفت كثير من الدراسات عن هذا البرنامج وهو احتلال منابع النفط والطاقة بشكل مكشوف، كان قد خطط له منذ أوائل السبعينيات أيام الرئيس (كارتر) وشكلت قوات التدخل السريع الأمريكية (المارينز) خصيصا له. وهكذا بدأ برنامج الصليبيين الجدد باجتياح الشرق الأوسط والعالم الإسلامي.

إلزام الدول العربية المعنية والفلسطينيين والعالم العربي والإسلامي من ورائهم بتوقيع اتفاقيات السلام والتطبيع مع اليهود وبدأ البرنامج الصهيوني بالسير نحو طرد الفلسطينيين والسيطرة على المنطقة عبر برنامج التطبيع الثقافي والإقتصادي والسياسي والاجتماعي مع اليهود.

انطلاق ما يسمى بحملات مكافحة الإرهاب ضد الحركات الجهادية والأصولية الإسلامية، التي تطورت لتكون حملات ضد كافة الصحوة الإسلامية ووصلت في عهد (بوش) الذي تلا (كلينتون) لتكون حملات إبادة أو تركيع لكافة المسلمين. وهكذا بدأت مؤامرة تصفية مكتسبات الجهاد الأفغاني وانطلقت حروب الإبادة ضد المسلمين في البوسنة و الشيشان، وانطلقت الحكومات العربية والإسلامية بتنفيذ ما أوكل إليها من تصفية قواعد وتنظيمات الصحوة الإسلامية و الجهادية بكاملها في كل مكان.

وهكذا أعيد المسلمون قسرا إلى مسرح الصراع مع الروم بعد أن أسفر صراع الروم فيما بينهم خلال مرحلة الحرب العالمية الأولى إلى الثانية ثم مرحلة الحرب الباردة عن حسم المنافسة لصالح أمريكا التي سارعت بريطانيا بالدخول في ركابها وانجرت دول أوربا الناتو من كان راغبا منها ومن كان راهبا للسعي خلفها في إدارة هذا النظام العالمي الجديد.

آخر الحلقات في صراعنا مع الروم :(صراع المسلمين مع أمريكا وحلفائها) حالياً :

أحداث الحادي عشر من سبتمبر 2001 ، واحتلال أمريكا للعراق ، واشتعال الحرب الصليبية ضد المسلمين بقيادة أمريكا ورئيسها الحالي جوج بوش منذ مطلع القرن 21 :

انتهت ولاية (كلينتون). وأسفرت الإنتخابات الأمريكية عام 2000 عن فوز (جورج W بوش) إبن الرئيس الأمريكي (جورج بوش) الأب الذي انطلق النظام العالمي الجديد والحملات الصليبية في عهده. واستطاع حفنة من رجال أبيه ومن بعض المتطرفين المسيحيين المتصهينين، ممن يطلقون على أنفسهم اسم (**المحافظون الجدد**) الانضمام إليه لتشكيل الإدارة الأمريكية الجديدة. وتسابق القادة والسياسيون والمفكرون والمنظرون منهم إلى إعلان مبادئهم وتطلعاتهم وأفكارهم، ولم يستحوا منها. فاستعلن أحدهم بالقول:(إن الأمريكان هم ورثة الإمبراطورية الرومانية وأن أعداءها في التاريخ هم أعداؤها في الحاضر والمستقبل). ولم يخف بوش فيما بعد قوله (بأنه يقود حملة صليبية على المسلمين). ولم يعد موضوع أولوية دعم إسرائيل واحتلال منابع النفط وزيادة رقعة مكاتب مكافحة الإرهاب في عواصم دول العالم ولاسيما العربية والإسلامية سرا. وانطلقت أمريكا في سياسة تحجيم أوربا ودول العالم الرئيسية واتخذت الإدارة من مشروع مكافحة الإرهاب عالميا برنامجا لتصفية الحركات الإسلامية وجر الحكومات العربية والإسلامية إليه طوعا وكرها.

وكانت حركة طلاب العلوم الشرعية في أفغانستان أو ما يسمى بـ (حركة طالبان) قد استطاعت إنهاء الحرب الأهلية وهزيمة الأحزاب المتصارعة في أفغانستان ووضعت حدا لانتشار الفساد في الأرض، وأقامت نظاما للحكم بالشريعة الإسلامية، وأعلنت قيام إمارة أفغانستان الإسلامية، ودخلت كابول سنة 1996 وأعلن الملا محمد عمر أميرا للمؤمنين فيها. واستطاعت إلى عام 2000 ترسيخ أقدامها وحكمها في أفغانستان والسيطرة على نحو 94 % من مساحتها.

ولما كانت حملات مكافحة الإرهاب قد ضيّقت أقطار الأرض على كثير من شباب الحركات الجهادية، وكثير من الشباب المسلم خاصة من البلاد العربية ووسط آسيا، أصبحت الإمارة الإسلامية في أفغانستان ملاذا ومهجرا لكثير من كوادر وشباب تلك الحركات. فأصبح تدمير الإمارة الإسلامية وإخراج هذه النخبة المهاجرة المجاهدة الذين سموا (الأفغان العرب) منها. وابتدأت أمريكا ذلك بسلسلة من إجراءات الحصار السياسي والإقتصادي والتشويه الإعلامي والمواجهات الأمنية.

وفي صبيحة 11 سبتمبر 2001 ، تمكن 19 شابا من المجاهدين التابعين لتنظيم القاعدة الذي يتزعمه الشيخ المجاهد (أسامة بن لادن)، تمكنوا من اختطاف عدد من الطائرات والدخول بها في عمليات استشهادية في واشنطن ونيويورك فدمروا أبراج مركز التجارة العالمية، وجانبا من مبنى الـ (بنتاغون) مقر وزارة الدفاع الأمريكية مما أسفر عن مقتل وجرح عدة آلاف من الأمريكيين..

ومع أن هذه العمليات شكلت تصعيدا كبيرا بعد عدد من العمليات الأخرى الأصغر حجما ضد الأهداف الأمريكية التي قام بها تنظيم القاعدة أو غيره من التنظيمات بسبب موجة الاعتداءات الأمريكية على المسلمين ودعمهم لليهود في فلسطين ولكافة أعداء الإسلام. إلا أن وسائل الإعلام الأمريكية والدولية استطاعت تصوير ما تلا ذلك الحدث من ردود أفعال أمريكا الوحشية الطاغية، وإطلاق حرب عالمية لمكافحة الإرهاب ومحاربة المسلمين على كل صعيد، استطاعت تصوير ذلك على أنه رد فعل مبرر بسبب هجمات الإرهاب الإسلامي على أمريكا وأمنها القومي...

وابتدأ بوش حربه العالمية على الإرهاب، وكان من ذلك:

شن حرب إعلامية عارمة من أجل شحن الأجواء وتهيئتها، بتصوير المسلمين عموما والصحوة الإسلامية و الجهاديين خصوصا على أنهم الخطر المحدق بالبشرية. والتضخيم من حجم هذا العدو و إمكاناته حتى وصل إلى الزعم بأن الجهاديين يمتلكون أسلحة الدمار الشامل، وأحدث تكنولوجيات العصر، وعشرات آلاف المقاتلين المدربين المنتشرين في عشرات البلدان... ودمجت أمريكا كل ذلك تحت مسمى (القاعدة) الذي صنع الأعلام الأمريكي من اسمها (بعبعا) مخيفا يجب محاربته ، حيث أدخلت تحت هذا المسمى كل جهد إسلامي في مواجهتها، بل كل من أرادت سحقه في حملتها. وبهذا بررت أمريكا كل ما تلا ذلك من عدوان وإجراءات، وبررا زحفها في حملة احتلال على الشرق الأوسط والعالم الإسلامي..

الهجوم على الإمارة الإسلامية في أفغانستان وإسقاط حكومة طالبان وتدمير البنية التحتية للمجاهدين الأفغان العرب وغير العرب فيها.

إطلاق حملة مكافحة الإرهاب وإلزام كافة الدول بها، وعقد عشرات المؤتمرات من أجل ذلك. ورفع بوش شعار جده قابيل (لأقتلنك)! وأطلق مقولة (من لم يكن مع أمريكا في حربها مع الإرهاب فهو ضدها) ولم يترك أي هامش للحياد.

أطلق بوش يد أجهزته الأمنية من الـ CIA والـ FBI وسواها، وما تبعها من أجهزة أمن من باقي دول العالم التي أدخلها طوعا أو كرها في حملة بربرية من القتل والأسر والتنكيل والتشريد وإقامة المعتقلات التي فاقت معتقلات النازية في إجراءاتها ضاربا بعرض الحائط بكل نداءات الهيئات الدولية والأمريكية المعنية بحقوق الإنسان.

في شهر مارس 2003 فرغت أمريكا من إعداد الأجواء السياسية والإعلامية على مدى عام ونصف من التهويل من أجل تضخيم إمكانية العراق ونظام صدام حسين، بامتلاكهم لأسلحة الدمار الشامل، واخترعت وهما آخر هو علاقة (صدام حسين) بـ (القاعدة). وصنعت خوفا من تسرب أسلحة الدمار الشامل (الموهومة) من العراق إلى القاعدة والإرهابيين، بناء على هذه العلاقة (الموهومة). فزحفت جيوش أمريكا وحليفتها بريطانيا بنحو 300.000 جندي مدجج بأرقى ما

وصلت إليه التكنولوجية العسكرية عبر التاريخ. وهاجمت العراق انطلاقا من أراضي عدد من الدول العربية والإسلامية وعلى رأسها الكويت وقطر والسعودية والأردن ومصر وباكستان وتركيا.. وعلى مدى عشرين يوما دكت الطائرات والصواريخ الأهداف المدنية والعسكرية ثم أعلنت في أول شهر يوليو انتهاء عملياتها واحتلال العراق. وسارع مجلس الأمن الدولي بكامل أعضائه لإضفاء الشرعية على هذا الإحتلال بعد أن تخلت روسيا وفرنسا وألمانيا عن معارضتها المتعثرة للحرب ودخلت في الفلك الأمريكي.

يهيئ بوش الأجواء الآن هو وكبار رجال إدارته وإعلامه للقفز نحو الخطوة التالية، سوريا وربما إيران ويلوح بتقسيم السعودية والاستيلاء على مصر.. وليس هنا محل استعراض تاريخ يجب كتابته وتحليله بكل دقة وأمانة نحو أجيال المسلمين القادمة. إلا أن الأهداف المعلنة بلا حياء من قبل بوش وإدارته قد أعلنت بلا خفاء وهي:

تغيير خارطة الشرق الأوسط السياسية بتبديل بعض الأنظمة وإعادة رسم ملامح وجودها.

تغيير خارطة الشرق الأوسط جغرافيا بتقسيم دول وإنشاء أخرى وتوسيع البعض وقضم أطراف أخرى.

إعادة رسم معالم الثقافة والمكونات الحضارية والدينية العرب والمسلمين وتبديل مكوناتها بما يضمن انسجامها مع أفكار المستعمر والقضاء على كل بذور النهضة والمقاومة.

العمل على ربط منطقة الشرق الأوسط بالاقتصاد الأمريكي عبر اتفاقيات للشراكة الإقتصادية والتبادل التجاري تدخل إسرائيل في صلبه ويحول شعوب المنطقة إلى عبيد مستهلكة للإنتاج الأمريكي وإدارة الصهيونية.

احتلال العراق لأجل غير مسمى والسيطرة بذلك على أكبر احتياط نفطي في العالم فضلا عما تسيطر عليه من نفط الخليج ووسط أسيا بما يضمن لأمريكا أن تمسك بشريان الاقتصاد العالمي وتتحكم بدول أوربا وروسيا وشرق آسيا والصين.

فرض المشروع الصهيوني لدولة إسرائيل التي أصبحت تمتلك الجيش الوحيد وليس الأقوى فقط في المنطقة بعد أن فككت أمريكا جيش مصر ودمرت جيش العراق ووضعت لسوريا برنامج إلغاء جيشها وعدم تحديثه وإلغاء التجنيد الإلزامي فيه مما يخفض عدده إلى الحد اللازم لحفظ الأمن الداخلي فقط.

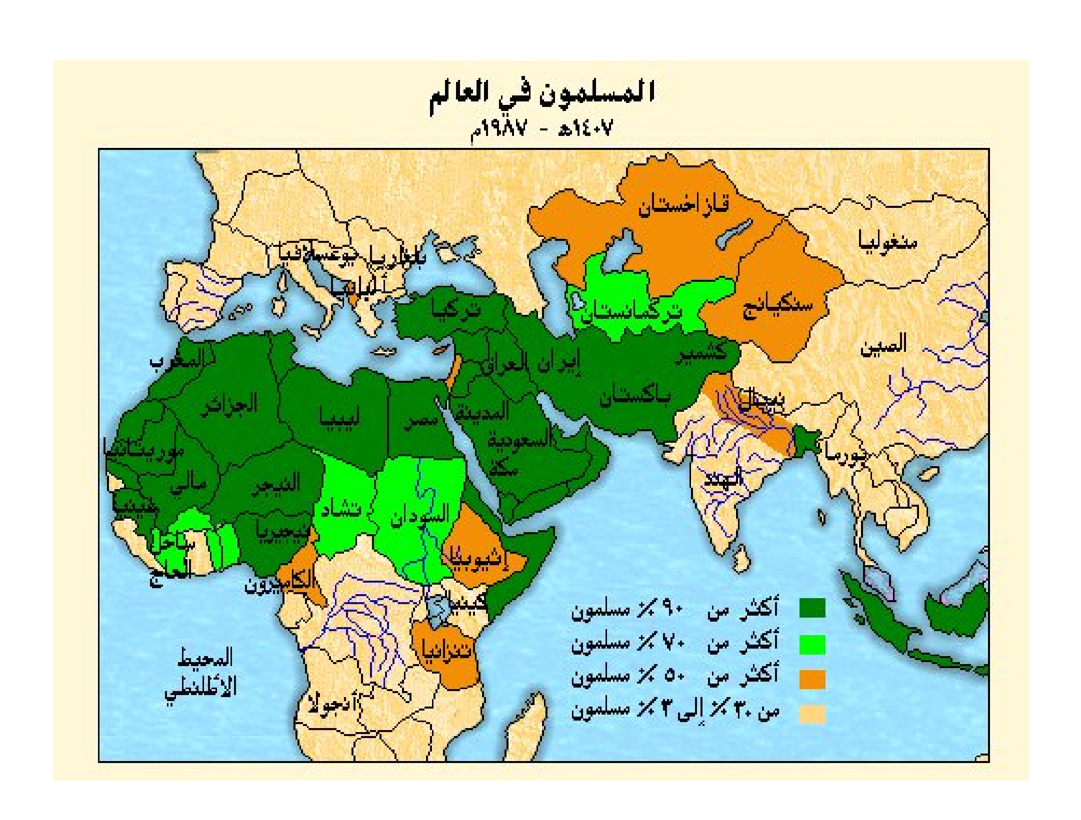
وهكذا عاد شعار (لأقتلنك) ليرفع من جديد على يد هولاكو القرن الحادي والعشرين : (مستر بوش!) وحملته الصليبية اليهودية الأمريكية البريطانية الجديدة.

وليستمر الصراع بكل جلاء بين الإسلام والمسلمين وخصومه الروم الجدد كما كان عبر 14 قرنـا . تماما كما أخبر الصادق المصدوق عليه الصلاة والسلام .. صراعا أبديا أزليـا مـع الـروم. وسيسـتمر كذلك إلى قيام الساعة.

خلاصة النظام الدولي ، و صراع المسلمين مع الروم عبر التاريخ الإسلامي.

المرحلة وتاريخها	أطراف الصراع	ملاحظات
المرحلة النبوية بعد قيام دولة المدينة: 1 هـ - 11 هـ	المسلمون × مشركي جزيرة العرب المسلمون × الروم	عم الإسلام جزيرة العرب بعد عام الوفود مؤتة ـ تبوك ـ بعث أسامة رضي الله عنه
خلافة أبي بكر الصديق رضي الله عنه: 11 هـ - 13 هـ	المسلمون × المرتدين في الجزيرة المسلمون × الفرس المسلمون × الروم	تثبيت الإسلام في الجزيرة بداية فتوح العراق فتح الأردن وجنوب فلسطين
خلافة عمر رضي الله عنه: 13 هـ - 25 هـ	المسلمون × الفرس المسلمون × الروم	فتح العراق وفارس (القادسية ـ نهاوند) فتح الشام ومصر
خلافة عثمان رضي الله عنه: 25 هـ - 33 هـ	المسلمون × الفرس المسلمون × الروم	زوال فارس ودخولها في الحضارة الإسلامية فتح شمال إفريقيا و دخول الأندلس وبعض جزر المتوسط
خلافة علي رضي الله عنه: 33 هـ - 40 هـ	الفتنة الكبرى المسلمون × الروم	لا حول ولا قوة إلا بالله هدنة مؤقتة
الخلافة الأموية: 41 هـ - 132 هـ	المسلمون × الترك وسط آسيا المسلمون × الروم	فتح تركستان والسند وما وراء النهر تثبيت الفتح في شمال إفريقيا والأندلس وفتح بعض جزر المتوسط
الخلافة العباسية: 132هـ -656هـ	المسلمون × الروم المسلمون × التتار	مواجهات العباسيين مع الروم البيزنطيين ـ هدنة مع الروم الغربيين (ملوك أوربا) ـ المسلمون في الأندلس × الروم الغربيين
دول الطوائف الإسلامية: 656 هـ - 1452م	المسلمون × الروم	المسلمون × الصليبيين والبيزنطيين في الشام ـ المسلمون في الأندلس × ملوك أسبانيا وأوربا
الدولة العثمانية: 1452م - 1924 م	المسلمون × الروم	الصراع بين الدولة العثمانية والدول الأوربية خلال مرحلة الفتح ثم مرحلة السقوط

المسلمون تحت الإحتلال خلال ما بين الحرب-ي-ن: 1914 م - 1945	الروم × الروم المسلمون × الروم	أوربا × أوربا الحرب العالمية الأولى والثانية المسلمون يجاهدون الإحتلال
المسلمون تحت حكم نواب الإستعمار: 1945 م - 1990م	الروم × الروم المسلمون × المرتدين نواب الروم	الحرب الباردة: روسيا × أمريكا الحكام المرتدين × الصحوة الإسلامية
النظام العالمي الجديد: 1990 م - ؟؟20 م	أمريكا × كل البشرية ! المسلمون × الروم بقيادة أمريكا	نظام القطب الأوحد والسيطرة الأمريكية على الأرض. الحركات الجهادية × أمريكا وحلفائها



فهرس المجلد الأول

نهاية المجلد الأول